

الكتب التاريخية

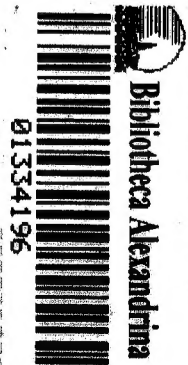
تاريخ المغرب العربي

٣

الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون
إلى قيام المرابطين

دكتور
سعد غلول عبد الحميد

الناشر / منشأة فا بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه



تاريخ المغرب العربي

الجزء الثالث

الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون
إلى قيام المرابطين

أستاذ
عبد زغلول عبد الحميد
مدير الأرشيف - جامعة الكويت
المكونة - قوائم - جامعة الكويت - جامعة الكويت

الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ
"قرآن کریم ، سوره یوسف"
آیه ۱۱۱

تقديم

وبعد عشر سنوات أخرى وأكثر ، نقدم الجزء الثالث من كتابنا :
« تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون الى قيام
المرابطين » .

وهنا أود أن أشير الى المعاونة القسمة التي قدمها كل من قسم التاريخ
وكلية الآداب بجامعة الكويت في سبيل تيسير انجاز هذا العمل عن طريق
تذليل العقبات التي أعاقت لبعض الوقت قيام المؤلف بأجازة تفرغ علمي
خلال الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٨٨ - ١٩٨٩ ، الأمر الذي هيا له
فرصة زيارة المكتبات الوطنية في كل من باريس والرباط وتونس - للسادة
المسؤولين عنهما والعاملين فيه كل تبجيل ، وأخص بالشكر الأستاذين
الفاضلين د/محمد بن شريفة ، مدير خزانة الرباط ، ود/ابراهيم شبوح ،
مدير دار الكتب التونسية لما قدماء لي من تسهيلات الاطلاع على ذخائر
داريهما العامرتين .

وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في مقدمة
الجزء الأول من الطبعة السابقة لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب من
الأساتذة الأجلء والزلاء الأفاضل والتلاميذ النجباء ، وأخص بالذكر :
الدكتورة نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبد العال أحمد ، والدكتور محمد
عبد العزيز ، والأستاذ يوسف شكري . كما أوجه شكرا خاصا للزملاء
الأساتذة : د/بدر الدين الحصوصي ، ود/أحمد مختار العبادي ، ود/سعيد
عاشور علي حشهم لي على مواصلة اخراج ما تبقى من أجزائه . هذا ولا يفوتني
توجيه الامتنان الى الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الرابع من الكتاب ، في تاريخ
المرابطين والموحدين ، عما قريب - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الاسكندرية في ٢٥/٢/١٩٩٠

المستويات

المقدمة في :

المصادر : في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين (٢٩٧ - ٤٦٨ هـ / ٩٠٩ - ١٠٧٤ م) ، ص ٧ .

ملاحظات عامة : اقتفاء الوثائق ، ص ٧ - ما بين الوثائق والأدب التاريخي ، ص ٨ - الأدب التاريخي ما بين الندرة والكثرة - الكثرة ، ص ٩ - الروايات المتأخرة ، ص ١٠ - الخبر الآحادي ، ص ١١ - الروايات المختلفة المناهج - مراحل الدراسة ، ص ١١ - المصادر الشيعية ، ص ١٢ .

دعائم الاسلام ، ص ١٣ - الولاية ، ص ١٤ - الجهاد ، ص ١٥ - التأويل والعلم ، - توريث البنات وزواج المتعة ، ص ١٦ .

افتتاح الدعوة ، ص ١٧ - الشؤون الاجتماعية والمالية ، ص ١٨ - تواريخ خاصة - تاريخ النسخ ، ص ١٩ .

المجالس والمسائرات - قضايا تاريخية ودينية وفقهية - سيرة المعز ، ص ٢٠ - الأئمة - الدعوة ، ص ٢١ - تعاليم المذهب - الأحداث التاريخية ، ص ٢٢ - معلومات وثائقية ، ص ٢٣ - أخبار المعز ، ص ٢٤ - تاريخ النسخ .

كتاب الهمة - سيرة جوذر ، ص ٢٥

عيون الأخبار - المحتوى - الداعي ادريس ، ص ٢٦ - التوثيق - الروايات الشعبية (الفلكلورية) ، ص ٢٧ - توثيق ثورة أبي يزيد - مقتل ميسور - علم الحدان - شجاعة المنصور ، ص ٢٨ - نهاية أبي يزيد - الرسائل والخطب المنبرية ، ص ٢٩ .

من كتب الأباضية : الدرجيني ، ص ٣٠ - التحقيق - الأخذ عن

أبي زكريا الوردجاني ، ص ٣١ - أخبار أبي يزيد التكري - خلط الرواية
المنقبية بالخبر المعادي ، ص ٣٢ - تجريف الروايات - الحدثان والقصص
الشعبي ، ص ٣٣ .

المقتبس لابن حيان - العلاقات الأموية الفاطمية ، ص ٣٤ - الدعاية
والدعاية المضادة - موقف أمراء المغرب ، ص ٣٥ - فتح سبتة والدعاية
الأموية الأندلسية عن فتح المشرق ، ص ٣٦ - الوجه الحضاري لكل من
المغرب والأندلس ، ص ٣٧ .

البيان المغرب ، ص ٣٨ - وجهة النظر السنية ، ص ٣٩ - كشف
السياسة الفاطمية المغرضة - المألية - الثورة الكتامية ، ص ٤٠ - المعز
ونهاية التشيع ، ص ٤١ .

البكري - مسرح الأحداث المرابطية ، ص ٤٢ - ثروات الصحراء -
جزولة ولطة ، ص ٤٣ - النقاب - النشاط الاقتصادي والجهاد - الإصلاح
المرابطي ، ص ٤٤ - مراحل الحركة ، ص ٤٥ - الرباط - فقه ابن ياسين -
النظام الحربي ، ص ٤٦ - معلومات وثائقية ، ص ٤٧ .

العبر لابن خلدون - تقييم عام ، ص ٤٨ - مشروع د. شيوخ - مصدر
رئيسي لتاريخ الهلالية ، ص ٤٩ - التوثيق - هلالية برقة ، ص ٥٠ - طرق
الحكاية عند الهلالية - من قواعد النقد في الأدب الشعبي - تقييم القصة
الشعبية ، ص ٥١ .

ملاحظات منهجية - كثرة المعلومات - قتلها ، ص ٥٢ - تضاربها -
بعض النماذج ، ص ٥٣ - الرواية الأسطورية والمنقبية - الموضوع -
الكرامة ، ص ٥٤ - الدروس المستفادة منها ، ص ٥٥ .

الفصل الأول

عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء

شخصيته - صحة النسب - المهدي شابا ، ص ٥٧ - في سجلها -
صفاته الجسدية والعلامات ، ص ٥٨ - الصفات الموضوعية - الحدثان -
العقلانية - رباطة الجأش - علامات كونية رمزية ، ص ٥٩ .

السياسة الداخلية - تركيز السلطة بين يدي المهدي ، ص ٦٠ -

البداية فى سجلجاسة - كبار الأعوان ، ص ٦١ - فتور العلاقة بين الامام والداعى ، ص ٦٢ - حتمية تاريخية - دور المخطوم ، ص ٦٣ - الرأى فى تغيير النظام ، ص ٦٤ - توزيع أدوار المؤامرة ، ص ٦٥ - التخلص من الداعى والمتآمرين ، ص ٦٦ - التخلص من أبى زاكى - التحرز من الكتامين ، ص ٦٧ .

موقف الكتامين من مقتل الداعى - سوء سمعتهم فى القيروان ، ص ٦٨ - مذبحه الكتامين فى القيروان ، ص ٦٩ - الثورة فى بلاد كتامة ، ص ٧١ - المهديّة الكتامية ونجاحها ، ص ٧٠ - نهاية الثورة ، ص ٧١ .

ثورة شعبية على الكتامين فى طرابلس - السبب ، ص ٧٢ - استخدام الأسطول - أبو القاسم يحاصر طرابلس ، ص ٧٣ - تضيق الحصار والتخلص من زعماء الثورة ، ص ٧٤ .

الأحوال الداخلية - الاضطرابات فى الأقاليم - انقلاب فاشل ضد المهدي سنة ٣٠٠ هـ - فتح برقة ٣٠١ هـ - محاولة غزو مصر ، ص ٧٥ - معاملة قاسية لأهل برقة ، ص ٧٦ - فشل والى مصر فى استرجاع برقة ، ص ٧٧ - محاولة فتح مصر سنة ٣٠٢ هـ ، ص ٧٨ - خلاف القائد حباسة ومقتله مع أخيه عروبة والى تاهرت ، ص ٧٩ - عصيان أهل برقة الى سنة ٣٠٤ هـ وعقوبتهم ، ص ٨٠ - غزوة مصر الثانية - ثورة نقوسة بقيادة أبى بطة ، ص ٨١ - تاهرت والمغرب الأوسط ما بين الولاء والعصيان مع زناقة ، ص ٨٢ - هرب محمد بن خزر الى الصحراء - ثورة تاهرت ، ص ٨٣ - تاهرت مركز الدولة الفاطمية فى المغرب - فتح نكور - تاريخ نكور ، ص ٨٤ - ولاية دلول على نكور ، ص ٨٦ - مد النفوذ الفاطمى الى مملكة الأدارسة بفاس والمغرب الأقصى - الحملة الأولى ، ص ٨٧ - الحملة الثانية ، ص ٨٨ - القضاء على مملكة فاس الأدرسية ، ص ٩٠ - محاولات اقرار الأمور فى سجلجاسة ، ص ٩١ .

المهديّة عاصمة جديدة - دواعى البناء ، ص ٩١ - اختيار المكان - رباط فاطمى جديد ، ص ٩٣ - البناء : المدينة الملكية ، ص ٩٥ - الأسوار - دار الصناعة - الميناء ، ص ٩٦ - القصر والجامع - مدينة العامة : زويلة ، ص ٩٧ - المهديّة مركزا للحكم ، ص ١٠٠ - حكم مركزى يعتمد على قاعدتى التهريب والترغيب ، ص ١٠١ - الصراع ضد الزناتية فى المغرب ، ص ١٠٢ - مقتل مصالة أمام محمد بن خزر ، ص ١٠٣ - اجلاء الأدارسة عن

بلادهم : فاس ، ص ١٠٤ - محمد بن خزر في تاهرت ، ص ١٠٥ - خروج
أبي القاسم الى المغرب ، ص ١٠٥ - مطاردة الزناتية ، ص ١٠٦ - نجساح
الحملة التأديبية ، ص ١٠٨ - العودة الى المهدي و احتفال النصر مع بشائر
ثورة أبي يزيد ، ص ١٠٩ - تحصين تاهرت ، ص ١١٠ - التحالف بين
موسى بن أبي العافية والأمويين في الأندلس - دخول سبتة في طاعة الناصر ،
ص ١١٠ - الصراع ضد الأدارسة ، ص ١١٢ - الصراع ضد زناتة ، ص
١١٣ - اجتياح نكور والهيمنة على المغرب ، ص ١١٤ - فشل رد الفعل
الفاطمي ، ص ١١٥ .

السياسة المالية على عهد المهدي ، ص ١١٦ - الحاجة الى مزيد من
المال - الخمس ، ص ١١٧ - الغرامات والمصادرات ، ص ١١٨ - المغانم ،
ص ١١٩ - التراتيب المالية ، ص ١٢١ - ديوان الكشف ، ص ١٢١ -
ضرائب مستحدثة - التضييع - الشطور (ضريبة الحاج) ، ص ١٢٢ -
ديوان الدعوة ، ص ١٢٣ .

السياسة الدينية - ما بين الدين والمال - تساهل الداعي - ظاهر
علم الأئمة - تغييرات باسم السنة - اعتدال الداعي ، ص ١٢٥ - تشدد
المهدي - مذهب جعفر بن محمد ، ص ١٢٦ - غلاة المذهب ، ص ١٢٧ -
مسئولية الدعاة ، ص ١٢٩ - اختراق الآداب الاسلامية ، ص ١٢٩ - غلاة
الدعاة ، ص ١٣٠ - الكف عن طلب التشيع من العامة ، ص ١٣٢ - الجدل
بين السنة والشيعة ، ص ١٣٣ - تساهل الداعي ومرونته ، ص ١٣٤ -
الحياة الفكرية والثقافية - المذهب الفاطمي ، ص ١٣٥ - موضوع الامام
المعصوم ، ص ١٣٦ - بقاء العامة سنية بفضل علماء المالكية ، ص ١٣٧ -
ندرة علماء الشيعة ، ص ١٤٠ - ما بين أدب الدنيا والدين ، ص ١٤١ -
معارضة التشيع - تشدد المهدي والقاضي المروزي ، ص ١٤٢ - ما بين
التاريخ والحرفات والأساطير في سير العلماء ، ص ١٤٤ .

صقلية الفاطمية على عهد المهدي ، ص ١٤٥ - الحسن بن أبي خنزير
واليها ، ص ١٤٦ - ابن رهب والدعوة العباسية ، ص ١٤٧ - ابن قرهب
مجاهدا ، ص ١٤٨ - الاتصال بخلافة بغداد ، ص ١٤٩ - نهاية ابن قرهب ،
ص ١٥٠ - الضيف واليا بصقلية ، ص ١٥١ - ضرب مقاومة أهل صقلية
ودخول بلرم ، ص ١٥٢ - ولاية سالم بن راشد ، ص ١٥٣ - العلاقات مع
كلابريا وجنوب ايطاليا ، ص ١٥٣ - اجتياح ريوة ، ص ١٥٥ - حملات على

جنوب إيطاليا ، ص ١٥٦ - اجتياح أوريه ، ص ١٥٧ - حملات صابر
الفتي ، ص ١٥٨ - جباية الضرائب في صقلية ، ص ١٥٩ .

الفصل الثاني

الفاطميون في المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر

القائم - المنصور - المعز - تمهيد ، ص ١٦١ .

القائم - ولايته ، ص ١٦٢ - صفاته ، ص ١٦٣ .

الأحوال الداخلية - الكاتب والحاجب - ثورة طرابلس (ابن طالوت) ،
ص ١٦٥ - الصراع من أجل المغرب ، ص ١٦٦ - محاولة استرجاع فاس -
تأديب تكور والتحالف مع الأدارسة ضد موسى بن أبي العافية ، ص ١٦٧ -
القتال في الزاب وأوراس ، ص ١٦٨ - موسى بن أبي العافية - زجل
الأمويين في فاس - سجل ماسة الصفرية والمذهب المالكي ، ص ١٦٩ .

أبو يزيد والثورة الزناتية ، ص ١٧٠ - شخصيته وتكوينه - أبوعمار
الأعمى - الاختساب ، ص ١٧١ - بداية الثورة في توزر - دار الهجرة في
أوراس ، ص ١٧٣ - مراحل الثورة ، ص ١٧٤ - فتح بلاد الزاب ، ص ١٧٥ -
الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة وتونس ، ص ١٧٦ -
دخول القيروان ، ص ١٧٧ - التحالف مع المالكية ، ص ١٧٨ - الهجوم على
منطقة الساحل وحصار المهدي ، ص ١٧٩ - الزحيل عن المهدي ، ص ١٨٣ -
نهاية الثورة على عهد المنصور ، ص ١٨٥ - معونة عبد الرحمن الناصر -
محمد بن خزر الزناتي يدخل في طاعة المنصور ، ص ١٨٦ - معركة قلعة
كيانة وأسر أبي يزيد ، ص ١٨٨ - أضداد الثورة (بعد مقتل بن أبي يزيد) ،
ص ١٨٩ - تهديّة المغرب ، ص ١٩١ - حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع
الناصر ، ص ١٩٢ - مسرور الخادم واليا لتاهرت - مرض المنصور - جولة
أثرية للمنصور في منطقة لواته ، ص ١٩٣ - الاحتفال بالناصر في القيروان ،
ص ١٩٤ .

خلافة المنصور الفاطمي - شخصيته - الفصاحة - الصفح - الضعف
الصحي ، ص ١٩٦ - الكفاية والتفاؤل ، ص ١٩٧ - الجرأة وحب العلم ،
ص ١٩٨ - جامع الأضداد ، ص ٢٠٠ .

السياسة الداخلية - كتمان توليته للعهد ، ص ٢٠٠ - اعلان خلافته،

جنوب إيطاليا ، ص ١٥٦ - اجتياح أوريه ، ص ١٥٧ - حملات صابن
الفتى ، ص ١٥٨ - جباية الضرائب فى صقلية ، ص ١٥٩ .

الفصل الثانى

الفاطميون فى المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر

القائم - المنصور - المعز - تمهيد ، ص ١٦١ .

القائم - ولايته ، ص ١٦٢ - صفاته ، ص ١٦٣ .

الأحوال الداخلية - الكاتب والحاجب - ثورة طرابلس (ابن طلوت) ،
ص ١٦٥ - الصراع من أجل المغرب ، ص ١٦٦ - محاولة استرجاع فاس -
تأديب نكور والتحالف مع الأدارسة ضد موسى بن أبى العافية ، ص ١٦٧ -
القتال فى الزاب وأوراس ، ص ١٦٨ - موسى بن أبى العافية - زجل
الأمويين فى فاس - سجل ماسة الصفرية والمذهب المالكي ، ص ١٦٩ .

أبو يزيد والثورة الزناتية ، ص ١٧٠ - شخصيته وتكوينه - أبوعمار
الأعمى - الاختساب ، ص ١٧١ - بداية الثورة فى توزر - دار الهجرة فى
أوراس ، ص ١٧٣ - مراحل الثورة ، ص ١٧٤ - فتح بلاد الزاب ، ص ١٧٥ -
الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية فى باجة وتونس ، ص ١٧٦ -
دخول القيروان ، ص ١٧٧ - التحالف مع المالكية ، ص ١٧٨ - الهجوم على
منطقة الساحل وحصار المهديّة ، ص ١٧٩ - الرحيل عن المهديّة ، ص ١٨٣ -
نهاية الثورة على عهد المنصور ، ص ١٨٥ - معونة عبد الرحمن الناصر -
محمد بن خزر الزناتى يدخل فى طاعة المنصور ، ص ١٨٦ - معركة قلعة
كيانة وأسر أبى يزيد ، ص ١٨٨ - أضداد الثورة (بعد مقتل بن أبى يزيد) ،
ص ١٨٩ - تهديّة المغرب ، ص ١٩١ - حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع
الناصر ، ص ١٩٢ - مسرور الحادى وأليا لتاهرت - مرض المنصور - جولة
أثرية للمنصور فى منطقة لواته ، ص ١٩٣ - الاحتفال بالنصر فى القيروان ،
ص ١٩٤ .

خلافة المنصور الفاطمى - شخصيته - الفصاحة - الصفح - الضعف
الصحى ، ص ١٩٦ - الكفاية والتفاؤل ، ص ١٩٧ - الجرأة وحب العلم ،
ص ١٩٨ - جامع الأضداد ، ص ٢٠٠ .

السياسة الداخلية - كتمان توليته للعهد ، ص ٢٠٠ - اعلان خلافته،

ص ٢٠١ - بناء المنصورية ، ص ٢٠١ - التخطيط ، ص ٢٠٢ - البقايا ،
ص ٢٠٣ .

أصول الحكم عند المنصور - المهادنة والوفاق - مغزى بناء المنصورية -
الكرم والتواضع ، ص ٢٠٤ - إقامة العدل ، ص ٢٠٥ - إعادة الثقة مع
الكتاميين ، ص ٢٠٦ - إعادة الحجر الأسود ، ص ٢٠٨ .

الصراع في المغرب ، ص ٢٠٨ - برغواطية والزندقة ، ص ٢٠٩ -
عمارة وادعاء النبوة ، ص ٢١٠ ، ٢١١ - فاس ما بين مكناسة والأدارسة .
ص ٢١٢ - بنو محمد الأدارسة - (محمد كنون) - أبو العيش بن كنون .
ص ٢١٣ - الصراع بين أتباع الناصر ، ص ٢١٤ - غلبة الناصر على المغرب
ما عدا سجلماسة ، ص ٢١٥ - اجتياح تاهرت باسم الناصر ، ص ٢١٦ -
سجلماسة : محمد بن الفتح والدعوة العباسية ، ص ٢١٧ - نهاية المنصور .
ص ٢١٨ .

المعز لدين الله - ولايته - شخصيته ، ص ٢٢٠ - الصفع والحزم ،
ص ٢٢١ - البسطة وحب العمل ، ص ٢٢٣ - الزهد - برنامج العمل
اليومي ، ص ٢٢٤ .

سياسة المعز المغربية ، ما بين الاقدام والتربص ، ص ٢٢٤ - الصراع
مع الأمويين في المغرب - نفوذ الناصر في أرشقول وتامسنا ، ص ٢٢٥ -
خضوع الأدارسة في طنجة والعدوة (المغربية) ، ص ٢٢٦ - هيمنة الناصر
على سبتة وتطوان ، ص ٢٢٧ - سجلماسة تدخل الدعوة العباسية - الصراع
البحري ضد الأمويين ، ص ٢٢٨ - الصدام البحري قرب صقلية وفي سواحل
الأندلس والمغرب ، ص ٢٢٩ - حملة معزية تجتاح المغرب (حملة جوهر)
(٩٥٨/٣٤٧) - تاهرت (يعلى بن محمد) ، ص ٢٣١ - سجلماسة (أحمد
ابن بكر) ، ص ٢٣٢ - فاس ، ص ٢٣٣ - سبتة وتطوان وطنجة ، ص ٢٣٤ -
سقوط فاس على يد زيري الصنهاجي ، ص ٢٣٥ - محمد بن خزر في
الطاعة الفاطمية ، ص ٢٣٦ .

السنوات الأخيرة للعصر الفاطمي في المغرب - سياسة مزدوجة : تأكيد
الوجود والعمل على الرحيل ، ص ٢٣٦ - سياسة مناهضة لصاحبى فاس
وسجلماسة ، ص ٢٣٧ - رد الفعل الأموي في الأندلس - كفاح من أجل
الهيمنة على العدو وتامسنا ، ص ٢٣٩ - كريت : سقوطها بين يدي نفقور

فوكاس ، ص ٢٤٠ - تهديد الامبراطور الرومى - محاولة اجتذاب الأخشيذ
فى مصر ، ص ٢٤١ .

هل تحققت الأمانى : الاحتفالات الفاطمية الشعبية الكبرى - احتفالات
الختان ، ص ٢٤٢ - المركز قصر البحر ، ص ٢٤٣ - الأعداد - أيام أعياد
ومسرات ، ص ٢٤٤ .

السياسة الدينية - التمسك بشعائر المذهب ، ص ٢٤٥ - احياء
التلاعن مع الأمويين ، ص ٢٤٦ - اللقب الحلافى من أسباب الوحشة -
المراسلات ، ص ٢٤٧ - فى الحرية المذهبية والحج ، ص ٢٤٨ .

أحوال المغرب ما بين فتح جوهر ، مصر ونقله المعز إليها ، ص ٢٤٩ -
الأعمال التمهيدية - جولة مبدئية فى بلاد كتامة ، ص ٢٥٠ - المسير من
الحضرة ، ص ٢٥١ - عودة المعز الى قصره - مسير الأسطول ، ص ٢٥٢ -
اضطراب زناتة بقيادة محمد بن الخير ، ص ٢٥٣ - ثورة محمد بن الخير
الزناتى - مقتل زيرى بن مناد ، ص ٢٥٤ - ثار بلكين من محمد بن الخير ،
ص ٢٥٥ .

أحوال صقلية من عهد القائم الى انتقال المعز الى القاهرة - غارة على
جنوة ، ص ٢٥٦ - استمرار ولاية سالم بن راشد ، ص ٢٥٧ - ثورة
الصقايين فى بلرم ، ص ٢٥٨ - حملة خليل بن اسحق ما بين المواقف
الشجنية والأعمال الثأرية ، ص ٢٥٩ - ثارات متبادلة ، من تشديد الحصر
والاتصال بالقسطنطينية والهجرة الى بلد الروم ، ص ٢٦٠ - نهاية مهمة
خليل بن اسحاق ، ص ٢٦٢ - ولاية ابن عطف ، ص ٢٦٣ - ولاية حسن
ابن أبى الحسين الكلبي ، ص ٢٦٤ - ردع بنى الطبرى فى بلرم ، ص ٢٦٥ -
الصراع ضد الروم ، ص ٢٦٦ - قائد كلابريا يستعين بامبراطور الروم ،
ص ٢٦٧ - الحسن يفرض الهدنة على الروم ، ص ٢٦٨ .

صقلية على عهد المعز حتى نقلته الى مصر ، ص ٢٦٨ - حملات أحمد بن
الحسين فى ايطاليا ، ص ٢٦٩ - نشر المذهب الفاطمى فى صقلية ، ص ٢٧٠ -
الاستيلاء على قلعة طبرمين ، ص ٢٧١ - فتح رمطة : انتصارات لامعة على
الروم ، ص ٢٧٢ - وقعة المجاز (مسينا) البحرية ، ص ٢٧٤ - محاولة
اعفاء بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية ، ص ٢٧٥ - اقرار بنى الحسن
الكلبيين من جديد فى ولاية صقلية ، ص ٢٧٦ .

أحوال الأقاليم الشرقية في كل من طرابلس وبرقة قبل رحيل المعز الى مصر - تمهيد ، ص ٢٧٧ - طرابلس قاعدة للأسطول ، ص ٢٧٨ - برقة حاضرة مزدهرة ، ص ٢٧٨ - الرحيل الى مصر - الاعداد للموكب الخلافي ، ص ٢٧٩ - ترتيب شئون الحكم في المغرب وصقلية - أفريقية ، ص ٢٨٠ - طرابلس - صقلية ، ص ٢٨١ - الرحلة الى مصر - أصول الحكم في أفريقية وآخر وصايا المعز ، ص ٢٨٢ - وفاة محمد بن هانيء في برقة ، ص ٢٨٤ .

الفصل الثالث

العصر الصنهاجي الأول في بلاد المغرب الزيريون خلفاء الفاطميين في أفريقيا

تمهيد : عهد جديد ، ص ٢٨٥ - تشابه دورات التاريخ الأندلسي والمغربى - القطيعة مع المغرب ، ص ٢٨٦ - أهمية الهجرة الهلالية - عروبة الدولة الصنهاجية - حيز محدود للشئون الدينية ، ص ٢٨٧ - المقابلة مع دولة المثلثين من لمتونة ومسوفة - أثر الحصار العربية الأندلسية ، ص ٢٨٨ - عصر السيادة البربرية ، ص ٢٨٩ .

صنهاجة أفريقية : المواطن والقبائل ، ص ٢٨٩ - بلاد صنهاجة ، ص ٢٩٠ - قبائل صنهاجة ، ص ٢٩١ - بنو مناد ، ص ٢٩٢ .

الأسرة الزيرية - بلكين بن زيرى ملكا مؤصلا ، ص ٢٩٢ - مناد ، ص ٢٩٣ - زيرى ، ص ٢٩٤ - بناء أشير ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م ، ص ٢٩٥ - ازدهار أشير ، ص ٢٩٦ - زيرى بن مناد والصراع ضد زناتة ، ص ٢٩٧ - حزب موسى بن أبى العافية - جهاد برغواطة ، ص ٢٩٨ - نجدة القائم ضد أبى يزيد - هجوم الزناتية وتهديد أشير ، ص ٢٩٩ - مقتل زيرى ، ص ٣٠٠ .

السياسة الداخلية في حكومة القيروان من بلكين الى المعز بن باديس - أفريقية الزيرية نيابة فاطمية - توزيع الاختصاصات بين الأدير والعمال ، والعلاقة مع الخلفاء بالقاهرة - الادارة المالية ، ص ٣٠١ - الصراع مع عامل الخلافة (ابن القديم) - عبد الله بن محمد الكاتب ، ص ٣٠٣ - أصدقاء التخلص من ابن القديم : ائازة كتامة ، ص ٣٠٤ - ثورة خلف بن خير ، ص ٣٠٥ - تحسن العلاقة مع الخلافة واستعادة ولاية طرابلس ، ص ٣٠٦ - اخوة بلكين يجأون الى القاهرة ، ص ٣٠٧ - عبد الله الكاتب يؤلف حرسا

أسود ، ص ٣٠٨ - المنصور يحاول التخلص من عبد الله الكاتب ، ص ٣٠٨ - المنصور يعلن انه ليس ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، ص ٣٠٩ - المنصور يصطحب عبد الله الكاتب الى أشير ، ص ٣١٠ - الكتاب يساعد الداعي أبى الفهم - عبد الله الكاتب داعيا للدعاة ، ص ٣١١ - التخلص من عبد الله ابن محمد الكاتب ، ص ٣١٢ - ردود الفعل : العسكر الأميرى ينهب ضواحي القريوان ، ص ٣١٣ - توتر العلاقة مع الخلافة وثورة كتامة تحت قيادة أبى الفهم ، ص ٣١٤ - ترهيب سفيرى القاهرة ، ص ٣١٥ - رد لين للخلافة - تبادل الهدايا مع الخلافة ، ص ٣١٦ - الشريف الباهرى يأخذ البيعة على باديس المنصور وصنهاجة ، ص ٣١٦ - الخلافة تحاول استرجاع طرابلس ، ص ٣١٨ - أبو ركة والثورة الزناتية فى برقة ، ص ٣١٩ - فلغل بن سعيد الزناتى فى طاعة القاهرة - أبناء محمد بن أبى العرب يلجأون الى فلغل الزناتى - أبناء ينال التركى فى طرابلس على علاقة حسنة مع فلغل ، ص ٣٢٠ - وروا أخو فلغل زعيما للزناتية فى نفزاوة ، ص ٣٢١ - علاقات حسنة بين الحاكم وباديس - تبادل الهدايا - علاقة عرب بنى قره فى برقة بالقاهرة ، ص ٣٢٢ - سجل بولاية العهد للمنصور بن باديس ، ص ٣٢٣ - سوء العلاقة مع حماد بن بلكين ، ص ٣٢٤ .

مبادئ الحكم فى العمالة الافريقية وتطبيقاتها العملية - اقرار الأمن .
ص ٣٢٥ - تلخيص البروامج السياسى الذى رسمه المعز لنائبه بلكين ، ص ٣٢٦ - اقرار الأمن فى أفريقية وأعمالها : باغاية وتاهرت ، ص ٣٢٧ - اضطراب رجال الأسطوخ ، ص ٣٢٨ .

عهد المنصور - اقرار السلطان الأميرى بالقريوان : محاولة اقضاء
الكاتب ، ص ٣٣٠ - فى كتامة : ثورة أبى الفهم ، ص ٣٣١ - الانتقام من ميلة ، ص ٣٣٢ - تأديب كتامة والمثلة بالثائر ، ص ٣٣٣ - رد الفعل فى كتامة - ثورة أبى نوح ، ص ٣٣٤ - طاعة سعيد بن خزون الزناتى والعهد له بطبنة - عامل افريقية تابعا للأمير ، ص ٣٣٥ - باديس ما بين خلافة الحاكم فى مصر وولاية عمه حماد فى أشير ، ص ٣٣٦ - سمات الدولة الزيرية أيام باديس ، ما بين الامارة وعمالة الخراج ، ص ٣٣٧ - انتفاضة كتامية - الأمر بالمعروف - نهاية باديس فى حصار عمه حماد بالقلعة ، ص ٣٣٩ .

الصراع ضد الزناتية - التمهيد ، ص ٣٤٠ - الزناتية فيما بين باغاية وتلمسان ، ص ٣٤١ - الزناتية ينهون الأسرة المدراية فى سبلماسة ،

ص ٣٤٢ - حملة بلكين الأخيرة في المغرب الأقصى : ما بين فاس وسجلماسة
وسبتة ، ص ٣٤٣ - حرب برغواطية ومحاولة القضاء على زندقتهم ، ص
٣٤٤ - الخلافة تطلب ألف فارس ، منهم أبناء زيرى - نهاية باكين واسترجاع
الزناتية فاس وسجلماسة ، ص ٣٤٥ - زيرى بن عطية يدافع عن فاس أمام
يطوفت ، ص ٣٤٦ - الفشل في مواجهة زناتة - طينة ولاية زناتية بالوراثنة ،
ص ٣٤٧ - هزيمة فاحشة لقوات صنهاجة أمام زيرى بن عطية - أمير فاس
أول عهد باديس ، ص ٣٤٩ - باديس يقود الصراع ضد الزناتية في قلب
أفريقية والمغرب ، ص ٣٥١ - باديس يحقق انتصارا كبيرا على فلفل بن
سعيد الزناتى ، ص ٣٥٢ - تحالف أبناء زيرى مع فلفل الزناتى الذى لجأ
الى طرابلس ، ص ٣٥٣ - أسرة زناتية بمدينة طرابلس - فلفل بن سعيد
أميرا ، ص ٣٥٤ - محاولة التمدد في أفريقية ونفزاوة ، ص ٣٥٥ .

الانقسامات فى الأسرة الزيرية - تمهيد ، ص ٣٥٧ - الانشقاق الأول ،
ص ٣٥٨ - أولاد زيرى بن مناد والعلاقات مع الأندلس - على عهد المنصور .
ص ٣٥٩ - فى جليقية ، ص ٣٦٠ - عصيان أبى البهارين زيرى ، ص ٣٦١ ،
التحالف مع زيرى بن عطية (القرطاس) ، ص ٣٦٢ - الخلاف بين أولاد
زيرى وباديس ، ص ٣٦٤ - مقتل ماكسن بن زيرى وبنيه ، ص ٣٦٦ -
زاوى (ابن زيرى) فى الأندلس من جديد ، ص ٣٦٧ - الصراع بين باديس
وعمه حماد ، ص ٣٦٨ .

السياسة المالية والأحوال الاقتصادية - تمهيد ، ص ٣٦٩ - الادارة
المالية تابعة للخلافة - العامل يجمع تبرعات للخلافة ، ص ٣٧٠ - زيادة
الجزائن ، ص ٣٧١ - امتحان أولى لعبد الله الكاتب ، ص ٣٧٢ - الهدايا
للأمير - صعوبة موقف العامل بين الخليفة والأمير ، ص ٣٧٣ - العامل
يوسف بن أبى محمد : أسلوب خاص للجباية ، ص ٣٧٤ - الموقف الضرائبى
فى بلاد كتامة ، ص ٣٧٥ - محنة البونى مساعد عامل الخراج ، ص ٣٧٦ -
نققات البلاط وروافد بيت المال من الغرامات ، ص ٣٧٧ .

الفصل الرابع المعز بن باديس

سمات العهد ، ص ٣٧٩ - المعز قاصرا تحت وصاية العمة أم ملال ،
ص ٣٨٠ .

الأحوال الداخلية - اضطراب العامة بالقروان ، ص ٣٨١ - مناهضة

التشيع والعودة الى السنة - تمهيد ، ص ٣٨٢ - مسئولية الأمير طفلاً
قاصراً - أول اهتمام بالأمر الدينية - ص ٣٨٤ - مسئولية تبلور الاتجاه
السني - ص ٣٨٥ - مهاجمة حى الشيعة فى درب المعلى فى يوم عاشوراء -
وفى المهديّة ، ص ٣٨٦ - موقف ترقب فى القاهرة - محاولة الهجرة الى
صقلية ، ص ٣٨٧ - التقية ، ص ٣٨٨ .

حسم العلاقات ما بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقيروان ، ص ٣٨٨ -
اختلاف الروايات ، ص ٣٨٩ - الاتصال ببغداد والعصيان المدنى بالقيروان ،
ص ٣٩٠ - لعن الفاطميين - احراق البنود وتبديل السكة - الخطبة لخليفة
بغداد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، ص ٣٩١ - مسئولية المعز شاباً راشداً -
محاولات تقويم العلاقات بين القاهرة والأمير الزيرى ، ص ٣٩٢ - المرحلة
الثالثة والأخيرة للقطيعة سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، ص ٣٩٣ .

اقرار الأمن ومواجهة الفتن الداخلية - النزاعات العرقية من زناينة
وغيرها ، ص ٣٩٤ - مهاجمة دواب المعز فى قابس ، ص ٣٩٥ - الهجوم على
المنصورية ، ص ٣٩٦ - اضطراب طائفة من صنهاجة ، ص ٣٩٧ - الاضطرابات
الاقليمية ، ص ٣٩٨ - ما بين الدعوة للفاطميين والأمر بالمعروف ، ص ٣٩٩
- طرد واعظ الى القاهرة ، ص ٤٠٠ .

ما بين الأمير والوزير ورجال الدولة - تكوين أسرة أميرية - زواج
المعز بن باديس ، ص ٤٠١ - ممارسة السلطات المطلقة - نكبة الوزير قائد
الجيش أبى عبد الله محمد بن الحسن ، ص ٤٠٢ - اتهامه بالحيانة فى الأموال -
عصيان عبد الله بن محمد (أخى الوزير) فى طرابلس ، ص ٤٠٣ - أبوالقاسم
ابن محمد بن أبى العرب وزيراً - أبو البهار بن خلوف وزيراً - سياسة
حازمة تجعل من أبى البهار مركز قوة يخشى أمرها ، ص ٤٠٤ - امتحانات
العمال ، ص ٤٠٥ .

الأمير وفرداد الأسرة الحاكمة - تمهيد ، ص ٤٠٥ - الصراع ضد حماد
ابن بلكين ، ص ٤٠٦ - المعز ينزل الهزيمة بحماد (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) ،
ص ٤٠٧ - حماد يطلب الصلح ويقدم ابنه القائد رهينة - القائد واليا ،
ص ٤٠٨ - قيام النزاع بين الأسرتين ، واعتبار سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م سنة
الفصل بين الدولتين البلكينيتين ، ص ٤٠٩ .

الاقتصاد والمال والحضارة على عهد المعز بن باديس - تمهيد ، ص

- ٤١٠ - الاحتفالات الشعبية والمواكب الأميرية ، ص ٤١١ - دخل
الثروة الزراعية ، ص ٤١٣ - الثروات المعدنية - المكايل والمو
السكة ، ص ٤١٤ - الكوارث الطبيعية ، ص ٤١٥ - أشهر الأعمال
- احتفال ولاية العهد للأمير تميم ، ص ٤١٦ .

العرب الهلالية في أفريقية والمغرب - الهجرة - تمهيد ، ص
التعريف بالهلالية - التغريبة الهلالية ما بين الحقيقة والخيال ، ص
مواطنهم بالصعيد - تهجيرهم ما بين الجرجرائي واليازوري ، ص
اليازوري يشير على المستنصر الفاطمي باصطناع العرب والعهد لهم
أفريقية ، ص ٤٢٠ - نجاح الرحلة الى برقة وتقاطر المهاجرين من
ص ٤٢٢ - تقسيم البلاد بين بنى سليم فى الشرق وبنى هلال فى
مؤنس بن يحيى الرياحى أول الرواد ، ص ٤٢٣ - عرب برقة حلقت
ضد المستنصر ، ص ٤٢٤ - المعز بين اللامبالاة بالعرب ومحاولة ادخا
خدمته ، ص ٤٢٥ - حصار القيروان بين الأسطورة والتاريخ ، ص
مقدمات الصراع : تقييم الموقف ، ص ٤٢٦ - ما بين القوتين المتصار
مبالغات ابن رشيق وابن شرف وموقفهما من محنة القيروان ، ص
المناوشات الأولية والحشد للمعركة ، ص ٤٢٨ - المناوشات الأولية
٤٢٩ - معركة يوم العيون ، ص ٤٣٠ - معركة عيد الأضحى ، ص
بناء سور القيروان وصبرة - يوم حيدران والمعركة الحاسمة ، ص
حصار القيروان والاجراءات التحفظية - انتفاضة العامة بالقيروان
٤٣٤ - الاحاطة بالقيروان ، ص ٤٣٦ - النقلة الى المهدي ، ص ٤٣٦ -
القيروان وسيادة البدو من بربر وعرب على المنطقة ، ص ٤٣٧ - تباشير
الطوائف - وفاة المعز ، ص ٤٣٩ .

الفصل الخامس

خريطة أفريقية وبلاد المغرب حوالى منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١
ملوك الطوائف فى أفريقية - دولة المهديّة الزيرية وعلاقتها بالدولة الحم
ص ٤٤١ - الموقف من الهلالية ، ص ٤٤٣ - طوائف أفريقية ما بين
والبربر البادية - طرابلس مملكة زناتة - فلفول بن سعيد وأخوه و
ص ٤٤٤ - خليفة بن وروا ، ص ٤٤٧ - المنتصر بن وروا ، ص ٤٤٨
الطوائف فى مدن الساحل ، ص ٤٤٩ - الصراع مع صاحب صفاقس
٤٥٠ - سوسة - القيروان وتونس - الحرب بين الناصر بن علناس
ابن المعز وأتباعها من العرب ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ ، ص ٤٥١ - معركة ممد

ص ٤٥٤ - نتائج معركة سببية : تطويق القلعة ، ص ٤٥٥ - بناء مدينة بجاية ، ص ٤٥٦ - التخطيط والبناء ، ص ٤٥٨ - التطور - تميم بن المعز والصراع مع المتغلبين في أفريقية ، ص ٤٥٩ - في القيروان وتونس ، ص ٤٦٠ - غارة ثارية للناصر بن علناس بأفريقية ، ص ٤٦١ - شريط الأحداث الصغيرة في أفريقية والمغرب الأوسط - ما بين الصنهاجيين والهلالية - خروج زغبة من أفريقية على أيدي رياح ، ص ٤٦٢ - الصلح بين تميم بن المعز والناصر بن علناس - استمرار الصراع مع المتغلبين على المدن الساحلية ، ص ٤٦٣ - أساطيل جنوة وبيزا تهاجم المهديّة وزويلة سنة ١٠٨٨/٤٨٠ - الأسباب ، ص ٤٦٤ - الحملة ، ص ٤٦٦ - التجمع في جزيرة قوصرة ، ص ٤٦٧ - موقف المهديّة واقتحام زويلة ، ص ٤٦٨ - الصلح ، ص ٤٦٩ - عودة الصراعات الداخلية مع المتغلبين والعرب ، ص ٤٧٠ - قدوم بشائر من ترك المشرق الى أفريقية - شاهملك في طرابلس ، ص ٤٧١ - الترك في خدمة تميم والغدر بولى العهد يحيى ، ص ٤٧٢ - حصار صفاقس - خروج المثنى بن تميم الى قابس وشغبه على والده وأخيه بالمهديّة ، ص ٤٧٣ - استرداد قابس ١٠٩٧/٤٨٩ ، ص ٤٧٤ - العقد الأخير من حكم تميم - ص ٤٧٦ - فتح صفاقس ٤٩٣/١١٠٠ - السنوات الأخيرة من عهد تميم - ص ٤٧٦ .

صقلية وجنوب إيطاليا في العصر الزيرى - أبو القاسم على بن الحسن
ابن أبى الحسين أميرا - جهاد الروم في مسينا وكلابريا ، ص ٤٧٨ - جماعات المجاهدين « المرتزقة » في جنوب إيطاليا - الاستيلاء على قلعة أغاثه واجتياح طارنت ، ص ٤٧٩ - استشهاد أبى القاسم أمام أوتو الثانى وولاية ابنه جابر ، ص ٤٨٠ - معالم بلرم على عهد أبى القاسم ، ص ٤٨١ - جابر بن أبى القاسم أميرا - أمراء عابرون يحبون العافية ، ص ٤٨٣ - ثقة الدولة يوسف بن عبد الله : حكم قواعده العدل والجهاد والجود ، ص ٤٨٤ - جعفر ابن يوسف أميرا ، وبداية التفكك فى الأسرة الكلبيه . ص ٤٨٥ - ثورة على ابن يوسف واستبداد جعفر - سياسة مالية متشددة تفجر الثورة ضد جعفر ، ص ٤٨٦ - أحمد الأكل فى يوسف واليا لصقلية فى منعطف حاسم ، ص ٤٨٧ - محاولة للمساعدة من المهديّة لا يقدر لها النجاح - نجاحات مبشرة فى الصراع البحرى ضد الروم ، ص ٤٨٨ - الأكل وسياسة : « فرق تسد » ، ص ٤٨٩ - تدخل المعز فى شئون صقلية - الحسن صمصام الدولة - حكم الطوائف فى صقلية وبداية النهاية للعصر الاسلامي - التحالف العائلي بين ابن الثمنة صاحب سرقوسة وابن الحواس

- ٢ -

صاحب قصريانة ، ص ٤٩١ - الصراع بين ابن الثمننة وابن الحواس ،
والتدخل النورمندی فی الجزيرة ، ص ٤٩٢ - فشل التدخل الزيرى فى
صقلية وضياع الجزيرة ، ص ٤٩٣ .

بلاد المغرب فى منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١ م - الحماديون همزة
الوصل ما بين أفريقية والمغرب ، ص ٤٩٦ - تاهرت وتلمسان ما بين أفريقية
والمغرب ، ص ٤٩٧ - غلبة زيرى بن عطية على فاس - بناء وجدة ، ص
٤٩٨ - بنو يعلى الزناتية فى تلمسان وملحمة أبى سعدى والهلالية - غارة
حمادية على فاس ، ص ٤٩٩ - بنو موسى بن أبى العافية فى فاس ، ص
٥٠٠ - بنو خزر المغراويون وغلبة صاحب سلا : أبى الكمال تميم اليفرنى
على فاس ، ص ٥٠٢ - دوناس بن حماسة محضر فاس ، ص ٥٠٣ - المغراويون
الأواخر فى فاس : صراع الاخوة بين الفتوح وعجيسة ، ص ٥٠٤ - امارة
سجلماسة الزناتية ، ص ٥٠٥ - سبتة وطنجة : مجاز العدو الأندلسية ،
منطقة نفوذ بنى حمود الأدارسة ، ص ٥٠٦ - خلافة على بن حمود بقرطبة -
الحموديون بمالقة والمرية ومليلة ، ص ٥٠٧ - الحسن بن على المستنصر
بسبتة - تغلب الحاجب سكوت بسبتة ، ص ٥٠٨ - اغمات فى سفوح جبال
المصامدة (درن) وأماؤها المغراويون - أهمية اغمات على طرق التجارة .
ص ٥٠٩ - لقوط بن يوسف آخر أمراء اغمات المغراويين ، ص ١١٥ .

الصحراء الواعدة فى المغرب الأقصى على تخوم السودان - المرابطون
وارهاصات الوحدة - امكانات الصحراء ، ص ٥١١ - صنهاجة الصحراء
ومواطنهم ، ص ٥١٢ - ثروات الصحراء المعدنية ، ص ٥١٣ - الثروة
الزراعية ، ص ٥١٥ - الثروة الحيوانية ، ص ٥١٦ - صناعات الوحدة : رعاة
الابل ، الجمالون الكبار ، ص ٥١٧ - البساطة والقوة سمة النقاء والرجولة .
ص ٥١٨ .

- المصادر ، ص ٥١٩

- الفهرس التحليلي .

الأشكال والخرائط

الصفحة	
٩٧	شكل ١ - المهدية
١٥٥	شكل ٢ - صقلية
١٨٠	شكل ٣ - أفريقية
٢٠٩	شكل ٤ - المغرب الأقصى
٢٩٠	شكل ٥ - بلاد القبائل : كتامة وصنهاجة
٢٩٦	شكل ٦ - موقع أشير
٣٥٠	شكل ٧ - إقليم تاهرت
٤٥٥	شكل ٨ - الأسرة الزناتية بطرابلس (شجرة النسب)
٤٥٧	شكل ٩ - الطريق ما بين القلعة وبجاية
٥١٤	شكل ١٠ - صحراوات المثلثين

تاريخ المغرب العربى الفاطيون وبنو زيرى الصنهاجيون الى قيام المرابطين الجزء الثالث

- المقدمة : فى تاريخ المغرب العربى ما بين الفاطميين والمرابطين
- الفصل الأول : عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء
- الفصل الثانى : الفاطميون فى المغرب ، من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر
- الفصل الثالث : العصر الصنهاجى الأول فى بلاد المغرب - الزيريون خلفاء الفاطميين فى أفريقية
- الفصل الرابع : المعز بن باديس
- الفصل الخامس : خريطة أفريقية وبلاد المغرب حوالى منتصف القرن
الـ ٥ هـ / ١١ م

المقدمة

في المصادر

المصادر :

في تاريخ المغرب العربي ما بين الفاطميين والمرابطين

(٢٩٧ - ٤٦٨ هـ / ٩٠٩ - ١٠٧٤ م)

ملاحظات عامة :

افتقاد الوثائق :

آفة البحث في التاريخ الاسلامي بشكل عام ، وبضمنه تاريخ المغرب ، تتمثل في افتقاد الوثائق أو الأوراق الرسمية اللازمة للبحث مع ندرة النقوش والنقود (١) ه الأمر الذي يجعل اعتماد الدارسين على مصادر

(١) وهنا لا بأس من الإشارة الى جهود الباحثين في إلقاء الضوء على الوثائق ، ما كان منها أصيلاً ، وما سجلت نصوصه في كتب المؤرخين ، ففياً يتعلق بتاريخ الفاطميين تذكر :
الوثائق الفاطمية المجموعة من موسوعة صبيح الأعيان للعلفشندي ، بمعرفة جمال الدين الشيبان ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، والسجلات المستنصرية : سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الامام المستنصر بالله ٠٠ الى دعاة اليمن ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، ومخطوطات ووثائق دير سانت كاترين ، مستخرج من المجلد الخامس من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٥٦ . وعن المرابطين والموحدين : رسائل مرابطية ، تحقيق حسين مؤنس ، مجلة المعهد المصري بمدريد ، ١٩٥٤ ، ومجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية ، تحقيق ليفي بروفسال ، الرباط ، ١٩٤١ .

والوثائق العربية ، نشر أماري (Amari, Diplomi Arabi) ، ووثائق ماس لا ترى بالفرنسية ، تحت عنوان : معاهدات سلام وتجارة ، ووثائق متنوعة خاصة بالعلاقات بين المسيحيين وعرب شمال افريقيا ، باريس ، ١٨٦٦ .
وفي النقوش تذكر أعمال ماكس فان برشم (Max van Berchem) عن مصر ، وبعدها أعمال فيت (Wiet) . وعن المغرب هناك أعمال جورج مارسبي : مجموعة النقوش العربية.

الدرجة الثانية ، مما يتمثل في الأدب التاريخي ، الذي كثيرا ما يتراوح بين تهافت الأمزجة الشخصية والاتجاهات العصبية والميول الدينية والاهوا- السياسية ، الى غير ذلك مما يؤدي الى الاقتراب أو البعد ، قليلا أو كثيرا من الحقيقة التاريخية ، التي عادة ما تكون في حالة من الاتزان بين كل هذه الاتجاهات ، انهم الا اذا اضطرب ذلك التوازن ، وأدى الى الانحراف في مسار الأحداث مما يقع في حالات الانقلاب أو الثورة ، حيث تتسارع الأحداث في مساراتها بشكل يميز ايقاعها السريع عن الايقاع الريب ، مما هو معتاد في حالات الاتزان والاستقرار .

والأمر لا يقف عند ذلك التمييز بين الوثائق التي يفترض فيها الصحة بصفتها الرسمية وبين الأدب التاريخي الذي قد يفقد تلك الصفة الشرعية . تبعا لظروف أصحابه وموقفهم من الأحداث التي يسجلونها ، سواء كانوا مؤرخين أو غير مؤرخين ، معاصرين أو متأخرين ، متعاطفين مع تلك الأحداث . كما وقعت ، أو معادين لها لسبب أو لآخر . فقد يمكن أن تفقد الوثائق . هي الأخرى ميزتها القانونية التي تحقق لها التفوق على الأدب التاريخي عندها يكون الهدف من اصدار الوثائق دعائيا أو عندما تكون الوثائق ناقصة تعرض ما يرغب أصحابها في عرضه ، وتسقط ما لا يرغب فيه (٢) ، وهو

بتونس ، ١٩٥٥ . وعن الأندلس هناك نقوش ليفي برفسال .

Inscriptions arabes d, Espagne, Leyde, 1931

وفيما يتعلق بالنقود تشير الى أعمال س . لين بول (S.Lane-Poole) ونقود عبد الرحمن فهمي ، وكتالوجات المتاحف العامة والمجموعات الخاصة .

(٢) وهنا تشير الى ما أصدرته الخلافة العباسية باسم الخليفة المكتفي من رسائل تساتفد الأمير الأغلبى زيادة الله الأخير ضد أبي عبد الله الشيعي ، والتي اتهمت الداعي بالكفر وتبديل الدين وسب الصحابة وشرب الخمر ، على عكس ما عرف عنه من الزهد والدين . أنظر ابن عذاري ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٢٠ ، وقارن افتتاح الدعوى للقاضي النعمان ، ص ١٧٠ وما بعدها وص ١٧٤ وما بعدها حيث يشكك النعمان في كتاب الخليفة المكتفي . ومثل هذا يقال عن المحاضر التي أصدرتها الخلافة العباسية فيما بعد ، والتي شارك فيها العلويون ، مدفوعين بعوامل الخوف - على ما يرجح - أو العدا للذهب ، سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، وستة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، والتي تشكك في صحة نسب الفاطميين (أنظر حسن إبراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ٧٠ - ٧١) .

وفيما يتعلق بالمرابطين راجع رسائل محمد بن تومرت الى أعوانه من الموحدون ومبالغتها في سب المرابطين واتهامهم بالتجسيم والكفر ، في مذكرات البيذق نشر ليفي برفسال . وفيما يتعلق بتزييف النقوش نكتفي بالإشارة الى ما ينسب الى الميدي ، أول أئمة الفاطميين ، من الأمر بأن تقلع من المساجد والمواجل والنصور والقناطر أسماء الذين بنوها ، وكتب فيها اسمه (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩ وما بعدها) .

الأمر الذى يضير الرواية التاريخية أيضا ، أو الخبر ، اذا كان صاحبه من عمال السلطة أو مشايعيتها ، والعكس صحيح اذا كان يعمل فى خدمة الخصوم أو يعتنق من الآراء ما يناهض السلطة ويعادياها .

والملاحظة التى يشكو منها المؤرخ الحديث مما يتعلق بندرة انوثاتق والنقوش والآثار الأصلية ، يمكن أن يندرج فيها أيضا ما يتعلق بالأخبار التاريخية التى قد تفتقد هى الأخرى ، فى بعض الأحيان ، والتى قد تزداد بشكل مرهق فى أحيان أخرى ، والتى قد تضطرب أو تتضارب فيما بينها بشكل يجعل الوصول الى الحقيقة من الصعوبة بمكان (٣) . ويمكن أن نجد أسبابا لبعض ذلك فيما نحاول الإشارة اليه ، فيما يأتى :

تكثر الأخبار وتزداد الروايات استفاضة عندما يتعلق الأمر بالانتصارات والمكاسب فتحيط بها الهالات والمبالغات بشكل طردى مع عظم النتائج ، وعلى العكس من ذلك تقل الأخبار وتشح التفاصيل فى أحداث الهزائم والنكسات . وفى جميع تلك الحالات يتيهأ الجو لظهور الروايات الشعبية التى يمكن أن تحول الحقيقة التاريخية الى أسطورة خرافية أو على العكس من ذلك تجعل من الوهم فى كتب التاريخ حقيقة ، الأمر الذى يعانى منه الباحث عندما يضطر الى الاختيار ما بين رفض الأسطورة أو تتبع أصولها التاريخية ان كان ذلك ممكنا (٤) .

(٣) وأهم النماذج بالنسبة لموضوعنا هو الاختلاف فى صحة النسب الفاطمى ما بين مؤيدين ومكثرين ، مما دعا الى حيرة الباحثين من قدامى ومحدثين ، الأمر الذى دعا ابن خلدون الى التخل عن منهج النقد العلمى ، والقبول بمبدأ التحكيم الالهى الذى يقضى بأن نجاح الدعوة الفاطمية يعنى أنها صحيحة والا لما قدر لها النجاح ، ومثل هذا يقوله عن الدعوة الإدريسية فى المغرب الأقصى ، وكذلك عن دعوة ابن تومرت ، صاحب مذهب التوحيد ، الذى انتسب الى الأئمة العلويين ، رغم ما هو معروف من انتسابه الى قبيلة هرقة إحدى قبائل مصمودة فى بلاد السوس الأقصى (أنظر العبر ج ١ ص ٢٣) ، وعلى العكس من ذلك نشلت دعوة القرامطة لكونهم أدمعاء فى النسب الشريف (العبر ج ١ ص ١٨) .

(٤) مثل رحلة المهدي من الشام الى المغرب الأقصى وما تخللها من مغامرات قصصية فى مصر وبرقة وإفريقية ، وكذلك فى سجلماسة أنظر ج ٢ ص ٥٨٩ وما بعدها ، وبناء المهديّة ، وثورة أبى يزيد الرزائى على عهد القائم وما دار حولها من علم المدائن (عيون الأخبار للداعى إدريس ، ص ١١٧ - ١١٨ والمجالس والمسائرات ، ص ٥٤٢) . والهجرة الهلالية ، وهل كانت من صعيد مصر لأسباب شخصية خاصة بموقف الوزير اليازورى ، من أمير القيروان الصنهاجى المنز بن باديس ، أم كانت من نجد لأسباب شخصية أيضا ، ولكن بين الشريف

ولا شك أنه لما كان من أهداف السرد التاريخي عند كثير من الكتّ القدامى ، هو التسليح أو إعطاء العبرة والمرعظة ، فإن ذلك أدى الى عندي بانتخاب الروايات المستطرفة والاختبار الغريبة . الأمر الذى كان يخدم بالأحداث التاريخية الى مجالات علم العجائب مما كان يؤدى بالكاتب مؤرخا لأن أم غير مؤرخ ، الى الاهتمام بالأحداث الهامشية وإعطائها من من العناية على حساب البنية التاريخية الحقيقية التى قد يضحى بها سبيل النوادر والنكت (٥) .

وهنا ننتقل من الملاحظات العامة الى بعض التساؤلات الخاصة ومنها :

١ - الى أى حد يمكن الاستفادة من الروايات التاريخية المتأخرة ؟

ولا شك أن هذا الأمر يكون محسوما اذا وجدت الروايات المعاصرة التى يكون لها التفوق بطبيعة الحال ، اذا لم تكن مجردة لأمر أو لآخر . اذا افتقدت الروايات المعاصرة فإن المسألة تحتاج الى عدد من اجراءات المعا والتحرى فى سبيل تقييم الروايات المتأخرة حتى يمكن الاطمئنان اليها مثل : الموقف الاجتماعى للمؤرخ ، وثقافته ، ومدى صلتها بأصول المصدا وأدوات البحث ، وموقفه الخاص من الأحداث ؟

٢ - الى أى حد يمكن الاستفادة من المصادر التاريخية ذات المنهاج المختلفة من : الحوليات والطبقات والسير وتاريخ المدن ، وهل تنطبق عليها

أمير مكة وأسرة إلهة الجازية (ابن خلدون ، العبر ج ٦ ص ١٣ - ١٩)
والحركة المرابطية وهل قامت على اكتاف الفقيه الجزولى عبد الله بن ياشين الذى كان يقيم الحدود بمنتهى الحزم حتى على الأمير القائد للمرابطين وقتئذ (البكرى ص ١٦٦) .
(٥) والمثل لذلك هو ثورة أبى زيد ، صاحب الحمار ، التى تظهر تفصيلاتها المرحقة فى كتب الشيعة ، وهم الجانب المنتصر ، التى نقلت عنهم حتى من قبل الخصوم ، كما فى عيو الأخبار للداعى أدريس ، وخصوصا فيما يتعلق بالمطاردة الأخيرة للثائر (ص ٢٥٤ وما بعدها)
بينما تزل التفاصيل فى كتب الأباضية كما عند الدرجيني ، وخاصة فيما يتعلق بالجزء الأخير من الصراع ، بينما تستفيض الرواية بعض الشيء عن بداية الثورة وقتما كانت تحقق الانتصارات (ص ١٠٠ - ١٠١) ، وفى كلا الجانبين تختلط الحقيقة بالأسطورة مثل قصة « الحدثنان الحاصب بوصول الثائر الى باب المهدي التى تنبئ بنهاية ثورته (عيون الأخبار ، ص ١١٨ ، والدرجيني ص ١٠٢) ، الأمر الذى كان يشجع الاطمئنان فى الجانب اللطفى وقت الهزيمة - مما يعنى أنهم اصطنعت فى وقت متأخر من قبل الفاطميين بعد أن تحقق لهم الظفر .

أصول النقد التاريخي العام ، وخاصة فيما يتعلق بالتراجم وسير الرجال ؟

٣ - الخبر الأحادي ، وهل له أن يرجح على المتواتر (٦) .

٤ - الى أي حد يمكن الاستفادة من روايات المصادر غير التاريخية .
من : جغرافيه واجتماعيه وفلسفية ودينية وأدبية وفنية ؟ وعلى أي أساس
يكون الجمع فيما بينها على صعيد واحد ؟ وأي منهج يطبق عليها ؟ وهي مر
المسائل التي يثيرها المسعودي في قواعده للنقد التاريخي في مروج الذهب
والتي يميز على أساسها طبيعة العمل التاريخي عندما يصدر من غير المؤرخين
من أصحاب الفكر والمناهج الدراسية الأخرى كالفلاسفة (٧) .

تلك مقدمات منهجية عامة رأينا أن نلمح ايها قبل عرضنا للمصادر
لعلها تثير بعض التأمل أو تحظى بشيء من اعمال الفكر ، فهي جديرة بذلك
حسبما نرى . والحقيقة انه لما كانت الدراسة تتكون من ٣ (ثلاثة)
عناصر ، هي :

١ - الفترة الفاطمية التي تمتد من ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م الى ٣٦٢ هـ /

٩٧٣ م (٨) .

(٦) والمثل لذلك تاريخ وفاة المهدي أول الفاطميين حيث ينفرد افتتاح الدعوة للقاضي
النعمان بتاريخ : صبيحة الثلاثاء ١٠ جمادى الآخر سنة ٣٢٢ هـ / ٢٩ مايه ٩٣٤ م ، بينما
يتواتر تاريخ منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ / ٦ مارس سنة ٩٣٤ م في المصادر المتبررة
الأخرى . وهنا نشير الى ان المسعودي عالج في نقده التاريخي في مروج الذهب هذا الامر ،
فقسم الأخبار الى قسمين هما : المتواتر وهو الذي شاع ما بين الجمهور ورواه الكافة ، وهو
ما يجب علمه والعمل به والآخر ما نقله آحاد الرواة ، وقبوله غير واجب اذ هو من النوع الممكن
أي الذي ليس بواجب ولا ممتنع وان كان المثل له عند المسعودي هي الاسرائيليات ، والأخبار
في عجائب البحار (مروج الذهب ، ط . بيروت ، ج ٢ ص ٢٢٨) .

(٧) والحقيقة انه بينما ينص المسعودي على معاناته في التأليف في فتون العلم المختلفة
والآداب قبل تأليف كتبه التاريخية ، واشادته بمصادره المتنوعة ، فانه في تقييمه لتلك المصادر
يخص بالنقد سنان بن ثابت بن قره الخرائي ، لانه انتحل - وهو الفيلسوف - ما ليس من
صناعته ، واستنهج ما ليس من طريقته ، وذلك لمزجه ما بين الكلام في النفس والسياسة المدنية
وواجبات الملوك والوزراء ، وهو رغم اجسانه في ذلك الا أنه « خرج على مركز صناعته ،
وتكلف ما ليس من مهنته » (مروج الذهب ، ط . بيروت ، ج ١ ص ١٦ - ١٧) ، فكانه
يعيب عليه اخضاع عناصر علمية مختلفة ، من فلسفية عقلية وإخبارية عقلية الى نظام علمي
واحد .

(٨) والخلفاء الفاطميون في المغرب هم :

المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤ م) ، والقائم (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ -

٩٤٥ م) ، والمعن (٣٤١ - ٣٦٢ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٣ م - أي الى النقلة الى مصر) .

- ١٢ -

٢ - الفترة الصنهاجية الزيرية وتمتد من ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م الى حوالى منتصف القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م (٩) .

٣ - الهجرة الهلالية ، من منتصف القرن الـ ٥ هـ / ١١ م ، الى ما بعد قيام المرابطين ، بل والموحدين فى القرن الـ ٦ هـ / ١٢ م (١٠) .

كان من الطبعى أن تختلف المصادر تبعا لاختلاف تلك الموضوعات :
فالعصر الفاطمى الأول يتنازع حق التأريخ له ٣ (ثلاثة) أنواع من

(٩) وأمراء الزيريين الصنهاجين فى القيروان هم :

بلكين بن زيرى (٣٦٢ - ٣٧٣ هـ / ٩٧٣ - ٩٨٤ م) ، والمنصور (٣٧٣ - ٣٨٦ هـ / ٩٨٤ - ٩٩٦ م) ، وباديس (٣٨٦ - ٤٠٦ هـ / ٩٩٦ - ١٠١٦ م) ، والمز بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ - ١١٠٧ م) - حيث انفرد حماد بن زيرى بحكم المسيلة وأشير ، وكون دولة بنى حماد أصحاب القلعة ، وانتقل المز من القيروان الى المهديّة (سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فانقسمت بذلك الدولة الزيرية الى دولتين ، هما : دولة بنى المنصور ابن بلكين فى القيروان والمهديّة ، ودولة بنى حماد بن بلكين فى القلعة وبجاية .
وأمراء الزيريين فى المهديّة ، هم :

تسيم بن المز (٤٥٣ - ٥٠١ هـ / ١٠٠٧ - ١١١٥) يحيى تميم (٥٠١ - ٥٠٩ هـ / ١١١٧ - ١١١٥) ، وعلى بن يحيى (٥٠٩ - ٥١٥ هـ / ١١١٥ - ١١٢١ م) ، وأخير الحسن بن على (٥١٥ - ٥٤٣ هـ / ١١٢١ - ١١٤٨ م) - عندما استولى أسطول صقلية النورمندى على المهديّة (٤٨٠ / ١٠٨٧) .

وأمراء الحمادين فى القلعة وبجاية ، هم :

حماد بن بلكين (٣٩٨ - ٤١٩ هـ / ١٠٠٨ - ١٠٢٨ م) ، القائد بن حماد (٤١٩ - ٤٤٦ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٥٤ م) ، محسن بن القائد (٤٤٦ - ٤٤٧ هـ / ١٠٥٤ - ١٠٥٥ م) ، بلكين بن محمد (٤٤٧ - ٤٥٤ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٢ م) ، الناصر بن علناس (٤٥٤ - ٤٨٦ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٨٨) ، المنصور بن الناصر (٤٨١ - ٤٩٨ هـ / ١٠٨٨ - ١١٠٤ م) ، باديس بن المنصور (٤٩٨ - ٥٠٠ هـ / ١١٠٤ - ١١٠٦ م) ، العزيز بن المنصور (٥٠٠ - ٥١٥ هـ / ١١٠٦ - ١١٢١ م) ، يحيى بن العزيز (٥١٥ - ٥٤٧ هـ / ١١٢١ - ١١٥٢ م) .

(١٠) وبدايات الهجرة الهلالية ترجع الى سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، بعد ولاية اليازورى الوزارة بالقاهرة ، وسوء العلاقة مع المز بن باديس ، وتولية زعماء الهلالية لأعمال أفريقية التى وصلوا إليها سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، واقتسامهم البلاد سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، وتقديمهم الى القلعة ، وهجرة الناصر بن علناس (الحمادى) من القلعة الى بجاية التى اختطها بالساحل ، ثم تقدمهم الى قلمسان حيث دخلوا فى حرب مع الزنانية بقيادة الوزير أبى سعد : خليفة البفرنى . وذلك فى الوقت الذى كان الصنهاجيون من الملثمين من لثونة ومسوفة وجزولة ودكالة يقومون بنهضتهم وإقامتهم لدولتهم المرابطية التى عاصرها الجغرافى البكرى الأندلسى ، صاحب المسالك الممالك ، الذى كان آخر ذكر لهم عنده سنة ٤٦٧ هـ / ٧٤ - ١٠٧٥ م .

المصادر هي : الشيعة المناصرة ولها مقام الصدارة ، بطبيعة الحال ، وفي مقابلها المصادر الخارجية الأباضية المناهضة ، وفيما بينهما المصادر السنية في موقف الوسط ، وإن كان توسطها يأتي في كثير من الأحيان من حيث مزج الأنواع الثلاثة فيما يشبه الفسيفساء المبرقشة .

المصادر الشيعية :

أول مصادر الفترة تتمثل في كتب القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ / ٩٤٧ م) ، قاضي المنصورية وداعي دعائها ، على عهد المنصور والمعز بخاصة . وأهم كتب النعمان التي وصلتنا ٤ (أربعة) ، هي : دعائم الاسلام (١) ، وتأويل الدعائم ، ويعرف أيضا بـ « تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين » (٢) وافتتاح الدعوة (٣) ثم المجالس والمسائرات (٤) . ومن عناوين هذه الكتب - الى جانب غيرها مما نشر أو لم ينشر من أعمال النعمان - يتضح لنا أن تخصص القاضي الفاطمي تراوح ما بين : الفقه من أصوله وفروعه الى التاريخ السياسي والتاريخ الديني مع سير الأئمة .

دعائم الاسلام :

فدعائم الاسلام كتاب في الفقه الشيعي الفاطمي ، يعرف فيه النعمان بالعبادات (ج ١) والمعاملات (ج ٢) (١٥) . وقواعد المذهب عند النعمان لا تختلف كثيرا عن مذاهب أهل السنة ، الأمر الذي دعا الى الاختلاف في مذهب النعمان الأول ، فقد قيل انه بدأ سنيا مالكيا أو شيعيا اثنا عشريا ، قبل أن يتحول الى الاسماعيلية الفاطمية - وإن رأى البعض أنه ما كان يمكن أن يكون منذ البداية الا اسماعيليا لحما ودما (١) .

-
- (١١) نشره وحققه آمنف فيظي ، القاهرة ، في ج ٢ ، ١٩٠٠ - والمنوان الكامل ، هو : دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام .
- (١٢) نشر محمد حسن الأعظمي (ج ٣) ، القاهرة ١٩٦٩ .
- (١٣) نشر وتحقيق وداد القاضي ، بيروت ، ١٩٧٠ ، كما تم نشره بمعرفة فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، في نفس الوقت ١٩٧٠ م .
- (١٤) تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شيوخ ومحمد البعلوي ، تونس ١٩٧٨ م .
- (١٥) الجزء الأول يعالج العبادات في ٧ (سبعة) كتب ، في : الولاية والطهارة والصلاة والجنائز والزكاة والصوم والحج ثم الجهاد ، والجزء الثاني يشتمل على ٢٥ (خمسة وعشرون) كتابا في البيوع والإيمان والنذور والأطعمة والأشربة والطب واللباس والعقيد والضحايا والنكاح . . . والبيان والشهادات والدعوة ، وأخيرا أدب القضاة .
- (١٦) أنظر مقدمة المجالس والمسائرات . ص ٦ ، ٧ وه ٢ .

والحقيقة انه يمكن تفسير تلك القرابة القريبة بين دعائم الاسلام النعمانية الفاطمية هذه ، وقواعد الاسلام السنية المالكية من حيث اصول الدعاية الاسماعيلية التي ما كانت تسمح بنشر الا الظاهر من علم الأئمة بين عامة الناس - اى المقبول أصلا من جمهور العامة - ولا شك أن تسمية أئمة أهل السنة بـ « ائمة العامة » من قبل أئمة الشيعة ، حيث كان جعفر الصادق أول من عرفت عنه تلك التسمية تؤيد ذلك .

وفيما يتعلق بدعائم النعمان فان الذى يؤيد عموميتها هو كتابه الذى صنفه بعد ذلك تحت اسم تأويل الدعائم ، والتأويل هو التفسير الباطنى والمجازى للنصوص ، وهو من علم الخاصة . والمهم فى الأمر أن دعائم الاسلام عند النعمان تشتمل على القواعد الخمسة المتعارف عليها عند المسلمين عامة . وهى : الولاية فى البداية ، فكأنها القاعدة الأولى للمذهب ثم الجهاد فى النهاية ، فكأنه القاعدة السابعة والأخيرة ، وبذلك تكون قواعد الاسلام سبعة بما يتفق مع أهمية الرقم ٧ (سبعة) فى الفكر الاسماعيلى - مذهب السبعية (١٧) .

الولاية :

ومبدأ الولاية ، أول دعائم الاسلام عند النعمان ، بمعنى الولاية والخضوع ، يتطلب الطاعة المطلقة للامام . وفى ذلك يقول النعمان : « لو أن الرجل عمل أعمال البر كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأنفق ماله فى سبيل الله ، وعمل بجميع طاعات الله عمره كله ، ولم يعرف نبيه الذى جاء بتلك الفرائض فيؤمن به ويصدق به ، وامام عصره الذى افترض الله - عز وجل - عليه طاعته فيطيعه ، لم ينفعه الله بشئ من عمله » (١٨) والنعمان يظهر هذا معتدلا على عكس غيره من المتشددىين من فقهاء المذهب الذين يقولون : « من

(١٧) وهذا قريب مما فعله الشيعة الزيدية عندما أخذوا مبادئ الاعتزال الخمسة المعروفة ، من : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف ، على أساس أن الامام زيد تنلمذ على واصل بن عطاء ، ووضعوا على رأسها مبدأ الامامة المتعارف عليه عندهم ، والذى يقبل مبدأ « امامة المفضل » مع وجود الأفضل ، وجعلوا من كل ذلك مذهباً لهم . هذا وان شاركهم فى ذلك أيضا بعض جماعات الاباضية الذين عرفوا باسم « الواصلية » .

(١٨) الدعائم ، ج ١ ص ٢٠ وما بعدها .

مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية» (١٩) . وطاعة الأئمة والرؤساء تظهر جليلة عند اسماعيلية المشرق ، من : القرامطة والنزارية والحشيشية . ممن سمحوا باستباحة بعض المحرمات الاسلامية حسبما تراءى لهم (٢٠) ، او مارسوا عمليات الاغتيال السياسى فى سبيل تحقيق بعض مآربهم (٢١) .

أما عن الجهاد وجعله بعض دعائم الاسلام ، فهو يدل على أن التشيع ، على عكس ما قد يرى البعض من أنه مذهب الرخص والتساهل ، كما فى بعض أمور الزواج وتوريث البنات ، هو مذهب أصولية وتشدد ، الأمر الذى جعل الشيعة يصفون أنفسهم بأنهم أهل السنة حقاً دون غيرهم (٢٢) .

(١٩) أنظر الفرق بين الفرق للبغدادي ، ج ١ ص ١٩٢ .
(٢٠) كما فعلوا سنة ٣١٧ هـ / ٩٣٠ م ، من استباحة « الكعبة » وقلع الحجر الأسود وادعائهم أن الطواف ولثم الحجر الأسود نوع من القالبد الجاهلية ، أنظر العميون والحدائق ، ج٤ قسم ١ - تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ، ص ٣٤٩ - حيث رواية ابن الجزار التى يقول فيها ان أحد اصحاب القرمطى قال لجريح من ضحاياهم : يا حمار ، تمبدون الحجارة وتطوفون بها تلتزمون أركانها وترقصون حولها ، ما بال رؤوسكم ! وفى مقابل ذلك أنظر ص ٣٥٩ - حيث النص على ان من كرامات الحجر الأسود أنه يحشر يوم القيامة وله عينان ينظر بهما لسان يتكلم به ويشهد لكل من استلمه وقبله بالايمان .

(٢١) ومن أشهر من اغتالهم الحشيشية : الوزير السلجوقى نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م - أنظر ابن الأثير ، سنة ٤٨٥ هـ ج ١ ص ٢٠٤ - حيث النص على ان الذى قتله صبي ديلمى من الباطنية . وهذا ، كما حاولوا قتل صلاح الدين سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م حيث كانوا مدسوسين بين عسكريه وهو يحاصر قلعة اعزاز ، اذ ضربه واحد منهم بسكين فى رأسه ، ولولا المغفر الزرد تحت القلنسوة لقتله (سنة ٧٥٢ ، ج ١١ ص ٤٣٠) - وعندما حاول صلاح الدين الانتقام منهم فى السنة التالية ٥٧٢ هـ / ١١٧٦ م ، وحصر قلعة شيخهم حذر هذا الأخير بقتلهم جميع الأبوبيين وأمرائهم ، الأمر الذى اضطر صلاح الدين الى اجابتهم الى الصلح والرحيل عنهم (سنة ٥٧٢ ، ج ١١ ص ٤٣٦) .

(٢٢) وهنا لا بأس من الإشارة الى أن تشدددهم دفعهم أحيانا الى أخذ الآية التى تقول : « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام (بعد عامهم هذا - سورة التوبة) ، بمعناها الحرفى ، فرفضوا التعامل مع غير المسلمين وأنهم ربما طبقوا ذلك على غيرهم من أصحاب المذاهب الاسلامية الأخرى ، فلم يصلوا فى مساجدهم ولم يزاوروهم أو يؤاكلوهم حتى أنهم كانوا يحطمون الآنية التى يقدمونها لهم بالطعام والشراب - فهذا ما كان يحدث منذ أكثر من أربعين سنة فى جنوب العراق ، والمعهد على من روى ذلك لنا من الزملاء العاملين بالتدريس وقتئذ هناك ، ولا شك أن الأوضاع قد تغيرت الآن تماما ، تبعاً لنمو الإدراك ونظور الوعى نحو الأفضل . وقارن هنرى ماسيه ، الاسلام ، ترجمة بهيج شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت - باريس ، ص ١٩٢ - حيث النص فعلا على ذهابهم الى درجة تحطيم الآنية

التأويل :

والحقيقة أن المتمسكين من الشيعة بالسنن ، التي تعرف عند
بالأخبار هم الاخباريون مثل أهل الحديث عند السنة ، بينما الأصوليون
أشبهه بأهل الرأي وهم أصحاب التأويل أى التفسير الباطنى للنص
القرآنية والسنن ، وهو ما يعرف عندهم بعلم الحقيقة ٠٠ فالعلم عند أهـ
التأويل ينقسم الى ٣ طبقات ، هى : علم المحسوس (فى الطبقة الدنيا) و
الموهوت (فى الوسطى) وعلم المعقول (فى العليا) (٢٣) .

توريث البنات :

وبفضل التأويل ، وهو عصب الاجتهاد عند الشيعة ، من حيث
التأويل هو معجزة الأئمة فى مقابل التزيل (الكتاب) ، معجزة النبوة (٢٤)

التي يلمسها غير المسلمين « مع الاشارة فى الهامش الى تعليقات العلامة محمد جواد .
(ص ٢٢٧ - ٢٣١ فى آخر الفصل) حيث النص فى ص ٢٢٨ على انه لا أثر لهذا
ولا مصدر فى فقه الامامية ٠٠٠ ولا هو من عادة واحد منهم . وان حكم جماعة من فقهاء
يقضى بفنسل الآنية بالماء اذا باشرها غير المسلم ، تماما كما تفنسل من الحمر ونحو
أما تحطيمهم الآنية فلم نسمع به الا من المؤلف أى « ماسيه » - ولا بأس أن تكون رو
منقولة عن بعض الباحثين ، مثل هنرى ماسيه أو غيره .

(٢٣) أنظر التأويل : اسمه ومعانيه فى المذهب الاسماعيلى ، تأليف الحبيب الفقيه
مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، ص ٩ (فى الظاهر والباطن
ص ٢٣) فى الشريعة والحقيقة (ص ٦١) حيث التقسيم الثلاثى ومرتبته الأخيرة فى
المطول تعنى الحقيقة المجردة البيان . وهذا التقسيم قريب من التفسير الارسطاليسى الذى
للعلم ، وهو الذى أخذ به بعض الفلاسفة المسلمين ، مثل ابن رشد (الحفيد) الذى طالب
« فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » بالتأويل عندما يتعارض النص - ظاهرا
مع العقل - وهو ما عرف فى فجر النهضة الأوروبية فى فرنسا بالانبرشدية verroesme
واستمر المجدل فيه فى إيطاليا حتى القرن الـ ١٦ م ، وهى الفكرة التى كانت
خطأ ، تغليب العقل على العقيدة الدينية ، الأمر الذى لم تقبله الكنيسة وقتئذ حتى أنها أد
ابن رشيد والانبرشدية ، وذلك اعتمادا على ترجمة التأويل بمعنى التحويل والتزييف . ا
للمؤلف ، علوم العرب القديمة ، دراسة منهجية لبعض النماذج ، مجلة علم الفكر (الكويتية)
المجلد الثامن العدد الأول ، ص ١٧٦ - ١٧٧ ، بل هو ما أخذ به محمد بن تومرت صا
دولة الموحدون ومنظر مذهبها الذى حاول فيه التوفيق بين أفكار الشيعة والسنة والفلا
من المعتزلة ، اقتداء بالامام الغزالى - أنظر للمؤلف ، محمد بن تومرت وحركة التجديد
المغرب والأندلس ، من منشورات جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٣ م .

(٢٤) افتتاح الدعوة للقاضى النعمان ، ص ٣١١ .

يوصل الفقهاء الى حلول لبعض ما واجهه المجتمع من النوازل (أى القضايا الطارئة) مثل : توريث البنات وذوى القربى (٢٥) ، وهى القضية التى قد ينظر اليها فقهاء السنة على أنها قضية سياسية قبل أن تكون من قضايا الأحوال الشخصية (٢٦) .

أما عن زواج المتعة فالرأى فيه عند النعمان مقبول من أهل السنة من حيث أنه منكر تبعا لأقوال الأئمة ، وإن كان ذلك لأسباب عقلانية خاصة بكرامة المرأة وذويها (٢٧) .

افتتاح الدعوة :

وافتح الدعوة كتاب تاريخى يعالج فيه النعمان تاريخ الدولة الفاطمية الناشئة بالمغرب ، منذ بداية تنظيم الدعاية فى اليمن الى عهد المعز فى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م - حيث تم تأليف الكتاب . والنعمان يظهر فى الافتتاح مؤرخا موهوبا ، يعرف انتقاء معلوماته ، ويفرق فيها بين الغث والسمين . فهو يوثق معلوماته بمقتطفات من الرسائل الرسمية التى كان يصدرها المهدى على طول الطريق من سجلماسة الى رقادة والقيروان ، رغم اتجاهاته المنقبية المبدئية ، كواحد من كبار الدعاة يرى حتمية انتصار دعوة الأولياء « حزب الله » وغلبة دولة الأئمة ، رغم أحوال الستر والتمويه (٢٨) .

وهو يعرف التأثير السلبي للسياسة المالية الدقيقة التى انتهجها

(٢٥) أنظر المجالس والمسائرات ، ط . تونس ، ص ٩٧ - حيث الكلام فى توريث مذوى الأرحام ، من : بنى البنات وبنات الأخوة وبنى الأخوات وبنات الأعمام والعلم : أخى الأب لأم فقط ، وبنى الأخوة للألم ، وذلك استنادا الى اجتهاد الامام جعفر الصادق الذى فهم كلمة « الأقربين » القرآنية على أنها « ذوو الأرحام » فقط بتوريتهم بالنص القرآنى .

(٢٦) وهذا مما أثاره الأستاذ أحمد بهاء الدين ، رئيس تحرير مجلة العربى الكويتية السابق ، فى عموده « يوميات » بجريدة الأهرام الناهرية بمناسبة قضية إلغاء ضريبة التركات فى مصر ، والتى تمت فى ثنائى موضوعات الاقتصاد الإسلامى وشركات توظيف الأموال ، وأرباح البنوك ، وذلك فى أواخر سنة ١٩٨٨ ، عندما دعا الى الاجتهاد فى توريث البنات ، كما هو الحال فى الفقه الشيعى ، وذلك درءا للتحايل على ذلك من قبل البعض ، وكان رد فعل فقهاء السنة على دعوته تلك ، ان النصوص الخاصة بالميراث قطعية ، وإن لا اجتهاد مع النص .

(٢٧) المجالس والمسائرات ، ص ٦٥ - حيث يكون التساؤل : « هل ترضى لنفسك أن تتكبح ذات مجرم منك نكاح متعة ؟ (اذن) لا ترضى لفكرك ما لا ترضاه لنفسك » .

(٢٨) مقدمة الكتاب ص ١ .

المهدى منذ ما قبل اعلان الامامة وتولييه السلطة بطريقة قانونية - من أعلى منابر أفريقية - وهو فى الطريق من سجلماسة الى رقادة والقيروان ، حيث قرر المرور بايكجان (دار الهجرة) ، وأمر باحضار الأموال التى كانت بين أيدي الدعاة والمشايخ ، « فأحضرها اليه ٠٠ وأمر بقبضها منهم ، وشدها أحمالا ، وقدم بها (الى رقادة) فكان ذلك من أول ما أحال القلوب الفاسدة ، وتوهموا أنهم يكونون كما عودهم أبو عبد الله ، يأمررون وينهون ويقبضون ويسطون ٠ وهو يوثق معلوماته تلك بمقتطفات من الرسالة الرسمية التى أصدرها من ايكجان الى كل من نائبي أبي عبد الله بالقيروان ، وهما : أبو زاكى ، الزعيم الكتامى ، وأبو العباس ، أخو الداعى ، والذى يحدد فيه تاريخ الوصول اليهما فى يوم الخميس ٢٠ من ربيع الآخر سنة ٢٩٧ هـ/ ٦ يناير ٩١٠ م ، وهو ما حدث فعلا(٢٩) .

الشئون الاجتماعية والمالية :

وهو بعد ذلك يسجل ملاحظات المهدى الاجتماعية الدقيقة فى التفرقة بين شيوخ القيروان المتدينين وبين من كان يراهم « كالبوادى » فى المغرب البعيد (ص ٢٩٢) . وهكذا يستمر النعمان مؤرخا له قدراته الفائقة فى انتخاب معلوماته السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية ، ويطبق منهج التاريخ العلمى عن طريق التوثيق بما كان فى متناول يديه من الرسائل الرسمية ذات التواريخ الدقيقة والمدايح الشعرية ، وكل ذلك فى توازن منطقي مقبول ، رغم شطط بعض الشعراء أو الاتباع أحيانا .

ومما يلفت النظر اهتمام النعمان بالمسائل المالية ، مما يتعلق بقبض الأموال والضرائب من مختلف المظان ، أو ترتيب دواوينها من قديمة ومستحدثة ، كاحياء ديوان الخراج الذى كان قد أحرق عند هروب آخر الأغالبة ، أو نصب ديوان الكشف وديوان الضياع ، وديوان أموال الهاربين مع زيادة الله ممن استصفيت أموالهم (ص ٣٠٣) ، ونصب ديوان للعطاء ، وطلب نهب رقادة الذى اجتمعت منه أموال كثيرة ، واقامة ديوان لبيت المال (لضرائب الأسواق) كانت حصيلته فى شهر رمضان وحده ١٠٠٠٠٠ دينار ، الأمر الذى استهوله صاحب بيت المال بينما استقله المهدى الى حد القول انه : لو بلغت حقوقه ما رضى مثل هذا العطاء لرجل واحد من أوليائه .

والنعمان ، فى نظرة المهدي الى المال ، يقول : انه كان جوادا بالمال ومع ذلك لا يضيع اقل شئ منه . فهو لا يستهين بالمال ولا يصره . فى غير حق (ص ٣٠٢) . وعلى أساس انتزاع الأموال من الكتاميين فى ايدجاس يفسر انضمامهم الى الداعى فى ثورته (نفاقه) على المهدي (ص ٣٠٩) التى أدت الى قتله . وعقوبة القتل هذه هى فى حقيقة الأمر تطهير لرجل الدولة العظيم ، تماما « كما يتطهر الذهب مما تداخله من الغش بالذوبان فى النار ليصفو » (ص ٣١٩) . الأمر الذى لم يمنع ردود فعل عنيفة من قبل الكتاميين وأهل القيروان والأغالبة (ص ٣١٩ وما بعدها) ، مما كان له أثره البعيد فى ثورة الدجال « مخلد بن كيداد » عندما انضم اليه أهل القيروان ، وغدر بهم فى يوم للبانة (جوليانه) (ص ٣٢٣) . وبناء المهدي المرتبط بعلم الحدثن الذى يعرفه الأئمة حيث أعدت المدينة الملكية الفخمة يحصونها العظيمة من أجل « ساعة واحدة من نهار » (ص ٣٢٨) - ساعة وصول الشائر أمام باب زويلة بالمهدي الذى سيعرف بباب الفتح .

تواريخ خاصة :

وينفرد افتتاح الذعوة بتحديد تاريخ خاص لوفاة المهدي ، هو : صبيحة يوم الثلاثاء ١٠ جمادى الآخر سنة ٣٢٢ هـ / ٢٩ مايو ١٩٣٤ ، بينما تقدم المصادر الأخرى ، حتى تلك التى أخذت من النعمان ، مثل : كامل ابن الأثير ، واتعاط المقرئى ، وبيان ابن عذارى ، وتاريخ ابن حمادة ، « منتصف ربيع الأول » ٦ مارس سنة ٩٣٤ تاريخا لتلك الوفاة (٣٠) .

والملاحظ أن عهود كل من القائم والمنصور وكذلك المعز تأتى سريعة فى حوالى عشر صفحات ، ولا يأس أن يكون النعمان قد اكتفى بما ذكره عنهم فى المجالس والمسائرات التى يعتبرها سيرة للمعز بخاصة .

ومن الأمور التى تلفت النظر أخيرا ان الكتاب الذى انتهى النعمان من بسطه فى المحرم سنة ٣٤٦ هـ / مارس - ابريل ٩٥٨ م تم نسخه الذى «وصل الينا فى شعبان سنة ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م (ص ٣٣٩) دون ذكر أو اشارة الى أى من النسخ الوسيطة - وتلك آفة ما زال الأدب التسارىخى الشيعى يعانى منها الى اليوم .

(٣٠) . ص ٣٢٩ - ٣٣١ . وهوامش ص ٣٣٠ . وانظر الدراسة فيما بعد ، ص ١٧٤ .

المجالس والمسايرات :

قضايا تاريخية ودينية وفقهية :

يختلف كتاب المجالس والمسايرات عن كتب النعمان من حيث اعتباره من كتب السيرة « الذاتية » اذ النصيب الأوفر فيه للمعز بصفته واضع أصول المذهب الفاطمي ، وإن كان بخط النعمان . والحقيقة أن الكتاب يمكن أن يندرج في قائمة كتب تاريخ الأديان والمذاهب ، من حيث تناوله للمذهب ، وشروحه لعدد من القضايا التاريخية ذات الصبغة الدينية أو القضايا الفقهية في مجال الأحوال الشخصية - مثل : توريث البنات وزواج المتعة ، مما سبقت الإشارة إليه (ص ١٧) . إلى جانب المعلومات التاريخية الصرفة كالعلاقات بين الفاطميين والأمويين بالأندلس ، إلى غير ذلك من موضوعات فلسفية أو لغوية أو أدبية . ويأتي كل ذلك في ترتيب زمني ، غير موضوعي ، حسب تسجيل المادة اثر كل مجلس أو مقام أو مسامرة وما يلحق بذلك من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة ، فتأتي المواد المتشابهة متناثرة على طول الكتاب ، وهو الأمر الذي عالجته المحققون بشكل منهجي مفيد في المقدمة ، (من ص ١٧ إلى ص ٢٧) ، حيث تصنيف الموضوعات - بشكل عام وموجز بطبيعة الحال - إلى : أحداث تاريخية خاصة بالأئمة ، من : المهدي إلى القائم والمنصور ثم المعز الذي تحصل على علم الأولين الآخرين ، من : ظاهر وباطن ، وعلوم رياضية وطب وهندسة ، كما كان صاحب اختراعات عجيبة - مما يدخل في مجالات التكنولوجيا ، كما نقول اليوم - كالقلم الحازن للحبر (٣١) .

سيرة المعز :

وهكذا يفهم من مقدمة الكتاب أن النعمان يعتبره تأليفا في سيرة المعز . لدين الله ، صلوات الله عليه ، وأنه دأب في ذلك (التأليف) إلى أن ينقضي عمره (٣٢) . والمعز يستخدم الجدل المنطقي ويتكلم في البرهان ويعرفه ولكنه .

(٣١) المقدمة ، ص ٢٥ والنص ص ٣١٩ - حيث الإشارة إلى أن القلم رمز للباطن - أنظروا الدراسة ، فيما بعد ، ص ٢٢١ وهـ ٥ .

(٣٢) الافتتاح ، ص ٤٦ ثم ص ٤٧ - حيث الإشارة إلى أن الدشراوي محقق الكتاب يأخذ بهذا الرأي وبأنه بناء على ذلك ، يكون تأليف الكتاب في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ - ٩٥٨ م . وإن كان ذلك لا يتفق مع التواريخ التي تتجاوزها ، مثل : سنة ٣٤٨ هـ وسنة ٣٥١ هـ .

« لا يؤمن بحجية العقل ، فأناس كلهم يدعون العقل وهم مختلفون في المذهب ، فالعقل اذن هو المطيع لله (ص ٤٢٣) » .

الأئمة :

وموضوع الأئمة وعلومهم ، وما يجب لهم من الطاعة ، مما ينال عناية النعمان واهتمامه ، مثل : تلامهم في الظاهر والباطن (ص ٥٤) ، والسعى الى الامام واجب في ظاهره كالخج (ص ٤٦٨) ، وتكتم الأئمة في أمر الدعوة الباطنية شديد ، اذ ليس من الحزم أن يجارى الراعى أهواء الرعية (ص ٣٤٧ - مثل : بنى العباسى وبنى أمية) . والسجود لهم : طاعة ومعروف لا ينكر (ص ٥٧) ، وكذلك الصلاة عليهم حسب الآية التي تقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبي » (الأحزاب ، ٥٦) ، وزواج المتعة منكر عند الأئمة (ص ٦٥ - وأنظر فيما سبق ص ١٧) وهم لا يعلمون الغيب ، بل ما غاب عن الناس من العلم الذى أودعهم الله اياه واستحفظهم سره (ص ٨٤ ، ٥٢٣) مما يعرف بعلم الحداث . والامام لا يعطى حكمته الا لحجته (الحجة هو الوصى أو الأساس ص ٩٤) ، وعقاب الله للمتطاولين على الأئمة عقاب عاجل (ص ١٠٢) . والامامة تنتقل من الماضى الى الباقي فى آخر دقيقة بنفس من نفس الماضى (ص ٢٦٧ ، ٥١٤) ، والامام المستقر أفضل من الامام المستودع (ص ٤١١) .

والأئمة فى النهاية ، باب السعادة ، بهم سعد بن سعد ، والسعادة لمن عرفهم (ص ١٠٩) .

الدعاة :

أما عن الدعاة فهم الى جانب عملهم يرسلون من جزرهم (أقطار دعوتهم) الأموال الى الامام (ص ٤٠٧) . هذا ، وقد ينحرف بعضهم عن الأئمة فيحلون المحارم (ص ٤٠٨) ، الأمر الذى دعا المعز الى أن يتبرأ من بعضهم (ص ٥٥٢) . ومن الطريف أن يحاول النعمان تبرير انحراف بعض الدعاة وزيفهم فى اباحة المحارم فيفسر ذلك تفسيراً صوفياً ملامتياً ، على أساس ، أن : « ترك المعاصى سوء ظن بالله . عز وجل - انه لا يغفر الذنوب » (ص ١٠٥) ، ولو ان ذلك لا يتفق مع رفضه لتأويل المعتزلة العقلانى للوعد والوعيد بمعنى ان الله صادق فى وعده ووعيده ، ولكنه يغفر لمن تاب توبة نعوها ، على اعتبار أن ذلك نوع من البداء ، أى تغيير قدر الله وقضائه المحترم ، الذى لا يجوز عند المتشددى من أهل السنة (الحشوية) الذين

يقتدى بهم النعمان ، فى هذا المقام • وهو يتهم المعتزلة هنا وعقلانيتهم ،
ويتهمهم بأنهم أرادوا أن يكونوا أئمة أنفسهم (ص ٢٧٧) - أى أصحاب
الحق فى الاجتهاد •

تعاليم المذهب :

وفى ما يتعلق بتعاليم المذهب ، يحرض المعز على قراءة كتاب دعائم
الاسلام (ص ٣٠٣) فكأنه أصبح دستور المذهب الرسمى من حينئذ •
والأئمة يعلمون ما يكون قبل أن يكون ، نقلا عن المنصور (٣٣) • والحكم بعدهم
تجاسة بول الفرس (فرس المعز الذى تنحى عنه ابن واسول صاحب
سجل ماسة (٣٤) • وتورث الموالي ، من : العبيد عند الفاطميين كالأحرار ،
شرط ولايتهم (ص ٣٩٤ - فكأنه نوع من الرخص الأخرى فى باب
الموارث) •

الأحداث التاريخية :

ويحفل المجالس والمسبائر بالأحداث التاريخية الهامة ، ولكنها
للأسف بدون تحديدات زمنية • ومنها ما يتعلق بفتنة أبى يزيد ، وما يتعلق
بها من علم الحدثن ، وما قيل من انها قامت بدعوى رفع الضرائب • فالهذى
كان يتوقع الفتنة ولهذا بنى المهديّة (ص ٥٤٢) وان كانت رواية أخرى
تنص على ان القائم فكر فى استبدال المهديّة (ص ٣٢٣) ، وغيرها تشير
الى ما ذكرته كتابه من تخلف القائم أيام الفتنة (ص ٢١٤) • أما المنصور
فكان يرى فى منامه فتنة أبى يزيد ، وانفراج السلسلة على يديه (ص ١١٣) ،
بينما كان المعز يقول : ان من صبروا مع الأئمة أيام الفتنة يدخلون الجنة
بشفاعتهم مهما كان عليهم من الذنوب (ص ٥٥ - فكأنهم من أهل بدر) •
وفى الرد على ما ادعاه أبو يزيد من أنه قام من أجل رفع مظالم الضرائب ،
فليس صحيحا لأنه مبنى على ما رآه من رفع بعض الشيوخ المال الكثير الى

(٣٣) المجالس ، ص ٤٠٤ - ولا ندري ان كان ذلك يتضارب مع ما سبق من القول بأن
الأئمة لا يعلمون الغيب بل ما غاب عن الناس من العلم الذى خصوا به - نفس ما سبق •
ص ١٩ •
(٣٤) المجالس ، ص ٤٦ - الأمر الذى يدخل فى تبجيل الجهاد - كما نرى - وآلتنه
بالامتياز المتمثلة فى الحيل ، عدة الرباط والقتال - عربات العصر الحديث المدرعة السريعة
الحركة •

الأئمة بمحض ارادته ، بينما صار نفس الرجل يجار بالشكوى من جور أصحاب أبى يزيد (ص ٣٣٧) . وعن قتل أبى يزيد فقد تم على يدى المنصور بالسيف ذى الفقار الذى كان يحتفظ به المعز . وفى وصفه : له شفرتان ، وفى وسطه عمود . أما جملة النفقة فى حرب أبى يزيد فقد بلغت ١٢٠٠٠ دينار (ص ٥٥١) . ومن أعمال المعز العمرانية انجاز شبكة المياه فى المنصورية (ص ٥٥٢) .

معلومات وثائقية :

وتقدم المجتالس والمسائرات معلومات وثائقية هامة عن العلاقات مع عبد الرحمن الناصر الأموى ، من حيث النوع والكم . فمنها : وصول رسول الأموى الى المعز يطلب الصلح ، ويتساءل : « كيف جاز له - أى المعز - أن يلعننا ونحن مسلمون ! وغاب عنه قول الله - عز وجل - « ألا لعنة الله على الظالمين (هود ، ١٨) » . والأمويون يقطعون مركبا فاطميا ، ويأخذون كتاب عامل صقلية ، واخراج المراكب فى اثره الى المرية (ص ١٦٥) ، والأموى يستنصر بملك الروم (ص ١٦٦) ، والهدنة مع الروم سنة ٣٤٦/ ٩٥٧ (ص ١٦٧) ، والناصر الأموى يطلب الصلح والمعز يرفض لأنه ادعى الخلافة ، وهى وقف على الأئمة (ص ١٦٨) . والمعز يجهز الجيوش الى المغرب لتطهيره من أتباع الأمويين (ص ١٧٠) ، واستمرار العلاقات مع الأندلس (الى ص ١٧٦ - ١٧٩) . ومباهات الناصر بصناعات الأندلس ، وسخرية المعز من ذلك ، اذ لا فخر - فى نظره - بأهل الصنائع (ص ١٨٠ - ١٨١) استنادا الى قصة فخر المصرى على اليماني ، عندما قال له : انما أهل اليمن بين حالك برد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ، فذمهم بذلك - وهو الأمر المستغرب ، كما نرى ، عندما يصدر على لسان مصرى ، الا أن يكون عربيا نبيل لا يقوم بالأعمال اليدوية . وفى مفاخر أهل افريقية وأهل الأندلس يعتد الناصر بجنوده معتبرا ، ويحط من شأن البربر الأغتام ، والمعز بدوره يحقر أهل الأندلس المتصفين بالجهل والحمق والرقاعة (ص ١٨٩ - ١٩٠) . اما عن لجوء أهل افريقية الى الناصر بسبب الحرية لأهل المذاهب ، كما يرى ، فالحقيقة عند المعز انما بسبب طلبهم للملاهى الدنيا وحظائرها ، من : شرب الخمر والمجاهرة بالمعاصى (ص ١٩٠ - ١٩١) .

وبعد ذلك هناك ذكر لمقتل يعلى اليفرنى (سنة ٤٣٧ هـ / ٩٥٨ م ص ٢١٧ ، ٢٧٥) ، وقصد ابن واسول صاحب سجالسة وأسرته (ص ٢١٧ ،

٢٥٥ ، ٣٨٨ ، ٤١٨ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٨ ، ٤٨٣) . والاشادة بكتامة
(ص ٢٥٥ ، ٣٢١) .

أخبار المعز :

أما عن أخبار المعز ، فالى جانب ما سبق ، يذكر النعمان أن مخايل
النجابة والعطنة كانت بادية عليه منذ كان صغيرا ، فهذا ما يفهم من الرواية
التي تقول انه عندما عرضت عليه فاكهة جميلة فى طبق ثمين ، وقيل له
خذ الفاكهة واترك الطبق ، عرض هو العكس من ذلك فقال : بل آخذ الطبق
وأترك الفاكهة (ص ٥٤١) . أما المعز خليفة فهو لا يشك فى افتتاح المشرق ،
رغم ان الذى طرد البربر من هناك نبي (داود) ، لأنهم أولياء الأئمة ،
(ص ١٣٨) . والمعز يعلم رجال كتامة الاحتجاج لولائهم للأئمة ، ويضرب
لهم المثل بما فعله الخليفة العباسى المكتفى عندما أخرج القرمطى بقوله فى
مسألة الخلافة : « ان العم أولى من ابن العم » فلم يحرج جوابا . وإذا كان
المعز لم يقدم الجواب هنا ، فالمعروف أن الامامة فى الفكر الشيعى -
يالنص والوصية ، وليست بالاختيار ، والا جاز للأمة أن تقيم نبيا . ومثل
تهكم المعز من جهل رسول ملك الروم ، الذى جاء يطلب هدنة مؤبدة ،
يأصول الاسلام الذى يمنع من ذلك (ص ٣٦٧) . ورؤية المعز لأمر فاس :
أحمد بن بكر أسيرا ، فى منامه (ص ٣٨٥) وكذلك الأمر بالنسبة للناس
الأموى الذى رآه فى منامه فى حالة مزرية ، فى ازار وعلى رأسه طرطور
- رمز الشهوة - ويده مغلولة الى عنقه (ص ٣٦٤) ، وان كنا لا نحاول
تفسير الرؤى أو الأحلام فمن الواضح ان ذلك يعنى هموم المعز وحاشيته
من قبل هؤلاء الأعداء الذين كانوا يقلقون راحتهم فى وقت صحوهم ويؤرقونهم
فى حالة نومهم ، حتى استمعوا ما نزل بهم من البلاء فى المنامات والأحلام .
وكتاب المعز الى طاغية الروم فى أمر أهل اقريطش (كريت) وعقد الهدنة
لـ ٥ (خمس) سنوات ، ورسالة المعز بهذا الشأن الى الأخشيذ (ص ٤٤٢)
ثم تنبؤ المنصور للمعز بفتح مصر (ص ٥٠٧) :

وأخيرا يظهر المعز فى المجالس والمسائرات ، كواضع أسس الرسوم
للمواكب والاحتفالات ، وخاصة فيما تم أثناء الاحتفالات الكبرى سنة ٣٥١هـ /
٩٦٢ م التى تم فيها الاعذار الجماعى ثم طهر أولاده (ص ٥٥٣ ، ٥٥٦) ،
كما نهى المعز عن خروج مواكب النياحة على المونى (ص ٥٣١) .

وما يستحق التسجيل فى النهاية ، فهو ان الناسخ نقل من نسخة

للمجالس والمسائرات تمت كتابتها في ٢٩ صفر سنة ١٣٣٢ / فبراير ١٩١٤ - بمعنى حدثة النسخة دون معرفة أصولها . ومثل هذا يقال عن كتاب الهمة الذي لم يعثر عليه الا سنة ١٩٣٤ (نشر محمد كامل حسين ، القاهرة) .

كتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة :

وتتلخص أهمية كتاب الهمة في أنه يعرف بحدود المذهب الفاطمي ويشرح واجبات الأتباع نحو الدعاة والأئمة ويبين حقوقهم المالية حيث يصير على وجوب دفع الخمس لهم لأمام العصر ، قربى الى الله والرسول ، يتصرف فيه كما يشاء ، وخاصة في فقراء أهل بيته . والمقصود بالخمسة هنا هو خمس مكاسب أهل المذهب (من المؤمنين) في كل عصر ، تدفع الى امام ذلك الزمان معزكاة الأموال (أنظر : حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٤٨٠ - ٤٨٢) .

سيرة الأستاذ جوذر (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م) :

ويأتى كتاب سيرة الأستاذ جوذر - غلام الأئمة الذي أوصى به القائم ابنه المنصور ، فما كان منه الا أن رد على والده قائلا : « وهل جوذر الا واحد منا » وفعلا ارتفع شأن جوذر على عهد المنصور حتى أصبح المسئول عن المهديّة وسائر بلاد افرريقية ، فكان أشبه بالوزير الأول (صاحب الوساطة) وأمين سر الدولة (٣٥) .

والكتاب من النوع الوثائقي الذي يحتوى على عدد كبير من التوقيعات أو السجلات ، أو الأحداث المتعلقة بالأئمة ، والتي شارك فيها جوذر الفتي . والتوقيعات الجوزرية تضاهي من هذا الوجه مجالس النعمان ومسائراته ، وربما تكرر بعضها فيه (٣٦) . فمن الموضوعات الجوزرية : خطاب المنصور الذي يعلن فيه وفاة القائم (ص ٤٦) ، وانهزام مغلّد ابن كيداد (ص ٤٨) ، وخطبة للمنصور يعلن فيها موت أبيه (ص ٥٥) ، ورسالة من المنصور بشأن هدية لملك الروم (ص ٦٠) ، ورسالة من المنصور في الخارجين

(٣٥) محمد اليعلاوي ، الدفاتر التونسية ، ج ٢ سنة ١٩٧٤ ص ٨ و ٥ .
(٣٦) تحقيق وتعليق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة ، ١٩٥٤ وترجمة كانار. (Canard) الى الفرنسية .

بصقلية . ومكاتبات المعيز الى جوذر بوفاة المنصور (ص ٧٢) ، وأحمد
ابن المهدي وتشنيعه على الامام وعلى جوذر (ص ١٠٥) . الخ .

عيون الأخبار وفنون الآثار :

المختوى :

ويأتى مع مجموعة الكتب التاريخية الفاطمية الاولى كتاب عيون الأخبار
وفنون الآثار للداعى ادريس عماد الدين القرشى ، وهو يمثل فقرات من الجزء
الخامس من الكتاب ، حقتها مراحات الدشراوى ، تونس ١٩٧٦ ، لتكون تكملة
لرواية افتتاح الدعوة ، عن عهدى القائم والمنصور ، وبخاصة ثورة أبى يزيد
ذات التفصيلات المرهقة حقاً فى هذا الكتاب (على أسناس ان مصطفى غالب كان
قد شرع فى نشر السبع الرابع من الكتاب ، سنة ١٩٧٣) . ومحتوى الكتاب
يمكن أن يفهم من عنوانه الكامل وهو : عيون الأخبار وفنون الآثار فى ذكر
جمل وفصائل النبى المصطفى المختار ، ووصيه على بن أبى طالب صاحب
ذى الفقار ، وألها الأئمة الأطهار (المقدمة ، ص ٩) ، فهو كتاب عام فى
التشيع ، مقسم الى ٧ (سبعة) أسباع ، يبدأ الأول منها بفصائل آل البيت ،
والثانى فى خلافة على ، وكذلك الثالث الذى ينتهى بمقتله . أما الرابع فيؤرخ
للدعوة العلوية الى ظهور المهدي ، والخامس يعالج الدعوة فى اليمن والمغرب
الى سقوط الأغلبة وعهد المهدي ، والسادس فى الخلافة الفاطمية من المعز
الى المستنصر ، والجزء السابع والآخر فى الدولة الصليحية باليمن ، والدولة
النزارية والدعوة الامرية ، وينتهى بأخر أئمة الدعوة المستعلية .

الداعى ادريس :

وضاحب الكتاب ، وهو الداعى ادريس ، من رجال القرن ال ٩ هـ /
١٥ م ، اذ تسلم الدعوة بعد أخيه الداعى على ، فى نصف النهار من يوم
الخميس ٣ صفر سنة ٨٧٢ هـ / ٤ سبتمبر ١٤٦٧ (المقدمة ، ص ١٠) .
ورغم تأخر الكتاب فانه يعتبر منهلاً لمعلومات تفصيلية دقيقة عن الموضوعات
التي يعالجها . فعلى عكس ما قد يظن من أن الأدب الشيعى التاريخى هو أدب
منقضى ينبغى أن يؤخذ بما يناسبه من الحذر ، فان رواية الداعى ادريس
هذه ترتفع فى قيمتها الى مرتبة الوثائق فى كثير من الأحيان ، اذ تستقى
أخبارها من كتب المعاصرين كالقاضى النعمان والأستاذ جوذر وجعفر الحاجب ،
ممن كانوا على اطلاع على دواوين الانشاء والوسائل التى وثقوا بها تواريخهم

وسيرهم ، حتى أصبحت المصدر الأول لكتب الخصوم ، من : الحوارج أو أهل السنة - وهو الأمر المستغرب .

التوثيق :

فبفضل مجموعة الوثائق التي يحويها الكتاب وخاصة ما يتعلق بثورة أبي يزيد ، من الرسائل التي كانت تصدر الى ديوان المهدي والى سائر البلدان والتي كانت تنشر على الناس من فوق المنابر ، وكذلك الخطب الرسمية التي كانت تلقى فى صلاة الجمعة أو العيدين أو المواسم والمناسبات القصائد الشعرية والقطع الأدبية التي أنشأها أصحابها فى تلك المناسبات التاريخية ، وكل ذلك يرفع من شأن الكتاب الذى ارتقى الى مستوى الوثيقة - بصرف النظر عن المسحة المظبية التي تعتريه هنا وهناك ، أو وجود القصص الشعبية والروايات الأسطورية جنباً الى جنب مع الخبر الموثق .

فالحلة المهدي من سجل ماساة الى افريقية محددة المراحل والتواريخ الدقيقة ، من اسم اليوم ورقمه والشهر والسنة ، وربما مع البرج والطلع (ص ٢٥) ، ومثل هذه التفصيلات تقال عن حملة القائم الى المغرب ، وقتال زناتية ابن خزر (ص ٥٠) .

الروايات الشعبية (الفلكلور) :

وهذا لا يمنع من تسرب روايات شعبية (فلكلورية) قصة أخذ يعقوب بن اسحق التميمي : أخى خليل بن اسحق ، رجل الدولة وأحد قوادها اللامعين ، بل وشعرائها المداحين الى حبس بغداد ، بعده أسره فى الاسكندرية ، وبقائه هناك ١٤ عاماً ، وكيفيه شراء السجان البغدادي بالأموال التي كانت تصله بمعرفة الدعاة ، ثم هربه متخفياً فى زى الصوفية بعد وفاة الخليفة المقتدر ، فى رواية أسطورية مدهشة ، مليئة بالفخامات العجيبة فى القاهرة والفسطاط والعقد المثيرة على جسر الحيزة ، ويعقوب فى زى النساء (أنظر ص ٧٢ ، ٧٣ وما بعدها) . حقيقة انه يمكن الاستفادة من الرواية الأسطورية هذه فى التعرف على أساليب التخفى والاستتار مما كان يلجأ اليه المطلوبون وقتئذ ، والتي كانت معروفة لدى رجال البريد والأخبار ، ولكنها تبقى أسطورية على كل حال .

توثيق ثورة أبى يزيد :

وثورة أبى يزيد مليئة بالتواريخ الدقيقة والمواضع المحددة وتفصيلات الأحداث المرهقة ، مع توثيقها بالاسانيد القوية من الكتب الرسمية والخطب المنبرية والشواهد العينية والنقصائد الشعرية ، والنوازل الشرعية ، وخاصة فى الأجزاء الأخيرة منها ، منذ فشل حصار المهديّة والهرب من القيروان نحو الزاب وبلاد القبائل الكتامية . فالحصار يضيق على العسكر الفاطمى بالقيروان الى حد عودة الحمام الزاجل الذى فشل خليل بن اسحق فى اطلاقه ، كما فشل هو نفسه فى لبس الدرع وركوب الفرس (ص ٩٤) . وأخيرا مات خليل (أخو يعقوب صاحب مغامرة بغداد) واقفا رغم اصابته بـ ١٨ ضربة ، فى ٢٣ صفر ٣٣٣ هـ / ١٧ أكتوبر من ٩٤٤ م ، كما وقع الكتاب الموجه من القائم الى قبائل لهيصة للحضور لنجدة المهديّة ، بين أيدي الثائر الذى عرف موقف القائم الصعب ، فعجل باهتبال الفرصة وأسرع نحو المهديّة لحصارها (ص ١١٢ - ١١٣) .

وبمناسبة الانتصار على الثائر الزناتى ومقتل أهل القيروان الذين كانوا معه ، أنشأ الداعى الأجل جعفر بن منصور اليمنى (الحسن بن فرج ابن حوشب) قصيدة ، يؤمن فيها على حتمية انتصار الامام على أعدائه ، منها :

سيهزم الجمع اذا جازوا لحربكم والمارقون فقد خابوا وقد خسروا
تقان وعد أمير المؤمنين لكم حق به جاءت الآيات والسور

مقتل ميسور - علم الحدّان :

أما عن مقتل القائد ميسور الفتى بالقيروان (ص ١٠٥) فانها تصبح مشكلة عندما يعود الى الظهور فى فاس ولا بأس أن يكون شخصا آخر اسمه مسرور (أنظر فيما بعد ، ص ٥٣ ، ١٩٣ هـ ٢) أما عن النصر الذى حققه المنصور ، فكانه المهدي يعرفه واسماعيل جنيّ فى بطن أمه ، اذ كان ينجّاه قائلا : « كاشف المحنة ومطفى نار الفتنة » (ص ١٦٢) . وعندها يضيق الحال بأبى يزيد ، يوجه ابنه الى الأموى بالأندلس يستنصره (ص ١٨٨ ، ٢٠٠) .

شجاعة المنصور :

وأعمال الامام الحربية وشجاعته الفردية لها طابع منقبى ، فهو يخترع

بنفسه لايسا لامته متقلدا سيف الله ووصيه ذا الفقار ، وياخذ الرمح بيمينه ، ويعتقل درقه على يساره ، ويتمادى الى قصر العدو (ص ١٨٥) . وهزيمة الثائر يوم الجمعة بالقيروان موثقة بالرسالة الموجهة الى امير المؤمنين القائم (الذى أخفيت وفاته) وهى بتاريخ ٢٩ ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ / ٤ يولية ٩٤٦ م ، والداعى أدريس يفصح هنا عن مصدره ، وهو « سيرة المنصور » لأبى نصر الذى ما زال مجهول الهوية . والامام وهو يطارد أبا يزيد فى المرحلة الأخيرة ، يلبس جوشنا فوقه خفتان أحمر مثقل بالوشى ، ويعتمر عمامة صفراء . ويبلغ الضر فى المعسكر أثناء المطاردة الى حد انعدام العلف ، حتى بلغ ما تحتاجه الدابة من الشعير ١١/٢ دينار من الذهب ، وقفيز الزيت دينارا ٠٠٠ حتى مات أكثر الخيل والجمال (ص ٢١٩) .

نهاية أبى يزيد :

وأخيرا يلجأ أبو يزيد الى قلعة كيانة ، وبعد قتال ليل على ضوء المشاعل ، يقوده المنصور وهو فى ثوب أحمر موشى ، مذهب الامام ، وعمامة حمراء معلمة الطرفين مذهبه ٠٠٠ ، يقع الثائر المتخن بالجراح أسيرا (ص ٢٦١) . وكتاب الامام الذى يحمل بشارة الفتح مؤرخ فى ٢٥ محرم سنة ٣٣٦ هـ / ١٨ أغسطس ٩٤٧ م (ص ٢٦٧) . اما عن مناظرة الثائر فقد انتهت بإفحامه واقامة الحجّة عليه ، فقد سئل : تشتم على ابن أبى طالب ! فأجاب : معاذ الله ٠٠٠ نحن حزبه ، فرد عليه الامام : الله مؤيده . وسئل : ألم تشتم من هو خير من خيرات على ؟ (النبى) ، فأجاب : معاذ الله ٠٠ كان كريما حوله قوم سوء . اما عن ارتكاب المحارب ، فكان جوابه : انها من قوم سوء اتبعونى (ص ٢٧٠) .

الرسائل الرسمية واتحباب المنبرية :

والى جانب المعلومات التاريخية فان الرسائل الرسمية والخطب المنبرية تفيد الدارس من حيث تعريفه بالتراتب الديوانية الخاصة بها من البدء بالمسئلة ثم الحمدلة والتصلية والتوصية ثم موضوع الرسالة أو الخطبة ، ومكان الكتابة وتاريخ الرسالة .

وتنتهى عيون الأخبار باقامة المنصور بالمهدية الى سلخ صفر ، ثم استعماله لعبده جوذر على المهدية ، والانتقال الى المنصورية فى ربيع الأول سنة ٣٣٧ هـ / سبتمبر ٩٤٨ م .

وهكذا يحتوى الكتاب على روايات تفصيلية دقيقة عن الصراع ضد الزنانية ، لا يقلل من قيمتها تلك النزعة المنقبية الخاصة بأعمال الأئمة وخاصة المنصور بطل النصر ، الى جانب بعض القصص الشعبية (الفلكلورية) كذلك الذى يعالج مغامرات يعقوب بن اسحق .

هذه المجموعة من الكتب الاسماعيلية الفاطمية تعتبر المصدر الأساسى للفترة الأولى من تاريخ الدولة الفاطمية ، فترة التأسيس فى المغرب ، وعننا نقل كبار المؤرخين من أصحاب التاريخ العام ، مثل : ابن الأثير والنويرى ، وابن خلدون ، أو أصحاب تاريخ المغرب الخاص مثل : الرقيق القيروانى (الذى يأخذ عنه الكثيرون أيضا كابن الأثير والنويرى وصاحب العيون والحدائق وابن خلدون) وابن حماده وابن عذارى . ومما يسترعى الانتباه ان تلك المصادر الشعبية كانت رافدا لكتب الأباضية الخوارج ، مثل : سيرة أبى زكريا الوردجلى وطبقات الدرجين وسير الشماخى .

من كتب الأباضية :

الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت حوالى ٦٧٠ هـ / ٧١ - ١٢٧٢) :

والدرجيني ينتسب الى مدينة درجين ، إحدى قواعد الأباضية ، فى بلاد الجريد قرب نفطة ، له كتاب الطبقات (طبقات المشايخ بالمغرب) الذى نشره مؤرخا ابراهيم طلاى ، البليدة (الجزائر) فى جزئين ، أولهما بمثابة عرض تاريخي لجماعات الأباضية فى المغرب مع بيان نظمهم وتراثيهم ، والثانى فى طبقاتهم المنتظمة فى اثنتى عشرة طبقة . والكتاب يعتبر تكملة لكتاب السير لأبى زكريا (٣٧) .

(٣٧) انظر موتيلينسكى ، ثبت مصادر بلاد المزاب (الزاب) ، كتب المذهب الاباضى ، بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٨٥ (Motylinski, Bibliographie du Mزاب) ص ٢٦ - حيث الاشارة الى كتاب السيرة

وأخبار الأئمة ، تأليف الشيخ أبى زكريا يحيى بن أبى بكر الوردجلى ، وحيث يقول موتيلينسكى انه اطلع على النسخة التى عملت عليها نسخة مسكرى (Masqueray) الجزائر ، ١٨٧٨ ، وانه استطاع أن يحسن النص وأن يخفى الأخطاء الرئيسية بالمقابلة مع نسخة أخرى ، مع رفع أقوال أبى زكريا من كتاب الطبقات ومن سير الشماخى - وعن التعريف بكتاب أبى زكريا ، مخطوط دار الكتب المصرية ، أنظر كتابنا فى تاريخ المغرب العربى ج ١ . ص ٣٨ - ٤٠ .

التحقيق :

والظاهر ان المحقق رأى أن ينشر المخطوط دونما تغيير أو تعديل فلم يصحح أسلوبه ولم يحقق موضوعه ، نزاهة من جانبه أو احتراماً للنص الذى يمتدح ان يكون أصلياً رغم ما فيه من العيوب الاملائية والنحوية أو اللغوية والموضوعية . فعلماء المذهب من البربر المستعربة الذين قد لا يجيدون اللغة العربية ، والمثل لذلك شيخهم وأشهرهم : أبو زكريا الذى امتنع مشايخ (عزابة) جربة من ارسال كتابه « سير الأئمة » الى مشايخ عمان لتعريفهم - بناء على طلبهم - « بسير الأخوة الأوائل فى المغرب ومناقب أسلافهم » اذ « وجدوا انه ليس كاملاً (زمنياً) وان أسلوب المؤلف يظهر فيه الأثر البربرى ، وعدم الدراية بالنحو والمصطلحات العربية » . ورغم النص على أن ذلك كان السبب فى التفكير فى كتاب يحوى تاريخ الأئمة الرستمية ومناقب الفقهاء القدامى ، ووقع الاختيار على الدرجيني للقيام بهذا العمل ، فكان تأليفه لكتاب الطبقات (٣٨) ، فلا بأس أن تكون الأخطاء اللغوية والاصطلاحية من قبل النساخ .

الاخذ عن أبى زكريا :

والدرجيني عندما يعرض لأخبار عبيد الله (عبد الله) المهدي وظهوره فى المغرب يعتمد اختزال رواية الشيخ أبى زكريا الوردلاني والنقل من كتاب الرقيق (ج ١ ص ٩١) . والأصل فى الحقيقة هى الرواية الشيعية المنقبية للداعى جعفر ، فيما يتعلق برحلة المهدي الى سجلماسة (٣٩) . فهو عندما يعرض لأخبار أبى يزيد ، صاحب الحمار ، يعبر عما يكنه الوهبية لآخوانهم الأعداء من النكارية (الأباضية) ، اذ يصف أبى يزيد بـ « الناكشي » وان ظهر بمظهر الحبير فى التاريخ لسيرته ، حيث يهتم بالتفصيلات الصغيرة عن أصله عند الرقيق ، ويقول عن مسكنه بقلعة سدادة من تقيوس (تقيوس) بانه وهم أو غلط (ج ١ ص ٩٦) . اما عن فكرة الثورة فقد أثنى وهو لاجئ فى مصر - وهو الأمر المستغرب - وذلك عندما نظر اليه رجل من أهل مصر وقد حلق رأسه ، وقال له : غط رأسك أيها الثائر - فكان حلق الرأس الذى عرف به الخوارج فى المشرق والذى كان عادة من عوائد البربر ، كان

(٣٨) انظر موتيلينسكى ، كتب المذهب الاباضى ، ص ٢٩ .

(٣٩) ج ١ ص ٩٢ - حيث السكنى فى الدار العالية ، ورؤيا الثعبان العظيم التى تعبر

عن شخصية الامام العامة .

قد أصبح شعارا للثورة . هذا ، الى جانب ما كان قد طولب به في بعض البلاد التي سلكها في مصر أيضا ، بمكس (ضريبة مرور أو « ترانسيت ») فاستعظمه (ج ١ ص ٩٧) .

أخبار أبي يزيد :

وقصة هرب أبي يزيد من سجن توزر من النوع الروائي المثير ، وهي تذكر بقصة هرب يعقوب بن اسحق من سجن بغداد بعد أن قضى به ١٤ عاما ، مما سبقت الإشارة اليه في عيون الأخبار للداعي أدريس . والرواية هنا تقسم أدوار تخلص أبي يزيد من سجن توزر على ٤ (أربعة) مسلحين بالسيوف ، واحد يقف على باب المدينة (ليضمن عدم اغلاقه) : و٣ يذهبون الى السجن ويكسرون بابه ويقتلون السجان . وأحدهم يحمل أبا-يزيد في كبوله والآخرون يسير أحدهما أمامه والثاني خلفه ، وهما يقتلان كل من يتقدم نحوهم . وتنجح الجماعة في الوصول الى جبل أوراس حيث يحاصرون هناك لمدة ٧ سنوات — مما يذكر بحصار عبد الرحمن بن رستم في جبل ثاهرت — حتى قال قائلهم ، لما نزل بهم من الشدة والضرر « جبل لا يصعد ، ومطر سكب ، وفتى مستقصى (القائم) وشيخ (أبو يزيد) لا ينثنى ، ونحن المبتلون » . وهذا الحصار المحكم لا يفك الا بحيلة غريبة من تدبير أبي يزيد ، لا ندرى مقدار نصيبها من الصحة أو الخيال اذ تطلبت في وقت الشدة هذا ٥٠٠ ثور توضع في قرونها وذيلوها الحلفاء المشتعلة ، ويقودها ٥٠٠ من الشجعان لكي تكتسح عساكر الأعداء . والحقيقة انه الى جانب القصص المستطرفة يهدف المؤلف الى اعطاء العبرة والموعظة عن طريق المثل والرمز . فعندما يفكر أصحاب أبي يزيد ، بعد فك الحصار ، في الثأر من الوهبية لقتل زعيمهم الأول ابن فندين ، يقول لهم : « أن نحن تخلصنا وتفرغنا من نسج الكساء ، اشتغلنا بقلبه » (ج ١ ص ٩٩) .

ووزير أبي يزيد ، وهو أبو عماره (أبو عمار الأعمى) يستخدم في فتاواه رموز قليلة ودمنة ، مما يحض على القتل وسفك الدماء ، مثل : « ليس أروح للقلب من قتل عدو ، وإن بلغ من الضعف النهاية » . (ج ١ ص ١٠٠) .

خلط الرواية المنقبية بالخبر المعادى :

والدرجيني هنا يخلط الرواية المنقبية حينما بالخبر المعادى للأخوة

الأعداء من النكارية أحيانا • فتخريبهم للقيروان لا يعادله إلا أفعال نافع
ابن الأزرق القديمة (ج ١ ص ١٠٠) • وهكذا كان عدد القرى التي خربت
على يديه ٣٠ (ثلاثين) ألف قرية ، وهو نسبيا ، عدد فلكي ، كما نظن •
أما عن القسوة والفجور وأنواع الفساد التي تمت على أيديهم فلم تفعله
ولا ملوك الكفار (ج ١ ص ١٠٠) •

وهو بين ذلك يأتي برواية منقوبة ، مثل : و « كان (أبو يزيد) »
في هذه الحركات كلها - يركب على حمار أوتى به من مصر ، فكان يعجز
الحيل أن مشى وعدا ، (ج ١ ص ١٠٠) • والمعروف أن كلمة « الحركات »
تعني الحملات ، وهو مصطلح ظهر في المغرب في وقت متأخر على عهد
الموحدين ، أما نسبة حماره إلى مصر التي اشتهرت بمواقف الحمير التي كانت
تؤدي للناس خدمات أشبه ما تكون بخدمات النقل العام في المدن الحديثة ،
الأمر الذي كان يثير عجب الرحالة المغاربة ، فهي غير صحيحة إذ المعروف
أن أبا يزيد أهدى إليه حماره الأشهب الذي نسب إليه ، عندما دخل مدينة
مرماجنة ، على حدود بلاد الزاب •

تعريف الروايات :

ومن الروايات التي ظهرت محرفة في عدة أشكال ، تلك التي تقول
أن « عزابته » (أى الشيوخ من أصحابه وتلامذته) أخذوا صبيتين جيلتين ،
وأنه عندما حضرت أمهما إليه تقول له انهما (ابنتيهما) حرتان ، قال لها :
وهل في أفريقية حرة ؟ الأمر الذي أدهش المرأة وجعلها تخاف على نفسها
فهربت (ج ١ ص ١٠٠) • والرواية هنا تحورت عما كانت عليه في أواخر
القرن السادس الهجري / ١٢ م ، يعنى قبل مائة سنة ، من حيث أن الذي
كان يبحث عن ابنتيه هو أبوهما الذي كانت قد صودرت أمواله ، والذي وجد
ابنتيه معا على فراش أبى يزيد ، وأن أبا يزيد فسر استحلاله لهما ب « ملك
اليمن » (الاستبصار ، ص ٢٠٦) - يعنى بالسبى ، فكأنه يكفر المسلمين
ويستحل دماءهم وأموالهم •

الحدثان والقصص الشعبي :

أما عن حصار المهدية فعصب قصته علم الحدثان حيث تقول الرواية
الفاطمية بانتهاء الثورة عندما يصل أبو يزيد إلى باب المدينة ، وهى الرواية
التي تحولت عند الدرجيني إلى قصة شعبية ، تقول « أن أبا يزيد يخيب إذا ضرب »

فى ذلك الصراع ، ويصيب ان ضرب فى الصراع الآخر » ، وان المدافعين عن أسوار المدينة كانوا يرون ذلك حتى ان بعض من فى البرج قال لأبى يزيد : « أخطأت يا شيخ » . ومثل هذا يقال عن قصة أسر أبى يزيد التى تأخذ شكلا « فلكلوريا » هى الأخرى ، اذ تجعل الأسر بعد هزيمة القيروان مباشرة ، كما يجعل من أبى يزيد التعب من الجراح يلقى بيده على أحد الجنود الفاطميين ممن كانوا يتبعونه ويقول له : « خلصنى ، أنا أبو يزيد » (ج ١ ص ١٠١) . وهنا نرى أنه لا بأس فى أن تكون تلك القصة رمزا لفكرة رفض التقية (أى الستر والكتمان) عند المتشددىين من الحوارج . هذا ، كما ان قصة قتل رجال الفضل ابن أبى يزيد بأيدى المزائين ، حلفاء الوهبية ، تبين ما كان يضمه هؤلاء من الحقد على النكار (ج ١ ص ١٠١) ، الأمر الذى يعنى الوقوف الى جانب خصومهم الفاطميين ، وهو ما يظهر فى قصة الشيخ أبى القاسم الذى كان أتيرا لدى المعز لدين الله (ج ١ ص ١٢٣) .

وهكذا نتمثل أهم سمات الرواية الإباضية فى تطور الروايات الشعبية الفاطمية فيها ، من منقبيه وأخبارية حقيقية الى قصص أسطورية وحرارات شعبية ، وهو الأمر غير المستغرب طالما كانت الكرامة هى السمة المميزة لمشايخ المذهب .

المختبىس لابن خيان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) :

الجزء الخامس ، نشر : ب شالميتا (Chalmeta) وف . كورينطى (Corriente) وم . صبح ، المعهد الأسباني العربى للثقافة - مدريد — كلية الآداب بالرباط .

العلاقات الأموية الفاطمية :

وهذا الجزء يتناول أحداث الأندلس على عهد عبد الرحمن (ابن محمد) الناصر ، لمدة ٣٠ سنة ، من ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م والمهم بالنسبة لموضوعنا فيه ، هو العلاقات بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب ، والتى تتمثل بشكل خاص فى الصراع بينهما من أجل الهيمنة على المغرب الأقصى الذى أصبح ما بين الأندلس الأموية وأفريقية الفاطمية ، وكأنه أرض حرام فاصلة ، أو جبهة قتالية بين جيشين متواجهين ، يمكن لأى منهما أن يجوبها فى أى وقت .

- ٣٥ -

وكان من الطبيعي أن تؤدي العلاقة الحربية العدائية بين الدولتين - في سبيل السيادة على المغرب الأقصى - الى محاولة اكتساب الطرف الثالث المتمثل في قبائل المغاربة من البربر ، وخاصة الزنانية ، عن طريق الترغيب والتهديد بالمال والسلاح أو الدعاية .

الدعاية والدعاية المضادة :

وفي مجال الدعاية والدعاية المضادة لها اتخذ الأمر من جانب الأمويين على عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ، شكل هجمة دعائية مناهضة للفاطميين أشبه بعملية احياء لذلك الصراع القديم بين العلويين والأمويين ، الأمر الذي أدى الى تبادل اللعنات من أعلى المنابر (٤٠) ، وكذلك الصراع بين الأمويين والعباسيين الذين استحوذوا على الخلافة المروانية . وهكذا لم يكتف عبد الرحمن الناصر باتخاذ اللقب الخلفي في قرطبة بل انطلقت أبواق الدعاية الأموية في الأندلس والمغرب تطالب باسترجاع أملاك خلافة دمشق من بين أيدي مغتصبها علويين كانوا أم عباسيين .

موقف أمراء المغرب :

فالناصر يسمى عبید الله المهدي باليهودي (ص ٢٥٩) ، وكذلك أمراء المغرب المواليين له ، مثل الخير بن محمد بن خزر الذي يطلق أيضا على تاهرت التابعة للفاطميين اسم « دار المشركين وماوى الملحدین » (ص ٢٦٠ ، ٢٦٢) . وإذا كان من الطبيعي أن يدخل أكثر الإدارسة الحسينيين في دعوة عبید الله « الضالة » ٠٠٠ انحرافا عن بنى أميه للأحقاد القديمة (ص ٢٦٢) ، فمن الغريب أن بعضهم مثل : ادريس بن ابراهيم السليمانى الحسنى ، أمير أرشقول ، دخل في طاعة الناصر سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، وصار في أهل ولايته (ص ٢٦٢) - ولا بأس أن يكون ذلك من قبل العلويين الحسينيين نوعا من سياسة التوازن ، التي لا تقطع الجسور تماما مع الطرفين المتصارعين على بلادهم . وان كان ادريس بن ابراهيم هذا ، قد بالغ في محاولة التقرب من الأموى عن طريق المغالاة في الاسفاف في شتم ابن عمه ، والادعاء بأنه السبب فيما صار اليه أمر الحسينيين من الفرقة . ففي فصل من كتابه الى

(٤٠) و هو الأمر الذي استمر عليه الأمويون في دمشق الى خلافة عمر بن عبد العزيز الذى جعل مكان لمن على : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى ويهى عن الفحشاء والمنكر والبغى » ، الآية ، انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ٩٩ ، تحت عنوان : « ذكر ترك سب أمير المؤمنين على عليه السلام » ، ج ٥ ص ٤٢ .

عبد الرحمن الناصر ، يقول ادريس : « قد انتهى الى أمير المؤمنين سيدي مباعدي للطلب أسوء اليهودي الخنزير ، المبدل لدين رسول الله ، صلعم ، المعلن الكفر ، الجاحد للتنزيل ، وقيامي مع ابن خزر ولي أمير المؤمنين ٠٠٠ » (ص ٢٦٣) فكان الرجل أصبح ملكيا انش من الملك ، كما يقال الآن . وهو في فصل من كتاب آخر يخاطب الناصر ، سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م ، قائلا : « كنا أعزك الله ، ٠٠٠ أبناء رجل واحد ، محمد بن سليمان ٠٠ الى أن فرق الله ملانا بقيام هذا الدعي الغوي ، صاحب افريقية ، وافتتان أكثرنا بالتعصب له ، ٠٠٠٠ وعصمني بولاية أمير المؤمنين ٠٠ فتهربوا (بنو عمه) مني ، والمتوكل بتأليبهم علي : محمد بن ادريس ، وابن أخيه الحسن بن عيسى المعروف بابن أبي العيش ، الادريسيان ٠٠٠٠ ، ومنهم القاسم بن ابراهيم والحسن بن عيسى (٦٣ - ٢٦٦) » .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يغالي غير العلويين من أمراء المغرب في سباب عبيد الله ودولته ، ويبالغ في مديح الناصر وعترته . فمن فصل في كتاب محمد بن خزر الزناتي ، الى الناصر يقول : « ما قمت بدعوتك الا تقربا الى الله تعالى ، وتوصلا الى قتال كفار المشاركة ٠٠ فانك يا أمير المؤمنين ، ولي كل بربري على الأرض ، اذ بنى أميه هدام الله للاسلام ٠٠٠ فمن كفر منهم هذه النعمة ، فهو كافر بالله ورسوله موليا ، ثم لا يقبل الله له صدقا ولا عدلا ٠٠٠ » (ص ٢٦٦) ، فكان الخليفة الأموي القرطبي قد ارتقى في سلم الولاية والطاعة الواجبة له الى مرتبة المعصوم الفاطمي من آل النبي .

فتح سبنة والدعاية الأموية الأندلسية :

والمهم انه ابتداء من فتح سبنة (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) (ص ٢٨٧) ، وتوطيد أقدام الجيوش الأموية على ساحل العدو الأفريقية بدأت لهجة الخطابات المتبادلة بين الناصر وأمراء المغاربة من البربر تتناول موضوع الخلافة الأموية الوطيدة كحكومة مركزية وحيدة للمسلمين ، من وجهة النظر الشرعية (القانونية) على الأقل . ففي الوقت الذي ينص ابن حيان على نفور أمراء الحسينيين (الأدارسة) من عبور سلطان الأندلس الى عدوتهم ، ومحاولة زحفهم الى سبنة واخفاقهم يسجل فصلا من رسالة بنى محمد بن ادريس الى الناصر ، فيه : فمرنا بما أحببت ، وناهض بنا من أردت ، فنحن جندك على أعدائك ٠٠ ولك العهود المؤكدة بالوفاء ٠٠ لأننا لم ندخل البلد عن افتتاج افتتحناه ٠٠ مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسين بن علي ، رضه ،

فى التسليم لسلفك (ص ٢٩٠ ، ٢٩٢) . فكان الأدارسة الحسنين يعترفون بشرعية أحلافه الأموية الأولى فى دمشق تأسيسا على تنازل جندهم الحسين للأمويين عن حقه فى الخلافة ، كما يعترفون بقانونية سيادة الناصر على بلادهم المغربية ، تأسيسا على أنهم ، بصفتهم علويين هم يقوموا بفتح تلك البلاد ، ذلك الفتح الذى تم على أيام الأمويين فى دمشق ، وبمشاركة أشهر ملوك المرwanيين : عبد الملك .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يهتبل عبد الرحمن الناصر الفرصة لكي يشيع بين الملوك البربر من أنصاره ، الوهم بأنه يعد العدة لطلب دولة أسلافه الأمويين (ص ٣٠٥) ، فكان الأمر يتعلق بعلم حدثان أموي معاكس لذلك الذى أقام عليه الفاطميون دولتهم فى المغرب ثم فى المشرق . والأمر الغريب أن الأمويين بالأندلس وقتئذ استندوا على نفس الأسس التى طالب بها الفاطميون عندما دخلوا مصر. التى تتمثل فى عجز خلافة بغداد عن حماية الحرمين ، وتأمين فريضة الحج من الخطر القرمطى ، وهو الأمر الذى يأتى فى مقدمة برنامجهم السياسى . ففى خطاب من الزعيم المكناسى ، موسى بن أبى العافية الى الناصر ، يشير الى أن الحدث الجلل فى المشرق ، الذى يتمثل فى استباحة القرامطة للكعبة وانتزاعهم الحجر الأسود من ركنه (سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) بعد سنة واحدة من اتخاذ الناصر للقب الخلافة ، يسمح لهذا الأخير فى السعى لاسترجاع ملك آبائه هناك (ص ٣١١) . ومن فصل فى كتاب آخر من قبل موسى بن أبى العافية ، يدعو الزعيم البربرى الى : « مجاهدة هؤلاء الخنازير ... الذين يجحدون نبوة محمد » ويتأولون كتاب الله تعالى على غير تأويله ، ويستحلون المحارم ، ويرتكبون الفواحش جهارا » (ص ٣٧٣) ، فكانه لا فرق بين الفاطميين والقرامطة من حيث أنهم جميعا اسماعيلية ، أبناء مذهب واحد .

الوجه الحضارى لكل من المغرب والاندلس :

والذى يسترعى الانتباه فى تلك المراسلات بين ملوك البربر المغاربة وبين الناصر ، الى جانب الولاية للناصر والحث على جهاد خصومه العلويين وأتباع مذهبهم ، هو الوجه الحضارى لكل من المغرب والاندلس الذى تكشف عنه تلك الرسائل ، ممثلا فى الهدايا المتبادلة بين أمراء المغاربة من الأولياء ، وبين الخليفة الأندلسى . فهدايا المغرب تتركز فى : « الحيل العدوية » (ص ٢٦٥ - هدية الحسن بن عيسى الادريسي) ، والنجب ودرق اللمط ، والافراس ، الى جانب ، وحوش الجنوب السودانى من : الأسود والسباع

والنعمائم (النعام) (ص ٢٦٨ - عن هدية محمد بن خزر) * أما عن هدايا الناصر ، من انتاج الأندلس - مما كان يباهى به المعز (فى المجالس والمسائرات) - فتتمثل فى : الملابس السنية من طرازه الخاص ، والتي يصل عدد قطعها الى خمسين قطعة فائقة القيمة ، والسيوف من جنس الأفرنجية المحلاة بالفضة والمنقوشة بالذهب ، الى غير ذلك من مناطق الذهب المنظومة بالآلئ الكبار والترايس المزيينة بأحجار الياقوت الرفيعة القيمة (ص ٢١٨ - عن هدية الناصر الى محمد بن خزر « الزناتى » ، وص ٢٩٩ - عن هدية الناصر الى ابن خزر ومنصور بن سنان) *

هذا ، الى جانب المعونات التي كان يطلبها أمراء المغرب من خليفة قرطبة ، مثلما فعل ابن أبى العافية عندما طلب بناء مدينة فى ساحل أرشقول ، فأرسل له مهرة العمال والعرفاء ، الى جانب ما طلبه الأدارسة من ارسال طبيب مداو ، وهو الأمر الذى يعنى أن المغرب حتى ذلك القرن الـ ٤ هـ / الـ ١٠ م ، لم يكن مستقلا حضاريا عن الأندلس التي كان لها نفوذها المدنى والثقافى فى العدو المغربية حتى قيام الدولتين : المرابطية والموحدية ، وهو الأمر الذى أصبح موضع جدل بين شباب علماء المغاربة الآن ، وهو الأمر الذى ما زال فى حاجة الى مزيد من البحث والتقصى لحسمه لصالح المغرب ، عن طريق الاتيان بالشواهد والبيانات الجلية ، اذا أمكنهم ذلك .

البيان لابن عذارى المراكشى (ت بعد ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) (٤١) :

يعتبر كتاب البيان لابن عذارى ، رغم تأخره النسبى مفيدا حتى بالنسبة لأقدم فترات تاريخ المغرب الاسلامى ، من الفتح الى قيام الأغالبة والفاطميين ، وحتى قيام المرابطين والموحدين وبنى مرين . وابن عذارى من هذا الوجه مؤرخ موهوب ، يفهم التاريخ على أنه التاريخ الشامل بمعناه الحضارى الذى يجمع ما بين أمور السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة ، فكأنه فى أحوال العمران والاجتماع الانسانى ، كما عند ابن خلدون ، وهو فى الحقيقة من مصادر ابن خلدون الذى أضرب عن ذكره فى بعض الأحيان ،

(٤١) البيان المغرب فى اخبار المغرب ، ج ١ (من الفتح الى القرن الرابع الهجرى / ١٠ م) تحقيق ومراجعة ج : س . كولان ، أ . ليفى برونسسال ، دار الثقافة ، بيروت . وكذلك ط : مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥٠ - التي سنعطيا رمز : « ط : بيروت » .

وابن عذارى يحسن اختيار أخباره في مظانها ، الأمر الذي جعل بيانه وثيقة تاريخية لا يستغنى عنها مؤرخ المغرب بالنسبة لأي عصر من العصور . فرغم ان مشروع البيان كان القصد منه كتابا مختصرا ، فإن المؤلف جمع لهذه وللمه من الكتب الجليله ، مقتطفا عيونها ، مقتضيا فنونها ، وواصل الأحداث بعضها ببعض من قديم وحديث (خطبة الكتاب ، ص ٢) .

وجهه النظر السنية :

ورواية ابن عذارى ، فيما يتعلق بالعصر الفاطمي ، تأخذ بوجهه النظر السنية المناهضة للدولة الشيعية الاسماعيلية ، ومع ذلك فهي تتصف بالاتزان من حيث انها تجمع بين الأخبار الشيعية الأصلية المستقاة من كتب النعمان وغيره من الدعاة ، الى جانب الأخبار الاباضية المعادية (من حيث المبدأ) والسنية الملتزمة (قبل الجماعة) . فابن عذارى يستقصى كل أخبار الفاطميين من شاردها وواردها ، على كل مستوياتها ، من أحداث السياسة والدبلوماسية والتراجم والمواليد والوفيات والكوارث الطبيعية ، وكل ذلك موثق بالتواريخ الأكيدة ، والتفصيلات المثيرة ، في توازن بديع . وهو في كل ذلك لا يغفل عن وجهة النظر التي يساندها ، وهي الموقف السني المعارض للتشيع الاسماعيلي . فهو فيما يتعلق بثورة أبي يزيد وتحالفه مع مشايخ أهل السنة بالقيروان يعزف عن الروايات الشيعية ، ويأخذ بالرواية السنية الخاصة بفقهاء أهل القيروان وعبادهم ، مما في كتاب ابن سعدون الذي سماهم رجلا رجلا ، ووصف اجتماعهم في المسجد الجامع ، وما معهم من الطبول والبندود المكتوب فيها آيات الجهاد (٤٢) .

(٤٢) ج ١ ص ٢١٧ - وابن سعدون هو أبو عبد الله محمد بن سعدون ، واسم تأليفه : « تمزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيجان الفتن وتقلب الأزمان » وهو معاد للفاطميين تماما ، اذ يكذب نسب المهدي العلوي ، ويرى أنهم قرامطة (ص ٢٨١) ، وهو في ذلك يقول : انه عندما مات المهدي لم يعرف القاريء ماذا يقرأ ، لأن الحجر الأسود كان لديه بالمهدية منذ أن أرسله اليه الجنابي القرمطي ، وأن القبر طرح جثة المهدي عدة مرات حتى رد ابنه النائم الحجر الى موضعه (ص ٢٨٤) - والمعروف أن الذي سعى في رد الحجر هو المنصور بن القائم سنة ٣٣٩ هـ . وتستمر رواية ابن سعدون المعادية حتى خلافة عبد المجيد بن المستنصر ، وحتى سنة ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م . أما عن دمار القيروان فمرجع ابن عذارى هو ابن شرف (ص ٢٨٨) .

كشف السياسة الفاطمية المفترضة :

وابن عذارى يعمل على كشف سياسة الفاطميين المفترضة . فعلى المستوى السياسى يبين كيف أمر المهدي بقلع اللوحات التذكارية التى وضعها الأغالبة على مبانيهم وكتب عليها اسمه (ج ١ ص ١٥٩) . وفى السياسة الدينية يوضح كيف أظهر المهدي التشيع القبيح ، وكيف أن مذهبه خالف السنة من حيث سقوط يمين الحنث عمن طلق البتة واحاطة البنات بالميراث ، كما يورد الشعر الذى يعبر عن الغلو فى تعظيم المهدي (انظر ج ١ ص ١٦٠) . وفى تبجيل المهدي وعصمته يتكلم عن علم الحدثن الذى كان يعرفه (ص ١٦٠) ، حتى بلغ الأمر حد تعظيم خيل المهدي التى قيل ان أروائها وأبوالها طاهرة (ص ١٨٤) .

المالية :

وفىما يتعلق بالسياسة المالية المتشددة التى اتبعها المهدي ، ينفرد ابن عذارى بالرواية التى تقول ان عبيد الله أمر بأن يكون الحاج عن طريق المهديّة لأداء ما عليهم من الضرائب ، بينما الطريق السوى الى الحج هو طريق مصر وليس طريق المهديّة (ج ١ ص ٨٦) .

هذا فيما يتعلق ببيان ابن عذارى عن المذهب الفاطمى ومؤازرته لأهل السنة . أما عن تسمين أخباره التاريخية القيمة فهو ما يظهر على طول الكتاب بالنسبة لأفريقية وأخبار صقلية بخاصة ، حيث يقدم معلومات مدهشة لا يتوفر لها نظير فى غيره من المصادر . وابن عذارى يستقصى أخبار صقلية على طول السنين ، ويكاد يجعل منها حوليات متكاملة منذ ثورة ابن قرقب ، عميل بغداد سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م (ج ١ ص ١٦٨) الى الانقلاب سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م (ج ١ ص ١٧٤) ، والغارات على جنوب إيطاليا فى سنوات ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، ثم فتح جنوة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م أول ولاية القائم ثم الاضطرابات التى عرفتها صقلية ما بين ٣٢٥ هـ / ٩٣٧ م ، ٣٢٩ هـ / ٩٤٨ م ، أثناء ولاية خليل ابن اسحق القاسية التى ألجأت الكثير الى الفرار الى بلاد الروم والتنصر هناك (ج ١ ص ٢١٥) .

الثورة الكتامية :

ومن أحداث العهد الزيرى التى يوردها ابن عذارى ما يشير الغرابة

حقاً ، مثل ثورة أبي الفهم الحراساني الداعي بكنامة ، الذي ضرب السكة واتخذ النقود رمز السيادة ، الأمر الذي أدى الى الانتقام منه انتقاماً مروعاً عندما قتل سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م حيث مثل بجسده فشويت كبده وأكلت ، بل وشرح لحمه وأكل من قبل عبيد الأمير (ج ١ ص ٢٤٣) ، الأمر الذي يجعلنا نفكر فيما إذا كان عبيد المنصور الزيرى من السودان هؤلاء قد استجلبوا من بلاد أكلة لحوم البشر - أم أن فى الأمر مبالغة اقتضتها فكرة الثأر من العدو بلوك كبده ، مما فى الشطرة الأولى من الخبر المروع .

المعز ونهاية التشيع :

وتبين رواية ابن عذارى أن ولاية المعز بن باديس كانت بمثابة بداية النهاية بالنسبة للمذهب الشيعى فى بلاد القيروان ، ابتداءً من سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م حيث مقاتل الشيعة ، أما عن قطع المعز بن باديس للدعوة الفاطمية من أفريقية (ص ٢٧٤) فيضع لها تاريخين أولهما فى سياق أحداث ٤١٧ هـ / ١٠٢٤ م (ص ٢٧٣) وثانيهما ، وهو الأقرب الى الصحة على ما نرى ، سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م (ص ٢٧٧) . أما عن وصول العرب الهلالية الى القيروان فكان سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م (ص ٢٨٩) - وهو الأمر المتفق عليه . والروايات هنا عن قطع الخطبة وما يتبعها من تبديل السكة وولاية العهد لتميم بن المعز بن باديس ، كلها منقولة من ابن شرف (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) ، وكذلك الأمر بالنسبة لغارات الهلالية على بلاد القيروان ، وهزيمتهم لعسكر المعز ، التى كانت موضوعاً ملحياً لشاعريهم على بن رزق (ج ١ ص ٢٩٠) .

وفى سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م كان انتقال المعز الى المهديّة تاركاً القيروان لينهبها العرب (ص ٢٩٤) . أما عن دخول النصارى (الصقليون) الى المهديّة سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وما فعلوه فيها من القتل والاحراق فقد استوعب ذلك أبو الحسن الحداد فى قصيدته التى أولها :

غزا حمانا العدو فى عدد هما الدما كثرة أو اللحف
جاءوا على غرة الى نفر قد جهلوا فى الجروب ما عرفوا

(ج ١ ص ٣٠١)

أما عن المرابطين فيرجع ابن عذارى الى كتاب (الأنوار الجلية فى الدولة المرابطية وكذلك : نظم الجمان فى أخبار الزمان) لابن القطان ، الى جانب

كتاب البيزق وكتاب ابن صاحب الصلاة ، وهى فى تاريخ الموحدين ، أى فى فترة « المطاولة » وهى الصراع بين الدولتين : المرابطية الزائنة والموحدية المقبلة .

البكرى (أبو عبيد عبد الله - ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) :

تعتبر القطعة من كتاب المسالك والممالك ، فى وصف أفريقية الشمالية للبكرى (نشر دى سنان De Slane ، الجزائر ، ١٩١١) ، أهم وثيقة معاصرة لحركة المرابطين فى بداياتها الأولى فى صحارى المغرب الأقصى على عهد الفقيه المالكي عبد الله بن ياسين (بعد سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م - ص ١٦٤) وحتى سنة ٤٦٠ هـ / ٦٧ - ١٠٦٨ م ، حيث كان أميرهم : أبو بكر ابن عمر (ص ١٧٠) .

مسرح الأحداث المرابطية :

ورواية الشكرى الجغرافى ، تقدم وصفا رائعا لمسرح الأحداث المرابطية ، على طول الطريق من وادى درعة الى الصحراء وبلاد السودان ، فيركز على طبيعة الصحراء التى تبدأ من وادى تارجا حيث التكوينات الصخرية الشبيهة بالصفاة التى يتجمع فيها الماء غير العذب (ص ١٦٣) والتى تتخللها المجابة الكبرى التى ينقطع فيها الماء فلا يظهر الا بعد مسيرة ٨ (ثمانية) أيام ، وذلك فى صحراء قبائل صنهاجة ، على بعد ٤ أيام فقط من أشهر مدن السودان الغربى وقتئذ ، وهى مدينة غانة (ص ١٦٤) .

أما عن سكان تلك الصحراء ، وأحوالهم المعاشية ، فأشهرهم بنو لتونة الرحل الذين يجوبون تلك الصحارى على طول مسيرة ششرين فى عرض شهرين (أى حوالى ٣ آلاف كم) ، ما بين السودان الغربى وبلاد الاسلام فى الشمال الافريقى . وبسبب الصحراء القاحلة فانهم لا يعرفون الحرث ولا الزرع ، وبالتالي فهم لا يعرفون الحبز ، وهو الأمر المستغرب ، وذلك ان معاشهم على الأنعام ، يأكلون لحومها ويشربون لبنها (٤٣) وفى ذلك يقول البكرى : « ينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا آكله الا أن يمر بهم التجار

(٤٣) ص ١٦٤ - واعداد اللحم عندهم يكون بتجفيفه ثم طحنه دقيقا يصب عليه الشحم المذاب والسمن ، وشربهم اللبن ، قد غشوا به عن الماء (ص ١٧٠) .

من بلاد السودان أو بلاد الاسلام فيطعمونهم الخبز ، ويتحفونهم بالدقيق «
(ح ١٦٤) •

وبعد لتونة تذكر قبيلة جدالة ، وبلادهم هي المنطقة من الصحراء
المتاخمة للبحر (المحيط) (ص ١٦٤) - بمعنى انهم يعرفون الصيد ،
ويمارسون النقل في البر والبحر ، كما تقضى ظروف البيئة وهو الأمر الذي
لم يتطرق اليه البكري ! كما لم يتطرق الى ذكر القبائل الأخرى من المشمين ،
مثل : مسوفة ولطة •

أما عن ثروات تلك الصحراء ، فهي غنية بحيوان اللط ، وهو حيوان
دون البقر له قرون متشعبة طويلة (أشبه بحيوان الرنة) ، ومن جلده
تصنع أجود أنواع الدرق (٤٤) • وتكثر بها أيضا دواب الفنك التي تتخذ
منها الفراء الثمينة ، والتي تحمل من هناك الى جميع البلاد (ص ١٧١) -
فكأنها « فيزون : Vison » تلك العصور • ويتوفر في تلك الصحراء
الملح في ذلك المنجم (المعدن) الذي يقع على مسافة يومين (حوالي ١٠٠ كم)
من الجابية الكبرى ، وهو يقطع في ذلك المنجم ، كما تقطع الحجارة (ص
١٧١) • هذا ، كما تكثر السلاحف هناك قرب جزيرة أيونا وأكثر معاش
أهلها من لحومها لفرط عظمها (٤٥) • ويعتبر العنبر الثمين من أهم ثروات
تلك الصحراء البحرية حيث يوجد على ساحل جدالة ، وخاصة في جزيرة
أيونا (ص ١٧١) •

جزولة ولطة :

وبعد ذلك هناك قبائل جزولة التي ينتسب اليها عبد الله بن ياسين من
جهة أمه ومساكنها في أقصى جنوب الصحراء ، المتاخمة لصحراء غانة (٤٦) •
وتأتى بعد ذلك قبائل لطة (ص ١٦٦) التي تنسب كما نرى ، الى حيوان

(٤٤) ص ١٧١ - وقارن كتاب الاستبصار ، ص ٢١٤ •

(٤٥) ص ١٧١ - حتى كان الرجل يدخل في محار ظهورها يتصيد في البحر كالقارب -

انظر الاستبصار ، ص ٢١٥ •

(٤٦) ص ١٦٥ - حيث قرية تاماناوت مستط رأس والده عبد الله بن ياسين • وقارن
شعيرة (محمد عبد الهادي) ، المرابطون ، ص ٢٩ - حيث يرى أن جدالة وهي نطق آخر
لكدالة وكذالة التي قد تنطق في شكل جزولة وكزولة ، فكان ابن ياسين من نفس قبيلة
بعض بن ابراهيم - حسبما يرى •

- ٤٤ -

اللمط - حسب مبدأ الطوطمية - الا اذا كان الحيوان هو الذى نسب اليها بمعنى الى بلادها ، مع اضافة سرطة ، وتريكة التى ربما كانت أصل الطورق(٤٧) .

النقاب والخفارة والجهاد :

وجميع قبائل الصحراء هؤلاء يلتزمون بوضع النقاب على وجوههم ، وهو فوق اللثام حتى لا يبدو منه الا محاجر العينين (١٧٠) .

وكان نشاط تلك القبائل يتلخص فى خفارة القوافل أكثر من نقل المتاجر ما بين بلاد المغرب شمالا وبلاد السودان الغربى جنوبا ، كما كانوا يشتغلون أيضا بالجهاد فى السودان حيث هلك زعيم لمتونة محمد تارشنى ، الذى كان معدودا ، الى جانب جهاده ، من أهل الفضل والدين والحق ، وحيث كانت قد استقرت بعض قبائل صنهاجة ، وهى تعمل على نشر الاسلام السنى هناك (ص ١٦٤) .

وعلى أساس الجهاد ونشر الاسلام السنى ، قامت تلك القبائل خلال القرن الخامس الهجرى/ ١١ م ، بحركة « النهضة » المرابطية التى يحلو لأستاذنا شعيرة أن يسميها بـ « التجدد » حسب المصطلح الخلدونى(٤٨) .

حركة الحق :

ويرى البكرى أن حركة الاصلاح المرابطية هى حركة الحق التى قامت على ٣ (ثلاث) دعائم ، هى : « رد المظالم ، وقطع المغارم ، والتمسك بالسنة » (ص ١٦٤) ، بدعوة عبد الله بن ياسين ، وزعامة يحيى بن ابراهيم الجدلالى .

(٤٧) شعيرة ، المرابطون ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٤٨) انظر محمد عبد الهادى شعيرة ، المرابطون : تاريخهم السياسى (٤٣٠ - ٥٣٩ هـ) ط٠ القاهرة ١٩٦٩ - وفيه الإشارة الى أن أهل الصحراء كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية والحديدية فى زماننا ، وأن حياة الصحراء اليوم تافهة بالقياس الى حياتها قديما ، فهذه حياة فقر وجذب ، وتلك حياة ثروة ونشاط - و ص ٩ - حيث المقدمة التحليلية ، وفيها تقييم ابن خلدون لحركة المرابطين الملتزمين على أنها حركة تجديد للقوى الاسلامية ، ص ٣٠ و ٣٣ و٤٢ - حيث يستخدم اصطلاح « النهضة » .

مراحل الحركة :

ونصوص البكرى لا توضح أين كان الرباط حيث دعا عبد الله بن ياسين الناس الى الانخراط فى الدعوة ولا وقت بنائه ، وان أشار الى الآتى :

١ - انقاد له فى بداية الأمر ٧٠ (سبعون) رجلا للتعلم ، من جدالة بطبيعة الحال .

٢ - وانه غزا بهم لمثونة فى جبلهم واستولى على أموالهم (ص ١٦٥) ، فكان دخول لمثونة فى الدعوة كان قهرا ، وبذلك قويت الحركة تحت زعامة يحيى بن عمر بن تلاجاجين بينما كان عبد الله بن ياسين مقيما بينهم وهو كاره لذلك حيث كان لا يستحل أكل لحماهم وشرب ألبانهم ، بل كان يأكل من صيد البرية .

٣ - بعد ذلك دخلت الدعوة فترة تأسيس حضرية عندما أمرهم ابن ياسين ببناء مدينة خاصة بهم ، سموها ارتننى ، حيث التزموا قواعد البناء الشرعية ، من عدم ارتفاع بناء البعض على بناء غيرهم . ولكن الأمر لم يطل كثيرا حتى دب النزاع بينهم وبين عبد الله بن ياسين بسبب تشدده فى تطبيق حدود الشرع ، وان قيل انهم ربما وجدوا تناقضا فى بعض أحكامه حتى انتهى الأمر بعزله وطرده وهدم داره (ص ١٦٦) .

٤ - وعندما عاد عبد الله بن ياسين بمؤازرة بعض الزعماء الدينيين (وجاج بن زلوى) ، تمكن من فرض زعامته ، فتخلص من المخالفين له ، وفرض سلطانه على الصحراء بدخول القبائل فى طاعته - ولا بأس أن تكون هذه المرحلة قد بدأت ببناء الرباط حيث تم تدريب الجماعة عسكريا وتأهيلهم دينيا وروحيا ، الأمر الذى حقق لهم النظام والتفوق على الخصوم ، والنجاح فى فرض تشريعات جديدة ، كان الهدف منها مصلحة الجماعة ، وان ظهرت مجحفة بالأطراف الأخرى (التى طبقت عليها) . فلقد فرض ضريبة الـ ١/٣ (الثلث) على أموال القبائل المختلفة ليطيب لأصحابها بذلك الثلثان ، وهو ما ألزمت به قبيلة لمطة نظير دخولها فى الدعوة . وتأكدت زعامة عبد الله بن ياسين حتى أنه كان يستطيع أن يعاقب الزعيم العسكري للجماعة ، وهو يحيى بن عمر ، لخروجه عن الحدود المسموحة له فى القتال ، عندما تقدم بنفسه وهدد الجماعة بتعريض زعامتها للخطر (ص ١٦٦) .

٥ - وهكذا أمكن لجماعة المرابطين المسلحين ماديا ومعنويا ، والملتزمين

بالنظام والطاعة تحقيق انتصارات متوالية في درعة (ص ١٦٦) وفي
سجلماسة (ص ١٦٧) .

٦ - وإذا كان نص البكرى يذكر بعد ذلك مخالفة بنى جدالة الى
ساحل البحر وتحصن الزعيم اللمتونى يحيى بن عمر فى جبل لتونة حيث
حاصرته جدالة سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ، فأغلب الظن أن النص مضطرب
هنا ، وأن المقصود بالخلاف بين جدالة ولمتونة ولجوء الأوائل الى ساحل
البحر ، هو ما حدث فى بداية الدعوة ، من الثورة على تشدد عبد الله بن
ياسين ، وليس بعد بدء فترة التوسع الكبير نحو الشمال .

الرباط عند البكرى :

وعيب هذه الروايات الخاصة بصنهاجه الصحراء انها غير محددة
التواريخ ، كما هو الحال بالنسبة لأخبار الهلالية وخاصة فى صراعاتهم مع
الزناتية ، أهل البادية فى تلمسان بعد أن اجتاحتها الدولة الصنهاجية فى
أفريقية ، من حيث أن تاريخ أحداثهم تلك هو نوع من الاخبار العربية الأولى
التي كانت تتداول شفاها ، ولم تدون الا عندما قبض الله لها ذلك ، مثلما
فعل ابن شرف والرقائق وابن الاثير والنويرى وابن خلدون . وبناء على ذلك
نرى أن اتخاذ الرباط يحدد بعد بناء مدينة ارتننى (رقم ٣) ، وحدثت
الوحشية بين عبد الله بن ياسين واللمتونيين ، فكان بناء الرباط على ساحل
البحر مع الجداليين ، ربما فى مصب السنغال مما يأخذ به البحث الحديث ،
وأنه يفضل أهل الرباط من الجداليين غزا قبائل لتونة الكثيرة العدد فى
جبلها (رقم ٢ ، رقم ٦) واتبع ذلك بقبائل لمطة (رقم ٤) الأمر الذى أدى
الى تكريس نظم الجماعة الدينية وآدابها الروحية وقيمها الأخلاقية ،
فواصلت انتصاراتها فى بلاد الشمال بدءا من درعة وسجلماسة وتيفريز
حيث قتل يحيى بن عمر سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ثم بلاد برغواطة فى أقصى
الشمال ، غرب الرباط وسبلا ، حيث كان مقتل عبد الله بن ياسين سنة
٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

ابن ياسين : مناقبه ونقاط ضعفه :

وهنا تتراوح الرواية فى تقييم الزعيم الروحى للمرابطين ، ابن ياسين ،
ما بين المنقبة التى تنسب اليه الكرامات ، من : كشف المياه فى الصحراء ،
وسكون تقيق الضفادع فى البحيرة عندما يتقدم اليها (ص ١٦٩) ، الأمر

اندى ترتب عنيه جعل قبره مزارا مكتظا بالمريدين (ص ١٦٨) . ومن الناحية الاخرى فقد كان للرجل نقاط ضعفه التي تمثلت فى حب النساء والاسراف فى الاقتران بهن والانفصال عنهن ، اذ كان يتزوج فى الشهر عددا منهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة الا خطبها لنفسه ، ولا يتجاوز بصادقهن ٤ (أربعة) مثاقيل (ص ١٦٩) .

هذا ، كما كان لابن ياسين ضعفه العلمى ، وهو الأمر المسموح به للفقيه فى مثل تلك الصحراء البعيدة ، المنقطعة عن العالم - رغم ما يراه شعيرة من أن أهل الصحراء فى تلك الأزمنة كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية والسكك الحديدية فى أيامنا ، وان حياة الصحراء قديما كانت حياة ثروة ونشاط (ص ٤٤ ، هـ ١ ، ٢) .

وهكذا يعدد البكرى ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام مثل : أخذ الـ ١/٢ من الأموال المختلطة (ليطيب لأصحابها الثلثان) ، واقامة الحدود على الداخل فى الرباط تكفيرا لذنوبه السابقة ، أيام الشباب ، وتأديب المتخلفين عن حضور الصلاة بالضرب بالسياط ، وهو ما كان يؤدى بالعوام الى القيام بالصلاة بغير وضوء ، جزعا من الضرب ، وكذلك ضرب من رفع صوته فى المسجد . واملاء أداء الصلاة فى كل وقت قبل اقامتها مع الجماعة (تعويضا لما سبق من التفريط ، ص ١٦٩ - ١٧٠) .

النظام الحربى :

أما عن نظامهم الحربى ، فقد عرف القوم بأن لهم فى قتالهم جلد ليس لغيرهم ، اذ يختارون الموت على الانهزام . وانهم يقاتلون على الخيل والنجب ، وأكثر قتالهم صفوفيا : بأيدى الصف الأول القنى الطوال للمداعسة والطعان ، وما يليهم من الصفوف بأيديهم المزاريق ، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقتها فلا يكاد يخطئ . ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبية ، وان أمالها الى الأرض جلسوا . . . ومن فر أمامهم لم يتبعوه .

معلومات وثائقية :

تلك هى الصورة التى يرسمها البكرى لحركة المرابطين فى صحاروات المغرب الأقصى الجنوبية ، فى الطريق الى السودان الغربى ، وهى معلومات وثائقية معتبرة ، وان افتقدت التحديدات الزمنية ، والتوقيت الذى لا يكون

ابدى ترتب عليه جعل قبره مزارا مكتظا بالمريدين (ص ١٦٨) . ومن الناحية الاخرى فقد كان للرجل نقاط ضعفه التي تمثلت في حب النساء والاسراف في الاقتران بهن والانفصال عنهن ، اذ كان يتزوج في الشهر عددا منهن ، ولا يسمع بامرأة حسنة الا خطبها لنفسه ، ولا يتجاوز بصدقهن ٤ (أربعة) مثاقيل (ص ١٦٩) .

هذا ، كما كان لابن ياسين ضعفه العلمى ، وهو الأمر المسموح به للفقهاء فى مثل تلك الصحراء البعيدة ، المنقطعة عن العالم - رغم ما يراه شعيرة من أن أهل الصحراء فى تلك الأزمنة كانوا أشبه بشركات الخطوط الجوية والسكك الحديدية فى أيامنا ، وان حياة الصحراء قديما كانت حياة ثروة ونشاط (ص ٤٤ ، هـ ١ ، ٢) .

وهكذا يعدد البكرى ما شذ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام مثل : أخذ $\frac{1}{4}$ من الأموال المختلطة (ليطيب لأصحابها الثلثان) ، وإقامة الحدود على الداخل فى الرباط تكفيرا لذنوبه السابقة ، أيام الشباب ، وتأديب المتخلفين عن حضور الصلاة بالضرب بالسياط ، وهو ما كان يؤدى بالعوام الى القيام بالصلاة بغير وضوء ، جزعا من الضرب ، وكذلك ضرب من رفع صوته فى المسجد . واملاء أداء الصلاة فى كل وقت قبل اقامتها مع الجماعة (تعويضاً لما سبق من التفريط ، ص ١٦٩ - ١٧٠) .

النظام الحربى :

أما عن نظامهم الحربى ، فقد عرف القوم بأن لهم فى قتالهم جلد ليس لغيرهم ، اذ يختارون الموت على الانهزام . وانهم يقاتلون على الحيل والنجب ، وأكثر قتالهم صفوفاً : بأيدى الصف الأول القنى الطوال للمداعسة والطلعان ، وما يليهم من الصفوف بأيديهم المزاريق ، يحمل الرجل الواحد منها عدة يزرقتها فلا يكاد يخطئ . ولهم رجل قد قدموه أمام الصف بيده الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبه ، وان أمالها الى الأرض جلسوا . . . ومن فر أمامهم لم يتبعوه .

معلومات وثائقية :

تلك هى الصورة التى يرسمها البكرى لحركة المرابطين فى صحراوات المغرب الأقصى الجنوبية ، فى الطريق الى السودان الغربى ، وهى معلومات وثائقية معتبرة ، وان افتتقدت التحديدات الزمنية ، والتوقيت الذى لا يكون

التاريخ بدونه تاريخا ، مما سبقت الإشارة اليه وذلك خلال الفترة الممتدة من سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م الى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ، حينما كانت الزعامة في تلك القبائل للأمير اللتوني أبي بكر بن عمر . وتصف الرواية وضع تلك القبائل في تلك السنة بأن أمرهم منتشر غير ملتئم ، وأن مقامهم بالصحراء ، وذلك في الفترة التي بدأت فيها الرئاسة تنقسم ما بين أبي بكر بن عمر في جنوب الصحراء ، ويوسف بن تاشفين في الشمال الذي ستؤول اليه قيادتها وحده ، بعد أن يبنى عاصمته الجديدة ، مدينة مراكش ، التي ستعطي اسمها للبلاد جميعا منذ ذلك الوقت .

العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) :

تقييم عام لنص غير محقق :

كتاب العبر لابن خلدون - رغم تأخره النسبي - مصدر أساسي بالنسبة لتاريخ المغرب والأندلس حتى بالنسبة لأقدم العصور ، من الفتح الى قيام الدول المستقلة الأولى . أما بالنسبة لعصره فهو مصدر أصيل لا غنى عنه ، اذ يقدم معلومات شاهد العيان ، ويستقصى أخباره من مظانها الأولية ، على مستوى المسئولين عن الدولة ، وعلى المستوى الشعبي حيث القصص « الفولكلوري » والشعر العامي . ولكن ما يؤخذ على نص ابن خلدون التاريخي أنه ما زال في حاجة الى تحقيق علمي ، يعهد به الى لجنة من المختصين ، تقوم بالنشر مع التحقيق على نفس النسق الذي قام به الدكتور علي عبد الواحد فيما يتعلق بالمقدمة التي حققها ونشرها في أربعة أجزاء قيمة ، فأسدى للمكتبة العربية جميلا جليلا .

ويكفي هنا أن نشير الى بعض الأخطاء ، من املائية وفنية ، مما يشيع في نص ابن خلدون في الجزء السادس الذي يبدأ بقصة دخول الهلالية الى المغرب ، كمقدمة لتاريخ البربر ، ثم يتناول دول المغرب الأولى ، من الأغالبة ، والرسامين ، وبنى واسول ، ودولة آل زيري الصنهاجية ، وآل حماد بالقلعة ، حيث نجد :

(برصليتن) بن حبوس ، بدلا من : يصليتين أو يصل (ص ١٣٠) ،
فشست بدعة الأمية بدلا من : (الأموية) (ص ١٣٢) ، (الى أن أردى) ،
بدلا من : الى ابن أروى (ص ١٣١) ، تغلب (ملكين) بدلا من بلكين
(ص ١٣٦) ، و (احفظ مدينة واشين) للتحصن بها ، بدلا من : واخط

مدينة أشير للتحصن بها (ص ١٥٣) ، الى غير ذلك مثل : الحبايز (الجنايز) ، محاييل (ميخائيل) ، فاس (قابس) ، بلباو (بلباز) الخ .

مشروع د . ابراهيم شبوح :

وهنا لا بأس من الإشارة الى مشروع الدكتور ابراهيم شبوح ، مدير دار الكتب التونسية حاليا ، القيم ، لاعادة نشر وتحقيق عبر ابن خلدون ، بناء على ما نظر فيه من النسخ انفريدة المخطوطة ، مما تزخر بها الدار ، والتي تبين أن النسخة الموجودة بين أيدينا الآن ينقصها أشياء هامة من نسخ دار الكتب التونسية ، حسبما لاحظته د . شبوح ، يعنى زيادة صفحات طويلة لكل بياض قد لا يستغرق الا سنتيمترات معدودات ، فى أقل من السطر . وبذلك يحقق مشروع اعادة تحقيق ونشر العبر هدفين عزيزين هما : تصحيح النسخة التى بأيدينا ، كما يستكملها بما فى النسخ المخطوطة الكاملة من الزيادات .

مصدر رئيسى للهلالية :

وابن خلدون مصدر رئيسى لتاريخ الهلالية من عرب هلال وسليم فى بلاد المغرب ، وذلك عن طريق التعرف شخصيا على أحفادهم من معاصريه ، فى القرن الـ ٨ هـ / ١٤ م ، ممن كان لهم دور هام فى الأحداث التى عرفت فى دول المغرب وقتذاك من المرينيين والحفصيين وبنى عبد الواد . فهو فى أنساب عرب برقة يرجع الى نسابتهم ممن شافهم (ج ٦ ص ٥) ، وفى انتصاراتهم الحربية على الصنهاجيين فى أفريقية ، يرجع الى ما سجله شعراؤهم فى قصائدهم الشعرية ، كما فعل ابن الأثير من قبل ، مثل : الشاعر الهلالى على بن رزق الرياحى ، الذى يقول :

وان ابن باديس لأفضل مالك لعمرى ولكن ما لديه رجال

ثلاثون ألفا منهم قد هزمتهم ثلاثة آلاف وذاك ضلال (٤٩)

(٤٩) انظر العبر ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على أن تلك الأبيات يمكن أن تكون لابن

شداد (الأمير الصنهاجى) ، وقارن ابن الأثير ، ط . تورنبرج (بيروت) ، سنة ١٩٤٢ هـ

ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث يختلف النص بعض الشيء :

وان ابن باديس لأفضل مالك لعمرى ولكن ما لديه رجال

ثلاثون ألفا منهم غلبتهم ثلاثة آلاف ان ذا لعل

وقارن طبعة بولاق ، ج ٩ ص ٢٣٦ ، وفيها :

ثلاثة آلاف لنا غلبت لهم ثلاثون ألفا ان ذا لعل

وبعد محاربة صنهاجة ، حارب العرب زناتة في منطقة تلمسان حيث كان يسود بعض أعقاب محمد بن خزر ، ووزيره الشهير الذي خلدته ملحمة الهلالية الشعبية : أبو سعدى خليفة اليفرنى (ج ٦ ص ١٦ « اليمرنى » ص ١٩ « الفتى ») ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة .

التوثيق :

وابن خلدون متأكد من صحة روايته عندما يعدد رجالات العرب من المهاجرين الأوائل مثل : حسن بن سرحان وأخوه بدر ، وفضل بن ناهض ، وماضى بن مقرب ، وسلامة بن رزق (من الأثبج) ، ودياب بن غانم (من بنى ثور) ، ومؤنس بن يحيى (من بنى مرداس) حيث ينص على أن هؤلاء الآخرين من مرداس رياح لامرأدس سليم ، ويحذر من الغلط فى هذا (ج ٦ ص ١٦ حيث موسى بن يحيى بدلا من مؤنس بن يحيى) .

أما عن الرواية التى تقول بأن زيد العجاج بن فاضل مات فى الحجاز أى قبل دخولهم أفريقية ، فهو يرى ان ذلك زعم يشك فيه (ج ٦ ص ١٦) . وأشيعار كل هؤلاء ، وعلى رأسهم زياد بن عامر ، رائداهم فى دخول أفريقية ، والذي يسمونه « أبا مخبير » هى التى تروى خبر الهجرة الهلالية (٥٠) .

هلالية برقة :

وابن خلدون يفرق بين الهلالية الذين دخلوا برقة بتحريض اليازورى أو الجرجاني (الجرجاني) قبله ، وبين أولئك الذين أقاموا ببرقة قبل ذلك على عهد الحاكم الفاطمى وكانت لهم خطوبهم مع الصنهاجيين مما سجله شعراؤهم فى أشعارهم العامية - مما يعرف الآن بالنبطية - مثل :

طلبنا القرب منهم وجزيل منهم	بلا عيب من عرب سحاج جمودها
وبيت عرت أمره منا وبينها	طرود انكاد الى يكوودها
ماتت ثلاث آلاف مرة وأربعة	بحصرمه منا تداوى كبودها

ومنها :

(٥٠) ج ٦ ص ١٦ ، وقارن ابن الأثير . ج ٩ ص ٥٦٨ - بحث النقر على أن زعيم العرب الأول ، هو : مؤنس بن يحيى المراداسى .

أيا رب جير الخلق من ناتج البلاء
وخص بها قررة مناف وعينها
الا القليل انجار ما لا يجيرها
ديما لا زياد البوادى تشيرها

(ج ٦ ص ١٨)

طرق الحكاية عند الهلالية :

وابن خلدون يعرض بعد ذلك لحكاية الهلالية ، من دخولهم الى افريقية وطرقهم في الخبر عنها ، الامر الذي تحول الى روايات أسطورية وقصص شعبية . والحكاية الشعبية للهجرة الهلالية تجعل البداية من بلاد الحجاز ، وليس من صعيد مصر ، وذلك عندما تزوج الشريف هاشم ، صاحب الحجاز ، أخت الحسن بن سرحان وهى « الجازية » ، بطلة القصة . فعندما حدثت الوحشة بينهم وبين صهرهم الشريف وأرادوا استرجاع الجازية لم يجدوا امامهم الا استخدام خيلة الرحلة للصيد حيث فوجئ الشريف بأنه فى غير مملكته فرجع الى مكة ، وبين جوانحه من الحب داء دخيل ، بينما استمرت الجماعة فى تغريبتها حيث ظهر على الجازية داء الكلف بزوجه الشريف حتى ماتت من حبه . وبذلك فاقت قصة الهلالية فى الحب العظيم كل عرفه العرب من ذلك اللون من أدب العشق والغرام ، مما عرف فى قصص : قيس وليلى ، وكثير وعزة ، مما يروى فى اشعار الهلالية ، مما هو : « مطبوع ومنتحل ومصنوع » .

من قواعد النقد فى الأدب الشعبى :

وهنا يصنع ابن خلدون قاعدة هامة من قواعد النقد فى الأدب الشعبى الذى يوسم بالأصالة طالما لم يقصد من البلاغة شيء ، بصرف النظر عما فيه من خلل الاعراب الذى يعتبره الخاصة من أهل العلم بالمدن « أصل البلاغة ، وليس كذلك » (ج ٦ ص ١٨) .

وحق لابن خلدون ألا يثق بالقصة الشعبية التى عاصرها فى القرن الثامن الهجرى / ١٤م ، والتى كانت قد تعقدت خلال تطورها على طول الأجيال ، من حيث أنه تتولد منها قصة حب عظيم أخرى فى افريقية عندما تزوجت الجازية من زعيم الأثبيج : ماضى بن مقرب ، وحدثت الوحشة مرة أخرى ، والحروب بين قبيلى الزوجين الحبيبين . والمهم فى كل ذلك ان الهلالية متفقون على صحة تلك الأخبار المتواترة بينهم جيلا بعد جيل « حتى ليكاد المستريب فى أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل » (العبر ج ٦ ص ١٨) .

وهكذا تتعدد أخبار الهلالية على طول الطريق في بلاد المغرب وعبر الأجيال ، ويختلط فيها التاريخ بالأساطير وهو الأمر الذي يدعو الى الكثير من الحذر .
فى التعامل مع تلك الأخبار ، كما تتطلب الاستفادة منها الكثير من الاستنارة العقلية ، بل ومن سلامة الحس ، وشفافية البصيرة أيضا .

ملاحظات منهجية :

وهنا نود الإشارة الى بعض الملاحظات المنهجية الخاصة بالمصادر .
مما تقدم ذكره :

١ - فيما يتعلق بكثرة المعلومات التى قد تظهر مرهقة فى بعض الأحيان نرى ان المعلومات الكثيرة عن الحدث الواحد قد لا تكون دائما مفيدة ، اذ قد يزيد اختلاف المعلومات وعدم تطابقها الأمر غموضا . ففى حالة الثورة الزناتية ، بقيادة مخلد بن كيداد ، مثلا ، قد تختلف وجهات النظر فى تعليل أسباب الثورة أو دوافع قيامها ، بين : سياسة قومية بمعنى رغبة المغاربة البربر فى التحرر من الحكم العربى ، أو سياسة دينية بمعنى ان المغرب السنى المتشدد فيما بين المالكية وبخاصة والأباضية كان يبحث عن الانعتاق من نير التشيع ، وهو ما يطلق عليه جورج مارسيه اسم الأزمة الفاطمية^(٥١) أو سياسية اقتصادية تتمثل فى رفض السياسة المالية والضرائبية المتشددة مما يظهر فى تجميع الأموال من كل المظان وبكل الوسائل ، من : العقوبات المالية والمصادرات ، والتشدد فى جمع الضرائب والدقة فى محاسبة العمال ، وعدم التساهل مع المدينين ضرائبيا (أصحاب التسييط) ، وابتكار أنواع جديدة من الضرائب مثل : ضريبة الحج (على أموال الحجاج) - وهو ما يرجحه ليتورنو (Le Tourneou) كسبب للثورة^(٥٢) .

٢ - وعندما تقل المعلومات على العكس من ذلك ، يكون الموقف أصعب . ويتمثل ذلك فى افتقاد المعلومات الشخصية عن الأئمة ، فلا شئ عن الصفات الجسمانية أو أسلوب الحياة اليومية ، أو الاهتمامات الخاصة - وهى الأمور المعروفة تفصيليا عن النبی ، وربما الى حد ما عن الامام على ،

(٥١) انظر كتابه : بلاد البربر والمشرق الإسلامى فى العصر البسيط (بالفرنسية) .

(٥٢) انظر بحثه عن أبو يزيد (صاحب الحمار) فى القرن الساسر ، دفاثر تونسية

(بالفرنسية) ج ١ ، ١٩٥٣ .

والذى كان يمكن أن يكون قدوة • ولا بأس أن يكون ذلك الحواء تركة عهود
الستر والكتمان فى مرحلة الغيبة ، وهى مرحلة الدعاية المستترة ، الأمر
الذى يستمر فى مرحلة الظهور بما تقضى به من حفظ المسافة بين الخلفاء
والرعية ، وهو ما تفسره جيوش العسكر والموظفين والخدم والحريم ، ممن
ملأوا تلك المسافة الفاصلة بين الامام ورعيته ، رغم ما يقضى به المذهب
الفاطمى من ضرورة معرفة الامام من أجل أداء واجبات الولاية ، من فروض
الطاعة وتقديم اموال الخمس •

٣ - وعندما تتضارب المعلومات أحيانا قد يصعب ايجاد الحل. فبقى
المسألة معلقة على أمل انتظار العثور على وثائق جديدة - وهنا يمكن الإشارة
الى بعض النماذج :

(أ) وفاة القائد الصقلبي ميسور الفتى فى اللقاء مع أبى يزيد
قرب القيروان فى ربيع سنة ٣٣٣ هـ / ٩٣٥ م ، ثم ورود اسمه بعد ذلك
فى عمليات عسكرية جديدة فى فاس - والأمر ما زال غامضا على الأقل
بالنسبة للشخصية الثانية التى ظهرت (بنفس الاسم) فى فاس • ولا بأس
أن يكون اسم الشخصية الثانية مسرور ، كما ترد فى بعض نصوص الداعى
ادريس وابن خلدون (أنظر فيما بعد ص ١٩٣ وهـ ٢) •

(ب) وفاة على بن حمدون الأندلسى فى العمليات العسكرية الأولى ،
بطريقة مفاجئة سنة ٣٣٤ هـ / ٩٣٦ م ، أمام أيوب بن أبى يزيد ، ثم ظهور
اسمه بعد ذلك فى عمليات جديدة على عهد ابنه جعفر بن على أمير المسيلة •
وهنا لا بأس أن تكون العمليات لعلى بن حمدون قبل وفاته ، وانها وضعت
خطأ فى غير موضعها الصحيح • فهذا ما تسمح به سمعة الرجل وحسن
بلائه فى قتال الشائر الزناتى ، وهو الأمر المفتقد فى النصوص ، والذى
ترتب على اللبس فى الاسم والكنية بينه وبين بعض بنيه •

(ج) وفاة موسى بن أبى العافية المكناسى التى يضع لها الكتاب ٣
(ثلاثة) تواريخ ، وهى : ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م ، ٣٤١ هـ /
٩٥٢ م ، ونظرا لعدم ذكر عمليات له بعد سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م فالمرجح أنه
توفى فى تلك السنة ، الأمر الذى تؤيده رسالة ابنه مدين الى الناصر
الأموى ، وهى التى يرد فصيل من نسختها فى مقتبس ابن حيان (ج ٥
ص ٤٢٧) •

٤ - الرواية الأسطورية ومنها :

المنقبية ، والقصة الشعبية :

(أ) كتلك التي ترتبت على علم الحدثان الخاص بالأئمة عند الفاطميين ، كما قيل عن بناء المهديّة من أنها أنشئت من أجل ساعة من نهار ، يصل فيها الناصر الزناتى الى بابها وهى الرواية التي انتقلت الى كتب الخوارج ، والهدف منها سياسى تربوى أصلا ، يتمثل فى الولاء للأئمة والاعتقاد فى عصمتهم ، وإن أخذت شكلا ساذجا ، ساخرا ، عند الأباضية (أنظر الدرجيني) .

(ب) ومثل هذا يقال عن الرواية التي تجعل من الزناتية موالى للامويين ، ومن الصنهاجية موالى للعلويين ، وتبالغ فى رابطة الولاء هذه والحث على التمسك بها الى درجة تجعل الخروج عليها خروجا عن الدين (المقتبس ، ج ٥ ص ٢٦٦) - وهى فى الحقيقة سياسية الهدف .

(ج) أما عن مناقب عبد الله ياسين زعيم المرابطين ، من الكشف عن الماء فى الصحراء عندما تعطش الجماعة ويتهدهدها الهلاك ، أو توقف نقيق الضفادع عندما يقترب من البحيرة فهى تدخل ضمن كرامات الأولياء وخوارقهم التي كانت قد انتشرت مع انتشار الطرق الصوفية وتبجيل الأولياء ، وإن كانت قصص هوايته زواج الجميلات من النساء مع الامساك فى دفع الصداق ، يوازن تلك المناقب المنسوبة الى الفقيه الأصولى ، المتشدد فى الأحكام (أنظر البكرى) .

والمهم فى كل ذلك أنه اذا كان للباحث أن يسقط من حسابه الرواية القصصية الموضوعة أو أن يكشف عما وراءها من أغراض دفينّة أو دروس مستفادة ، فإن الرواية المنقبية لها أهميتها كحدث تاريخى معنوى إبنية ، بمعنى ان له تأثيرا فى مجريات الأحداث .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن القصة الشعبية ذات الأصول التاريخية من حيث أنها تمثل الجانب المعنوى من حياة المجتمع الثقافية ، وميوله الوجدانية ، وقواه التخيلية والتعبيرية ، وهى الأمور التي يمكن أن يكون لها موضوعها فى اطار الدراسة التاريخية .

هذه لمحات فى موضوع المصادر حمنا بها حول موضوع المغرب الاسلامى ما بين الفاطميين والمرابطين ، عن طريق محاولة التعريف بمضمون بعض المصادر الأساسية عن شيعية فاطمية ، وأباضية خارجية ، وسنية تاريخية ، بقصد أن ذلك يمكن أن يعطى فكرة عن عناصر الموضوع ، بصرف النظر عن وضعها فى اطرها الزمنية ، وبيان العلاقات فيما بينها ، بما يسمح بتصور مساراتها الواقعية وتطوراتها الحقيقية ، وهو الهدف من الدراسات التاريخية التى يريد الجميع أن يعيد كتابتها بما يحقق الأهداف المنشودة منها . والهدف العلمى على كل حال هو الوصول الى الحقيقة .

الفصل الأول

عبيد الله المهدي ، أول الأئمة الخلفاء

(٢٩٧ - ٣٢٢ هـ / ٩١٠ - ٩٣٤ م)

شخصيته :

اختلفت الآراء في تقييم شخصية عبيد الله المهدي ، كما هو الحال بالنسبة لكبار الشخصيات التاريخية ، ممن كان لهم ذكر في أمور السياسة والدين أو الإصلاح الاجتماعي بشكل عام . ولقد تراوح ذلك الاختلاف عند المؤيدين والمعارضين ما بين التعصب الغالي والحقد المقيت ، مما راح بهم وغدا من حد التأليه والربوبية الى حد الاحتيال والتزوير .

وإذا كان الاختلاف في صحة النسب يعزى الى أسباب سياسية ومذهبية واجتماعية أو شخصية ، فانه يرجع أصلا الى مبدأ التقية الشيعي ، وما ترتب عليه من حياة السתר والكتمان التي عاشها الأئمة في حالة الغيبة . والحقيقة ان مبدأ التقية هو الذي يفسر أيضا ندرة الأخبار المتعلقة بصفات الأئمة الشخصية ، وعلى رأسهم عبيد الله المهدي بصفته أول الأئمة الظاهرين .

فالروايات التي تعرض لعبيد الله ، شابا يافعا ، عندما كان والده يضم أبا عبد الله الى جماعة دعائه الاثني عشر ، لا تعرف بشيء عن شخصه أو عن صفاته وهو ولي لعهد الامامة (الاستبصار ، ص ٢٠٣) . أما عن مسيرته الى مصر والمغرب ، وهو امام مستتر ، يلح أصحاب الأخبار في بغداد وفي القيروان ، في اماطة اللثام عن شخصه ، فلا يعرف الا انه كان مستترا بزى التجار ، وكذلك الأمر أثناء مقامه في سجلماسة (١) . ولا بأس أن

(١) هذا وان ظهرت رواية تجعله ، في مصر في زى الصيادين ، وبصحبته كلب كلف به ولي العهد الصغير ، ج ٢ ص ٥٨٧ ، ص ٥٨٨ والهوامش ، ص ٥٩١ .

تكون مظاهر النعمة البادية عليه وعلى أصحابه من الأسباب التي جعلته هدفا لغارات السلب والنهب التي تعرض لها على طول الطريق من برقة الى توزر ووارجلان (ج ٢ ص ٥٨٩ - ٥٩٠) .

أما في سجل ماسية فيظهر مع ولده أبي القاسم ، في صورة منقبة كولى صالح ، صاحب آيات وكرامات ، أو في صورة رجل دولة يجمع التفقه في العلم الى جانب الخبرة في السياسة والادارة (ج ٢ ص ٥٩٢) . وعند كشف الداعي عن شخصيته في سجل ماسية ، أعلن عبيد الله انه « المهدي بن المهدي ، سلالة الهداية » ، فاستحق ما يليق به من داعيته الذي انكب ليقبل منه اليدين والركبتين (ج ٢ ص ٥٩٦ - ٥٩٧) . وعند الخروج من سجل ماسية نحو القيروان ، نراه يلبس النفيس من فاخر الثياب ، ويفوح منه أريج الطيب ، وهو يمتطي صهوة فرس عتيق (ج ٢ ص ٥٩٧) ، بمعنى أنه كان في كامل عنفوانه ، وهو في نهاية العقد الرابع من عمره (٢) . وعند دخوله رقادة كان يرتدي ثوبا أدكن وعمامة مثله ، وتحت فرس ورد (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٨) .

أما عن صفاته الجسمية ، كامام ، فقد غلبت عليها الأسطورة الشعبية . فمن علاماته التي كان يعرفها الدعاة حسبا أذاعها الداعي بين الزعماء الكتاميين ، اثر سوء العلاقة بينهما ، والتي قد لا تتوفر في عبيد الله ، أن الامام يحمل بين كتفيه عبارة « المهدي رسول الله » . كما كان النبي يحمل بين كتفيه « خاتم النبوة » وأن من آياته أيضا أنه يطبع بخاتمه في الصخر الصلد (٣) .

ولا بأس أن تكون قصة العلامات التي يفترض أن تكون في المهدي

(٢) انظر الداعي إدريس ، عيون الأخبار ، ص ٧٧ - حيث الإشارة الى أنه كان يبلغ الـ ٦٣ عند وفاته سنة ٣٢٢هـ / ١٩٣٤م ، حيث كان مولده سنة ٢٦٠هـ / ٧٨٣م ، وابن حمادة ص ٢٦ - حيث عمره ما بين ٦٢ و ٦٣ سنة .

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦١ . ولا بأس من الإشارة هنا الى أن زعيم القرامطة سنة ٢٩٠هـ / ٩٠٣م ، وهو يحيى بن زكرويه الذي عرف بـ « الشيخ » الذي قتل وهنوا يحارب المصريين في باب دمشق في تلك السنة كان يزعم انه اذا أشار بيده نحو أعدائه انهزموا ، كما أن أخاه وخليفته الحسين كان يظهر شامة في وجهه ويزعم انها آية ، حتى عرف بـ « صاحب الشامة » الى أن انتهى به الأمر الى أن تسمى بـ « المهدي أمير المؤمنين » قبل أن يصلب في بغداد - ابن الأثير ، ط٠ لندن ، ج ٧ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٣١ .

الفاطمي ، قد ظهرت في أواخر سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م ، أثناء حملة الداعي بالمغرب (فيما بعد ، ص ٦٤) ، وانها كانت جرثومة للروايات التي غالت في وصف المهدي حتى شبهته بكبار الأنبياء ، وتطرفت حتى بلغت به الى حد التالية (فيما بعد ، ص ١٢٧ - ١٢٨) .

أما عن صفات عبید الله الموضوعية ، كما عرضها القاضي النعمان ، فمنها الكرم والجود بالمبال ، في حدود الاعتدال . أما الصفات الغالبة فهي الضبط والحزم الى جانب حب العدل (افتتاح الدعوة ص ٣٠٤) . وإذا كانت بعض الروايات تنسب اليه معرفة علم الخدثان مما يتعلق بمستقبل الأئمة (٤) ، فإن من المشهود له أنه كان عقلانيا ، يزن الأمور بحكم المنطق . فهو لا يستمع لكلام المنجمين فيما يحددونه من أوقات السعد والنحس (٥) . هذا ، كما عريف عنه الجدل في العمل وعدم الركون الى الأعمال المكتنية فقط في شئون الحكم والادارة ، بل انه كان يتابع الأعمال التنفيذية بنفسه ، أحيانا ، وكانت رياضة بدنية مفيدة . حدث ذلك عند اختيار موقع المهديّة حيث شارك بنفسه في الرحلات الاستكشافية الأولية ، كما كان يباشر بشخصه أعمال البناء ويصدر أوامره الى الصناع من غير وسيط (انظر فيما بعد ، ص ٩٥) . وهو في النهاية رابط الجاش ثابت الجنان ، حيث كان يبعث ولي عهده أبا القاسم على رأس قواته لمواجهة الثوار في كل مكان من اقاصي المغرب وكذلك في مصر ، رغم عاطفة الأبوة العارمة ، التي كانت تسمح له بالبقاء في حضرته مع كبار رجال الدولة والحاشية ، بعيدا عما كان يلاقيه من المضائبات في تلك الحروب (٦) ، ورغم وفرة من كانوا يكفونه مؤونه ذلك من كبار القواد .

(٤) فيما بعد ، ص ٩٢ - عن معرفة المهدي بما سوف يحدث بعد بناء المهديّة من ثورة أبي يزيد صاحب الحمار . وعن اخراج بن كملان الكتامين الى القيروان سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م كانه يتوقع منهم أمرا ، وهو الدخول في حلف أبي يزيد ، انظر ابن الأثير سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، ج ٨ ، ص ١٧٩ .

(٥) انظر الداعي ادريس عيون الأخبار ، ص ٢٥ - حيث النص على أنه لم يستمع الي نصيحة المنجم له بتأجيل سفره من سجلماسة الى القيروان يوم الاثنين ٢٢ من المحرم سنة ٢٩٧ هـ / ١٢ أكتوبر ٩٠٩ م ، حيث لم يكن الطالع مناسباً لوجوب الشمس والقوس والشمس في الميزان . . الا قرر السير « على اسم الله » .

(٦) انظر فيما بعد ، ص ٧١ ، ص ١٠٧ وص ١٠٨ ، والهوامش - حيث الإشارة الى مكانه عندما وصلته كتب أبي القاسم متأخرة بعض الشيء ، وهي تصف ما كان يلاقيه الأمير الشاب من عناء في حملته ضد ابن خنز ببلاد الزاب والجريد ، حيث ينسب الى المهدي أنه قال بهذه المناسبة انه لا يسهل عليه أن يفارقه يوما واحدا - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩١ .

وأمام مثل هذه الصفات المميزة . شخصية الامام الأول العارمة ، لم يكن من المستغرب أن ينص الداعي أدريس على خسوف القمر خسوفاً كلياً ، في تلك الساعة التي نوفي فيها المهدي من يوم ١٥ ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ / ٤ مارس ٩٣٤ م ، وإن كان خسوف الشمس قد تأخر مدة أسبوعين فلم يقع إلا في اليوم الـ ٢٩ من نفس الشهر (٧) . والمقصود هنا بكسوف الشمس وخسوف القمر ، بطبيعة الحال ، هو الرمز إلى ذلك النوع من الحدث الكوني المتمثل في انطفاء شعلة مؤسس الدولة القدوة ، والمخطط لسياستها على المستويات المختلفة بما يتناسب وطموحات الأئمة المهديين ، سواء في بلاد المغرب أو خارجها .

السياسة الداخلية :

تركيز السلطة بين يدي المهدي :

لما كانت الدولة الفاطمية قد قامت في بلاد القيروان ، وليس للامام من الأمر شيء ، رغم ما تقوله بعض الروايات من أن الداعي سلم إلى المهدي الأمر في سجنه (٨) ، كان من الطبيعي أن يعمل عبيد الله المهدي بعد إعلان خلافته ، على أن يمارس سلطاته حقاً بصفته صاحب الأمر الشرعي ، وإن كان ذلك على حساب داعيته المجاهد وأعوانه المخلصين من الكتامين ، وهو ما قضت به طبيعة الأشياء في ذلك الزمان - وربما بشكل نسبي في كل زمان ومكان - حيث كان قيام الدول على أكتاف الأنصار الذين عادة ما يلقبون جزاء سنمار . هكذا اختلفت سياسة المهدي منذ البداية عن سياسة الداعي . فبينما مال أبو عبيد الله إلى أسلوب الإدارة في سبيل اكتساب الأنصار حتى من بين صفوف الخصوم ، اعتمد المهدي سياسة الحزم والحسم ، المبنية على حق شرعية الحكم المهدي ، أولاً وقبل كل شيء . وهنا لا بأس من الإشارة إلى أنه ربما استغل مبدأ العصمة في سبيل تأكيد سلطانه المطلق ، وأنه إذا كان قد تشدد مع بعض الذين جاهروا بالانكسار ، فإنه تغاضى في بعض الأحيان عن مغالاة بعض المريدين ، ومبالغاتهم بعض الشعراء ممن رفعوه فوق مستوى البشر أو ممن اتخذوا

(٧) عيون الآخرة ص ٧٩ ، وقارن ابن حنابلة ، أخبار الملوك بني عبيد ، تحقيق جلول البدوي ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - حيث الكسوف في نفس الليلة .

(٨) ابن عذاري ج ١ ص ١٥٣ - ومن الواضح أن المقصود بذلك تقديم فروض الطاعة والولاء .

من حضرته قبله يتجهون اليها (انظر فيما يأتي ، ص ١٠٠ و ٩٥) . وإذا كانت تلك السياسة قد بدأت باحاطة شخصه بالمقرئين وأهل الثقة من الحجاب خاصة ، فانها هدفت أيضا الى استخدام أهل الخبرة من رجال الدولة السابقين . فهو يستخدم الأمراء الأغلبية أنفسهم ، فيما يصلحون له ، وخاصة في الحملات العسكرية^(٩) ، وهو التقليد القديم الذي يسمح عادة بالتخلص من الخصوم بطريقة مشروعة وان لم يعدم المهدي الوسائل التي كانت تسمح له بتصفية أعداد من بقايا الأغلبية في بعض الأحيان^(١٠) . وهو يستخدم رجال الادارة السابقين ، ممن عينهم الداعي من قبل ، أو من عمال الأغلبية ، وذلك في الوظائف الادارية والفنية من : الكتابة والادارة المالية وحكم الأقاليم .

وهنا لا بأس من الإشارة الى أن المهدي بدأ يمارس سلطته في سجناسه عندما عهد بولايته الى ابراهيم بن غالب المزاتي ، وأبقاه فيها على رأس حامية كتامية من ٥٠٠ (خمسمائة) فارس^(١١) .

كبار الأعوان :

وفيما يتعلق بقائمة كبار الموظفين الذين أحاط بهم نفسه ، فمنهم الحجاب وأولهم جعفر بن علي الذي اشتهر بالحجاب ، وأبو الحسن طيب ابن اسماعيل الذي عرف بالحاضن ، وكانا ضمن حاشيته الواصلين معه من سجناسه . ثم يأتي بعدهما في الحجابة : أبو أحمد جعفر بن عبيد ، وأبو سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السجلماسي^(١٢) .

ومن كبار أعوانه من رجال الدولة الأغلبية : أبو اليسر ابراهيم ابن محمد الشيباني البغدادي ، المعروف بالرياضي . في الكتابة . وعندما توفي في ١٦ جمادى الأولى سنة ٢٩٨ هـ / ٢٠ فبراير ٩١١ م ، عين مكانه

(٩) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤ .

(١٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ .

(١١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٤ - وانظر ص ١٥٦ أيضا حيث عدد الحامية ٢٠٠٠

(١٢) ألفي (فارس) . ولقد رجحنا الرقم الأول بسبب مركز المدينة الصحراوية المتطرف من حيث أنه يصعب وقف حامية كبيرة العدد من الفرسان بما يلزمهم من معدات وخدمات ، قارن الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٢٤ .

(١٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي ، الذي عرف بالدهاء وحسن الفهم ، وخاصة عند مواجهة الداعي والعمل على التخلص منه (١٣) ، الأمر الذي جعله يستحق في السنة التالية ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ، رئاسة ديوان البريد (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٩) الذي كان أشبه ما يكون بوكالة الاستخبارات في أيامنا هذه . ومنهم : أبو القاسم بن القديم ، في ديوان الخراج (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) ، ثم أضيف إليه ديوان البريد قبل أن يتخلص منه المهدي مع من تخلص منهم من أصحاب الداعي (١٤) ، لكي تؤول إدارة البريد إلى أبي جعفر البغدادي ، وكذلك أبو بكر بن القمودي الفيلسوف : في السكة . هذا ، كما كان من بينهم من أقرهم من عمال الداعي في وظائفهم ، مثل : الحسن بن أبي خنزير (١٥) ، في ولاية القيروان ، ومحمد بن عمر المروزي ، في قضاء القيروان . ويأتي في بقية القائمة أبناء العصبية القوية مثل : أبي جعفر الحزري ، على بيت المال ، وعبدون بن حناسة ، على العطاء ، وأفلح بن هارون الملوحي ، على قضاء رقادة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) .

وإذا كان المهدي قد سمح لنفسه بالاستفادة من خبرات رجال الدولة الأغلبية فإنه في نفس الوقت ، كان يعمل للقضاء تماما على ذكريات تلك الدولة ، بل وذكرى السابقين قبلهم من عمال العباسيين والأمويين . وهو يلجأ إلى حيلة ذكية وإن كانت تقليدية من قديم الزمان وتتلخص في نصب لوحات تذكارية باسم الحاكم المعاصر على الأعمال العمرانية للأمراء السابقين فقد أصدر المهدي في أوامره بـ « أن تقلع من المساجد والمواجل (خزانات الماء) والقصور والقناطر ، أسماء الذين بنوها وكتب عليها اسمه (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩) ، فكأنه كان يرى أنه صاحب الحق وحده في الحكم ، في الماضي كما في الحاضر - استنادا إلى مبدأ الشرعية الشيعي .

فتور العلاقة بين الامام والداعي :

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن في مسألة الوحشة بين الامام

(١٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ .

(١٤) افناح الدعوة ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(١٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٩ ، وانظر موسى لقبال ، كتابة ، حيث الإشارة إلى أن

بنى خنزير من ميلة أصلا .

- ٦٣ -

عبيد الله والداعي أبي عبد الله يتلخص في مدى مصداقية الداعي في دعوته للامام ، وهل يعنورها نوع من الشك والحقيقة أن النصوص صريحة في بيان اخلاص الداعي . في دعايته لعبيد الله الذي عرفه وليا لعهد الامامة عندما دخل في زمرة الدعوة الاثني عشر ، في العقد الثامن من القرن الثالث الهجري / ٩ م . وتظهر مصداقيته بشكل جلي في استدعائه للامام عندما انتشرت الدعوة في بلاد كتامة ، وبدأت حرب « المطاولة » مع الأغلبية تحقق أهداف الدعوة ، وذلك بخروج الأسرة الشريفة في الطريق الى المغرب ، في جراسة أبي العباس (أحمد) المخطوم ، الأخ الأكبر للداعي (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٨٢) . وتأكد الاخلاص للامام عندما كان لاجئا في سجلماسة ، حيث كانت الرسل تروح وتغدو بينهما وهي تحمل أخبار نجاح الدعوة للامام مع نصيبه من الأموال التي كانت تجمع من الأنصار أو تحصد في ميادين القتال (١٦) .

هذا ، كما كان الداعي مخلصا في استنقاذ عبيد الله من الاعتقال في سجلماسة ، كما كان واضحا في اعترافه بحقوقه عندما خر باشيا يقبل منه اليدين والرجلين . وان كان هذا الاحتفال في تعظيم الامال بمثابة أول شرح حقيقي في رابطة الولاء بين الامام والداعي ، اذ انزعج الأحرار من مشايخ كتامة ، اشفاقا على معلمهم الداعي وقائدهم من وطأة مثل هذا التذليل الذي رأوه جارحا لهم (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٩٦) ، وهو الأمر الذي تداركه المهدي عندما رجع الى القيروان حيث أكرم كتامة ، وأغدق على زعمائها الهدايا والأعطيات ، كما عهد اليهم بحكم الولايات الافريقية (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩) .

حتمية تاريخية :

ومع ان الوحشة بين الامام صاحب الدعوة شرعيا وبين الداعي قائدها بالأمر الواقع تعتبر من وقائع التاريخ الحتمية ، التي تعتبر نهاية أبي مسلم الخراساني الداعية العباسي ، من أروع نماذجها في تاريخ الاسلام ، فان النصوص هنا تلقى بتبعة فساد ما بين رجلى الدولة الكبيرين على عاتق

(١٦) انظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٥٦٥ - حيث كان للمهدي نصيبه من مفاتم وقعة قسنطينة سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، وخاصة من الدناير الأغلبية التي ربما كانت السبب في كشفه في سجلماسة واعتقاله - ص ٥٩٣ .

الأخ الأكبر للداعي ، أبى العباسي أحمد المخطوم . فرغم ما يعرف عن المخطوم من أنه كان متعصباً للدعوة ، متشديداً في نشر مذهب أهل البيت ، فالظاهر أنه كان يفعل ذلك حتى يحافظ على نصيبه إلى جانب أخيه الذي أنابه عنه في حكم البلاد ، عندما سار إلى سجلماسة لاستنقاذ الامام .

هكذا يجعل القاضي النعمان أبا العباسي لمخطوم من أخطر «المنافقين» على المهدي ، حيث كان يقول لأخيه : « ملكت أمرا ٠٠ فجت بمن أزالك عنه ٠٠ وكان أقل الواجب لك أن يدعك وما كنت فيه ٠٠٠ ويستغل ان شاء يشغل نفسه (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٧) . كما كان يقول لبعض رفاقه : « تركنا بناء بنيناه يسكنه غيرنا » (افتتاح الدعوة ، ص ٣١٧) . هذا ، كما ينسب إلى أبى العباس تحريض الدعاة وزعماء الكتامية على المهدي ، إذ : « طعن لهم في الامامة ، وأدخل فيها الشبهة » كما بين لهم استهانة المهدي بهم عندما انتزع منهم أموال ايكجان ، وعندما أدخل العبيد معهم في الخدمة العسكرية (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٩) . وتضيف الرواية أن أبا العباس ، وهو يحرض أخاه ومن استفسده معه من أصحابه ، كان يفعل ذلك على سبيل تخويفهم على أنفسهم . والذي يؤخذ على القاضي النعمان في روايته هذه ، أنه يهمل تحديد تواريخ تلك الأحداث ، وان كان من البين أنه ما كان لأبى العباس المخطوم أن يقوم بمثل تلك الأعمال التي تعتبر دعوة إلى قلب نظام الحكم ، كما يقال الآن ، إلا بموافقة أخيه الداعي .

الرأى في تغيير النظام :

والمعروف أن أبا عبد الله كشف عن رأيه في تغيير النظام في آخر سنة ٢٩٧ هـ / أغسطس ٩١٠ م ، وهي سنة استنقاذ الامام في سجلماسة . فبعد وصول الامام إلى رقادة خرج أبو عبد الله في حملة عسكرية لاقرار الأمور في المغرب ، في أواخر شوال أو أوائل ذى القعدة ، بعد عيد الفطر الذي حضر الاحتفال به مع ولى العهد بمصلى رقادة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠) . حيث ان وصول الداعي إلى مدينة تنس ، من المغرب الأوسط ، كان في ٢٧ من ذى الحجة / ٧ سبتمبر ٩١٠ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦١) . وإذا كانت انجازات الحملة العسكرية قد سجلها ابن عذارى في خبر خروج الداعي سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، حيث النص على ظهور الالتياث في المغرب ، وفساد الطرق ، وثورة القبائل ، وفي أن الداعي حقق أهداف الحملة حسبما ورد في كتبه التي قرئت على منابر أفريقية ، وفيها : اخمد القلاقل واخضع المدن النائرة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠) ، فان

يقية انجازات الحملة تأتي في سنة ٢٩٨هـ / ٩١١م حيث الحرب مع قبائل البربر ، من : مدينة وزنانة ، وقتل الرجال وسبى النساء وأخذ الأموال الى جانب احراق بعض المدن بالنار ، واخطار الامام بالكتب التي قرئت على المنبر ، قبل العودة الى رقادة بعد شهور كثيرة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٢) . أما عن الوقوف بموضع الثور من تنس فكان بمثابة استراحة انتهزها لدعوة زعماء قبائل كتامة للخروج على عبيد الله . ولقد اعتذر الداعي عن ذلك بأن أفعال عبيد الله القبيحة لا تشبه أفعال المهدي النسي كان يقوم بالدعاية له ، وأنه يجوز أن يكون قد أخطأ في التعرف عليه ، وأنه يمكن استدراك ذلك عن طريق كشف العلامات الموجودة بين كتفى الامام ، والتي كان يعرفها رؤساء الدعاة ، مما سبقت الاشارة اليه .

وبناء على ذلك تم الاتفاق على امتحان الامام عند العودة الى رقادة . وكان ممن دخل مع الداعي وأخيه في تلك المؤامرة : أبو زاكى تمام بن معارك الأجانى (١٧) ، وعروبة بن يوسف الملوسى (ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٦٢ ، ١٦٤) . وهارون بن يونس الملقب بشيخ المشايخ الازيايى (١٨) ، وأبو القاسم ابن القديم صاحب الخراج والبريد (١٩) .

توزيع أدوار المؤامرة :

ومن المهم أن الأدوار قسمت على الجماعة ، فكان على أبى زاكى أن يفتح داره للاجتماع (٢٠) . وكان على هارون بن يونس بصفته شيخ المشايخ ، أن يواجه عبيد الله بالشك فى امامته ومطالبته بتقديم الدليل على صحتها ان وجده (٢١) . أما ابن القديم فكان عليه أن يقوم بدور الممول للجماعة ، وذلك بفضل أموال كانت قد بقيت لديه منذ ولايته للخراج على عهد الأغالبة . واذا كان القاضى النعمان يفسر تأمر ابن القديم على المهدي بسبب خشنيته من أن يحاسبه على تلك الأموال التي كانت فى ذمته ، فإن ابن القديم يظهر

(١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ .

(١٨) افتتاح ، ص ٣١٠ - نسبة الى قبيلة ازاية وهى من بطون مسالته .

(١٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩ ، وقارن افتتاح الدعوة الدعوة حيث ديوان البريد بدلا من ديوان الخراج - ولا بأس أن يكون قد جمع بين الديوانين ، كما يحدث أحيانا حيث كان من مهام صاحب البريد (والأخبار) معرفة أحوال الخراج .

(٢٠) افتتاح ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ .

(٢١) افتتاح ، ص ٣١٠ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١ .

أيضا في شكل العميل المزدوج ، كما يقال الآن وذلك أنه كان في نفس الوقت يحضر « المنافقين » (المتآمرين) ليعتذروا للإمام عما بدر منهم (افتتاح ، ص ٣١٥) . أما عن عروبة بن يوسف فانه بعد أن دخل مع جماعة المتآمرين فيما عقدوه بينهم ، عاد وكشف سرهم للمهدي الذي كتب الأمر (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢) . وكانت مكافأته على ذلك أن عين رئيسا لفرقة المماليك من عبيد القصر (٢٢) . ولا بأس أن يكون سبب غدر عروبة بالجماعة ، ما كان بينه وبين أبي زاك من المنافسة الشديدة أو التحاسد ، إذ كان أبو زاك يقول : « لا والله لا أكون في قطيع أيام تقدمني فيها ابن راعي البقر » - يعنى عروبة بن يوسف (افتتاح، ص ٣١٧) .

التخلص من أبي عبد الله وجماعة المتآمرين :

والمهم ان رد المهدي على المتآمرين كان في البداية متأنيا ، يدل على رباطة الجأش ورجاحة العقل ، ولكنه عندما زال الشك باليقين كان في النهاية فاصلا ، يؤكد ما اتصف به الامام من الحزم والحسم . والحقيقة انه بينما كان أبو العباس متطرفا في عداوته للإمامة ظل أبو عبد الله ممثلا للطاعة ، لا يبلغ به الأمر الى درجة الجحود والنفاق ، الى « أن فشا أن أمير المؤمنين قد أنهى اليه ذلك » (افتتاح ، ص ٣١٠) ، وعندئذ بلغ الجدل الذي بدأه هارون بن يونس مع الامام الى حد القطيعة . ورغم ما تقوله رواية النعمان من أن الامام نجح في افحام شيخ المشايخ الکتامي ، الا ان عقوبة هذا الأخير كانت الموت (٢٣) .

وهنا قرر المهدي أن يتخلص من الداعي الذي « بدت عززته . . ووجبت حجته عليه . . . وحل قتله لمحاربته اياه » (افتتاح ، ص ٣١٤) ، ولكنه كعادته لم يتعجل النهاية إذ رأى أن يعزل أبا عبيد الله وأخاه عن أصحابهما ففرقهم في النواحي حتى يسهل عليه الانفraz بهما . فأرسل أبا زاك على رأس حملة الى قبائل هواراة في حيز طرابلس (٢٤) التي كانت

(٢٢) افتتاح ، ص ٣١٢ ، وعن اتخاذ المهدي للعبيد انظر ص ٣٠٣ .

(٢٣) افتتاح ، ص ٣١١ - حيث كان رد المهدي على شك هارون بقوله : « ويحك ، كنته أيقنتم ، واليقين لا يزيله الشك » . ويعلق النعمان على ذلك بقوله : « وهذا الذي ذكره (عم) أصل من أصول الدين ، وأنه حقت على هارون كلمة العذاب » . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١ .

(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٣ ، افتتاح الدعوة ، ص ٣١٥ .

ولايتها لعمه : أبى يوسف مكنون بن طيارة الأجاني : وأحكم المهدي التدبير فقرر أن يكون التخلص من زعماء الفتنة الثلاثة ، وهم : الداعي وأخوه المخطوم وأبو زاك دفعة واحدة ، رغم وجود أبى زاك بعيدا في طرابلس . كما رأى أن خير وسيلة لعدم إثارة قبيلة أجانة ، عصبية أبى زاك ، أن يعهد بتنفيذ العقوبة العظمى فيه الى عمه والى طرابلس ، الذى نفذ المهمة الثقيلة بمنتهى العفوية ، إخلاصا للإمام ، كما تقبل أبو زاك من عمه قرار الموت بما يليق بكبار القواد مثله ، من : رباطة الجأش ، اذ قال له : « يا عم أنفذ ما أمرت به » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤) .

وبمجرد وصول نبا قتل أبى زاك من طرابلس الى رقادة جوا عن طريق الحمام الزاجل ، وذلك فى أول ذى الحجة سنة ٢٩٨ هـ / ٣١ يولية ٩١٠ م ، كان المهدي يضع اللمسات الأخيرة للتخلص من الداعي وأخيه قبل أن يصلهما الخبر . فقد استدعاهما للقائه ، وكان اغتيالهما فى الطريق اليه خلف القصر البحرى برقادة ، وعلى يدى عروبة بن يوسف ، وجبر بن ناسب الميلي (٢٥) .

ورغم ترحم المهدي على الداعي لخدماته الجليلة ، ولعنه لأخيه أبى العباس المخطوم الذى أوردته موارد التهلكة ، فإنه وضع ان منهاج الحق لا يتجزأ ، وان احقاق الحق للرجل لم يمنع من احقاق الحق فيه . اما عن العقوبة العظمى التى نزلت بأبى عبد الله فهى تنقية له وتطهير (٢٦) .

وكان من الطبيعى أن يتحرز المهدي من الكتامين ، أنصار الداعي

(٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤ - حيث قال عروبة للداعي عندما استعطفه : أمرنى بتلك من أمرت الناس بطاعته ، وانخلعت له من الملك بعد توليته . وانظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ ، وقارن افتتاح ص ٣١٥ ، ٣١٦ - حيث تأريخ قتلها ضحى الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ٢٩٨ هـ / ١٩ فبراير ٩١١ م . ولقد رجحنا رواية ابن عذارى رغم تأخره ، إذ تراها أكثر دقة من نص القاضى النعمان الذى تنقصه التواريخ كثيرا . كما نرى أنه تحور مع مرور الوقت بسبب طول الستر والكتمان ، حيث لم ير النور الا فى وقت متأخر ، وكذلك الحال بالنسبة لكثير من المصادر الاسماعيلية التى لم تظهر متأخرة فقط . . . بل وفى . . . عمير مواطنها ، بعيدا ، فى الهند بخاصة .

(٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢ ، افتتاح ، ص ٣١٦ ، ٣١٩ - حيث الاشارة الى أن أبا عبد الله طهر بالعقوبة كما يتطهر الذهب مما تدخله من الغش بالذوبان فى النار ليصفو .

فاحتجب عنهم أياما ، قبل أن يؤمنهم ويستقبلهم متفرقين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٥) . هذا في الوقت الذي بدأت مطاردة بقية المتأمرين ومن يحوم الشك حولهم من أعوانهم ، بالعاصمة رقادة وبالأقاليم ، وكان منهم بعض أمراء الأغلبية السابقين (٢٧) . وكان أبو القاسم بن القديم من بين الفارين منهم ، ولكنه قبض عليه ، فيما بعد ، وقتل (افتتاح ، ص ٣١٦) .

موقف الكتاميين من مقتل الداعي :

كان من الطبيعي أن يكون ، لمقتل الداعي -أصداء حزينة في نفوس الكتاميين وقلوبهم ، الأمر الذي أدى إلى حقوة بين المهدي ومعظم القبائل الكتامية ، فمن عرفهم القاضي النعمان باسم « المنافقين » . أما عن أولئك الذين بقوا مخلصين للفاطميين منهم ، لنسب أو لآخر فكانوا قلة ، ومنهم الزعيم الكتامي أبو حليفة في جماعة من المشايخ ، وعلى رأسهم عروبة بن يوسف (افتتاح ، ص ٣١٢) ، والحقيقة أنه رغم اجتهد المهدي في الحفاظ على العلاقة المتينة بين كتامة وبين الدولة ، فمن الجلي أن اختفاء الداعي من مسرح الأحداث كان له نتائج سلبية على مجريات الأمور ، في كل من بلاد القيروان وكتامة ، حيث قبائل الأحرار من المعتزين بأياديهم البيضاء على الدولة . وكل ذلك نتيجة للدعاية السيئة التي قام بها كل من الامام والداعي في حق الآخر ، والتي ألقت بظلالها القاتمة على كل من الجانبين .

هكذا ساءت سمعة الكتاميين في القيروان وأفريقية ، وخاصة بين طبقات العامة وأهل الأسواق ، كما ساءت سمعة الدولة والامام في بلاد كتامة ، الأمر الذي تطلب من كل جانب منها أن يجد لنفسه بديلا عن الطرف الآخر . ففي الوقت الذي بدأ المهدي يعد العدة لاقامة نواة جيش خاص من المماليك البيض والعبيد السود لا يدينون بالولاء والطاعة إلا لشخصه (ماسبق ، ص ٦٦ و ٢٢ ، وبعد ١٠٥ - ١٠٦) ، كانت فكرة اقامة امام مغربي من بين أنفسهم تختمر في عقول الكتاميين وقلوبهم ، بدلا من ذلك الامام « المشرقي » . وظهرت نتائج سوء ظن كل فريق بالآخر في تلك الانفجارات الشعبية ضد الجند الكتامي في كل من القيروان وطرابلس ، والتي كان لها

(٢٧) افتتاح ، ص ٣٢٠ - عن جزع بنى الاغلب عندما بلغهم نبا مقتل الداعي ، واضطراب من كان منهم بالقصر القديم ، مدينة جدهم ابراهيم الاول « العباسية » ، وص ٣٢١ - حيث مجاهرته بالمقصية لولي الله (المهدي) الذي تركهم بعض الوقت ثم أمر باعتقالهم ، ص ٣٢٢ - حيث الأمر بالقبض عليهم وقتلهم وحبس من شذ منهم .

رد فعل فى بلاد كتامة ضد عبيد الله ، اعتبارا من اواخر سنة ٢٩٩ هـ /
يونيه - يوليه ٩١٢ م التالية لسنة مقتل الداعى .

مذبحة الكتامين فى القيروان :

فى ٢٠ شعبان من سنة ٢٩٩ هـ / ١٣ ابريل ٩١٢ م قام انفجار
شعبى رهيب فى اسواق القيروان ضد الكتامين ، ومنها انتشر الى ازمة
المدينة ، راح ضحيته حوالى الف رجل منهم (٢٨) . واذا كان السبب المباشر
لمذبحة الكتامين فى القيروان هو استطالة أحد الجنود الكتامين على بعض
تجار المدينة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) ، فمن الواضح أن مذبحة
الكتامين هذه ، وقعت مرتبطة بحركة التطهير التى قام بها المهدي فى
الجهاز الادارى ضد المتعاطفين مع الداعى من كبار الموظفين ، والتى راح
ضحياتها منهم : محمد بن أبى سعيد الميلي ، صاحب السوق (المحتسب) ،
وابن القديم (عبد الله بن محمد ، أبو القاسم) عامل الخراج (والبريد) ،
وغيرهم (٢٩) ، الأمر الذى قد يفهم منه أن ثمة علاقة سببية بين الحادثتين .
هذه العلاقة تتمثل فى وقوف أهل الأسواق ضد الجند الكتامين الذين كانوا
يسيئون الى التجار ، والتخلص من صاحب السوق ، وهو الأمر الذى
يؤكد ما قام به والى القيروان ، أحمد بن أبى خنيزر ، من تسكين الناس ،
والأمر « بتغيب القتلى الكتامين الذين طرخوا فى المراحض (٣٠) » .

(٢٨) ابن عذارى ج ١ ص ١٦٦ - حيث البعد أكثر من ١٠٠٠ (ألف) رجل ، وانظر
الحقائق والعيون ، لمجهول ، تحقيق نبيلة عبد المنعم ، ط٠ النجف ، ج ٤ ق ١ ص ٢٤٣ ،
وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٢ - حيث تحديد عدد القتلى من الكتامين بـ ٧٠٠ (سبعمائة)
رجل ، قتلوا فى ساعة واحدة .

(٢٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٧ - حيث اضافة : محمد بن أبى ترجال الباغاني ،
وأبو الوهب بن عمر بن زارة النبدي ، وأبو ابراهيم المعروف بابن البجوى القرشي الفهري ،
وجماعة من بنى الأغلب وقوادهم .

(٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦ . أما عن رواية القاضي النعمان (افتتاح) ص ٣٢٢ ،
(٢٢٣) التى تصف الكتامين بالأولياء ، فهى لا تحمل تاريخا ، كما تجعل من مذبحة الكتامين
شجارا عقويا بين بعضهم وبين بعض الفوغاء غير المنضبطين ، مما دعا المهدي الى الاعراض عنهم
لبعض الوقت قبل أن يعاقب بعضهم بمصادرة أموالهم .
ومن الواضح أن هذه الرواية تمثل وجهة النظر الرسمية من حيث أنها تضع الدولة فى
موقف الحكم الا اذا كان الأمر يتعلق بحادثة أخرى ، خاصة وأنها تربط بينها وبين مشاركة
فتها القيروان فى ثورة أبى يزيد مخلص بن كيداد ، صاحب الحمار ، الزناتى .

الثورة في بلاد كتامة :

هكذا كانت النتيجة الطبيعية للمذبحة - التي تدل القرائن على مشاركة بعض الرسميين في تدبيرها - هي عودة الجنود الكتامين العاملين في منطقة العاصمة رقادة الى بلادهم ، حيث أعلنوا الثورة على عبيد الله المهدي . وبلغ الأمر الى حد أنهم أعلنوا امامة أحد فتيانهم واسمه كادو بن معارك ، ولقبه الماوطنى ، نسبة الى عشيرته بنى ماوطنى ، من قبيلة أوسه (٣١) . والمهم أن الدعوة الكتامية المنشقة على المهدي في بلاد كتامة اتخذت شكل دعوة فاطمية جديدة ، اذ لقب الماوطنى بالمهدي ، وقدم الكتاميون له فروض التبجيل ، ونصبوا له الدعاة على النسق الذي قام به أبو عبد الله الداعى (الشيعى) من قبل ، بل وباسم أبى عبد الله نفسه الذى قيل انه حي لم يموت (٣٢) ، فكانه الامام « المستقر » ، وكان الماوطنى يقوم بدور الامام « المستودع » . وفى ذلك نسبت الروايات الشعبية الى الماوطنى أنه ياتيه الوحي ، و« كتبوا فيه شريعة زعموا انها نزلت عليه » ، وبالغت بعض تلك الروايات فقالت انهم : « اتخذوه قبله يصلون اليه » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) . هذا ، كما وصفت روايات الخصوم - تماما كما فعل خصوم الاسماعيلية - دعوة المهدي الكتامى بأنها دعوة اباحية ، تطبق نوعا من شيوعية النساء ، من : اباحة الزنا والمحارم ، الى جانب ما اشتملت عليه من « تخليط عظيم » (٣٣) .

والمهم أن المهدي الكتامية المضادة حققت نجاحا كبيرا في بلاد كتامة ، وفى منطقة القبائل الصغرى ، وكذلك فى بلاد الزاب حيث اجتاحت ميلا

(٣١) افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٤ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦ حيث تحريف الاسم الى « المارطى » ، وانظر الحداثى والعيون ، ج ٤ ق ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، حيث تحريف الاسم الى « الماوطنى » . وهنا لا بأس من الاشارة الى ثورة قامت فى كتامة سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م أى بعد قليل من مباشرة الامام لسلطانه . وتقص الرواية أن صاحب تلك الثورة عرفه بـ (بباب) وأنه اجتمع اليه عدد عظيم من قبائل البربر وأن عبيد الله كتب الى من يتمسك بطاعته من الكتامين بمحاربة الثوار الذين هزموا ، وتم أسر « بباب » كما قرئ . كتاب الفتح بالقيروان (ابن عذارى ج ١ ص ١٦٠) . ولا ندرى ان كانت لتلك الثورة علاقة بثورة الماوطنى ؟ .

(٣٢) افتتاح ، ص ٣٢٥ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، والعيون والحداثى ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥١ .

(٣٣) افتتاح ، ص ٣٢٥ ، وقارن العيون والحداثى ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥٢ .

وعلمت على جميع البلاد (٣٤) . هذا ، كما نجحت في مواجهة القواد الذين سيرهم عبيد الله الى هنا ، بل ان بعض هؤلاء القواد انضم الى الشواركتامين ، كما فعل صولات بن جنده مع رجال فرقته المائتين (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٧) .

وأخيرا تمكنت القوات الفاطمية التي سارت في ٢٥ رمضان سنة ٢٩٩ هـ/ ١٦ مايو ٩١٢ م ، بقيادة ولي العهد أبي القاسم ، من اجتياح بلاد كتامة حتى سواحل البحر حيث دخلت مدينة قسنطينة في ٢٣ شوال سنة ٢٩٩ هـ/ ١٤ يونيو ٩١٢ م ، ولكن بعد أن لقيت كثيرا من العناء ، ليس في حرب الشوار فقط ، بل وفي غدر الزعماء الكتامين وجنودهم الذين كانوا يحنون الى بني جلدتهم ، فيهربون الى الماوطنتي (٣٥) .

وإذا كان سقوط قسنطينة يعني نهاية الثورة ، اذ تمت الغلبة على الثائر عندما انهزم في ٣ من ذي القعدة/ ٢٢ يونيو ، ووقع بين يدي عروبة ، فان سياسة المدارة والملاطفة كان لها أثرها في اجتذاب أنصاره الذين قبلوا أمان القائم وانصرفوا اليه (٣٦) .

وهكذا أعاد أبو القاسم الأمن والهدوء الى بلاد كتامة ، وعاد بالدعي الماوطنتي الى رقادة حيث قتله المهدي (٣٧) .

(٣٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٧ ، افتتاح ، ص ٣٢٥ .

(٣٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٧ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، الداعي ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٢٨ - ٢٩ - حيث تفصيلات لا توجد في غيره من المصادر ، تنص على أن أبا القاسم الذي كان بصحبته عروبة بن يوسف الملوسي كان يتقدمه جيشان ، أحدهما بقيادة ذحار الملوسي ، والآخر بقيادة محمد بن يعلى . وفي معاناة ولي العهد وما لاقاه من هول الحروب في كتامة كان رد المهدي عليه في بعض رسائله متضمنا بعض أبيات من الشعر ، تعبر عن معاناته هو الآخر منها :

أصبح في كتامة ذا انفراد تقابلها قياما في قيام
والتد الحياة بخفض عيش معاذ الله والشهر الحرام

(وأنظر فيما بعد ص ١٠٨)

(٣٦) ابن عذاري ج ١ ص ١٦٧ ، افتتاح ، ص ٣٢٥ - حيث تنضح آفة التاريخ في شكل حويلات من حيث انقسام المعلومات على سنتي ٢٩٩ - ٣٠٠ ، وكان الأمر خاص بمملكتين مختلفتين ، وقارن العيون الحدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٥٢ - حيث النص على ان الزحف كان الى ميلة .

(٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٨ - حيث النص على أنه طوف بالمارطى وأصحابه أسرى على الجمال ، وعليهم القلائص الطوال المشهورة بالقرون والمصانع ، افتتاح ، ص ٣٢٥ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٣ ، والداعي ادريس ، ص ٢٩ .

ثورة شعبية على الكتاميين في طرابلس :

وما أن انتهت الثورة في بلاد كتامة أو كادت حتى عاصرتها في السنة التالية ، ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ، ثورة أخرى ضد الجند الكتامي في طرابلس . ورغم أوجه الشبه بين الثورتين من حيث أن كتاهما انتفاضة شعبية ضد الجند الكتامي ، فإن هناك من أوجه اختلاف أساسية بينهما . فبينما تمت ثورة القيروان ، ضد الكتاميين المتآمرين على الامام بتدبير بعض الرسميين ، كما توحى النصوص ، كانت ثورة طرابلس مناهضة للدولة ، ضد الكتاميين من الأولياء (المواليين) للمهدى ، وعلى رأسهم والى طرابلس : مكنون بن ضبارة الأجانى ، الذى كان من ثقة الامام حتى أنه كلفه بقتل أبى زاكى - ابن أخيه .

والحقيقة أن المهدي كان قد أرسل أبا زاك على رأس جيش كبير ، الى منطقة طرابلس للقضاء على ثورة قبائل هواة هناك بقيادة زعيمهم أبى هارون الهوارى ، الذى هدد المدينة بالحصار ، وبمشاركة من بعض القبائل الزناتية ومنها قبيلة لماية (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣) . وهكذا انتهز المهدي الفرصة للتخلص من أبى زاك مع أبى عبد الله ، مفترقين ، وهذا ما حدث (ما سبق ، ص ٦٧) بعد أن أغرق أبو زاك الثورة الطرابلسية في الدم (٣٨) .

ورغم ما تشير اليه الرواية من أن السبب في انتفاضة أهل طرابلس ضد الجند الكتامي هناك ، هو ما كان يسمح به ماقنون ، الوالى ، من « بسط أيدي بنى عمه من كتامة على الناس » حتى بلغ الأمر الى حد « تطاولهم الى الحريم ، فتحرك السواد ، ومدوا أيديهم الى من لقوا من كتامة فقتلوه » ، فالمهم هو أن ماقنون فشل في مواجهة الثوار الذين نجحوا في طرده خارج المدينة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨) ، وبصحبه : أفلح بن هارون الملوسى القاضى المعين من قبل المهدي (٣٩) . وانتهاز الطرابلسيون الفرصة وأغلقت أبواب المدينة وتخلصوا ممن كان بداخلها من الجند الكتاميين فقتلوه ، ثم انهم رأوا أن ينظموا أنفسهم تحت قيادة بعض الزعماء ،

(٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٣ - حيث هزم الثوار وفرق جموعهم ، وقتل كثيرا منهم . وبثت برؤوس كثيرة وأذان مفرطة لمن قتل ، فنصبت بركة .
(٣٩) الداعى ادريس ، عيون الاخبار ، ص ٣٠ .

ومنهم : محمد بن اسحق القرشي ، المعروف بابن القرلين^(٤٠) ، وأحمد بن نصر ، الباغائي^(٤١) .

ولم يكن أمام ماقنون سوى الالتجاء الى عبيد الله المهدي بركة ، حيث زوده بجيش جديد وسيره لحرب الشوار ، الأمر الذي استمر عدة شهور دون جدوى . وعندئذ انتهز المهدي عودة ولى العهد أبى القاسم من حرب بلد كتامة مظفرا ، ورأى أن يكلفه بمواجهة نوار طرابلس فكان مسيره الى هناك فى ٢ جمادى الأولى سنة ٣٠٠ هـ / ١٥ ديسمبر ٩١٢ م^(٤٢) .

استخدام الأسطول :

ولما كان الشوار قد استغلوا مركز مدينتهم البحرية وتمكنوا - بمساعدة الهواريين - من افشال ما ضرب عليهم من الحصار البرى ، وجد المهدي ضرورة أن تصاحب الحملة بعض قطع الأسطول ، فسير منها ١٥ (خمسة عشر) مركبا حربية . وكان من الطبيعى أن تصل قطع الأسطول قبل الحملة البرية ، لتجد مراكب أهل طرابلس فى انتظارها . ولقد أثبت الطرابلسيون أنهم بحارة مهرة ، اذ تصدوا لقطع الأسطول الفاطمى فأحرقوها وقتلوا من فيها من البحارة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ - ١٨٩) .

ولى العهد يحكم الحصار :

وعندما وصل أبو القاسم رأى أن يوجه نشاطه أولا الى قتال قبائل هوارية فى مواطنهم بطواهر المدينة ، وكانوا يمدون طرابلس بما يلزمها من الغلات بحرا (الداعى ادريس ، ص ٣٠) ، ثم انه اتجه الى طرابلس نفسها وشن عليها الحرب ، وأحكم حولها الحصار الذى استمر ٦ (ستة) أشهر (الداعى ادريس ، ص ٣٠) . ومن الواضح أن قطعاً جديدة من

(٤٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ - ولا ندرى ان كان المقصود بالقرلين ، لقب محمد بن اسحق ، له علاقة بالطائر المعروف فى طرابلس باسم قرلة (جولة) ، وهو مشهور بانتهازيته ونهمه الشديد ، الذى قد يؤدى الى هلاكه - أنظر كتاب الاستبصار ، ص ١٠٩ . الداعى ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٣٠ .

(٤١) الداعى ادريس ، عيون الأخبار ، ص ٣٠ .

(٤٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ .

الأسطول الفاطمي شاركت في الحصار من جهة البحر فهذا ما يفسر كيف ضاق الطرابلسيون بالحصار حتى أكلوا الميتة ، واضطروا الى طلب الأمان (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) ، وقبول شروط أبي القاسم التي تقضى باستثناء ثلاثة من زعماء الثورة - ربما كانوا يكونون مجلسا للحكم ، على ما نظن - منهم : محمد بن اسحق القرشي ، ومحمد بن نصر الباغاني ، وآخر غير معروف الاسم (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) .

التخلص من زعماء الثورة :

وعكذا يصبح دخول أبي القاسم مدينة طرابلس عنوة ، حيث تخلص ممن كان معه من الأغلبية وقوادهم (٤٣) ، كما أغرم أهل المدينة كل نفقات الحملة (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦) . كما ترك أمر تعذيبهم واستخلاص الأموال منهم الى القائد خليل بن اسحق - الذي سيفتخر فيما بعد بمذابحه في صقلية - وهو من مواليد طرابلس ومن أبناء جندها (٤٤) . وبعد أن عهد بولاية المدينة الى أبي مدين كناوة اللهيصى ، وجعل حباصة بن يوسف الملوسى معاوناً له (الداعي ادريس ، ص ٣٠) ، عاد على رأس جيوشه المظفرة الى رقادة ، يتقدمه زعماء الثورة الثلاثة الذين شهر بهم كما كان الحال بالنسبة للمواطنين وأصحابه ، على الجمال بالقلانس ، قبل أن يقتلوا (٤٥) .

الأحوال الداخلية :

الاضطرابات في الأقاليم :

هكذا يمثل الخلاف بين المهدي وبين الداعي أول أشكال السياسة

(٤٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ - حيث النص على فتح البلد عنفاً والفرار عن أهله ، وقارن افتتاح ، ص ٣٢٥ - حيث الإشارة الى أن أبا القاسم افتتحها بعد حصارها مدة وانه عفا عن عامتها ، وقتل أهل الخلاف من أكابرها ، واستصفى أموالهم .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ ، وأنظر عريب بن سعد ، صلة تاريخه الطبرى ، ص ٣٧ ، وأنظر التجاني ، الرحلة : ط ١ تونس ، ١٩٢٧ ، ص ١٧٢ .

(٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦ - الذى يلخص الرواية - رواية افتتاح الدعوة أصلاً - قائلاً ، وأخذ وجوه البلد عنده ، واستعمل عليه عاملاً وانصرف .

الداخلية التي انتهجها المهدي ، وتكون تصفية أبي عبد الله سببا في فساد العلاقة بين الدولة وبين عصبيتها الكتامية ، ذلك الفساد الذي انتقل الى المستوى الشعبى فشجع أهل أسواق القيروان على قتل الجند الكتامى ، وما ترتب عليه من اضطراب بلاد كتامة نفسها ، وما تلاه من انتفاضة عامة قام بها أهل طرابلس ضد الكتامين ، وجرأتهم على طرد ممثلى السلطة ، من الوالى والقاضى .

ولا شك أن انتشار مثل هذه الأخبار عن كتامة كان مما يشجع على إثارة البلبلة والاضطراب ، ليس فى الأقاليم المتطرفة وبين القبائل المعادية فقط ، بل وفى قلب أفريقية - مركز الحكم . وهذا ما كان يحدث فعلا فى تلك الفترة من مطلع القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، وإن لم تقتصر مواجهة الدولة لذلك بسياسة الحزم والحسم فقط ، بل وبما واكبها من استعراض للقوة مما تمثل فى المحاولات الأولى لفتح مصر .

انقلاب فاشل ضد المهدي :

فى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ - ٩١٥ م ، وهى السنة التى ولى فيها ديوان البريد ، وهو ديوان الخبر ، أبو جعفر البغدادي ، اتهم أحد القيروانيين ، وهو محمد بن أبى أيوب المعروف بأبى العاهة ، بمحاولة الثورة على المهدي . والظاهر أنه كان للرجل شركاء فى تلك التهمة ، وذلك أنه رغم اختفائه لبعض الوقت ، صدرت الأوامر بهدم عدد من الدور بالمدينة . ورغم أن الرجل سمح له بالظهور بعد أن قدم النصيح للمهدي فيما يتعلق بسياسته لأهل القيروان ، فإنه لم يسلم من عقوبة الاعدام بعد فترة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩) .

فتح برقة سنة ٣٠٢ هـ :

فى نفس الوقت الذى ثارت فيه طرابلس (٣٠٠ هـ / ١٢ - ٩١٣ م) ثارت برقة ولكن ضد حكم العباسيين . والظاهر أنه كان للفاطميين يد فى تدبير الاضطراب هناك عن طريق إثارة الأعراب الذين خرجوا مهاجمون حدود مصر . وكان ذلك بمثابة التمديد لثورة المدينة ذاتها التى أغرقت فى الدم ، من حيث اعتبارها خيانة تفتح حدود مصر للخطر الشيعى المحقق بها . وانتقم من الثوار بما يعبر عن الغيظ والتشفى ، اذ قطعت أنوفهم

وآذانهم وأرسلت الى بغداد(٤٦) .

وشجعت ثورة برقة عبيد الله على الاسراع فى محاولة غزو مصر .
ففى ٢٥ جمادى الآخر من السنة التالية (٣٠١ هـ / ٢٦ يناير ٩١٤ م) ،
سير حباسة بن يوسف الملوسى وبصحبه موسى بن عبد الرحمن الودانى ،
على رأس حملة نحو برقة التى كانت ضمن حدود مصر الادارية ، أى تابعة
للعلافة العباسية(٤٧) ، وبمجرد اقتراب العسكر الفاطمى من مدينة سرت
فرت الحامية المصرية نحو الشرق ، وكان يكفى اعلان الأمان لأهلها لكى
يدخلها حباسة دون قتال ، ويرسل كتاب الفتح الى رقادة حيث قرىء من
أعلى منابر افريقية(٤٨) . ومثل هذا حدث فى أجدابية ، اذ هرب الجنسد
العباسى (المصرى) ، ودخل حباسة المدينة بالأمان ، وكذلك كان الحال الى
أن دخل عاصمة الاقليم برقة ، بعد أن هرب منها قائد الحامية المصرية :
أبو النمر أحمد بن صالح ، لكى يدخلها حباسة فى ٧ رجب/ ٦ فبراير
٩١٤ م (الداعى ادريس ، ص ٣١) . وتطلب الأمر من المهدي أن يمد
حباسة بالجيش على طول الطريق (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) ، من
أجل اقامة الحاميات وتهدة البلاد - على ما نرى .

معاملة قاسية لأهل برقة :

ورغم دخول برقة بالأمان الا أنها لقيت معاملة قاسية من قبل
حباسة ، لاكثر من سبب حتى لجأت الرواية التى يقدمها ابن عذارى الى
التعميم ، فقالت : انه « كلما دخل مدينة قتل أهلها ، وأخذ أموالهم
(ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) . هذا ، ويمكن تفسير تلك المعاملة بتبعية
المدينة للادارة العباسية المعادية ، الأمر الذى دعا الى الشك فى تصرفات
بعض أهلها . من ذلك أنه قبض على جماعة من المتيسرين ممن كانوا يلعبون
بالحمام ، واتهموا بالتخابر مع عملاء العباسيين باستخدام ذلك الحمام
الزاجل ، وأساء حباسة استغلال ذلك فى سبيل استخلاص الأموال منهم

(٤٦) ابن الاثير ، ج ٨ ص ٧٤ ، وانظر للمؤلف ، مرقف لربا فيما بين قيام الفاطميين
بالقرب ونقلتهم الى مصر ، مجلة كلية الآداب الليبية ، مجلد ١ ، ص ٢٣٠ .
(٤٧) أنظر ابن الاثير (سنة ٣٠٠ هـ) ، ج ٨ ص ٧٤ - حيث الاشارة الى ورود الخبر الى
بغداد ، ورسول من عامل برقة ، وهى من عمل مصر ، وما بعدها ب ٤ فراسخ لمصر ، وما وراء
ذلك من عمل المغرب .

(٤٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ ، وقارن اختناج ، ص ٣٢٦ .

عن طريق التخويف بالاحراق بالنار(٤٩) •

فشل والى مصر فى استرجاع برقة :

ورغم قرار الحاميات المصرية (العباسية) أمام جيش حباسة فى أقاليم برقة التابعة لمصر ، فان والى مصر وقتئذ ، وهو تكين ، قام بمحاولة استرجاع برقة فأصدر الأوامر الى القائد أحمد بن صالح بالرجوع على رأس العساكر التى نجحت فى تحقيق بعض الانتصارات على جند حباسة(٥٠) ، الذى طلب النجدة من المهدي فأرسل اليه المدد بقيادة سليمان بن كافى الجيمي ، وعفيف بن كرادس ، اللذين خرجا من رقادة فى ٥ شعبان سنة ٣٠١ هـ / ٦ مارس ٩١٤ م (الداعى ادريس ، ص ٣١) • وفى النهاية كانت الغلبة لحباسة الذى حقق النصر على المصريين فى ٢٥ رمضان / ٢٤ ابريل ٩١٤ (٥١) • ولم تكتف القسوات الفاطمية بالنصر ، بل انها تابعت المنهزمين فى انسحابهم ، وقتلت الكثير منهم (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) •

والظاهر أن ذلك النجاح كان حافزا لكى ينزل حباسة المزيد من التنكيل بأهل برقة ، وخاصة أولئك الذين كانوا قد اتهموا بالاساءة الى الامام - عندما طالبهم برد ما كانوا قد أخذوه من ماله ومتاعه - وهم بنو حمال المزاتى وبنو عمومتهم - وهو فى الطريق من مصر الى سيجلماسة • ففى:

(٤٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ - حيث النص على انه أضرهم لهم نارا ، وأجلسهم حواليتها ، وأمر بأن تقطع لحومهم وتشوى ثم يطعمونها ، وقذفهم بعد ذلك فى النار ، وهى الروايات الأسطورية ، كما نرى التى نجد لها مثيلا فى موسى بن نصير فى فتح الأندلس • هذا ، الى ما تقوله الرواية أيضا من أنه قتل حوالى ألف رجل من أهل برقة غدرا ، عندما مناهم بالتوسع فى الرزق عن طريق تسجيل أنفسهم فى الديوان ، بينما أمر العرفاء الكتامين بأن يتعرفوا على هؤلاء المكتتبين عندما يحضرون لأخذ الأرزاق • وتضيف الرواية انه وضع كرسيًا وجلس فوق جثث القتلى ، الأمر الذى هال وجهاء البلد الذين أتوا بناء على دعوته - الأمر الذى يذكر بمذبحة الأمويين فى نهر ابن فطرس - حتى مات بعضهم رعبا من شدة الخوف ، ولم يكن أمامهم سوى اخضار ما طلب منهم من المال ، وقدره ١٠٠ (مائة) ألف منقال •

(٥٠) أنظر ابن الأثير ، سنة ٣٠٠ هـ ، ج ٨ ص ٧٤ - حيث النص على ورود الخبر الى بغداد ، ورسول من عامل برقة •• بخبر خارجى خرج عليهم ، وأنهم طغروا به وبعسكره ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ووصل على يد الرسول من أنوفهم وآذانهم شيء كثير • (٥١) الداعى ادريس ، ص ٣٢ - حيث الإشارة الى أن مدد رقادة ضل الطريق بسببه الضباب وأنه فوجى بعسكر أهل مصر ، ولكن المصريين هم الذين انهزموا •

السنة الثانية (٣٠١ هـ / ٩١٤ م) قام حباسة بقتل حارث بن حمال المزاتى ، واخيه نزار ، وبالغت الرواية المعادية للفاطميين ، على ما نظن . نبالت : انه « باع نساءهم ، وأخذ جميع أموالهم » (٥٢) .

ورغم ما توحى به الرواية من أن العقوبة التي نزلت ببرقة كانت بايعاز عبيد الله المهدي ، فإن أهل برقة عندما كتبوا اليه بما نزل بهم من القتل والسبي ومصادرة الأموال جاوبهم الامام معتذرا وهو يحلف بأنه « ما أمر بشيء مما ذكره ، الا فى النفر الثلاثة » (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠) . ولما كانت الرواية لم تذكر من قبل سوى قتل ابني حمال المزاتى فقط ، فلا بأس أن يكون الثالث هو حمال نفسه ، الا اذا كان قد توفى من قبل . وتبعاً لأوامر عبيد الله المهدي رحل حباسة عن برقة ، ولكن فى اتجاه مصر ، حيث حارب بعض الحصون المجاورة ، فكان فتح برقة والأقاليم المتاخمة لمصر منها ، كان تمهيدا لأول حملة يسيرها المهدي نحو مصر ، وذلك أن أبى القاسم ، ولى العهد ، خرج من رقادة فى أواخر نفس السنة (٣٤ ذى الحجة سنة ٣٠١ هـ / ٢١ يولييه ٩١٤ م) ، وفى حشود عظيمة من كتامة وأهل أفريقية فى طريقه الى برقة ومصر ، عبر قابس وطرابلس وسرت (٥٣) .

محاولة فتح مصر :

ولا بأس أن يكون عبيد الله المهدي قد رأى أن يستغل النجاح الذى حققه حباسة ببرقة حيث لم تقم القوات المصرية (العباسية) بمقاومة تذكر ، فقرر أن يكمل ذلك بمحاولة طرق أبواب مصر نفسها . فهذا ما يفسر اختلاف الروايات فيما وقع من الخلاف بين أبى القاسم الذى آلت اليه القيادة العليا للحملة وبين حباسة الذى أراد استغلال الظروف التى واثته فى برقة . ورواية الداعى ادريس ، شبه الرسمية ، بتفصيلاتها الدقيقة تؤكد أن أبى القاسم ولى العهد ، كتب الى حباسة بأمره بعدم الرحيل والانتظار فى برقة حتى وصوله ، ورغم ذلك فإن حباسة لم يطق على ذلك صبرا ، وتقدم نحو المشرق على أمل أن يكون فتح مصر من نصيبه (الداعى ادريس ، ص

(٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٠ ، وقارن للمؤلف ، موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين على أفريقية ونقلتهم الى مصر ، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، مجلد ١ ، ١٩٥٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ١ .

(٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧١ ، الداعى ادريس ، ص ٣٢ .

(٣٢) • وهكذا فعندما غادر أبو القاسم سرت في ٣ صفر سنة ٣٠٢ هـ / ٢٨ أغسطس ، ليصل الى اجدايبة في ١٢ صفر ٦٠ سبتمبر) ، كانت كتب حباسة ، الذى كان قد دخل الاسكندرية فى اليوم السابق (١ صفر / ٥ سبتمبر) تصف له دخول قواته اقليم الحنية ، وهرب أبى الدلفاء ، قائد الحامية المصرية هناك ، رغم أنه كان بصحبة والى برقة الجديد خير المنصورى ، وواليتها السابق : أحمد بن صالح (الداعى ادريس ، ص ٣٢ - ٣٣) •

خلاف حباسة وأخيه عروبة والى تاهرت :

وهذا ما يفسر كيف ان حباسة لم يستطع التكيف فى الخدمة تحت قيادة ولى العهد اذ أسفر الأمر عن هربه ، عندما استدعاه من قيادة جبهة مصر (القسطنطين) التى عهد بها الى القائد أبى فريدن ، ليعمل تحت قيادته المباشرة فى اليوم • اذ غضب حباسة لذلك وسار هاربا فى ٣٠ (ثلاثين) فارسا من بنى عمه نحو المغرب ، تتبعه أوامر أبى القاسم الى عمال الطريق برصده والقبض عليه ، كما كتب الى أبيه الامام بذلك • ونجح حباسة فى الوصول الى برقة وطرابلس دون أن يدرى به أحد ، ولكن أمره انكشف فى نفراوة ، غرب طرابلس • واذا كان أصحابه قد نجحوا فى الفرار فانه تم القبض عليه ، وقيد وحمل الى عبيد الله الذى أمر بحبسه وكذلك جميع أهله (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٢) •

ولقد استتبع هرب حباسة فرار أخيه عروبة خائفا أو متواطئا ، من تاهرت الى جبل أوراس ، حيث قبض عليه • وكانت نتيجة ذلك مقتل الأخوين جميعا سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٢) ، بعد ما قدماء للدولة من جليل الخدمات ، فكأنهما كررا سيرة أبى عبد الله الداعى ، ولقيا نفس جزاء سنمار (٥٤) •

(٥٤) ولا بأس من الإشارة هنا الى ما فعله المهدي من قطع رؤوس الآخرين وجميع قرابتهما وكتابة بطاقات بأسمائهم وتعليقها فى آذانهم ، والأمر بطرحها بجامع الاسكندرية سرا • وأنه قيل ان المهدي عندما نظر الى رأس حباسة وعروبة ، قال : « ما أعجب أمور الدنيا ، هذه الرؤوس ضاق بها المشرق والمغرب وحملتها هذه القفة » (ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٧٢) ، وقارن الميون والمدايق ج ٤ ق ١ ، ص ٢٥٩ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٠ - حيث النص على مخالفة عروبة بالقيروان واجتماع خلق كثير اليه من كتامة والبرابرة وان المهدي أخرج بهم مولاه فلما فاقتلوا فى محضر القيروان حيث قتل عروبة وبني عمه • وهذا ، ويمكن أن نفس هذا العمل عن مئذير الغيظ من غدر القاندين الكتامين أثناء الحملة على مصر ، وتواطئهما مع

والمهم في الأمر أن أبا القاسم تبع حباسة راجعا من الفيوم (في ١٠
ذى القعدة ٣٠٢ هـ / ٢٧ مايو ٩١٥ م) ، عندما علم بوصول قائد الخلافة
العباسية ، مؤنس الحادم . ولما وصل برقة خرج إليه أهلها يهتفون
بالسلامة ، فحاول أن يطيب خاطرهم بالقول : انه انما رجع خصيصا في
طلب حباسة ليعاقبه على فعله بهم . وبعد أن أمرهم باصلاح ما كان قد
تشعث من تحصينات مدينتهم ، استخلف عليهم بعض رجاله من الكتامين
(ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٢ - ١٧٣) - فكأنه جعل الحكم هناك لمجلس من
عدة أشخاص ، وليس لرجل واحد ، هو الوالي . ولكنه بمجرد أن عرف
أهل برقة انه رجع من مصر مهزوما ، ومعه حباسة بطبيعة الحال ، بادر
الغوغاء منهم الى من عندهم من الكتامين فقتلوهم (ابن عذارى ، ج ١
ص ١٧٣) .

عصيان أهل برقة وعقوبتهم :

وهكذا كان على المهدي أن يواجه عصيان برقة بعد فترة وجيزة من
دخولها تحت حكمه ، وأن يخضعها من جديد على يدى قائد كتامي آخر من
الموالين له ، هو أبو مدين بن فروخ اللهيصى ، الذى سار اليها فى سنة
٣٠٣ هـ / ٩١٦ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٣) . ولم تكن مهمة أبى مدين
سهلة ، اذ امتدت حرب المدينة العتيقة حوالى ١٨ (ثمانية عشر) شهرا ،
عانت فيها من شدة الحصر والحريق بالنار حتى فنى أكثر أهلها . وعندما
سقطت سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٨ م استصفيت أموالهم ، وسيز زعمائهم الى رقادة
حيث أمر المهدي بقتلهم (٥٥) . وبقي أبو مدين فى ولايته على برقة حوالى ٣
(ثلاث) سنوات الى وفاته سنة ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م (ابن عذارى ، ج ١
ص ١٨١) .

المصريين ورجال الخلافة العباسية ، الأمر الذى قد يردع هؤلاء الآخرين عن معاودة مثل هذا
العمل . والحقيقة أن النص الذى يورده ابن الأثير والذى ينسب الى عسكر برقة المصرى
(العباسى) أنه عندما حقق بعض الانتصارات على الجند الفاطمى ، قطع أنوفهم وآذانهم وبعث
بها الى ديوان الخلافة ببغداد (أنظر فيما سبق ص ٧٧ وهـ ٥٠) . الأمر الذى يعنى ان مثل
هذا العمل الذى بدأ به عبد الرحمن الداخل عندما حقق النصر على الداعية العباسى ، العللاء
ابن مغيث ، كان قد أصبح عملة دارجة فى ذلك الوقت .

(٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ ، وقارن افتتاح ، ص ٢٦ - حيث النص على افتتاحها
وقتل أكابر أهلها من المخالفين .

أخطر دواس فحبسهم في حصن برفجانة المعروف بتاهرت القديمة ، فان ذلك لم يمنع محمد بن خزر من مهاجمة المدينة والاسنيلاء على بعض أرباضها ، الأمر الذي أدى الى هرب دواس والتجائه الى ابن حمة ، صاحب القلعة (برفجانة) والى قتل المحبوسين من بنى دواس في حصن برفجانة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٥) . والمهم أن أهل تاهرت نجحوا فيما فشل فيه واليه ، فحاربوا دفاعا عن مدينتهم حتى هزموا محمد بن خزر ، ومن ثم كاتبوا دواس الذي رجع الى ولايته (٥٧) .

هرب محمد بن خزر الى الصحراء :

وكان موكب الامام والداعي قد وصل الى مدينة « أربا » في اتجاه أفريقية عندما أتت الأخبار بتهديد محمد بن خزر لتاهرت ، ولكنهم عندما غيروا مسارهم نحوه ، هرب الى الصحراء وتوغل في مجاهل بحار الرمل (٥٨) .

ثورة تاهرت :

وهكذا استقرت الأمور لصالح الامام لمدة سنتين قبل أن تدور الأحداث في تاهرت بشكل معكوس اذ ثار التاهرتيون على عاملهم دواس ، وألقوا به هزيمة منكرة ، اذ قتلوا معظم رجال حاميته المكونة من ألف فارس ، واضطروه الى اللجوء الى حصن تاهرت القديمة (برفجانة) . وحينئذ استدعوا محمد بن خزر ليلى أمر البلد . ورغم ما أظهره من التشفي في دواس ، اذ : برزوا اليه بأمر دواس وعياله وسلاحه ، فسرعان ما اتضح للطرفين عدم الانسجام فيما بينهما الأمر الذي زهد ابن خزر في الولاية ، فترك تاهرت وانصرف من حيث أتى (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) .

وعهد عبيد الله المهدي بولاية تاهرت المهزومة الى صلالة بن حبوس المكناسي ، وبذلك عاد دواس بن صولات (الكشامي) كسير الجناح الى رقادة

(٥٧) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٥٥ - حيث النص خطأ على أنهم قتلوا محمد بن خزر .
(٥٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٦ ، وقارن الداعي أدريس ، ص ٢٥ وما بعدها حيث النص على أن الامام علم بهجوم محمد بن خزر على تاهرت عندما وصل الى المدينة ، بمعنى أن مدينة « أربا » كانت بين أعمال تاهرت . والرواية تقدم تفصيلات لا توجد في غيرها ، من : المسير من تاهرت الى مريض تاهرت ، وتسمير القوات الى قبيلة صدينة والنزول في متابيت ، قبل الوصول الى إيكجان حيث أقام ٣٠ (عشرين) يوما .

حيث كان جزاؤه القتل ، ولكن بعد حين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٦) ، دون. أن تمنعه خدماته من انزال العقوبة العظمى به . فأبو حميد دواس هو الذي نشر التشيع في منطقة تاهرت بين قبائل البربر (٥٩) . فكأنه صاحب الفضل في تحويل تاهرت نهائيا من معقل الخارجية الى مركز للاسماعيلية الفاطمية .

تاهرت مركز الدولة الفاطمية في بلاد المغرب :

والحقيقة أن المهدي كان يحسن الاختيار عندما عهد الى مصالة بولاية تاهرت اذ يرجع الفضل الى مصالة في توطيد أركان الحكم الفاطمي ، ليس في المغرب الأقصى فقط ، بل وفي ربوع المغرب الأقصى أيضا - وهو الأمر الذي كان يخطط له المهدي منذ اقامته في سجلماسة بأقصى صحراوات المغرب الأقصى . وهكذا تأكد موقف تاهرت كمركز اشعاع للتشيع الفاطمي ، الأمر الذي بدأ على يد أبي حميد دواس الكتامي ، ووقع استمراره على عاتق مصالة بن جبوس المكناسي ، رغم أننا لا نعرف الكثير عن نشاطه منذ ولايته لتاهرت ٢٩٩ هـ / ٩١١ - ٩١٢ م .

فتح نكور :

وفي ذلك تقول الرواية انه لما تغلب عبيد الله المهدي ، كتب الى أهل المغرب يدعوهم الى الدخول في طاعته ، والتدين بامامته ، ويعد في خطابه ويتوعد ، وكان من بين من كتب اليهم صاحب مدينة نكور ، التي تعتبر من مواني ساحل تاهرت ، والمواجهة لمدينة مالقة من الأندلس (٦٠) . وهو

(٥٩) ابن خلدون ، المعبر ، ج ٦ ص ٢٩٨ - حيث النص على انه حمل القبائل على الرفض .

(٦٠) عن مدينة نكور ، انظر البكري ، ص ٨٩ وما بعدها ، حيث الاشارة الى أنه يجارها بعد المشرق قبائل زواغة وجراوة ومطامة ، ومن جهة الغرب بنو مروان وبنو حميد، وهم من غمارة (على مسافة ٥ (خمسة) أيام - ابن خلدون ، المعبر ، ج ١ ص ٢١٢) . أما عن مراسيها فهي : ملوية وهرك وكرط ومرسى الدار ، الذي يقابل مالقة . أما عن المسجد الذي بناه سعيد بن صالح على نهر غيس ، فهو : « على صفة مسجد الاسكندرية ، بمحارسه وجميع منافعه » .

وعن تاريخ نكور فبانيها سعيد بن صالح الحميري ، وينسب الى والده صالح أنه عرف « بالميد الصالح » وانه فتح نكور على أيام الوليد بن عبد المالك (سنة ٩١ هـ / ٧١٠ م ، المعبر ج ٦ ص ٢١١ ، ومصدره صاحب المقياس) ، وانه صاحب الفضل في نشر الاسلام هناك =

سعيد بن صالح (الهامش السابق) الذى أجاب مستهترا بالمهدى ، الأمر الذى ترتب عليه ضياع امارة نكور ، وكان سعيد يظن انها بعيدة المنال (٦١) .

بين قبائل البربر ، من صنهاجة وغمارة . ورغم ارتداد هؤلاء القوم عندما استنقلوا شرائح الاسلام تحت اغراء رجل من نفزة يعرف بالرندي ، وطردهم لصالح ، الا أنهم تابوا بعد ذلك الى رشدهم واستردوا صالحا الذى بقى فيهم الى أن مات (سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م - ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٢) . وخلفه فى رئاسة القوم أحد بنييه ، وهو المعتصم ، وبعده اخوه ادريس (الذى ينسب اليه تخطيط مدينة نكور على الضفة الأخرى من النهر ، وان لم يكملها ، وتوفى سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م - ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٢) ثم ابنه سعيد ان ادريس (الذى اختط نكور بين النهرين : نكور وغيس ، العبر ، ج ٦ ص ٢١٢) . وعلى أيامه تعرضت نكور سنة ٢٤٤ هـ / ٢٥٨ م لغزو المجوس الذين انتهوا وسبوا نساء بنى صالح ، فغداهم الامام محمد بن عبد الرحمن (البكرى ، ص ٩٢) ، الأمر الذى يعنى أن المنطقة كانت خاضعة للنفوذ الاموى بالاندلس . هذا ، كما تعرض سعيد بن ادريس الى ثورة قبائل البرانس بقيادة رجل يسمى « سكن » ، ولكن الأمر انتهى بأن هزمهم وأعادهم الى الطاعة (وبقى فى الامارة الى سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م - العبر ، ج ٦ ص ٢١٢) .

وبعد سعيد ملك ابنه صالح الذى خلفه عشرة (١٠) أبناء . وقام ضده اخوه ادريس فى قبائل بنى درياغل وكزناية ، ولكن الأمر انتهى بفشله وقتله . كما فشلت ثورة على صالح ابن سعيد قامت بها قبائل مكناسة ، فامتنعوا عن دفع الضرائب ، ولكنهم عادوا الى الطاعة سلما (البكرى ، ص ٩٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٧) . وشالف مسلحا ابنه سعيد ، صاحب المسجد المبنى على نسق جامع الاسكندرية ، على نهر نكور . وتوفى سعيد سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م وله من العمر ٧٢ عام . ولما كان سعيد هذا هو اصغر اخوته فقد تعرض لثورة اخيه عبد الله وعمه الرضى ، وقضى عليهما ، مثلما هزم سعادة الله بن هارون الذى ثار انتقاما لبنى عمه ، وتحالف مع بنى يصلاتن ، ونجحوا فى هزيمة سعيد ، وقتلوا من مواليه الصقلالية نحو ١٠٠٠ رجل ، ولكن الأمر أنتهى بظفره عليهم . كما غزا بلاد بطوية ، واصهر بأخيه حميد بن ادريس بن محمد بن سليمان ، وأنزله معه بمدينة نكور . وسعيد هذا هو الذى كاتبه المهدي يطلب منه الطاعة بدلا من طاعته أمير الاندلس الاموى ، كما يتراى لنا . والمهم هنا ان ابن خلدون (ج ٦ ص ٢١١ - ٢١٣) يضيف اضافات جديدة الى النص الذى وصلنا عن البكرى ، الأمر الذى يعنى أهميته الكبرى بالنسبة للمصور المتقدمة على عصره من تاريخ المغرب .

(٦١) البكرى ، ص ٩٥ - حيث النص على ان كتاب المهدي حوى فى نهايته أبيات من

الشعر ، منها :

فان تستقيموا استتم لصالحكم	وان تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا
وأعلموا بسبفى قاهرا لسيوفكم	وأدخلها عفوا وأملوها قتلا
فرد عليها أحد شعرائهم من الأندلسيين بأبيات ، منها :	
كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا	ولا علم الرحمن من قولك الفضلا
فما كنت الا حاهل ومنافق	تمثل للجبال فى السنة المثلا

وقارن ، العبر ، ج ٦ ص ٢١٣ - حيث النص على أن الشعر للشاعر أحمد الطاطيل ،

وذلك أن المهدي أصدر أوامره الى مصالة بن حبوس بالمسير الى بلد نكور لحرب سعيد بن صالح . وكان خروج مصالة من تاهرت في أول ذي الحجة سنة ٣٠٤ هـ/ ٢٦ ماية ٩١٧ م . وعندما وصل الى مشارف نكور كان سعيد ابن صالح في انتظاره بموضع يعرف (بنسافت) على مسافة يوم من المدينة . ودار القتال سجلا ، وظهرت كفاءة سعيد الحربية - رغم مرور ٥٤ (أربع وخمسين) سنة على حكمه - الأمر الذي دعا مصالة الى قبول ما عرضه عليه أحد المغامرين من شجعان سعيد ، عندما وقع في الأسر ، وسأل شراء حياته ثمنا للغدر بأمره سعيد . ونجح الرجل فعلا في مفاجأة سعيد الذي أخرج ما كان يخشى عليه من المتاع والأبناء الى بعض الجزر في مرسى نكور ، وقاتل حتى قتل (٦٢) . ودخل مصالة مدينة نكور التي استيحت يوم الخميس ٣ من المحرم سنة ٣٠٥ هـ/ ٢٦ يونيه ٩١٧ م ، وأرسلت رأس سعيد مع رؤوس قرابته من بنى صالح ، الى القيروان حيث شهر بها بمدينة رقادة . أما الكناجون من بنى سعيد وأهله فقد عبروا الى مالقة وبجاجة حيث أمر الأمير عبد الرحمن (الناصر) بحسن استقبالهم ورعايتهم (٦٣) .

وبعد اقامة في نكور استمرت لمدة ٦ (ستة) أشهر ، استخلف مصالة عليها رجلا من أصحابه يعرف بـ « دلول » ورجع هو الى ولايته في تاهرت . والظاهر أن دلول لم يتمكن من السيطرة على رجال حاميته ، اذ افترق عنه معظمهم ولم يبق لديه منهم الا القليل ، الأمر الذي شجع أبناء سعيد بن صالح على العودة الى مدينتهم ، معتمدين على ثقتهم « بمحبة رعايتهم لهم » ، وان آلت الولاية الى أصغرهم سنا ، وهو صالح ، دون أخويه الأكبرين : ادريس والمعتصم اللذين اعترفا له بالسيادة . أما عن دلول وأصحابه فكان مصيرهم أجمعين الصلب على ضفة نهر نكور (٦٤) .

وحيث الشرطة الأولى من البيت الأول « وان تستقيموا استقيم بصلاحكم » ، والشرطة الثانية من البيت الثاني « واملؤها » بدلا من « املوها » ، والشرطة الثانية من البيت الثالث : « الفصل » بدلا من « الفضلا » والشرطة الأولى في البيت الرابع « وما أنت الا جاهل ومناق » . (٦٢) البكري ، ص ٩٥ - ٩٦ - حيث الاشارة الى انه كان من بين من أخرجهم سعيد ابن صالح من قصره الى مامنهم في جزيرة المرسى ، أبناؤه : صالح وادريس والمعتصم ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٦٣) البكري ، ص ٩٦ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٦٤) البكري ، ص ٩٦ - حيث النص على اتفاق الأخوة على نوع غريب من القرعة يتمثل في أن يركبوا ثلاثتهم في مراكب مختلفة ، في ليلة واحدة ووقت واحد ، وريح واحد ، فمن

وقرىء كتاب صالح - بما تم له من الفتح - الى الناصر الأموى بإجماع
قرطبة وسائر مساجد الأندلس ، وبذلك توطد الملك لصالح بن سعيد
وبنيه ، من جديد ، تحت الراية الأموية (البكرى ص ٩٧) .

مد النفوذ الفاطمى الى مملكة الأدارسة بفاس والمغرب الأقصى :

الحملة الأولى :

فيما يتعلق بالتوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى وفاس ، يمثل
تضارب التواريخ مشكلة تتطلب حلا ، اذ يتحير الباحث فى محاولة ترتيب
السنوات المتدرجة ما بين : ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م و ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م ، ٣٠٨ هـ/
٩٢٠ م ، ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م ثم ٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م . ولتبسيط الحل يمكن
البدء بالنظر فيما يمكن أن يكون من الارتباط بين كل سنة والتي قبلها
والتي تليها وهو الأمر المقبول . فمن الواضح أن التاريخ الأول (٣٠٥ هـ/
٩١٧ م) وهو الذى يقدمه البكرى نقلا عن النوفلى (٦٥) ، مرتبط بحملة نكور
التي بدأت فى أواخر سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦ م ، واستمرت بطبيعة الحال
خلال سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م . وفى تلك الحملة يشير البكرى الى وصول
مصالاة الى مدينة الزيتون : مكناسة ، قاعدة يحيى قبل فاس ، وان أخطأ فى
وضع ذلك سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م ، بدلا من ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م . وهكذا تكون
أول مواجهة بين يحيى وبين مصالاة قد وقعت بمكناسة سنة ٣٠٥ هـ/
٩١٧ م ، وأنه رغم هزيمة يحيى التي يعتبرها البكرى نهاية لحكمه ، فمن
الواضح أن مصالاة أقام نوعا من توازن القوى فى المغرب الأقصى كما يفهم من
البكرى (ص ١٢٥) ، اذ ترك ليحيى مملكة فاس وما يتبعها ، من مكناسة
وغيرها ، كما قرب الزعيم الزناتى موسى بن أبى العافية صاحب تسول وثاظة
وكرسيهف (٦٦) .

وأتى ذلك التوازن بشماره ، من حيث أن يحيى الادريسي ومملكته

وصل منهم قبل صاحبه كانت الولاية له ، فكان السبق من نصب صالح الذى وصل نفس
الليلة الى نكور ، فتسارع البربر اليه ، وعقدوا له الامرة ، ولقبوه بـ « التميم » لصفوه ،
وزحفوا الى دلول فاخذوه وجميع أصحابه - وقارن ابن خلدون ، العمر ، ج ٦ ص ٢١٣ .
(٦٥) البكرى ، ص ١٢٥ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٩ ، ابن أبى زرع ، القرطاسى ،

ص ٨٠ .

(٦٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٣٤ ، القرطاسى ، ص ٨٠ .

الحضرية كانت بمثابة صمام الأمان بالنسبة لموسى الزناتى وامارته البدوية (٦٧) .

وهكذا وقع على عاتق مصالة ، فى حملته الأولى ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ، عبء اقرار النفوذ الفاطمى فى المغرب الأقصى حيث الشرفاء الأدارسة وهم الفاطميون أيضا . الأمر الذى كان يزيد من اشتعال الصراع مع الأمويين والأندلسيين فى تلك المنطقة من المغرب الأقصى التى أضحت وكأنها من « أرض حرام » بالنسبة للطرفين المتصارعين على ضفتى المبحر أو العدو ، فكان الأمر عودة الى جبهة « التحكيم » فى أذرح بين الشام والعراق ، أيام على ومعاوية ، وذلك ما تظهر أصداءه بوضوح لدى القضاى النعمان فى المجالس والمسائرات (ما سبق ص ٢٣) .

الحملة الثانية :

وكان على مصالة بن حبوس المكناسى ، فى حملته الثانية ، أن يثبت النفوذ الفاطمى فى إقليم فاس ، فى حرب العظيمة تلك أو حرب اثبات الوجود بين أولئك الخصوم الجسد من العلويين المغاربة والقدامى من الأمويين الأندلسيين .

أما عن التواريخ فالبكرى يحدد سنتى ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، فيجعل الأولى (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) تاريخا لحملة مدينة الزيتون (مكناسة) التى انتهت بالوفاق مع يحيى ، وان عاد وجعلها تاريخا للحملة الثانية التى أنهت حكم يحيى بتدبير موسى بن أبى العافية ، وان جعل تاريخ الحملة بعد ذلك سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . وإذا كان توقيت القرطاس لتلك الحملة وهو سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م قد يساند سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، فان

(٦٧) البكرى ، ص ١٢٥ - حيث الاشارة الى النوفلى الذى ينص على أن مصالة لما قدم المغرب فى حركته الأولى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ابتدئ موسى بن أبى العافية بالاحسان ، وقدمه فى المغرب ، وكان موسى كلما رجا الظهور « عزه » (غمره) يحيى بن ادريس وقطع به عن أمل - هذا ، وان قدم على ذلك سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م كتاريخ لهزيمة يحيى أمام مدينة الزيتون (مكناسة) ، كما سبقت الاشارة . وقارن القرطاس ، ص ٨٠ - حيث النص على ان موسى ابن أبى العافية خدم مصالة وهاداه وتقرب اليه بالاحسان ، وقاتل فى جميع حروبه بالمغرب واختصه بين سائر أمرائه ، فكان موسى كلما أراد الظهور بالمغرب والاستبداد فيه ، غمره يحيى ابن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله وقطع عليه كل ما يريده ، فكان على قلبه من حمل ثقيل .

ابن خلدون الذى يجعل سنة ٣٠٩ هـ/ ٩٢١ م تاريخا لمقتل مصالة على يدى محمد بن خزر (العبر ، ج ٧ ص ٢٥) يضعف من ذلك .

وبناء على ما تقدم فاننا نرجح سنة ٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م ، التى يحددها ابن عذارى توقيتا للحملة الثانية ، وهى التى تساندنها سنة ٣٠٧ هـ/ ٩١٩ م ، عند البكرى ، على اعتبار تلك الأخيرة كبدية للحملة التى تكون قد استغرقت أيضا السنة التالية لها (٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م) (٦٨) .

وهكذا يكون خروج مصالة من تاهرت فى حركته الثانية نحو المغرب سنة ٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م الى فاس ، كما كان عليه أن يمر بمدينة نكور ليزيح عنها النفوذ الأموى ويعيد اليها الرموز العلوية . وفى هذه المرة كان على صالح بن سعيد ، عندما بلغه اقتراب مصالة ، الخروج من نكور والاعتصام بجبل أبى الحسين القريب ، تاركا مدينته مفتوحة أمام القائد الفاطمى الذى أقر النظام فيها(٦٩) .

ومن نكور سار مصالة فى نفس السنة الى فاس حيث يحيى بن ادريس ابن عمر . ويفهم من رواية البكرى ، التى نقلها صاحب القرطاس مع بعض التحوير ، ان يحيى كان حافظا للعهد مواليا لدولة الامام المهدي ، لولا سعاية موسى بن أبى العافية الذى كان يطمح الى الاستبداد بالمغرب لولا يحيى الذى ثقل على قلبه لوقوفه ، حجر عثرة فى طريقه (انظر ما سبق ص ٨٨ وهـ ٦٧) اذ وشى بيحيى لدى مصالة حتى أسخطه عليه ، فأصدر الأخير أوامره بالقبض على يحيى غدرا ، ودخل به مشهرا الى فاس ، وصادر جميع أمواله ثم انه أخرجه عن بلده ، وقضى على مستقبله السياسى(٧٠) .

هذا ، ونحن نرجح رواية ابن عذارى التى أخذنا بتاريخها (٣٠٨ هـ/ ٩٢٠ م) وان كانت لا تعرف لمصالة الا هذه الحملة وحدها على فاس ، على تلك الرواية شبه المنقبة التى قد لا تبدو كافية لتدبير ما نزل بالأمير الادريسي الذى كان وقتئذ أعلى بنى ادريس حالا بالمغرب (البكرى ، ص

(٦٨) انظر البكرى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، القرطاس ، ص ٨٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٣ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٥ .

(٦٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث النص على ضبطها بمعرفة مصالة .

(٧٠) البكرى ، ص ١٢٦ ، القرطاس . ص ٨٠ .

(١٣٢) ، ونرى أنه من الأوفق أن يكون يحيى بن ادريس قد قدر ما كان يحيط به من أخطار الفاطميين والزنااتية ، وأنه قرر مواجهة قوات مصالة ، وإن لم يقدر له الصمود أمامها إلا لعدة أيام . وبذلك تمكن مصالة من الاستيلاء على فاس وإقرار الأمور فيها (٧١) .

القضاء على مملكة فاس الإدريسية :

وهكذا يكون الفاطميون قد قضوا على مملكة فاس الإدريسية ، ويكون يحيى بن ادريس قد انتهى نهاية مأساوية ما بين سجن موسى بن أبى العافية . فى مدينة لكاي ، لمدة زادت على ٢٠ (عشرين) سنة ، ثم الإقامة الرقيقة الحال بمدينة أصيلة ، فى كنف بنى ابراهيم ، قبل التوجه الى المهديّة سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤٢ م حيث كانت فاجعة موته جوعا سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٣ م فى حصار أبى يزيد (٧٢) .

أما عن مدينة فاس فقد قدم مصالة عليها ، ربحان بن على الكتامى ، الذى بقى واليا عليها ٣ (ثلاث) سنوات ، الى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م . عندما استولى عليها الأمير الادريسي : حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس . المعروف بالحجام ، وطرد والى الفاطمى ، وملكها لمدة عامين (٧٣) .

(٧١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث الاشارة الى تعريض بعض الشعراء بأهل فاس ، الذى يقول :

دخلت فاسا ونى شمرى الى فاس . والجبن ياخسند بالعينين والراس
فلست ادخل فاسا ما حبيت رلو . اعطيت فاسا بها فيها من الناس

(٧٢) البكرى ، ١٢٦ وأنظر أيضا ص ١٣٢ - حيث الاشارة الى أن يحيى بن ادريس كان أعلى بنى ادريس حالا بالمغرب ، وحيث يضيف رواية النوفلى التى تنص على أن يحيى كان محبا للعلم يشهد مجلسه العلماء والشعراء ، وكان أبو أحمد الشافعى من جلسائه ، وأنه كان ينسخ له عدة من الوراقين « وينتجعه » الناس من الأندلس وغيرها ، فيحسن اليهم . القرطاس ص ٨١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٤ - حيث الاشارة الى القبض على يحيى بمعرفة موسى . وطرده من عمله ، ولحقه بنى عمه بالبصرة والريف .

(٧٣) البكرى ، ص ١٢٦ - حيث الاشارة الى أن أحمد بن القاسم بن ادريس هو الذى لقبه بالحجام عندما وجده يحسن الضرب فى المعاجم وهما يتقاتلان . وفى ذلك قال بعض الشعراء على لسان الأمير حسن :

وسميت حجاما ولمست بحسام . ولكن لضرب فى مكان المخاض

وقارن ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ٢١٦ - حيث الاشارة الى أن خروج الحجام كان فى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، بنمى ترجيح الرواية التى تجعل سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م تاريخها . شملة مصالة على فاس .

محاولات اقرار الأمور في سجلماسة :

ولما وقع على عاتق مصالة ، بصفته والى تاهرت والمغرب ، مد النفوذ الفاطمي الى سواحل نكور ، والى مكناسة وفاس في الداخل ، كان عليه أن يعيد سلطان الفاطميين في أقصى الصحراوات الغربية الجنوبية الى سجلماسة التي كانت قد انتقضت بعد فترة وجيزة من خروج الامام والداعي في مطلع سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م . فلقد ثار أهل سجلماسة بوالى المهدي : ابراهيم ابن غالب المزاتي ، بعد ٥٠ (خمسين) يوما فقط من انفراد بالسلطة ، فقتلوه ومن كان معه من رجال الحامية الفاطمية ، وأعادوا ملوكهم القدامى من بنى مدرار . وكان الذي ولي منهم هو واسول بن ميمون الذي لقب بالفتح ، وذلك في ربيع الأول من سنة ٢٩٨ هـ / نوفمبر ٩١٠ م . وعندما وافته الأجل بعد حوالي سنتين ، في رجب سنة ٣٠٠ هـ / فبراير ٩١٣ م ، خلفه أخوه أحمد الذي استمر في الحكم حتى مقدم مصالة الذي اقتحم عليه سجلماسة وقتله في المحرم من سنة ٣٠٩ هـ / مايو ٩٢١ (البكري ، ص ١٥٨) اثر استيلائه في حملته الثانية على مدينة نكور للمرة الثانية ، مما سبقته الإشارة اليه (ص ٨٩) .

والمهم في هذه المرة أنه اذا كان مصالة قد أخذ العبرة مما جرى من اضطراب سجلماسة عقب خروج الامام منها في آخر سنة ٢٩٨ هـ / ديسمبر ٩٢٢ م فأقر الأسرة المدارية في الحكم ممثلة في الأمير المعتز محمد المداري ، الذي بقي في الولاية الى قرب نهاية عهد المهدي ، اذ توفي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م (٧٤) . فانه لم يقدر له النجاح في اقرار السلام الفاطمي في المنطقة بسبب اضطراب الزناتية هناك ، بزعامة محمد بن خزر ، منذ ذلك الحين . فلقد كان على مصالة بعد أن عاد الى ولايته في تاهرت ، عقب زيارة المهدي لتعريف الامام بالأحوال في شعبان سنة ٣١٠ هـ / نوفمبر ٩٢٣ (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٧) ، الدخول في صراع مرير مع الزناتية وعلى رأسهم محمد بن خزر ، مما يأتي ذكره فيما بعد .

المهدية : عاصمة جديدة لدولة المهدي :

دواعي البناء :

خلال الفترة ما بين سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م وسنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ،

حيث كانت القوات الفاطمية تسعى الى تأكيد سببها في الدولة في أطرافها الشرقية من طرابلس حتى برقة ومصر ، وفي الأطراف الغربية من تاهرت الى سجلماسة ، كان الامام مشغولا باقامة عاصمة جديدة تطمئن فيها الأسرة ، وتستقر بفضلها أركان الدولة ، وتكون رمزا لعصر سيادة العدالة والفضيلة ، كناية عن طبيعة النظام الجديد الذي يعبر عن اسم المدينة ، وهو المهدي ، نسبة الى الامام المهدي ، عبيد الله . هذا ، وان عرفت أيضا باسم « البيضاء » (النعمان ، افتتاح الدعوة ص ٣٢٧) ، بمعنى الزهراء .

والرواية الفاطمية التي تفسر أسباب بناء المدينة تأخذ طابعا أسطوريا منقبيا ، كما هو الحال بالنسبة لبناء كثير من العواصم الاسلامية الكبرى ، كدمشق والاسكندرية والقاهرة . فهناك ربط ما بين بناء المهدي وبين الثورة الزناتية التي أشعلها أبو يزيد « صاحب الحمار » على عهد القائم ، الأمر الذي يدخل في علم الحدثن ، المعروف في الفكر الشيوعي ، والذي يمثل ما يمكن أن نسميه بالتاريخ المستقبل للأمة - إذا جاز استخدام هذا المصطلح المستحدث - وهو العلم الذي اختصوا به دون غيرهم . وفي ذلك قيل ان المهدي كان عندما ينظر الناس الى تحصينات المهدي ويبدون عجبهم لحسنها ومناعتها يقول : كل ذلك أعد لساعة من نهار - وهي ساعة الخطر التي بلغ فيها أبو يزيد ذروة قوته ، باقترابه من البوابات المنيعه (٧٥) .

والحقيقة ان اتخاذ عاصمة جديدة من قبل حاكم دولة ناشئة ، عادة ما يرمز الى واحد من احتمالين أحدهما : أن المدينة المستحدثة تعبر عن طبيعة النظام الفتى الناشئ ، اذ هي تمثل المستقبل المستشرق بآماله المرجوه ، بينما العاصمة القديمة للدولة السابقة ، تعبر عن الماضي المثير بأزمائه المنقطعة - وكل ذلك مما يدخل في مجال الأماشي والتمنيات التي تتحقق بمرسوخ النظام الجديد على المستوى السياسي أولا ، وبالتالي على المستوى

(٧٥) أنظر القاضي النعمان ، المجالس والمناسبات ، ص ٥٤٢ ، حيث يروى عن المؤمن لدين الله : « ان المهدي كان يرمز بمحنة تكون وفئة تظهر ، ونفاق يشتمل على أكثر الأمة ، ومن أجل ذلك ابتنى المهدي ، وحصنها وانتقل اليها ، وكان يؤثر عنه أنه اذا نظر الى سورها الحصين وأبوابها الحديد ، وتكلم على ذلك من يكون بين يديه ، ووصفوها بالمنعة ... يقول : كل ذلك أعدناه لمقام ساعة من نهار . فلم تكن ندري ما يعني قوله ذلك حتى ظهر الدجال مخلد بن كيداد . وأنظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ .

٩٥ -

الحضارى . أما الاحتمال الآخر ، وهو الأقرب الى أرض الواقع فيتمثل عدة فى أزمة عدم الثقة بين نظام الحكم الجديد وبين أهل العاصمة القديمة الذين كثيرا ما يحنون الى نظامهم السابق ان لم يتمسكوا به . وفيما يتعلق بعبيد الله المهدي فقد تمثلت أزمة عدم الثقة هذه فى عدة أشكال ، أولها : سياسى ويظهر فى عدم الثقة بالكتاميين ، مما سبقت الإشارة اليه (ص ٦٧) الأمر الذى يمكن معه القول أن العصر الكتامى على نسق العصر الفارسى فى الدولة العباسية - قد لا ينطبق الا على فترة التأسيس ، أى عهد أبى عبد الله الشيعى (الداعى) وثانيها ، دينى : يظهر فى عدم تقبل أهل القيروان ، المالكية ، للمذهب الاسماعيلى الفاطمى ، وخاصة فيما يتعلق منه بعصمة الامام ، الأمر الذى حاول عبيد الله الاستفادة منه فى سبيل توطيد أركان حكمه ، فى محاولته جمع السلطة بين يديه باستعادتها من الداعى . فكانه حدث نوع من الانفصال بين السلطة ممثلة فى المهدي ، وبين شعب افريقيا ممثلا فى أهل القيروان - بعد خروج الكتاميين من بين أظهرهم ، اثر مذبحة سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م (أنظر فيما سبق ص ٦٩) وهو ما يمكن تشبيهه « بالطلاق » كما حدث فى العصر الأموى عندما ترك الخلفاء دمشق واتخذوا قصور البادية مقرا لهم ، قبل أن يخرج المنصور العمامة من بغداد المدورة الى حى الكرخ فى خارجها ، وقبل أن يترك العباسيون بغداد نفسها ليستقروا لفترة ما بين حرسهم النركى فى سامرا .

على نفس هذا النسق استشعر عبيد الله المهدي عدم الاطمئنان ، وهو يقيم وسط خصومه فى القيروان ورقادة ، الأمر الذى عبر عنه عندما استقر فى مهديته ، قائلا : « اليوم أمنت على الفاطميات » (ابن الأثير ، ج ١ ص ٩٥) . وهكذا فكر عبيد الله فى اتخاذ مقر جديد له بعيدا عن القيروان حيث كان الكتامية والمالكية ، وذلك فى أعقاب « الأزمة الكتامية » مباشرة ، اذا استعرنا اصطلاح جورج مارسيه الذى يطلق على العصر الفاطمى بالمغرب اسم « الأزمة الفاطمية » (٧٦) .

اختيار المكان : رباط فاطمى جديد ما بين سوسة وصفاقس :

فيما يتعلق بمكان مدينته الجديدة ، رأى المهدي أن يكون بحريا ،

(٧٦) بلاد البربر والمشرق الاسلامى فى العصر الوسيط ، بالفرنسية ، باريس ١٩٤٦ ،

بعيدا عن الداخل ، وهكذا بدأ منذ سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ - ٩١٣ م بجولات استطلاعية في مناطق الساحل الشرقية ما بين شواطئ القيروان ، حيث سوسة جنوبا ، وشواطئ تونس وقرطاجنة شمالا . وأخيرا وقع الاختيار على موضع شبه جزيرة يعرف بـ « جمة » ما بين سوسة وصفاقس (٧٧) . واختيار الساحل موقعا للمدينة يعنى أحد أمرين ، أولهما : ان المبنى رأى أن تتوجه دولته وجهة بحرية ، بمعنى الانفتاح على العالم الخارجي فيما وراء البحر ، سواء من حيث العلاقات الاقتصادية والمبادلات التجارية ، أو من حيث العلاقات الحربية حيث تصبح الدولة الفاطمية دولة جهادية ، بناء على اعتبار السواحل مناطق تغور أى جهات قتال يمكن أن يطرقها العدو البحرى ، ممثلا فى الأسطول البيزنطى . وإذا كان ابن خلدون ، فى المقدمة ينص على عناية الفاطميين بالأساطيل الى أن انتهى الأمر بغلبة المسلمين على سواحل المتوسط حتى لم تعد « تسبح النصرانية فيه ألواح » (المقدمة ، العبر ج ١ ص ٢١٢) ، فالحقيقة أن منطقة الساحل ، وخاصة ما بين سوسة وصفاقس ، كانت مشهورة بكثرة محارستها وأربعتها ، ومنها : رباط سوسة ورباط المنستير ، حيث كان العباد المجاهدون ينقطعون لأعمال الورع والتقوى ، انتظارا لمواجهة العدو البحرى اذا ما هاجم الساحل . وهذا لا يمنع بطبيعة الحال ، تقرير عبيد الله المهدي أن تكون حصانة الموضع موجهة ضد أعداء الداخل أيضا ، وعلى رأسهم الزناتية ، كما تشير الى ذلك الرواية المنقبية التى بدأنا بها . كما نأخذ بعين الاعتبار ، اعداد المدينة لتكون قاعدة بحرية أيضا تسير منها القوات البحرية مصاحبة للقوات البرية الموجهة لفتح مصر .

وفى حصانة الموضع توصف جزيرة « جمة » التى اختيرت للبناء بأنها أشبه ما تكون بكف متصلة بزنند (٧٨) ، بمعنى أنها شبه جزيرة يحيط بها الماء من ثلاث جهات ، شمالا وجنوبا وشرقا وتتصل بالبر من جهة الغرب من حيث يكون الدخول اليها (الكبرى ، ص ٢٩) .

وهكذا أملت طبيعة المكان أن تكون أسوار المدينة الرئيسية وبواباتها الكبرى من جهة الغرب حيث الاتصال بالبر ، بينما الأسوار المحيطة بها

(٧٧) أنظر : عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ . ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ ، وأنظر : محمد المرزوقى ، المهدي وشاعرها تميم ،

تونس ١٩٨٠ ، ص ١٦ .

من جهات البحر أقل قوة وحصانة (٧٩) . وكان من الطبيعي أن يكون البدء ببناء تحصينات المدينة وأبوابها ، وذلك أنه تم الانتهاء منها فى ربيع الأول سنة ٣٠٤هـ / سبتمبر ٩١٦م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤) . وبذلك كانت المهدية ، بوصفها رباطا فاطميا جديدا ، توجه أنظارها نحو أعداء الداخل فى البر ، أكثر مما تفعل مع العدو الخارجى فى البحر ، فهى رباط مزدوج ضد أعداء الداخل والخارج ، مما يذكر باختيار موضع القيروان (ج ١ ص ١٨٤) ، فكأن المهدية قيروان جديد ، وكان قيام الدولة الفاطمية إعادة فتح لبلاد المغرب .

البناء :

المدينة الملكية :

والظاهر ان استكشاف الموضع استغرق أكثر من جولة ساحلية وأن ترجيحه على غيره استغرق بعض الوقت ، وذلك أن الأوامر لم تصدر ببدء البناء الا يوم السبت ٥ من ذى القعدة سنة ٣٠٣هـ / ١١ مايو ٩١٦م (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤) أى بعد أكثر من ٣ (ثلاث) سنوات من بداية الاستطلاع . أما عن عملية البناء فقد تمت تحت اشراف المهدي نفسه (٨٠) وهذا ما قد يفسر عظمة البناء وحسن تنفيذه . فالسور الرئيسى فى الغرب حيث تتصل المدينة بالبر ، عرف الى جانب ضخامته بحسنه ودقة احكامه (٨١) . اما الأبواب فكان للمدينة بابان كبيران يوصفان بالعظمة التى لا نظير لها ، وكان لكل باب منها مصراعان هائلان من الحديد ، وزن كل مصراع منهما ١٠٠ (مائة) قنطار (٨٢) . والأمر الذى يلفت النظر ان البابين

(٧٩) أنظر : الكسندر ليزين ، المهدية ، تونس ، سنة ١٩٦٨ (بالفرنسية) ص ٤١ .
(٨٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ ، حيث النص على انه كان يأمر الصناع بما يعملون بالمجاعة - افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٧ .

(٨١) ابن حوقل ، ص ٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ - أنظر : محمد المزوقى ، المهدية وشاعرها تميم ، ص ٢٢ - حيث الاشارة الى ما كشفت التنقيبات الاثرية الحديثة من أن عدد الأبراج التى كانت بالسور الرئيسى بلغ ١٦ برجاً ، ٨ (ثمانية) منها فى السور الاول ، ٨ (ثمانية) أخرى فى الزيادة .

(٨٢) القاضى النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٢٧ - ٢٨ ، وبوبها بالحديد المحصن ، وقارن ابن حوقل ، ص ١٣ ، لها بابان لا شبيه لهما غير بابى سور الرافقة ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ (أبواب وزن كل مصراع ١٠٠ قنطار ، وقارن البكرى ، ص ٢٩ - والاستبصار ص ١١٧ ، حيث تحورت الرواية الى ألف (١٠٠٠) قنطار لوزنة كل باب مع تفصيلات أخرى تحدد طول الباب بـ ٣٠ (ثلاثين) شبرا ، ووزنة كل مسمار فيه ٦ أرطال .

كانا مزخرفين بصور الحيوان (البكرى ، ص ٢٩ - والاستبصار ص ١١٧) وهو ما يعنى ان الفن الفاطمى الأول في بلاد المغرب كان فناً تصويرياً (أيقونياً) ، يأخذ بصور الشخصيات الحية ، تماماً ، كما كان الفن الاسلامى الأول على عهد الأمويين بالشام .

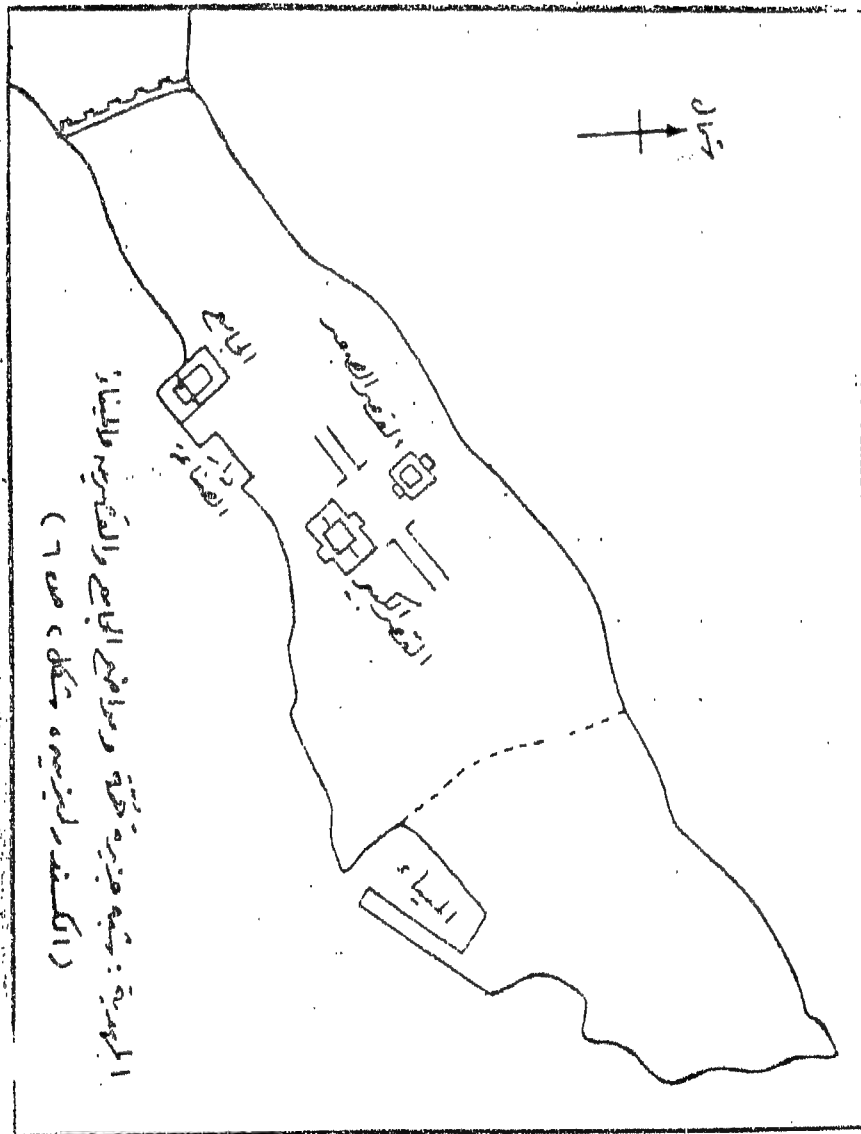
أما عن دار الصناعة - صناعة السفن فهى شرقى قصر عبيد الله (البكرى ، ص ٣٠) ، وكانت شديدة الحصانة ، اذ كانت في حوض الجبل كأنها منقورة فيه ، وكانت تتسع لـ « ١٠٠ » (مائة) مركب من النوع الشينى (الكبيرة الحجم) دون غيرها ، وعليها باب مغلق (٨٣) .

أما الميناء (المرسى في آخر المدينة) فكان على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة في نصفه الشرقى ، كما بينت الحفريات الأثرية الحديثة (٨٤) ، وكان هو الآخر في جون طبيعى في حوض الجبل ، كأنه منقور في الحجر الصلد ، وكان يتسع لـ ٣٠ (ثلاثين) مركباً ، وله على طرفيه برجان تمتد بينهما سلسلة (٨٥) ، لتنظم دخول المراكب وخروجها نهاراً والتحرز من مراكب العدو البحرى الرومى « ليلا » .

هذا ، فيما يتعلق بالمرافق العامة الخاصة بالرباط ، بمعنى المدينة البحرية العسكرية ، التى تمثل محيط المهدية ودفاعاتها . أما عن المدينة الملكية فى الداخل ، فقد اشتملت كما هى العادة فى بناء المدن العربية الاسلامية ، على نواة مركزية تتكون من قصر الامام المهدى وله باب غربى وبجواره قصر ولى العهد أبى القاسم وله باب شرقى ، وبينهما رحبة فسيفسائية (٨٦) على ساحل البحر فى موضع مردوم فيه وعلى مقربة منهما غزبا

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٤ - حيث النص على أن المهدى أمر بنقورها فى الجبل ، وقارنه البكرى ، ص ٣٠ - حيث الإشارة الى ان سعة دار الصناعة تسع أكثر من ٢٠٠ (مائتى) مركب ، وفيها قبوان كبيران طويلان لآلات المراكب وعددها لثلاثين سمس ولا مطر .
(٨٤) أنظر : الكسندر ليزين - المهدية - تونس - ١٩٦٨ ، ص ١٠ شكل ٢ ص ٦٦ أنظر الشكل .

(٨٥) النعمان ، افتتاح ، ص ٣٢٨ - حيث النص على أن المهدى زاد إليها فى البحر ، واحتفر فى آخرها ميناء خرقها بها ، وجعل لها مخرجاً الى البحر قفل عليه ٥٠٠ ، وقارنه البكرى ، ص ٣٠ والاستبصار ، ص ١١٨ ، حيث النص على انه منقور فى الحجر الصلد - ومعجم البلدان (المهدية) ، ج ٨ ص ٢٠٧ .
(٨٦) البكرى ، ص ٣٠ .



(شكل ١)

المسجد الجامع (أنظر الشكل) ، حيث أقيمت الأسواق التي نظمت في شكل مجموعات من الدكاكين المتخصصة في مهنة أو تجارة أو حرفة معينة (٨٧) . أما المصلى ، حيث تكون صلاة العيد في الهواء الطلق وصلوات المناسبات الكبرى الطارئة ، من : الاستسقاء ، الكسوف ، والحسوف ، وغيرها ، فكان خارج السور الغربى على بعد رمية سهم (٨٨) .

ولقد زودت المدينة بمخازن القمح (الطعام) فى سراديب تحت الأرض ، كما حفرت خزانات المياه ، من : « المصانع والمواجل » الوفيرة العدد (٨٩) ، الى جانب المياه المجلوبة اليها من قرية مناش ، على بعد ٤ أميال فى قنوات الرصاص تحت الأرض (٩٠) .

وسرعان ما زهت المهديّة بالدور والقصور التي كانت موضع تقريظ ابن حوقل بعد ذلك بقليل ، لحسنها ونظافتها (٩١) .

مدينة العامة : زويلة :

تلك كانت المهديّة الملكية التي لا يسكنها الا أرباب الدولة من كبار الموظفين ورجال الحاشية وقواد العسكر المقيمين فى المدينة كحرس أميرى ، ونواة للجيش النظامى . أما عن أهل الأسواق فكانت لهم أموالهم (متاجرهم) فقط فى المدينة ، ولم يكن يسمح لهم بالتواجد فيها الا نهارا . والظاهر أن درس اخراج الأسواق من بغداد المدورة على عهد بانيها المنصور ، الى حى الكرخ خارج السور ، كان قد استفاد منه بناة المدن الجديدة من الأمراء

(٨٧) ياقوت ، معجم البلدان (المهديّة) ، ج ٨ ص ٢٠٧ . حيث النص على انه عمر الدكاكين ، ورتب أرباب المهن كل طائفة فى سوق .

(٨٨) محمد المرزوقى - المهديّة ص ١٨ ، الكسندر ليزين ، ص ٦ .

(٨٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ - البكرى ، ص ٢٩ حيث تتحول الرواية الى قصة شعبية اذ تجعل عدد مصانع الماء (المواجل) ٣٦٠ ماجلا على عدد أيام السنة حتى يكون نصيب المدينة مخزون ماجل واحد فى اليوم .

(٩٠) البكرى ، ص ٢٩ ، محمد المرزوقى ص ٢٢ - ويشير البكرى هنا ان ماء مناش كان يجلب من الأقداس ، ويصب فى صهاريج عند الجامع ومن هناك يرفع الى القصر بالدواب ص ٢٩ - ٣١ .

(٩١) صورة الأرض ص ٧٣ حيث أنها كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحفلات والحانات . نزهة الخارج ، بهية المنظر ، أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ .

المتغلبين بالأقطار البعيدة ، حتى لا يعيشون وسط ما كان يهددهم من خطر العامة ، الأمر الذى كان قائما وقتئذ ، فى رقادة الملكية والقروان الشعبية . هذا وإن كان انشغال المهدي ببناء المهديّة وزويلة لم يمنعه من العناية بمدينة القروان حيث شيد حيا تجاريا سماه بالقاسمية نسبة الى ولي العهد ، انتهى بناؤه فى شهر ربيع الأول سنة ٣٠٥ هـ / أغسطس - سبتمبر ٩١٧ م ، حيث انتقل اليه التجار وأصحاب الصناعات (ابن عذارى) ج ١ ص ١٨٠) الأمر الذى يعنى اهتماما بشئون البلاد الاقتصادية ، أساس التقدم والرفاه .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يبنى عبيد الله الى جانب المهديّة ضاحية للعامة من أهل الأسواق وغيرهم ، هى التى عرفت باسم زويلة ، نسبة الى بربر زويلة سكانها الأوائل ، الذين سيعطون اسمهم الى حارة زويلة وبابها المشهور فى جنوب القاهرة المعزية . فكانت المسافة بين المهديّة ومدينة زويلة الشعبية تقدر باتساع ميدان من تلك الميادين التى كانت تتوسط المدينة الاسلامية . ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن المهديّ أفردا بسور وأبواب وحفظة (ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٠٧) ، فأغلب الظن أن الأمر لم يكن كذلك ، حيث حاول أهل زويلة النزوح الى المهديّة للاعتصام بأسوارها عندما تهددهم خطر أبى يزيد (أنظر فيما بعد ، ص ١٧٩-١٨٠) . هذا ، كما أن ذلك ينفي نصيبا من الحكمة التى أريد بها السيطرة الدائمة على أهل الأسواق ، حتى لا يفكرون فى الثورة . وفى ذلك تقول رواية ياقوت : ان الهدف من اسكان أرباب الدكاكين ، من البرازين وغيرهم فى زويلة أن يكونوا عند المهديّ نهارا وأهلهم تحت سلطانه بزويلة ، بينما تكون أموالهم (تجارتهم) تحت سلطانه ليلا ، ويضمن بذلك طاعتهم الدائمة (٩٢) . وهكذا ينسب بناء سور زويلة الى المعز بن باديس (البكرى ، ص ٢٩) عندما سكن المهديّة ، وهذا لا يمنع أن يكون المهديّ قد زودها بسور وأسوار مناسبة أو أن يكون القائم هو الذى أقام تلك التحصينات عندما دعت الحاجة اليها . أما عن ارباض المهديّة العديدة والعامة التى يذكرها البكرى ، فهى ترجع الى العصر الزيرى عندما حلت محل القروان

(٩٢) أنظر ياقوت معجم البلدان ، ج ٨ ص ٢٠٧ ، وقارن الكسندر ليزين ، ص ٦ . حيث نسب الى المهديّ أنه كان يقول : «أنا آمن ليلا ونهارا ، فان أرادونى بكيد دهم بزويلة كانت أموالهم عندي فلا يمكنهم ذلك ، وإن أرادونى بكيد دهم بالمهديّة خافوا على حرمهم هناك » .

كعاصمة للبلاد (٩٣) .

والمهم أنه بعد أن فرغ المهدي من معظم أعمال البناء في المدينة ، من : قصره ، وقصر أبي القاسم ، ولي العهد ، والصور ودور بعض رجاله ، وإن لم يكمل الكل ، سارع بالانتقال إليها وشجعه على ذلك سوء الأحوال الجوية في القيروان ورقادة من : المطر والعواصف التي هدمت كثيرا من الدور ، وذلك في يوم الخميس ٨ من شوال سنة ٣٠٨ هـ / ٢١ فبراير ٩٢١ م (٩٤) .

ولقد أعرب المهدي عن ارتياحه لتلك النقلة ، قائلا : « اليوم أمنت على الفاطميات ، وإذا كان ابن الأثير يفسر ذلك قائلا : « يعني بناته » فالقالة ترمز إلى ما هو أبعد من ذلك ، نقصد : إلى توطيد أركان الدولة ، والاطمئنان إلى المقدرة على مواجهة الحشود في الداخل أو في الخارج - برا وبحرا .

المهدية مركزا للحكم :

هكذا انتقل مركز الحكم من رقادة والقيروان حيث ذكريات الحشود المؤرقة من : الأغلبية وسادتهم أو من المنافقين من كنافة وغيرهم ، إلى المهدية وزويلة حيث مقام الامام الذي أصبح محط أنظار المريدين من الأولياء والأنصار ، ورجال الدولة ، من : أهل الحاشية وكبار القواد وأمرأه الأقاليم الذين كانوا يترددون على الحضرة طلبا للشفاعة والبركة أو طمعا في المكافأة والوظيفة . وكانت المهدية في نظر بعض هؤلاء : كما كانت رقادة قبلها حرما أشبه بالحرم المكي ، حسبما عبر عنه بعض الشعراء في تلك المناسبة (٩٥) .

(٩٣) البكري ، ص ٣٠ - ٣١ حيث ذكر أرباض : الحمى وقصر أبي سعيد ، وبقعة وقاساس (هنشير حاليا) ، والفيطنة وربض قفصة ، وغيرها ، وقارن محمد المرزوقي ، المهدية ص ٢٢ .

(٩٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٥ ، افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٨ .
(٩٥) من ذلك ما قاله بعض شعراء أفريقية وقتئذ ، من قصيدة أنشدها بمناسبة نزول الإمام عبيد الله للمهدية ، ومنها :

حطت الرجل في بلد كريمة	رعت لك الملائكة الكرام
لقد عظمت بأرض الغرب دار	لها الصلوات تقبل والصلام
هي المهدية الحرام الموقى	كما بتهمامة البلد الحرام

هذا ، وإن كان نص ابن عذاري يورد تلك الأبيات من أجل بيان ما كان يستحله المهدي ، وما كان يجوز عنده من الأشعار ، البيان ، ج ١ ص ١٨٤ .

وكنتيجة لذلك كان من الطبيعي أن يصيب رقادة الضعف والوهن الذي كان يزداد مع مرور الوقت إلى أن خربت على عهد المعز * .
(ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٦) .

وهكذا خرج قواد بعض الحملات في تلك الفترة حين كان بناء المهديّة على وشك الانتهاء يحملون اللواء من رقادة ، ليعودوا لتقديم الحسابات عن انجازاتهم في المهديّة ، كما فعل أبو القاسم ولى العهد بعد حملته الثانية على مصر سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، وكما فعل مصالة بن حبوس ، بعد حملته الثانية على فاس وسجلماسة سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م (٩٦) .

حكم مركزي يعتمد على قاعدتي التهيب والترغيب :

والظاهر ان عبيد الله المهدي بعد أن أطمئن في مدينته الحصينة ، بدأ يمارس سياسة تهدف إلى تأكيد سلطة الحكومة المركزية (المهديّة) ، وكان من بين الوسائل التي استخدمها سياسة دعوة أبناء الزعماء في القبائل والأقاليم المختلفة ، وخاصة من كان يخشى خطره منهم في الإقامة في العاصمة ، في كنف الامام لتعليمهم وتدريبهم ، ملوكيا على أساليب الحكم والسياسة ، تهيئة لهم لخلافة آبائهم في بلادهم . وفي الوقت الذي كان هؤلاء الأمراء الصغار يلقون الرعاية بصفقتهم ضيوفا فوق العادة ، كانوا في نفس الوقت بمثابة رهائن ثمينة يضمنون ولاء أولياء أمورهم وهي السياسة التي تمارس حتى يومنا هذا ، من قبل الدول والجماعات : ما عظم منها وما صغر ، مع اختلاف أساليب الحصول على الرهائن .

ومن الواضح أن تطبيق نظام الضيوف والرهائن لأول مرة كان في جبل أوراس ، الذي ولع أهله بالحرية وعدم الخضوع للسلطة ، وذلك عندما طلب قائد الاقليم الكتامي أبو معلوم فجّلون من أهل الجبل سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، « رفع عيالاتهم إلى المهديّة » ، الأمر الذي أتى برد فعل عكسي إذ ثاروا به وقتلوه غيلة ، كما فتكوا برجال حاميته الكتامين (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) .

وفي نفس هذا الوقت (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) قامت قبائل نفوسة بمنطقة

(٩٦) انظر فيما سبق ص ٩٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ ، ١٨٧ .

طرابلس بالثورة - وان لم تعرف أسبابها - بزعامة رجل اسمه (أبو بطة) وعظمت الثورة الى حد أنهم هزموا الجيش الذي سيره اليهم المهدي بقيادة علي ابن سلمان الداعي ، وشتموا جموعه حتى اضطر الى اللجوء الى طرابلس . والظاهر أن الداعي لم يقتنع بجدية رجاله في القتال وذلك أنه عندما كتب الى المهدي بخبر الموقعة ، انتقم الامام من المنهزمين ، بل أصدر الأوامر الى عامله علي قابس ، علي ابن لقمان ، بقتل من يمر به منهم ، بينما أمده علي ابن سلمان بالجيوش التي شددت الحصار على نفوسة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) . هذا ، ولم يمنع اضطراب منطقة طرابلس من أن يمتد نشاط القوات الفاطمية الى داخل الحدود المصرية ، حيث اشتبكت مع القوات هناك في ذات الحمام ، غير بعيد من الاسكندرية ، الأمر الذي كانت له أصدأؤه على منبر المسجد الجامع بالقيروان (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) .

وبذلك تكون المهدي قد نجحت في سنواتها الأولى في توطيد الأمن في أفريقية والأقاليم الشرقية اعتمادا على سياسة الترغيب والترهيب التي مارسها المهدي بالنسبة لخصوم الدولة أو العاملين لحسابها ، وكان عليها أن تمكن لنفسها بعد ذلك في الأقاليم الغربية ، اعتمادا على نفس السياسة التي تعنى التشديد في الحساب ، وفي الثواب والعقاب .

الصراع ضد الزنانية في المغرب :

يلاحظ القاضي النعمان اضطراب بلاد المغرب عقب النقلة الى المهدي (٩٧) ، وهذا ما يفسر كيف ان مصالحة لم يمكث في حضرة الامام الا أياما قليلة خلال زيارته لها سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، حتى صدرت اليه الأوامر باللاحاق بولايته في تاهرت ، فخرج من المهدي في شهر شعبان من تلك السنة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٧) . وكان على مصالحة أن يواجه اضطراب الزنانية في المغرب الأوسط بقيادة محمد بن خزر ، الأمر الذي زاد من المواجهة السافرة مع الأمويين بالأندلس ، من أجل الهيمنة على بلاد المغرب المواجهة للعدوة وسواحل الأندلس وبضمنها بلاد الأدارسة في فاس وغيرها وهي الأقاليم التي أصبحت بفضل ذلك الصراع أشبه بالأرض التي لا صاحب لها في جبهة القتال (no man's land) ، كما يقال .

(٩٧) افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٨ - حيث القول : « والثالث أمر المغرب » وذلك بمذاهبية خروج أبي القاسم الى هناك سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م .

مقتل مصالة أمام محمد بن خزر :

هكذا خرج مصالة من ناهرت في سنة ٣١٢ هـ / ٩٧٤ م لحرب زناته ،
وتأديب زعيمهم محمد بن خزر . وإذا كانت الرواية تشير الى أنه أنزل
بالزنانية عقوبة شديدة في منطقته شلف ، « فاداخ بلدهم ، وقتل وسبى » ،
فإن الحملة انتهت بكارثة بالنسبة للقائد الفاطمي الذي لقي مصرعه في ميدان
القتال ، عندما انتهب محمد بن خزر أخذه على غرة ، وهو في قلة من أصحابه ،
وذلك في ٢٠ من شعبان من نفس السنة / ٢١ نوفمبر ٩٢٤ م (٩٨) .
ولا تمدنا النصوص بمن خلف مصالة في ولاية تاهرت ، وإن رأينا ابن
أخيه : حميد بن يصل المكناسي متربعا على دست الحكم في عاصمة المغرب
الأوسط تاهرت ، وإن كان ذلك فيما بعد منذ سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ،
بمناسبة الصراع من أجل السيطرة على فاس (٩٩) .

والحقيقة أنه قبيل الوقت الذي لقي فيه مصالة مصرعه أمام ابن خزر ،
كان ابن عمه موسى بن أبي العافية ، حليف الفاطميين ، يلقي هزيمة منكرة
على يدي حسن الحجام الادريسي ، صاحب فاس (عدوة القرويين) ، وذلك
في اللقاء الذي تم بينهما في (وادي المطاحن) فيما بين تازا وفاس . إذ فقد
موسى في المعركة أكثر من ٢٠٠٠ (ألفي) رجل ، على رأسهم ابنه : منهال (١٠٠)
والظاهر أن موسى بن أبي العافية نجح في تقويم الموقف ، كما يقول
ابن خلدون ، إذ رجع الحسن إلى فاس مفلولا ، الأمر الذي أدى إلى أن يغدر
به عامله على عدوة القرويين ، وهو حامد بن حمدان الهمداني ، الذي انتهز
الفرصة باكتساب رضا موسى ، فأرسل إليه يستدعيه إلى دخول فاس (١٠١) .

(٩٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٩ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٥ - حيث يجعل مقتل
مصالة في حملته إلى المغرب سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ، على يدي ابن خزر .
(٩٩) عيون الأخبار ، للداعي ادريس ، ص ٧٢ ، العبر ، ج ٧ ص ٢٦ ، القرطاس ،
ص ٨٣ .

(١٠٠) أنظر القرطاس ، ص ٨٢ - الذي يجعل الوقعة في سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ، ويجعل
القتلى من جانب موسى بن أبي العافية ٢٣٠٠ رجل وفي جانب الحجام ٧٠٠ رجل . وقارن
ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٨ - حيث الإشارة إلى أن موسى كان يتولى لبني أمية - وذلك حسبما
سوف يكون على ما نرى .

(١٠١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٤ ، وقارن القرطاس ، ص ٨٣ حيث تقدم الرواية
تفصيلات شبه قصصية عن دخول الحسين إلى المدينة وحده ، دون جيش ، ودخول حامد عليه
في داره ليلا حيث قيده وجبسه عنده وأغلق أبواب المدينة في وجه عسكره .

ولكنه بعد أن تمكن موسى من حى عدوة القرويين سلما ، ودخول عدوة الأندلس عنوة ، لم يتم الوثام بينه وبين حامد بن حمدان بسبب مطالبة ابن أبي العافية بتسليم الحسن الحجام ليأخذ منه بثأر ابنه ، الأمر الذى اضطر حامد الى ترك فاس واللجوء الى المهديّة (١٠٢) . وبذلك خلا الجو لموسى ابن أبي العافية ليس للاستيلاء على فاس ثقت ، بل ولتكوين دولة مغربية ، عرفت عند الكتاب باسمه .

اجلاء الأدارسة على عن بلادهم : فاس :

وهكذا انتهى الأمر ، كما تنص رواية البكرى ، بأن أجلى موسى الأدارسة أجمعين (عن بلادهم) حتى اضطروهم الى الالتجاء الى معقلهم فى حجر النسر الذى بنوه سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، وبذلك يكون موسى قد استولى على جميع المغرب ، كما استخلف ابنه على فاس . وظل الحال على هذا المنوال الى سنة ٣٢١هـ / ٩٣٣م ، أى قبل سنة واحدة من وفاة المهدي ، حينما قدم حميد ابن يصل ، ابن أخى مصالة ، ووالى تاهرت ، ليعيد حامدا والياً على فاس من جديد وان لم يلبث أن قتل ، ربما بتدبير موسى بن أبي العافية ، وذلك ان قاتله : أحمد بن بكر الجذامى بعث برأسه الى موسى . وكان من الطبيعى أن يلقى المهدي وهو فى آخر أيامه بتبعه تلك النكسة على حميد ابن يصل الذى اتهم بالتقصير فى مواجهة موسى بن أبي العافية ، وأنه عاد من المغرب الى المهديّة بدون اذن فكان جزاؤه السجن ، وان كان قد هرب بعد ذلك الى الأندلس (البكرى ، ص ١٢٧) .

والمهم من كل ذلك أن أحوال المغرب كانت قد بدأت تضطرب بشكل يثير القلق ، بفضل أعمال الخصوم العلنيين منهم ، من الزناتية ، مثل : محمد بن خزر الزناتى ، الذى بلغت به الجرأة الى حد قتل مصالة (سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م) أو الأصدقاء المتلونين ، مثل موسى بن أبي العافية .

(١٠٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ - ١٣٥ - حيث مزيد من التفاصيل ، عن : قتل عامل عدوة القرويين : عبد الله بن ثعلبة وتولية محمد أخى موسى ابن أبي العافية مكانه ورفض حامد تسليم الحسن ، بل والى اعاز اليه بالقرار ، حيث سقط وهو يتدلى من السور فانتسرت ساقه قبل أن يموت مستغنياً فى عدوة الأندلس بعد ٣ (ثلاثة) أيام ، وقارن روض القرطاس ، ص ٨٣ حيث افساء الشكل القصصى الاخبارى على الرواية ذات الطابع المنقضى بالنسبة لحسن والشرفاء الأدارسة . وقارن البكرى ، ص ١٢٧ - حيث الاشارة الى هرب محارب ، ابن والى فاس عبد الله بن ثعلبة ، الى قرطبة أو الى المهديّة ، الأمر الذى يعبر بشكل عام عن تذنب الأمراء المحليين بين القوتين الكبيرتين وتذاك ، فى المغرب والأندلس أى الفاطميين والأمويين .

محمد بن خزر يهدد تاهرت :

والحقيقة ان محمد بن خزر كان قد استأسد في المغرب الأوسط ، بعد انتصاره هذا ، حتى انه ابدأ يهدد تاهرت ، عاصمة الأقليم ، حيث زحف إليها في السنة التالية ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ، وهدد حاميتها الصغيرة المكونة من ٣٠٠ (ثلاث مائة) رجل بقيادة واليها فضل بن جوس ، الذي أرسل يستنجد بالمهدي طالبا المدد ، رغم ما تقوله الرواية من أنه هزم بن خزر (١٠٣) كما كان هذا الأخير يهدد المنطقة في السنة التالية ، ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م أيضا . والمهم ان محمد بن خزر ومن معه من زناته كانوا يستخدمون الأسلوب البدوي في الحرب ، وهو المبني على طريقة الكر والفر ، التي تعني حرب الجماعات الصغيرة ذات الامكانيات الخفيفة في مواجهة الجيوش النظامية البيطئية الحركية بتنادها الثقيل وخططها الحربية المحددة . وهكذا عندما سير المهدي الجيوش بقيادة موسى بن محمد الكتامي ، انهزم محمد بن خزر من أحواز طبنة ، عاصمة الزاب الى الصحراء ، بينما ترك أخاه عبد الله بن خزر كميناً لكي يفاجئ القوات الفاطمية ويهزمها في وادي مطماطة . ووجد المهدي صعوبة كبيرة في مواجهة ابن خزر عندما تحالفت معه قبيلة لماية ، وتمكنت من رد القوات الفاطمية بقيادة اسحاق بن خليفة ، وكذلك الامدادات التي تبعثها . وبذلك خضعت البلاد ما بين الزاب والجريد لمحمد بن خزر الذي جعل ولايتها لأخيه عبد الله الذي قاد النضال ضد الفاطميين (ابن عذارى ج ١ ص ١٩١) .

خروج أبي القاسم الى المغرب :

وفي هذه الظروف الحرجة كان على المهدي أن يضع ثقته في أبي القاسم ، ولى العهد لتتوهم الموقف ، فكان خروجه من المهديّة نحو المغرب يوم الخميس ٩ صفر سنة ٣١٥ هـ / ١٥ ابريل ٩٢٧ م (١٠٤) بينما كان على القوات المصاحبة له ، مما أمر المهدي بحشده من : قبائل كتامة وجنود أفريقية ، وعبيد

(١٠٣) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٥١ حيث النص على ان رسالة فضل وصلت المهديّة في شعبان - اكتوبر ٩٢٥ م ، وان الامدادات التي أرسلها المهدي كانت بقيادة علي بن سليمان بن كافي ، والمعلم بن محمد (الملوّس) ، ومحمد بن ثعلبة .
(١٠٤) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٥١ - حيث الرواية ذات التفاصيل الدقيقة ، سواء في الأحداث أو في التوقيت ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الخميس ٧ من صفر بدلا من ٩ .

القصر ، أن تتجمع تحت قيادته على طول الطريق ، فى : القيروان ، حيث وافاه عسكرها فى سبخة بنى معروف ، وفى الأربس ، حيث وافاه خليل ابن اسحاق التميمى على رأس ٤٠ (أربعين) ألف رجل من عساكر افريقية (عيون الأخبار ، ص ٥١) .

ورغم ورود الخبر من عامل تاهرت بفرار ابن خزر ، سارت الحملة فى الطريق المرسوم لها الى باغاية حيث كان الاعداد الأخير للحملة ، خلال شهر ونصف ، حتى آخر ربيع الثانى / ٣ يوليه . ففى باغاية وافته قبائل : مزانة ، وهوارة ، وصدينة ، وعجيسة ، وأهل تيجس ، وقصر الافريقى وزنانة وغيرهم (عيون الأخبار ، ص ٥١ - ٥٢) . وهنا مارس أبو القاسم سياسة الترهيب والترغيب التى تطلبت أخذ الرهائن من أبناء تلك القبائل ، ومن وجوه الناس الى المهدي ليقيموا فى كنف المهدي ، وتحت رقابته (١٠٥) .

وكان الرحيل من باغاية فى ٢ جمادى الأولى / ٦ يوليه والوصول الى سطيف فى اليوم العشرين / ٢٣ يولية ، حيث كان عليه أن يقرر الأمور فى بلاد كتامة ، الأمر الذى تطلب تتبع المنشقين ، من : قبائل مزانة ، وكيانة ، وبنى كملان . ولقد سار القائد جعفر بن عبيد فى ١٦ جمادى الثانى / ٣ أغسطس الى قلعة « عقار » المنبوعة لحصارهم ، وتمكن من اجتياح الموضع بعد ما أنزله فيهم ، من القتل والاحراق ، ثم أنه أعلن الأمان لكل من دخل فى الطاعة ، وأمرهم بالحقاق بالعسكر فى تاهرت (١٠٦) .

وكان من أهم ما تمخضت عنه حملة سطيف هذه ، تقرير بناء قاعدة فى المنطقة ، فى أرض بنى برزال وبنى كملان ، وهى : مدينة المسيلة التى عهد ببنائها الى على بن حمدون الأندلسى وهو أخو جعفر ، على أن يتخذها مقرا له مع عجيسة ، وجماعة من عبيد الحضرة (١٠٧) .

مطاردة الزناتية :

وعلى طول الطريق نحو الغرب ، كان أبو القاسم يقوم أمور البلاد

(١٠٥) عيون الأخبار ، ص ٥ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٠١ - الأمر الذى كان قد انار أهل جبل أوراس .

(١٠٦) عيون الأخبار ، ص ٥٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الاشارة الى قتال بنى برزال ومعوم من ثلاثة قبائل الجبال والانتصار عليهم .

(١٠٧) عيون الأخبار ، ص ٥٣ - حيث الاشارة الى انها أرض فيها مياه ، جارية وفحوص ، واسعة كثيرة الزرع .

والقبائل ، كما فعل بالزاب في أواخر جمادى الثاني / ١٦ أغسطس ، وفي
هواره حيث قضى شهر رجب / سبتمبر ، كما أمر بمعاوية العصاة من
الزناتية بقطع الميرة عنهم (عيون الأخبار ، ص ٥٣) . وخلال شعبان /
أكتوبر كان يشق بلد صنهاجة ، شمال الزاب وشرقي كتامة ، حيث نهر
شلف . وفي سوق حمزة التي وصلها في ١١ شعبان / ١١ أكتوبر ، وافته
جماعة كثيرة من زناتة يعلنون الطاعة ، ويطلبون الأمان ، فعفا عنهم ، وأغلق
عليهم الأموال ، الأمر الذي جعل غيرهم يحذون حذوهم (١٠٨) . فمع الاتجاه
نحو الغرب كانت طبيعة الأرض تزداد وعورة حتى تطلب الأمر من أبي القاسم
أن يمشي راجلا لصعوبة المسالك ، وهو يتابع عبد الله بن خزر (بن تبادلت)
أخا محمد ، الذي كان قد اعتصم بقلعة جمعة ، بجهة تاهرت ثم انه هرب
عندما اقترب منها أبو القاسم في آخر رمضان / ٢٨ نوفمبر (عيون الأخبار ،
ص ٥٤) .

وهنا تأخذ المطاردة شكلا دراميا مثيرا ، حيث يواجه أبو القاسم ،
الى جانب طبيعة الأرض الصعبة ، سوء الأحوال الجوية من الأمطار وكثرة
الوحد ، الى ما تدبره القبائل النائرة من : مطامطة ، وزبرقة ، من مفاجأة
العسكر الفاطمي ليلا ، الأمر الذي أحبطه الأمير بالاستعداد للقتال ، عن
طريق ايقاد السرج والمشاعل في كل مكان ، مما أفشل ما كان عبد الله بن خزر
قد أعدّه من الكمائن ، الى جانب حسن أداء القائد خليل بن اسحق (عيون
الأخبار ، ص ٥٥ - ٥٦) . وهكذا نجحت الجيوش النظامية ، بقطعها المختلفة
وخططها المرسومة في اقتحام معقل مطامطة الذين طلبوا الأمان فلبى نداءهم ،
بينما نجح ابن خزر - رغم تيقظ خليل - من الهرب (عيون الأخبار ،
ص ٥٧) . وبعد ذلك يأتي فتح زبرقة في المحرم من سنة ٣١٦هـ / فبراير
- مارس ٩٢٨م (١٠٩) بعد حصار شديد ، ويقظة من جانب خليل (أخي يعقوب)
ابن اسحق على رأس أهل أفريقية ، وشجاعة نادرة من ولي العهد الذي وقف

(١٠٨) . عيون الأخبار ، ص ٥٣ - ٥٤ - حيث النص على ان زعيم جماعة الزناتية هو
مصعب بن ماتا الزناتى .

(١٠٩) . عيون الأخبار ، ص ٥٩ - ٦٠ - وان جعل ذلك خطأ في سنة ٣١٤هـ / ٩٢٦م .
وقارن ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث التاريخ الصحيح ، وان جعل المدينة المفتوحة
« برقة » بدلا من زبرقة (في البلاد التونسية) - وان كانت طريقة الحوليات التي تجزئ الأحداث
في سنوات متوالية تجعل حملة سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م وكأنها قائمة بذاتها ، غير مرتبطة ببدايتها
في سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م .

باصرار في أول الصفوف وهو بكامل عتاده وسلاحه ، من : الدرع والسيف والبيضة على الرأس ، الأمر الذي انتهى بالوصول الى السور وهدمه بالفؤوس . وكل ذلك رغم المقاومة العنيدة من جانب المدافعين الذين كانت تتقدمهم النساء ، يحرضن على القتال ضربا بالدفوف ، مما تطلب الانتقام منهم باستباحة المدينة طوال الليل حتى طلوع الشمس (١١٠) .

وعندما وصلت الأخبار بالفتح الى المهدي بعد طول انتظار ، وعرف ما لاقاه ابنه ولى العهد من الصعوبات ، وهو ما يركز عليه ابن عذارى ، اختلطت لديه مشاعر انفرج بأحاسيس الأسى . فغلبه التأثر والبكاء (١١١) .

نجاح الحملة التأديبية :

وبذلك ظهر وكان أبا القاسم حقق ما كان يرجوه الامام الوالد ، من حملته التأديبية في المغرب الأوسط ، اذ أتنه انتبائل في معسكره بـ « تاغشمت » قرب زبرقة ، طاعة خائفة ، وهم لماية ومطاطة ومكناسة وقصيرة وهوارة ثم أهل العيون . وبعد أن هدم سور مدينة عبد الله بن خزر (ابن تبادلت) ، رحل أبو القاسم الى تهرت يوم ٣ صفر ٣١٦هـ / ٢٨ مارس ٩٢٨م ولكن جيشه النظامي « لم يكن ليستطيع متابعة ابن خزر الذي هرب في قفار الرمل والسباح الشبيبة بالبحار » (١١٢) . وهكذا كان عليه أن

(١١٠) عيون الأخبار ، ص ٦١ - ٦٣ - حيث الاشارة الى ان المدافعين عندما ياسوا من السمود مالوا على نسائهم وأولادهم فقتلهم بأيديهم واستماتوا . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث الاشارة الى ان أهل المدينة عندما نظروا غلبة الشيعة عليهم ، أحرقوا الأمتعة وعرقبوا النواب والمواشي ، وقتلوا حتى قتلوا ، وأسر منهم من استأسر ، وانتهب ما في الحصن . (١١١) البيان ، ج ١ ص ١٩١ - حيث الاشارة الى تأخر كتب أبي القاسم على المهدي لبعض الوقت فلما وصلت وعرف ما كان يلاقه ولى عهده من المتاعب غلبه البكاء ، وقال للمحيطين به ، من أفراد الحاشية : « هذا مولاكم يذكر في كتابه أنه أقام في مناخ واحد شهرا كاملا ، عليه المطر كل يوم بالغدر والآصال ، وأنه مشى عقابا كثيرة راجلا ، اذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها ، ويقتات كل يوم بيضة أو نحوها لكثرة الذباب في المسكر . وقارن العيون والحدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٣٣٩ - حيث الرواية المعاصرة المنسوبة الى ابن الجزار ، ومسنودة الى ابن المهدي : « أبو عبد الله (أحمد) الذي حدثه بها مباشرة ، وتختم بأبيات من الشعر تعبر عن شوق المهدي وقلقه وأولها : يا وحشتي للغريب في البلد النازح ماذا بنفسه صنعنا ، وعن الأمير أحمد بن المهدي أنظر ص ١٠٩ وه ١١٣ .

(١١٢) عيون الأخبار ، ص ٦٣ - ٦٩ ، وقارن العيون والحدائق ، ج ٤ ق ١ ص ٢٣٩ - حيث النص على فتح مطاطة وزبرقة وزناتة وهوارة ولماية ، وكل من خالطهم من الصغرية

يرجع قافلا من تاهرت بعد شهر (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢) الى بلاد الزاب حيث بلغ طبنة ، ورحل عنها بعد حين في ٣ رمضان / ٢٠ أكتوبر ٩٢٨ م .
وغير بعيد منها وافاه اليريد بكتب المهدي يعرفه بما تم لهم من الفتوح في الروم بصقلية وقلورية (كلا بربا) وفي مصر بذات الحمام ، حيث غنم العسكر بنودا وأعلاما أرسل بعضها الى أبي القاسم الذي عرضها منكوسة على رجال جيشه (١١٣) .

الاحتفال بالنصر مع بشائر ثورة أبي يزيد :

وكانت عودة أبي القاسم مظفرا الى المهدي في ١٥ رمضان سنة ٣١٦ هـ / ١ نوفمبر ٩٢٨ م بعد حوالي ٢٠ (عشرين) شهرا من خروجه منها . وأقيم الاحتفال بالنصر في الايوان (القصر) الكبير ، حيث جالس ، بصفته ولي العهد ، الى جانب الامام يتقبلان التهنئة من وفود كبار المهنتين (عيون الأخبار ص ٧٠) .

والصحيح أن « أعياد النصر » التي أقيمت في المهدي لم تكن لتعبر عن حقيقة الأوضاع في بلاد الزاب أو في المغرب من أوسطه الى أقصاه .
ففي نفس السنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م كانت بشائر حركة أبي يزيد ، صاحب الحمار في بلاد الزاب وما يتاخمها من بلاد الجريد ، ولا بأس أن يكون ذلك قد حدث في ثنايا انتفاضة الزناتية بقيادة ابن خزر في ذلك الاقليم . فقد كان ظهور أبي يزيد كآمر بالمعروف على مذهب الخوارج النكار في مدينة تقيوس حيث اشتغل بتعليم الصبيان ، الأمر الذي أدى الى الثورة على عامل تقيوس وقتله . ورغم هرب أبي يزيد أمام مطاردة رجال المهدي (انظر فيما بعد ، ص ١٧٢) فان محمد بن خزر نجح في السنة التالية (٣١٧ هـ /

والاباضية - وبلغ تاهرت ، وابن عذارى ، ص ١٩٢ - حيث الرواية المختصرة لا تذكر من أسماء القبائل الا حوارة ولماية ، كما تنحور قراءة « تاغشمت » فيها الى « نامثلت » ، حيث حمل الإقامة فيها شهرين مناظرا لابن خزر الذي كان بموضع أوران بعد .

(١١٣) عيون الأخبار ، نفسه ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - حيث يجعل سبب عودة أبي القاسم هو ما وصله من ابنه قاسم يعلمه بما تحدث به الناس من مبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى يابى على ، وان هذا الأخير كان قد صلى بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى ، فأقلقه ذلك وقدم المهدي .

٩٢٩ م) في الاستيلاء على كل بلاد الزاب (١١٤) ، بينما كان الأدارسة يتراجعون أمام موسى بن أبي العافية ، الأمر الذي دعا بني محمد منهم ، الى بناء المدينة الحصينة ، المعروفة بـ « حجر النسر » ، لتكون مقلا لهم (١١٥) .

تحصين تاهرت :

ورغم أن رواية ابن عذارى لا تشير الى رد فعل من جانب المهدي بالنسبة الى تلك الاحداث ، فاعلم الظن ان خروج حميد بن يصل سنه ٣١٨ هـ / ٩٣١ م من المهدي الى تاهرت ، كان بموافقة ضمنية منه ان لم تكن باذن صريح ، على عكس ما تنص عليه الرواية ، وذلك انه أصلح سور تاهرت وبني فيها قلعة تحصن بها ، كما عمل على عدم فساد العلاقة بينه وبين العامل السابق : حماد بن هاشم ، فردّه الى بلده بعد أن صاهره ، كما أصلح ما كان بين حماد وبين منافسه : سيار بن عبد الوهاب . أما عن تفسير خروج حميد بغير اذن بسبب استدعائه عن طريق الطلب من والده : يصل ابن حيوس (والى المنطقة الشرعى) توجيهه الى المهدي دون تأخير ، فمن الواضح أن المهدي لم يكن حائقا على حميد الذي لم يلق منه سوءا (ابن عذارى ج ١ ص ١٩٥ - ط بيروت ، ص ٢٧٦) .

التحالف بين موسى بن أبي العافية (في المغرب) والأمويين في الأندلس : دخول سبتة في طاعة الناصر :

والمهم أن موسى بن أبي العافية رأى ، لكي يضمن تثبيت أقدامه في المغرب الأقصى ، مما قد يهدده من أخطار ، أن يتحالف مع الأمويين في الأندلس . ففي السنة التالية (٣١٩ هـ / ٩٣١ م) كاتب عبد الرحمن الناصر بقرطبة ، يعرب له عن رغبته في الدخول في طاعته ، واستعداده

(١١٤) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٩٤ ، وقارن عيون الاخبار للداعي ادريس ، ص ٧٠ ، وقارن ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ص ٢٥ - حيث النص على ملك محمد بن خنزر الشلف وتنس وهران ، وأنه ولي عليها ابنه المنبر ، وبث دعوة الأموية في المغرب الأوسط عدا تاهرت .

(١١٥) أنظر : البكري ، ص ١٢٧ وص ١١٣ - ١١٥ - حيث تحديد حجر النسر في منتصف الطريق تقريبا ما بين سبتة وفاس ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٤ ، ط : بيروت ، ص ٢٧٤ - حيث يتبع ذلك بأعمال موسى بن أبي العافية ضد بني صالح الزاب نكرو ، وشد الحسن بن أبي العيش (الادريسي) مما حدث في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، وهو ما نشره في موضعه - أنظر فيما بعد ص ١١٢ .

«زواغة لغزو الحسن في عقر داره . وعلى طول الطريق استولى على بلد عامر ، أخى الحسن الذي تقاعس عن مواجهته ، فانتقم منه بإحراق المزارع في سهل جراوة ، الأمر الذي أرغم ابن أبي العيش على طلب الصلح . وانتهت التسوية الى رد الحسن ما كان أخذه من مال موسى (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠١ - ط بيروت ص ٥٨٥) ، وعودة جراوة الى صاحبها الحسن .

ولكن الصراع بين رجل المغرب الكبيرين لم يلبث أن ثار من جديد عندما هاجم موسى مدينة أوزقور التي كانت في طاعة الحسن الذي استجاب لطلب النجدة من أهلها ، فقامت الحرب بين الطرفين ، وكان أن فضل أهل جراوة الرجوع الى هيمنة ابن أبي العافية ، الأمر الذي أدى الى معاناة أهل المنطقة من مآسى تلك الحرب التي قسمتهم على أنفسهم ، دون طائل (١٢١) .

الصراع ضد زناته :

وكان من الطبيعي أن تثير مثل هذه الأخبار القلق في نفس المهندي الذي حاول انقاذ الموقف ، فكتب الى زعماء القبائل هناك يحرضهم على طاعته ، ويعددهم بارسال الامدادات اليهم ويمنيهم بالنصر الى جانبه والظفر (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٦) . ولكن الظروف لم تكن مواتية وقتئذ ، فبينما كان ابن أبي العافية يحقق ما سلفت الاشارة اليه من الانجازات في سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، اضطربت منطقة تاهرت بموت واليها يصل بن حبوس ، اذ اختار أهلها على بن مصالة ليلي أمرهم ، وكتبوا بذلك الى المهدي ، الذي لم يقبل بطبيعة الحال ، الأمر الواقع ، فجعل

(١٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط : بيروت ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ - حيث النص على ان أهل جراوة كاتبوا ابن أبي العافية ومكنوه من دخول المدينة . هذا ، وكثير بقية النص الى ان ابن أبي العافية قصد الناصر (المنصور أصلا) الذي دعا أهل جراوة الى الأمان ، فأجابهم بعضهم وتغلب على سائرهم ، وقتل بها جماعة . وقيل انه (ابن أبي العافية) أخذ زوجة ابن أبي العيش القرشية ، وأولاده ، وخيله وسلاحه ، وأحرق المدينة بالنار وانصرف الى محلته ، وبعث زوجة ابن أبي العيش الى أهلها مع ثقة أهل جراوة (ط : بيروت ، ص ٢٨٦) . وأغلب الظن ان تلك الأحداث تكرر لما سبقت الاشارة اليه عن الصراع بين موسى والحسن ، الا اذا كان المقصود بجراوة هي قبائل المنطقة التي انقسمت على نفسها بالنسبة للدخول في طاعة كل من الزعيمين ، الأمر الذي أدى الى اشتعال الموقف ، وتكرر مآسى تلك الحرب التي يمكن وصفها باللاملية - على نفس الوتيرة . وعن أوزقور التي تعتبر آخر حد صنهاجة ، انظر : البكري ، ص ٦٥ .

الولاية الى حميد بن يصل وأرسله الى تاهرت في جيش كثيف ، فكان وصوله في ذي الحجة/ديسمبر (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٢ - ط بيروت ، ص ٢٨٩) . واذا كان حميد قد نجح في تهدئة الأحوال في تاهرت بانزال الهزيمة بزعماء العصبان في المنطقة ، في مطلع سنة ٣٢٠ هـ/يناير ٩٣٢ م (١٢٢) ، فان عينة موسى بن أبي العافية كانت وقتئذ ، تزداد قوة في بلاد المغرب . فهو يسرع بمعاونة الأمير الزناتي محمد بن خزر عندما تحدهم سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م ، وأعلن مؤازرته للمحسن بن أبي العيش ، فيخرج اليه من جراوة ، ويفاجئه على غرة ، ويهزمه ويقتل رجاله (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ط بيروت ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠) .

اجتياح نكور والهيمنة على المغرب :

وهو في نفس السنة (٣٢٠ هـ/٩٣٢ م) يجتاح باسم الناصر مدينة نكور ، حيث يقتل صاحبها من بني صالح ، وهو : المؤيد بن عبد البديع بن صالح بن سعيد بن ادريس ويقيم الخطبة باسم خليفة قرطبة . ومن نكور يسير الى قاعدة الادارة في حجر النسر في منطقة جراوة ، ويرغم الحسن ابن أبي العيش على الالتجاء الى المرسى باكاس ، من حيث أبحر الى جزائر ملوية ثم الى جزيرة أرشقول المنيعه . بساحل تامسان - وهناك تحصن بأهله ومواليه ، وان لم يمنع ذلك ابن أبي العافية من اكتساح المنطقة ، والاستيلاء على مدن مرينة وأرشقول بعد أن ضرب الإدارة ، من بني محمد ، وأرغم من بقي منهم على دفع الفدية ، وتراجع قواد بني خزر وعمالهم . وبذلك خلصت البلاد ما بين تاهرت والسوس الأخصى لموسى ، ودخلت في مملكته (١٢٣) .

(١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ط : بيروت ، ص ٢٨٩ - حيث أوقع حميد بن يصل بدادود بن مصالة ، وسنان وأبي جميل بن برنو ، وان خبر ذلك قرىء في كتاب المهدي على منابر أفريقية في ٢ جمادى الآخرة / ١٠ يولية .

(١٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٤ - ط : بيروت ، ص ٢٧٤ - حيث توجد الرواية ضمن أحداث سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م قبل أن تأتي ملخصة في أحداث سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م (ج ١ ص ٢٠٤ - ط : بيروت ، ص ٢٩١) . والذي نرجحه هو أن يكون وضع تلك الأحداث من قبل ابن عذارى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (وكذلك الحال بالنسبة لروض القرطاس ، ص ٨٤) بمثابة تلخيص لأهم أعمال موسى بن أبي العافية ، وان موضع الانتصار الكبير لموسى على المحسن بن أبي العيش هو في سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ، والا لا كانت قلعة حجر النسر قد اكتسبت شهرتها في الحصانة والمنعة اذا كانت قد اجتاحت في سنة انشائها (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) .

فشل رد الفعل الفاطمي :

وهكذا كان على المهدي أن يسير في السنة التالية حفيد بن يصل . وفي صحبته حامد بن حمدان الهمداني ، نحو تاهرت وفاس ، حيث تبددت أمامه قبائل زناتة ومكناسة (العبر ج ٧ ص ٢٦) ، بينما فر موسى ابن أبي العافية إلى بلدة تسول (١٢٤) ، كما فر ابنه مدين ، الذي كان يلي فاس هاربا ، عندما تأكد من هذا النبأ . وعندئذ عين حميد لولاية فاس حامد بن حمدان . وأظهر ان وصول القوات الفاطمية إلى فاس أثار الحماس في نفوس الأدارسة في منطقة جزاوة وحجر النسر حيث ثاروا على القوات التي كان قد خلفها ابن أبي العافية تحت أمرة قائده « أبي قمح » فهزموها (١٢٥) . ولكن ابن أبي العافية نجح في مقابل ذلك في إثارة فاس على الفاطميين ، حيث قام أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي على حامد فقتله وبعث برأسه ، وولده إلى موسى الذي سيرها إلى قرطبة ، تأكيداً لولائه ، وإعلاناً لهيمنة الناصر على المغرب . وكان ذلك الفشل سبباً فيما نزل بحميد - الذي كان قد عاد إلى المهديّة من العقاب سجناً بتهمة «رحيله من المغرب بغير إذن ، دون مواصلة حرب ابن أبي العافية ، الأمر الذي سوف ينتهي بهربه على عهد القائم ، سنة ٣٢٨هـ / ٩٤٠م ، من سجن المهديّة إلى الأندلس ، لكي يزيد في اشتعال الخصومة بين الأمويين والفاطميين ، وبثبر الاضطراب في المغرب الأوسط بتحالفه مع الزناتية (سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م) قبيل ثورة أبي يزيد (١٢٦) .

وهذا ما تؤيده رواية البكري (ص ١٢٧) التي ينقلها ابن عذاري ، كما نرى ، ويضعها في قالبها التاريخي - حيث النص على انتصارات موسى على الأدارسة واجلائهم عن مواضعهم ، الأمر الذي دعاهم إلى اللجوء إلى (الانجاش في) « حجر النسر » الذي كان قد بنى سنة ٣١٧هـ / ٩٢٩م ، وكيف ان موسى اعتزم محاصرتهم واستئصالهم لولا احتجاج أكابر بلاد المغرب على أن يفعل ذلك رجل من البربر بآل ادريس (العلويين القربشيين) ، وهو ما ترتب عليه الاكتفاء بمراقبتهم من بعد ، بينما كان مدين بن موسى (بن أبي العافية) يخلقه على مدينة فاس ، وذلك قبل قدوم جيميد بن يصل من قبل المهدي إلى المغرب في السنة التالية (٣٢١هـ / ٩٣٣م) - وأنظر ما سبق ص ١٠٤ و ١٠٢ .

(١٢٤) البكري ، ص ١٤٢ ، القرطاس ، ص ٨٥ .

(١٢٥) البكري ، ص ١٢٨ ، القرطاس ، ص ٨٥ .

(١٢٦) أنظر : البكري ، ص ١٢٨ ، وابن خلدون ج ٦ ص ٣١٥ وج ٧ ص ٢٦ ، وأنظر

أيضا بعده ص ١٧٠ .

السياسة المالية على عهد المهدي :

أول ما نلاحظه فيما يتعلق بالسياسة المالية التي اتبعها المهدي ، هو أنها خالفت مسار السياسة المالية التي كان يتبعها الداعي أبو عبد الله منذ بداية نشر الدعوة الى انتهاء المطاولة أي الصراع بالظفر ، وإعلان الخلافة المهدية . فقد كان طابع سياسة الداعي المالية هو التخفيف ما أمكن عن دفع الضرائب في الأقاليم المفتوحة ، كنوع من الدعاية التي تساعد على نشر المذهب الفاطمي الذي تقوم عليه الدولة الناشئة ، كما هو الحال بالنسبة لكل الدول الوليدة عندما تبشر بإقبال عهد العدل والانصاف . وارتكزت سياسة التخفيف الضرائبي هذه على محورين ، أولهما : تقليدي ينادى بإسقاط الضرائب المستحقة في دولة الاسلام ، مما اعتبره البعض من قبيل المغارم وسموها بالمظالم ، فلا تبقى الا الضرائب الشرعية لحما ودما . فكان الدولة الجديدة تنادي - في نفس الوقت - بالعودة بالاسلام الى عصر النقاء الأول ، دونما بدع أو انحرافات . والمحور الثاني ، على العكس من ذلك ، تجديد يمتثل في حق الامام في الخمس الذي يتعدى نطاق المال الرسمي للدولة ، وهو الوافد من القنوات الشرعية ، الى مال الرعية من شيعية الامام مما كانت تمارسه الشيعة في عصور الستر والكتمان ، قبل قيام الدولة (١٢٧) . وهذا الخمس اذا ظهر من الناحية الشكلية كضريبة اختيارية يدفعها القادرون كالصدقة ، فان أداءه للامام كان ، من حيث المضمون ، أشبه بقاعدة مركزية من قواعد المذهب من حيث النظر الى أموال الرعية بصفتها مكاسب سلمية مثل المكاسب الحربية ، يحق للامام فيها الخمس ، فهي علامة الولاء للملوسة ، والولاية أو الطاعة للامام هي أسمى أصول المذهب ، الأمر الذي سيؤدي بظلاله المذهبية على بقية الضرائب ، وبالتالي على بيت المال جملة ، اذ يصبح للامام مطلق التصرف فيما يحويه من أموال الوارد والصادر ، مما يأتي ذكره .

(١٢٧) أنظر : ابن الأثير ، ج ٧ ص ٤٤٥ - عن حق الامام عند قرامطة الكوفة حيث النص على ان الداعية الأول كان يطلب ديتارا ويزعم انه للامام ، وأنظر : ص ٤٩٤ - عن الخمس عند القرامطة بالبحرين ، حيث النص على حضور رجل في سنة ٢٨١هـ / ٨٩٤م اسمه يحيى بن المهدي ، أظهر انه رسول المهدي الذي قرب وقت ظهوره ، وان الشيعة أجابته هناك . وكان ابن المهدي هذا يغيب ويظهر ومعه كتب المهدي التي طالبت أول الامر بأن يدفع كل رجل منهم مبلغا محددًا من المال ، وهو ٦٪ دينار ، قبل أن يطلب منهم أن يدفعوا الى يحيى خمسم أموالهم « فدفعوا له الخمس » .

هكذا كان أبو عبد الله الداعي برفض ضريبة الخراج (على أرض المسلمين) وان قبل التقاليد العمرية سياسة ، كما نطن ، فى جباية ضريبة العشر (أنظر ج ٢ ص ١٧٢ وه ٥٦٥) ، كما حرص على دفع حق الامام فى الحسن ، والمهدى لاجيء فى سجناسه (ج ٢ ص ٢٦٥) . وفى ضوء حق الامام أو حق الدولة ، لم يفرط فيما تركه الأغلبة من المتاع والأموال . فهو يتتبع تلك الأموال أينما كانت ، سواء فى رباط سوسه ، حيث وجد ٢٨ (ثمانية وعشرون) حملا من المال كانت لزيادة الله الأخير أو فى رقاده حيث جمع ما كان قد انتهب من الأموال هناك (أنظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٨٢) .

الحاجة الى مزيد من المال :

والحقيقة أن الدولة الفاطمية الفتية ، على عهد المهدي ، كانت فى حاجة الى المزيد من الأموال مع مرور الوقت ، من أجل تحقيق برنامجها الطموح فى اقامة دولتها العالمية ، بل وقبل ذلك ، نشر الأمن فى ربوع الدولة فى مرحلتها المغربية الأولى ، الأمر الذى كان يتطلب حشد كل الطاقات فى سبيل اعداد الجيوش والأساطيل ، ومما تتطلبه من الحصون والمسكرات والأسلحة والعتاد والحيل والأزواد - فالجرب كمشروع استثمارى ، كما يقال الآن ، لا بد لها من المال .

الحمس :

والحقيقة أن ترتيب ضريبة الحمس الخاصة بالامام ، وهو فى دور الستة ، تعنى أن الحركة الشيعية الفاطمية كانت تعرف مسبقا ، أهمية المال بالنسبة لتحقيق أهدافها . فالمهدى خرج من سلمية محملا بالمال ، ولهذا ظهر فى هيئة التجار ، وفى ذلك قيل انه كان يقدم الهدايا كما فعل مع أمير مصر فى تسهيل مسيرته ، كما تقول بعض الروايات (أنظر ج ٢ ص ٥٨٨) وكذلك كان يفعل فى سجناسه حتى قيل ان الدنانير الذهبية التى كان يخرجها أو ينفقها هى التى لفتت إليه الأنظار فكانت سبب اعتقاله (١٢٨) .

وهكذا كان من الطبيعى أن يهتم المهدي بجمع المال منذ الكشف عن شخصيته بعد استنقاذه فى سجناسه التى كانت من أسواق الذهب الهامة ، اذ خرج منها ترافقه أحمال التبر التى غرمها أهل المدينة بحجة

(١٢٨) أنظر ما سبق ، ج ٢ ص ٥٦٥ وه ١٢٧ ، ص ٥٩٢ وه ٢١١ .

أساءتهم الى الامام (ما سبق ج ٢ ص ٥٩٦ ، ٥٩٧) . وفى الطريق الى القىروان رأى عبيد الله المهندي أن يمر بإيكجان حيث كانت تحفظ الذخائر والأموال بمعرفة الدعاة من مشايخ كتامة فأخذها منهم ، الأمر الذى ساعد على فتور العلاقة معهم ، من غير شك (١٢٩) . وقريبا من هذا ما حدث فى القىروان عندما استقبله فقهاؤها وهنأوه وسألوه الأمان ، فأمنهم فى أنفسهم وذرائعهم ، دون اشارة الى الأموال رغم سؤالهم له ، الأمر الذى أدى الى أن « يخافه أهل العقل من ذلك الوقت » (١٣٠) . بمعنى أن أهل القىروان كانوا عرضة للغرامة أو المصادرة .

الغرامات والمصادرات :

وهكذا كانت الغرامات والمصادرات واستصفاء الاموال كعقوبات جماعية أو فردية ، من مصادر دخل بيت المال . ففي سنة ٣٠٠هـ / ٦١٢م عندما أخرج المهدي جيوشه الى طرابلس أغرم أهلها جميع ما أنفق على تلك الحملة (ابن الأثير ج ٨ ص ٦٦) ، وعندما سار حباسه فى السنة التالية ٣٠١هـ / ٦١٣م نحو المشرق ، كان كلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم كما أغرم أهل برقة ١٠٠ (مائة) ألف دينار تحت تهديدهم بالقتل ، وأخذ جميع أموال بنى حمال المزاتى بدعوة أنهم أساءوا الى الامام عند فدومه من مصر ، وسرقوا بعض ماله ومناعه (١٣١) . ورغم ما تقوله الرواية من أن المهدي اعتذر لأهل برقة ، وحلف بأنه ما أمر حباسه بشيء من ذلك فان هذا الأخير عندما دخل الأراضى المصرية فعل بها مثلما فعل ببرقة ، من : قتل الناس وأخذ أموالهم ، (ما سبق ج ٢ ص ٥٨٩) ، هذا ، كما كانت أموال أهل برقة هدفا لقوات المهدي التى دخلتها سنة ٣٠٤هـ / ٩١٦م ، بقيادة أبى مدين الذى استصفى أموالهم ، بعد أن أتت الحرب على أكثرهم . مدة ١٨ (ثمانية عشر) شهرا (ما سبق ، ص ٨٠) . وفى السنة الثالثة كان القائد مصالة يصالح يحيى بن أدريس فى فاس ، على الطاعة ودفع مبلغ من المال للامام ، كما أنه عاد وعذبه فى سنة ٣٠٩هـ / ٩٢٠م حتى أخرج له ماله وذخائره (ما سبق ج ٢ ص ٤٧٨) . ومثل هذا حدث بالاسكندرية

(١٢٩) القاضى النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ٢٨٩ ، أنظر ما سبق ، ج ٢ ص ٥٩٨ ، ص ٢٣٨ - حيث الاشارة الى الخلط بين أموال ايكجان والأموال التى أخذت من سبيلماسة .

(١٣٠) أنظر : ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٨ .

(١٣١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٧٠ ، ما سبق ، ج ٢ ص ٥٨٩ ، وإعلاء ، ص .

عندما دخلها أبو القاسم ، ولى العهد سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، اذ انتهب أموالها وجبى خراجها (١٢٢) ، وهو ما حدث فى سجلماسة سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥) . وفى نفس السنة (٣٠٩ هـ / ٩٢١ م) كانت أموال أهل القيروان هذفا لغارات أصحاب اعحارس تحت قيادة أبى سعيد الضيف . وعندما اشتكى المتضررون للمهدى حلف بأنه لا يعرف ، وان أمر بتغيير بعض أعوان أبى سعيد (١٣٣) . ومثل هذا ما شاع عن القاضى محمد بن عمران النفطى ، ولى قضاء القيروان بعد عزل اسحاق ابن أبى المنهال ، لئنه ، مع أنه وصل الى منصبه هذا بفضل الأموال التى كان يستولى عليها من الرشى وأموال الأوقاف (الأجاس) ، والننى تقرب بها الى المهدى (١٣٤) . ومثل هذا ما يقال من انه عندما توفى أبو حفص القلاسى سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م ترك دارا ومسجدا يجاورها وفندقا دون وارث ، لم يكتف عبيد الله المهدى بوراثته ، بل انه أوعز الى الناظر فى المواريث فأغلق له باب المسجد ليصبح جزءا من الدار والفندق (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٨) .

هذا ، عن المغارم والمصادرات على المستوى الجماعى والننى كان يصاحبها مغارم أخرى على المستوى الفردى . ومن أشهر الأمثلة لذلك ما وقع لأبى جعفر ابن خيرون ، وهو من أغنياء تجار القيروان ، الأندلسيين أصلا ، والننى كان يمتلك العديد من الفنادق المجاورة لسجن المدينة . فلقد قتل الرجل ، الذى يشهد له بأنه بنى مسجدا شريفا ، وذلك فى سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م بسعى من القاضى المروزى الذى شهد « بأن قبله وديعة كبيرة » فطولب بها ، وعذب حتى مات (١٣٥) . والأمر الذى تؤخذ منه العبرة ، هو أن القاضى المروزى

(١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨١ - حيث الاشارة أيضا الى انتهاب الأطمعة فى الفيوم ، وما سبق ص

(١٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٦ ، وما بعد ، ص ١٣٩ وهـ ١٧٧ ، وقارن ص ١٥٠ عن ولاية الضيف لصقلية .

(١٣٤) ابن عذارى ، هـ : بيروت ، ج ١ ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٦ - وحيث وفاته فى شهر ربيع الأول سنة ٣١٢ هـ / يونية ٩٢٤ م ، والنص على انه كان يرتضى على الأحكام - ويستشير فى ضروب من المنكر ، ثم عودة ابن أبى المنهال الى القضاء ثانية - حيث نص مرسوم العهد ، وفيه عزلناك للينك ومهانك ، ورددناك لدينك وأمانتك .

(١٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٩ ، وقارن ط : بيروت ، ص ٢٣٥ - حيث القراءة ابن جبرون بدلا من خيرون . وقارن ، رياض النفوس للسالكى ، تحقيق بشير البكوش ومحمد المظرى ، بيروت ١٩٨١ ، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٦ ، حيث انص على أن الرجل مات دهمسا تحت

تفسيه مات فى عذاب المهدي مغضوباً عليه سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ - ٩١٦ م ، حيث طولب بعض من كان له صلة به من وجهاء القيروان وتجارهم بعد وفاته ، بما كان لديه من المال وعذبوا من أجل ذلك (ابن العذارى ، ج ١ ص ١٧٣) .

المغانم :

واذا كانت عقوبات مدن الداخل ، وما ينزل بها من الغرامات ، قد صارت مورداً لبیت المال ، فقد كانت المغانم التي يؤتى بها من بعض مدن الخازج البحرية ، هي الأخرى ، من روافد بیت المال بالمهدية . وذلك كما حدث فى غزو مدينة أغاتى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م (فيما بعد ص ١٥٦) ، وكما حدث فى غزو الروم فى صقلية سنة ٣٠٣ هـ / ٩٢٥ م ، حيث عاد الحاجب قائد الأسطول بالسبايا والهدايا الى المهدي الذى كان وقتئذ يعرض جواهر وأموال مدينة وادى (أورية) ، وهو يقول: « والله ما أعطاني من الجمل الا أذنيه » (فيما بعد ص ١٥٧ ، ١٥٨) ، بمعنى أنه كان يرغب فيما هو أكثر من ذلك ، وأنه كان ينظر بعين الريبة فى صحة نصيبه من الخمس ، ويتهم الحاجب القائد بالغلول (١٣٦) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن العهد الى صابر الفتى (مولى ابن قره) سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ، بولاية القيروان (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٩) اذ انه كان فى السنة التالية ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م يغزو صقلية ويصيب ويسبى (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٠) ، كما كان فى السنة التى تليها (٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، يغزو ايطاليا (بلد الروم) ويحتوى على ما فى القلاع ويصالح أهل المدن على الأموال والديباچ (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٣) وبعد الغزو التالية ، ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، التى فتحت فيها مدينة ترمولة عاد منصرفاً الى المهدية (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٥) .

أقدام العبيد السودان ، اذ « بطح على ظهره وطلع السودان فوق السرير فقفزوا عليه بأرجلهم ، حتى مات ، ومثل هذه الميتة كانت للمروزي الذى ركضته الخيل فى اسطبل الدواب ، وقارن ما يأتى : ص ١٣٥ وهـ ١٧٠ .

(١٣٦) قارن افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤ - حيث البص على أنه عندما استكثر صاحب بيت المال حصيلة شهر رمضان التى بلغت ١٠٠٠٠ دينار ، قال المهدي : لو بلغنى الله فى حقى ٠٠٠ ما رضيت مثل هذا البطء لرجل واحد من أوليائى . والنعمان يضيف الى ذلك أن المهدي كان جواداً بالمال ، وكان مع ذلك لا يضيع أقل شئ من المال ، فهو لا يستهين به ولا يصرفه فى غير حق .

التراتب المالية :

ومثل هذا الحرص في جمع المال ، وتلك الدقة في حساب العمال ، يتطلب بطبيعة الحال ، اهتماما بالتراتب المالية التي كانت قد انهارت في البلاد اثر سقوط الدولة الأغلبية ، ما بين طمع الأمير الهارب وفساد ذمم العمال ، والعمل على تقويمها بما يتفق وأهداف الدولة الجديدة . ولما كان من المعروف أن أبا عبد الله الداعي كانت له تراتبيه الخاصة سواء في ايكجان أو في تازروت ، فمن المعروف أيضاً أنها كانت نظماً بسيطة تتفق مع بساطة الدعوة وطبيعة المجتمع القبلي في بلاد كتامة . فالداعي عندما دخل القيروان كانت لديه نظم خاصة بالسكة ، والسلاح والكتابة ، وبيت المال ، وديوان الخراج ، والعطاء والقضاء (ابن عذارى ، ج ١ ، ص ١٥٩) . ومن الواضح أن النظم المالية نالت عناية فائقة من المهدي منذ دخوله القيروان - وهذا ما يفسر استخدامه لبعض عمال الأغلبية ، كما فعل بابن القديم الذي عهد إليه بالخراج ، والذي اتهمه فيما بعد باحتجان بعض ما كان في عهده من المال الأغلبى (مسبق ص ٦٥ و ٦٨) . وفي نظم الدولة المالية يقول القاضي النعمان ان المهدي دون الدواوين ، وأمر باقتضاء واجب الأموال . وكان ديوان الخراج قد أحرق لما هرب زيادة الله فأمر به فأحس (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣) .

ديوان الكشف :

وفي هذا المجال يقدم النعمان معلومات طريفة عن بعض الدواوين ذات الصلة بديوان الخراج أو المتفرعة عنه ، مثل : ديوان الكشف ، وديوان الضياع ، وديوان أموال الهاربين مع زيادة الله ممن استصفيت أموالهم ، وإن ترك ما كان لنسائهم (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣) . كما تتبع المهدي ما كان قد نهب من قصور رقادة فاسترجع كثيراً منه من أيدي الناس ، أو طولبوا به ، واجتمعت منه أموال كثيرة (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤) . ولقد أقام المهدي أيضاً ديواناً لبيت المال الذي كانت حصيلته في شهر رمضان وحده ، ١٠٠٠٠ دينار (افتتاح ، ص ٣٠٤) . والنصر على كثرة دخل بيت المال (أنظر الهامش السابق رقم ١٣٦ ص ١٢٠) في شهر رمضان يوعز إلى أن ذلك راجع إلى كثرة الدخل من الأسواق في شهر الصوم ، حيث كانت المبالغة في العناية بأمور الطعام والشراب ، قبل الاهتمام بالكساء في أواخر أيامه .

ضرائب مستحدثة :

التضييع :

وهكذا يكون المهدي قد استحدث دواوين جديدة مختصة بجمع الأموال وترتيبها في أوجه نفقتها المختلفة ، وعلى نفس المنوال كان من الطبيعي أن يستحدث أنواعا جديدة من الضرائب التي عرفت بالمغارم ، ليسد به حاجات بيت المال التي كانت تزداد مع تطور الدولة على مر الأيام . من ذلك ضريبة « التضييع » ، التي فرضت سنة ٣٠٥هـ / ٩١٧م على ضياع أفريقية ، فهي اذن من ضرائب الأرض (أو الخراج) التي وصفت بأنها من بقايا التقييط (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨١) ، بمعنى التعديل الضريبي أي الإصلاح الضريبي الذي كان يتم ما بين الحين والحين . وكان من أهم الضرائب المستحدثة ، التي نظر إليها على أنها من المظالم الفاضحة ، ضريبة طريق الحج التي قررها المهدي في السنة التالية لاستقراره في المهديّة (سنة ٣٠٩هـ / ٩٢١م) ، اذ أمر بأن يكون طريق الحاج ، اجباريا ، على المهديّة حيث يكون التوقف في موضع « بندون » لأداء ضريبة تسمى « الشطور » علما بأن طريق الحج السوي ، أي المختصر ، هو طريق مصر « الكبير أو الدولي » كما يقال الآن « الأمر الذي كان موضع التنذر بين الناس (١٣٧) » .

الشطور : ضريبة الحج :

والحقيقة انه اذا كان ظاهر خبر تحويل طريق الحج الى المهديّة يمكن أن يعبر عن أن صريبه « شطور » هي ضريبة على الحجاج ، كما تريد الرواية المناهضة للفاطميين - على ما يبدو ، فالحقيقة هي أن « الشطور » ليست ضريبة حج بل ضريبة خراج ، مما يفرض على الأراضي الزراعية . ففي سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م عندما عهد المهدي بولاية الخراج بأفريقية الى : أبي معمر عمران بن أحمد بن عبد الله بن أبي محرز القاضي ، قام الرجل بإصلاح ضريبة الخراج في بلاد أفريقية بحيث تكون ضريبة موحدة ، أقرب إلى العدل (القسط) والواقع ، بحيث لا يضار أصحاب الضياع كثيرا يتذبذب الانتاج الزراعي ، ولا تتأثر ميزانية الدولة نتيجة لذلك . ولكي

(١٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٦ - حيث الإشارة الى أنه كان من أمثال أهل القيروان ، أيام الأغالبة ، عند المطالبة بشيء ممتنع أن يقال : « اذا اردت الحج فخذ على بندون ، فقال للناس : صار المثل القديم حقا » .

يحتق أبو معمر هذا الهدف ، نظر في متوسط ضريبة العشر على مختلف المزارع (الضياع) من أعلاها الى أدناها - تبعا لمساحة الأرض بطبيعة الحال - وأخذ المتوسط بين الطرفين ، وهو « الشطر » الذي أصبح ضريبة موحدة على مختلف الضياع (١٣٨) ، الأمر الذي كان من أغراس بعض ملوك الدولة الأغلبية من قبل (أنظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٤١) .

وبذلك تكون ضريبة الشطور (ومفردها شطر) : ضريبة خراج وليس ضريبة حج . أما عن جمعها على طريق المهدية في موسم الحج ، فكان بمثابة المراجعة الضريبية على الحجاج وما كانوا يحملونه من المال ، بهدف أن يدفعوا ما يكون مستحقا عليهم للدولة ، قبل مغادرة البلاد بأموالهم لأداء المناسك . وأغلب الظن أن ديوان الكشف الذي استحدثه المهدي (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٣ ، وانظر فيما سبق ص ١٢١) سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م ، في وقت مبكر ، حسبما يضعه ابن عذارى ، والذي جعل إدارته مشاركة الى كل من : أبي جعفر البغدادي ، كاتبه ، وعمران بن أبي خالد بن أبي سلام (البيان ، ج ١ ص ١٦٢) ، ربما كان يقصد به كشف المتهربين من ضريبة الأرض ، خاصة (١٣٩) .

ديوان الدعوة :

ولا ندري ان كان من بين الدواوين المالية المستحدثة في الدولة الفاطمية الناشئة ديوان خاص بالدعوة يكون اختصاصه ضبط الأموال التي تنفق عن طريق الدعاة الذين كانوا يحملون المال والأخبار سرا ، من الحضرة الى سائر الأقاليم ، وهو ما كان دارجا على أيام أبي عبد الله ، وكان يحقق الاتصال الدائم بالامام سواء في سلمية أو في سجلماسة . وكان ذلك النوع

(١٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٣ .

(١٣٩) قارن موسى لقبال ، دور كتامة ص ٤٢٣ - حيث يبدو ان المقصود بالكشف هو كشف المخالفين للمذهب . والحقيقة أنه قد يساند هذا الرأي ثقة المهدي بأبي جعفر البغدادي ، واستعانته به في التخلص من الداعي (ما سبق ، ص ٦٢) حتى أنه عهد اليه بعد ذلك سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م بديوان البريد (الخبر : المغايرات) . ولما كان البريد وثيق الصلة بالخراج اذ وليه ابن القديم أول ولاية الخراج للمهدي (ما سبق ، ص ٦٢) فان مشاركة عمران له في ادارة ديوان الكشف يعني عدم تخصص أبي جعفر ، وهو الكاتب ، في تلك الادارة الفنية التي تتطلب خبرا وهو ما يرجح ما نقترحه من أن يكون ديوان الكشف قريب الصلة بديوان الخراج .

من النفقة أشبه بما يسمى حاليا « بالمصاريف السرية » والحقيقة ان الداعي ادريس يمدنا بمعلومات طريفة في هذا الشأن ، تشير الى أن يعقوب ابن اسحق ، عندما قبض عليه في مصر ، في حيلة سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م ، وحمل الى بغداد (انظر فيما سبق ص ٢٧) كان دعاة المهدي يوصلون اليه المال والأخبار طوال ١٤ (أربعة عشر) عاما . انتهت بمقتل الخليفة المقتدر ، وعودته الى المهدي سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على أواخر أيام المهدي (١٤٠) .

وهكذا تعددت واردات بيت المال وأوجه النفقة ، فتمثلت تبعاً لأهميتها ، في اعداد الجيوش والأساطيل مع رواتب الموظفين والعمال المدنيين في البلاط ، وفي مختلف الدواوين ، ونشر المذهب الفاطمي والعناية بالعلم ، عصبية الدولة وأصل قواها الكامنة ، الى جانب شراء الأعوان والخلفاء المجاورين ، مما كان يسهل تمدد الدولة اقليمياً وتوسعها معنوياً ، واقامة المدن من ملكية وشعبية ، والعناية بالأسواق والحرف والصناعات ، واجبة الحضارة الفاطمية المادية ، والدليل الملموس على نجاحها مذهبياً ، بصفتها دولة الأئمة الشرفاء من آل البيت ، ولكل ذلك حرص المهدي على جمع المال في مظانه المختلفة ، وكان ، كما تنص رواية القاضي النعمان ، جواداً به ومع ذلك فهو لا يضيع أقله ، اذ لا يستهين بالمال ، ولا يصرفه في غير حق (افتتاح الدعوة ، ص ٣٠٤) .

السياسة الدينية :

ما بين الدين والمال :

ارتبطت السياسة الدينية بالسياسة المالية بنوع من الرباط العضوي

(١٤٠) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٧٣ - ٧٥ . حيث الاشارة الى أن السجناء في بغداد انتهى به الأمر الى الاثراء من كثرة ما كان يعطيه يعقوب ابن اسحق ، وأن ذلك كان سبباً في أن أطلق السجناء سراحه عند وفاة المقتدر . هذا وإن اتخذت الرواية شكلاً قصصياً مثيراً - بعد ذلك - فيما يتعلق برحلة العودة الى المهدي ، حيث تكثر العقد أو المواقف الحرجة ، مما يصلح لأعمال السيناريو الروائية - كما يقال الآن . فيعقوب يتخفى في زى الصوفية ، وينجح في التخلص عندما كشفه جواسيس بغداد في مصر ، ثم انه يتزوي بزى النساء ليعبر جسر الجيزة في صحبة زمرة من النساء الى مخبئة (طريق) المغرب ونجاته بفضل من كن معه من النساء رغم كشفه ، الى سلسلة ، أخرى من مثل هذه المغامرات العجيبة . والرواية هذه وإن كانت من نوع القصص الشعبي ، فانه من حيث المضمون تبين أساليب التخفي التي كان يلجأ اليها الجواسيس والملاء في تلك العصور .

من حيث ان كلا من المال والمذهب الاسماعيلي الفاطمي كانت له ، الى جانب مزاياه الايجابية تأثيراته السلبية . فجمع المال يوصف عادة بالظلم ويخلق العداوة ، وانفاقه يوصف بالجود ويجلب المحبة . وعلى نفس النسق ، بينما كان المذهب الشيعي يكتسب الى جانبه الأنصار كان يولد الخصم في صفوف أهل السنة . وبسبب صعوبة الموازنة بين السلبي والايجابي في كل من الجانبين ، كانت الدعايات المبشرة بقيام الدولة الجديدة ، وعهود الخير ، تبدأ معتدلة وهي تحاول التوفيق بين القديم المدبر والجديد المقبل ، قبل أن تكشف النقاب عن حقيقة أمرها .

تساهل الداعي : ظاهر علم الأئمة :

هكذا بدأ أبو عبد الله الشيعي دعوته بنشر ظاهر علم الأئمة مما يتفق مع مذاهب أهل السنة ، من الدعوة الى المعروف والنهي عن المنكر ، دون الكشف عن أسرار الباطنة (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٥٣) . وهو اذا كان قد أحدث بعض التغييرات في صيغة الأذان أو ألغى صلاة الاشفاع (التراويج) أو أمر بتفضيل آل البيت على من سواهم ، فقد كان يفعل ذلك باسم «الكتاب والسنة» ، وبشكل معتدل . فهو لا يقبل تطرف أخيه أبي العباس عندما أراد نفى المعارضين من المالكية عن القيروان ، ولا يستجيب له (١٤١) . وهو يستنكر ما قام به بعد ذلك من عقوبة اثنين منهم بالحبس والقتل والتشهير ، هما : ابن البرذون وابن هذيل ، ويرد عليه من سجل مأساة قائلا : « قد أفسدت علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة الى اصلاحه » (١٤٢) . ولا شك أن اعتدال الداعي لم يلق الترحيب من عبيد الله الذي كان يرى استثمار المذهب في سبيل تأكيد السلطة ممثلة في شخصه ، بصفته اماما مهديا ، له حق الطاعة المطلقة . ففي سبيل توطيد مركزه كان أول توقيعاته (قراراته) الذي أصدره في يوم الجمعة ٢١ ربيع سنة ٢٩٧هـ / ١٨ ديسمبر ٩٠٩م ، غداة وصوله الى القيروان ، يأمر بالدعاء ، بعد الصلاة على محمده ، وعلى فاطمة والحسن والحسين ، وعلى آبائه خلفاء الله الراشدين المهديين ،

(١٤١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(١٤٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٤ - ١٥٥ - حيث النص على أن القتيلين هما : إبراهيم ابن محمد الطيني ، المعروف بابن البرذون ، وأبو بكر بن هذيل وان الذي وشى بهما هو الفقيه الحنفي - على مذهب أهل العراق الذي أجازوه لما فيه من الترخيص - وأصحابه بتهمة الطعن في الدولة والتسوية بين علي بن أبي طالب وبين أبي بكر وعمر وعثمان .

بالصلاة أيضا على الامام المهدي : عبد الله بن أبي محمد ، خليفة الله ، والقائم
بأمر عباده (١٤٣) .

تشهاد المهدي :

وهكذا سار المهدي في سياسة التشدد في نشر المذهب الفاطمي بين
الناس دون هوادة باستخدام الترغيب والترهيب . فبعد تمام صلاة الجمعة
التي أعلن في خطبتها تلقيه بالمهدي خليفة الله ، بجامع القيروان ، في نفس
يوم ٢١ ربيع ، جلس الشريف (العلوي) رئيس الدعاة ومعه أعوانه ،
وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، حسب رواية ابن الأثير ، ودعواهم إلى
مذهبهم ، فمن أجاب (ضمه) إليه ومن أبي حبس (١٤٤) .

مذهب جعفر بن محمد :

ومن أجل فرض المذهب ، أصدر القاضي محمد بن عمر المروزي ، الأمر
إلى الفقهاء ألا يفتي أحدهم إلا بالمذهب الرسمي للدولة ، الذي سماه :
مذهب جعفر بن محمد (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٩) . والمقصود هنا ،
هو جعفر المصدق ابن محمد المكتوم ، وليس جعفر الصادق . والظاهر أن
الهدف من ذلك هو اجتذاب الشيعة الاثني عشرية إلى صفوف الاسماعيليين .
الفاطمية بمعنى توحيد الحركة الشيعية تحت رعاية المهدي ، اعتمادا على اتفاق
المذهبيين في بعض الفروع ، مثل : « سقوط الحنث عن طلق البتة » ،
واحاطة البنات بالميراث » - وهذان الأمران من أهم ما يميز المذهب الشيعي
عن المذهب السنّي (١٤٥) ، وكذلك سقوط الرجم عن الزاني ، والمسح على

(١٤٢) افتتاح الدعوة ، ص ٢٩٣ ، وقارن محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية ،
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - حيث اضافة ما يقرره ابن حنبل
(حماد) ص ١٦ ، من : قول المؤذن : حياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين .
وقارن ، ط : الجزائر ١٩٨٤ ، ص ٢٧ - حيث النص « أحيك » بدلا من « حياك » ، ويستمر
في ٣ أسطر : « وجامع شمل الاسلام والمسلمين ، وأعز بسطائك جانب الموحدين ،
وأباد بسيفك كافة الملحدين ، وصلى عليك وعلى آباءك الطاهرين ... الخ .

(١٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩ - حيث النص على أنه لم يدخل في المذهب رغم ذلك
الا قليل من الناس رغم ما تشير إليه الرواية بعد ذلك من التشدد الذي بلغ حد « قتل كثير
ممن لم يوافقهم قولهم » .

(١٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٩ ، وانظر الاستبصار ، ص ٢٠٥ - حيث تفسير سقوط
الحنث عن طلق البتة بتحليل المطلقة ثلاثا (دون حاجة إلى « المحلل » ، وهو ما يختلف عند

الخفين ، وإيمان الحرج الى جانب تقرير « الصوم بالعلامة والفطر بها » (أى بالحساب) (١٤٦) . هذا ، كما أصر المهدي على نشر المذهب وراء قواته الفاتحة ، كما حدث في مصر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، عندما دخلت الاسكندرية اذ صدرت الأوامر بتعديل أذان الفجر بحيث يشمل عبارة « حى على خير العمل » . كما عين قاضيا من لدنه ، بمعنى اقرار العمل بالمذهب الفاطمي هناك (١٤٧) .

غلاة المذهب :

وهنا نلاحظ ان المصادر السننية تتماهى فى المبالغة ، عندما تنسب الى الشيعة الفاطمية ممارسات مما ينسب عادة الى المتطرفين من الاسماعيليه كالقرامطة . فابن عذارى ينص على أن عبيد الله المهدي أظهر التشيع القبيح ، وسب أصحاب النبي وأزواجه ، باستثناء على بن أبى طالب وبعض رفاقه (١٤٨) . وهكذا تشير بعض النصوص أيضا الى ان المهدي كان يستمع الى مديح الشعراء بالكفر ، من تشبيهه بالأنبياء ، بل وبالله كذلك ، وأنه كان يستجيز ذلك (١٤٩) .

أهل السنة عن اعتبار يمين الطلاق ثلاثا ، الواحد ، كطلقة واحدة) . أما عن ميراث البنات فيشرحه الاستبصار بقوله : « توريث البنت اذا انفردت بجميع المال كله » ، مع ان الله يقول : « وان كانت واحدة فلها النصف » . (١٥٦) الاستبصار ، ص ٢٠٥ - حيث النص على ان اظهار المذهب وتسميته بمذهب أهل البيت حدث على عهد القائم بعد وفاة المهدي . وقارن محمود إسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية ابان قيام الدولة الفاطمية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - حيث اضافة « القنوت فى صلاة الجمعة قبل الركوع » مما يضيفه ابن حماد (حماده) ص ١٦ الى ما سبق ذكره .

(١٤٧) أنظر عيون الأخبار للداعى ادريس ، ص ٣٣ .
(١٤٨) البيان ج ٢ ص ١٥٩ ، حيث القول : انهم ارتدوا عن الاسلام ، حاشى على ، والمنداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، وأبى ذر الغفارى .
(١٤٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٦٠ - حيث يسجل شعر محمد بن البديل كاتب أبى قضاة ، الذى يقول فيه :

حل برقادة المسيح	حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصطفى	حل بها الكيش والذبيح
حل بها الله ذو المسالى	وكل شيء سواه ربيع

هذا ولو ان البعض نسبته الى محمد بن هانى الأندلسى فكانه قيل فى المز وان لم يجده ابن الأثير فى ديوانه ، كما يقول - ابن الأثير ج ٨ ص ٢٢١ . وأنظر فيما بعد ص ٢٨٤ ، وقارن فيما سبق ، ص ٢٠٠ .

والذى نراه هو أنه كان هناك عدد من الشيعة المتعصبين للإمام ممن يذهبون فى تبجيله الى حد التقديس . والمثل لذلك ابن سيرين الحنفى (الجديد فى المذهب) الذى سار حافيا مع الداعى من القيروان الى سجلماسة محتسبا للثواب فى طلب الامام (ما سبق ج ٢ ص ٥٩٤) . وأن المهدي وهو فى سبيله الى تركيز السلطة بين يديه ، والتخلص من الداعى وأنصاره كان يسمح ان لم يكن يشجع ، مثل هذا الاعتقاد فى عصمة الامام ، الأمر الذى أدى الى انزلاق البعض فى التطرف والغلو الذى يظهر كنوع من التأليه ، مثل اتخاذ مقر الامام قبلة ، كما فعل أحمد البلوى تاجر العبيد (النحاس بالرقيق) الذى كان يتجه فى صلاته وهو بالقيروان جنوبا نحو رقادة ، ثم انه اتجه شمالا فى صلاته ، عندما انتقل الامام الى المهديّة . وفى تبرير ذلك ينسب الى الرجل أنه كان يقول : أنا لا أعبد ما لا يرى (١٥٠) .

وفى سبيل توطيد سلطة الامام ، تأكيدا لمبدأ الولاية والطاعة الواجبة له ، وخاصة بالنسبة للكتاميين الذين ساءهم تذلل زعيمهم الداعى فى حضرة الامام بسجلماسة (أنظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٩٧) . فقد كان عليهم قبول الطاعة المطلقة الى حد أن يكون قسمهم الذى يحلفون به ، عند قدومهم الى أفريقيا ، هو : « وحق عالم الغيب والشهادة . مولانا المهدي الذى برقادة » بمعنى أنهم ، الى جانب الولاية ، يقرون للإمام بعلم الحدثن وهو التاريخ المستقبلى للإمامة (١٥١) الأمر الذى جعل بعض شباب القيروان يرد على ذلك بكتابة بطاقة يقول فيها :

الجور قد رضينا
يا مدعى الغيوب
لا الكفر والحماقة
من كاتب البطاقة (١٥٢)

(١٥٠) أنظر فيما سبق ، ص ١٠٠ و ٩٥ (عن المهديّة) - حيث يقول فيها الشاعر ، كما يقال فى الحرم المكي : هى المهديّة الحرم الموقى كما بتهامة البلد الحرام - ابن عذارى ج ١ ص ١٨٤ .

(١٥١) ابن عذارى ج ١ ص ١٦٠ (عن القسم) ، وقارن المجالس والمسائرات للنعمان ، ص ٥٤٢ حيث يتنبأ المهدي للمنصور وهو جنين فى بطن أمه ، بكشف غيبة ابن يزيد ، عيون الأخبار للداعى أرديس ، ص ٨ - حيث رواية النعمان التى يقول فيها ، انه : « انهض القائم الى مصر كرتين ، رغم علمه أنها لا تفتح » ، أنظر فيما سبق ص ٢٨ ، ٩٢ (عن علم الحدثن) .

(١٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٠ - حيث الإشارة الى أن ذلك اشتد على المهدي الذى حاول الكشف عن كاتب ذلك ، فلم يقع له على شبر .

مسئولية الدعاة :

والحقيقة ان مسئولية كثير من مثل تلك الممارسات التي انحرفت بالمذهب الاسماعيلي بعيدا عن الأصول السنية المتعارف عليها ، سواء على المستوى الرسمي ، مما يتعلق بالقرارات والنظم والقوانين أو على المستوى الشعبي ، مما يتعلق بالعادات وأداء الشعائر والاحتفالات لا تقع على عاتق الأئمة وحدهم ، اذ ربما شاركهم بعض الدعاة أو انفرد به بعض المتطرفين منهم أو من رجال الدولة الذين تحمسوا للمذهب أكثر من أصحابه ، فكانوا ملكيين أكثر من الملك كما يقال . وهنا لا بأس من الإشارة الى أن كثيرا مما طبق من تعاليم المذهب أُلقيت تبعته على كاهل من أشرف على تنفيذه . والمثل لذلك القاضي المروزي الذي واجه اجتماع فقهاء المالكية عندما أمر بأسقاط صلاة التراويح ، علما بأن الداعي هو الذي أسقطها منذ هلال أول رمضان ، في بلاد كتامة (ابن غذارى ج ١ ص ١٧٠ - ط بيروت) ، وان تراوخت ردود الفعل بين الناس ، فالتمسكون أعربوا عن احتجاجهم بأن كتبوا في حائط قبلة الجامع حيث جلوس المروزي : « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى في خرابها » (الآية ١٠٨ سورة ٢) ، والظرفاء (الخلفاء) سألوا القاضي أن يحتال لهم في الصوم كما خفف عنهم في الصلاة (١٥٣) . والغريب في الأمر ان النصوص التي تشير الى ممارسات شعبية غريبة اخترقت الآداب الاسلامية فيما يتعلق بالصلاة والصوم ، وفي شهر رمضان على وجه الخصوص - أي مع سبق الإصرار ، كما يقال - وأحيانا في كثير من المناطق دفعة واحدة ، فكان في الأمر نوع من تنسيق من قبل جهات عليا - من أعوان الدولة أو من خصومها - لتنظيم تلك التظاهرات المذهبية الذي أساء بها الغلاة الى الدولة من غير شك - بقصد أو بغير قصد .

اختراق الآداب الاسلامية :

ففي شهر رمضان من سنة ٣٠٩ هـ / يناير ٩٢٢ م ، وهي السنة التالية لانتقال عبيد الله الى المهديّة قامت جماعات من المتطرفين من الشيعة ، في كل من مدن القيروان ، وباجة ، وتونس ، و « جاهرُوا بتحليل المحرم » .

(١٥٣) ابن غذارى ج ١ ص ١٥٢ - حيث الإشارة الى أن المروزي : سأل اذا كانوا راود من كتبها وأمر بمحوه ، وانتقل عن الجلوس بذلك الموضع - وأنه أمر بدفع المحقق الخليل ، قائلا : « اذهب يا ملعون » .

وأكلوا الخنزير ، وشربوا الخمر في رمضان جهارا ، الأمر الذي كانت له اصداء سيئة ، انتشرت بسرعة داخل البلاد. وخارجها حتى وصلت الى مصر (١٥٤) . ولم يسكت المهدي على هذا العمل العبيثي غير المسئول ، إذ صدرت أوامره الى عماله في تلك الأقاليم بالقبض على مدبري تلك الفتنة الذين بلغ عددهم حوالي ٢٠٠ (مائتي) رجل ، وارسالهم اليه بالمهدية مقيدين ، وهناك ألقوا في السجن حيث مات أكثرهم (١٥٥) . ولما كان بعض زعماء هؤلاء الغلاة من المعروفين في البلاد ، مثل : أحمد البلوي بالنخاس ، الذي كان يتوجه في صلاته الى حيث يقيم المهدي ، اعتقادا في ألوهيته ، ويرى انه يعلم السر والنجوى ، وكذلك ابراهيم بن غازي ، الذي كان ، أيام الأغالبة ، من الزهاد المرابطين في قصر الطوب بسوسة حتى أنه رشح لصلاة الجماعة (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٦) - الأمر الذي يذكر أيضا بالفقيه الحنفي « ابن سيرين » الفقي راجلا مع الداعي من القيروان الى سجلماسة ، احتسابا (انظر فيما سبق ج ٢ ص ٥٩٤) - نرى أنه لا بأس أن تكون حركة الغلاة هذه قد نشأت « ملائمة » مرتبطة بالزهد والتصوف المتطرف ، ممن اعتقد أصحابه في نظريات الفيض والحب الالهي ووحدة الوجود ، فارتفعوا فوق مستوى عالم الحس ، لا يفرقون بين الراحة والألم أو بين الحزن والفرح ، وبذلك انكشفت عنهم الحجب ، وارتفعت عنهم التكالييف (١٥٦) . هذا ، ولا بأس أيضا أن تكون تلك الحركة ذات أصول شعبية قمرطية متأثرة بالديانات الثنوية الشرقية كالزردكية ، مما أدى الى اطلاق الخصوم على الاسماعيلية اسم (المزدكية) في المشرق (الشهرستاني ، الملل والنحل ج ١ ص ١٩٢) واسم (المشارقة) في المغرب (ما سبق ، ج ٢ ص ٥٥٣) .

غلاة الدعوة :

اما على المستوى الرسمي فيمكن أن تكون مثل هذه الانحرافات الغالية نتيجة لأعمال غير مسئولة من قبل بعض المتحمسين من الدعوة ، كما حدث في نفس سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م ، في منطقة جبل ونشريس ، غير بعيد من

(١٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ - « حتى غير به أبو القاسم (ولي العهد) أيام كونه بالفيوم » ، في حملته الثانية على مصر .
 (١٥٥) ابن عذارى ج ١ ص ١٨٦ ، وقارن القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ص ٣٢٨ - حيث الاشارة الى قوم مرقوا عن الدين ، واستحلوا المحارم ، فعاقبهم المهدي على قدر ذنوبهم .
 (١٥٦) قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨ - عن الديصانية أهل الباطن ، وعدم وجوب الفرائض وإباحة الأمهات .

تاهرت عاصمة المغرب الأوسط وقتئذ ، وهي منطقة الداعي منيب بن سليمان. المسكناسي ، الذي تنسب اليه رواية ابن عذارى ، أنه : « أظهر التشريق. (التشيع الفاطمي) بجانب تاهرت (تيهرت) وتحليل المحرمات » . والحقيقة انه اذا كانت الرواية هذه تصف التشيع الفاطمي بـ « التشريق. (نسبة الى المشرق) وتعني انه نوع من الزندقة التي تحلل المحرمات ، وخاصة ما يتعلق منها بالتساهل في العلاقات الجنسية ، مما يصل الى مستوى شذوئية النساء ، فالحقيقة ان الرواية ليست قاطعة في نسبة ذلك الى المهدي (١٥٧) . وبناء على ذلك فمن الممكن أن يكون ما جاء ذكره من تحليل المحرمات نوعا مما ينسبه بعض الكتاب ، من تساهل بعض أقاليم المغرب الجبلية المنعزلة في أمور العلاقات الجنسية ، مما يمكن أن يكون من ذكريات الماضي البعيد ، ان لم يكن من التشنيعات التي يصطنعها (الخصوم فيما بينهم ، من عرب وبربر ، أو سنة وشيعة - وخاصة فيما يتعلق بالقرامطة من الشيعة (١٥٨) .

وهذا لا يمنع من انزلاق بعض الدعاة نحو الغلو والتطرف ، الأمر الذي كان يعالجه الامام تبعا لمقتضى الظروف والأحوال ، كما حدث سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م عندما وصل أبو القاسم ولي العهد ، الى المغرب وقبض على الداعي معلى بن محمد الملوسي ، وبعثه مقيدا الى المهديّة حيث ضرب عنقه ، في موضع الرملة هناك ، بأمر المهدي (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٢ - ط ، بيروت ، ص ٢٧١) .

واذا كان ابن عذارى لم يوضح سبب ادانة الداعي معلى الملوسي ، فإن القاضي النعمان ، يخصص فقرات في المجالس والمسائرات لانحرافات بعض الدعاة ، فيما يتعلق باباحة المحارم . والذي يلفت النظر انه عندما يتكلم عن : « زيغ بعض الدعاة » يفسر « اباحة المحارم » تفسيراً غريباً يمكن أن يتفق مع ما سبقت الاشارة اليه من أفكار الصوفية ، من أصحاب نظريات الفيزس والحب الالهي ، وذلك على أساس أن ترك المعاصي يعتبر سوء ظن.

(١٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٥ - حيث النص . وقيل ان عبيد الله وجهه (اى منيب الداعي) وغيره الى الأطراف ، وأمرهم باظهار التشريق .
(١٥٨) انظر الاستبصار ص ١٩٢ (عن عادة الموارية في بعض مناطق البربر) وابن الأثير ، ج ٧ ص ٤٤٧ ، ٤٩٣ (سنة ٢٨٢ هـ) ، ج ٨ ص ٢٨ (عن بعض ما ينسب من شفاعات الى القرامطة) .

بإلله ، عز وجل ، أنه لا يغفر الذنوب (المجالس والمسائرات ، ص ١٠٥) .
وهو يتبع ذلك بأن المعز كان لا يجد أولياء ثقة بالرغم من اتساع ملكه .
وبأنه كان يبرأ من دعاة السوء ويصفهم « بأنهم ليسوا أولياء بل أعداء الله
وأعداؤنا ، والصادون عن الله ... (اذ) حرفوا وبدلوا ... فضلوا
وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل (ص ٢٣٧) » .

الكف عن طلب التشيع من العامة :

وهكذا فإن كان المهدي قد أصدر الأوامر للدعاة بالكف عن طلب
التشيع من العامة ، كما ينص المقرري (١٠) ، فالظاهر أن ذلك الاجراء لم
يكن كافيا لتهدئة خواطر أئمة العامة ، حسب المصطلح الشيعي ، من فقهاء
المالكية ، الذين وقفوا معارضين لمذهب التشريق ، على عكس الحنفية أصحاب
الرخص (التيسير) حتى تشيع كثير منهم ، ودخلوا في خدمة الدولة ما بين
محتسب وطامع ، منذ أيام الداعي . فمن أول النماذج : الفقيه أحمد بن
سيرين الحنفي الذي مشى محتسبا مع الداعي الى سجنماسة ، وكانت
مكافأته ، فيما بعد ، ولاية مدينة برقة (١٦٠) . وخلف بن معمر بن منصور
الذي تشرق أول دخول الشيعة أفريقية ليحتمي بذلك من مطالبة ابنه بمال
قد غمس يده فيه عند هرب آخر الأغلبية ، زيادة الله ، في رقادة (ابن
عذارى ، ج ١ ص ١٧٣ ، ط بيروت ، ص ٢٤١) . وهكذا لم يكن من
المستغرب أن يروح أوائل القتلى من فقهاء المالكية ، مثل ابن البرذون وابن
هذيل ، ضحية وشاية الفقيه الحنفي الكلاعي (انظر ما سبق ، ص ١٢٥) .
فكان ذلك بداية لما يمكن أن يسمى بـ « عصر شهداء المالكية » في التاريخ
الفاطمي ، وإن كانت محنة المالكية قد بدأت على أيام الأغلبية ، في القيروان ،
منذ دخلها المذهب الحنفي ، مذهب بغداد الرسمي (ما سبق ، ج ٢ ص
١٠٨ وما بعدها) .

(١٥٩) انظر موسى لقبال ، ص ٤٢٦ . (عن انعطاف الحنفا) .
(١٦٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ ، وأنظر لقبال - دور كتامة ، ص ٤٢٣ ، ٤٣٤ ، حيث
الذين اعتنقوا المذهب لأغراض مادية ، ص ٤٢٤ وما بعدها ، حيث الذين اعتنقوا المذهب
برضاهم دون أغراض مادية ، وقارن محمود اسماعيل المالكية والشيعة بأفريقية ، المجلة
التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ، ١٩٧٦ ، ص ٨٣ - حيث النص على أنه يمكن القول ان
معاداة المالكية للمهدي ترجع الى سياسته الاقتصادية أكثر من دعوته المذهبية استنادا الى
إيفانوف ، وأنه مما يدعم « هذا التفسير الاقتصادي » أن بعض من دخل في المذهب الفاطمي
من المالكية كان مدفوعا بالرغبة في الاعفاء من المغارم المالية ، مما تشير اليه سيرة جعفر .
وانظر أيضا ص ٨٧ حيث الإشارة الى بعض من تشرق من فقهاء المالكية ، وكذلك الشافعية
والأحناف .

الجدل بين السنة والشيعة :

والحقيقة أن الجدل الذي قام بين الطائفتين ، من حيث أن المالكية مذهب حديث تقليدي ، والحنفية مذهب اجتهد ورأى ابداعى استمر على أيام الفاطميين ، بعد أن دخل الشيعة فيه بمسائلهم المستجدة مما يتعلق بأداء الفرائض ، من صلاة وصوم وزكاة . وكان أبطال ذلك الجدل الأوائل ، هم : القاضى محمد بن عمر المروزى ، وأبو العباس المخطوم ، من رجال الدولة ، والفقهاء سعيد بن الحداد (سعيد بن محمد بن صبيح الفسائى المشهور بابن الحداد - ت ٣٠٢ - ذو القعدة/مايه ٩١٥ م) الذى بدأ مالكيًا ، من أصحاب سحنون ثم تحول الى الشافعية العقلانية ، غير التقليدية (١٦١) ، والذى اعتبرت وفاته سنة ٣٠٢ هـ/١٤ - ٩١٥ م ، فجيحة بالنسبة لأهل السنة (١٦٢) . وهنا لا بأس من الإشارة الى أنه اذا كان الفضل يرجع الى المالكية ، فى الصمود أمام المذهب الفاطمى حتى رأى ابن تاجى انه لولا ذلك لكفرت العامة (١٦٣) ، فان فقهاء الحنفية ، رغم ما قيل عن تساهلهم أو استعلاء الدولة على المالكية (ما سبق ص ١٣٢) أو دخول بعضهم فى المذهب الفاطمى ، فقد كان لآخرين منهم موقفهم المبدئى الرافض للمذهب الاسماعيلى . ولا بأس من أن يكون من أوائلهم ، أحمد بن يحيى بن طيب ، الفقيه الحنفى (على مذهب أهل العراق) ، والمشتغل بممارسة العلاج والمداواة (المتطبب) ، الذى قتل بمدينة رقادة سنة ٢٩٧ هـ/٩٠٩ م (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦١) ، وان لم تذكر الرواية سبب ذلك ، كما كان هناك مدافعون أشداء من الشافعية ، مثل ابن الحداد .

(١٦١) انظر رياض النفوس للمالكى ، ج ٢ ص ٦٤ - حيث النص على أنه « صار الى مذهب الشافى من غير تقليد ، بل كان كثيرا ما يخالفه ، ولا يقتصد مسألة الرد بنظر وحجة ، وكان يقول : « انما أدخل كثيرا من الناس الى التقليد نقض العقول ودناءة الهمم ، وانظر ص ٦٩ - حيث النص على انه كان معجبا بقول الشافعى : « لو ان الناس تكلموا فى العلم بصحة الفطن لقل اختلافهم فيه ... فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ، ورب حامل فقه غير فقيه » ، كما فى الحديث النبوى .

(١٦٢) انظر موسى لقبال ، دور كتامة ص ٤١٣ وما بعدها .

(١٦٣) انظر موسى لقبال ، ٤٢٣ ، وهـ ٣٣٥ - حيث الرجوع الى معالم الايمان ، والنس على قول أبى ناجى : « جزى الله مشيخة القيروان خيرا ، هذا يموت وهذا يضرب .. وهم صابرون لا يفرون ، ولو فروا لكفرت العامة دفعة واحدة .

تساهل الداعي ومرونته :

ومن الواضح أن الجدل الديني هذا اتصف بالتساهل والمرونة على عهد الداعي ، الذي كان شعاره : « ان دولتنا دولة حجة وبيان ، وليست دولة قهر واستطالة » (١٦٤) ، والذي كان يقوم بتهدئة أطراف المناظرة ، عندما يحتد الجدل ، وتوعيتهم بآداب الحوار ، مثلما فعل مع ابن الحداد ، صاحب الصوت الجهور واللسان الفصيح والمنطق الفخم والمعاني الصائبة (رياض النفوس للمالكي ، ج ٢ ص ٦٣) ، وهارون بن يونس (شيخ المشايخ الكتامي) صاحب المزاج الحاد والانفعال السريع ، والذي ياجأ الى الاقناع بالرمح بدلا من الحجة . والحقيقة أيضا أن تفاصيل المناظرات وطولها ، يدل على أن أبا العباسي ، أبا الداعي رغم ما قيل من اتصافه بالعجلة وكثرة الكلام وضعف العقل كان يملك القدرة على ضبط النفس واحترام آداب الجدل والمناقشة . ولا شك أن كل ذلك كان مما يتعارض مع مبدأ الولاية والطاعة للامام « المهدي » ، ويثير خاطره ، رغم ما كان يظهره من الحرص على مجادلة الخصوم ، بل وتهدئة خاطرهم ، كما فعل مع ابن الحداد (١٦٥) . وهكذا كان من الطبيعي أن تتغير سياسة اللين هذه ، بعد وفاة الداعي وأخيه ، حيث كانت فرض مذهب آل البيت دون ما سواه ، ايندانا ببداية « الأزمة الفاطمية » وعهد « شهداء المالكية » كما يظهر في كتب التاريخ وتراجم أهل السنة ، من علماء القيروان وزهادهم ، ممن كانوا يسوون بين علي وبقية الراشدين ويفضلون البعض عليه (١٦٦) ، أو يستقنون « حبي على خير العمل » من الأذان (١٦٧) ، أو يرفضون الدخول في المذهب (١٦٨) ، أو ممن ظلوا يفتنون

-
- (١٦٤) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ط ٤ ص ٥١ - ٥٢ .
 (١٦٥) رياض النفوس للمالكي ، ص ٥٩ ، ٦٠ - حيث عرض ابن الحداد آراءه المخالفة في تفسير الولاية (الطاعة) للامام حسبما جاءت في حديث غدير خم على أساس انها ولاية في الدين فقط ، فقد قال له المهدي : « انصرف لا ينالك أحد » ، وان كان أبو جعفر البغدادي ، الكاتب والمقرب من الامام ، نصحه بكتمان ذلك المجلس .
 (١٦٦) مثل ابن البرذون ، وابن هذيل ، ابن عذاري ج ١ ، ص ٢٤٩ ط : بيروت أو حسن بن مفرج الفقيه أو محمد الشذوني الزاهد (ص ٢٦٢) .
 (١٦٧) مثل عبدوس المؤذن ، ابن عذاري ط : بيروت ج ١ ص ٢٦٥ .
 (١٦٨) مثل محمد بن حفص الفهم ت ٣٠٢ هـ ، ابن عذاري ط : بيروت ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٦٧ ، حيث النص على انه كان يتقاضى راتباً شهرياً مقداره ١٠ دنانير ، وان المروزي أحضره وقال له : لا يؤم بنا الا ولي من أولياء أمير المؤمنين . فادخل الى بعض الدعاة يأخذ عليك البيعة . وتبقى في خطتك . وطلب الرجل امهاله ليتأمل في الأمر ، فلما اعتذر في الغد ، عزله

يقول مالئك (١٦٩) ، والذين تراوحت عقوباتهم ما بين العزل أو الضرب والحبس والتعذيب أو القتل والتشهير (١٧٠) .

والمنهم انه على عكس ما قد يظن من أن العصر كان عهد تسلط واستبداد وقهر ، ولا يناسب التقسيم العلمى والازدهار الأدبى ، والتفتح الفكرى مما ينسجم مع حكم الامام المعصوم ، بمعنى الحكم الدينى ، الالهى ، الذى لا يخطئ ، فقد كان الأمر على العكس من ذلك ، مما نحاول بيانه فيما يترتب على الحياة الدينية من أوجه النشاط الفكرى والثقافى .

الحياة الفكرية والثقافية :

المذهب الفاطمى موضوع لأدب خصب :

لما كانت نظرية حكومة المهدي المعصوم تعنى : الحكم الدينى (التيقراطى) الشامل ، الذى يضيف على الحياة الثقافية طابع المذهب الفاطمى ، فالحقيقة أن هذه الرؤية وإن كانت مقبولة ، فهى ليست صحيحة على إطلاقها ، بفضل مرونة المذهب والميونة فى تطبيق تعاليمه ، مما سمح له بالالتقاء مع مذاهب أهل الرأى من الحنفية والمعتزلة الذين تقبلوه بسهولة ، دون المالكية المتمسكين بالسنن والتقاليد المدنية . وهكذا يعتبر المذهب الشيعى بعامة ، مذهب رخصة وتساهل ، الأمر الذى يظهر فى بعض أمور الأحوال الشخصية من الزواج والميراث (ما سبق ، ص ١٧) أو مما أدى إليه الرأى من التمسك بالاجتهاد فى استنباط الأحكام ، وهو ما استمر عندهم بينما توقف عنه أهل السنة منذ القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ،

عن الصلاة . ورغم ما يقوله ابن عذارى من أن المروى أراد من ابن جعفر أن يشترك معهم ويدخل فى الكفر ، فمن الواضح أن الأمر لم يكن يتطلب أكثر من القسم بالطاعة .

(١٦٩) مثل محمد بن العباس الهذلى ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٦٥ .

(١٧٠) أنظر موسى لقبال ، دور اكتملة ، ص ٤١٨ وما بعدها - حيث قائمة حسنة بالمتحنيين ، رقادن محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة فى أفريقية ، المجلة المصرية ، ٢٣ ، ص ٨٨ وما بعدها حيث اضافة مخالفات أخرى ، من التمسك بما نهى عنه من شروط فى كتب الصداق (ص ٨٨ ، عن الحشنى) أو عقوبات مبتكرة (ص ٨٩) مثل القتل دون أراقه دماء القتل ، كما حدث لمحمد بن خيرون الذى أمر عبده الله بدوسه حتى يموت « فطلع السودان فوق السرير ، فقفزوا عليه بأرجلهم » حتى مات (وانظر رياض النفوس ، ج ٢ ، ص ٥٢ ، ٥٤ وما سبق ، ص ١١٩) ، وهى العادة المعروفة عند الترك - وأنظر للزلف ، الشرق والاسلام ، مجلة عالم الفكر - الكويت ١٩٧٩ ، المجلد ١٠ العدد ٢ ، ص ٤٤٩ .

فكانت له تأثيراته المميزة في مجالات الحضارة الفاطمية المختلفة ، من النظم والرسوم ، الى العمارة والفنون ، وخاصة العلوم والآداب .

فالمذهب الاسماعيلي الفاطمي كان موضوعا لأدب خصص أثرى الفكر الاسلامي على وجه العموم ، حيث دارت حول الموضوعات الخلافية فيه ، . . . يتعلق بأصوله في الامامة وشرعية نظام الحكم في الاسلام ، وما يتعلق بفروعه في الأذان والزواج وتوريث المرأة والقياس ، مناظرات حامية ومناقشات عميقة ، استخدمت فيها كل وسائل الاقناع من : بياضة عقلية منطقية ، مما سبقت الإشارة اليه (ص ١٣٣) .

فقد كان موضوع الامام المهدي المعصوم ، وريث النبوة وصاحب القداسة بفضل التقمص والحلول الالهى ، من الموضوعات التي أثارت خيال الشعراء الذين شبهوه بالأنبياء وبالغوا في ذلك الى حد التآليه (ما سبق ، ص ١٢٧-١٢٨) أو الذين شبهوا المهدي ، حضرته ومقره ، بالبيت الحرام في مكة (ما سبق ص ١٠٠ وهـ ٩٥) الأمر الذي يمثل باكورة ضرب من الأدب والشعر الفاطمي الجديد ، الذي نضج في المشرب على يدى شاعر الخليفة المعز محمد بن هانيء الأندلسي ، والذي كان له تأثيره في الأدب الديواني في البلاط العباسي حيث ظهرت المصطلحات الغالية في الكتب والرسائل الانشائية ، مما يتعلق باللقاب الخليفة وصفات امارة المؤمنين ، بما يشبه نعوت العصمة والهداية والشرف ، مما ظهرت نماذجه أيضا عند الملوك المتغلبين ، بل وعند عمال الدولة أيضا (١٧١) . والمهم في هذا الأدب الغالي

(١٧١) انظر ادام متز ، الحضارة الاسلامية ، الفصل التاسع ، رسوم الخلافة ، ج ١ ص ٢٥٥ وما بعدها حيث أصبح شعار الخلافة اللونين الأسود (العباسي) والأبيض (الفاطمي) في مصر (ص ٢٥٦) ، كما أصبح سيف الرسول ذو الفقار من شعارات الخلافة العباسية ، (وهو عند الفاطميين سيف الامام علي ذو الشفرتين) - ص ٢٥٥ ، وانظر فيما سبق ، ص ٢٣ - حيث قتل ابي يزيد الزناتى بنى الفقار ، وفيما بعد ص ١٨٥ وهـ ٦٨ حث يحمل المنصور ذو الفقار في قتال الناصر .

هذا كما حملت على رأس الخليفة العباسي شمسة الخلافة (كما المظلة عند الفاطميين في مصر - ص ٢٥٧) أما أول من أخرج في ذكر الخليفة وصفه بالحضرة المقدسة النبوية ، اختراعا جعله قرينة ، فصار سنة ، ومضى في ذلك حتى خرق العرف والعادة « فهو كاتب الخليفة القادر » (٣٨١ - ٤٢٣ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م) ، (ص ٢٥٩) وانتهى الأمر بأن اتخذ الملوك المتغلبون الألقاب التقليدية أيضا ، كما فعل أمراء بني بويه الشيعة الذين اتخذوا لقب شاهنشاه وملك الملوك ، الأمر الذي أثار القاضى الماوردي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) صاحب الأحكام السلطانية

انه كان محصورا في دوائر المذهب الخاصة ، بصفته معرفة من طبقة علم الحقيقة الذي لا تدركه العامة الذين يعرضون لسوء فهمه والانحراف عن مقاصده ، الأمر الذي دعا المهدي الى الطلب من الدعاة ، عدم نشر المذهب بينهم (ما سبق ، ص ١٣٢) .

بقاء العامة سنينة بفضل علماء المالكية :

وهنا لنا أن نتساءل ، بصدد بقاء جمهور العامة في أفريقية سنينة بفضل علمائه المالكية خاصة ، عما اذا كان نتاج هؤلاء العلماء العلمي والثقافي تصح نسبته الى ذلك العصر الفاطمي الذي وقفوا منه موقف الرفض والمعارضة ؟ والحقيقة انه اذا كان نتاج علماء أهل السنة في تلك الفترة المبكرة من عهد الدولة الفاطمية ، هو ثمرة غرس ترعرع في ظلال العصر الأغلب السني ، فمن الصحيح أيضا انه في موضوع التاريخ تصح نسبة الأحداث الى أزمانها ، تماما كما تنسب الى مواضعها ، بضرب النظر عن طبيعتها التي لا تمنع من تصنيفها موضوعيا حسب المضخون . وهكذا يمكن تقسيم النشاط الثقافي في ذلك العصر ، كما في كل عصر ، الى نتائج رسمية ينمو ويزدهر تحت مظلة السلطة ، وهو الذي ينسب الى العصر حقا ، بصفته نتاجا شرعيا مقبولا من الدولة ، وان لم يحظ برعايتها ، فهو ملتزم أو موجه ، كما يقال الآن ، ومجاله الجهر والعلن ، والى نتاج شعبي ينمو ويزدهر في أوساط العامة بعيدا عن السلطة ، وربما في كنف المعارضة أيضا ، فهو ما بين حر تلقائي ، ومعارض مجاله الخفاء والستر . فمن أهل البلاد المغاربة الذين عرفوا بعلمهم وأدبهم ، يذكر أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر بن اسماعيل ، الزناتي ، التاهرتي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م - عن ٩٦ سنة) الذي كان عالما بالحديث وطبقات الرجال ، كما كان شاهرا مقلقا (١٧٢) .

على أساس انه من أسماء الله ، ولو أن الماوردي نفسه حمل لب أقصى القضاة الأمر الذي أثار حنق فقهاء بغداد وقتئذ (انظر للمؤلف ، الماوردي بين التاريخ والسياسة ، سلسلة المحاضرات العامة بجامعة الاسكندرية ، لعام ١٩٧٠ - ١٩٧١ ، طبع جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣ - استنادا الى ابن خلكان وياقوت في معجم الأدباء ، ابن خلدون ، ط : بولاق ، ج ٣ ص ٤٤٩ ، والسبكي ، ج ٣ ص ٣٠٥) .
(١٧٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤ - حيث الإشارة الى أنه كانت له رحله (سنة ٢١٧ هـ / ٨٠٣ م) سمع فيها من الفقهاء وجلة العلماء ، كما مدح الخليفة المعتمد ، الأمر الذي أدخله في صراعات مع شعراء العراق وقتئذ ، مثل دعبل - انظر ص ٢٨٢ - ٢٨٣

وعن نتاج النوافدين (من أهل السنة) الذين عاصروا الأغالبة وخدموهم ، نذكر أعمال أبي اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي ، المعروف بالرياضي (ت ١٦ جمادى الأول سنة ٢٩٨ هـ / ٢٠ يناير ٩١١ م) الذي عمل كاتباً (وزيراً) للأغالبة ثم دخل في خدمة الداعي وسار معه الى سجلماسة ، وظل بعده في خدمة عبيد الله المهدي كاتباً ، وان كنا لا نعرف صراحة ان كان قد دخل في المذهب أم لا ، وهو الأمر غير المهم - على كل حال - فالرجل الذي عرف بـ « الرياضي » لم يكن من رجال الدين أو الدعاة ، بل عرف بأنه كان طريفاً أدبياً ، رسلاً ، شاعراً ، حسن التأليف ، ورغم اتجاهاته الأدبية ، بصفته كاتباً فقد كان من بين تأليفه ما هو في علوم الدين ، مثل : سند في الحديث ، وكتاب في القرآن سماه (شرح الهدى) الى جانب كتب في الأدب منها « لقيط المرجان » ، ورسالة « الوحيدة أؤنس » و « قطب الأدب » ، وغيرها (١٧٣) . أما عن ابن جعفر البغدادي الذي خلف أبا اليسر في الكتابة للمهدي والذي صار أول رجال البلاط المقربين ، فقد كان محباً للأدب ، يجالس أهله وخاصة من الأندلسيين القاصدين الى الحج (١٧٤) .

ومثل ذلك يقال عن الفقيه أحمد بن نصر بن زياد المالكي ، صحيح المذهب (ت ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) الذي سمع من محمد بن سحنون ، والذي كان عالماً بالمنظرة ، فقد كان يتردد على مجلسه بالقيروان الأندلسيون وهم في طريقهم الى الحج (١٧٥) .

حيث انغمسه في الحياة السياسية واشادته بانتصارات موسى بن أبي العافية على الحسن ابن أبي العيش وحلفائه من البربر ، من : زواغة ونفزة ومغيلة وجراوة ، ومن شعره في ذلك :
غشى منيلة بالسيوف مذلة
وسقى جراوة من نقيع الحنظل
وانظر العيون والحدائق ، ج ٤ قسم ١ ص ٢٢٢ - حيث النص على انه ولد في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م بتاهرت ، وانه مدح بالمشرق كنفقة في الحديث وكشاعر جيد ، وقارن رياضي النفوس للمالكي - حيث الاشارة الى خروجه هرباً من ابراهيم بن أحمد نحو تاهرت ببلده ، ثم مرأى في ولده عبد الرحمن الذي قتل في الطريق .
(١٧٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ - حيث يذكر في ظرفه ، ما ادعاه عند أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمن ، من أنه رسول أهل الشام اليه ، واحسان الأمير اليه رغم معرفته زيف ذلك الادعاء .
(١٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٣ - حيث الاشارة الى من كان يخالطهم من الأندلسيين في المغرب ، ممن كان يجالسهم في الأندلس عندما دخلها أيام الأمير عبد الله .
(١٧٥) ابن عذاري - ط : بيروت ج ١ ص ٢٧٥ - حيث الاشارة الى دخول محمد بن

ومن أهل أفريقية يذكر أبو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن جندب ، المعروف بـ « موسى القطان » (ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م) ، وهو ممن أخذ عن محمد بن سحنون (ت في نفس السنة) ، وله تأليف في أحكام القرآن في ١٢ (اثني عشر) مجلدا (جزء) (١٧٦) .

ومن أهل التمر يرض والعلاج الذين استخدمهم عبيد الله المهدي : زياد ابن خلفون المتطبب ، مولى بني الأغلب (ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) ، الذي كان عالما بالطب ، حسن الذهن فيه . ومن المهم هنا هو أنه رغم حاجة المهدي الى الرجل وتقريبه له ، فإن تلك الصلة الوثيقة بالمهدي لم تكن لتضمن له الأمن والسلامة من عدوان القوائد أبي سعيد الضيف في القيروان من رقادة (١٧٧) . وفي الحساب اشتهر ابراهيم بن يونس ، مولى موسى بن نصير ، وهو المعروف « بابن الحساب » ، و « بحارث حسبة » (ت ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) ، وكانت له ولاية الحكم والقضاء بالقيروان ورقادة (ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٥) .

وفي الوثائق أو الشروط كان لأحمد بن زياد الفارسي (ت ٣١٩ هـ / ٩٣٢ م بالقيروان) صاحب الوثائق الذي خدم على أيام الأغلبية ككاتب للقاضي عيسى بن مسكين ، كتب معروفة في هذا الفن ، وكذلك في مواقيت الصلاة . أما عن صاحب الوثائق وقتئذ بطرابلس ، وهو عبد الله بن سلمان ، الذي كان في هذا الفن من معاوني أبي جعفر البغدادى ، فقد كان منصرفا الى عشق الفرد من الأحداث (الفتيان) مما أثار بعض كبار رجال الدولة (خليل الشيعي - ابن اسحق) فرفع الأمر الى المهدي ، « خشية من

عبد الله بن مسرة القرطبي اليه حين توجه الى الحج ، وعند الشيخ جماعة من المناظرين في المسائل ، الأمر الذي يعنى أن المجلس مشهورا ، وأنه كان مباحا للواردين من أهل العلم . وإذا كان ابن عذاري يتكلم عقب ذلك عن أحداث من العصر الأغلبى ، فالرأى أن يكون مجلس المناظرة هذا من العصر الفاطمى الذي كان له من العمر عشرين عاما وأكثر من قبيل التركة الأغلبية .

(١٧٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨١ - حيث الاشارة الى أنه ولي قضاء طرابلس أيام الأغلبية ، وإن الأمير ابراهيم بن أحمد سخط عليه فاقضاء عن القضاء وسجنه . وانظر رياض النفوس ، ج ٢ ص ٦٣٢ حيث يشيد بحدق ابن الحداد في المناظرات . (١٧٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٨٣ - حيث النص على أن المهدي كان يحذر طبيبه من دخول القيروان عندما يكون أبو سعيد الضيف هناك - وعندما تهاون زياد ، ذات يوم في الالتزام بتلك النصيحة ، تخلص منه الضيف بمعرفة جواسيسه .

شتر هذه الدولة الزاهرة وادخال العيب فيها ، كما كان الحال على أيام الأغالبة ، حيث يذكر ابن سلمان هذا لقبيح القسول ، في رجز لابن عامر الفزاري ، منه :

نار ابن سلمان على الغزلان شبيه بدر فوق غصن بان
ما ان له في حسنه من ثان كأنما صيغ من العقيان

(ابن عذاري ، ج ١ ، ط بيروت ص ٢٩٠ - ٢٩١) .

ندرة علماء الشيعة :

ومن استعرض وفيات العلماء ورجال الدولة ، من اصحاب التواليف والنشاط الثقافي لا نجد ذكرا الا للقليل ممن ينص على أنهم من الشيعة ، فالوقت كان ما زال بعيدا عن المعز ، حيث ظهر القاضي النعمان بن محمد بن حيون ، بمؤلفاته الغنية في المذهب من ظاهره الى باطنه . وفي تاريخ الدعوة ، من افتتاحها الى سير أئمتها .

وهنا لا بأس من الإشارة الى انه كان من أهل السنة من يذهب مذهب الشيعة ، بمعنى أن التشيع هو حب العلويين من آل البيت الفاطميين ، وعلى رأسهم الامام علي . والمثل لذلك هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد الزناتي ، التاهرتي (ت ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م) الذي رثى الامام عايضا وهجا قتله ، بقصيدة يعارض فيها عمران بن حطان (١٧٨) .

ومن بعد الرعيل الأول من فقهاء المذهب الفاطمي ودعائه ، مثل ، القاضي محمد بن عمر المروزي الذي كانت له ميوله الشيعية قبل قيام الدولة ، فكان من أوائل من دخلوا في دعوة أبي عبد الله الداعي ، ومثل أبي العباس المخطوم ، ممن جادلوا الخصوم واستخدموا الاقناع في نشر المذهب والدفاع عنه الى جانب الارهاب ، لا يمر بنا في وفيات العلماء والزهاد في

(١٧٨) انظر : العيون والحداث ، ج ٤ قسم ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ حيث ينسب نقل

القصيدة الى ابن الجزار ، ومنها :

قل لابن ملجم والافندار غالية	هدمت ويحك للإسلام أركاناً
قتلت أفضل من يمشى على قدمه	وأول الناس اسلاماً وإيماناً
صهر النبي الذي أهدى الملائك	به نورا انشاء به ديناً ودنياً
من كان منه على رغم الحسود له	مكان هارون من موسى بن عمراناً

ابن عذارى الا أسماء قلة من الشيعة ، رغم ما كانت تكتفى به الدولة من مجرد اعلان الولاء أو البيعة كشرط للدخول في المذهب ، وإن كان ذلك على يدى أحد الدعاة (انظر فيما سبق ، ص ١٢٦) . ولقد دخلت الدعوة قلة من سلالة الأمويين ، أو ممن كانوا في خدمة العباسيين أو قبلت خدمة الدولة . فكان ممن دخل منهم في الدعوة أبو الفضل محمد بن عبد السلام ، من ولد عبد الملك بن مروان (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، والذي تولى جباية طرابلس وتونس (١٧٩) . كما يذكر محمد بن سلام بن سيار ، البرقي ، الهمداني (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) على انه كان متفقا على مذهب الشيعة ، وإن لم تذكر له مؤلفات ما (ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٢٦٤) .

ما بين ادب الدنيا والدين :

ومما يسترعى الانتباه في وفيات ابن عذارى ، موت المغني البغدادي ، مولى موسى بن بغا ، فجأة ، سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (البيان ط . بيروت ، ج ١ ص ٢٦٩) ، بمعنى وقوع العاصمة الفاطمية تحت تأثيرات الحصار العباسية في مجال الغناء والموسيقى ، تماما كما كان الحال بالنسبة لقرطبة الأمويين والأندلس ، التي كان قد نزلها تلميذ الموصلي الشهير زرياب ، على عهد الأغالبة ، وبذلك كانت ثقافة بغداد من : دينية وترويحية تنتشر ، على طول طريق الحج ، ما بين الأندلس والمغرب (١٨٠) .

هكذا كانت الحياة تسير في توازن معقول ، ما بين ادب الدين وأدب الدنيا ، الأمر الذي يخفف من غلواء « الأزمة الفاطمية » عند البعض (١٨١) . أو « عصر شهداء المالكية عند الآخرين » (١٨٢) . والحقيقة أن الأزمة وعصر الشهداء لا يظهرون بحده الا في تراجم أهل السنة من العلماء وبخاصة

(١٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٣ - حيث النص على أنه توصل الى أخذ نعمته ، ومات في عذاب الشيعة ، ص ٢٦٢ .

(١٨٠) انظر فيما سبق ص ١٣٨ - عن البغداديين الذين دخلوا الأندلس قبل أن يعملوا في خدمة المهدي ، وكانت لهم مجالسهم مع حجاج الأندلس . وانظر ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٢٥٦ ، عن محمد بن أحمد . من ولد عثمان بن عفان (ت في تونس ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) الذي كان قد طرأ على إبراهيم بن أحمد الأغلبى ، ودخل الأندلس مرتين .

(١٨١) انظر ج . مارسيه بلاد البربر والمشرق الاسلامي في العصر الوسيطى « بالفرنسية » . (١٨٢) موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، ص ٤٢٣ - استنادا الى ابن نابجى في معالم الايمان ، وانظر فيما سبق ، ص ٩٣ .

الزهاد منهم ، من المجاهدين في الأمر بالمعروف ، طلاب الشهادة وأصحاب الكرامات .

معارضة التشيع :

فجيلة بن محمود الصدفى ، مولى عثمان بن عفان (ت ٣٩٧ هـ / ٩٠٩ م) الذى نراه عند ابن عذارى ، المؤرخ ، فقيها زاهدا نبذ الدنيا وتبر ، من تركه والده الذى كان يعمل فى الجباية ، والتي بلغت ٨ (ثمانية) آلاف دينار ، يظهر عند المالكي ، الفقيه ، مرابطا بقصر الطوب قرب سوسة ، وصاحب كرامات يستطيع أن يخرج التين الأخضر (الطازج) فى غير زمانه لمن يشتتية من الصغار ، ثم أمرا بالمعروف يرفض تنفيذ أوامر القاضى المروزى الخاصة بالالتزام بتعاليم الأذان والصلاة ، ويشتم الرسول والمروزى معا . وهو قبل ذلك ، يغتم غما شديدا لخروج بعض أهل القيروان لاستقبال الداعى ، وإن كان تقية ، كما رفض ما سمعه فى خطبة الجمعة بجامع القيروان مما لا يجوز ، حيث كشف رأسه ، احتجاجا ، وسار من عند المنبر فى عمق المصلى الى باب الخروج على رواق الصحن ، وهو يصيح : « قطعوها قطعهم الله » . ويعلق المؤلف قائلا : « فمن حينئذ ترك العلماء حضور جمعتهم ، وهو أول من نبه على ذلك ، رضه » (١٨٣) ، وهو الأدر المبالغ فيه من غير شك . فبصرف النظر عن الأمر بالمعروف وعن الخوارق والكرامات ، فالمشهور عند المؤرخين أن مقاطعة الناس لصلاة الجمعة لم تبدأ الا على أيام الزيريين قبيل منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، على أيام المعز الزيرى بالقيروان ، والمستنصر الفاطمى بالقاهرة ، وإن كان ذلك بالنسبة للعامة .

تشدد المهدي والقاضى المروزى :

وفيما يتعلق بالفقيهين ابن البردون وابن هذيل اللذين قتلتهما ابن أبى خنزير بأمر أبى العباس المخطوم ، فأولهما (ابن البردون) عند المالكي ، فقيه بارع فى العلم ، قوى فى الجدل وإقامة الحجج على المخالفين ، كواحد من تلاميذ ابن الحداد ، يفاوض المعتزلة على عهد الأغالبة ويتعرض لعقوبة الضرب من القاضى الصدينى الذى كان يقول بخلق القرآن . أما ثانيهما (ابن هذيل) فهو زاهد يأكل من كد امرأته التى كانت تغزل الكتان ، وهى المعلومات التى تعتبر إضافة مقبولة لما عند ابن عذارى وغيره

- ١٤٣ -

من المؤرخين . ولكن ما يلفت النظر هنا ، هو ما يضيفه المالكي من معلومات
نسب في نل من أسباب الحادثة وبوقيتها . فبدلاً مما نسب أيهما من :
التسوية بين علي وبين بقية الراشدين ، والظعن على الدولة ، الى جانب
وشاية الخنفية (مما سبق ، ص ١٣٢ وهـ ٦٠) ، يضيف رواية أخرى
تقول : ان المهدي هو الذي أمر بذبجها والتشهير بهما ، لما رفضا القول :
« انه رسول الله ، كما أمرهم الداعي أخوه » ، وهو لذلك يغير توقيت
الحديث ، فبدلاً من وضعه في موضعه في صفر سنة ٢٩٧ هـ / أكتوبر ٩٠٩ م ،
أثناء وجود الداعي في سجلماسة ، يضعه في سنة ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، أي
بعد حوالي سنتين من اقامة المهدي في رقادة (١٨٤) .

وعن التاجر أبو جعفر بن خيرون الذي ورث المهدي تركته بما فيها
جامعه الخاص ، بعد أن مات في العذاب لمطالبته بوديعة كبيرة ، بسعي
المروزي ، يقدم المالكي تفسيراً لعذابه بطريقة لا ندرى مدى صحتها ، إذ
هي من عادات الترك بخاصة ، وتتلخص في موت الرجل دهساً بأرجل
الحرس السوداني ، حسب أوامر المهدي (ما سبق ، ص ١٣٥ وهـ ١٧٠) .
وهو عندما يعدد أعمال المروزي السيئة ، يذكر انه ترك الناس يصننون
التراويج (القيام) سنة واجدة ثم انه منعهم من ذلك (رياض النفوس ،
ص ٥٦) والمعروف تاريخياً انه منع التراويج عند حلول أول رمضان
بالقيروان وهو الأمر المقبول ، طالما كان الداعي قد منعها ، وهو في
ايكجان (١٨٥) .

أما عن القاضي المروزي ت ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م الذي تأتى ترجمته في
« الرياض » في ثانياً ترجمة ابن خيرون الأندلسي القرطبي - فينسب اليه
الكثير من البلايا ضد أهل السنة الذين أخافهم ، حتى وصفت أيامه بأنها
كانت « صعبة جداً » . وهكذا كانت نهايته بسعاية ابن أبي خنزير الذي
ضج من كثرة ما كان المروزي يأتي له به من العلماء والصالحين ليقتلهم .
وعندئذ مكن المهدي ابن أبي خنزير منه ، فأسرعه في تعذيبه ، بهدف
استصفاء ماله ، قبل أن ينتهي مرفوساً (مرقوساً) في بطنه في اسطبل

(١٨٤) انظر رياض النفوس ، ج ٢ ص ٤٧ - ٥٠ ، وقارن ص ٥٥ - حيث ينسب
قتلها ، في رواية ثالثة ، الى القاضي المروزي .
(١٨٥) انظر ابن عذاري ج ١ ص ١٢٧ ، ط : بيروت ص ١٧٠ (في ايكجان) ومن
٣٠٧ (في القيروان) .

الدواب ، دون أن يراق دمه ، على الطريقة التركية (١٨٦) ، كما كان الحال بالنسبة لابن خيرون الذي كان المروزي قد سعى عليه ، بينما كان ابن أبي خنزير نهب ماله (رياض ، ص ٥٤) .

وفيما يتعلق بابي عبد الله محمد السدرى (ت ٢٠٩ هـ / ٩٢١ م) فهو عند المالكي أحد المريدين البدلاء (رياض ، ص ١٦٦) أى الأقطاب أصحاب الكرامات والكشف ، الذين لا يقوم العالم الا بهم ، فاذا مات أحدهم حل بديله محله . وهو مناضل ضد التشيع الفاطمى ، قد يابغ على جهاد عبده الله المهدي ، وأمن من عقابه اذ كان يطلبه فلا يتمكن منه ، حيث كان الجند يغضبون عليه كما كان البريد يخطئ فيه . وهكذا فهو لا يقتل الا عندما يسلم نفسه بمحض ارادته (رياض ، ص ١٧٠ - ١٧١) . وبسبب قتله ابني المهدي بعله انتفخ فيها جسده وتفجر بالدماء . وعندما توفى لم يفتح الله على المقرئ الا بالآية التي تقول : « يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود » (سورة هود ١١ ، آية ٩٨) (١٨٧) .

ما بين التاريخ والخرافات والأساطير :

وهكذا يختلط التاريخ بالخرافات والأساطير في سير العلماء والزهاد في كتب التراجم خاصة ، ويصبح الوصول الى الحقيقة ، هدف البحث التاريخي ، من الصعوبة بمكان . ولكنه اذا كان من المقبول اسقاط ذلك اللون من قصص الخوارق والكرامات ، فانه ينبغي ألا يفعل المؤرخ ذلك الا بعد اعمال الفكر فيه والروية ، فعسى أن تكون لبعض الأساطير أصول تاريخية تماما ، كما يمكن أن تتحول بعض الأساطير الشعبية ، مع مرور الوقت ، الى حقائق تاريخية . وبناء على ذلك ينبغي التأني في الحكم على مثل تلك الموضوعات الشائكة مما يتعلق بالصراع الفكري والمذهبي ، فعادة ما تكون الحقيقة في الوسط ما بين الطرفين . وهكذا ، عندما سنل القاضي

(١٨٦) رياض النفوس ، ج ٢ ص ٥٤ - ٥٦ ، وما سبق ، ص ١٣٥ وهـ ١٧٠ .

(١٨٧) رياض النفوس ، ص ١٧٢ - وانظر فيما بعدها حيث يامر السدرى عبده الله بغليظ الكلام مثل : « لو كنت أمير المؤمنين ما أمرت بسب السلف وأظهرت الحمر والقبالات (الضرائب على ما تباع في الأسواق) والمراصد ٠٠٠ » وكيف خافه العسكر فهربوا ، وقتلوا مكانه روميا الى جانب روايات أسطورية أخرى خاصة بقتله بعد سجنه ، وقارن ابن حمادة ، أخبار ملوك بني عبید ، ص ٢٦ - حيث كانت وفاته من دواء سقاه إياه ابن الجزار لعله فقرس كان يشكو منها .

المروزي عما جرى على يديه من امتحان محمد بن محمد بن سحنون ، وكيف لم يشفع له سلاح والده وإمامة جده ، رد الرجل الذي اشتهر بقسوته مع مخالفيه ، والذي كان قد هدد حفيد سحنون بالقتل ، ومع ذلك فقد قنع من عقوبته بـ « درات يسيرة » ، قائلا : « ضربته شفقة عليه ، خوفا أن يرفع أمره الى السلطان » (رياض النفوس ، ص ٥٥) . وهنا يظهر الجانب الآخر من القاضي الفاطمي الذي كان يخيف أهل السنة ، فهو رقيق القلب ، حريص على سلامة المعتبرين من أهل السنة ومثل هذا ما كان يفعل المهدي تبعا للظروف ، بمعنى أن ما يسمى بالأزمة الفاطمية أو عصر شهداء المالكية ، ما هو الا تعبير عن أحوال نسبية تطرأ في كل عهد وزمان ، وهو ما يؤكد استقراء التاريخ الفاطمي في تطوراته المستقبلية ، وما توضحه بشكل ملموس انجازاته الفكرية والحضارية ، في المغرب أو صقلية ، قبل مصر والشام .

صقلية الفاطمية : على عهد المهدي :

ورث عبيد الله المهدي جزيرة صقلية بين ما ورثه من تركة الأغلبة في بلاد إفريقية ، حيث كانت قد ظهرت أسر متخصصة – والتخصص في الحكم والادارة عند الخاصة ، كما في الحرف والصناعات عند العامة هو ظاهرة تلك العصور المتوسطة – في حكم صقلية ، وفي الجهاد فيما وراء البحار ، سواء في الجزيرة أو كلابريا (قلورية) وإيطاليا (الأرض الكبيرة) ، تتوالى على الامارة بشكل شبه دوري رتيب . أما عن أحوال الجزيرة على أواخر أيام الأغلبة ، بعد حوالي ٨٠ (ثمانين) سنة من الفتح ، فلم تكن تثير الاطمئنان في القيروان . فالجزيرة لم تكن قد أصبحت اسلامية تماما ، إذ ظل سلطان بن زنة موجودا في المدن والقلاع على الساحل الشرقي للجزيرة ، بينما كانت الأقاليم الاسلامية منشقة على نفسها ، عرقيا ومذهبيا ، بين العرب والبربر ، على الساحل الشمالي ، وجرجنت على الساحل الغربي ، حيث قامت النزاعات بينهم بل والحروب ، مما سبقت الإشارة اليه (ج ٢ ص ٢٧٢ – ٢٧٥) ، فلم يكن يوجد بين الفريقين الا النداء للجهاد ، وهو ما لجأ اليه أمراء الأغلبة الأواخر ، من ابراهيم بن أحمد وخليفته (ج ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها) .

والحقيقة أنه كان قد بدأ يتكون في الجزيرة عرق محلي صقلي ، شبه بجماعة المولدين في الأندلس له طموحات في الحكم والسيادة في مقابل خبراته في الحرب والجهاد ، صناعة أهل الجزيرة بالامتياز . هكذا ولى الجزيرة بسنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م محمد بن السرقوسي ، وأن لم يعمر طويلا في الامارة ، إذ

عزل في السنة انتابية ٢٩٥ هـ / ١٠٨ م ، وحل مكانه أحمد بن أبي الحسين ابن رباح ، سليل قواد الجزيرة ، الذي لم يكتب له البقاء طويلا في منصبه ، فبمجرد وصول أخبار انتصار الداعي وهرب زيادة الله الى مصر ، ثار أهلها على : أحمد بن الحسين بن رباح ، فخلعوه واختاروا للامارة بدلا منه : علي بن أبي الفوارس في رجب ٢٩٦ هـ / ١٩٠٩ م ، الأمر الذي وافق عليه الداعي بناء على طلبهم ، شريطة أن يقوم ابن أبي الفوارس بواجب الجهاد ، برا وبحرا .

الحسن بن أبي خنزير واليا :

وبعد أن استقر المهدي في رقادة وبدأ يعيد النظر في ادارة الدواوين وترتيبها ، نقل الحسن بن أحمد بن أبي خنزير من ولاية القيروان التي كان قد أقره فيها عقب عودته من سجلماسة ، الى امارة صقلية ، فكان وصوله الى مازر يوم عيد الأضحى (١٠ ذى الحجة) سنة ٢٩٧ هـ / ٢٠ أغسطس ٩١٠ م . ولا ندري ما اذا كان اختيار الحسن بن أبي خنزير لامارة صقلية قد تم بناء على قاعدة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، لما عرف عنه من الشدة والحزم ، أم لأنه تم في اطار ما كان يخطط له المهدي من تفريق أصحاب الداعي ، قبل أن ينفرد به وحده (ما سبق ، ص ٦٦) وهو ما لا تصرح به النصوص .

والمهم أن الحسن بن أبي خنزير ، بعد أن استقر في العاصمة بلرم حيث « الارستقراطية » العربية بدأ باقرار الأمور في الجزيرة فعين أخاه عليا واليا على مدينة (البربر) جرجنت ، حتى يضمن ضبط المدينتين المتنافستين فيما بينهما ، كما أقر قاضي الجزيرة ، المعين من قبل المهدي ، وهو : اسحاق ابن أبي المنهال ، ليمارس عمله في القضاء والدعوة (١٨٨) ، ثم انه لم يتأخر في اتباع ما كان يرجى فيه من سياسة القوة والحسم ، في الجهاد والحكم . فلم تطلع سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١ م الا وكان يسير على رأس قواته الى حيث .

(١٨٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩ - حيث النص على انه « جعل قاضيا بصقلية » اسحاق ابن أبي المنهال وهو أول قاضي تولى للمهدي . واذا كانت بداية النص يفهم منها أن ابن أبي خنزير هو الذي عين القاضي فان نهايته ترجع أن تعيينه كان من قبل المهدي ، كما جرى بذلك التقليد الذي يحقق استقلال السلطة القضائية عن التنفيذية . وانظر عزيز أحمد « صقلية الاسلامية (بالانجليزية) أدنبره ، ١٩٧٥ ، ص ٦ - حيث الإشارة الى أنه كان على القاضي ابن أبي المنهال أن يعلن خلافة المهدي في الخطبة في بلرم »

نثار النصراري في مدينة دمنش (وادي الشيطان Val Demone - عزيز أحمد ، ص ٦) ، التي تعرضت لأعمال من العنف والاحراق ، انتهت بعوذته بالغنيمة والسبي . ولكن تطبيق مثل تلك السياسة داخليا لم يقدر له النجاح . فبعد مدة يسيرة ثار به الأحرار من الصقليين ، فخلعوه من الإمارة سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م وألقوا به في السجن ، بعد أن نهبوا داره ، وكذلك فعلوا بأخيه وبعثوا إلى المهدي يعتذرون له عما بدر منهم في حق واليه الصعب ، فقبل عذرهم ، وانتهى الأمر بأن عين لهم واليا جديدا من قبله ، هو : علي بن عمر البلوي ، الذي وصل اليهم في ذي الحجة من نفس السنة (٢٩٩ هـ / يولييه ٩١٢ م) (١٨٩) . بينما عاد ابن أبي خنيزر إلى رقادة حيث سيعهد إليه المهدي بقيادة الأسطول ، كما سوف نرى .

ابن قهرّب والدعوة للعباسيين :

وإذا كان المهدي ، عندما وقع اختياره على : علي بن عمر للولاية ، فعل ذلك لكبر سن الرجل ، وما كان يتصف به من الرقة واللين ، على عكس سلفه ، كما يظن ، فإن الصقليين المتقلبين دائما ، والمتطلعين إلى الاستقلال لم يكونوا ليرضوا بذلك ، إذ تعللوا بضعف الرجل ، فعزلوه سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ، وعرضوا الولاية على واحد من رجال الأغلبية السابقين هو : أحمد ابن زيادة الله بن قهرّب ، الذي لم يقبل - « تكتيكيا » كما يقال الآن - وتبالغ الرواية عندما تقول انه هرب منهم ، وتوارى في بعض الغيران - كأنه واحد من الصالحين الذين يخشون أن يحملوا عبء الأمانة (في الحكم) . والحقيقة أن الرجل لم يكن يريد أكثر من صدق زعماء الجزيرة فيما يعرضونه عليه من الإمارة ، وذلك انه عندما اجتمع وجوه أهل البلد إليه ، وسألوه التآمر عليهم ، وأوثقوه من أنفسهم أنهم لا يخذلونه تولى أمرهم (١٩٠) .

وأغلب الظن أن قبول ابن قهرّب للولاية كان مشروطا بالموافقة على قطع علاقة الجزيرة بالشيعة الفاطميين في أفريقية ، على أن يستبدلوا بذلك

(١٨٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٠ وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ - حيث يضم الثورة على الحسن وأخيه علي في غير موضعه (في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) وهو تاريخ الثورة الثانية التي خلعوا فيها علي بن عمر .
(١٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٦٨ ، ط : بيروت ص ٢٢٣ - حيث يبدأ النص بأن الثورة كانت على الحسن وعلي ابن أحمد بن أبي خنيزر ، وهي رواية الثورة السابقة ، وضعت في غير موضعها كبداية لثورة ابن قهرّب ، كما سيبت الإشارة في الهامش السابق .

اعلان الطاعة للخلافة العباسية . فلقد كتب ابن قرههب الى الخليفة المقتدر ببغداد يطلب الموافقة على أن يكون تابعا له على الجزيرة نظير الدعوة له في خطبة الجمعة . ووافق الديوان الخلفي ببغداد على ذلك وبعث الى ابن قرههب بالأعلام العباسية السود ، والملابس الرسمية السوداء ، كما أنعم عليه بوسام « الطوق الذهبي » (١٩١) .

ابن قرههب مجاهدا :

وكما هي العادة ، وفي سبيل لم شمل زعماء الجزيرة حوله كان عليه أن يبدأ عمله سنة ٢٩٩ هـ / ٩١٢ م ، بالجهاد فبعث حملة صغيرة الى كلابريا ، عادت بالمغانم والأسرى من الروم . ثم انه في السنة التالية (٣٠٠ هـ / ٩١٣ م) سير ابنه عليا على رأس حملة لحصار قلعة طبرمين الحديثة ، وكان هدفه كما تنص الرواية أن يجعل منها ، اذا ما ملكها ، قاعدة احتياطية له يشحنها بماله وعبيده وأولاده ، « فاذا رأى من أهل صقلية ما يكره امتنع بها » (١٩٢) . ولكن الحصار الذي طال الى ٦ (ستة) أشهر أثار الملل في نفوس العسكر الذين ثاروا بقائدهم ابن الوالي ، الى حد أن « أحرقوا خيمته وسواد عسكره ، وأرادوا قتله ، فمنعهم العرب » (ابن الأثير ج ٨ ص ٧١) ، وهو ما يعني أن العسكر الثائر كان من البربر من أهل جرجنت وان ابن قرههب كان يجاهد منذ البداية تحت شعارات الدولة العباسية السوداء . وان كان ذلك يثير تساؤلات عما اذا كان اضطراب العسكر البربري نوعا من الاحتجاج على قطع ابن قرههب وقتئذ ، لصلات صقلية بأفريقية ، بلادهم الأصلية ، ووصلها ببغداد البعيدة ، أو انه كان بتحريض من المهدي ، بمعنى أن : شراء صداقة بعيد بعداوة قريب ، مما لا ينصح به سلامة الحس لفداحة الثمن .

ولا بأس أن يكون ابن قرههب قد أراد أن يؤكد سياسته هذه ، وذلك عندما تجرأ في السنة التالية ٣٠١ هـ / ٩١٤ م وشن غارات بحرية بعيدة

(١٩١) ابن عذاري ج ١ ص ١٦٨ ، وقارن ابن الأثير ، الذي يجعل ذلك بعد قيام ابن قرههب بنشأته الحرب في قلورية (كلابريا) وفي الجزيرة ، وان لم يحدد التواريخ ، فربما أن سلامة الحسن ترجح أن يكون ابن قرههب قد بدأ بالاتصال بالخلافة ، فعلا ، وأنه بدأ بممارسة نشاطه في الحكم والجهاد قبل أن تأتيه الموافقة من بغداد ، الأمر الذي يفسر صحة ترتيب الأحداث عند ابن الأثير بالشكل الذي أخذنا به .

(١٩٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١ .

المدى على طول السواحل الفاطمية فكانها سواحل دار الحرب في بلاد الروم .
ففي مرسى « لمص » نجحت مرانب ابن قرهه ، بقيادة ابنه محمد ، في
مفاجأة الأسطول الفاطمي الرابض هناك بقيادة الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ،
فاستولت عليه ، وأسرت من طاقمه ٦٠٠ رجل ، من بينهم قائده ابن أبي
خنزير ، وتدل العقوبة التي أنزلها محمد بن قرهه بهذا الأخير ، من : ذبحه
بيديه وقطع يديه ورجليه (١٩٣) ، وهى عقوبة المفسدين فى الأرض ، بأن ثمة
انتقاما فى الأمر وثارا ، مما يرجح أن يكون للحسن يد فى تأليب بربر
جرجنت على واليهم الذى وجه أنظاره بعيدا من بلادهم نحو المشرق وبغداد .
ولم تجد محاولة المهدي الذى سير العساكر لانقاذ الأسطول الذى كان قد
تم احتراقه ، ولا للتصدي للصقليين الذين هزمهم (١٩٤) ، قبل أن يواصلوا
غارتهم على سفاقص التى خربوها ، ولو أنهم لم يستطيعوا - عندما وصلوا
الى طرابلس مواجهة ولى العهد أبى القاسم ، بقواته الكبيرة المتجهة وقتئذ ،
نحو مصر ، فعادوا من حيث أتوا ، الى قواعدهم (١٩٥) .

الاتصال بغلظة بغداد وبداية النهاية لنظام ابن قرهه :

ولا بأس أن يكون ابن قرهه قد أخبر بغداد بما حققه من انتصارات
على الفاطميين فهذا ما يفسر وصول الخلع السود والألوية اليه من الخليفة
المقتدر (ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١) . ومن الطبيعى أن يكون قد عمل على
تأكيد تفوقه البحرى بغارات جديدة على جنوب ايطاليا وسواحل أفريقية .
فابن الأثير يشير الى أنه أخرج قوات برية (جيشا) محمولة فى البحر الى
كلابريا (قلورية) ويقول انها غنمت وخربت وعادت - كما حدث فى أول
ولايته ، دون أن يحدد التاريخ (١٩٦) . وهنا يكون اللجوء الى رواية تاريخ

(١٩٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧١ حيث الاشارة الى انه أحرق الأسطول جميعا ، بمعنى
أن الحريق كان قصدا ، ولم يكن صدفة أو عملا حربيا غير مقصود لذاته . وقارن ابن الأثير
ج ٨ ص ٧١ - حيث النص على احراق الأسطول ، وقتل الحسن وحمل رأسه (الى صقلية)
وقارن المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ ، الباب ٢٧ : تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها
المسلمون حسب تاريخ العالم ، المعروف بمخطوط كامبريدج ، ص ١٦٨ - حيث النص على
خروج مراكب ابن قرهه فى ٩ يوليه (سنة ٦٤٢٢ من تاريخ العالم) وعلى أن احراق مراكب
أفريقية وقتل ابن أبي خنزيرة كان فى ١٨ منه (يولييه) .

(١٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٩٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧١ .

(١٩٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ - وهنا يمكن الظن أن تلك الحملة - بسبب غياب

صقلية (حسب تاريخ العالم) الذي يحدد جملة خرجت من صقلية في اول
سبتمبر (سبتمبر) من السنة اسليه لاجراى الاسطول الفاطمى وقتل
ابن ابي حنزيه ، وهى سنة ٣٠٢ هـ / ١٥ - ١٦م ، وينص على أن وجهتها
كانت « جلايانا » ، ولكنها انتهت باهلاك فى البحر غرقا (١٦١) . وتبع سوء
الظالم هذا فشل اسطول ابن قرقب فى محاوله جديدة ضد الاراضى الفاطمية
اذ نصلى له اسطول المهدية ونجح فى اسر مراكبه ، فكان ذلك بداية للنهايه
بالنسبه لنظام ابن قرقب فى صقلية ، اذ « طمع فيه الناس ، وكانوا
يخافونه » . وكان الخارجون عليه ، بطبيعة الحال ، هم : بربر جرجنت
الذين بدأوا الاتصال بالمهدي أو عاودوا ذلك ، الأمر الذى كان يمكن أن
يؤدى الى حرب أهلية (فتنة) بين العرب والبربر ، لولا ، أن أهل الرأى فى
الجزيرة ، وجدوا أنه من المصلحة العوده الى طاعة القيروان ، فراسلوا المهدي
سرا (١٦٨) . وهنا استحسن ابن قرقب استخدام سياسة المداورة مع خصومه ،

فذكرهم بعهدهم له ، وعندما تيقن من عدم استجابتهم ، قرر ترك الجزيرة
واللجوء الى الأندلس . وفعل أكثرى عددا من المراكب وشحنها بما كان عنده
من المال والمتاع ، ولكن خصومه حالوا بينه وبين الهرب ، فهجموا على المراكب
ونهبوا ما كان فيها ، كما قبضوا عليه وعلى ابنه محمد : قائد الأسطول على
ما نظن - وكذلك على قاضيه المعروف بابن الحامى ، وذلك فى سنة ٣٠٣ هـ /
٩١٥م ، وبعثوهم فى ١٤ يوليو / ٢٨ ذى الحجة - مقيدى الى سوسة التى
وصلوها فى المحرم من سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦م . وكان انتقام المهدي الذى كان
فى انتظارهم مروعاً ، اذ أنزل بهم عقوبة القتل وتقطيع الأيدى والأرجل ،
على قبر الحسن بن ابي حنزيه بباب سالم ، من أبواب القيروان - حيث شهن

التاريخ - ربما كانت تكرارا لحلة كلايريا الاولى (ما سبق ص ١٤٨ و١٩٢) ولكنه من المقبول
أن يقوم الصقليون بصرف النظر عن اليهم - بحملاتهم الدورية فى البحر من أجل المنافع ،
ما أصبح بالنسبة لهم بعضاً من نشاطهم اليومى .

(١٩٧) أمارى ، المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٦٨ - حيث تحديد السنة بـ ٦٤٢٣ -
حسب تاريخ العالم ، وانظر عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية (بالانجليزية) ، ص ٧ - حيث
النص على أنه رغم تحطم القوة البحرية الصقلية: فان القائد البيزنطى فى كلايريا ، وهو
أوستانيوس ، وافق على دفع الجزية - هذا ولو أن المرجح فى ذلك ، وهو ج . جاي
(J. Gay) يشير الى أن ذلك كان سياسة معايشة جديدة انتهجها بعض القواد
البيزنطيين ، ولو أنه يقترح أكثر من تاريخ لذلك ما بين سنة ٩١٥ وسنة ٩١٨ . انظر فيما
بعد ، ص ١٥٤ .

(١٩٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ .

بهم صلباً (١٩٩) .

الاتصال بالمهدي ، وتعيين أبي سعيد « الضيف » واليا :

على عكس ما كان يظنه غلاء الزعماء من رجاء مظنة السلام القاطم بدلا من الفتنة العباسية ، فالظاهر ان روح اخلاف المتأصلة في نفوس الصقليين ، ان لم تكن روح ابن قريش التي ذهبت ضحية الفرقة فيما بينهم ، قد حادت بهم عن الطريق السليم . وذلك أنهم كتبوا الى المهدي يطلبون منه أن يرسل لهم « عاملا (واليا) وقاضيا » فقط ، لأنهم « لا يحتاجون الى رجال ولا مدد » (٢٠٠) - فكانهم ما زالوا مصرين على الاستقلال عن القيروان ، بالأمر الواقع ، بمعنى أن تكون طاعتهم للدولة نوعا من الولاية التي لا طائل وراءها . وهنا تكون قد لحقت بهم لعنة ابن قريش حقا ، حيث تذكر المهدي مقاتله له فيهم ، وهي : ان أهل صقلية يكثرون الشغب على أمرائهم ، ولا يطيعونهم ، وينهبون أموالهم ، ولا يزول ذلك الا بعسكر يقهرهم ويزيل الرئاسة عن رؤسائهم (٢٠١) . وهكذا عهد عبيد الله المهدي بامارة صقلية الى واحد من مشاهير القضاة من رجاله وهو : أبو سعيد موسى بن أحمد المشهور بالضيف ، وأخرجه مع كثير من شيوخ كتامة على رأس الجيوش والأساطيل ، التي أرسيت بميناء طرابلس في ١٥ أغسطس (أوت) من نفس السنة ٣٠٤هـ / ١٩ صفر ٩١٦م ، وفي ٢٨ من سبتمبر / ٣٠٤هـ ١٦ ربيع كانت قواته تدخل العاصمة بلرم برا ، كما دخلها الأسطول بحرا (٢٠٢) .

(١٩٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧ - حيث تضطرب الرواية بعض الشيء ، كما تحدث الثورة على ابن قريش - خطأ - سنة ٣٠٤هـ / ٩١٢م ، بدلا من سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، وقارن المكتبة الصقلية ، ج ١ الباب ٢٧ ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ص ١٦٨ - ١٦٩ - حيث النص على انه في ١٤ يوليو سنة ٦٤٢٤ عزلوا الصقليين ابن قريش ونفيه الى أفريقية ، ومات بها هو وولده .

(٢٠٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ .

(٢٠١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على ان المهدي استقبل بن قريش ليسأله عن سبب خلافه ، فقال له : « أهل صقلية ولزني وأنا كاره وطمعوني وأنا كاره » .

(٢٠٢) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ ، والمكتبة الصقلية لآماري ج ١ فصل ٢٧ - تاريخ صقلية (حسب تاريخ العالم) ص ١٦٩ - حيث النص على انه في ١٥ أغسطس ٦٤٢٤ اتا أبو سعيد الضيف الى صقلية بعسكر كبير ، وأنه في ٢٨ سبتمبر دخل بلرم .

ضرب المقاومة الصقلية ودخول بلرم :

وكان وصول القوات الفاطمية هذا ، بمثابة انذار بالخطر لكل أهل الجزيرة ، بصرف النظر عن اختلافاتهم العرقية أو المذهبية . فلم يأت ١٧ أكتوبر ٩٦٠م / ١٨ ربيع حتى قامت قائمة الصقليين جميعا تعالیه ، اذ تحالف ضد أبی سعید الضیف کل من بربر جرجنت وعرب بلرم (المدينة) بل ونصارى الجزيرة الذين تقوى بهم الثوار أيضا (٢٠٣) ، وضربوا عليه الحصار . وتمكن أبو سعید من كسر نطاق ذلك الحصار البرى بفضل السور الذى أحاط به قواته فكان يمكنه من السيطرة على المرسى (٢٠٤) . والمهم ان القتال انتهى بتراجع الثوار الى المدينة (بلرم) تتبعهم قوات أبی سعید التى حاصرتهم برا وبحرا ل ٦ (ستة) شهور وقتلت عددا من رؤوسائهم وأسرت منهم آخرين ، وقاست المدينة من الجوع والغلاء حتى بلغ سعر الملح فيها : « أوقية بخروبتين » (٢٠٥) ، كما قاست ضواحي المدينة من ذلك الحصار الطويل حيث راح كثير من النساء والصغار ضحية عبث الكتامييت بهم . والظاهر ان أبی سعید الضیف انتهز الفرصة وكتب الى المهدي بأخبار ما حققه من الانتصارات ، وطلب المزيد من المعونة والامدادات لكسر شوكة العصاة نهائيا . وعندما وصلت المراكب الحربية عليها الأعداد الوفيرة من الرجال ، انتهى الأمر بطلب الأمان على أن يقدم المسئولون عما وقع فى المدينة من الأحداث . وبذلك دخلت العساكر بلرم وتسلم أبو سعید الضیف المدينة فى ١٢ مارس / ٢٥ رمضان (٢٠٦) .

(٢٠٣) أنظر المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ تاريخ صقلية - حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ .

(٢٠٥) أنظر المكتبة الصقلية ، ج ١ فصل ٢٧ تاريخ صقلية - حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ .

(٢٠٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٢ - ٧٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث يلخص كل من المؤرخين الأحداث ذات المصدر الواحد ، كما نرى دون تواريخ وبشكل يوحى بأنها وقعت متزامنة فى وقت واحد . ولكن المقارنة بين النصين تساعد على التفرقة بين الأحداث تبعا لتسلسل وقوعها المنطقى ، وقارن العيون والحداثى ، ج ٤ قسم ١ ، ص ٢٦٩ وص ١ - حيث الإشارة الى انتهاء نقل المؤلف من كامل ابن الأثير وبيان ابن عذارى . أما عن تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم المكتبة الصقلية لمارى ، ج ١ فصل ٢٧ ، ص ١٦٩ . فله الفضل فى ترتيب الأحداث ترتيبا دقيقا حسب السنوات حسب تاريخ العالم . حيث وصول الضيف الى صقلية فى ١٥ أغسطس سنة ٦٤٢٤ وعودته الى أفريقية فى سبتمبر سنة ٦٤٢٦ .

وكانت فرصة اغتنامها الضيف وقرر أن يكون الاستلام شاملا ، وإلى الأبد ، كما تصور ، فجعل من بلرم مدينة « مفتوحة » ، كما يقال ، فهدم سورها وجرد أهلها من الخيل والسلاح ، ثم انه فرض عليهم غرامة مالية ثقيلة ، تتناسب مع ثقل وزرهم على ما نظن ، وان لم يعرف تدرها . أما عمن اعتقلهم ممن يشك في ولائهم أو خطورة وجودهم في الجزيرة ، فقد بعث بهم إلى المهديّة ، ولكن ظروف البحر لم تسمح لهم بالوصول سالمين (٢٠٧) .

ولاية سالم بن راشد :

وعندما أتى كتاب المهدي يأمر أبا سعيد الضيف ، بالعفو عن العامة (٢٠٨) ، كان ذلك يعني أن الأمور قد هدأت تماما في صقلية وأن الهيمنة الفاطمية على الجزيرة قد أصبحت كاملة ، وهكذا عهد أبو سعيد بولاية الجزيرة إلى : سالم بن راشد ، وترك معه حامية كتامية ، وانصرف هو عائدا في شهر سبتمبر / ربيع الأول إلى القيروان .

والهم في ولاية سالم بن راشد هذه انها طالت إلى أكثر من ٢٠ (عشرين) سنة إلى ما بعد وفاة المهدي (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) وولاية القائم الذي أقره في الإمارة إلى ان انتهى أمره بشكل غامض خلال الاضطرابات التي ألمت بالجزيرة اعتبارا من سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م والتي استمرت لسنوات طويلة . وعلى عكس سنوات الاضطراب التي ختمت عهد سالم ، نلاحظ ان الحوليات المغربية في كل من ابن عذارى وابن الأثير وهي أخصبها ، تكاد تغفل أحوال صقلية خلال أيامه الطويلة ، باستثناء النص على بعض الأعمال الحربية فيما وراء البحار ، في كل من : كلابريا وأرض إيطاليا ، أو الهدنة مع نصارى الجزيرة ، مثلا .

العلاقات مع كلابريا وجناب إيطاليا :

وهنا لا بأس من التساؤل عما إذا كان ذلك يعني استتباب الهدوء

(٢٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على أنه بعث بمن أخذ منهم إلى عبيد الله في مراكب ، فانكفأ بهم البحر . وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٣ - حيث النص على أنه أمن أهل المدينة الا رجلين هما آثارا الفتنة ، فرضوا بذلك ، وتسلم الرجلين ، وسرهما إلى المهديّة بإفريقية .

(٢٠٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٧٣ .

والسكنية ، بمعنى حياة خير والرخاء . في الجزيرة وسيادة الامن وا
منع الروم (البيزنطيين) في كلابريا والامارات الايطالية المختلفة
نابوي وساليرنو الى جرجانتو وجايتة وغيرها (انظر شكل ٢ ص ١٥٥) ،
انه يمكن ان يفهم من المصادر الرومية ، ومنها ما هو مذكور باللغة الم
مثل : تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم (١٠٩) . ان كبار القادة وال
في كلابريا ، وفي جنوب ايطاليا - مثل : أوستاثيوس (athios)
وموزالون (Muzalon) كانوا قد عملوا وقتئذ على اقامة نوع من
المعيشة أو حسن الجوار مع العرب الغزاة ، طالما عجزوا عن ردهم
الأمر الذي يتلخص في تحويل الفدية التي كانوا يدفعونها الى نو
الضريبة المنتظمة (٢١) . وهكذا فان القائد أوستاثيوس الذي كان
للإمبراطور وافق على أن يدفع ضريبة قدرها ٢٢ (اثنين وعشرين) ألف
ذهبية وذلك حوالي سنة ٩١٥ هـ / ٩١٦ م / ٣٠٣ / ٣٠٤ هـ . وهو
الذي يحدده أماري ، على أيام ابن قزح ، أو ما بين سنتي ٩١٧ - ١٨
على عهد سالم ابن راشد ، كما يقترح ج . جاي (٢١) . كما اضطر
القائد أوستاثيوس ، وهو البطريق : جان موزالون الى زيادة الضرا
لكي يوفى بتعهداته المالية الى العرب ، الأمر الذي أدى الى الثورة
وقبلة فيما بين سنة ٩٢٠ م / ٣٠٨ هـ وسنة ٩٢٢ م / ٣١٠ هـ ، وهي الس
التي كانت فيها بلاد اللومبارد و كلابريا مسرحا لجولات أساطيل
والمهدية .

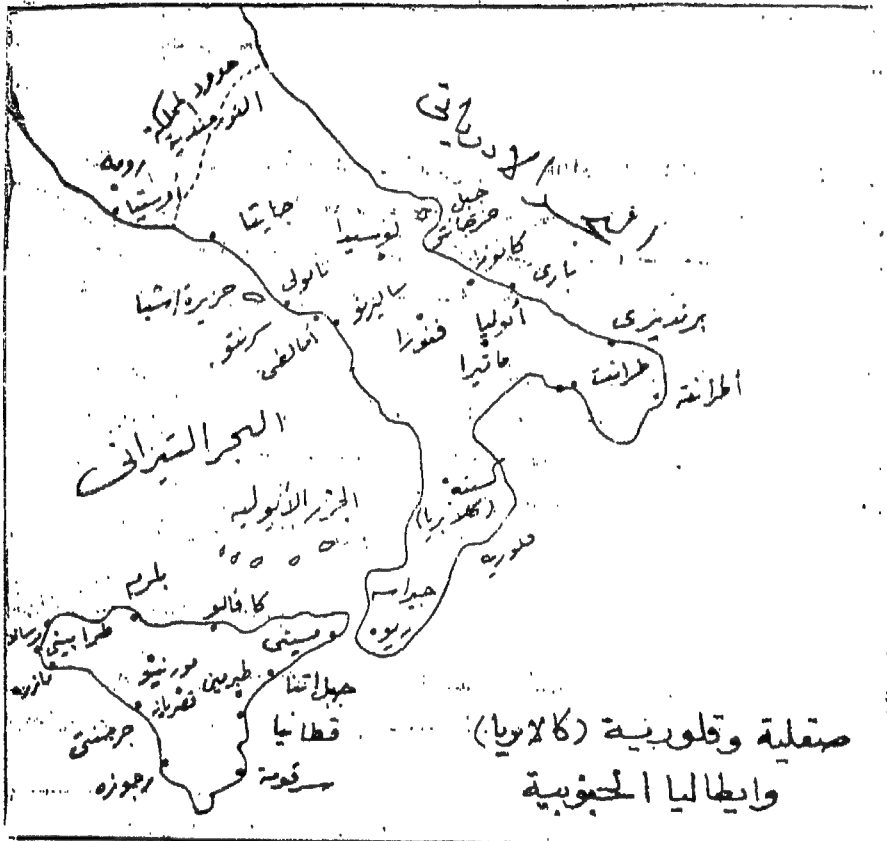
وبناء على ذلك فلا بأس أن تكون سياسة شراء السلم هذه
استمرت على أيام سالم بن راشد ، الأمر الذي تؤيده الحملات التي كانت
من المهدية مباشرة الى ايطاليا وأغلب الظن ان المهدى لم يكن ليستفيد

(٢٠٩) مخطوط كابريج ، في المكتبة الصقلية لأماري ، ج ١ فصل ٢٧ ، ص ٦٩

(٢١٠) ج . جاي ، ايطاليا الجنوبية . . (بالفرنسية) ، ص ٢٠٢ .

(٢١١) والحقيقة ان ج . جاي ، مرجعنا في ذلك ، يقترح لتلك المعاهدة سنة ٩١٧ .
٣٠٥ هـ اعتمادا على المؤرخ اليوناني سكيليتيزس (Skylitzes) عند تناوله للحرب مع البر
التي دفعت الى ذلك الاتفاق ، وان كان يرجع ، تبعاً للتسلسل المنطقي للأحداث ، سنة ١٨٠
٣٠٦ هـ التالية ، أي بعد اقتحام زيرو ونهبها ، حسب تاريخ صقلية بالنسبة الى تاريخ الم
ج ١ ص ١٦٩ . انظر ج . جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية . . .
جارس ، ١٩٠٤ ، ص ٢٠٢ - وفيما سبق ، ص ١٤٩ وهـ ١٩٧ .

من الضرائب المفروضة على مدن جنوب إيطاليا وكالابريا من قبل أمراء صقلية، وإن لم يكن يجهل إيجيانا الأسلوب الذي كانت تؤدي به تلك الضرائب، وأنه أراد، لكل ذلك، أن يكون حاصل الجهاد وثائق القىء التي المتمثل في الضريبة عائدا إليه مباشرة، وذلك زيادة في احتكام سياسته المالية. مما سبق الإشارة إليه (ص ١٢١).



(شکل ۲)

اجتياح ديو :

وهكذا لم يكد سالم يتسلم سلطاته في سبتمبر ٩١٧ م/ربيع الثاني ٣٠٥هـ حتى أتت « القوارب » في آخر السنة (ديسمبر ؟) من أفريقية واحتاحت مدينة ريو (Reggio) الكلابرية ، في قتال ليل مفاجئ (٢١٢) .

(٢١٢) المكتبة المصقلية ، تاريخ مصقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ .

أما عن السياسة التي اتبعها سالم في صقلية فهنيها فقد هدفت الى تهدئة الأوضاع في الجانب المسيحي الرومي ، الذي كان قد تقوى بفضل الاضطرابات الداخلية . فلقد عقد سالم هدنة مع أهل طبرمين وسائر القلاع المجاورة لها على الشاطئ الشرقي للجزيرة ، وذلك في أواخر السنة التالية (ديسمبر ٩١٨م / رجب ٣٠٦هـ) . والظاهر أن الهدف من مهادنة نصارى الجزيرة كان تهية الظروف المناسبة لنقل الحرب الى الشاطئ الآخر في جنوب إيطاليا - وإن كان ذلك لم يحدث - في ضوء ما لدينا من الوثائق - إلا بعد ٥ (خمس) سنوات .

فلقد كانت مدينة (شنت أغاثي) (St. Agathe) المجاورة لريو (جاي ، ص ٢٠٦) هدفا لغارة بحرية قامت بها (٢٠) عشرون مركبا من نوع الشينى ، بقيادة مسعود الفتى (الصقلي) ، اجتاحت المدينة وعادت الى المهدي بالغنائم والسبي ، وذلك سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م (٢١٤) .

أما عن حملة سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤م التي استهدفت أيضا غزو بلاد الروم والتي كانت قيادتها الى الحاجب ، الوزير ، جعفر بن عبيد ، فالظاهر أنها خرجت في وقت غير مناسب من أواخر الصيف وبداية الخريف ، وذلك أن الأسطول الخلفى اكتفى بقضاء الشتاء في صقلية وعاد - عندما تحسنت الأحوال الجوية - دون لقاء العدو (٢١٥) .

حملات على جنوب إيطاليا :

وعوضا عن تلك الحملة التي أجهضت لسبب أو لآخر ، كان جنوب إيطاليا هدفا فالحملة مزدوجة في السنة التالية ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، من جانب

(١٢٣) المكتبة الصقلية تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ج ١ ص ١٦٩ .
(٢١٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٨ ، ط : بيروت ص ٢٦٤ ، وقارن المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٦٩ حيث النص على أن شنت أغاثي هي مجموعة من القلاع ، وقارن ، ج ١ ص ٢٠٦ - حيث الإشارة الى أنه اعتبارا من تلك السنة (٩٢٢م) بدأ ظهور عصابات البلغار في كامباني . ولكن الخطر الأعظم من ذلك كان يتمثل وقتئذ في « حلفاء جدد للمسلمين هم صقلية البحر الأدرياتي ، الذي دخل كثير منهم في خدمة المهدي (كخدي يثربون في كنف الخلافة قبل أن يصل بعضهم الى المراكز القيادية .
(٢١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٨٩ ، ط : بيروت ، ص ٢٦٦ ، وقارن المكتبة الصقلية .
تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ - ١٧٠ - حيث النص على أن جعفرا الحاجب أخذ بريصانه ؟

أسطول صقلية بقيادة الأمير سالم بن راشد ، وأسطول المهديّة بقيادة الحاجب (أبو أحمد) جعفر بن عبيد . ورغم ما توحى به رواية ابن الأثير من التنسيق بين الأسطولين ، فمن الواضح أن كلا منهما سار في وجهة خاصة به . فبعد أن اتجه جيش بلرم الى بلاد اللومبارد (أنكبردة) حيث تحقق فتح مدينتي : الـ « غيران ، وأبرجه » وتم الحصول على مغنم وفيرة ، عاد جنوباً نحو كلابريا ومدينة « طارنت » التي حوصرت وفتحت عنوة في شهر رمضان / نوفمبر ، ومنها عرجت القوات الصقلية على مدينة « ادرنت » التي حوصرت ولكنه لم يمكن اجتياحها ، فاكتمل بتخريب منازلها . وكان ذلك الفشل نذير سوء للحملة ، حيث عصفت الوباء بالرجال واضطروهم الى العودة من حيث أتوا (ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٥٩) .

اجتياح أوربة :

أما عن حملة أسطول المهديّة بقيادة الحاجب جعفر ، فقد اتخذت مساراً آخر إذ نزلت قرب طارنت ، وحقت انتصارات كثيرة ، كان المعلى : التقدم نحو مدينة أوربة (Orià) واجتياحها بعنف أسفر عن مقتل ٦ (ستة) آلاف رجل من محاربيها ، وسبى ١٠ (عشرة) آلاف من نساءها . وكان من بين الأسرى بطريق بلدة مجاورة دفع خمسة آلاف دينار كفدية عن نفسه وصلاح عن مدينته . وكان على القائد الحاجب ، وهو في طريقه الى صقلية ، عبر كلابريا أن يهادن أهلها ، على دفع « الجزية » من غير شك ، إذ أخذ منهم رهينتين من أكبر أعيان الناس هما : « لاه » أسقف صقلية ووالى قلورية (كلابريا) . وذلك قبل أن يسير الى صقلية ليصلح من شأنه ، ويخبر المهديّ بانجازاته ، قبل الرجوع الى المهديّة في ٢٦ من ربيع الآخر ، ليقدّم الحساب عما حصل عليه من المغنم (٢١٦) التي استقلها المهديّ - رغم كثرتها

(٢١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٠ وط . بيروت ، ص ٢٦٧ (حيث الاسم وادى بدلا من أوربة) ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، المكتبة الصقلية لأمارى ، ج ١ ص ١٧٠ . وقارن ج . جاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية ص ٢٠٧ - حيث الإشارة الى ان أوربة (وادى عند ابن عذارى ، وأوره في المكتبة الصقلية) كانت مدينة آهلة بالسكان فيها جالية يهودية كبيرة ، وأنه كان من بين الأسرى العالم اليهودى شبطاى الذى اقتدى بعد عدة أشهر فى طارنت . ولا بأس أن يكون المقصود بالبطريق قائد البلدة المجاورة ، كما فى نص ابن عذارى هو (رئيس حى اليهود) الذى صالح عن نفسه وعن مدينته ، وأن كان « جاي » يأخذ برواية أمارى التى يرى فيها أن يكون صلح البطريق وبلدته هو صلح أوربة نفسها ، الذى صدق عليه المهديّ بعد أن وعده الامبراطور رومان لكابن (Lécapène) بأن يدفع قائد كلابريا الضريبة بانتظام .

وارتفاع قيمتها - فقال ان حاجبه القائد لم يعطه من « الجمل الا اذنيه - (ما سبق ص ١٢٠) - أما عن سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ، فننص رواية صقلية حسب تاريخ العالم ، على أنه أتى من قبل الحكومة المركزية بالمهدية ، شيخان هما البلزمي والقلشاني - بصحية سالم ، وأنهم جبوا ضريبة من أهل صقلية ، دون اشارة الى نوعها أو مقدارها أو سبب فرضها (٣١٧) .

حملات صابر الفتى :

ورغم الهدنة التي عقدت في سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، فسرعان ما يقوم والى القيروان ، وهو صابر الفتى « الصقلي » ، المولى السابق لابن قرقهب (ابن عذارى ، ط : بيروت ، ص ٢٦٩ - سنة ١١٤) بثلاث حملات دورية يغزو فيها بلد الروم : جنوب ايطاليا . وأولى تلك الحملات ، وهى التي قامت فى سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧م ، وحت ٤٤ (أربعة وأربعين) مركبا ، سارت الى صقلية ، ومنها الى جنوب ايطاليا حيث فتحت عددا من المواضع أحدها ربما كان « أوترنتوه » (Otrante) وذلك فى ١٧ أغسطس (٢١٨) والحملة الثانية لصابر الفتى كانت فى السنة التالية ٣١٦هـ / ٩٢٨م ، وهدفها السواحل التيرانية من جنوب ايطاليا ، حيث هاجمت موضع الغيران وقلعة الحسب ، واستولت على ما فيها ، قبل الزحف الى ساليرنو التى صالحه أهلها على قدية من مال وديباج ، ثم الزحف الى نابولى حيث تم الصلح على نفس الشروط (٢١٩) . وقبل العودة مر صابر بكالابريا حيث عقدت معه هدنة لمدة سنة واحدة - نظير مبلغ من المال من غير شك (٢٢٠) . وفى حملة

(٢١٧) المكتبة الضيقية ، ج ١ فصل ٢٧ ص ١٧٠ .

(٢١٨) ابن عذاري ، ج ١ ، ص ١٩٠ ط : بيروت ، ص ٢٧٠ ، وقارن ، المكتبة الصقلية ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٧٠ - حيث تحديد التاريخ وقراءة صابر في شكل صاين ، وهو ما أخذ به ج. جارى الذى جعل عدد المراكب ٥٠ (خمسین) ، وانها حاصرت طارنت واقتحمها وقتلت جزءا من الحامية ، وأرسلت الباقي الى أفريقية ، وذلك قبل مهاجمة أوترنتوه ، وان العرب انسحبوا عندما حل بهم الوباء - إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٨ .

(٢١٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٩٢ ، ط : بيروت ، ص ٢٧٣ ، وقارن المكتبة الصقلية ، تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ج ١ ص ٨٧٠ - حيث الاشارة الى عبور الصقليين (صابر) الى لانكبيده (لومبارديا) حيث اخذ سببه كثيرا ، ولم يحكم على مدينة ، وقارن ، ج . جاعه جنوب ايطاليا ، ص ٢٠٨ .

(٢٢٠) المكتبة الصقلية ، تاريخ صقلية ، ج ١ ص ١٧٠ . وانظر ، ج . جاي ،
إيطاليا الجنوبية ، ص ٢١٨ - حيث النص على أن فرض الضرائب كان على سالرنو ونابولي .

صابر الثالثة فى السنة التالية (٣١٧ هـ / ٩٢٩ م) ، والتي كانت أشبه بغارة صغيرة تقوم بها ٤ (أربعة) مراكب ، مما جعل ج . جاى يصف والى انقيروان الصنلىبى بالقرصان ، على ما نظن ، تقدم صابر الى البحر الأدرىاتى ونجح بمراكبه الأربعة فى هزيمة مراكب الروم السبعة التى كان يقودها حاكم كلابرىا القائد الذى يحمل لقب سرد غوس (Stratège) ، لكنى يتوغل بعد ذلك الى ما وراء جرجانتو (Garganto) ويقتحم مدينة ترمولة (Termoli) التى أخذ منها الكثير من السبى ثم عاد الى المهديّة (٢٢١) .

جباية الضرائب فى صقلية :

اما أهم أحداث صقلية على أواخر أيام المهدي ، فيذكر منها صاحب تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ما وقع على كاهل أهل الجزيرة ، سنة ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، من الضرائب الثقيلة . حيث قدم من المهديّة شيخان ، مثلما حدث فى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م (ما سبق ، ص ١٥٨) هما : ابن سلمة وابن الدية ، وقام سالم بن راشد باصطحابها فى جولة جمعا فيها مالا كثيرا ، أرهق الناس من غير شك ، وأثار شكواهم . وهو ما يظهر فى السنة التالية (٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) عند عودة الجايين الى أفريقية ، حيث النص على أن أمير المؤمنين (المهدي) سخط عليهما (٢٢٢) ، تماما كما كان يحدث من قبل فى برقة وغيرها (ما سبق ص ١١٨) . وهذا ما تختتم به الحوليات الصقلية حسب تاريخ العالم ، قبل وفاة المهدي فى سنة ٦٤٤٢ من تاريخ العالم ، الموافق ٣ مارس (٩٣٤ م / ١٢ ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ) التى وصل خبرها الى صقلية فى ٢٥ أغسطس مع اعلان خلافة ابنه أبى القاسم بعده (٢٢٣) .

والمهم فى تاريخ صقلية وجنوب ايطاليا على عهد القائم انه بدأ قويا بحملة ناجحة خرجت من دار الخلافة ، فى نفس سنة ولايته : ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، الى مدينة جنوة فاجتاحتها ، فكانت بمثابة هدية عزيزة على قلوب رعيته يقدمها بمناسبة عيد جلوسه .

(٢٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٣ ، ط : بيروت ، ص ٢٧٥ ، وقارن المكتبة الصقلية ،

ج ١ ص ١٧٠ حيث يقدّر عدد السبايا ب ١٢ (اثنى عشر) الفا .

(٢٢٢) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٠ .

(٢٢٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ٧٠ .

الفصل الثاني

الفاطميون في المغرب من وفاة المهدي حتى النقلة الى مصر :

- القائم (أبو القاسم محمد : ٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م)
- المنصور (أبو الطاهر اسماعيل : ٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م)
- المعز (أبو تميم معد : ٣٤١ - ٣٦٢ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٢ م)

تمهيد :

توفي المهدي في منتصف ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٩٣٤ م (١). بعد خلافة ناهزت ربع قرن قضاها في تكثير الأولياء بنشر المذهب ، والقضاء على الأعداء بحشد الجيوش وانفا الأموال ، وعلى الجملة باستخدام سياسة الترغيب والترهيب ، الأمر الذي انتهى بتوطيد أركان دولة الفاطميين الشرفاء في كل أرجاء المغرب ، مع طرق أبواب كل من مصر وإيطاليا ، عن طريق

(١) هذا ما يتفق عليه معظم الكتاب باستثناء رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة (ص ٣٢٩) حيث تاريخ الوفاة ١٠ من جمادى الثاني / ٢٩ ماية ٩٣٤ م . ومع اننا لا ننازع محقق الكتاب فيما يراه من أن هذا هو التاريخ المضبوط (لكافة النعمان ، بصفته أحد كبار رجال الدولة ، إذ قضى ٩ (تسع) سنوات في خدمة المهدي (المجالس والمسائرات ص ٧ وما بعدها) قبل أن يدخل في خدمة القائم ثم المنصور والمعز الى وفاته سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م بالقاهرة ، فاننا نفضل الابقاء على التوقيت الدارج الى أن تتأكد صحة الرواية الواحدة ان كانت صحيحة ، الا اذا كانت الروايتان صحيحتين بمعنى أنه كانت للقائم الذي يبيع في نفس اليوم الذي مات فيه والده ، بيعتان : أولاها سرية خاصة ، والاخرى علنية عامة ، خاصة وأن بعض الروايات تشير الى أنه كتم وفاة والده لبعض الوقت . فالداعي ادريس (الميوني والمحدثي ، ص ٧٧) ينص على أنه كتم خبر وفاته لمدة ١٠٠ يوم ، وأنه أظهرها في ٢٥ من جمادى الآخر ، وهو ما يقترب من ١٥ جمادى الآخر في افتتاح الدعوة ولا بأس أن يكون أصلاً له . أما الرواية الثانية فهي لابن الأثير (ج ٨ ص ٢٨٤) وتقول انه أخفى وفاة المهدي مدة سنة لتدبير كان له (الخوف من اختلاف الناس) ، وأنه عندما أعلن ذلك كان قد تمكن .

- ١٦٢ -

برقة وصقلية . وهكذا كانت خلافة المهدي بمثابة عهد التأسيس وارساء القواعد ، بعد عهد التمهيد والمطاولة على أيدي الداعي ، وكان المنتظر أن يبدأ عهد التشييد وارتفاع الصرح بوصول أبي القاسم القائم ، ساعد المهدي الأيمن وشريكه في الحكم ، إلى عرش الإمامة . وإذا كانت ولاية أبي القاسم قد بدأت قوية ، سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م بغارة كبرى على جنوة كانت لها أصدائها المدوية في كل من المشرق الإسلامي وأوروبا المسيحية (انظر فيما بعد ص ٢٥٦) فإن الأحداث لم تلبث أن تغير مسارها بعد فترة وجيزة ، في صقلية حيث اشتعلت نيران الفتنة بين أهلها من عرب وبربر ، الأمر الذي استشرى في المغرب بعد عشر سنوات عندما انفجرت الثورة الزناتية الكبرى تحت رايات أبي يزيد ، صاحب الحمار ، ودمغت العهد بطابعها فجعلته عهد الفتنة العامة والحرب الأهلية ، كما نشرت ظلالها القاتمة على بقية العصر الفاطمي في المغرب ، فجعلته عهد المآسى والمعاناة - عهد الأزمة بالنسبة للحكام والمحكومين على السواء . وهكذا كان الانفصال الذي تم على عهد المعز بانتقال الإمامة من القيروان إلى الفسطاط حتمية تاريخية بدأت منذ سعى المهدي إلى طرق أبواب مصر أكثر من مرة . ومن الواضح ان حنين العودة إلى المشرق بدأ منذ عبور قافلة عبيد الله حدود مصر إلى برقة ، وأخذ يأخذ شكل الهاجس الملح على طول الطريق حتى سجلماسة . فهذا ما عبرت عنه أحاسيسه عندما وُضِل إلى القيروان وارتاح إلى مشاهدة رقة أهلها أصحاب الحضارة والتمدن ، الذين ذكروه بأهل مدائن المشرق ، على عكس حفاة « طواعن البربر » - حسب الاصطلاح الخاندوني - الذي عرفهم في بوادي المغرب (٢) .

القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م) :

ولايته :

أعلنت خلافة أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي (٣) بالبيعة له في

(٢) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٩٢ .

(٣) هنا لا بأس من الإشارة إلى الجدل حول حقيقة العلاقة بين عبيد الله المهدي وبين ابنه أبي القاسم محمد القائم ، إذ يرى بعض الكتاب أنها علاقة أبوة روحية ، بمعنى ان أبا القاسم هو صاحب الحق الشرعي في الإمامة ، وأنه من هذا الوجه امام « مستقر » بينما المهدي امام (مستودع) كما هو الحال بين الحسن والحسين . - حسب المصطلح الشيعي - أنظر المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ، ص ٢٦ حيث النص : « سلم الامام المهدي بالله إلى ولده القائم رتبته وأدى إليه وديعته وأمانته وأظهر النبوة » (عن زهر المعاني ، ص ٢٩٢) .

نفس اليوم الذي مات فيه أبوه المهدي : ١٥ ربيع الأول ٣٢٢ هـ / ٥ مارس ٦٣٥ م - ولقب بالقائم بأمر الله وهو يومئذ في مطلع العقد الخامس ، عقد الرجولة المترنة (٥) . ومن الواضح أنه كان لصيقاً بوالده أثناء ولايته للعهد ، دون أخوته الخمسة الذين لا يعرف غير أسمائهم عند ابن حمادة (ص ٧٩) . باستثناء أحدهم ، وهو أحمد الذي دار ذكره على الألسن في بعض الأحيان : كما أفسس محتجلاً لأبي القاسم في ولاية العهد (مسبق ، ص ١٠٩ و ١١٣) (٦) .

صفاته :

وهنا لا بأس من الإشارة الى أن علاقة القائم بابنه اسماعيل المنصور ، سم تكن على ما يرام فهذا ما يفهم من رواية النعمان التي تنص على أن القائم كنتم تعيينه للمنصور ولياً للعهد أكثر من ١٠٠ (عشر) سنوات (١) أو الرواية الأخرى التي تقول ان القائم فكر في صرف الخلافة الى المعز مباشرة بدلاً من المنصور والده (٢) . ومن المعروف انه كان الأمير « المشير » على عهد والده حيث آلت إليه قيادة الجيوش الى ميادين القتال في أفريقية والمغرب ، فكانت له قيادة الحملات الموجهة الى مصر ، مما سبق ذكره . فهو من هذا الوجه مناضل شجاع على عكس ما ينسب اليه النعمان من النقص في الحزم وعدم الميل الى القزوة (٨) ، الأمر الذي يعبر عن موقفه السلبي - في بعض الأحيان - من ثورة أبي يزيد (أنظر فيما بعد ، ص ١٨١ و ٥٦) . والحقيقة انه لا بأس أن يكون القائم قد جمع في شخصه بعض النقائص من : مركبات النقص أو عقد النفس أو الشعور بالذنب أو الاكتئاب النفسي ، مما هو من موضوعات علم النفس . فالرجل الذي كانت الحرب صناعته ، وميادين القتال مسرح مشاهداته ، لم يطق صبراً على فراق والده « فأظهر

(٤) أنظر ابن حمادة ، ص ٢٩ - حيث العدد ٧ والأسماء ٦ فقط ، وابن عذاري ،

ط : بيروت ، ص ٢٩٥ (دون ذكر أسمائهم) .

(٥) أنظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٢ - حيث النص على انه كان من أسباب

عدم لقاء أبي القاسم القائم بالثائر الزناتي محمد بن خزر ببلاد الزاب ، وعودته الى المهدي ،

ورود كتاب من قبل ابنه قاسم يعلمه ان الناس تحدثوا بمبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى

بأبي علي ، وانه (أحمد) صلى بالناس عيد الفطر وعيد الأضحى - وأنظر سيرة جودز ،

ص ١٠٥ - حيث الإشارة الى أحمد بن المهدي وتشجيعه على الامام المعز وعلى جودز .

(٦) المجالس والمسايرات ، ص ٤٤٨ - الأمر الذي أثار امتعاض المنصور وتعبه ، كما في

ص ٤٤٨ .

(٧) المجالس والمسايرات ، ص ٤٦٩ .

(٨) المجالس والمسايرات ، ص ٢٢ .

من الحزن عليه ما لا يعهد لمثله ، وواصل الحزن لفقده ، وأدامه من بعده «(٩)» .
وهنا لا بأس أن يكون ذلك الحزن العميق على الوالد القدوة ، وما سبقه
من ذكريات الملاحم المروعة قد أصابته بنوع من الصدمة النفسية ، مما كان
يلم بالزهاد والمتصوفة فتحولهم الى حياة التأمل الروحية ، والانقطاع عن
الأعراض الدنيوية ، الأمر الذي أكدته بعد ذلك ردود فعل الثورة الزناتية .
وهكذا ما ركب (القائم) دابة من باب قصره منذ مات أبوه الى أن قبض
سوى مرتين « كما » لم يركب طول امارته بمظلة (فازه) (ابن عذارى ،
ج ١ ص ٥٩٥) .

ولا بأن أن يكون ذلك نوعا من الاحتساب والنهي عن المنكر ، الأمر
الذي دعاه الى اتباع سياسة دينية متشددة كانت من أسباب معاناته فيما
عرض له من الاضطرابات وأعمال العصيان والثورات . فرغم النص على أن
القائم سار على نفس السياسة التي رسمها والده ، فهناك رواية لابن حماده
ينقلها ابن عذارى تنص على أن أبا القاسم الشيعي « لما مات أبوه عبيد الله
أظهر مذهبه ، وأمر بسب (الصحابة) وغير ذلك من تكذيب كتاب الله
تعالى ، فمن تكلم عذب وقتل واشتد الأمر على المسلمين (١٠) » . ومع أن
النص يظهر القائم وكأنه المسئول عن التطرف الذي لحق بالمذهب الفاطمي ،
فالحقيقة أن النص وضع ليكون مقدمة طبيعية لتبريره ثورة أبي يزيد الزناتي
سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، التي تكاد تشغل - عند الكتاب - كل عهد القائم
وتغطي على غيرها من الأحداث ، رغم أنها لا تحتل ، زمنيا ، من عهد القائم
الذي يزيد على اثني عشر عاما الا حوالى ثلاث سنوات فقط (٣٣٢ - ٣٣٥هـ /
٩٤٣ - ٩٤٦م) (١١) .

وهكذا اتخذ عهد القائم طابعا حربيا ، فلا يكون من الغريب أن يبدأ

(٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٥ ، وقارن النعمان ، افتتاح الدعوة ،
ص ٣٣١ - وهو مصدر ابن عذارى - حيث اضافة انه « اذن في البكاء عليه » .
(١٠) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٧ ، وأنظر ابن حماده ، أخبار بني عبيد ،
تحقيق جلود البدي ، الجزائر ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦ - ٢٧ ، حيث وفاة المهدي وكتابتها .
ص ٢٩ - حيث ولاية القائم دون اشارة الى رواية ابن عذارى .

(١١) أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٧ - حيث تكتمل رواية ابن حماده
عن منالة القائم في المذهب بالنص على هبوط أبي يزيد من جبل أوراس يدعو الى الحق
بزعمه ، ولم يعلم الناس مذهبه ، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة ، فخرج على الشيعة .

ولايته بإصدار الأوامر الى « عماله في سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات الحربية » (ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦) ، وأن لا يظهر خلال العشر سنوات الأولى من ملكه الا بعض الأحداث الأخرى التي لا تشغل - عند المؤرخين - الا حيزا ضئيلا .

الاحوال الداخلية :

الكاتب والحاجب :

والحقيقة أن القوائم اقتفى أثر والده في سياسته ، وهذا ما يظهر في اقرار أبى جعفر البغدادي على البريد (أى المخبرات) والكتابة (الاتصالات الخطية والرسائل من داخلية وخارجية) ، الى جانب تفويضه في كثير من أمور المملكة (١٢) بمعنى أن يمارس الرجل سلطات رجل الدولة الأول - وهو الحاجب الذي كان يقوم حينئذ مقام الوزير . أما عن حاجبه : « جعفر بن على » مولى المهدي وحاجب المنصور أيضا (عيون الأخبار للداعي ، ص ١٩٤) ، فالواضح أنه يأتي بعد أبى جعفر ، ولم يشاركه سلطاته ، وإن كان يقيم صلاة الجمعة في المسجد الجامع ، الأمر الذي قد يعنى أنه كان كبير الدعاة (١٣) .

ثورة ابن طالوت بطرابلس :

أما أول الثورات التي يسجلها الكتاب في بداية عهد القائم (سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) فكانت في الأقاليم الشرقية ، وهي ثورة ابن طالوت القرشي في منطقة طرابلس . وتأخذ هذه الثورة أهميتها من طابعها المذهبي ذي الشكل الشيعي . إذ ادعى الرجل أنه المهدي حقيقة ، ونجح في اقناع أهل الناحية من البربر بذلك فساروا معه نحو مدينة طرابلس ، ولكنهم فشلوا في قتالها ، الأمر الذي شكك في صحة دعوى الرجل ، فثاروا عليه وقتلوه ، وبعثوا

(١٢) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن بما سبق ، هـ ١٣٩ ص ١٢٣ .

(١٣) هذا ما يظهر من النص على أن إقرار أبى جعفر البغدادي في وظيفته كان من أول الأعمال التي قام بها القائم (ابن عذارى ، ص ٢٩٦) رغم ورود اسم جعفر بن على كحاجب قبل ذلك مع ابن أبى المنهال كواحد من قضاته (ابن عذارى ، ص ٢٩٥) - وهو من قضاة المهدي (ما سبق ، ص ١١٩ وهـ ١٣٤) . ويتأكد ذلك بما ينص عليه الداعي ادريس (عيون الأخبار ، ص ١٩٤) من أن جعفر بن على كان ما زال حاجبا ، يقيم الجمعة في المسجد الجامع الى ما بعد النصر على أبى يزيد سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م .

برأسه الى القوائم (١٤) . والظاهر ان الأمور كانت قد استقرت في الأقاليم الشرقية حتى أن القوائم بعث في السنة التالية (٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م) عسكريا لقيادة فتاه زيدان ، وكان عليه أن يتقوى ببعض عساكر كتامة هناك ، ويتجه نحو الاسكندرية . ولكنهم انهزموا أمام قوات محمده الأخشيدي (١٥) .

الصراع من أجل المغرب :

أما عن الأوضاع في الأقاليم الغربية فقد كانت قحلة بالنسبة لعهد القوائم ، إذ تظهر من الأسباب التي أملت حالة الاستعداد الحربية . وخروج ميسور الفتى الى المغرب في بدء ولاية القوائم سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م ، حيث وقع المغرب الأقصى من فاس الى ما وراءها من سبتة وطنجة ، الى بلاد ملوية ، تحت الهيمنة الناصرية في قرطبة ، بفضل الأعوان من موسى بن أبي العافية الى الشرفاء الأدارسة . ورغم تداخل الأحداث بشكل انار الاضطراب في النصوص المتاحة فمن : ابن الأثير الى ابن عذاري الى ابن خلدون ، الأمر الذي يدعو حقا الى إعادة النظر في تحقيقها بأسلوب علمي ، فانه يمكن ترتيب الأحداث على الوجه الآتي : خرجت حملة ميسور الكبيرة وهي تهدف الى استرجاع فاس ، حيث أحمد بن بكر الجذامي ، عامل موسى بن أبي العافية أو حليفه ، واعادتها الى الطاعة . والظاهر أن موسى الذي أخذ بالحشد الفاطمي الرهيب تنحى عن طريق ميسور ، وذهب ليعتصم ببعض قلاع في حصن « لكاي » بمعقله في منطقة تسول (١٦) وواصل ميسور المسيرة الى فاس لكي يخرج له أحمد بن بكر ملاطفا بالهدايا والمال ، تعبيرا عن الطاعة ، ولكن ميسورا غدر به ، فقبض عليه وسيره الى المهدي (١٧) .

(١٤) النعمان ، انتاج الدعوة ، ص ٣٣٢ ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ (حيث النص على انه ابن المهدي وليس المهدي نفسه ، وكذلك الأمر في ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(١٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٥ - حيث النص على ان المز بالغ في النقطة على تلك الحملة .

(١٦) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ص ١٣٥ ، وأنظر القرطاس ، ص ٨٦ - حيث يرحل ابن أبي العافية بعد حصار فاس ، وقارن ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، حيث تلخيص الأحداث بطريقة مختلة ، تجعلها تبدأ بهزيمة ابن أبي العافية قرب فاس وأخذ ابنه اسيرا . ما يحدث فيما بعد .

(١٧) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ ، قارن القرطاس ، ص ٨٥ - حيث النص على ان ابن أبي بكر خرج لميسور مباحيا مع هدية ومال جسيم .

محاولة استرجاع فاس :

والهم ان أهل فاس لم يمكنوا ميسورا من مدينتهم ، اذ اختاروا واليا مكانه ، هو : حسن بن قاسم اللواتي ، وتمكنوا من الصمود أمام الحصار الذي ضربه عليهم ميسور لمدة ٧ (سبعة) أشهر (١٨) . وعندما طال الحصار وغابت أخبار الفتح لمدة طويلة عن المهدي أرسل القائم المدد الى ميسور بقيادة صندل الفتى الأسود الذي كان عليه ان يزيل نفوذ قرطبة الأموي عن امارة نكور ، ويرجعها هي الأخرى الى طاعة المهدي التي كان قد خرج منها في جمادى الثاني سنة ٣٢٣هـ / مايو ٩٣٥م : وعندما وصل صندل الى نكور ، رفض أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك ، أميرها من بني صالح الخروج اليه مكتفيا باعلان الطاعة عن بعد . وعندما ألح عليه صندل اعتصم بقلعة « اكري » بعد أن قتل رسله ، الأمر الذي دفع صندل الى اجتياح تلك القلعة في قتال رهيب ، انتهى بقتل صاحبها أبي أيوب ، واكتفى صندل بتعين وال من لدنه على القلعة ، هو الكتامي : مرمازا ، لكنى يسرع باللاحاق بميسور وهو على حصار فاس . وكانت فرصة انتهزها أحد أمراء بني صالح ، وهو موسى بن رومي ، ليقود أهل نكور لاستعادة القلعة وقتل الوالي الكتامي مرمازا ، الذي بعثوا برأسه الى الناصر بالأندلس (١٩) . ورغم وصول صندل وقواته مددا ، لم يتمكن ميسور من اقتحام فاس ، بسبب مضايقات موسى بن أبي العافية على ما يظن . وذلك أنه رضى من أهل فاس بما لم يرض به صندل من أهل نكور . فاكثفى بقبول الاعتراف بسيادة القائم ، مع دفع فدية ٦ (ستة) آلاف دينار ، مقابل اقرار حسن اللواتي في ولايته ، ورفع الحصار . وهكذا ترك ميسور فاس وسار للقاء موسى بن أبي العافية ، وألحق به هزيمة موجعة ، كما أسر ابنه « البوري » وسيره الى المهدي .

تأديب نكور والتعالف مع الأدارسة :

وكان على ميسور بعد ذلك أن يؤدب عصاة نكور ، فمر ببلادهم في طريق العودة (٢٠) . هذا ، كما أنزل بموضع ورزيفة الأهل بالسكان عقوبة شديدة من قتل الرجال وسبي النساء (٢١) ، قبل أن يمر بأرشقول

(١٨) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٩) البكري ، ص ٩٨ .

(٢٠) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ - حيث النص على ان حملة ميسور الى كل من فاس

ونكور (تكرور - خطأ) .

(٢١) البكري ، ص ١٥٥ .

محاولة استرجاع فاس :

والمهم ان أهل فاس لم يمكنوا ميسورا من مدينتهم ، اذ اختاروا واليا مكانه ، هو : حسن بن قاسم اللواتي ، وتمكنوا من الصمود أمام الحصار الذي ضربه عليهم ميسور مدة ٧ (سبعة) أشهر (١٨) . وعندما طال الحصار وغابت أخبار الفتح لمدة طويلة عن المهدي أرسل القائم المدد الى ميسور بقيادة صندل القتلى الأسود الذي كان عليه أن يزيل نفوذ قرطبة الأموي عن امارة نكور ، ويرجعها الى طاعة المهدي التي كان قد خرج منها في جمادى الثاني سنة ٣٢٣هـ / مايو ٩٣٥م : وعندما وصل صندل الى نكور ، رفض أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك ، أميرها من بني صالح الخروج اليه مكتفيا باعلان الطاعة عن بعد . وعندما ألح عليه صندل اعتصم بقلعة « اكري » بعد أن قتل رسله ، الأمر الذي دفع صندل الى اجتياح تلك القلعة في قتال رهيب ، انتهى بقتل صاحبها أبي أيوب ، واكتفى صندل بتعيين وال من لدنه على القلعة ، هو الكتامي : مرمازوا ، لكي يسرع باللاحاق بميسور وهو على حصار فاس . وكانت فرصة انتهازها أحد أمراء بني صالح ، وهو موسى بن رومي ، ليقود أهل نكور لاستعادة القلعة وقتل الوالي الكتامي مرمازوا ، الذي بعثوا برأسه الى الناصر بالأندلس (١٩) . ورغم وصول صندل وقواته مددا ، لم يتمكن ميسور من اقتحام فاس ، بسبب مضايقات موسى بن أبي العافية على ما يظن . وذلك أنه رضى من أهل فاس بما لم يرض به صندل من أهل نكور . فاكفى بقبول الاعتراف بسيادة القائم مع دفع فدية ٦ (ستة) آلاف دينار ، مقابل اقرار حسن اللواتي في ولايته ، ورفع الحصار . وهكذا ترك ميسور فاس وسار للقاء موسى بن أبي العافية ، وألحق به هزيمة موجعة ، كما أسر ابنه « البورى » وسيره الى المهدي .

تأديب نكور والتعالف مع الأدارسة :

وكان على ميسور بعد ذلك أن يؤدب عصاة نكور ، فمر ببلادهم في طريق العودة (٢٠) . هذا ، كما أنزل بموضع ورزيفة الأهل بالسيكان عقوبة شديدة من قتل الرجال وسبي النساء (٢١) ، قبل أن يمر بأرشقول

(١٨) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(١٩) البكري ، ص ٩٨ .

(٢٠) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٨٤ - حيث النص على ان حملة ميسور الى كل من فاس

ونكور (تكور - خطأ) .

(٢١) البكري ، ص ١٥٥ .

حيث خلع أدريس بن ابراهيم ، وجعل مكانه فى الامارة ابا العيش بن عيسى (٢٢) . وهناك استعان بالأدارة فى التخلص ، بشكل مؤقت من موسى بن أبى العافية وأتباعه الداخلين معه فى طاعة الأمويين بالأندلس ، فطرده من نواحي ملوية ووطاء الى ما وراءها من الصحراء (٢٣) ثم انه أسرع فى العودة الى المهديّة التي وصلها فى سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م وبذلك دخل الأدارة فى طاعة القائم ، وتملكوا ، كان بيد موسى (٢٤) . وان كان ذلك الى حين .

القلقل فى الزاب وأوراس :

وفى هذا الوقت (٣٢٤هـ / ٣٥ - ٩٣٦م) عانت بلاد الزاب من بعض القلاقل التي دفعت على بن حمدون المعروف بابن الأندلسى ، الى تخريب مدينة المسيلة التي كان قد بناها بأمر القائم ، سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م ، كما تقول الرواية ، والتي كانت تعرف عند الشيعة باسم المحمدية ، نسبة اليه (٢٥) . والظاهر ان ذلك التخريب كان شكليا فقد بقيت مدينة المسيلة مقرا لجعفر بن على بن حمدون ، الذي كان له شأن كبير فيها ، بعد والده الذي هلك فى ثورة أبى يزيد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م ، حيث كانت له الرئاسة فى كل بلاد الزاب حتى سنة ٣٦٠هـ / ٧٠ - ٩٧١م ، على عهد المعز (٢٦) .

والحقيقة أن سيطرة القائم على الأقاليم الغربية من الدولة ، اعتبارا من الزاب وأوراس الى المغرب البعيد ، بدأت تخف تدريجيا مع ازدياد قوة خليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ / ٩١٢ - ٩٦١م) الذي كان ملاذا لكل الخارجين على الدولة الفاطمية منذ نشأتها ، ابتداء من البرغواطيين المصامدة وتادلا وتامسنا الى موسى بن أبى العافية المكتنسى ، وانتهاء بأبى يزيد الزناتى الذي كان قد بدأ يظهر منذ الآن فى أوراس وقسطنطينية (الجريد) .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٥ ، القرطاس ، ص ٨٥ ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٩٧ الذى يبدأ الأحداث بهزيمة موسى بن أبى العافية فى حيز فاس وأسر ابنه .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٢٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٤ ، ٣٠٦ .

(٢٦) أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٦ .

موسى بن أبى العافية رجل الأهويين فى فاس ضد الإدارة :

موسى بن أبى العافية ، بعد الدسرة التى لحقت به على يدى ميسور ، وفراره الى رمال القفار ، عاد الى فاس فملكها بعدوتها ، واحتفظ لنفسه بعدوة القرويين ، وولى على عدوة الأندلس أباً يوسف محارب الأزدي الذى كان به افضل فى تحضيرها وتمدينها . وزاد موسى فى نوثيق علاقته بالناصر فراسله يطلب منه المعونة فى مواجهة الإدارة (من بنى محمد) فى تلمسان . وفعلوا تم التنسيق بينهما فأرسل الناصر مدداً من أسطوله اتجه نحو تلمسان بينما سار ابن أبى العافية اليها فى البر . ولم يستطيع الأمير الادريسي أبو العيش مواجهة القوتين المتحالفتين ، ففر الى قاعدته أرشقول واعتصم بها ، بينما سار موسى الى نكور التى كان قد استولى عليها أبو العيش فاستردها . وهكذا عظم شأن ابن أبى العافية حتى اتصلت بلاده ببلاد محمد بن خزر (فى الزاب) . وبذلك ارتفعت الرايات الناصرية الأندلسية فى معظم بلاد المغرب بفضل دعاية الزعيمين المغربيين (البربريين) ، وخاصة موسى بن أبى العافية الذى أرسل ابنه مدين الى قرطبة ، زيادة فى تأكيد رابطة الحلف والولاء للناصر (٢٧) .

سجلحاسة الصفرية والمذهب المالكي :

أما عن صحراوات المغرب الجنوبية وسجلحاسة التى توفى أميرها المعتز بن محمد سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م قبيل وفاة المهدي ، فانها ظلت بين أيدي أمرائها من بنى واسول . فقد خلف المعتز ابنه أبو المنتصر الصغير ، الذى كان تحت وصاية جدته ، والذى لم يقدر له البقاء فى ولايته ، حيث تضافرت الظروف ضده ، من : شغب الفاطميين عليه بسبب انتمائه الى حزب موسى بن أبى العافية وبعده الى معسكر أبى يزيد ، الأمر الذى انتهى بأن قام

(٢٧) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ ، وأنظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٤ - حيث النص على ان الناصر الاموى عقد له على أعمال أبيه ثم انه اقتسمها مع أخويه : البورى وأبى منقذ . ولقد أجاز البورى الى الناصر بالأندلس سنة ٣٣٥ هـ حيث عقد له على بلاده . وكانت وفاة البورى سنة ٣٤٥ هـ أثناء حصاره لأخيه مدين بمدينة فاس . فمقد الناصر لابنه منصور على عمله . وعندما توفى مدين ، عقد الناصر لأخيه أبى منقذ على عمله . ثم غلبت مغرارة على فاس وأعمالها واستفحل أمرهم بالمغرب ، وأزاحوا مكناسة من ضواحيه وأعماله . وأحاز اسماعيل بن البورى ، ومحمد بن عبد الله بن مدين الى الأندلس فنزلوها الى أن أجازوا مع واضح أيام المنصور بن أبى عامر عندما خرج زيرى بن عطية عن طاعتهم سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٣ م .

عليه ابن عمه محمد بن الفتح الذي ترك المذهب الصفري لكي يدخل في المذهب السني المالكي ، وبالتالي الدخول في طاعة خلافة بغداد الشرعية ، وان كان قد تسمى بأمر المؤمنين واتخذ اللقب الخلفي « الشاكر لله » سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م (٢٨) .

أبو يزيد مغلد بن كيداد والثورة البربرية بقيادة زناتة :

تلك كانت خريطة المغرب السياسية على عهد أبي القاسم محمد القائم بأمر الله ، وهي تبين أن البلاد لم تصف تماما لدعوة الفاطميين ، رغم المجهودات المضنية التي قام بها الداعي والنتائج الاعجازية التي حققها ، ومن بعده المهدي ثم القائم . فالنزعات البربرية الاستقلالية أو الانفصالية كانت في كل مكان ، من برقة شرقا ، وكانت تابعة من قبل خلافة بغداد . الى سبتة وطنجة وبلاد برغواطة في تادلا وتامسنا الواقعة تحت هيمنة قرطبة الناصرية . وهكذا تدعم هاجس المهدي المتمثل في الخوف من البربر المغاربة على أسرة المهديين المشاركة برهبة مزدوجة من قبل العباسيين في المشرق والأمويين في أقصى المغرب والأندلس ، وكان كل من الطرفين أشبه بقطب جذب شديد مضاد للطرف الآخر ، الأمر الذي يفسر ذلك التمزق الواضح في الخريطة السياسية للبلاد . والى جانب ذلك جاءت السياسة المالية المتعسفة ، والحياة الدينية الصعبة لكي تزيد في سوء الأحوال العامة ، وتخلق ذلك الوضع الذي أطلق عليه البعض اسم « الأزمة الفاطمية » ، والذي تفجر في الثورة باسم السنة ورفض التشيع ، وهو ما نادى به أبو يزيد صاحب الحمار .

أبو يزيد : شخصيته وتكوينه على يد أبي عمار الأعمى :

أبو يزيد « صاحب الحمار » هو مغلد بن كيداد الزناتى اليفرنى (٢٩) ، وأصله من قسطنطينية من بلاد الجريد حيث مضارب (قيطون) زناتة هناك . أما عن مسقط رأسه فهو مدينة كوكو السودانية المشهورة التي كان والده

(٢٨) البكري ، ص ١٥٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ .

(٢٩) أنظر ابن خلدون ، العبر ، ج ٧ ص ١١٣ - حيث النص على أنه من بني واركو من بطون يفرن بن جانا (زناتة) ، الجن الحادي عشر لمغلد حسب سلسلة النسب التي يذكرها ابن خلدون مع الإشارة الى أنه يمكن أن يكون من بني واسين بن سبك بن جانا ، كما في الرقيق .

يتردد عليها للتجارة ، بينما كانت أمه جارية هوارية اسمها سيكة (٣٠) .
ولقد شب أبو يزيد الذي عاد والده به صغيرا الى مضارب زناته بقسطنطينية ،
في مدينة توزر التي استقر فيها والده مع التردد على مدينة تقيوس . وهكذا
تعلم مغلد القرآن وتآدب بكل من توزر وتقيوس ، حيث كان ينتشر مذهب
الخوارج الإباضية الذين ينتمون أصلا الى امامة قاهرت . وهناك خالط
جماعة النكارية وأخذ بمذهبهم وهو مذهب المنشقين على الأئمة الرستمين ،
الداعين الى تطبيق مبدأ الشورى أى الاختيار والمساواة فى انتخاب الامام
(انظر فيما سبق ج ١ ص ٣١٥ وما بعدها) . ومع شغفه بالمذهب ورغبته
فى الاستزادة من العلم به سار الى تاهرت حيث تفقه على المشايخ هناك ،
ومنهم أبو عبيدة (عبد الحميد) بن عمار الأعشى ، فى الوقت الذى كان يعلم
الصبيان ، وذلك فى الوقت الذى كانت تسقط فيه تاهرت بين يدي الداعى
أبى عبد الله ، وهو فى طريقه الى استنقاذ المهدي بسجلماسة حوالى سنة
٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م (٣١) . وهكذا كان على أبى يزيد أن يرجع محسورا الى
بلدة قسطنطينية التى صارت ملجأ للوافدين عليها من أبناء المذهب الخارجين
من تاهرت ، ومنهم شيخ المذهب أبو عمار الأعشى الذى ربط مصيره منذ
الحين بمصير أبى يزيد . وهنا نشير الى انه لما كان أبو يزيد يوصف بالعرج
والقصر وقبح النظر جميعا ، وكان أبو عمار يعانى من فقد بصره فلا بأس
أن تكون ثمة علاقة بين عاهة كل من الرجلين ، هى التى ربطت بينهما منذ
هذا الوقت المبكر ، واستمرت الى أن أصبح الأعشى منظرا للمذهب
ومستشارا للقائد الأعرج ، حتى انتهى الأمر بهلاك المعوقين ، وهما يناضلان
جنباً الى جنب ، وسط الحصر والضيق ، فى شعاب قمم الجبال الشاهقة ،
فقتل المنظر (الايدولوج) بينما أخذ القائد (الأمير) فى رمقه الأخير .

الاحتساب :

والمهم أن والد أبى يزيد القاصر توفى وتركه فقيرا من غير مال ، اذ
أنه اشتغل بتعليم الصبيان القرآن فى مضارب (قيطون) الزناتية ، الى

(٣٠) عن كوكوا أنظر الاستبصار ، ص ١١١ ، وعن سيكة أم مغلد التى صارت أم ولد
بعد انجابها لمغلد بمعنى انها كانت جارية . (. ملوكة) حسب رواية ابن خلدون (ج ٧
ص ١٣) ، الأمر الذى يعنى أنها كانت سودانية أصلا ، هوارية حسب رواية ابن الأثير ،
ج ٨ ص ٤٢٢ ، بالولاء ، على ما نظن .

(٣١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

جانب تعاليم النكارية ، وكان يتعيش من فضل مالهم (ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣) . وكان التعليم وقتئذ من أعمال الورع والتقوى التي تؤدي احتسابا ، فكانها من أعمال الأمر بالمعروف . والحقيقة أن أبا يزيد قام فعلا كآمر بالمعروف ناه عن المنكر ، من وجهة النظر الإباضية النكارية ، اذ اشتهر عنه تكفير المخالفين لمذهبه من المسلمين بعمامة ، وتخصيص الشيعة الفاطمية بذلك ، اذ كان يرد على سبهم الصحابة بسب الامام علي (٣٢) . والظاهر أن احتساب أبي يزيد لقي استحسانا من الناس ، الأمر الذي أدى الى تحسن أحواله المعاشية . فعندما تنبه المسئولون الى نشاطه المعادي للدولة ، انتقل الى نيبوس حيث اشترى صبيعه ، وأقام يعلم فيها (٣٣) ، وهو يأمر بالمعروف ، ويخص بذلك جبة الضرائب ، ويدعو الى الخروج على السلطات حتى ثار أهل تقيوس بواليهم فقتلوه . وعندئذ خاف أبو يزيد على نفسه ، وخرج مع أبي عمر في زى الحجاج ، وذلك سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ، ولم يكد يصل الى طرابلس حتى شعر بالارهاق من شدة البحث والتقصى عن المطلوبين من البربر ، ففضل العودة الى تقيوس (٣٤) .

والظاهر أن أبا يزيد رأى أن يخفف من ضغطه على المسئولين من رجال الدولة ، فوجه احتسابه الى العامة ، فأخذ « يحتسب على الناس » في أفعالهم ومذاهبهم . ولقيت تلك الدعوة نجاحا حتى اشتهر أمره ، وأصبحت له جماعة تناصره وتعظم من شأنه ، وذلك اعتبارا من سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م على أيام المهدي (٣٥) ، وهي السنة التي كانت بلاد الزاب تضطرب فيها بأعمال محمد بن خزر الزناتى ، والتي تشير فيها الحوليات المغربية الى ابتداء أمر أبي يزيد (٣٦) .

(٣٢) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ - حيث النص في أخبار سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٨ م على ابتداء أمر أبي يزيد الذى يأخذ بمذهب النكار ويحلل دماء المسلمين وفروجهم ، ويسب على ابن أبي طالب .

(٣٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ - حيث الاشارة الى أن مذهبه تكفير أهل الملة ، واستباحة الاموال والدماء والخروج على السلطان .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٢٧٣ ، أنظر فيما سبق ، ص ١٠٩ .

بداية الثورة في توزر :

وإذا كانت النصوص لا تقدم لنا ، عن دعوة أبي يزيد منذ سنة ٣١٦ هـ/ ٩٢٨ م إلا معلومات عامة ، من : اشتداد شوكته وكثرة أتباعه على أيام القائم (٣٧) ، فإن الفضل يرجع إلى عبر ابن خلدون في تقديم معلومات ثمينة ، وفريدة ، عن دعوة أبي يزيد قبل انفجارها سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣ م . فلقد أوعز القائم إلى أهل قسطلية بالقبض على أبي يزيد ، الذي تنبه إلى ذلك فهرب إلى المشرق إلى أن خف عنه الطلب فعاد إلى وطنه ، ودخل توزر مستترا سنة ٣٢٥ هـ/ ٣٦ - ٩٣٧ م (ابن خلدون ج ٧ ص ١٣) ، ولكن أمره انكشف عندما وشى به أحد خصومه ، ممن تطلق الرواية عليه اسم ابن فرقان (من الفرقة والانقسام) ، عند والي البلد فقبض عليه ، واعتقله بدعوى أنه مطالب بالخراج ، وليس مطلوبا لذاته . وعندما أسرع أهله من الزناتية ، وعلى رأسهم أبو عمار (عبد الحميد) الأعمى ، وفشلوا في اقناع الوالي باطلاق سراحه ، عمدوا بصحبة إبنه : فضل وي زيد إلى إخراجه من السجن عنوة بعد قتل الحراس . وهكذا تكون حركة أبي يزيد النكارية قد بدأت في الخروج من نطاق الدعوة السرية إلى الثورة العلنية ، على يد أبي عمار الأعمى وولدي أبي يزيد : الفضل وي زيد (٣٨) .

دار الهجرة في أوراس :

فقد كان على أبي يزيد أن يلجأ إلى بني وارجلا حيث أقام ، وهو يدعو قبائل المنطقة إلى الثورة في : جبل أوراس ، ومواطن بني برزال بجنوب المسيلة ، وبني زنداك المغراويين . وتطلب الأمر مدة سنة خرج أبو يزيد بعدها مع ممثلي القبائل ، الاثنى عشر داعيا ، وبصحبه أبو عمار الأعمى إلى أوراس حيث استقروا بمنطقة النوات النكارية ، أي في سنة ٣٢٦ هـ/ ٣٧ - ٩٣٨ م (٣٩) .

وبذلك أصبحت منطقة النوات في جبل أوراس دار هجرة جديدة

(٣٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ .

(٣٨) قارن رواية طيقات الدرجيني ، ج ١ ص ٩١ وما بعدها ، وانظر فيما سبق ، فصل

المصادر ، ص ٣١ وما بعدها حيث تأخذ الرواية شكل قصة فلكلورية .

(٣٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٣ - حيث النص على أنه وصل النوات في ١٢ من

الراحلة .

للأبى يزيد وأصحابه الإباضية النكارية (الشعبيين) . وبعد ٥ (خمس) سنوات اجتمع اليه خلالها القراية ، وتدفع عليه مختلف الحوارج ، أخذت له البيعة بزعامه الحركة ، سنة ٣٣١ هـ / ٤٢ - ٩٤٣ م . وتمثلت شروط عقد البيعة ، فى : قلب النظام الشيعي الفاطمي ، وإقامة دولة المساواة النكارية المثالية ، القائمة على الشورى والمساواة ، واستخدم العنف والارهاب ، من : استباحة الغنائم والسبي (ابن خلدون ، ج ١ ص ١٣ - ١٤) . فى سبيل تحقيق الهدف النبيل .

الثورة الكبرى ومراحلها :

وهكذا بدأت فى السنة التالية ٣٣٢ هـ / ٤٣ - ٩٤٤ م الثورة الرائعة ضد الأئمة الشرفاء . وقسمت المسلمين فى القارة المغربية والجزيرة الصقلية الى أخوة أعداء . من عرب وبربر ، طوال أربع سنوات دامية ، ساد فيها القتل والحرب ، وعم خلالها الظلم والفساد حتى أصبحت فى الفكر الشيعي حتمية مستقبلية (حدثانية) يعرفها الأئمة ويستسلمون لمقدراتها الأزلية ، من : محنة تعم جميع البلاد ، ومنة تظهر تباشيرها عند باب مصلى المهدي (انظر ما سبق ص ٩٢) .

ويمكن تقسيم الثورة الى أربع مراحل ، على عدد سنينها ، الأولى : استولى فيها أبو يزيد على بلاد الزاب والأقاليم الساحلية الشمالية فى باجة وتونس . والثانية غلب فيها على القيروان ، فهى بمثابة مرحلة التأسيس لدولة الشورى الوليدة ، حلم النكارية العزيز . والثالثة حاصر فيها المهدي نفسه . وبلغ المد ذروته بالوقوف على عتبة بابها ، واقتحام الحيل لمياه بحرها . ثم الرابعة ، وفيها الانحسار عن المهدي والقيروان ، لكي تنتهى الثورة فى مسقط رأسها ، غارقة فى دم أهلها ومشعلها .

والمصادر الشيعية المنشورة حديثا مثل كتب النعمان ، من افتتاح الدعوة الى المجالس والمسائرات ، ثم العيون والأخبار للداعى ادريس بخاصة ، تقدم لنا معلومات تفصيلية مرهقة عن الثورة الزناتية مما يمثل الأصول التى رجع اليها المتأخرون من مؤرخى المشرق والمغرب . مثل : ابن الأثير الذى احتفظ بنسبة وفيرة من معلوماتها . وابن عذارى الذى اكتفى بالاختصار ، مركزا على نتائج الأحداث دون حشوها ، وإن كان له فضل التركيز على أخبار فقهاء المالكية وموقفهم من أبى يزيد ، راجعا الى الرقيق القيروانى وابن سعدون ، وهى المعلومات التى ليس لها ذكر فى المصادر

الشيعة ، وهو الأمر الطبيعي من حيث يقف أهل السنة هؤلاء موقف المناصر لأبي يزيد ضد القائم . ثم ابن خلدون الذي أخذ قدرا كبيرا من المصادر الشيعية ، وزعه في عبره على تاريخ القبائل والدول حسبما ارتآه من خطط منهجية خاصة به . وهكذا لا يغيب عن الذهن أن مصادر الخصوم هذه تقف من أبي يزيد موقف العدو المدود ، فهو عندهم الدجال الذي يدعوا إلى الكفر في آخر الزمان بينما هو عند أهل المذهب أمر بالمعروف يحسب على الناس في أفعالهم ومذاهبهم .

فتح بلاد الزاب :

والمهم أن ثورة أبي يزيد بدأت سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٤ م عندما ظهر في منطقة اوراس وكاتب أهل بلدة قسطنطينية وخاصة بنى واسين منهم ، فأجابوه ، ثم نزل منها ليجتاح بلاد الزاب في أوائل سنة ٣٣٣ هـ / أغسطس ٩٤٤ م . إذ حاصر باغاية وفتحها صلحا بعد حرب وإيها كيون ، قبل أن يسير بأهلها لفتح تبسة التي أمنها على أن تؤدي له أموال كيون وأصحابه من الكتامين (٤٠) ، ومجاعة التي هدم سورها . بعد ذلك دخل مدينة مرماجنة حيث « أهدى له حمار أشهب مليح » ، ركه أبو يزيد (٤١) استكمالا لما كان يظهره من الزهد والتقشف بلبس جبة صوف قصيرة ، مفتوحة العواتق ، ووضع قلنسوة بيضاء كدرة على رأسه ، ولذلك أطلق عليه اسم صاحب الحمار ، الذي أصبح دارجا بين الناس من الاتباع الذين يجدون فيه رمز البساطة والنسك ، والأعداء الذين أخذوه مأخذ الهزء والسخرية من المعوق الأعرج . وبعد هزيمة القوات الكتامية في سببية التي صلب عاملها ، انتهت الحملة العاصفة على مسيرة يوم من القيروان بفتح الأريس في ١٥ من ذي الحجة / ٢٩ يولييه ٩٤٥ م ، التي أحرقت ونهبت ، كما قتل الناس في مسجدها الجامع ، تماما مثلما حدث على أيدي الكتامين أصحاب الداعي الفاطمي ، حسب رواية أهل السنة ، قبل فتح القيروان منذ أقل من ٤٠ (أربعين) سنة ، وهو ما كان يتذكره المستنون من أهلها ، الأمر الذي أثار

(٤٠) عيون الأخبار ، للداعي ادريس ، ص ٨٠ - ٨١ - حيث النص أيضا على أنه غنم المال وسبى النساء والذرية وأغنم ذلك البربر ، وأخذ يزعمه الخس ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث الإشارة إلى ترصد غيبة وإلى باغاية قبل الضرب على بسطها ، وأنها امتنعت .
(٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٢ - ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٨٠

الخوف والفرع بين أهل المهديّة ، اذ قالوا للقائم : « الأربس باب أفريقية ، ولما أخذت زالت دولة بني الأغلب (٤٢) » .

الاستيلاء على الأقاليم البحرية الشمالية في باجة وتونس :

وهكذا تنتهى أول مراحل الحرب الزناتية بتقديم صاعق من جانب أبى يزيد ، وموقف انتظار سلبي كان سببا في وصف القائم بالضعف وعدم الحسم ، وان وجد تبريرا رسميا في اعتقاد القائم بما نسب الى المهدي من حتمية وصول الثائر الزناتي حتى باب المصلى من المهديّة ، الذي عرف بعد ذلك بباب الفتح (انظر فيما سبق ، ص ٩٢ وما بعد ص ١٨١) . وهنابداً أول تدخل من قبل القائم عندما أخرج الجيوش لضبط البلاد المهتدة بالخطر . فقد أعد جيشين سير أولهما بقيادة ميسور الفتى في ١٣ من المحرم ٣٣٣ هـ / ٦ سبتمبر ٩٤٤ م ، نحو القيروان ، والآخر بقيادة بشرى الفتى الى باجة . وعلى عكس ما كان متوقعا من مسير أبى يزيد بقوته الرئيسية نحو القيروان القرية ، فالظاهر أنه رأى تحاشي مواجهة محتملة في قاعدة المالكية ، بصفة مؤقتة . فكان اللقاء مع جيش باجة حيث نجح بشرى في إلحاق الهزيمة به ، ولكن الثائر الزناتي الذي كان يحسن حرب الكر والفر في الميادين المفتوحة ، فاجأ معسكر بشرى وخيامه ، وحول الهزيمة الأولية الى نصر حاسم عندما اجتاح باجة فاستباحها ، نهبها وسلبها واحرقا (٤٣) .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٨١ - ٨٢ . حيث النص على حرب اسحاق بن خليفة عامل الأربس ، وأمر أبى يزيد قائده سليمان بن خيران الزويل (من مزاة) بقتل وحرق كل من على الطريق ليرهب كتامة ، الى جانب ما فعله النواد المنهزمون من الكتامين من مهاجمة أمتة أبى يزيد في مجانة قبل دخولهم المهديّة في ٥ محرم سنة ٣٣٣ هـ / ٢٨ أغسطس سنة ٩٤٤ م ، وابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ حيث الأربس بدلا من الأربس .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ٨٤ - ٨٥ - حيث مزيد من التفاصيل المرحقة والتواريخ الدقيقة عن خروج قواد أخر الى رقادة في ١١ من ذي الحجة سنة ٣٣٣ هـ / ١٥ أغسطس سنة ٩٤٤ م ووصول خليل بن اسحق التميمي الى القيروان في الأربعاء ٢٢ من ذي الحجة وتقديم أبى يزيد لابراهيم بن أبى سلاسى الى باجة ، وقوله له : « ان كنت لي ناصحا فاقبل من لقيت وأسب حريمهم وخذ أموالهم » ، ونزول أبى يزيد عن دابته بعد الهزيمة وركوب حمارة وأخذ عصاه ، الى غير ذلك من اقتضاض العذارى في باجة في المسجد الأعظم ، الأمر الذي أدى الى حمل ألف امرأة يوم باجة ، الى فظاعات أخرى تمثلت في قتل الأطفال ضربا برؤوسهم في أعمدة الجامع وحيطانه .

وكان ذلك النصر على قوات المهديّة تشجيعاً للقبائل على تلبية نداء أبي يزيد للانضمام إلى جانبه . كما ساعده على تطوير قواته في شكل جيش نظامي يقيم في المعسكرات ، ويستخدم آلات الحرب المتقدمة ، ويرفع الشعارات من الرايات والبندود(٤٤) .

ومن باجه اتجه أبو يزيد نحو تونس التي لجأ إليها بشرى الصنّلي ، والتي ساءت أحوالها إلى حد مكتاتبة أهلها لأبي يزيد والدخول في طاعته ، الأمر الذي دفع بشرى إلى الخروج منها بصحبة الوالي حسن بن علي (بن أبي الحسين الكلبي) إلى سوسة في ٢٥ من المحرم ٣٣٣ هـ/ ١٨ سبتمبر ٩٤٤ م(٤٥) . والحقيقة أن الصراع استمر طويلاً بين بشرى وبين أبي يزيد الذي اعتمد حرب التخريف والإرهاب النفسي بأعمال العنف والتخريب ، الأمر الذي كان يؤدي إلى أعمال انتقامية من قبل القوات الفاطمية (الكنامية) التي لم تحترم بدورها ما هو متعارف عليه من حقوق الأسرى ، لتنفس عن كرهتها ، اثر انتصارات محلية في منطقة الجزيرة قرب تونس ، بقتل فئات الثعساء المكبلين بالأغلال منهم(٤٦) .

شخول القيروان :

وبعد أن أخسده أبو يزيد بثأره من الكنانيين فهزمهم في وادي مجردة(٤٧) ، تبعهم إلى القيروان ورقادة التي نزل في شريقها في ١٠٠ (مائة) ألف رجل في ٢٧ من صفر سنة ٣٣٣ هـ/ ٢٩ أكتوبر ٩٤٤ م ، بينما كان الوالي خليل ابن اسحق لا يحرك ساكناً ، بعد أن فرق عساكره في الفنادق والدور ، انتظارا لوصول جيش ميسور الفتى . وأمام الحاح القيروانيين ،

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٣ ، وقارن عيون الأخبار للداعي الأديس ص ٨٧ .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ ، حيث النص على أن أبي يزيد نجح في دخول تونس رغم هزيمة لحقت به من قبل بشرى ، وأنه ولي عليهم رجلاً من أعوانه اسمه رحمون ، وقارن عيون الأخبار للداعي الأديس ص ٨٧ ، حيث النص على اختلاف عامل تونس ، حسن الكلبي وأخييه عمار رغم نجاحهما في هزيمة البربر ، مع تحديد تاريخ الخروج إلى سوسة .

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ ، وقارن عيون الأخبار ص ٩٠ حيث النص على عمليات عسكرية بين حسن بن علي وبشرى الخادم وبين أيوب بن خيران الزويلى قائد أبي يزيد بدأت في الجزيرة وانتهت قرب هرقلية وسوسة بمقتل أربعة آلاف على رأسهم أيوب ، وأسر ٥٠٠ أسير سير بهم إلى المهديّة حيث قتلهم العامة بالعصى والحجارة .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ - حيث القراءة مجددة .

حاول خليل أن يتخلص من العدو الرهيب بأهون الأساليب عن طريق الغدر حيث اتصل ببعض أصحاب أبي يزيد من الزويليين ، الأمر الذي لم يتحقق . وأخيرا اضطر خليل الى الخروج مكرها الى القتال لكي يعود منهزما من الزناتيين الى القيروان حيث اعتكف في قصر الامارة ، تاركاً البربر يدخلون المدينة ويقتلون ويفسدون الى أن انتهى أمر خليل - الذي لم يعرف مثل ذلك سوء تدبير - بالقتل غدرا بعد الأمان في ٢٣ صفر / ١٦ أكتوبر (٤٨) .

التحالف مع شيوخ المالكية :

وهكذا لم يكن أمام شيوخ القيروان من المالكية الا أن يخضعوا لأبي يزيد فخرجوا اليه برقادة يطلبون الأمان حتى يكف رجاله عن النهب وانتخريب ، وهنا تقول الرواية السنية التي ينقلها ابن عذارى أن أبا يزيد عندما دخل القيروان في صفر / سبتمبر ، أظهر لأهلها خيرا وترحم على أبي بكر وعمر ، ودعى الناس الى جهاد الشيعة والتمسك بمذهب مالك . وبناء على ذلك فقد انضموا الى أبي يزيد ، وخرج الفقهاء والعباد الذين سماهم ابن سعدون رجلا رجلا - لحرب القائم . وفي يوم الجمعة التالي اجتمعوا بالمسجد الجامع ، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح والطبول ، والبندود : فيها آيات الجهاد والنصر . ومما يلفت النظر أن عدد البندود سبعة من بينها اثنان أصفران وواحد فيه : « نصر من الله وفتح قريب ، على يد الشيخ أبي يزيد » . وبعد خطبة الجمعة التي كان موضوعها الجهاد ولعن عبيد الله وابنه ، خرج

(٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ . وقارن عيون الأخبار . ص ٨٨ - ٨٩ حيث النص على سوء تدبير خليل عندما أبقى رجاله في المدينة ولم يتخذ له مسكرا خارجها ولو أنه كان قد اعتنى بأبواب القيروان وسورها ، وان عمت أخبار أبي يزيد . عنه مع الإشارة الى أن رجاله كانوا ألفا فقط من الجنود والعبيد الذين كانوا يطالبونه بأزاقهم فيعتفهم ويهزأ بهم . الأمر الذي أدى بهم الى الانضمام الى أقاربهم الذين كانوا مع أبي يزيد . عندما اقترب من الأبواب الأمر الذي أضعف من منوياته وأصابه بالاجباط فأغلق دأره عليه . ومعه القاضي أحمد ابن يحيى ، والكاتب عبد الله ابن زياد ، وصاحب النفقات : سهيل بن نفس ، وعامل القيروان من قبله : منصور بن عمار في حوالي ٤٠٠ (أربعمائة) رجل . أما عن شدة الحصر فيصورها فشل خليل في الاتصال بالقائم حتى عن طريق الحمام ، الأمر الذي أدى الى طلب الأمان والنزول الى أعوان أبي يزيد متديلا بالحبال ، وإعطاء أمان مكتوب له ثم حمله الى خيمة أبي يزيد حيث قيد بالسلاسل ، قبل أن يقتل بعد يومين بموافقة أبي عمار الأعشى . مع أصحابه في حكومة القيروان المحلية . وبينما مات خليل واقفا وهو يضرب بالسيوف ، حال الأمر أحمد بن يحيى القاضي جزعا ، فقتله كيف تقتل الفضلاء .

١٧٩ -

الناس مع أبي يزيد لقتال الشيعة (٤٩) .

وبفضل انضمام شيوخ القيروان الى أبي يزيد وبفضل مخامرة بنو كملان الكتامية في صفوف ميسور ، وهو في موقعه الاستراتيجي عند ملتقى الطرق بين القيروان والمهدية ، تكرر استقرار الثائر الذي حصار حينئذ يحمل لقب « شيخ المؤمنين » ، في القيروان بعد هزيمة جيش ميسور الذي لقي مصرعه في المعركة في ١٢ من ربيع الأول / ٤ نوفمبر ٩٤٤ م (٥٠) .

التهجوم على منطقة الساحل وحصار المهدية : (انظر شكل ٣ ص ١٨٠) :

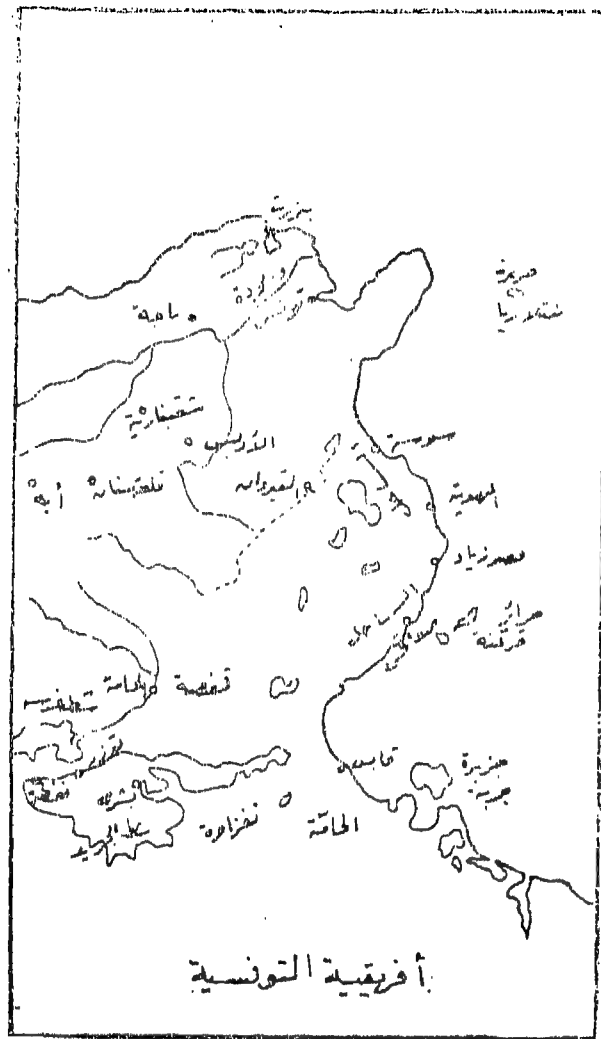
وهنا شعر أبو يزيد بقوته ، وبقرب فوزه النهائي ، فسير الكتب بما حققه من النصر الى عامة البلاد ، بصفته ولي الأمر الشرعي ، كما بدأ يتطلع الى تأكيد سلطانه عند الملوك في الخارج ، فبعث رسله مع وفد من أهل القيروان الى الخليفة عبد الرحمن الناصر بقرطبة وهو يعلن الطاعة له ويلتزم بالدعاء له من فوق المنابر (٥١) . وبذلك تحول شيخ المؤمنين من محتسب ناسك الى ملك مرفه ، فترك لبس الصوف وركوب انمار ، وارتدى ثياب الديباج والحريير ، وركب صهوات الخيل ، وجمع في حريمه أصناف الجوارى لم يفرق بين الحرة والأمة ، ولا بين الأخت وأختها على أساس ملك اليمين (٥٢) . وكان لهذه الأنباء أثر سييء في أطراف المهدية وفي زويلة

(٤٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ - حيث تتبع ذلك رواية أخرى تفص على أنه عندما استقر أمر أبي يزيد ، رأى أن الشيعة كاد يبيد ، دبر مكيده يتخلص بها من حلفائه مشايخ القيروان عن طريق كشفهم أمام الأعداء أثناء القتال ، الأمر الذي أدى الى العداء بينهم وبينه . ومع أن كل هذه الأحداث قد سجلها ابن عذاري سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٤م فمن الواضح أن قتل أولياء الله ، شهداء مشايخ المالكية بالقيروان ، يوضع بعد حصار المهدية ، عندما تأزم موقف القوائم .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٥ - حيث النص على حمل رأس ميسور الى القيروان والطواف بها تشديرا ، هناك - زقارن افتتاح الدعوة ص ٣٣٢ ، عيون الأخبار للداعي إدريس ، ص ١٠٤ - وما بعدها حيث النص على سعي بني كملان الكتامية في التخلص من القائد الصقلي مع تفصيلات عن سير المعركة التي انهزم فيها أبو يزيد - تكتيكيا - كما كانت عادته - ثم عودته المظفرة على ميسور الذي أصيب بضربة سهم في الدماغ . ثم إقامة الرجال في معسكر ميسور بشن الغارات وفتح الحصون ، وحمل المغانم والسبي اليه .

(٥١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٤ - مع النص على تكرار مثل هذه السفارة سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٧م ، بمعرفة ابنه أيوب .

(٥٢) عيون الأخبار ، ص ١١٠ - بحيث النص أيضا على أن أبا يزيد كان يأمر



(شکل ۳)

التي فزع أهلها وخرجوا للاحتفاء بأسوار المهدية ، ولكن القائم نجح في تهدئتهم واعادتهم الى ديارهم بزويلة بعد أن وعدهم بالنصر والظفر . وبدأ أبو يزيد يوجه أنظاره نحو الساحل ففتح سوسة عنوة وعاث برابرته

« البربر باستباحة النساء بعد قتل رجالهن ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ - حيث يضيف الى رفاة ابي يزيد « وتكر عليه اصحابه ذلك ، وكان به رؤسائهم من البلاد » وانظر ابن حمادة ص ٣١ . »

يقتلون الرجال ويسبون النساء ويحرقون المدينة ، ويشقون الفروج ويقررون البطون حقيقة لا مجازا ، بحثا عن الذهب الذي كان يخفيه البعض في أماكن حساسة من جسمه ، وعندما وجد البربر بعضه غالوا في التمثيل بالناس طمعا في المزيد ، « حتى لم يبق في أفريقية موضع معمور ولا سقف مرفوع » ، كناية عن عظم المحنة ، كما تقول الرواية (٥٣) .

واستعدت المهديّة للحصار بحفر الخنادق حول أرباضها اعتبارا من آخر ربيع الثاني ٣٣٣هـ / ١٨ ديسمبر ٩٤٤م (٥٤) ، كما أرسل الكتب الى كتامة يدعوهم الى الاسراع في القدوم الى المهديّة « بالحيل والرجال لجهاد الفاسقين الكفرة المارقين ، أهل أوراس ، اذ جهادهم أفضل من جهاد المشركين » . الذين نزلوا غير بعيد من المهديّة (٥٥) . وهنا أسرع أبو يزيد بالرحيل نحوها حيث نزل على بعد ١٥ (خمسة عشر) ميلا منها ، وأخذ يبيت سراياه في كل نواحيها ، وبعد لقاء مع الكتامين وأتباع القوائم الذين انهزموا أمامه ، وصل الى باب الفتح (المصلى) بل وحاول اقتحام المدينة من ناحية البحر (٥٦) .

وبدأت الأمور تتحسن بالنسبة للقوائم عندما استجابت صنهاجة الى دعوته ، وحضر زعيمهم زيري بن مناد ليرجح كفة كتامة ، في وقت كانت المهديّة تعاني من الحصار الذي استمر من جمادى الأولى ٣٣٣هـ / ٩٤٤م الى

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ ، وقارن عيون الأخبار ص ١٠٨ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ - حيث النص على القتل والنهب ، وأن « من أفلته السيف أهلكه الجوع » .
(٥٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ ، وقارن عيون الأخبار ص ١١١ - حيث ٢٣ ربيع الأول / ١٥ نوفمبر .
(٥٥) عيون الأخبار ، ص ١١٢ - حيث النص لمخطاب منها كان قد وقع بين يدي أبي يزيد .

(٥٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ - عيون الأخبار ، ص ١١٥ - ١١٨ ، وأنظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٣ - حيث النص على أن الأولياء من كتامة وغيرهم كانوا يقاتلون أثناء حصار المهديّة بلا نظام ولا رئيس عليهم ، ص ٥٥٤ - حيث لفت النظر تعبنا من كيفية حدوث الثورة والدولة بها ٧٠٠٠٠ (سبعون ألف) مقاتل ويزيدون ، وقارن عيون الأخبار ص ١١٥ - حيث النص على أنه عندما سار أبو يزيد نحو المهديّة في ٣ جمادى الآخرة سنة ٣٣٣هـ / ٢١ يناير سنة ٩٤٥م ووجه البربر الى باب الفتح كان منهم أهل التبروان ، ومن جبل أوراس وأعمال أفريقية ، وأنظر ص ١١٧ - ١١٨ - حيث النص على أنه عندما كان الدجال (أبو يزيد) على باب الفتح كان القوائم في مجلس له على البحر ، وكان مستبشرا بكثرته . وأنه عندما أنصرف أبو يزيد ، قال القوائم لمراقبيه : « ليس ترويه بعد هذا بالغا الى هذا المكان أبدا ، فاستبشر القوم » .

مطلع سنة ٣٣٤هـ / أغسطس ٩٤٥م أى قرابة ثمانية أشهر ، والذى شارك فيه بربر أفريقية وطرابلس والزاب وخاصة الزناتية منهم (٥٧) . وبسبب قطع الطريق وتشدده الحصر والجوع والغلاء ، رعم ما قام به القسام من فتح الأهراء وتوزيع الطعام ، هاجر كثير من أهل المهدي من السوق والتجار عن طريق البحر الى صقبة وطرابلس ومصر ، بل وإلى بلاد الروم ، فلم يبق فى المدينة سوى اجند . وتشنع الروايات الشيعية بأبى يزيد فتقول : « انه لما أقفرت البلاد ولم يعد هناك ما ينهب تركه رجاله ، فلم يبق معه الا هواراة الى جانب الرواد الاوائل من أهل جبل اوراس ، والاتباع الجدد من بنى كملان الكتامين (٥٧م) . وهنا وجه أبو يزيد أنظاره نحو القبروان حيث طلب من أهلها الخروج اليه بالغازات (المظلات) والسلاح والعدة ، وعندما وصل مددهم زحف بهم الزحفة الثالثة نحو المهدي فى ٢٣ رجب ٣٣٣هـ / ١٢ مارس ٩٤٥م (٥٨) . وأمام تحريض القائم لرجانه من الكتامين وتشبيهم بالحواريين والأنصار وأبناء المهاجرين والأنصار ، كانت هزيمة أبى يزيد الذى قتل فيها كثير من أهل القبروان ، وهى معركة شهداء المالكية التى يوردها ابن عذارى وينسبها الى مخامرة أبى يزيد والكتامين الذين كشفوا أهل القبروان ليتخلص منهم (٥٩) .

أما هزيمة أبى يزيد الرابعة فكانت يوم الجمعة ٢٣ شوال من سنة ٣٣٣هـ / ١٠ يونيه ٩٤٥م وبها تكرر الفشل وخاب الأمل بالنسبة لأصحابه ، والظاهر أنها كانت فرصتهم الأخيرة فى السلب والنهب والقتل والفساد ، وتكرر تلك المشاهد المروعة من : « شق البطون والأرحام طلبا

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٦ - ٤٢٧ - ويعدد الكتاب ٤ (أربع) زحفات جريئة ضد المهدي الى آخر شوال / ٣ أغسطس ٩٤٦م . كان الثائر العنيد يعرض فيها نفسه للخطر ، كما حدث عندما تحرر وكاد أهل الأرباض يأخذونه باليد ، فلم يتخلص الا بصعوبة لكى ينسحب نحو معسكره فى ترنوط ويحفر حوله خندقا .

(٥٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٥٨) عيون الأخبار ، ص ١٢٠ .

(٥٩) أنظر فيما سبق ص ١٧٩ ، ه ٤٩ - ولقد خلد جعفر ابن منصور اليمنى

(ابن حوشب) هذا النصر بقصيدة يؤكد فيها علم الائمة بالحدثان ومنها :

الحمد لله هذا الفتح والظفر	هذا الذى كان للايمان ينتظر
سيهزم الجمع اذ جازوا لحربكم	والسارقون فقد حابوا وقد خسروا
فان وعد أمة المؤمنين لكم	حق به جاءت الآيات والسور
عن جده المصطفى الهادى وحيه	واله العز جاء المسلم والخبر

لخبايا الدنانير » ، الأمر الذى يذهب بإيمان الناس وعقولهم (٦٠) .

الرخيين بن المهدي :

ومنذ شهر ذى القعدة سنة ٣٣٣هـ / يونية ٩٤٥م بدأت الدائرة تدور على الثوار ، وأخذ الجند الفاطمي يحقق عليهم بعض الانتصارات المحلية ، التي لم تمنع بعد مآسى الحصر والجوع والهجرة ، وأعمال العنف وقطع الطريق . ومع مطلع سنة ٣٣٤هـ / أغسطس ٩٤٥م قامت الانشقاقات فى المعسكر النكاري ، وانضم بعضهم الى المعسكر الفاطمي ، كما جرب البعض طريق الخلاص فى الدعوة لخليفة بغداد (٦١) .

وهال أبو يزيد هذا الفشل الذى كاد يودى به فجأة فاضطر الى العودة سريعا نحو القيروان التى وصلها فى أوائل صفر / منتصف سبتمبر ، تاركا معسكره نهبا لرجال القوائم الذين أفاقوا من شدة الحصر ، بتوفر الحاجيات المعيشية وخص الأسعار . وتصور الروايات المعادية سوء حالة أبى يزيد وقلة رجاله فى معسكره بموضع المصلى خارج المدينة ، عندما تشير الى أن صبيان القيروان خرجوا يلعبون حوله ويضحكون منه ، بل وأن أهل القيروان فكروا فى القبض عليه (٦٢) .

وهكذا بدأت أحوال المهديّة فى التحسن ، اذ كاتب أهل القيروان القوائم ، كما قامت الثورة على أبى يزيد فى بعض البلاد كما فى سوسة التى أمدّها القوائم بمراكب الطعام وكذلك تونس وباجة (٦٣) . وفى الوقت

(٦٠) أنظر عيون الأخبار للداعى ادريس ص ١٢٥ - حيث يروى عن بعض القيروانيين أنه شاهد امرأتان فى شهر رمضان قبل المعركة تبكيان وتقولان : « لو كان فى السماء اله لغير هذا الفعل » . ويرد الداعى على تلك المقولة بما هو معروف تقليديا من أن المحنة تمحص المؤمنين وتطهرهم .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ ، وقارن عيون الأخبار للداعى ادريس ص ١٢٧ - ١٣٣ - حيث النص على هروب أصحابه نحو القيروان ، فلم يبق معه الا هواره وبنو كملان وأوراس .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٠ ، قارن عيون الأخبار للداعى ادريس ، ص ١٣٤ وما بعدها حيث عنفه صاحبه أبو عمار الأعمى للتشاغل عن الجهاد ، واكل لذينة الطعام ولبس اللين من الثياب ، واقتضاض الأبتكار ، وما ترتب على ذلك من توبة أبى يزيد بالرجوع الى لس الصوف وركوب الحمار ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٥ .

(٦٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣١ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٣٦ - ١٣٩ - حيث =

الذى كانت تزداد الفرقة في صفوف أبى يزيد. وكان يتآمر بعض أصحابه على قتله . أتى اضطراب اعيوان نتيجة سوء سلوك رجاله ، ليزيد الحالة سوءا . لما استمر عصيان المدن عليه ودخولها في طاعة القائم ، كما حدث في الجزيرة رادرس (١٤) .

ورغم ما أحاط بأبى يزيد من الصعاب فقد كان الرجل من ذلك النوع من الرجال الذين لا تزيدهم الشدائد الا قوة . وذلك انه كان يحاول تقويم الموقف المتضخم دون هوانة أو ملل . فعند خوف أهل التبروان من القائم ، كما انتقم من أهل تونس وباجة ، الامر الذى يذكر بأيام فونه . فهو بعد ان يهزم في ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ / أكتوبر ٩٤٥م أمام استئصال العسكر الفاطمى وارتفاع منوياته ، يمود من جديد في جمادى الثانى / يناير ٩٤٦م لحصار سوسة القريبة من المهدية بالدبابات والمنجنقات (٦٥) .

ولكنه مع ظهور على بن حمدون (ابن الأندلسى) عامل المسيلة الذى استجاب لنداء القائم فجيش كتامة في منطقة قسنطينة ، كما نشط في حشد الرجال من بلاد الزاب ، تعدل ميزان القوى تماما لصالح الفاطميين في بلاد كتامة وفي الزاب ، حيث هزمت هراة واستعيدت مدينتا تيجس وباغاية رغم نسيابة على التمسبة (٦٦) ، وذلك قبيل وفاة القائم في شوال سنة ٣٣٤هـ / يولييه ٩٤٦م .

قبض على عامل مخلص بسوسة : أحمد الهوارى فبعث القائم مكانه : عباس بن منذر مع المراكب لضبطها حتى قدم اليها الحسن بن ماكسين فاستقرت أمورها . اما عن تونس وباجة فاستمر الصراع بين من عينهم القائم وبين من بعث بهم « الدجال » لفترة من الوقت عرف فيها أهل كل من المدينتين صنوفا من المعاناة والعذاب حتى أصبحت « تونس خرابا لا مقام فيها ولا أهل لها » . اما عن باجة فكانت الأولياء يقيمون بها نهارا ، ويخرجون عنها ليلا الى الصحارى - حذرا من التبرير .

(٦٤) عيون الأخبار - للداعى ادريس ، ص ١٣٩ - ١٤٣ .

(٦٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، قارو عيون الأخبار ، ص ١٥٠ .

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ابن خلدون ج ٧ ص ١٥ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٤٥ - ١٤٦ - حيث قام بجولة كبرى في بلاد الزاب انضم اليها فيها حسن بن منصور مقدم بنى هراش ، وثوبان بن أبى سلاس ٠٠٠ ولكن مفاجأة أيوب بن أبى يزيد له انتهت بهلاكه في بعض الأوعار . وقارن ابن حمادة ، ص ٣١ - حيث سقط من جرف عال فانكسرت يداه ورجلاه وظهره .

نهاية الثورة على شهيد المنصور :

ومع خلافة المنصور الذي كان في غنفوان الثانية والثلاثين من عمره ،
يبدأ انحسار الثورة انزوائية ، وتنتهي دولة أبي يزيد النكارية : فلقد جمع
المنصور كل قواه ائبرية والبحرية لمطاردة أبي يزيد الذي انهزم من أمام
سوسة الى القيروان ، ولكنه لم يتمكن من دخولها بسبب رفض أهلها له ،
ودخولهم في طاعة المنصور الذي سار اليهم يوم الخميس ٢٥ شوال ٣٣٤هـ/
٢٩ يولييه ٩٤٦ م ، ووجد فيها جماعة من حرم أبي يزيد وأولاده فحملهم
مكرمين الى المهدي (٦٧) . بينما سار أبو يزيد بأصحابه الى ناحية سببية
القريبة . وبعد محاولات غير مجددة للعودة الى القيروان بأمر المنصور فيها
القتال بنفسه في مواجهة أبي يزيد وحشوده ، وأظهر خلالها شجاعة نفسية
نادرة وكفاءة شخصية رائعة في مواجهة الأهل ، وزاد من هيئته في قلوب
الناس وهياً الصمود والظفر للرجال (٦٨) . وهي المطاوعة التي استمرت على
جبهة القيروان من ذى القعدة ٣٣٤هـ/ يونية ٩٤٦ م الى سنة ٣٣٥هـ/ أغسطس
٩٤٦ م . ورحل أبو يزيد عن أفريقية تاركاً في أرض المعركة بالقيروان أكثر
من عشرة آلاف رجل من عسكره بعد الهزيمة المروعة التي لحقت به يوم ١٣
من المحرم / ١٤ أغسطس (٦٩) .

(٦٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٤ - ٤٣٦ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص
١٦٥ - ١٧٠ - حيث النص على أنه عندما وصل أبو يزيد مفلولا عند باب أبي الربيع شتمه
أهل القيروان ، ونادوا « لا طاعة الا طاعة اسماعيل » ، ثم انهم أحاطوا بدار أبي عمار الأعمى
وحاصروه ٠٠٠ فأجمع رأيهم أن ينصرفوا مؤقتاً عن القيروان .

(٦٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ ، قارن عيون الأخبار ، ص ١٦٦ ، ١٧١ وما بعدها
- حيث الإشارة الى سرايا أبي يزيد الاستطلاعية وحفر المنصور خندق حول عسكره - في
ذى القعدة ، وبطولة المنصور في الدفاع عن معسكره بسيف جده ذى الفقار ، والمظلة مرفوعة
على رأسه ، فموضعه معروف ، والأولياء في ٥٠٠ فارس فقط والبربر في ٣٠ ألفا (ص ١٧٣) ،
الأمر الذي جعل تلك الملحمة المنقبة موضوعاً لتصانيد الشعراء مثل عبد الله بن أصبح الذي
قال في تلك المناسبة :

ويوم بأرض القيروان شهدته وقد ظل فيه الجو أغبر اقتما
ومثل محمد بن الحارث بن سعيد الأيروطي ، الذي قال :
ولم أر كالممنصور بالله ناصرا لدين ولا أحمل للملك انمعا
(ص ١٧٣ - ١٧٧)

(٦٩) عيود الأخبار ، ص ١٩١ - ١٩٣ ، ص ١٩٦ - حيث نسخة الكتاب الموجه الى
المهدي بهذا الشأن .

طلب المعونة من عبد الرحمن الناصر :

وخلال تلك الفترة كان أبو يزيد متحيراً ما بين قطع الطريق ومهاجمة المهديّة ، وبين الوعد بطاعة المنصور نظير نسائه وبناته وأولاده ، ونساء رجاله ، الذين أرسلوا من القيروان الى المهديّة (عيون الأخبار ، ص ١٨٤ - ١٨٧) أو مواصلة الصراع بطلب المعونة من عبد الرحمن الناصر بقرطبة ، حيث أرسل له ابنه « يستنصره ، ويعده بالقيام معه » ، وإن كانت المعونة العسكرية والمالية التي بعثها الناصر مع ابن أبي يزيد لم يقدر لها الوصول الى هدفها ، اذ وقعت بين يدي عامل تاهرت الفاطمي : عبد الله بن بكار (٧٠) .

ولا شك ان عبد الرحمن الناصر أصيب بخيبة أمل نتيجة نضياح معونته في تاهرت ، كما هو الحال بالنسبة الى أبي يزيد ، بل وربما أصابه القلق للموقف الصعب لحليفه المتوقع ، فاستجاب لمراسلاته الملحة ، وشرع في تجهيز حملة انقاذ بحرية كبيرة تحمل العدد والسلاح والأموال ، وتخرج بها من قاعدة المرية . وعهد الناصر بأعدادها الى عامله على مدينة بجاية بساحل جنوب الأندلس : محمد بن رماحس . والظاهر أن الرجل الذي كانت له علاقات تجارية ما بين المغرب والأندلس تباطأ في تنفيذ أوامر الناصر الذي كان قد أسرع بارسال كاتبه الى المرية لأعداد المراكب . وبناء على ذلك فعندما سار الى المرية متأخراً بعد زجر الناصر له ، كان عليه أن يقضى فصل الشتاء من سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م هناك وعندما تحسنت الأحوال الجوية سار ابن رماحس بالأسطول الى مدينة بونة (غنابة من شرق الجزائر حالياً) ، ولكنه لم يكد يصل الى أسوار المدينة حتى بلغته أنباء هزيمة أبي يزيد ، فكو راجعا الى ناحية تنس ومنها الى الأندلس ، بعد معاناة شديدة في أهوال البحر ، غرقت فيها أكثر مراكبه ، كما تقول الرواية الفاطمية ، في ذلك الربيع المبكر ، فلم ينج الرجل بنفسه الا بشق الأنفس (٧١) .

محمد بن خزر الزناتي في طاعة المنصور :

والمهم أن أبا يزيد رحل بعد الهزيمة الى بلاد الزاب وتبعه المنصور منذ أواخر ربيع الأول ٣٣٥هـ / أكتوبر ٩٤٦م ، ولحق به قرب باغاية ، ففر أمامه

(٧٠) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ١٨٧ - ١٨٨ ، وم ٣٤٤ ص ١٨٨ - حيث

الاشارة الى ادريس (عن الزيريين) ج ١ ص ٢١ - ٢٢ .

(٧١) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

نحو طنبنة (عاصمة الاقليم) فى ٢٠ ربيع الآخر/ ١٩ نوفمبر (٧٢) . وهنا
تجلى نمن الناصر العنيد واحد من اثنين حلفائه ، هو محمد بن خزر الزناني
الذى دخل فى طاعة المنصور بعد ان كان فى صفه الناصر الأموى ، وأخذ
على عاتقه التخلص من استائر وتتبع آثاره نظير ما رعد به الامام من المال
الذى بلغ ٢٠ (عشرين) حملاً . ومن طنبنة انجبت المطاردة نحو تسطيلية
وبلاد الجريد الى بسكرة حيث وافاد جعفر بن على بن حمدون ، صاحب المسيلة
بالخيل والابل . وانتهت المطاردة (الأولى هذه) باعتصام أبى يزيد بآخر
ملاجيء ثوار المغرب الأوسط ، وهو جبل أوراس العنيد ، الذى بدأت منه
الثورة - ككل ثورة - واستقر بين الأباضية النكار فى موضع منه يعرف
بجبل برزال ، موطن بنى برزال ، رواد الثورة الأوائل ، ولكنه لم يتمكن
من الثبات أمام القوات الفاطمية ، رغم وعورة المنطقة . وبذلك اضطر الى
سلوك القفر الذى لم يسلكه جيش قط ، والمنصور مجد فى اثره ، مصر على
تعبه اياه ، رغم ما تعرض له الجيش من الشدة حتى بلغ ثمن غليق الدابة
دينارا ونصف دينار ، وبلغ ثمن قربة الماء دينارا - حيث لا عمارة وراء تلك
القفار الا بلاد السودان . وعندما اتضح ان الناصر الزناتى « اختار الموت جوعا
وعطشا على القتل بالسيف » ، عاد المنصور الى بلاد صنهاجة حيث وصل
اليه زيرى بن مناد ، مددا بعساكر صنهاجة ، كما أتت كتب محمد بن خزر
تعرفه بالتوضيح الذى لجأ اليه أبو يزيد فى تلك القفار (٧٣) .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٨ ، عيون الأخبار ، ص ٢٠٦ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، وقارن عيون الأخبار للدهى ادرىس ، ص ٢٠٥ -
عن محمد بن خزر ، ص ٢٠٧ - عن جعفر بن على ابن الأندلس - ص ٢١١ - عن قتال
الناصر فى بسكرة واعتصامه بعد الهزيمة بالمسالك والأوعار ، ص ٢١٢ - عن الوصول الى
بنى برزال ، ص ٢١٤ - حيث وصف القتال فى كتاب الامام الذى دار فى ١٤ جمادى الأولى
سنة ٣٣٥ هـ / ١٢ ديسمبر ٩٤٦ م مع الناصر ومن معه من هواة وبنى برزال وبنى كملان .
وفى صبر الامام قال بعض الشعراء :

لك يمل يوم آية لم ياتها
أحد ، ولم يفخر بها انسان

وفى ذلك اليوم قال المنصور نفسه :

أجرب القفار وأطوى الرمال

وأحمل نفسى ليهول مهول

رعى ٢١٩ - عن الهروب فى الرمال ، ص ٢٢٠ - عن غلاء الاسعار والمعاونة فى تلك
الانهار المتصلة ببلد السودان ، وص ٢٢٢ - عن موافاة زيرى بن مناد ، وكتاب محمد بن خزر
عن المكان الذى استقر فيه مخند .

معركة قلعة كيانة وأسر أبي يزيد :

والظاهر ان ما قام المنصور من الجهد أدى به الى المرض (٧٤) ، وكانت فرصة لكي يعود أبو يزيد الى الزاب مرة أخرى . وعندما شفى المنصور من المرض كان أبو يزيد معتصما بقلعة كيانة (٧٥) ، ورجاله ينزلون لقطع الطريق وتخطف الناس ، ولكنه كان قد فقد أهم أعوانه من بني كملان وهؤلاء الذين دخلوا في طاعة المنصور (٧٦) . وهكذا انتهى التأثير العجيب ، الموقر بقصر القامة والعرج ، وقبح الصورة ، وساعده الأيمن : أبو عمار الأعمى ، مستشاره الأول ومنظر المذهب ، بعد قتال يائس من جانب الثائر في قنة الجبل في قلعة كيانة ، والحاج رافع في تتبع أثره من جانب الامام الفاطمي الشاب ، اعتبارا من ١٠ شعبان / ٧ مارس ٩٤٧م حتى أول رمضان / ٢٦ مارس ٩٤٧م بعد ملاحم رائضة في النهار وفي الليل ، تحت المطر وفي ضوء المشاعل ، تماسك فيها الرجال بالأيدي ، ورموا بالصخر من رؤوس الجبال ، وكثر القتل حتى ظنوا أنه الفناء . فقد سقط أبو يزيد في الوعر في مكان صعب اثر محاولة يائسة في الخروج من الحصر في حملة خارجية ، وهو محمول على أيدي الرجال ، فأدرك وحمل الى المنصور مشحفا بالجراح التي مات منها في أواخر المحرم سنة ٣٣٦هـ / أواخر أغسطس ٩٤٧م (٧٧) .

(٧٤) عيون الأخبار ، ص ٢٢٢ - بقي مغمى عليه مدة ١٣ يوما .
(٧٥) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٣ وهـ ٢ ، والمجالس والمسايرات ، ص ١١٥ - حيث للاشارة الى انها القراءة الصحيحة على عكس « كتامة » عند ابن الأثير وابن خلدون ، أو كفاءة في سيرة جوهر ، وكياته في ابن حماده وان كانت في الترجمة الفرنسية صحيحة في شكل كيانة .

(٧٦) ابن الأثير ، ج ١ ص ٤٤٠ - حيث الاشارة الى اقبال هوازة وأكثر من مع أبي يزيد يطلبون الأمان ، فامنهم المنصور ، وأنظر المجالس والمسايرات ، ص ٢٥٧ - حيث الاشارة الى ان بني كملان كانوا يكفرون عن خطئهم هذا في حق القوائم عندما انضموا الى جيش المعز فيما بعد .

(٧٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٣٩ - ٤٤١ - حيث التاريخ ٢٩ المحرم ٣٣٦/ ٢٣ أغسطس ٩٤٧ ، وقارن عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٢٤ - متابعة مغلدة في أدلة على ١٢ ميلا من المسيلة في ١٠ شعبان ، ص ٢٢٥ - هروبه (مغلدة) ومتابعته في رؤوس الجبال والوادية وعقر زيري طواده وقتل ابنه يونس وطعنه بين كتفيه وهربه ص ٢٢٦ - جعفر بن منصور اليمن كان حاضرا وسمى المعركة بيوم المسيلة ، وفيها قال في المنصور :

يهنأ لك النصر فيما رمت من سبب
با سيد الخلق من عجم ومن عرب
ص ٢٣٠ لجوء أبي يزيد الى قلعة شاكور في جبال كيانة من جبار عقار ، ص ٢٣١ متابعته في الوعر ومعه بنو كملان ، ص ٢٣٤ - البربر يلقون الصخور من أعلى الجبال ، ص ٢٣٤ =

نجح في ردع الثوار ودفعهم بعيدا ، يوم الجمعة أول حنفر / ٢٢ أغسطس سنة ٩٥٧م (٧٩) .

وإذا كان معبد بن خزر ، الذي كان أخوه محمد في طاعة المنصور . . . قد ارتدع وكف عن الفساد (٨٠) ، فإن الفضل ابن أبي يزيد ظل يمثل امتداد ثورة أبيه النكارية . فلقد ظهر الفضل في جبل أوراس وموه على الناس بان إياه « حتى لم يمت » ، الأمر الذي اجتذب عامة الناس وأربابهم من البربر . فسار بهم إلى قسطنطينية وقصصة من بلاد الجريد ، حيث خافه الناس وتوقعوا سقوطها بين يديه . وعندما خرج إليه المنصور في أول شعبان من سنة ٣٦٦هـ / ١٥ فبراير ٩٤٨م اتبع الفضل أسلوب والده في القرار إلى الرمال ، مما دعا المنصور إلى فتح بعض القرى والحصون التي كانت لأعوانه ، مثل : قصر حمونس وبرحمانه ، قبل الوصول إلى سبيلة ثم قفصة التي وصلها في ٢٠ شعبان / ٧ مارس ، بينما عاد فضل إلى جبل أوراس من حيث هاجم باغاية (٨١) . وكان على المنصور أن يثار من عامة بني يفرن في المنطقة ، من : كلاله وبرادية وبني شداد وبني نمت ثم يتبع أصول أهل بيت أبي يزيد من بني واسين ليستأصلهم ، وكذلك المكناسيين ، من : بني مولاب ومزرعة ، الذين لجأت فلولهم إلى حصن ماواس ، حيث وقع عبء الاستيلاء عليه على عاتق ولي العهد ، في رواية منقبية أظهر فيها من رباطة الجاش وحسن التدبير ما كان موضوعا لشعر جعفر بن الحسن منصور اليمن (٨٢) .

(٧٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٤١ - حيث النص على : محمد بن خزون بدلا من معبد ، وقارن ابن خلدون ج ٧ ص ١٦ ، عيون الأخبار للداعي إدريس ، ص ٢٨٣ - حيث النص على معبد بن خزر فقط دون الفضل ، وعن أعمال كل من معبد وفضل أثناء الكفاح أنظر نفس المصدر ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٤ - حيث مهاجمتهما لمدينة طينة وانهزامها بعد أن تحالفا مما من حث أن معبد كان يرى رأى الخوارج .

(٨٠) عن نهاية معبد الذي قبض عليه وقتل سنة ٣٤٠هـ / ٥١ - ٩٥٢هـ أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٦ .

(٨١) عيون الأخبار ، ص ٢٩١ وما بعدها - حيث النص على وصول فضل إلى مدينة مديلة وعاملها الفاطمي هو باطيط بن يعلى بن باطيط الزناتي ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ حيث يلتفت ذلك في اختصاره .

(٨٢) أنظر عيون الأخبار ، ص ٢٩٤ - ٢٩٩ - حيث النص على أن المنصور وجد في ولي عهده رغم صغر سنه ، ما لا يوجد في بشر إلا فيه - ومن شعر جعفر بن الحسن في الوقعة :

أنعم بعزك يا ابن خير الناس وبما حبسك الله في ماواس

وامام اخفاق الجيوش النظامية فى متابعة -- حرب العصابات التى كان يشنها فضل بن أبى يزيد فى منطقة باغاية ، لا بأس أن يكون المنصور قد لجأ الى أسلوب الخداع والغدر فأوعز الى بعض رجاله فى المنطقة ، وهو ما طيع ابن يعلى أن يحتال فى قتل فضل بن أبى يزيد بطريقة أو أخرى .

وهكذا خرج المنصور وبصحبه ولى عهده المعز من حصن ماواس فى ٥ رمضان ليصل الى المنصورة فى ١٥ من رمضان قبل الرحيل الى المهديّة فى ٢٥ رمضان (٣٣٧هـ / ٢٩ مارس ٩٤٩م) وفى ٢٠ من ذى القعدة / ٢٤ ابريل كان مايطيع بن يعلى يصل الى المهديّة برأس فضل بن أبى يزيد بعد أن غدر به وهو يحاصر باغاية ، الأمر الذى كان موضوع احتفال الداعى جعفر بن حسن منصور اليمنى (٨٣) .

وبمقتل فضل انفض أصحابه جميعا . وباجتثاث أصول بني يفرن من آل بيته ثم القضاء على الدعوة « اليزيدية النكارية » ، انتهى أهم أدوار بني يفرن السياسية ، ورثاهم ابن خلدون اثر ذلك « بالبقاء لله » كما هى عادته فى نعي الملوك والدول (٨٤) .

تهدئة المغرب :

وتطلبت رحلة العودة الى المهديّة (فى شهر رمضان سنة ٣٣٦هـ/مارس ٩٤٨م) من المنصور أكثر من ٦ (ستة) أشهر كان عليه أن يقضيها فى اقرار السلام فى المنطقة ، وفى بلاد المغرب البعيدة . وفى المسيلة ، بلد جعفر بن على بن حمدون الأندلسى أقام المنصور ١٧ (سبعة عشر) يوما ، أقيم أثناءها مهرجان النصر الذى طيف فيه فى شوارعها بجند أبى يزيد المنفوخ كتمثال بالتبن ، وهو فى القفص مع القردين اللذين يلعبان عليه ويصفغانه ، وفيها رافاه زعماء الكتامين المنشقين من بني كملان يتضرعون اليه ويسألونه العفو ، فقبل منهم وأصدر لهم سجلا بالأمان ، وشملهم

(٨٣) انظر عيون الأخبار ، ص ٣١١ ، حيث قال فى المنصور شعرا ، منه .
أراد النجاة اذ فر فضل بن مخلد لينجو لما اتجه طول التعبد
ولم يزل المنصور بالله قادرا يبيد عداه بالقنا المتفهد
(٨٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ ، وقارو عيون الأخبار للداعى ادريس ، ص ٣١٠

باحسانه (٨٥) .

حملة تاهرت ضد الزناتية أتباع الناصر :

وعلى عكس ما كان متوقعا من اتجاه المنصور جنوبا بشرق ، عبر بلاد الزاب ، نحو القيروان والمهدية كان عليه أن يقوم بحملة أخرى الى منطقة تاهرت في الشمال الغربي . فقد وافته الأنباء من تاهرت تفيد ان المدينة مهددة من قبل ابن واليها الأسبق ، وهو : حميد بن يصل الكناسي الذي غلب على الضواحي ، وطمع في أخذ المدينة نفسها ، فحضر عليها الحصار . وكان حميد الذي عرفناه من أولياء المهدي في تاهرت سنة ٣٢١هـ / ٩٢٣م ، قد خرج على القائم سنة ٣٢٨هـ / ٣٩ - ٩٤٠م لكي يدخل في طاعة الناصر الأموي بقرطبة ، ويحصل منه على ولاية الغرب . ولقد انتهز الزناتية من بنى خزر فرصة النجاح الذي حققه ابن جلدتهم أبي يزيد ، وهاجموا مع حميد بن يصل تاهرت في أواخر سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٥م على ما نظن ، وقتلوا عامل المدينة عبد الله بن بكار وأسروا قائدها مسرورا الخادم (٨٦) فلما ظهرت علامات الفشل على ثورة أبي يزيد انفض الحلف الزناتي الكناسي بدخول محمد بن خزر في طاعة المنصور ، وان بقي أخوه معبد متعاطفا مع فضل بن أبي يزيد . وهنا لا بأس أن يكون حميد قد أراد أن يحل وقتئذ محل الزناتية في تاهرت رغم ضعف موقفه .

وهكذا كان على المنصور أن يغادر المسيلة الى هناك ، وذلك في تمام الساعة التاسعة من ليلة الثلاثاء ١٨ صفر ٣٣٦هـ / ٩ سبتمبر ٩٤٧م لكي يصل الى تاهرت بعد مسيرة ١٢ (اثني عشر) يوما بعد عصر الاثنين أول ربيع الأول / ٢٠ سبتمبر ، ونصب المنصور معسكره خارج المدينة ، وابتدأ بتأمين أهلها قبل الطواف بجبل أبي يزيد في أرجاء المدينة ، في مهرجان شعبي صاخب ، حسبما نظن ، وان كان في مدينة الخوارج الصفرية . ولا بأس أن يكون احتفال التشهير هذا بمثابة إنذار لحميد بن يصل الذي لم يفر الى الصحراء هذه المرة بل فيما وراء البحار الى الأندلس لدى

(٨٥) عيون الأخبار للداعي ادريس ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٨٦) أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ . حيث النص على ميسور الحصى ولما كان مقتل ميسور بالقيروان أثناء ثورة أبي يزيد (ما سبق ، ص ٧٩ وهـ ٥٠) ، فأغلب الظن أنه مسرور الخادم ، الوالي الجديد (أنظر ص ١٩٣ وهـ ٨٨) .

عبد الرحمن الناصر ، وكان قد دخل في طاعته (٨٧) .

مسرور الخادم وألبا لتناشوته وتنس :

ولما كان حميد قد ركب من تنس ، مرفأ تاهرت ، الى الأندلس ، فقد كان على أهلها أن يسارعوا بالقدوم الى حضرة المنصور بتاهرت لتقديم فروض الولاء والخضوع . ولقد أحسن المنصور استقبال التنسين وأكد أمانهم بإصدار سجل شريف به ، وجعل ولاية كل من المدينتين ، تاهرت وتنس ، الى قائده مسرور الخادم ، الذي احتفل بتقايده يوم الثلاثاء ، ربيع الأول / ٢١ سبتمبر ، محمولا على سرج محلي (٨٨) . وبذلك تأكد ولاء المنطقة للمهدية من جديد ، من الداخل حتى الساحل .

مرض المنصور :

وكما حدث أثناء متابعة المنصور - وهو في المسيلة - لأبي يزيد ، عندما مرض ذلك المرض الذي كان يهيبه بالاغماء الطويل ، اعتل بتاهرت أيضا علة شديدة ، وإن كانت من نوع آخر - ربما كان الذرب (البواسير) الذي عرفه ابراهيم ابن أحمد (أنظر فيما سبق ، ج ٢ ص ٢٨٣) ، وذلك أنه ظل يعاني من عدم القدرة على القعود أو القيام لمدة ٢١ (واحد وعشرين) يوما حتى أشفى على الموت ، كما يقول القاضي النعمان ، وفكر في الوصية : « حسبما يجب لله عليه » (٨٩) .

جولة أثرية في منطقة لوانة ، وتهجير قبائل كتامة :

وفي تاهرت ، بعد أن عادت اليه الصحة ، كان على المنصور أن يخضع قبائل لوانة في المنطقة ، وكانوا قد تحالفوا مع حميد بن يضل (٩٠) ، فخرج اليهم في ٨ ربيع الآخر / ٢٧ أكتوبر ٩٤٧ م ، ولكنه عندما وصل الى ديارهم ،

(٨٧) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٨٨) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٦ - وقارن ما سبق ، ص ١٩٢ وما ،

حيث القراءة مسرور في ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٨٩) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ - حيث الإشارة الى انه جمع وجهاء القوم ليعرضهم بنيتة في الوصية ، ولكنه ما أمسى الا مفيقا ، وعادت القوة واتصلت الصحة ، اعتبارا من يوم الخميس ٢٩ ربيع الأول / ٢٩ أكتوبر حينما خرج للتريض بناحية نبع بناوة .

(٩٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٧ .

وجدتهم قد هربوا الى رمال السودان وبراريه . وهكذا اكتفى المنصور بالقيام بجوئه بعهديه في المنطعة الغنية بالآثار البيزنطية القديمة من عهد سديمان (Solomon) عاد جستينيان ونيودورا . لكي يعود بعد عشرة أيام ، في ٢٠ ربيع الآخر / ٩ نوفمبر ٩٤٧م الى المسيلة التي وصلها في ٢٩ من ربيع الآخر / ١٧ نوفمبر . ومن المسيلة ارتحل فجر الخميس أول جمادى الأولى / ١٨ نوفمبر نحو سطيف حيث أقام بنا ٣٠ (ثلاثين) يوما . ولقد قضى المنصور هذه الفترة مشرفا على ما كان فرضه ، وقنثذ ، على قبائل كتنامه هناك من تهجير ١٤ (أربعة عشر) ألف أسرة (بيت) الى المنصورية للاقامه بها في كنفه (عيون الأخبار ، ص ٢٨٨) . وهو بذلك كان يضرب عصفورين بحجر واحد ، فهو من ناحية يستعملهم في الخدمة كحرس أميري خاص ، وهم من ناحية أخرى يبقون لديه رهينة يضمن بها طاعة أقاربهم وبني جلدتهم في بلاد القبائل . وفي سطيف أشبع المنصور هوايته بالآثار ، فنظر فيما كان يحويه قصرها القديم الذي تبلغ مساحته حوالى ٥ (خمسة) آلاف متر ، من عجائب البناء بالحجر والطوب ، والزخرفة باللوح الرخام (٩١) . وبعد أن أعطى الأمان لرجل من أولاد أبى يزيد ، خلع عليه وأكرمه بألف درهم ، رحل من سطيف يوم الأربعاء ٦ جمادى الآخر / ٢٣ نوفمبر ٩٤٧م الى ميلقة التي أقام بها ٩ (تسعة) أيام استقبل فيها وفود الكتامين المهاجرين الى المهديّة معه . وفي ١٨ جمادى الآخرة / ٥ ديسمبر رحل الى سببية حيث كانت وفود القيروان في استقباله في ٢٦ من جمادى الآخرة ٣٣٦هـ / ٢٣ ديسمبر ٩٤٧م .

احتفالات النصر بالقيروان :

وهكذا خرج المنصور من سببية الى القيروان في موكب ضخم من رجال الجيش ، والكتامين المهاجرين ، ووفود المستقبليين من القيروانيين . يتقدمهم الأولياء من كبار القواد وأهل البلاط والحاشية في ملابسهم الرسمية المطرزة . وفي القيروان قوبل المنصور بالتهليل والتكبير ، فسجد لله شكرا على عرف فرسه ، قبل أن يدخل قصره الجديد ، بضاحية صبرة التي سوف تعرف بالمنصورية منذ الحين ، في يوم الخميس ٢٩ من جمادى الآخرة

(٩١) عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ٢٨٩ - حيث طول قصر سطيف ٣٠٠٠ ذراع وعرضه ٦٠ ذراعا . وانظر هامش ٥١٤ ، ص ٣٥١ - حيث الإشارة الى افتتاح الدعوة وابن حرقل ، واليعقوبي ، والادريسي .

- ١٩٥ -

سنة ٣٣٦هـ / ١٦ ديسمبر ٩٤٧م . وفي اليوم التالي كان على أهل القيروان، أن يحتفلوا بعيد النصر لمدة ٣ (ثلاثة) أيام ، طيف فيها بشوارع المدينة وأسواقها بجلد أبي يزيد مشهرا على الجمل بالطرطور وبالقردين ، قبل أن ينتقل ذلك المهرجان الى المهدية حيث انتهى تمثال الثائر العتيق ، المصنوع من جلده مخرقا على سور المدينة ، بفعل الرياح والعوامل الجوية الأخرى (٩٢) .

خلافة المنصور الفاطمي

شخصيته :

هو أبو الطاهر اسماعيل بن أبي القاسم محمد . وفي وصف شخصيته يقول ابن عذارى انه ولد في سنة ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م برقادة بالقيروان (١) ، وبذلك يكون قد ولى الملك وعمره ٣٢ (اثنان وثلاثون) سنة ، وانه توفي سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م وعمره ٣٩ سنة بمعنى انه حكم سبع سنين (٢) .

الفصاحة والصفح والضعف الصحي :

اما عن أهم صفاته فقد كان فصيحاً بليغاً ، كما كان خطيباً مفوهاً ، « يخترع الخطبة لوقته » (٣) . وكما هو الحال بالنسبة لسائر الأئمة لا نعرف شيئاً عن صفاتهم الجسمانية ، حتى عند الكتاب الذين خدموهم عن قرب ، مثل : القاضي النعمان الذي يكتفى بالإشارة الى ان المنصور كان ميالاً للعفو والصفح عن قدر عليه (٤) ، بمعنى أنه كان ليناً لا يميل الى العنف . ولا بأس أن يكون ذلك بسبب اعتلال صحته لما كان يعانيه من المرض . كذلك الذي كان يصيبه بالغيوبة من «صرع» أو غيره ، أو من «داء الذرب» (الدوسنتاريا أو البواسير) الذي كان يعذبه واقفاً أو قاعداً (أنظر ما سبق ص ١٩٣) . ولا بأس أن يكون كل ذلك من الأسباب التي جعلت القائم يمنع اعلان ولايته اياه للعهد لمدة طالت الى أكثر من ١٠ (عشر) سنوات (٥) .

(١) أنظر البيان المغرب ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١١ - حيث النص على انه ولد بالمهدية التي لم يتم سكنها الا في سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م ولهذا عدلنا المهدية الى رقادة .
(٢) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٤ .
(٣) ابن عذارى ، نفسه ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٧ .
(٤) افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٤ .

(٥) أنظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٢ (المقدمة) وص ٤٤٨ - حيث النص - رواية عن المنصور على ان القائم لم يتقدم لتولية الأمر بعد وفاة المهدي الا بعد أن أخذ بيدي (المنصور) وخلصه فقلدني عهده ، وأسر الى ذلك ، واستكنى اياه - وه ٤ - حيث الإشارة الى تعريف جوذر بذلك . وأنظر سيرة جوذر ، ص ١٥٩ - حيث النص على ايثار القائم للمعز .

وهنا لا نستطيع أن نلتصق العذر للقائم بأن الحكمه كانت تقضى بساك
يسبب نوره ابى يزيد التى لم تبدأ الا سنه ٣٣٢هـ / ٩٣٤م أى بعد ٩
(تسع) سنوات من ملكه ، وكان المنصور وقتئذ ناضجا قد بلغ سن
الرشد . ولا بأس أن يكون ضعف المنصور صحيحا هو الذى جعله يفكر
فى أن يعهد الى حفيده المعز (معد) بن المنصور بولاية العهد ، متخطيا
والده (٦) . الأمر الذى لا يحدث عادة الا لعدم الأهلية كما فى سابقة تنحية
الصادق لولده اسماعيل ، التى لم يقبلها أتباع اسماعيل . وهذا ما يحول
دونه قلق اسماعيل المنصور من طول انتظاره الاعلان عن ولايته للعهد التى
تعنى مشاركته فى الحكم كنوع من التمهيد العملى والتأهيل . هذا ، كما
يمنع من عدم كفايته ما أظهره منذ اعلان ولايته للعهد ، وإن كان قبل فترة
وجيزة من وفاة القائم ، من : كفاءة شخصية بل ومن قوة احتمال بدنية ،
وشجاعة روحية ، وتضحية بالنفس والتفيس ، الى غير ذلك من البساطة
والتقشف والنزاهة (٧) . وهى الصفات المؤهلة دون غيرها من الصفات
والفضائل لتولى الخلافة وامارة المؤمنين فى أوقات الحرب والفتن (٨) ، وهى
الصفات التى أظهرها فى قتال أبى يزيد ، مما سبقت الإشارة اليه .

التساؤل :

ومن الواضح ان المنصور كان متفائلا بنتيجة الصراع ضد الزناتية
عن طريق الارادة أصلا والاختيار ، على عكس والده القائم الذى يظهر متوكلا
منتظرا عناية الله وقدره المقدر (٩) . فالمنصور جرىء يثير النخوة فى قلوب

(٦) المجالس والمسائرات ، ص ٤٦٩ - حيث النص على ان القائم كان يخاف على المعز
من تنكر المنصور له .

(٧) مما يشير اليه المنصور نفسه ، فى رسالة له الى جوذر فى اهل القصر حيث يقول :
« قد علم الناس كافة انى كنت نشأت معرضا عن الدنيا زاهدا فيها ، شبيها براهب من
الرهبان ... » الى قوله : ثم والله الذى لا اله الا هو ولا رب غيره : ما قبلت من أحد من
العباد درهما فما فوقه هدية قط الا من جوذر . (سيرة جوذر ، ص ٦٢) .

(٨) انظر الأحكام لسلطانية للماوردي ، ط : فصل الخلافة ، ص .

(٩) عيون الأخبار ، ص ١٦١ - عن رؤيا خريطة البلاد ومدنها مقشبة بالسواد كناية
عن استيلاء أبى يزيد عليها ، فكان المنصور كلما وضع يده على شيء منه يزول فى الحال ،
المجالس والمسائرات ، ص ١٣٢ - حيث يعلم المنصور علم النجوم الذى يثير المخطوط ولكنه
لا يعمل به ضد أبى يزيد . وعن موقف اللامبالاة من قبل القائم أنظر فيما سبق ،
ص ١٨١ وه ٥٦ .

رجالهم وانفزع في نفوس أعدائه ، والهيبة في أعين الناس ، حتى قيل ان المهدي كان يعرف انه كاشف المحنة ومطفىء نار الفتنة ، وهو جنين في بطن أمه (١٠) . وهو صلب في مواجهة متاعب الطريق ، من : سلوك الشعاب وتبليق الجبال ، والسير الطويل المسافات . ويظهر تفاؤل المنصور فيما كان يرتديه من ملابس الحرب الزاهية الألوان التي تشد الانتباه ، والمظلة المرفوعة « على رأسه كالعلم » ، فموضعه معروف للأمنصار والأعداء . فهو عند التعبئة وآخر أيام الكفاح في بلاد الزاب وقلعة كيانة « يلبس جوشنا وفوقه خفتان أحمر مثقل بالوشى ويتعمم بعمامة صفراء » (انظر عيون الأخبار ، ص ٢١٩) أو « يلبس قباء أصفر ويتعمم بعمامة صفراء ، ويرخي ذؤابته » (عيون الأخبار ، ص ٢٤٨) ، أو يخرج للقتال في ثوب أحمر موشى ، مذهب الإكمام والأذيال ، وعمامة حمراء معمة الطرفين مذهبة ، وقد أرخى لها ذؤابة ، ويده درقة مغطاة بديباج أحمر مصبغ بصفرة (عيون الأخبار ، ص ٢٥٦) .

الجرأة والعلم :

ولا شك ان تلك الجرأة التي صدمت الأعداء نفسيا ، ورفعت شأن الأولياء معنويا ، كانت تستند الى جانب صدق النية وقوة العزيمة - الى صحة العقيدة وسلامة الايمان بتعاليم المذهب ، وخاصة فيما يعد به من النصر والظفر في علم الحدثن . وهنا يصور الكتاب ، وعلى رأسهم القاضي النعمان ، أبا الطاهر اسماعيل جامعا بين فخر الجهاد المظفر وزهو العلم الأصيل المتمثل في التأويل . فهو محب للعلم جماع للكتب (١١) . وهو عالم بالنجوم ، وان كان لا يؤمن بتأثيرها في الخطوط ، فلا يلتفت الى استخدامها أثناء فتنة أبي يزيد (١٢) . هذا كما ان المنصور جمع الى فصاحته وبلاغته القدرة على نظم الشعر . فمن ذلك ما نظم في انتصاره يوم المسيلة على أبي يزيد ، وبعثه الى ولي عهده المعز ، ومنه :

أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد بسيفي أقدر الهام تحت المغافر

(١٠) عيون الأخبار ، ص ١٦٢ .

(١١) المجالس والمسايرات ، المقدمة ص ٢٣ والنص ص ٥٠٢ - حيث يقول ان المهدي كان يوجه المنصور الى الاهتمام بطلب الأرواح أى علم الباطن ، وأنه ناوله كتابا ضخما في هذا المجال ولكنه طلب اليه ألا يراه أحد لديه ، بل ألا يطبع أباه عليه .

(١٢) المجالس والمسايرات ، ص ١٣٢ وص ١٣٣ - حيث الإشارة الى عدم ايمان الصادق بعلم النجوم أيضا ، وانظر أيضا ص ٤٣٩ .

ومنه أيضا :

أجوب القفار وأطوى الرحال وأحمل نفسى لهول مهول
(عيون الأخبار ، ص ٢١٧)

وهكذا لم يكن من الغريب أن يكون المنصور هو المعلم الأول لولى عهده المعز الذى يعتبره القاضى النعمان « مصدر كل العلوم وأساس التأويل وكاشف الأسرار » (١٣) . فالمنصور هو الذى علم المعز أصول الجدل والمناظرة ، وتعريفه بالقاعدة الذهبية فى الجدل ، وهى : أن العلم لا يثبت الا بعد الحجة والمعارضة (١٤) .

وفى سبيل العلم والدفاع عن المذهب لم يترك المنصور عدوه أبا يزيد يهلك مشخنا بجراحه بل يأمر بعلاجه ومداواته ، لكى يقوم بمناظرته من أجل معرفة كنه دعوته ، وأسباب احتسابه ، وما كان ينكره على الأئمة . وهو يفحمه فى كل ذلك ، حسبما تعلمه من أصول الجدل وأساليب المناظرة ، بناء على قواعد المذهب واستنادا الى علم الأئمة (أنظر فيما سبق، ص ١٨٩ و ٧٨٨) .

والمنصور فى النهاية محب للعلوم الدنيوية ، فهو مغرم بالآثار المغربية القديمة . يشاهدها أثناء جولاته الحربية ، ولا يكتفى بالاستمتاع بجمالياتها المعمارية والفنية ، بل يطلب المترجمين العارفين باللغة اللاتينية لفك رموز نقوشها ، وقراءتها ، وترجمتها الى العربية ترجمة صحيحة ، كما حدث فى حملة لواتة قريبا من تاهرت (انظر فيما سبق ، ص ١٩٣ - ١٩٤) . وتظهر محبته للعمارة والفن فيما أنجزه وخلد ذكره ، فى تحويل ضاحية صبرة بالقيروان الى مدينة ملكية تحمل لقبه ، فهى المنصورية (انظر فيما بعد ص ٢٠١) .

ورغم كل هذه الصفات التى رفعت من شأن المنصور وهيبته فى القلوب مما كان يمكن أن يكون مصدر زهو وتكبر له ، عرف المنصور بتواضعه .

(١٣) المجالس والمسايرات ، المقدمة ص ٢٤ ، ٤٣٥ حيث قراءة الحكمة يوم الجمعة ، واتفاق الفقهاء على دفتر يقال له « مجلس الحكمة » يقدم الى المعز ليحيز تلاوته على المؤمنين بمعرفة داعى الدعاة .

(١٤) المجالس والمسايرات ، ص ١١٧ ، ١٣٣ - حيث كان المنصور يشجع المعز على مناظرته .

فهو ينهى القاضى النعمان عن تقبيل الأرض بين يديه - الأمر الذى لم يقبله المعز بعده (١٥) .

جوامع الأضداد :

وهكذا يكون المنصور قد جمع فى شخصه عددا من المتناقضات . من : الصحة والمرضى ، وحب الحرب والعلم ، مما يتمثل فى القوة والضعف أو السماكة والشفافية ، ويرمز فى النهاية اذا صح القول - الى وحدة الأضداد متمثلة فى النفس الانسانية بمنازعتها الى الخير والشر .

السياسة الداخلية :

كتمان توليته للعهد :

رغم ما عاناه المنصور من كتمان توليته للعهد لمدة طالت الى أكثر من اثنى عشر عاما ، فانه عندما آلت اليه الخلافة بعد وفاة القائم كان عليه أن يبقى فى الظل لأكثر من خمسة عشر شهرا من خلافته ، حتى تنتهى ثورة أبى يزيد (١٦) ، فكان الكتمان قد أصبح مع قيام الدولة الفاطمية من مبادئ أصول الحكم والسياسة ، بعد أن كان من قواعد التشيع والمذهب . وهكذا ظل المنصور يمارس اختصاصاته وكأنه أمير ولى للعهد ، مفوض من قبل الامام ، الى نهاية الثورة الزناتية . فهو يصدر السجلات ، (الخطابات الرسمية) الى العمال ويخاطبهم باسم « الأمير اسماعيل » أو « ولى عهد المسلمين » مباشرة دون مداراة ، أو مع الاشارة الى ان الكتاب موجه الى أمير المؤمنين اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وان اختلف الأمر بالنسبة للدعاء فى الخطبة على المنابر حيث يقتضى الأمر ذكر الأئمة متسلسلين ، ومن بينهم آخرهم : محمد أبو القاسم القائم - دون ذكر اسمه هو (١٧) .

(١٥) المجالس والمسايرات ، ص ٥٧ . هذا وان قالت رواية أخرى ، ص ٦٥ - ان المنصور كان أرفق بالناس من المنصور ، وذلك بمناسبة تراحم الناس فى ساحة القاضى .

(١٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٥٥ .

(١٧) انظر سيرة الأستاذ جوذر ، ص ٤٤ حيث استخلاف جوذر على المهديّة وسائر البلاد وكانت تردّ اليه مكاتبات المنصور باسم القائم بأمر الله ، بعد وفاة القائم ، ص ٤٥ - حيث خطاب انتصار يوم الجمعة على أبى يزيد ، وفيه « ولى عهد المسلمين سيف أمير المؤمنين » يوجه الخطاب الى « سيدنا ومولانا أمير المؤمنين » . وقارن عيون الأخبار للداعى ادريس ، ص ١٩٤ - حيث أمر المنصور حاجبه (جعفر بن على) بالترجى الى جامع القيروان =

اعلان خلافته :

وفى نفس اليوم الذى تم الظفر فيه بأبى يزيد ، وهو الخميس ٢٩ من المحرم سنة ٣٣٦هـ / ٢١ أغسطس ٩٤٧م أصدر المنصور الأوامر بالسلام عليه ، وتوجيه الخطاب اليه : باسم : « أمير المؤمنين » ، والكتابة بذلك الى الأمصار أو الأعمال ، لاداعته بين الرعية ، والدعاء به على المنابر ونقشه على المنسوجات الحكومية ، الخاصة بالملايس الرسمية ، وطبعه على النقود (١٨) .

اما عن ابنه معد (أبو تميم المعز) فقد كان اعلان ولايته للعهد سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٠م أى قبل فترة وجيزة من وفاة المنصور سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م التالية (ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٢٤) .

بسماء المنصور :

أما عن أول أعمال أبو الطاهر اسماعيل المنصور ، بعد أعماله الحربية ضد الزناتية ، هو اتخاذ مدينة ملكية جديدة تعبر عن طبيعة عهده الذى يمثل النصر والفتح الايجابى ، فهى المنصورية ، على عكس المهديّة التى مثلت فى الفكر الشييعى الدفاع والصمود . والذى يفهم من النتف الصغيرة التى

فصل الجمعة وأقام الخطبة باسم الأمير اسماعيل . ص ١٩٦ - حيث كتب المنصور كتابا الى المهديّة وأمر جودز الأستاذ أن يقرأه على المنبر فى المهديّة ، وفيه يصف نفسه « بولى عهد المسلمين سيف أمير المؤمنين » ، وفيه « وقد بعثت كتابى هذا الى أمير المؤمنين مولانا وسيدنا ، بتأريخ ذى القعدة / يونية ٩٦٤م » ، وص ١٩٧ حيث وجه الخطاب الى كتامة ، وفيه من الأمير اسماعيل الى عهد المسلمين ، ص ٢١٢ حيث الخطاب الموجه الى قدام الخادم ، عاملة على المنصورية والقبروان - بتاريخ ١٤ جمادى الأولى سنة ٣٣٥هـ / ١٢ ديسمبر ٩٤٦م ومثل كتاب النصر النهائي على أبى يزيد وأسرّه ، المؤرخ فى ٢٥ محرم سنة ٣٣٦هـ / ١٧ أغسطس ٩٤٧م ، حيث يرسل الكتاب « من الأمير اسماعيل الى عهد وابن أمير المؤمنين » ص ٢٦١ ، وانظر ص ٢٣٩ حيث خطبة الفطر سنة ٣٣٥هـ / ٢٥ ابريل ٩٤٧م ، وفيها اسم القائم ، وكذلك خطبة الأضحى فى نفس السنة ص ٢٥١ .

(١٨) عيون الأخبار ، ص ٢٨٠ - حيث النص فى الخطاب الموجه الى عامل أفرنجية ، على انه « لم يزل أمير المؤمنين يأخذ نفسه بطنى ما آتاه الله من شرف الخلافة وفخر الامامة ... لانشغاله بالجهاد وطلب الفاسق مخلص ابن كداد ... وبعد هلاك الفاسق أحب أمير المؤمنين ابداء ما اختصه الله من كرامته من بهاء الخلافة ... وأمر انشاء الكتب الى جميع الألقاق ... (حيث) انتظم أمر الدين وقامت شرائعه ... والتقدم فى اذاعته فى الأولياء والعبيد والرعية ليحمدوا الله على ما منحههم ببركة أيام أمير المؤمنين .. فاقم الدعاة على المنابر ... وممر نائبات ذلك فى الطرز ونى دار الضرب .

يقدمها الكتاب أن المنصور اختار موضع صبرة ، وهي الضاحية الجنوبية على بعد نصف ميل من القيروان في مقابل رقادة الشمالية ، لتكون مقرا جديدا له ، وذلك عندما لاحت تباشير النصر على عدوه أبى يزيد الذى كان ينهزم أمامه فى القيروان فى أواخر سنة ٣٣٤ هـ / يونيه - يوليه ٩٤٦ م . وذلك أن الأوامر صدرت بالبناء الذى عهد به الى قدام الحادم الصقلاوى عقب انتصار القيروان الفاصل على أبى يزيد فى معركة يوم الجمعة ١٤ محرم سنة ٣٣٥ هـ / ٦ أغسطس ٩٤٦ م ، فى نفس مكان معسكره فى أرض المعركة ، استبشارا بالمكان وبالحدث . وهكذا فبعد أن أقام المنصور بالله فى خندقه بقية شهر المحرم وشهر صفر ، وأخذ يستعد للخروج فى أثر أبى يزيد « أمر بعمارة مدينته فى ذلك المكان ، فى شهر ربيع الأول سنة ٣٣٥ هـ / أكتوبر ٩٤٦ م ، وسماها المنصورية » ، « وأمر بأحكام سورها ورفع بنيانها » . وعند الرحيل أصدر الأمر بتعيين قدام الحادم واليا (عاملا) على كل من القيروان والمنصورية ، وطلب اليه ألا يتراخى فى البناء (١٩) ، ومنذ ذلك الوقت كان قدام الصقلاوى يتلقى أخبار الحملة المظفرة بصفته أمين دار الخلافة ، وأقرب العمال الى الأمير (انظر فيما سبق ، ص ٢٠١ حيث بقية هـ ١٧) .

التخطيط :

اما عن التخطيط حسبما ينقل عن البكرى ، فكانت المنصورية مربعة لها ٤ (أربعة) أبواب فى الاتجاهات الأصلية الأربعة (٢٠) بمعنى انها كانت شطرنجية الشكل يخترقها طريقان رئيسيان متقاطعان ، ينتهى طرف كل منهما عند واحد من الأبواب الأربعة . والفروض أن يكون موضع تقاطع الطريقين الرئيسين هو سرة المدينة حيث المسجد الجامع الذى لا يبعد عنه القصر كثيرا ، والذى تحيط به الأسواق التجارية التى نقلت بأمر المنصور

(١٩) عن يوم الجمعة أنظر سيرة جودر ، ص ٤٢ - حيث رسالة المنصور ، وقارن ابن حوقل ، ص ٧٤ ، وقارن عيون الأخبار ، ص ١٩١ وما بعدها ، وص ٢٠٢ - ٢٠٣ (عن المنصورية) وابن عذارى الذى يجعل البناء فى سنة ٣٣٦ هـ / ٤٧ - ٩٤٨ م ، أى عقب النصر النهائى وأسر أبى يزيد .

(٢٠) أنظر البكرى ، ص ٢٥ - حيث النص على انه كان لصبره ٥ (خمسة أبواب) : قبل (جنوبى) وجوفى (شمال) وشرقى وباب الفتوح (غربى) بالإضافة الى باب كناتمة الذى لا يعرف اتجاهه . وقارن ابن حمادة ، ص ٣٤ - حيث الباب الشرقى : زويلة ، والجوفى : كناتمة ، والغربى : باب الفتوح .

- ٢٠٣ -

من القيروان الى مدينته الجديدة (٢١) . اما عن انتقاله فكان في ٢٩ شوال سنة ٣٢٧ هـ / ١ مائة ٩٤٩ م ، عقب عودته من حملة المغرب ، وبقيائه في القيروان لبعض الوقت (٢٢) .

وقد تانت المنصورية موضع عناية المعز ، بعد المنصور ، اذ زادت رقعته ومبانيها وازدهرت قصورها ومرافقها ، فجلب لها الماء على الحنايا من الجبال البعيدة ، كما شق لها الأنهار ، مما يرد ذكره في مجالس النعمان ومسائراته (٢٣) . والحقيقة ان الاختلاف في تاريخ طريق الانتقال اليها ، قد يعنى بقاء مبدأ الكتمان مع استمرارية نفس نظام الحكم ، مما يتمثل في بقاء الحجابة مع جعفر بن علي .

البقايا :

ولقد دلت التنقيبات الأثرية في خرائب صبره المنصورية ، على بقايا من الحجر والرخام المنقوشين والزجاج الملون ، كما بينت بقايا القصور عن أساسات تتداخل فيها ٣ (ثلاث) قاعات متوازية . أما عن مواد الرصف فهي مربعات من اللبن المجروق أو قوالب الطوب بغير « مونة » أو بمونة من التراب والحصى ، مع وجود بعض قوالب الطوب المزججة من وجه واحد . اما عن مواد الكساء فتتراوح ما بين طبقة من الجص المنحوت بورقة الاكائنوس أو مربعات الفخار من مزججة وغير مزججة (٢٤) .

(٢١) البكري ، ص ٢٥ - حيث النص على ان طوله في القيروان كان ميلين تقريباً ، وانظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٢ . اما ما نقل عن ابن حوقل في وصف المنصورية ، فهي حسنة عجيبة الأبنية واسعة الأفنية ، معدومة النظير ، عيون الأخبار للداعي ادريس ص ٢٩١ .

(٢٢) ابن حوقل ، ص ٧٤ ، انظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٣ - حيث نص ابن حساده الذي يقول ان المنصور دخل القيروان سنة ٣٣٧ هـ / ٤٧ - ٩٤٨ م عقب ظفريه بابي يزيد ، فقتل بعض الناس وعذب آخرين ، بينما ينسب تاريخ دخوله المنصورية في سنة ٣٣٧ هـ / ٤٨ - ٩٤٩ م الى القضاء ، وقارن ابن حوقل الذي يحدد التاريخ الذي أخذنا به بدقة ، ويصف المنصورية بأنها من ظهر القيروان أى من ضواحيها الخارجية . وقارن عيون الأخبار ، ص ٢٩ - حيث الإشارة الى ان ولي عهده المزلحق به هناك .

(٢٣) انظر ابن حماده ، ص ٣٤ - حيث أسماء قصور : الايوان ، الكافور ، التاج ، الربحان ، الفضة ، الخلافة ، الخورنق ، وغيرها . وانظر للمؤلف ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، ط : الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢٤) انظر سليمان مصطفى زبيس ، المهديّة وصبره منصورية ، المجلة الآسيوية (J.A.t. CCXLIV) سنة ١٩٥٦ ، ص ٨٤ - ٩٢ (عن المنصورية) .

أصول الحكم عند المنصور :

المهادنة والوفاق :

مغزى بناء المنصورية :

بناء المنصورية يعتبر رمزا لنظام حكم جديد ، فاعاصمة الجديدة بالنسبة للدولة نوع من تغيير الرى القديم بى حديث . يغير من الهيئة الى ما هو أفضل . ولما كان المقام فى المنصورية بدلا من المهديّة يعنى العودة الى انقيروان ، فإن هذه تعنى بالتالى الوفاق بين نظام الحكم الفاطمى وبين أهل العاصمة الافريقية العريقة . وبناء على ذلك فإن ما يقال من أن المنصور أساء الى أهل انقيروان بعد ظفره بأبى يزيد ، وأن محنتهم معه بقيت حتى وفاته (٢٥) ربما كان المقصود بها ملاحقة بعض من كان لهم نشاط خاص مع أبى يزيد . فالمفروض أن القاعدة الذهبية فى العمل عند المنصور ، وهى أعز نصيحة كن يقدمها لولى عهده المعز ، تتلخص فى : « اعمل ما يسرك أن تقتدى به » (٢٦) . ويظهر برنامج السياسة فى أول خطبة له فى عيد الفطر ، بعد اعلان ولايته للعهد ، وايغاز القائم اليه بوصيته مما يعتبر عند الداعى ادريس : استقلالا بالأمر . وظهورا من السر الى الجهر (٢٧) . فكان أول ما بدأ به المنصور ، بعد البسملة والحمد له والتشهد ، هو « طلب المغفرة من الناس » ، وحثهم على الحفاظ على الدين - ضمير المسام الحق . وفى ذلك قال الشاعر محمد بن أحمد الطرزى :

يحق لنا أن ننصف الفخر والمجدا ونكسر فيك الشكر لله والحمد (٢٨)

الكرم والتواضع :

والمنصور يتخذ الكرم وبذل المال مبدأ أخلاقيا فى الحكم . فهو يطفى كتمان وفاة أبيه القنائم بكثرة الصلوات (٢٩) ، كما أخرج بهذه المناسبة الصدقات فى المساكين والفقراء والمحتاجين (عيون الأخبار ، ص ١٥٨) . وهو بمناسبة انتصار يوم الجمعة بالقيروان (١٣ المحرم سنة ٣٣٥ هـ / ١٤

(٢٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٣ .

(٢٦) المجالس والمسايرات ، ص ٩٦ - « اعمل من الأعمال ما يسرك أن يقتدى بك فيه » .

(٢٧) عيون الأخبار ، ص ١٥٩ .

(٢٨) عيون الأخبار ، ص ١٥٧ .

(٢٩) المجالس والمسايرات ، ص ٩٦ .

أغسطس ١٩٤٦م) ، يعلن عن طريق حاجبه جعفر بن علي من أعلى منبر الفيروان الاعفاء العام من ضرائب سنة ٣٣٥هـ / ٤٦ - ٩٤٧م ، من العشر « ضريبة الأرض » ، والصدقة (الزكاة) وجميع اللوازم من المسلمين والذميين . رفقا بهم ، وعون لهم على عمارة أرضهم وبواديهم . كما تقرر ألا تؤخذ منهم الضرائب في السنوات التالية الا حسبما تقضي القوانين الشرعية : عينا من نوع الانتاج ، سواء كان نباتيا أو حيوانيا(٣٠) . والمنصور لا يكتفى بالعفو عن أحمد أمي أبي يزيد عندما طلب الأمان ، بل يهديه الخلع ، ويعطيه ألف درهم (عيون الأخبار ، ص ٢٨٩) . وهو يبدأ عهده بعد ذلك بالعفو عن المحبوسين فيطلق سراحهم من السجون (عيون الأخبار ، ص ١٦١) . ويظهر تعاطفه مع الضعفاء من الناس وتواضعه وعدم تعاليه في رده على والده عندما أوصاه بخادمه (المملوك) جوذر ، اذ قال له : « هل جوذر الا واحد منا »(٣١) ، فكانها دعوة « الأخاء والمساواة في ذلك العصر الوسيط » . ومنذ ذلك الوقت ارتفع شأن جوذر ، اذ ولاه المنصور المهدي العاصمة وقتئذ ، وجعل له الحل والربط في جميع الأمور (عيون الأخبار ، ص ١٦١) ، فكان جوذر بذلك أصبح « الحاكم » العام على البلاد كلها نيابة عن الامام «(٣٢) » .

اقامة العدل :

والى جانب الكرم تتمثل سياسة الوفاق في اقامة العدل ، الذي به يحيا العام ، كما تقتضي به أصول السياسة المدنية(٣٣) . وتمثلت العدالة

-
- (٣٠) انظر عيون الأخبار للداعي ادريس ، ص ١٩٥ .
 (٣١) سيرة الاستاذ جوذر ، ص ٤٤ ، عيون الأخبار ، ص ١٥٨ .
 (٣٢) انظر سيرة جوذر ، المقدمة ص ٦ - حيث كانت كتب المنصور ترد الى المهدي باسم القوائم وهي في الحقيقة لجوذر . وبعد النصر على أبي يزيد كافا المنصور جوذرا فعتقه وشرقه بلقب « مولى أمير المؤمنين » ، وهو اللقب الذي لم يشاركه فيه سوى جوه الصقلي بعد فتح مصر على عهد المنصور ، وأن احتفظ بالصدارة ، فكان ثالث رجل في الدولة بعد الامام وولي العهد ، فكانه في مرتبة الوزير التي لم تكن معروفة وقتئذ ، الى غير ذلك من مراتب التشريف التي حباها بها المنصور ، من : اثبات اسمه على الطرز ، والركوب في هوكب رسمى ، والجلوس الى مائدة الامام ، وفي ذلك انظر النص ص ٣٩ (جوذر صاحب بيت المال ومستودع المنصور) ، ص ٤٤ (استخلاف جوذر على سائر البلاد) ص ٥١ (عتق جوذر وتلقيه) ص ٥٢ (اسم جوذر على الطرز والبسط) ، ص ٦١ (رسالة المنصور الى جوذر في أهل العصر) .
 (٣٣) انظر كتاب اليهود وسر الأسرار ، نشر وتحقيق عبد الرحمن بدوي ، ط٠ دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ ، وقارن ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق علي عبد الواحد ، ص ١ ص ٤١٦ ، وانظر فيما بعد ، ص ٣٦٩ وه ١١٤ .

أيام المنصور في شخصية النعمان بن محمد بن حيون الذي عين قاضيا بالمعاصمه الجديده المنصورية ، بعد افراخ من بناتها ، مع القيروان وكل أعمال أفريقية ، و « جميع ما استولت عليه المملكة العلوية برادعوة الشريعة الفاطمية » (٣٤) فكانه المسئول عن القضاء في كل بلاد ، مثل قاضي القضاة في المشرق العباسي . وبهذه المناسبة كان نهى المنصور للقاضي النعمان عن تقبيل الأرض بين يديه ، وهو ما يعتبره الفاطمي المخلص في خدمة الأئمة . أمرا غير ملزم لأنه اختبار بمثابة النهي عن المعروف (٣٥) . أما عن ساحة القضاء فكانت سقيفة القصر الخلافي التي لم تتسع وقتئذ لوقوف جميع المتقاضين وخاصة النساء منهم ، والضعفاء الذين لا يتحملون مزاحمة الرجال لهم ، الأمر الذي دعا القاضي النعمان الى عرض المسألة على ولي العهد المعز الذي تدخل لدى والده الامام حتى صدر توقيع المنصور بالمال اللازم لبناء موضع فسيح يصل فيه الناس الى القاضي دون معاناة (٣٦) . ويصل اهتمام المنصور بالقضاء الى حد تأنيب النعمان الذي كان يرجع اليه في الصغيرة والكبيرة ، وانهامه بالتقصير نتيجة لهذا الضعف الذي بدر منه ، فكانه أراد له أن يتشدد في أحكامه حفاظا على هيئته كقاضي ، وأن يكون المرجع الأخير في تلك الأحكام حتى يتحقق للقضاء ما يرجى له من نزاهة واستقلال (٣٧) .

اعادة الثقة مع الكتامين :

وتظهر سياسة الوفاق هذه في أجلى معانيها ، في العمل على اعادة الثقة بين الدولة وبين أتباعها الأوائل من الكتامين الذين انشروحت وحدتهم بثورة أبى يزيد الذي نجح في استمالة بعضهم اليه مثل بنى كملان . فالمنصور يرد الاعتبار الى قبائل كتامة الذين أظهروا بدورهم استعدادا طيبا للعودة الى أنس الطاعة والبقاء في الخدمة ، الأمر الذي يعنى تقوية « الجبهة الداخلية » كما يقال الآن ، من غير شك ، فالمنصور بالغ في تحريض

(٣٤) عيون الأخبار ، ص ٣١٥ .

(٣٥) أنظر المجالس والمساربات ، ص ٥٧ - ٥٩ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٢٠٠ و ١٥٥ .

(٣٦) المجالس والمساربات ، ص ٦٥ ، ٧٠ .

(٣٧) المجالس والمساربات ، ص ٧٥ - وهنا لا بأس من الإشارة الى ما يذكره القاضي النعمان (ص ٣٤٨) من تجامل المفرضين عليه لما ولده المنصور قضاء أفريقية ، وكيف أنهم روجوا الشائعات في شأنه ، فكان يقول ان ذلك كان السبب في تأنيب المنصور له ، الأمر الذي دعاه الى الشكوى الى المعز ولي العهد الذي هدا من روعه وبين له انه أهل للثقة فيه .

الكتاميين على الاخلاص للدولة ، وبالسك في مديحهم الى حد القول :
« لو أعداؤنا في الجنة لاختار الكتاميون النار » (٣٨) .

وتنظر تلك المحاباة لكتامة ، ودعوتها الى التمسك بالطاعة في الكتب التي كان يرسلها اليهم المنصور بعد القائم ، أثناء الثورة الزناتية ، وكذلك في الخطب التي كانت تلقى من أعلى المنابر يوم الجمعة أو في المناسبات المختلفة . ففي خطبة القائم التي ألقاها القاضي أيام حصار المهديّة ، تذكر لكتامة بما مضى عليه أبائهم من لزوم الطاعة والمجاهدة لله ، وانهم « خبيثة الله لهذا الحق المحمدي الفاطمي المهدي » وانهم « كحواري عيسى وأنصار محمد » ، فهم « أبناء المهاجرين والأنصار والأولين السابقين المقربين » (٣٩) . وفي خطبة المنصور التي يعلن فيها موت أبيه القائم يصف كتامة بأنهم أهل الدعوة وأنصار الدولة ، الذين فضلهم الله على كافة الخلق في غرب وشرق ، « اذ بصركم والناس عميان واذا هداكم والناس ضلال الى دينه ونصرة حقه وطاعة وليه » . وهو يعلن في الختام : « اللهم اني أصبحت راضيا عن كتامة لاعتصامهم بحبك وصبرهم على البأساء والضراء في جنبك ، تعبدوا لنا واعترافا بفضلنا ، وأداء لما افترض الله على العباد لنا ، وتوسلا اليك بطاعتنا ثم يأتي الدعاء لهم بمضاعفة حسناتهم ومحو سيئاتهم ، وحشرهم في زمرة النبي الذي دانوا به والولي الذي والوه (٤٠) » .

اما عن كتاب القائم الى الكتاميين بعد سقوط القيروان ، فهو موجه الى جماعة لهيصة يخبرهم بما سبق أن وجه اليهم من الكتب ، وبأمرهم بالاسراع في الخروج لجهاد الفاسقين الكفرة ، الذين ظفروا بالأربس والقيروان بنفاق أهل أفريقية ، وغدرهم بخليل في القيروان ، ويأخذ عليهم تشاقلهم عن القدوم ويحذرهم من ذلك ويرغبهم في ابتغاء رضا الله وحمد أمير المؤمنين (٤١) . وكتاب المنصور الى كتامة بتاريخ ٢٩ ذي القعدة سنة ٣٣٤هـ / ٣ يولية ٩٤٦م بعد انتصار « يوم الجمعة » بالقيروان ، يشير فيه الى تتابع كتبه اليهم لما فيه رضا سيدهم (القائم) الذي رضاه من رضا رب العالمين وتشاقلهم . وهو يزرهم ويشبههم بأشباه الرجال ويهددهم بعدم الكتابة

(٣٨) المجالس والمسائرات ، ص ٢٠٣ .

(٣٩) انظر سيرة جودز ، ص ٥٤ ، عيون الأخبار ، ص ١٢٠ - حيث النص خطأ على ان

الناشي هو المروزي (محمد بن عمر) .

(٤٠) سيرة جودز ، ص ٥٩ .

(٤١) عيون الأخبار ، ص ١١٢ - ١١٣ .

اليهم بعد هذا ، ويرجو لهم التوبة (عيون الأخبار ، ص ١٩٧ - ٢٠٠) .
وعما ورد في خطبه الفطر ، أول شوال سنة ٣٣٦ هـ / ٢٠ أبريل ٩٤٨ م ،
في مصلى المهدي خارج المدينة ، حيث اجتمعت عائلته الامامية ، من : الحفيد
وولي العهد المعز وخلفه أفراد العائلة المهدية على طبقاتهم من : الأعمام ثم
الأخوة وأبناء الأخوة . وبعد النواح على الوالد (القائم) والجد (المهدي)
وجه المنصور الخطاب الى : أهل الدعوة من الأنصار من كتامة ، وذكر
ما اختصهم الله به من الفضل على كافة الخلق في غرب وشرق ، فبصرهم
والناس عميان ، وعلمهم والخلق جهال ، لكي يختم الخطاب مقررًا انه أصبح
راضيًا عن كتامة لاعتصامهم بسبل الله . وصدهم على البساء والضراء ،
والدعوة لهم أخيرا برضاء الله عنهم ، ومضاعفة حسناتهم ، وتخليد العز في
أعقابهم (عيون الأخبار ، ص ٣٠٣ - ٣١٠) - الأمر الذي سيزداد توثقا
ووضوحا على عهد المعز .

إعادة الحجر الأسود :

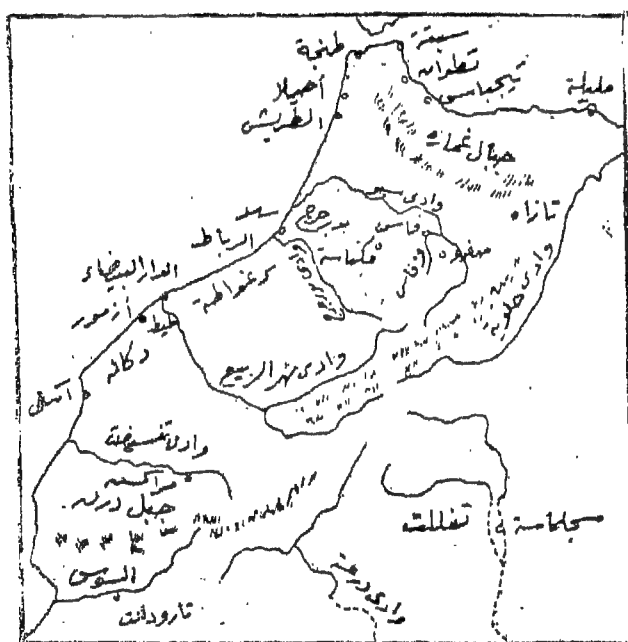
ومن أهم ما يدخل في سياسة التهذيب والوفاء ، عمل المنصور على
إعادة الحجر الأسود الى موضعه في الركن من الكعبة ، الأمر الذي يعتبر نوعا
من التوفيق العام بين المغرب الفاطمي والمشرق العباسي ، أي بين الشيعة
والسنة ، فهو أشبه بما يسمى أيامنا هذه الوفاق بين الشرق والغرب بنظمهما
الرأسمالية والاشتراكية . ففي سنة ٣٣٩ هـ / ٥٠ - ٩٥١ م قام المنصور
باتصالات مفيدة مع القرامطة بالمشرق ، انتهت برد الحجر الأسود الذي كان
قد خلعه سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، أيام الخليفة المطيع العباسي ، أي بعد غيبة
٢٢ (اثنين وعشرين) سنة (٤٢) .

الصراع في المغرب : (أنظر شكل ٤ ص ٢٠٩) :

ولكن سياسة الإدارة والوفاء بالنسبة للمشرق العباسي حيث الخلفاء
الضعاف وقتئذ ، لم يكن من الممكن ممارستها في المغرب البعيد اذ كان
الصراع على أشده مع الأمويين خلفاء قرطبة ، وكان الوقت هو عصر أعظمهم
عبد الرحمن الناصر الذي امتد حكمه من سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م الى ٣٥٠ هـ /

(٤٢) أنظر ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٠٣ - حيث ترد روايتان احدهما
تقول بتحريك المنصور بنفسه الى بلاد المشرق لهذا الغرض - وهو ما لا يعرفه المؤرخون -
والأخرى تقول ان اخوة القرمطي هم الذين ردوه بقدر موت أخيهما .

٩٦٦م • وهكذا قدر لنصرع أن يستمر بين القيروان وقرطبة على عهد المنصور والناصر في المغرب الأقصى في كل جهات تادلا وتامسنا حيث البرغواطيين ، وفي فاس حيث المكناسيين من آل ابن أبي العافية ، وفي تاهرت ونكور وارشقول حيث الأدارسة (من بني محمد) وبني صالح (العبد الصالح) ، وأخيرا في سجلماسة البعيدة حيث كانت أسرة الملوك من بني واسول قد غرست جذورها بعيدا في أرض الاقليم •



المغرب الأقصى

(شکل ۴)

يرغواطة والزبدقة :

ففي منطقة تادلا وتامسنا ، غرب بلاد مصب بورجرج (أبو القرقاق) كانت أسرة البرغواطيين من بربر مضمودة التي نشأت نشأة خارجية أيام ثورة ميسرة سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م ثم اتهمت بالزندقة عندما حاولت ترجمة القرآن الى البربرية ، كما نظن (أنظر ج ٢ ص ٤٣٠ وما بعدها) وكان ملكها حينئذ : أبو الأنصار بن عبد الله بن أبي عفير الذي حكم منذ مطلع القرن الرابع الهجري / ١٠م ، واقعيا في سياسته عندما والى عبد الرحمن الناصر ودخل في طاعته ، ونصح ولده : « أبو منصور » عيسى الذي ولي سنة ٣٤١هـ /

٦٥٢م ، وهي نفس السنة التي انتهى فيها عهد المنصور وبدأ عهد المعز ، بأن يسير على نفس سياسة الموالاتة لأمير الأندلس (٤٣) . والحقيقة أنه بسبب الموقع الجغرافي المتطرف فإن أمير الأندلس كان يكتفى من البرغواطيين بالاعلان بالولاء والطاعة ، الأمر الذي ظهر بجلالة على عهد الحكم المستنصر (بن الناصر) عندما أرسل أشهر الملوك البرغواطيين ، وهو أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن عفير ، رسوله المشهور « أبو صالح زمر البراغواطى » فى شوال سنة ٣٥٢هـ / أكتوبر - نوفمبر ٩٦٣م الى قرطبة ، فعرف بأصل الأسرة وأحوال ملوكها عن طريق المترجم عنه باللسان العربى : عيسى بن داود المسطاسي (٤٤) .

وبسبب المتناى لم تكن بالفاطميين حاجة الى بسط سلطانهم ، بل ولا نشر نفوذهم حتى بلاد البراغواطيين فى تادلا وتامسنا حيث كانت زندقتهم من شئون دول المغرب الأقصى وحدها ، ابتداء من الإدارة وحتى الموحدين الذين بنوا من أجل جهادهم ، مدينة الرباط - وباط الفتح - الحالية .

غمارة وادعاء النبوة :

ومثل هذا يقال عن حركة حاميم الغربية فى بلاد غمارة ، قرب نكور وأحواز طنجة وتطوان . وصاحب الحركة هو أبو محمد حاميم (حم) بن من الله من بنى وجفوال ، والمشهور بالمفتري لادعائه النبوة ، كما تقول الرواية . وأظهر حاميم دعوته فى موطنه بجبل قريب من تطوان (تيطاوان) وظهرت دعوته كحركة انفصالية بعيدة الانحراف عن الاسلام ، بفضل صبغتها المحلية . فهى مبنية على عادات أهل المنطقة وتقاليدهم فى أعمال السحر والشعوذة والتنبؤ بالغيب من أجل التحكم فى حظوظ الناس ، مما كانت تقوم به العجائز من النساء ، مثل عممة حاميم الذى وقع تحت تأثيرها ، كما يظن . ومن تفصيلات الحركة التى يصفها الكتاب بالزندقة والتنبؤ .

(٤٣) البكرى ص ١٣٧ - حيث صفة أبى الأنصار : أفتس شبه أسود الوجه ، ناصح بياض الجسم ، طويل اللحية ، يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس الاميص ولا يعتم الا فى الحروب ، ولا يعتم فى بلده الا القباء . أما عن أخلاقه فكان ظريفا يفتى بالتمهد ويحفظ الجاه ويكتفى بترهيب من حوله من القبائل بالغو ، فتهاديه وتستألفه . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٢١ .

(٤٤) أنظر البكرى ، ص ١٣٤ وما بعدها ، وقارن الاستيصار ، ص ١٩٧ وما بعدها . وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣١٨ .

يظهر انها تميل أصلا على الأخص الى الرخص والتساهل في تطبيق التعاليم ،
 مما يتعلق بترجمة القرآن الى اللغة البربرية والصلاة والصوم والحج ، وفي
 بعض أمور الطعام وآداب المائدة ، من حل وتحريم - وهي الأمور التي ربما
 تحورت عند الكتاب مع مرور الوقت (٤٥) .

والهمم أنه اذا كان حاييم قد قتل سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م بمنطقة مصمودة
 الساحل بأحواز طنجة ، فان ابنه عيسى الذي خلفه في زعامة المنطقة كان له
 شأن ، كما يقول البكري ، دخل الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر ،
 بمعنى موالاة الحركة الغمارية للأمويين في قرطبة (٤٦) .

غمارة والسحر في جبالها :

ويضيف البكري الى حركة حاييم ، حركة أخرى في جبل معكسة من
 بلد غمارة لرجل من السحرة يعرف بأبي كسية ، نسبة الى كساه الذي
 يلتحف به ، ويخرج البرق من تحته عندما يلوح به . وينص الشكري (ص ١٠١)
 على انه كان لبني الرجل وعقبة في القرن الخامس الهجري / ١١ م ، على أيامه)
 منزلة رمزية على من سواهم . أما عن فاس وبقية مناطق المغرب من تاهرت
 الى ملوية وما يدخل في نطاقها فقد ظلت موضع صراع ما بين قرطبة
 والمهدية على عهد المنصور بينما كانت سجلماسة البعيدة خارج النفوذ
 الأموي وكان لها وضعها الخاص . واذا كانت كفة الصراع قد مالت بعد ذلك
 الى ناحية المعز الفاطمي اعتبارا من سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ، عندما قام جوهر
 الضملي بجولته المغربية الكبرى حتى سواحل المحيط ، فان اشتغال المعز
 بأمور مصر والمشرق ، وما صاحبه من وصول الحكم المستنصر (ابن الناصر)
 الى خلافة قرطبة ، خففت من حمية الصراع ، وألقت بتبعته في القيروان على
 الزيريين ، خلفاء الفاطميين بالمغرب .

(٤٥) أنظر البكري ، ص ١٠٠ - ١٠١ - حيث النص على تنبؤ حاييم ، الذي وسع
 قرآنا بلسانهم وكيف جعل الصلاة صلاتين فقط ، وصوم يوم الخميس ونصف الأربعاء على أن
 تكون غرامة المخالف هـ (خمسة) أنوار ، وتحديد العيد باليوم التالي من الفطر ، وتحديد
 الزكاة بالعشر من كل شيء الى جانب إسقاط الحج والظهور والبضوء ، وتحريم الذكر من
 الخنزير فقط وتزكية الحوت (السمك) أى ذبحه ، وتحريم بعض الطيور عامة ؛ قارن
 الاستبصار ، ص ١٩١ ، ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ٢ ص ٢٧٦ .
 (٤٦) البكري ، ص ١٠١ .

فاس ما بين مكناسة والأدرسة :

وفيما يتعلق بفاس (القرويين) التي كانت تمسكت بولاية حسن ابن قاسم اللواتي مع قبول البيعة للقائم بعد الصلح مع ميسور الصقلي ، فانها ظلت بوضعها هذا بعد عودة موسى بن أبي العافية اليها سنة ٣٢٥هـ / ٣٦ - ٩٣٧م ، اذ عهد بولاية عدوة الأندلس الى يوسف بن محارب الأزدي الذي مدنها ، بعد أن كانت حصونا - أشبه بجبهة قتال (أنظر فيما سبق ص ١٦٩) . ولا بأس أن يكون موسى بن أبي العافية قد قبل طاعة شكلية لا ظائل وراءها من قبل حسن اللواتي . وبذلك يكون الأدرسة قد تملكوا ما كان بيد موسى ، وقاموا بدعوة أبي القاسم الفاطمي ، كما تقول الرواية (٤٧) باستثناء مدينتهم التاريخية فاس . الأمر الذي لا يتنافى مع تنازل حسن اللواتي عن ولاية فاس الى واليها السابق أحمد بن بكر ، عندما قدم متنكرا من المهدي بعد اطلاق سراحه سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م (٤٨) مع نهاية عهد المنصور وبداية عهد المعز ، وهي نفس السنة التي توفي فيها موسى ابن أبي العافية - حسب بعض روايات ابن خلدون (٤٩) .

والحقيقة ان الصراع ظل مستمرا بين الأدرسة وبين أبناء موسى بن أبي العافية الذين لم تنقرض دولتهم الا سنة ٣٦٣هـ / ٧٣ - ٩٧٤م ، على عهد محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى الذي توفي سنة ٣٦٣هـ / ٧٣ - ٩٧٤م (٥٠) ، وان مالت الكفة الى صالح الأدرسة الذين لن يكتفوا بالدخول في طاعة الأمويين بقرطبة ، بل بلغ بهم الأمر الى حد منازعة الأندلسيين خلافتهم في قرطبة نفسها ، مع انهيار المرwanيين في مطلع القرن الخامس الهجري / ١١م .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ .

(٤٨) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ - حيث الاشارة الى الصراع بين الحيز بن محمد بن خزر ومدين بن موسى بن أبي العافية ، وتدخل الناصر لاصلاح ذات البين بينهما بوساطة قاضية « مقدر بن سعد » ، وان كان لحاق البوري بن موسى ابن أبي العافية بأخيه مدين بعد فراره من العسكر الفاطمي سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م (بقيادة أحمد بن بكر) واقتسام البلاد معه ومع أخيه الآخر منقذ كان مما زاد في تعقيد الأمور حتى اعتبرهم ابن خلدون « ثلاثة الاثافي » .

(٤٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٦ - وان قدم رواية أخرى تذكر ان موسى توفي قبل ذلك سنة ٣٢٨هـ / ٣٩ - ٩٤٠م - وهي الرواية الراجعة .

(٥٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٧ .

بنو محمد الأدارسة : القاسم بن محمد « كنون » :

بعد فرار موسى الى الصحراء سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م أمام ميسور الفتى ، آلت الرياسة في بني محمد الأدارسة الى القاسم بن محمد المعروف بـ « كنون » (جنون) والذي ذاع صيته الى حد القول بأن « ملك كل بلاد المغرب الا فاس » ، وكان مقره في حجر النسر (٥١) ، من بلاد أرشكول . والحقيقة أن الأدارسة هددوا النفوذ الأموي في المغرب ، وخاصة عندما اعترفوا بسيادة أبناء عمومتهم الفاطميين ، فهذا ما أنزعج له الناصر حتى انه جهز وزيره قاسم بن محمد بن طلسم ، وجعله يعبر المضيق سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م الى المغرب لحرب الأدارسة من بني محمد ، كما دعا الزعيم المغراوي : محمد بن خزر الى تقديم العون لعساكره في مهمتهم هذه (٥٣) . وأتت الحملة بما كان يرجوه الناصر دون قتال ، وذلك أن الأدارسة من بني محمد سارعوا بالدخول في الطاعة ، وأرسلوا وفودهم يعلنون ذلك اليه بقرطبة (٥٣) .

أبو العيش بن كنون :

أما عن كنون فقد تمسك باندعوة الفاطمية ، وظل يناجز خصومه من أنصار الأمويين الى أن هلك بقلعته « حجر النسر » سنة ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م . وقام بعده ابنه أحمد بن القاسم كنون الذي اشتهر بأبي العيش ، وهو من مشاهير النابهن منهم ، اذ عرف الى جانب شجاعته بفقهه وعلمه ، وخاصة في الأيام والأخبار ، الأمر الذي أدى الى اشتهاره بلقب « الفاضل » . وكان أبو العيش أحمد الفاضل له ميل للمروانية ، كما يقول ابن خلدون ، وهو مما تقضى به سلامة الحس من حيث خسارة الصفقة التي يشتري فيها صداقة البعيد بعدواة القريب ، كما نرى . وهكذا دعا الفاضل للخليفة

(٥١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٧ - حيث النص على مشاركة أخيه ابراهيم له في الرياسة قبل نبرغه ، وقارن أيضا ، ج ٦ ص ٢١٧ .
(٥٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ .
(٥٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ - حيث النص على ان أول من سارع الى ذلك منهم ، هو : أبو العيش ادريس بن عمر الذي بعث بابنه محمد الى قرطبة فاحتفل لقدمه وأكد له العقد ، وكذلك فعل مع سائر بني محمد الذين بعثوا يوفودهم الى قرطبة . وقارن البكري ، ص ١٣٠ حيث وفد على الناصر : حسن بن القاسم (جنون) وأخوه عيسى يوم الاثنين ١٢ من شوال سنة ٣٣٣ هـ / ٢٩ ماية ٩٤٥ م ، وبقيا في ضيافة الناصر أكثر من ٣ أشهر ، ان صفر سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م .

الناصر ، وخطب له على منابر عمله ونقض طاعة الشيعة ، مما أدى الى مبايعة أهل المغرب كافة الا سجلماسة ، بمن فيهم أهل فاس التي استعمل عليها محمد بن الحسن (٥٤) . ومع ذلك فقد كان أحمد الفاضل يعلن الطاعة للناصر ولكنه كان في نفس الوقت غيورا على استقلال بلاده حتى انه رفض أن يمكن الناصر من طنجة وسبتة ، الأمر الذي تطلب من الناصر ترهيبه بالأسطول والزاه بالبقاء مع أقاربه من الأدارسة تحت الطاعة بمدينةنتى البصرة وأصيلة (٥٥) .

الصراع فيما بين أتباع الناصر :

هذا ، كما كان الصراع يدور أحيانا بين أتباع الناصر « الأعداء فيما بينهم » ، كما حدث في سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م عندما أدى الصراع بين البورى ابن موسى بن أبى العافية وبين الحسن بن عيسى الذى لجأ الى أرشكول وهزيمة هذا الأخير وارساله الى الناصر بقرطبة (٥٦) . ومثلما نجح الأدارسة

(٥٤) ابن خلدون ، ج ٦ ، ص ٢١٧ ، وقارن ج ٧ ص ٨٨ - حيث اذعان أهل المغرب للناصر والخطبة له على المنابر من تاهرت الى طنجة ، ما عدا سجلماسة ، وقارن البكرى (ص ١٢٩ - ١٣٠) الذى يرى ان « الفاضل » عالم الأدارسة هو : أحمد بن ابراهيم بن محمد الذى كان بلده من أجاجين بقبلى حجر النسر الى مدينة سبتة ، أما فاضلنا - فاضل ابن خلدون - وهو أبو العيش (أحمد) بن جنون (القاسم بن محمد) الذى كان بلده من أجاجين الى فاس ، فهو أحمد الأكبر الذى اشتهر بالعلم ، وكان له علم وقدر بالمغرب ، وهو الذى استجلب الشاعر بكر بن حماد ، ولكنه يعرف بـ « الكرتى » فكان الكرتى هو أحمد الأكبر ، والأفضل هو أحمد الأصغر ، وان كانا متعاصرين . فالفاضل أحمد الأصغر - عند البكرى - هو الشديد الميل الى خلفاء بنى أمية - لامتداد أملاكه الى سبتة الداخلة فى نفوذهم - وهو الذى فكر فى دخول الأندلس مجاهدا عندما استشار قاضى الجماعة بقرطبة محمد بن عبد الله بن عيسى سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، فأمر الناصر بتشجيعه على ذلك بالوعد بتشريفه ببناء القصور له والمنازل على طول طريقه الى محلة بلاط حميد بأقصى الشفر ، وبنفقة يومية تصل الى ألف مثقال . أما الكرتى أحمد الأكبر فقد وفد على الناصر من اخوته بنى جنون : حسن وعيسى ، مما سبقت الاشارة اليه - ه ٥٣ ص ٢١٣ .

(٥٥) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٨ ، وقارن ج ٦ ص ٢١٨ - حيث أخذ طنجة من يد أبي العيش الذى بقى فى أصيلا على بيعة الناصر ، وأنظر القرطاسى ، ص ٨٨ .
(٥٦) البكرى ، ص ٧٨ ، وقارن مع ما ورد فى البكرى فيما بعد ، ص ١٤٢ - ١٤٣ - حيث الاشارة الى أسر الحسن حفيد أبي العيش (على ابن ادريس محمد بن سليمان) ، مؤسس جراوة حيث وقع بين يدي البورى بن موسى بن أبى العافية ، سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م ، فى حصن سمالوا ، قبلى جراوة . وكان الحسن قد انتقل الى ذلك الحصن بأهله وماله وولده ،

من بنى محمد فى الأخذ بشأريهم من البورى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م بأن
من موه فى موضع يعرف بـ « الشيخ » فى بلد مغيلة ، وغنموا ما كان فى
معسكره (٥٧) . وكذلك كان الأمر فى سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٩م عندما أجمع
الأدارة من بنى محمد بن القاسم على هدم مدينة تطوان (تيطاوان) ثم
عودتهم بعد ذلك الى بنائها من جديد ، وهو ما أثار اعتراض أهل سبتة
لما كان ينزل بهم من الضر الذى يصيب مرافق مدينتهم . وهنا استجاب
الناصر لشكوى أهل سبتة ، فسير قائده : أحمد بن يعلى سنة ٣٤١هـ /
٩٥٢م بالجيش الى سبتة بغرض هدم مدينة تطوان ، وطلبه الى والى مدينة
تيجساس وقتئذ ، حميد بن يصل ، قائد الفاطميين الأسبق ، بالتقدم الى
سبتة لمؤازرة أحمد بن يعلى . وفعلا التقى القائدان فى سبتة فى السنة
التالية ٣٣٩هـ / ٩٥٠م ، ولكن حميد بن يصل لجأ الى السياسة ففاوض
بنى محمد الأدارة ، وانتهت المفاوضات الى رضوخهم الى مطلب الناصر ،
من التخلي عن مدينة تطوان ، وبعث أبنائهم الى بلاط قرطبة ، تعبيرا عن
الطاعة والولاء (٥٨) .

غلبة الناصر على المغرب ما عدا سجلماسة :

وهكذا غلب الناصر على بسائط المغرب وأذعن له أهله ، « وخطب
له على المنابر من تاهرت الى طنجة ، ما عدا سجلماسة (ابن خلدون ، ج ٧
ص ٨٨) ، الأمر الذى أدى الى ضعف بنى محمد حتى رأى أميرهم أبو العيش
أحمد الفاضل أن ينهى أعماله بالجهاد فى ثغور الأندلس حيث استشهد
سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ، بعد أن استخلف أخاه الحسن بن كنون فى عمله ،
وظل الحسن مواليا للناصر حتى وفاته سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م (٥٩) .
أما عن أحوال تاهرت وسواحلها فى نكور وأرشقون فلم تختلف كثيرا عنها

وهى المناسبة التى خلدها الشاعر بكر بن حماد ، فى قصيدة منها :

سائل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه فى العارض المتهلل
عمت مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جراوة من نقيع المنطل

(٥٧) البكرى ، ص ١١٧ .

(٥٨) البكرى ، ص ١٣٠ - ١٣١ ، وقارن ابن خلدون ج ٧ ص ٨٨ - حيث الإشارة الى

أن حميد بن يصل أوقع ببربر غمارة ، أنصار عيسى بن أحمد الفاضل .

(٥٩) ابن خلدون ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨ - حيث النص على حسن استقبال الأفضل فى

الأندلس وبناء التصور له حقيقة وليس وعدا ، كما تريد الرواية المنقبة ، على طول ٣٠ مرحلة
الى الثغر كما أجرى عليه ألف دينار فى كل يوم . وقارن فيما سبق ، ص ٢١٤ وهـ ٥٤ .

فى فاس ومناطق امتداداتها فى تطوان وسبتة وطنجة ، من حيث كونها منطقة صراع بين الأمويين الأندلسيين والفاطميين المغاربة مع قربها من الأندلس التى كان لها التفوق ، الأمر الذى ساعد عليه اضطراب البلاد الأفريقية بالثورة الزناتية ، ومحاولة أبى يزيد التحالف مع عبد الرحمن الناصر الذى لم يتردد فى اختبار الفرصة وإرسال الامدادات البرية والأساطيل البحرية لنجدته . ولكنه فى ذلك الوقت المتأزم من سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م كان والى تاهرت الفاطمى عبد الله بن بكار يستطيع أن يقطع الطريق على المعونة الواردة من الأندلس الى الثائر النكارى ، وأن يجهض عملية الانقاذ الناصرية لثورته (أنظر فيما سبق ، ص ١٨٦) .

اجتياح تاهرت باسم الناصر :

ولقد تمثل انتقام الناصر ، كما نرى ، فى زحف تابعه محمد بن خزر ، فى نفس سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م مع قومه المغراوين وعلى رأسهم ابنه الخير (بن محمد) ، وعمه عبد الله الى جانب يعلى بن محمد وقومه ، ونجاحهم فى اجتياح تاهرت باسم الناصر الأموى ، وقتل عاملها عبد الله بن بكار . وأسر قائدها مسرور الخادم . وبذلك تقاسم المغرب محمد بن خزر وابنسه الخير بن محمد مع يعلى بن محمد (٦٠) . والمهم ان خضوع الأتباع من الكناسية (أبناء ابن أبى العافية) أو المغراوية الزناتية (أبناء محمد بن خزر) للناصر ، وما قام بينهم من تحالف لم يكن يمنع من الصراع فيما بينهم ، كما حدث بين : مدين بن موسى بن أبى العافية والخير بن محمد ابن خزر ، الأمر الذى اقتضى تدخل الناصر (أنظر فيما سبق ص ٢١٤) فالمسألة لم تكن تتعلق بمصالح مستقرة من هذا الطرف أو ذاك ، بل كانت بمثابة انتهازية وردود فعل آنية عند كل الأطراف - وتلك خطيئة عصور التمزق والانفصال .

هكذا ولى تاهرت أيام المنصور الفاطمى صلاح بن حبوس ، ولكنه لم يلبث الا قليلا حتى استجاب الى اغراء الدعاية الأموية فيما وراء البحر ، فترك ولايته وانضم الى الخير بن محمد بن خزر ، رجل قرطبة فى زناتة المغرب . وعندئذ عهد المنصور الى قائده مسرور الخادم بتاهرت ، فسار مع أحد أعوانه القواد وهو : أحمد بن الرحالى ، اللذين اعتقلا لفترة من

(٦٠) ابن خلدون ج ٧ ص ٢٦ - حيث النص على ميسور الذى عدلناه الى مسرور ، كما سبق فى ص ١٩٢ وص ٧٩ قبلها .

الوقت قبل اطلاق سراحهما . ومع أن رواية ابن خلدون لا تنص على الشروط التي أدت الى ذلك ، فمن المستغرب انه يختم هذه الرواية بان تاهرت هذه « لم تزل بعد لأعمال الشيعة وصنهاجة في سائر أيامهم » (العبر ، ج ٦ ص ١٢٢) ، فكان الاتفاق كان لصالح المهزوم ! ولكن هناك رواية أخرى عن ابن خلدون ، في تاريخ بني يفرن (ج ٧ ص ٣٦) ترجح أن تكون هذه الأحداث قد وقعت سنة ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م ، وهي السنة التي قبض فيها من قبل المنصور على معبد بن خزر (أخى محمد) وقتل عقابا له على موالاته من قبل لأبى يزيد ، كما وفد في تلك السنة فتوح بن الخير مع مشيخة تاهرت وهران ، على الناصر بقرطبة فأكرمهم وأعادهم الى أعمالهم - بمعنى دخول تاهرت مع وهران في طاعة الناصر بدلا من المنصور الفاطمي ، وهو الأمر المقبول كضمن لاطلاق سراح مسرور وابن الرحالي (٦١) .

سجل ماسة : محمد بن الفتح والدعوة العباسية :

اما عن سجل ماسة فحق لابن خلدون أن ينص على انها - دون بقية المغرب - لم تخضع للخليفة الناصر الأموي ، حيث كانت لها أسرتها الملكية العريقة المثلة في أسرة بنى مدرار من أبناء واسول الذين رضى بهم الفاطميون حكاما للمدينة عندما افتتحوها على عهد المهدي لأول مرة . اكتفاء بتغيير الواحد من بنى مدرار بابن عمه . وهكذا خلف أحمد بن ميمون ابن عمه المعتز ابن محمد ثم ابن هذا الأخير ، وهو أبو المنتصر محمد سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على أواخر أيام المهدي لمدة عشر سنوات اذ خلفه ابنه الصغير المنتصر « سيمكو » حوالي سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م ، على عهد القائم ، وكان تحت وصاية جدته التي كانت تدبر أموره ، وذلك قبل ثورة أبى يزيد . وهنا لم يرض بذلك أحد أبناء عمومته من أمراء الفرع الحاكم السابق وهو محمد بن الفتح بن ميمون (الأمير الأسبق) ابن مدرار (٦٢) .

والذى يفهم من قصة محمد بن الفتح أن الرجل كان انتهازيا في

(٦١) العبر ج ٧ ص ٢٦ ، وقارن ابن عذاري ، بيروت ص ٢٧٩ - حيث الاشارة الى خروج حميد بن يصل من تاهرت سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، وجوازه الى الأندلس ، وولاية ميسور الفتى (بدلا من مسرور الخادم) عليها واساءته الى أهلها ، الأمر الذى جعلهم يلجأون الى محمد بن خزر الزناتى وابنه الخيز وغدروهم به وأسره ، قبل اضطراب المدينة وتغلب يعلى بن محمد اليفرنى الزناتى عليها الى قدوم جوهر سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م .

(٦٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ .

سياسته التي كانت توجهها رياح الفتنة حسبا يكون اتجاهها . فلقد بدأ ثورته أيام القائم سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م ، على ابن عمه الفتى الصغير مستعينا بموسى بن أبى العافية الذي كان يدعو للناصر الأموى ، لكى يؤازر بعد ذلك حركة أبى يزيد التي سعت الى تأييد الناصر أيضا . وعندما انتهت ثورة الزناتية بالفشل على عهد المنصور ، رأى محمد بن الفتح أن يواجه سخط الفاطميين عليه بالانضمام الى المعسكر العباسى ، والدعوة الى خليفة بغداد . وفى سبيل ذلك كان عليه أن يتنصل من مذهب أهل سجماسة الصفرى ، الخارجى ، وأن يعلن الدخول فى الجماعة على مذهب المالكية . ولكن الأمر انتهى فى سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م بأن اتخذ لنفسه اللقب الخلافى ، فتسمى بـ « الشاكر لله » ، وأضاف الى ذلك شعارات الملك الأخرى من اتخاذ البنود ، وضرب السكة باسمه ولقبه هذا . وبسبب جودة سبيكة تلك السكة ، حيث كانت سجماسة من أهم مراكز تجارة الذهب السودانية وقتئذ ، ذاعت شهرتها ، كما رفعت من شأن محمد بن الفتح من حيث حملت لقبه فكانت تعرف باسم « الدراهم الشاكرية » ، كما وسمته بالعدالة والخير (٦٣) ، الأمر الذى كان من الأسباب التى أدت الى ما اتخذه المعز لدين الله من اجراءات حاسمة فى سبيل اعادة المغرب الأقصى الى الخضوع والطاعة .

نهاية المنصور :

وهكذا كانت سيادة بلاد المغرب البعيدة متنازعة بين الناصر الأموى ، والمنصور الفاطمى ، الذى وافته منيته فى آخر شهر شوال سنة ٣٤١ هـ / ٢٦ مارس ١٠٥٠ م ، وهو فى عنفوان التاسعة والثلاثين من عمره ، بعد ملك لم يطل الا الى ٧ (سبع) سنوات ، قضى معظمها فى اطفاء نيران الثورة.

(٦٣) البكرى ، ص ١٥١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣١ - ١٣٢ - حيث النقل من ابن حزم القرطبى الذى يصف الشاكر بالله محمد بن الفتح ، بأنه كان غاية فى العدل ، وقادر المجالس والمسائرات ، ص ٤١١ .

الزناتية بقيادة أبي يزيد ، صاحب الحمار ، فلم يقدر له أن يستمتع طويلا
بثمرة انتصاره ، سواء في قصوره بالمنصورية أو فيما حوله من الاستمتاع
بالتنزه في منطقة جالولاء الغنية ببساتينها وأزهارها ورياحينها في السنة
السابقة (٣٥٠ هـ / ٩٤٩ م) ، من حيث عاد مريضا ، بسبب رقة حالته
الصحية ، مما سبقت الإشارة اليه ، على ما نظن (٦٤) .

(٦٤) أنظر فيما سبق ، ص ١٩٦ ، وأنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ - حيث
النص على انه خرج متنزها سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م الى جالولاء فصادفه في طريق العودة برد
ومطر أدى الى مرضه ، فوصف له دخول الحمام - رغم معارضة طبيبه اسحق بن سليمان
الاسرائيلي - فكان السبب المباشر لزيادة علته ووفاته ، وقارن ابن خلدون ج ٩ ص ٤٥ .
وقارن ابن عذاري ج ١ ص ٢٢١ - حيث النص على انه صلى عيد الفطر مريضا في تلك السنة
التي خرج للتنزه فيها وهي سنة ٣٤٠ هـ / ١٠٤٩ م ، بمعنى أن مرضه طال لمدة سنة اذا صح
« انه توفي في سلخ شوال من السنة التالية ٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م » . وعن متنزهات جالولاء
أنظر الاستبصار ، ص ١١٩ .

المعز لدين الله (أبو تميم معد)
٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م - ٣٦٢ هـ / ٧٣ - ٩٧٣ م
الانتقال الى عصر

ولايته :

ولد المعز بالمهدية في رمضان ٣١٩ هـ / سبتمبر ٩٣١ م على يد المهدي ، وكانت ولايته للعهد ، بمعرفة والده سنة ٣٤٠ هـ / ١٠٤٩ م ، السابقة على ملكه سنة ٣٤١ هـ / ١٠٥٠ م ، بمعنى أنه ولي الأمر وعمره ٢٢ سنة (١) ، أي وهو على عتبات سن الرشيد الأولى .

شخصيته :

والمعز هو أشهر الخلفاء الفاطميين قاطبة ، لعدة أسباب ، أولها : أنه أول من ملك مصر (٢) ، وبنى القاهرة التي ارتبط اسمها باسمه فهي « المعزية » ، بعد أن بدأت باسم « المنصورية » مثل قصور صبرة . صاحبة القيروان . وثانيها : أنه عالم الأسرة ومنظر مذهبها مما يظهر في كتب القاضي النعمان (٣) . وثالثها : أنه واضع تراتيب الدولة الشريفة ومقعد

(١) ابن عذاري ج ١ ص ٢٢١ ، ط بيروت ج ١ ص ٣١٥ ، وقارن الخطط للمقرئى ، ج ١ ص ٣٥١ حيث روايتان ، أولاها تنص على انه ولد في النصف من رمضان سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وانه ولي وعمره ٢٤ سنة ، كما عند ابن الأثير أيضا ، ج ٨ ص ٤٩٨ ، والثانية ج ١ ص ٣٥٣ ، وتنص على أنه ولد بالمهدية في ١١ رمضان سنة ٣١٩ هـ / ٢٧ سبتمبر ٩٣١ م .

(٢) ابن عذاري ج ١ ص ٢٢١ ، ط بيروت ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٨ - حيث ينص النعمان على أن المعز قام بأمر دعوته بنفسه راجيا على ذلك ثواب الله ، غير مستكر ولا مستنكف . وأنه أقام صلاة الأعياد وكثيرا من الجمع والخطبة في ذلك بنفسه . ودليل تأييد الله أنه لم يكن له معلم . غير ما أفضى به ولي الله . وان الله دل بذلك على تورث امامته . وذلك مما أثبتته في سيرته . وانظر المجالس والمسارير ، ص ٢٤ (المقدمة) حيث الإشارة الى أن معظم كتب النعمان ألفت في عصر المعز ص ٦٠ - حيث المعز مجتهد يستنبط الأحكام وص ٣٦١ - حيث يعتزم النعمان عرض كل كتاب يكتبه في الدين والفن على المعز ، ص ٢٥ - حيث يحصل المعز على علم الأولين والآخرين ، فالمعز يعرف علم الظاهر والباطن ، والعلوم الرياضية والطب والهندسة ،

رسومها ، مما يشهد به المقرريزى ومن أخذ عنهم(٤) ، وهو أخيرا مبتكر ،
تسجل له الاختراعات وتكتب باسمه البراءات(٥) ، وهو على الجملة جبار
بيت الشيعة وفحلهم منذ أوليتهم(٦) .

الصفح مع الخزم والحسم :

وكل ذلك يعنى أن المعز هو أعظم أفراد الأسرة الفاطمية على كل
المستويات من سياسية ودينية وحضارية . أما على المستوى الشخصى
فلا نعرف شيئا عن هيئته الجسمانية أو صفاته الأخلاقية والنفسية أو أسلوب
حياته الأسرية باستثناء بعض الاشارات العابرة . من ذلك انه تتلمذ على
يد أبيه المنصور الذى علمه الجدل والمناظرة(٧) ، أو ما قيل من أنه كان
أرفق بالناس من والده المنصور(٨) . أما ما تؤكد الرواية من أن العلاقة
الوثيقة بين المعز ووالده المنصور الذى أشركه معه فى جلائل الأمور كقتال
فضل بن أبى يزيد ، بعد قتل والده ، فكان يصدر أوامره بقتال العصاة
وعمره ١٧ عاما(٩) ، الأمر الذى أدى الى اغناء المعز ، جزعا عند موت
والده(١٠) ، وأنه اقتدى بسيرة المنصور فى العفو عن العصاة حتى هدأت

ص ١٣٤ - حيث يامر بتأليف كتاب فى النحو ، وص ١٩٩ ، ٣١١ - حيث يتناقض مع نحوى
ويعرض أحجية لغوية ، ص ٢٢٤ ، ٤٤١ ، ٣٨٨ - حيث الحظ على تعلم الحكمة ، والنص على
أن تغارت الناس فى فهمها لا يحول دون تلقينها ، ص ٣٣٤ - حيث يتصفح كتابا فى تاريخ
العباسيين وينتقده من حيث الاعتزاز بأعمال اللهو واللعب . وانظر الاعلام لابن الخطيب ،
ص ٥٧ - حيث يقول ابن هانى فى مدحه :
ولولا حجاب دون علمك حاجز
والعقل علما والقياس دليلا
لولاك لم يكن التفكير واعظا

- (٤) انظر الخطط ، ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢ ، وانظر فيما بعد ، ص
(٥) مثل : القلم الحازن ، الذى يكتب بلا استمداد ، المجالس والمسايرات ، ص ٢٦
(٦) مقدمة ، وص ٣١٩ (النص) ، ومثل القفصين المبتكرين اللذين أعدهما لابن واسول وابن
بكر صاحبى سجلماسة وفاس - نفس المصدر ، ص ٤١٨ .
(٧) الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦١ .
(٨) المجالس والمسايرات ، ص ٢٦ ، ١١٧ ، ١٣٣ .
(٩) وذلك فيما يختص بالزحام فى سقيفة القاضي النعمان بقصر المنصورية التى وسعها
المعز - المجالس والمسايرات ، ص ٦٥ .
(١٠) عيون الأخبار للداعى أدريس ، ص ٢٩٤ .
(١١) المجالس والمسايرات ، ص ١١٢ وقارن ص ٤٦٩ - حيث رواية معاكسة تنص على
أن القائم جد المعز - كان يغشى عليه من تنكر والده المنصور له .

الروعات وسكن الناس (١١) ، فمن الواضح أنه كان لا يتسامح مع من يخرج عن حدود الأدب في التعامل معه ، وبالتالي مع أفراد الأسرة المالكة ، مما عرف حديثا بالعييب في الذات الملكية - ان لم نقل إنه كان حقودا فيما يتعلق بهذا الأمر . فهذا ما نخرج به مما حدث لمظفر الصقلي الذي كان له فضل تعليمه الخط ، صغيرا . فلقد ضاق خلق الخادم مظفر ذات يوم وهو يخدم أميرنا الصغير ، فصدرت منه ، في ثورة غضبت ألت به ، كلمة بالصقلبية علقت بذهنه ، وان لم يفهم معناها . وعز على الخليفة المعز ألا يفهم لغة من كان يتعامل معهم من الحشم والخدم ، وقرر لا أن يتعلم الصقلابية فقط ، بل وسائر اللغات المعروفة في المملكة مما يعرض في البلاط من أفراد الحاشية أو من رجال الدولة ، من : البربرية والرومية والسودانية والصقلبية . وذات يوم عرف المعنى القبيح للكلمة التي كان مظفر الصقلي قد تفوه بها أثناء خدمته له ، وكان الموت عقوبة الجراة على العيب في الذات الملكية ، وبأثر رجعي أيضا - مما لا تعرفه الا القوانين الاستثنائية (١٢) .

ومع ذلك فلا بأس أن تكون تلك الخصوصية هي السبب في التخلص من المملوك الصقلي الذي ارتفع شأنه كواحد من كبار القواد ، مثله في ذلك مثل مولاة الآخر قيصر . وفي ذلك تقول رواية ابن خلدون ان الأمر انتهى بأن غلب كل من مولاييه : قيصر ومظفر على دولة المعز ، حيث استبد أحدهما بالمغرب والآخر بالمشرق ، فلم يكن أمامه بد من القبض عليهما سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، وقتلهما (١٣) . وهكذا يكون الغتيان ضحية تداخل أمور الدولة العامة في شئون الخليفة الخاصة ، اذ الحقيقة ان الخط الفاصل بين ما هو خاص وما هو عام لم يكن واضحا في نظم الدولة ، وقتئذ .

ومن الواضح ان المعز كان شديد الحساسية بالنسبة للافتئات على حقوقه وخاصة السياسية منها . فهذا ما يظهر فيما كان يراه في مناماته من خصومة العصاة والمعاندين له ، وقد نزلت بهم الهزائم والنكبات (ما سبق ٢٤ وما يأتي ، ص ٢٣٧) الأمر الذي يشبع حاجاته النفسية من غير شك .

(١١) افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٥ .

(١٢) الخطط ، ج ١ ص ٣٥٣ .

(١٣) المعز ، ج ٤ ص ٤٧ - هذا وأن ذكر ابن خلدون قبل ذلك (ج ٤ ، ص ٤٦)

سقى كوال لبغاية من بلاد الزاب ، دون ذكر لمظفر كواحد بين سائر الولاة .

البساطة وحب العمل :

ومن المعروف من حياة المعز الخاصة ان موند ابنه نزار (العزيز) كان في سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م (ابن عذارى ج ١ ص ٣١٦) وأن نشاطه الشخصي وتفانيه في العمل كان مضرب المثل والقذوة التي يجب أن يهتدى بها رجال الدولة وكبار القواد من الكتاميين ، لا يمنعهم من ذلك تقلب الأحوال الجوية السيئة . فهو في وقت البرد الشديد من فصل الشتاء يصحو مبكرا للنظر في الرد على ما ورد الى ديوانه من الرسائل ، من المشرق والمغرب - في ذلك الوقت من سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عندما كان القائد جوهر يجوب بلاد المغرب غازيا حتى أقاصيها الغربية . وهو لا يهتم بكنف الاستئناس برأى زوجته أم أولاده الأمراء ، التي كانت ناهضة الى جواره ، وذلك عندما قرر استدعاء زعماء كتامة في تلك الحالة الجوية الصعبة ، لكي يعرفوا ماذا كان يفعل الامام وقتئذ ، في مجلسه البسيط ، المفروش باللبود ، وثيابه الحشنة المكونة من كساء فوقه جبة ، بدلا من أن تذهب بهم الأوهام وتغدو ، ما بين التفكير في تمتعه بمباهج الحياة من الأكل والشراب الرقيق والتقلب في الثياب الناعمة والعطور الثمينة ، في تلك الظروف الصعبة . والهدف النهائي الذي أراده المعز تربوي بصفته الامام المعلم ، وهو يقوم للزعماء الكتاميين ليكون حافزا لهم على التقشف ، وخاصة فيما يتعلق بعدم الكلف بالنساء والاكتفاء بالزوجة الواحدة حفاظا على سلامة الجسم والعقل ، وضانا لحسن الخدمة والعمل (١٤) .

وقريب من هذا ما تقوله الرواية في السياسة المالية وجمع الأموال التي كانت تتراكم في ألوف الصناديق في القصر الخلافي تحت اشراف المعز المباشر ، قبل استدعاء صاحب بيت المال ، أبي جعفر حسين بن مهذب ، الذي كان عليه مراجعة محتوياتها بمساعدة معاونيه من الموظفين في بيت المال والفراشين ، وتسجيل كل ذلك في دفاتره ، قبل ختم الصناديق بخاتم المعز نفسه وحملها الى خزائن بيت المال لتكون في عهده تحت طلب الامام . والأمر هنا يتعلق بما كان قد جمعه المعز سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م من الأموال اللازمة للنفقة على حملة فتح مصر ، والتي بلغ مجموعها ، حسبما رصده ابن مهذب ، ٢٤ مليون دينار (١٥) .

(١٤) انظر المخطوط ، ج ١ ص ٣٥٢ ، وقارن اتماط الحنفى ، ج ١ ص ١٣٦

(١٥) انظر المخطوط ، ج ١ ص ٣٥٢ .

الزهد :

والمهم انه رغم ما أفاء الله على المعز من « الملك والسعة والبسطة واستقامة الأمور » ، مقارنة بما كان عليه والده المنصور الذي عاش عصر الفتنة والتعب ، فلم « يتمتع من الدنيا بما يتمتع به من يملك مائة دينار فما دونها » ، فان النعمان ينص على أن المعز « ما كان يتلذذ في ذلك بكثير مطعم ولا مشرب ولا نكاح ولا طرب » ، فما كان تلذذه إلا بالحكمة والتذكر بالمواظ على الحسنة ، الى جانب انشغاله بأمور الدولة وصالح الرعية .

برنامج العمل اليومي :

فهو يترك منزله من الصباح الى ديوانه حيث يبقى في تصريف أمور الدولة حتى وقت الظهر . وعندئذ يعود الى المنزل لتناول طعام الغداء ، ويؤدي فرض الصلاة ، ويأخذ قسطا من الراحة وقت الفيلولة ، لكي يعود الى ديوانه بعد صلاة العصر ، لكي يبقى هناك الى الليل . وهو عندما يدخل الى داره بعد ذلك يصرف قدرا من الليل بصحبة خاصته في النظر في الكتب والعلوم والكتابة والتأليف ، فذلك كان نظامه اليومي في العمل ، باستثناء الأيام التي يخرج فيها للفرجة والتي غالبا ما تكون أيضا ، للاطلاع على أحوال الناس والنظر فيما يصلح شئونهم (١٦) .

وكل ذلك يعني ان نظام الحكم الذي طبقه المعز في ادارة شئون دولته ، كان من ذلك النوع الكلي الذي يؤول كل شيء فيه الى الخليفة الامام ، من حيث هو مصدر كل السلطات بمعنى ان كل من حوله من رجال الدولة والحاشية ليسوا بأكثر من أعوان يمكن له أن يستنير بأرائهم ، ولكن دونما التزام .

سياسة المعز المغربية ، ما بين الاقدام والتربص :

رغم الآمال العراض التي ترتبت على نهاية المقاومة الزناتية في بلاد أفريقية ، الأمر الذي يرمز له ترك المهديّة تنعى من بناها ، والعودة المفطرة الى ضاحية المنصورية بالقيروان ، فان مواجهة التدخل الاموي في المدوز المغربية ، وما وراءها من بلاد المغرب الأقصى والتحالفات التي عقدها

عبد الرحمن الناصر مع ملوك البربر وأمراء الأدارسة ، تطلب المزيد من الجهد من جانب المعز الذي وقع عليه ذلك العبء ، شابا يافعا . والحقيقة انه لم تنقضى ست سنوات على امامة المعز حتى كانت جيوشه المظفرة تكتسح بلاد المغرب الأقصى ، من أدناها الى أقصاها فلا تقف أمامه الا سبته . حيث ثبتت القوات الأموية أقدامها بعناد يمكن أن نتفهم أبعاده من حيث كانت سبته باب العبور الى الأندلس . وكذلك تراوحت سياسة المعز المغربية - رغم قوتها - ما بين الخوف والرجاء ، فهو يناجز الحصوم في المغرب دون هواده ، ويعمل في نفس الوقت بكل همة على فتح مصر ، أول مرحلة في سبيل تحقيق الحلم الكبير ، المتمثل في تصحيح ما ألم بتاريخ صدر الاسلام من الانحراف نحو الأمويين والعباسيين على حساب آل البيت من الفاطميين .

الصراع مع الأمويين في المغرب :

ولكنه قبل تصحيح مسار تاريخ المشرق البعيد كان على المعز أن يقوم ما أعرج من تاريخ المغرب المعاصر الذي مالت كفته لصالح عبد الرحمن الناصر الذي دانت له بلاد المغرب ، اثر الثورة الزناتية بعد أن كانت خاضعة كلها ، باستثناء سجلماسة في أقاصي الصحراء الجنوبية ، لأبي القاسم القائم ، جده (١٧) .

نفوذ الناصر في أرشقول وقامسنا :

والظاهر ان عبد الرحمن الناصر الذي حاول استغلال ثورة

(١٧) انظر ابن خلدون ج ٧ ص ٨٦ - حيث النص على أنه خطب وقتئذ لأبي القاسم على المنبر من مدينة تاهرت (بالمغرب الأوسط) الى مدينة طنجة (بساحل العدوة) ، ما عدا سجلماسة التي كانت حينئذ مستقلة تحت سيادة بني مدرار . وقارن ابن حيان ، ج ٥ ، تحقيق شاليتا وآخرين ص ٢٥٩ - ٢٦٠ - حيث الإشارة الى أن الأوضاع كانت مختلفة من حيث الصراع عليها في سبيل السيطرة على منطقة الساحل في المغرب الأقصى على عهد المهدي . سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م وما بعدها ، فينص محمد بن خزر في كتبه الى الناصر ، على أن مدينة تاهرت هي « قاعدة الشيعة وثغرة مشايخها » . كما يذكر ابنه الخير بن محمد في مخاطبة الناصر بعد ذلك ، أخبار نزول أبي القاسم (عبد الرحمن) ولد الشيعي ، مبدل الإيمان ، بالساحل لديهم ، وأنه (الخير) استرجع حصنا كان قد بنسأه (القائم) هناك ، وبذلك « طهر الأرض منهم فليس لهم بالساحل مكان ، ولا منبثق ، ما خلت مدينة تاهرت » ، التي يصفها بدار المشركين ، وماوى الملحدين - وأنظر فيما سبق ص ٣٥ ، ٣٦ .

أبى يزيد الى أقصى حد في سبيل توطيد أقدامه ليس في المغرب فقط
 بن وفى إفريقيا (ما سبق ص ١٨٥) رأى ان فشل الثورة يحتم عليه
 مضاعفة جهوده في رد الخطر الفاطمي بعيدا عن بلاده ، وذلك بمساعدة
 خلفائه من زعماء البربر والموالين له من الإدارسة . ففي سنة ٣٢٨هـ
 ٩٤٩م كان البورى ابن موسى بن أبى العافية يحقق النصر على الحسن بن
 عيسى (بن أبى العيش) الإدريسي في أرشقول ، ويبعث به الى الناص
 بقرطبة - علامة خضوع نهائي (١٨) . وفى نفس هذا الوقت كان يعلى بن
 محمد بن خزر اليفرنى (الزناتى) يمدن مدينته فكان (أو افكان) عن
 حساب تاهرت حيث انتقل اليها أهل معسكر تاهرت (١٩) . وامتد نفو
 الناصر الى منطقة تامسنا ، وهى المنطقة الساحلية غرب سلا والرباط
 فيما بين أسافل نهري بوجرج وأم الربيع والتي كانت تقطنها قبائل
 برغواطة التي عرفت بأنها صاحبة زندقة أو ما يشبه الردة عن الاسلام (٢٠)
 والمهم هنا أنه عندما ولى أميرهم أبو منصور عيسى سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م
 تقول الرواية ان أباه أبا الأنصار الذى عرف بالسخاء والظرف وأنه لا يتعم
 الا في الحرب كان قد أوصاه بموالة صاحب الأندلس (٢١) ، أى مداراة
 واطهار الخضوع له ، مما يأتى ذكره .

خضوع الإدارة في طنجة والعدوة المغربية :

وفى مطلع عهد المعز كان زعيما الإدارة في طنجة والعدوة المغربية
 وهما الأخوان : أبو العيش والحسن بن كنون قد دخلا فى طاعة الناصر
 وعلامة إخلاص له استأذنه أبو العيش فى الجهاد فى الأندلس فرحب الناصر

(١٨) البكرى ص ٨٧ .

(١٩) البكرى ص ٨٩ .

(٢٠) والحقيقة ان هذه الزندقة التى بدأت فى تناسبا حركات الخوارج الاولى بالمغرب ،
 التى تتلخص فى الاستقلال السياسى أو ما يشبه الحكم الذاتى ، مع تطويع الاسلام بصفتها
 الكلية من حيث هو دين ودولة واقتصاد واجتماع الى متطلبات الحياة فى المنطقة وخاصة فيما
 يتعلق بترجمة القرآن الى اللغة البربرية وأداء الفرائض بنفس اللغة المحلية مع تطويع بعض
 أمور الأحوال الشخصية والمعاملات بما يتفق والعادات المتوارثة ، من : محاولة تحليل لحم
 أنثى الخنزير على أساس ان النص فى شكل المذكور ، أو المبالغة فى تزكية الحيوان عند الذبح
 كى تشمل السمك (الحوت) ، أو بتجليل الديكة على أساس أن صياحها فجرا هو نوع من
 الآذان والدعوة الى الصلاة الاولى ، الى غير ذلك مما اعتبره الكتاب ديانة جسيمة خارجة عن
 الاسلام . انظر البكرى ص ١٣٦ ، الاستبصار ، ص ١٩٧ - ٢٠٠ ، ابن عذارى ، ج ٦ ص ٣٢١ .

(٢١) البكرى ، ص ١٣٦ ، ابن عذارى ، ج ٦ ص ٣٢١ .

بإلحاح وأحسن وفادته عند مجيئه . ولكنه عندما خرج الحسن بن كنون على الناصر ، بعد وفاة أخيه أبي العيش بالأندلس سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م ، ودخل في طاعه المعز في المنصورية ، كان رد الناصر عنيفا بقدر ما كان سريعا ، اذ غلب على بلاد المغرب بما فيها أملاك الحسن ابن كنون (٢٢) . وفي نفس سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م كان كلا من الزعيمين الزناتيين يعلى بن محمد بن صالح والخير بن محمد (بن خزر) قد دخلا في طاعة الناصر الأموي ، وكان يعلى قد ملك وهران منذ سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م . ولما كان يعلى بالتحالف مع الخير بن محمد ، قد استولى على تاهرت من يدى كل من مسرور الفتى وعبد الله بن بكار سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، فان ملكه كان قد عظم بالمغرب بقدر ما كان يخطب للناصر على منابر ما بين تاهرت الى طنجة ، الأمر الذى استدعى من الناصر تولية رجال بيته (٢٣) .

هيمنة الناصر على سبته والأدارة في تطوان :

هذا ، كما كان الناصر يؤازر أهل سبته ضد الأدارة من بنو محمد الذين كانوا ينازعون البورى بن موسى بن أبي العافية منطقة مغيلة (٢٤) ، الأمر الذى أدى بالأدارة الى هدم مدينتهم تطوان (تيطوان) . التى كانت منافسة لسبته وذلك سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م ، وعدم تمكنهم من اعادة بنائها عندما رغبوا فى ذلك بسبب اعتراض أهل سبته ، ووقوف الناصر بحزم الى جانبهم ، الأمر الذى انتهى بإرسال الجيوش لمناصرتهم سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، مما أدى الى خضوع الأدارة ودفعهم لأبنائهم رهائن فى قرطبة فى نفس تلك السنة (٢٥) . ولما كان الزناتية من بنى خزر قد أصبحت لهم السيادة على فاس بصفته نواب الناصر الذى ولى عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرنى (الزناتى) الذى رحل بدوره الى الأندلس .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٧ ص ١٧ - حيث الاشارة الى أمر مسرور ، ومثل عبد الله بن بكار الذى كان مطلوبا لقتله والد محمد بن صالح مع الاشارة الى اختطاط ماذنة القرويين سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م بمعرفة أحمد بن بكر ، (ابن أحمد بن عثمان بن سعيد) الذى آلت اليه ولاية فاس من ابن عمه محمد بن الخير (ابن محمد بن عشيرة) عندما نesk واستأذن فى الجهاد والرباط بالأندلس ، وعن الاستيلاء على تاهرت سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ، انظر ج ٧ ، ص ٢٦ .

(٢٤) البكرى ص ١١٧ - وان كاو ذلك فيما بعد سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م عندما هزمه .

(٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣١٧ .

باسم الجهاد ، كما فعل أبو العيش الأدرسي من قبله ، تاركا ابن عمه أحمد بن بكر الذي بنى منار الجامع القروي سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، وإيا عليها (١٦) ، كما كانت لهم السيطرة على إقليم تهرت ، فان الناصر يكون قد غلب فعلا أو كاد على كل بلاد المغرب ، كما يقول ابن خلدون (٢٧) .

سجللماسة تدخل في الدعوة العباسية :

أما عن سجللماسة فلم تكن قد استقلت فقط تحت رئاسة ملوكها القدامى المدرايين من بني واسول ، بل ان محمد بن الفتح الذي استولى على السلطة من ابن عمه أبو المنتصر بن المعتز انتهى به الأمر الى أن أجرى تحولات ثورية سريعة الايقاع في أحوال سجللماسة ، وذلك أنه ترك مذهب الصفرية الخوارج الذي كان يعتنقه بنو مدرار ، ودخل في السنة على المذهب المالكي في سبيل الدخول في طاعة خلافة بغداد العباسية ثم لم يلبث أن اتخذ اللقب الخلفي عندما تسمى بـ « الشاكر لله » وضرب النقود - رمز السيادة والتي عرفت باسمه ، فهي « الشاكرية » (٢٦) .

الصراع البحري ضد الأمويين :

ولم يكن من الغريب أن يستشري ذاك الصراع بين الناصر والمعر ، من البر الى البحر ، وان حدث ذلك بمحض الصدفة ، وربما بدون قصد منهما ، وان كان الصراع في البحر بينهما يعتبر أمرا احتميا من حيث أن كلا من الدولة الفاطمية والدولة الأموية الأندلسية كانت قوة بحرية بالامتياز ، نتيجة طبيعية لأوضاعهما الجغرافية ، من حيث أن لكل منهما سواحل طويلة على المتوسط ، اما في مواجهة الشواطئ البيزنطية شرقا في مقابل كريت وصقلية وجنوب إيطاليا أو الشواطئ الفرنسية والإيطالية مع جزر كورسيكا وسردينيا المواجهة لشرق الأندلس ، إضافة الى شواطئ المحيط من حيث كان يتهدد الأندلسيين الخطر النورماندي .

(٢٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٨٨ .

(٢٧) المعبر ، ج ٦ ص ٨٩ .

(٢٨) البكري ، ص ١٥١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، المعبر ، ج ٦

ص ١٣١ .

الصدام البحري قرب صقلية وفي سواحل الأندلس والمغرب :

وكان أول صدام في البحر سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م ، عندما مر مركب أندلسي ببيرو . كان قادما بمتاجر من الاسكندرية ، ببعض الجزر الافريقية الواقعة على سميت صقلية ، فوجد بها قارباً من قوارب البريد الفناطمية في طريقه برسائل رسمية من صقلية الى المهدي . فختلى الأندلسيون أن ينذر أهل القارب بهم ، فأخذوا سكان (رجل) القارب ، كما طمعوا في بعض الأمتعة فاستولوا عليها ، ومنها حقيبة جلدية (خريطة) كان فيها كتاب عامل صقلية الى المعز (٢٩) . وكان من الطبيعي أن يغضب المعز لجرأة البحريين الأندلسيين ، رعية العدو الأموي في الاعتداء على بريده البحري ، بين صقلية والمهدي ، فيما يمكن أن يعتبر بحق مياها فاطمية اقليمية . فأمر باعداد قوات برية بحرية مشتركة يحملها أسطول صقلية بقيادة والي الجزيرة ، الحسن بن علي نفسه ، وأن تكون مهمتها متابعة المركب الأندلسي الكبير حيثما كان ، والثأر منه لفعلة الشنعاء . ولم يكن من العسير على والي صقلية العثور على المركب المطلوب في ميناء المرية بجنوب شرف الأندلس . ولم يكتف العسكر المعزى باحراق المركب الآثم الذي كان قد أرسى لتوه هناك ، بل أنهم نزلوا الى البر بميناء المرية نفسه الذي يعتبر مجمع المراكب والأساطيل الأموية ، ودار صناعة السفن هناك ، فاستولوا على المدينة اجتياحا ، وأحرقوا ما بها من المراكب والمخازن ، وما كان فيها من المعدات البحرية ، من الصواري والعدد وانتهبوا جميع ذخائرها ، وعادوا جميعا الى المهدي سالين (٣٠) .

(٢٩) المجالس والمسايرات ، ص ١٦٤ - ١٦٥ - حيث رواية النعمان هنا بدون تاريخ وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٢ - ٥١٣ (أحداث سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م) - حيث النص على ان المركب الأندلسي الكبير ، الذي لم يعمل مثله ، كان لعبد الرحمن الأموي (الناصر) ، وأنه قطع على المركب الفاطمي الذي كان فيه رسول من صقلية الى المعز ، وأخذوا ما فيه وأخذوا الكتب التي الى المعز ، بمعنى أنها غارة مقصودة لم تأت عرضا حسب رواية النعمان التي رجحناها .

(٣٠) المجالس والمسايرات ص ١٦٥ والهوامش ، وقارن ابن الأثير ج ٨ ص ٥١٣ (حوادث سنة ٣٤٤ هـ) - حيث الاشارة الى ان العساكر الفاطمية أخذوا المركب الجاني وفيه أمتعة لعبد الرحمن (الناصر) وجوار مفتيات ، وافتتاح الدعوة ، النص العربي ص ٣٣٦ - حيث الاشارة الى احراق أساطيل المهدي ودار الصناعة بها ، مع التلميح فقط الى ان السبب هو « جور جاره بنو أمية » في البحر الى المشرق دون أمر أميرهم ، والترجمة الفرنسية ص ٤١٣ فقرة ٣٠٢ وه ٢ - حيث تحديد تاريخ الواقعة بسنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م (حسب تاريخ ابن الأثير بشكل عام) مع الاشارة الى ليض بروفستال ، أسبانيا الاسلامية ، ج ٢ ص ٧٠٦ .

وكان من الطبيعي أن يتمثل رد فعل عبد الرحمن الناصر في تجهيز أسطوله للقيام بعمل ثارى فنزلت مراكبه « فى العام القابل » (٣٤٥ هـ / ٩٥٥ م) (المجالس ، ص ١٦٦) ، بقيادة غالب مولاة ببعض السواحل الأفريقية تغرب وتنهب ، ولكنه كان على الأندلسيين العودة الى مراكبهم والزحيل نحو بلادهم عند مجيء القوات الفاطمية ، بعد مناوشات خسر فيها كل من الطرفين أعدادا من القتلى . وعندما عاد الأندلسيون فى السنة التى تليها (٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، فى ٧٠ (سبعين) مركبا ، فاجأوا بها مرسى الحزر فى المغرب الأوسط ، قبل أن يواصلوا المسيرة الى جهات سوسة فى ساحل القيروان ثم طبرقة (طرنة) فى سواحل برقة (٣١) .

وأمام تهديد عبد الرحمن الناصر لوجود الفاطمى فى المغرب الأقصى وغاراته البحرية التى وصلت الى سواحل برقة ، وجرة أمير سجلماسة المدراى على اتخاذ اللقب الخلفى ، فكأنه أراد - دون قصد - أن يزيد فى تفتت الخلافة الى أربع « خلافات » بدلا من ثلاث ، كان على المعز أن يتخذ اجراء عسكريا رادعا يعيد به السلطة الفاطمية الى منطقة العدو مقابل الأندلس ، ويعطى له الثقة فى نجاح ما كان يخطط جديا له منذ ذلك الوقت من فتح مصر .

(٣١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥١٣ (أحداث سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤ م) وقارن رواية النعمان فى المجالس والمسائرات ص ١٦٦ - حيث الإشارة الى أن الأموى الذى أصابه الهلع نتيجة لما نزل بأساطيله بالمرية على أيدي قوات المعز لم يكتف بتسيير مراكبه (ضد بلاد المعز) بل انه لجأ الى الاستنصار بطاغية الروم الذى سار مراكبه مع المراكب الأندلسية والذى أخذ يساوم المعز على عقد هدنة طويلة الأمد معه نظير انصرافه عن الأموى . والحقيقة هنا ان رواية النعمان تربط بين صراع المعز مع الناصر وصراعه مع الروم فى صقلية وجنوب إيطاليا (أنظر ص ١٦٧ و ١) الذى انتهى بهدنة ، سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ، ولمدة خمس سنوات ، الأمر الذى أدى أيضا الى طلب الناصر الصلح مع المعز ، أنظر فيما سبق ، ص ٢٣ - حيث امتنع المعز من الصلح بسبب اتخاذ الأموى للقب الخلفى ، وقارن ص ١٩٤ - ١٩٥ حيث الإشارة الى احتجاج صاحب الأندلس على ما نزل باتباعه من البربر الذين أرسلهم لغزو بلاده عندما غطت مراكبهم ، من الأسر والبيع بالكلاب ، حيث لا يجوز بيع أحرار المسلمين ، وهو ما رد عليه المعز بأنه لم يبيع ذلك لأن عقوبتهم الشرعية هى القتل أو المن .

حملة معزية تيجتاح المغرب من أدناه الى أقصاه
بقيادة القائد جوهري الصقلي : ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م :

ولا ندري ان كانت سياسة التهدة تلك ، المتمثلة في الاحسان والترغيب قبل الاساءة والترهيب ، قصد بها المعز نشر « السلام الفاطمي » في بلاد المغرب قبل النقلة الى مصر ، أم أنها كانت تمهيدا لاجتياح المغرب الأقصى بمعرفة جوهري القائد ، واقضاء النفوذ الأموي عنه ، أم ان ذلك الاجتياح للمغرب البعيد (٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م) كان بمثابة تدريب أو مناورة تمهيدية للحملة التي كان على القائد الصقلي أن يقودها لفتح مصر سنة (٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) . هذا ، ولو أن المنطقي أن نعتبر أن حملة جوهري المغربية هذه والتي صاحبه فيها زيري بن مناد ، تكملة للحملة التي قادها المعز بشخصه سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م على جبل أوراس وبلاد الزاب ، والتي انتهت بالقضاء على آخر أوكار المقاومة هناك ، بعد أن استأمن بنو كملان ، ومليلة من هوار ، ودخلوا في طاعة المعز ، كما استأمن اليه محمد بن خزر بعد قتل أخيه معبد (٣٢) .

أما عن السبب المباشر لتسيير حملة جوهري سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عند ابن خلدون ، فهو ما بلغ المعز من مداخلة يعلى بن محمد اليفرنى للأمويين من وراء البحر ، وبالتالي نقض أهل المغرب الأقصى لطاعة الشيعة (٣٣) .

تاهرت :

والهم أن المعز سير الحملة التي توصف بأنها جيش كثيف (ابن الأثير ج ٨ ص ٥٢٤) ، يزيد عدده على ٢٠ (عشرين) ألف رجل (٣٤) ، وعلى رأسها القائد جوهري الذي كان قد عظم شأنه عند المعز حتى بلغ رتبة الوزارة ، كما يقول ابن الأثير ، فكانه نائبه في تلك الحملة ، وبصحبته جمع من كبار القواد ، منهم : الزعيم الصنهاجي زيري بن مناد ، صاحب أشير ، وجعفر بن علي صاحب المسيلة (٣٥) . وكان وصول الحملة الى تاهرت دفعة

(٣٢) العبر ، ج ٩ ص ٤٦ ، وقارن المؤنس لابن أبي دينار ، ص ٧٤ - حيث الاشارة الى ان زيري بن مناد حضر مع المعز لدين الله عند دخوله للمغرب سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م ، والتي استعمله المعز بعدها على أشير وما والاها .

(٣٣) العبر ، ج ٤ ص ٤٦ .

(٣٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٦ .

واحدة ، دون عمليات عسكرية جانبية ، يعنى جدوى حملة التهدة التى قادها المعز فى السنوات السابقة فى جبل أوراس وبلاد الزاب . ويظهر ذلك فى استسلام يعلى بن محمد بن خزر الذى يعنى انتظام الأسرة جميعا فى صف المعز بدلا من عبد الرحمن الناصر .

ولكن خضوع يعلى كان مؤقتا اذا لم يلبث أن انتهز الفرصة وخالف القائد الفاطمى لاجئا الى مركز قيادته فى بلده فكان (أو أفكان) بالقرب من تلمسان (ما سبق ، ص ٢٢٦) ، حيث طارده جوهر الى هناك ، وخرب المدينة ، ونجح فى القبض عليه وعلى ولده (٣٦) ثم انه قتله وبعث برأسه الى المعز بالمنصورة بالقروان ، فى جمادى الآخرة ٣٤٧ هـ / سبتمبر ٩٥٨ م . حيث عرض عليه مع رأس أخيه (٣٧) .

هذا ، ولو ان ابن خلدون يورد روايتين أخريين ، احدهما تقول : ان جوهر تقبل اذعان ازعيم الزناتى يعلى وهو يضم الفتك به ، وأنه فعل ذلك يوم خروجه من البلدة ، على أيدي الأتباع من الكتامين والصنهاجيين . لكى يتبدد دمه هدرا ، الى جانب تخريب مدينة « ايفكان » . أما الرواية الأخرى فتتص على أن الفتك بـ يعلى كان بناحية شلف ، وأنه بمقتله لم يجتمع بنو يفرن الا بعد حين على ابنه يدو بالمغرب ، وأن الكثير منهم لحقوا بالأندلس (٣٨) . وكان لمقتل يعلى رنة حزن شديدة لدى الناصر الأموى ، حسبما ينص على ذلك القاضى النعمان ، بحيث تبدد العسكر الأندلسى الذى كان فى مرحلة الاستعداد فى المرية لعبور المضيق ونجدة يعلى (٣٩) .

سجلهامة :

ومن تاهرت اتجه جوهر بجيوشه نحو فاس التى كان يليها أحمد بن بكر (الجذامى) خليفة محمد بن الحير بن محمد اليفرنى الزناتى ، الذى كان حليفا للناصر الأموى فى قرطبة ، فولاه على فاس ثم انه عندما سار الى الأندلس للجهاد عهد بفاس الى أحمد بن بكر ، الذى خلص له الأمر بعد وفاة

(٣٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٤ - حيث الاشارة الى ان أصحابه هم الذين ثاروا بعد القبض عليه .

(٣٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٩ ، المجالس والمسايرات ، ص ٢٧٥ .

(٣٨) العبر ، ج ٧ ص ١١٧ - ١١٨ - حيث « بدوى » بدلا من « يدو » .

(٣٩) المجالس والمسايرات ، ص ٢١٧ - ٢٧٥ .

محمد بن الحير بالأندلس سنة ٣٤٣ هـ/٩٥٤ م ، فخلد اسمه هناك في السنة التالية ٣٤٤ هـ/٩٥٥ م ببناء مئذنة (صومعة) جامع القرويين (٤٠) . هذا ولو أن ولدى موسى بن أبي العافية ، وهما : مدين الحليف السابق لأحمد بن بكر ، والبورى ، الذى كان فى سنة ٣٤٥ هـ/٩٥٦ م فى طاعة الناصر ، كانا ينازعان أحمد بن بكر ولايته لفاس ، حيث تنص رواية ابن خلدون على أن البورى توفى وهو يحاصر أخاه مدين بفاس (٤١) .

والمهم أن أحمد بن بكر قرر المقاومة فى فاس ، فأغلق أبوابها ونجح فى الدفاع عنها أمام هجمات القوات الفاطمية ، الأمر الذى دفع جوهر إلى الاستماع إلى نصيح الناصحين له من أمراء الأدارسة الفاطميين من أقاصى المنطقة (السوس) ، الذين أتوا إليه مرحبين وبالهدايا مهنئين ، بالأى ينهك قواه فى عمليات الحصار ، وأن يعجل قبل ذلك بالمسير إلى سجلماسة ، هدفه الأبعد (٤٢) .

ولم تكلف سجلماسة القوات الفاطمية الكثير من العناء ، وذلك أن صاحبها ، محمد بن الفتح ، الملقب بالشاكر لله ، خرج منها بمجرد علمه باقتراب جوهر ، إلى بعض حصونه القريبة ، والظاهر أنه بقى فى المنطقة متخفيا يتحسس الأخبار ، الأمر الذى انتهى بأن غدر به بعض خصومه (من مدغرة) فوقع فى أسر رجال جوهر ، وذلك فى شهر رجب التالى من نفس سنة ٣٤٧ هـ/أكتوبر ٩٥٨ م (٤٣) .

فاس :

ومع قدوم فصل البرد كان على جوهر أن يقضى الشتاء فى المغرب وأن يستقبل العام الجديد (المحرم) ٣٤٨ هـ/مارس ٩٥٩ م هناك .

(٤٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٨٨ .

(٤١) العبر ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ .

(٤٣) البكرى ، ص ١٥١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٢ -

حيث النص على أن جوهر قتل ابن واسول ، وهو غير صحيح ، وإن كان له الفضل فى تحديد

التاريخ بشهر رجب .

سبته وطنجة وتطوان :

ولا بأس أن يكون جوهر قد استغل تلك الفرصة ليؤكد النفوذ الفاطمي في المغرب الأقصى ، وبخاصة في منطقة العدو المواجهة لسواحل الأندلس ، في منطقة سبته وطنجة وما وراءها ، وهو ما تؤكد رواية ابن الأثير التي تقول انه وصل الى البحر المحيط^(٤٤) ومن الواضح أن وصول جوهر الى منطقة العدو حيث كان الأدارسة يجاهدون في الحفاظ على سلطانهم في تلك المنطقة الشبيهة بالأرض الحرام بين المتحاربين من الأمويين الأندلسيين والفاطميين الأفريقيين ، عن طريق الميل مع من تميل كفته رجحانا ، من الطرفين ، وكانت كفة الناصر وقتئذ هي الراجحة ، كما سبقت الإشارة . فالحسن بن كنون آخر ملوك الأدارسة بالمغرب ، والذي خلف أخاه أبا العيش (الذي توفي سنة ٣٤٣ هـ / ٩٥٤ م مجاهدا في الأندلس) بموافقة الناصر ، كان عليه أن يفر هاربا الى الأندلس^(٤٥) .

أما عن موقف بني محمد ، أصحاب تطوان (تيطوان) من الأدارسة ، المعروف أنهم كانوا على خلاف مع أهل سبته أتباع الناصر ، وانهم اضطروا الى هدم مدينتهم تيطوان سنة ٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م^(٤٦) ، وكانوا وقتئذ قد دخلوا في طاعة الناصر . ولكنهم عندما خرجوا على طاعته في السنة التالية ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م^(٤٧) ثم أرادوا إعادة بناء تطوان من جديد سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م ، اعترض عليهم أهل سبته من حيث أنه يضر بمصالحهم ، وذلك بتأييد من الناصر لهم . ولكنه عندما هدهم الناصر بما أرسله اليهم من قواته بقيادة : حمد بن يعلى ، وبما أصدر من الأوامر الى حميد بن يصل ، صاحب تيجيساس ، قاعدة تلك الجهات ، تخلوا عن إعادة بناء تطوان ، بل وبعثوا بأبنائهم رهائن الى قرطبة حسب طلب الناصر ، في نفس السنة على أن يكون استبدالهم في السنة التالية : ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م . ولا نعرف ماذا كان موقف بني محمد الأدارسة من جوهر عندما حاول حصار سبته ، ولكنه لم يقدر عليها على كل حال الأمر الذي اعتبره صاحب سبته انتصارا على عسكر جوهر ، يستحق أن يكتب به الى الناصر^(٤٨) .

(٤٤) الكامل ، ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٤٥) ابن خلدون ، ج ٨ ص ٨٩ .

(٤٦) البكري ، ص ٣٤ .

(٤٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١٧ .

(٤٨) البكري ، ص ١٣٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

فاس : سقوطها على يدى زيرى بن مناد الصنهاجى :

ومع تحسن الأحوال الجويه فى فصل الربيع ، كانت القوات الفاطمية تتجه الى نحو فاس وتضرب عليها الحصار . ونجحت مدينه المولى ادريس .
التي عرفت بشجاعة رجالها ، وقوة تحصيناتها وكثرة أطعمتها . فى الصمود أمام قوات جوهر ، كما أن أهلها أصموا آذانهم عن الاستماع الى رسائل المعز اليهم بالاستسلام نظير الأمان (٤٩) ، فلم تسقط الا عندما نجح زيرى ابن مناد مع قومه الصنهاجين فى مفاجأة أهلها ليلا ، باستخدام السلايم العالية لتسلق أسوارها من أدناها (الستارة) الى أعلاها ، وفتح أبوابها لكي يدخلها جوهر على رأس قواته حسب العلامة المتفق عليها ، وسط أصوات الطبول وأضواء المشاعل . ويسقط فى آيدى أحمد بن بكر الذى اختفى لمدة يومين لكي يقبض عليه ، وذلك فى رمضان من سنة ٣٤٨ هـ / نوفمبر ٩٥٩ م (٥٠) .

وهكذا بعد أن قضى جوهر فى المغرب حوالى سنتين ثبت فيها أقدام الفاطميين فى كبريات الحواضر التى عهد بها الى الأولياء هناك ، عاد وبصحبه صاحبى سجلماسة محمد بن الفتح الشاكر لله ، وفاس : أحمد بن بكر ، مشهرين فى قفصين كانا قد أعدا لهما مسبقا ، بمعرفة الخليفة المعز ، الحبير فى علم الحيل (الميكانيكا) . واذا كان حمل أميرى فاس وسجلماسة الى المنصورية يرمز الى خضوع كل المغرب الأقصى بشرطيه الشمالى والجنوبى ، من تخوم سبتة الى وادى درعة ، فان قلال الماء التى حملها جوهر ، وكان يسبح فيها سمك المحيط الأطلسى (البحر المحيط) ، كان رمزا لوصول الفتح الفاطمية فى المغرب الى منتهاها ، حيث لا أرض وراء المحيط (٥١) .
أما عن عاصمة المغرب الأوسط تاهرت ، فكانت حكومتها من نصيب زيرى ابن مناد ، جزاء له على ما أظهره فى تلك الحملة من البطولة وحسن البلاء ، وخاصة فى فتح فاس (٥٢) .

(٤٩) المجالس والمسارير ، ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٤ - ج ٧ ص ٨٩ - حيث

الاشارة الى فتح فاس سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م .

(٥١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٢٥ .

(٥٢) ابن خلدون ، ج ٩ ص ٤٧ .

د.مول شتند بن خزر في طاعة الفاطميين :

والحقيقة أنه اذا كان بعض بني محمد بن خزر قد دخلوا في طاعة الناصر الى جانب يعلى بن محمد بن صالح ، فالمعروف أن سياسة الناصر في تقريب يعلى والعهده له بالمغرب وأعماله ، الى جانب العقد لمحمد بن يصل (المكناسي) على تلمسان وأعمالها ، كانت سببا في مراجعة محمد بن خزر - رأس الزناتية الأكبر - لموقفه من الفاطميين ، ودخوله من جديد في طاعتهم . فلقد وفد على المعز في بداية خلافته سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٢ م ، فأكرمه وأحسن اليه حتى أنه ظل مطيعا الى ما بعد عودة جوهر من حملته سنة ٣٤٨ هـ / ٩٥٨ م . بعد ذلك كانت وفادة محمد بن خزر الثانية على المعز في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م ، حيث هلك بالقيروان وقد تجاوز المائة من عمره . وهكذا ، فقد توفي عبد الرحمن الناصر خليفة قرطبة في نفس تلك السنة ، وقد انتشرت الدعوة الشيعية بالمغرب ، في مقابل تقلص النفوذ الأموي الذي لم يكن يتجاوز أعمال سبتة وطنجة (٥٣) . وبذلك كان على الحكم المستنصر العمل على تعديل ميزان القوى بما يسمح بدفع الخطر الفاطمي بعيدا عن حدود الأندلس ، الأمر الذي سوف يقع على عاتق محمد بن الخضر ابن خزر (الزناتي) من الجانب الأموي ، وعلى قرينه زيري بن مناد الصنهاجي من الجانب الفاطمي (٥٤) ، الأمر الذي يعني بواكير عهد الأسرة الزيرية في أفريقية والمغرب الأوسط ، والعصر الصنهاجي على طول بلاد المغرب وعرضها وبذلك تبدأ عصور حكم الأسر المغربية البربرية ، بعد الأسر المشرقية العربية ، وهو ما سوف ينسحب على بلاد الأندلس أيضا ، وهو الأمر الذي سيتكرس على أيدي المعز خلال السنوات العشر التالية .

السنوات الأخيرة من العصر الفاطمي في المغرب :

سياسة مزدوجة ينتهجها المعز : ما بين تأكيد الوجود ، والعمل الجاد من أجل الرحيل :

رجع جوهر الى أفريقية بعد حملته الكبرى في المغرب ، وهو يحمل صاحبي فاس وسجلماسة : أحمد بن بكر ، ومحمد بن واسول ، وتصحبه وفود رهائن أهل المغرب (٥٥) ، ومنهم الفاطميون (الأدارسة) (٥٦) ، شهادة

(٥٣) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٥٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ .

(٥٥) المجالس والمسائرات ، ص ٤٨٣ .

(٥٦) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٧ .

خضوع البلاد لسلطات المعز . أما عن قلال أسماك البحر المحيط التي قدمها لسيده المعز ، فهي رمز الى أن خيرات البلاد جميعا من برها الى بحرها أصبحت دانية انقطوف بالنسبة للامام وهو مرتاح في قصوره بمنصوره القبروان - تماما كما كان الرشيد يخاطب المزن العابرة فوق قصر الذهب ، قائلا : امطري أينما شئت ، فان خراجك لي ، وكما سوف يستمتع العزيز ابن المعز ، وهو في القاهرة بأطباق طرف الكرز البعلبكي يوم ظهور بشائرها هناك ، بفضل حسن تنظيم البريد الطائر بالحمام الزاجل ، ووحى ساحبه (مديره) ، وذكاء يعقوب بن كلس الوزير (٥٧) .

سياسة مناهضة لصاحبي فاس وسجلماسة :

ويظهر من رواية القاضي النعمان في المجالس والمسائرات أن الخليفة المعز كان يعول كثيرا على القبض على زعماء الثوار من البربر ، واحضارهم أحياء لديه ، وخاصة صاحبي فاس وسجلماسة : ابن بكر - وابن واسول ، ممن كانوا لا يقلقونه في صحوه بل ويؤرقونه في منامه (٥٨) . وإذا كان القصد بعد ذلك اشفاء غليله منهما بالعقاب مواجهة ، والاذلال (٥٩) ، فان هذا لا يمنع من أن يكون تفكير المعز قد تطرق الى امكانية اعادتهما الى طاعته بعد اخضاعهما لنوع من التأهيل النفسى اللازم لذلك (٦٠) .

(٥٧) حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ٢٩٥ - ويذكر أنه كان من الغريب أيضا ما حدث على عهد اليازوري وزير المستنصر ، من توجيه الحمام من افريقية الى مصر ، وان كان القلقشندى صاحب تلك الرواية يتحفظ قائلا : والعهدة على الراوى .
(٥٨) المجالس والمسائرات ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ ، حيث يرى المعز أمير فاس في منامه ، وأنظر ص ٢٥٢ - حيث يرى المعز حمد بن يصل - عميل الناصر في منامه منهزما .

(٥٩) أنظر المجالس ، ص ٤٥٨ - حيث المعز يوبخهما ، ص ٤١٨ - حيث يخترع المعز لكل منهما قصصا خاصة عجيب الشكل على عجل ، له وتدان يديران السير بين عليه ليرى كل من حوله وجهه ، ولا يعلمون بمن يديره للتشهير بهما ، ص ٣٩٠ - حيث المعز يوبخ وفد أهل سجلماسة على عصيانهم وسماحهم لصاحبهم باتخاذ لقب أمير المؤمنين وامام المسلمين .
(٦٠) هذا ما يفهم من أنه عاتبهما لعصيانهما (المجالس ، ص ٤٥٨) ، وان ابن واسول تاب أمام المعز - واعتذر بجهله وانتهازيته عندما اتخذ اللقب الخلافي (المجالس ، ص ٤١٥) ، هذا الى جانب مناظرته عندما سأل السماح له بحضور صلاة الجمعة خلف المعز ، في مسألة : اتخاذ اللقب الخلافي الذي هو من حق الأئمة وحدهم (المجالس ، ص ٤١٢) ، ثم السماح لابن واسول بحضور صلاة الجمعة وما كان يدور معه بعدها من الجدل مع القاضي الدمان حول مذهبه المالكي ، ومذهب آل البيت الفاطمي ، مما كان يتضح منه أن الرجل (بربرى الطبع) =

هذا ، وتضيف روايات المجالس والمسائرات عن « ابن واسول » معلومات مفيدة تسد فراغا فيما هو معروف لدينا عن أحداث سجلماسه . عنب حملة جوهر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م . وذلك اننا نجد . ان جانب محمد ابن واسول الشاكر لله ، في رواية النعمان ، شخصا آخر من نفس الأسرة ، كان رهينة هو الآخر في المنصورية ، وهو المنتصر بن محمد بن المعتز . أما عن كيفية وصوله إلى بلاط المعز وارتبائه حين الفصل في أمره فيتلخص في أن جوهر الذي يشار إليه بلقب (القائد) فقط ، صفح عن أهل سجلماسة لتركيهم الشاكر لله يخرج من المدينة دون اعتراض ثم انه ولى عليهم واليا منهم ، من المدرارين بنى واسول ، ولكنهم لم يلبثوا بعد مسيره أن ثاروا بواله وقتلوه ، وأقاموا مكانه « منتصر بن محمد بن المعتز » ، وذلك دون تحديد التاريخ . ولكي يدرا أعيان سجلماسة عن أنفسهم سخط المعز وانتقامه كتبوا اليه يعتذرون عما بدر منهم في حق واليهم الذي أساء السيرة ويعلمون ولايتهم ، ويلتمسون العفو والسماح ، الأمر الذي لم يقبله المعز الا أن يأتي وجوههم الى الحضرة ومعهم المنتصر ، وهو ما استجاب له السجلماسيون في التو واللحظة ، حيث أتى منهم مائتا رجل مع المنتصر مسارعين في أعقاب الرسول الى حضرة المعز . وبعد ترهيب المنتصر وعتاب السجلماسيين وتقريعهم ، قرب المنتصر وصفح عنهم ، وعندما رأى المعز صرفهم ، عقد للمنتصر على سجلماسة وعملها وخلع عليهم ، كما أكرم صحبه وكساهم (٦١) .

= لم يزد علمه في أمور الدين عن نطاق ما قرأه من كتب الطاعة ، «وكانه ظن أنه ليس الحق الا ما انتهى اليه » ولكنه كان « اذا سمع الحق أصغى اليه » ، واذا بين له وشرح وفسر مجمله رجع اليه وانقاد ، ولم يلج في الباطل ، كما يفعل كثير ممن انتحل مذهبا ونشأ عليه ممن شاهده » (المجالس ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥) .

(٦١) أنظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٨٨ - ٣٩٥ . وأنظر هامش ٢ ص ٣٨٩ - حيث الإشارة الى ان المنتصر ولى سجلماسة بعد أبيه سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، وثار عليه ابن عمه محمد بن فتح (ابن واسول) سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م وهو غلام حدث ، الأمر الذي لا يتفق زمنيا مع رواية المجالس هذه . والحقيقة انه يمكن ايجاد تفسير لقصة ذلك اللبس الذي يحيط بأبن واسول الرهينة في بلاط المعز ، اذا أخذنا برواية ابن عذارى التي تنص على مقتل ابن واسول الأول على يدى جوهر (أنظر فيما سبق ، هـ ٤٣ ص ٢٣٣) . ثم القبض على المنتصر بعد ما أحدثه في المدينة عقب انصراف جوهر ، وذلك أثناء وجوده في المغرب انتظارا لفتح مدينة فاس ، فيكون ابن واسول الذي حمله جوهر الى جانب أبي بكر صاحب فاس في القفصين (الميكانيكين) ، هو المنتصر ، وهنا يكون المائتا رجل الذين صحبوه هم في الحقيقة رعاثين أهل سجلماسة والمنطقة . وبذلك يصرف النظر عن قصة مكاتبة أهل سجلماسة للمعز ومذهاب المنتصر مع وجهاتهم بمحض ارادتهم - وهو الأمر المقبول .

رد الفعل الأموى فى الأندلس :

كان للانتصارات التى حققها جوهر على أمراء الزناتية فى المغرب رنة حزن وأسى فى نفس الناصر بقرطبة - حيث فشل الدعم العسكرى الذى كان يعده فى المرية (٦٢) لمساندة أنصاره فى المغرب ، والذى أصبح غير ذى موضوع بعد أن وصلت أنباء القضاء على يعلى بن محمد بن صالح ، تابعه فى تاهرت ، ولجوء أهله الى الأندلس (٦٣) . ولا ندرى ان كانت مثل هذه الأنباء الحزينة قد أثرت فى نفسية عبد الرحمن الناصر الذى توفى بعد ذلك بفترة قصيرة فى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م .

والهم أن ابن الناصر وخليفته ، الحكم المستنصر ، وهو الأمير العالم ، المشغول بآثراء مكتبته الذائعة الصيت ، سار على نفس سياسته القوية فى مناهضته للنموذ الفاطمى فى المغرب ، والتى و انتهت الظروف المناسبة حتى نص ، ابن عذارى ، على أنه « طاع له المغرب كله » (٦٤) ، ولا بأس أن يكون قصد ابن عذارى ما حدث فيما بعد ، بفضل نشاط محمد بن أبى عامر ، واستغراق المعز فى الاعداد لحملة مصر ، ثم نقلته الى القاهرة ، ووقوع عبء مواصلة الصراع مع الأمويين على عاتق آل زيرى الصنهاجيين .

الكفاح من أجل الهيمنة على العدو و تامةنا :

فمن الواضح أنه فى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م والسنوات التى تليها كان الحكم المستنصر يكافح من أجل اقرار سلطانه فى سبتة وطنجة وما يجاورهما - كإقليم تامةنا حيث قبائل برغواطة المتهمه بانحرافاتا الخارجية ثم الزندقية . والحقيقة أن الحكم المستنصر حقق نجاحا هائلا فى سياسته المغربية عندما استقبل سفير أمير برغواطة وقتئذ ، وهو : أبو عيسى منصور ابن أبى الأنصار الذى كانت ولايته بعد أبيه ٣٤١ هـ / ٩٥١ م ، وذلك فى شوال من سنة ٣٥٢ هـ / أكتوبر ٩٦٣ م . أما السفير فهو أبو صالح زموور البرغواطى وبصحبه ترجمانه الى اللغة العربية ، وهو : عيسى بن داود المسطاسى . فالى الحكم المستنصر يرجع الفضل فى تعريفنا بمنطقة تامةنا وأهلها ، وتاريخ الأسرة الحاكمة فيها ، التى ترجع الى طريف (ابن ملوك) .

(٦٢) المجالس ، ص ٢١٧ .

(٦٣) المجالس والمسائرات ، ص ٢١٧ .

(٦٤) البيان ج ١ ص ٢٢٧ ، ط : بيروت ، ج ص ٣٢٤ .

صاحب الحملة الاستكشافية الأولى في فتح الأندلس ، وابنه صالح (بن طريف) الذي سمي نفسه صالح المؤمنين ، والمهدي الأكبر ، فكأنه كان يتشيع رغم ما تنص عليه الرواية من أنهم بدأوا خوارج صفرية ، مناصرين لميسرة المدغرى ، سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م (٦٥) . وهكذا يكون تاريخ المغرب مدين للحكم المستنصر ، وللبعثة البرغواطية التي أتت تقدم فروض الطاعة للعاهل الأندلسي ، بمعلومات طريفة عن حقبة خفية من تاريخ تلمستنا وعادات قبائلها البرغواطية التي تعد من فروع قبائل المصامدة ، وخاصة ما يتعلق بقضية زندقته مما يجب أخذه بشيء من الحذر والحيطه (ما سبق ، ص ٢٠٩ والهامش ٤٣ ص ٢١٠) .

وإذا كان الحكم المستنصر قد اطمئن الى ولاء برغواطة ، البعيدة نوعا ما عن المجاز ، فانه كان في السنة التالية ٣٥٣ هـ / ٩٥٤ م يعمل على شراء رضا أهل سبتة عن طريق رفع الضرائب عنهم ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بما عليهم من ديون (التقسيط) حيث وقع عبء سدادها على أهل شرف اشبيلية (٦٦) .

سقوط كريت بين أيدي البيزنطيين :

أما عن أهم أحداث سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م في شرق البحر المتوسط فهو سقوط جزيرة كريت « اكريطش » التي كانت تابعة نظريا الى الخلافة العباسية منذ أن استولى عليها الأندلسيون عند خروجهم من الاسكندرية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، بين أيدي الروم البيزنطيين بقيادة تقفور فوكاس (٦٧) . وهو الأمر الذي عمل المعز على الاستفادة منه منذ أن علم بخبره عن طريق بعض وسطاء الأخشيدي صاحب مصر (المجالس ، ص ٤٤٤) ثم عندما طلب منه أهل كريت المعونة (المجالس ، ص ٤٤٦) الى أقصى حد . فلقد اتخذ من تدخله في شئون المسلمين في جزيرة كريت ذريعة للتدخل في شئون مصر عن طريق تدبير خطة مشتركة للعمل مع

(٦٥) أنظر البكري ، ص ١٣٦ - ١٣٧ م ، ابن عشاري ، ج ١ ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٦٦) ابن عشاري ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٦٧) أنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٧ - حيث نازل الروم الجزيرة في ٧٠٠ مراكب واقتحموها عليهم ولم يتمكن المسلمون من استعادتها ، وقارن ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط ، الترجمة العربية ص ٢٩٥ - ٢٩٦ - حيث النص على أن القوى البحرية البيزنطية تكونت من ٢٠٠٠ سفينة حربية منها ١٣٦٠ سفينة للمؤن والامداد .

الأخشيديين ، حسبما يشير اليه النعمان ، من الهدنة التي عقدت بين الروم والمعز في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م ولمدة خمس سنوات ، وما يرد في كتاب المعز أيضا الى امبراطور الروم والأخشيدي والى مصر (٦٨) .

تهديد الامبراطور الرومي :

فبمجرد وصول خبر غزو الروم للجزيرة بادر المعز بالكتابة الى امبراطور الروم يهدده بالغاء الهدنة بينهما اذا استمر في العدوان على أهل كريت الذين بعثوا اليه بسفيرهم باعتبارهم في حمايته ، وعلى أساس أنه صاحب أمر المسلمين بالحق الالهي ، سواء أطاعوه أو امتنعوا منه (٦٩) .

محاولة اجتذاب الأخشيدي في مصر للعامل سوية :

أما عن كتابه الى أبني الحسن على الأخشيدي في مصر - عن طريق وسيط - فقد نص فيه على أن الله خوله أن يكف أيدي الكفرة عما تناولت اليه من حرب المسلمين في هذا الصقع وهو مع ذلك يحثه على الجهاد وتقديم المعونة البحرية لأهل دعوته من الكريتيين ، ويعدده بعدم الخوف منه على مراكبه التي ستعود اليه بعد أن يتم لهم الفتح . وهو بعد أن يطمئن الأخشيدي على مراكبه ويعطيه المواثيق والعهود ، يطلب منه أن يبعث المراكب المصرية الى مرسى « طبرقة » من أرض برقة ، لقربه من جزيرة اقريطش (٧٠) . ولقد حدد المعز موعد اجتماع الأسطولين المصري والفاطمي في مرسى برقة هذا ، في أول ربيع الثاني من سنة ٣٥٠ هـ / ٢٠ مايو ٩٦١ م . والمعز يختم خطابه

(٦٨) المجالس والمسايرات ، ص ٤٤٢ ، هـ ١ ص ٤٤٣ - حيث الاشارة الى ان هدنة سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م كانت بين المعز وقسطنطين السابع ، وأنظر حسن ابراهيم وطه شرف ، المعز لدين الله - القاهرة - ١٩٤٧ ، الملحق الأول ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، ط ٢٠ ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦ ، ٤٧ - حيث الاشارة الى توجه عرب كريت نحو بغداد وسيف الدولة الحمداني وصاحب مصر فلما لم يسعفهم هؤلاء ، ولوا وجوههم شطر المنصورية ، وكان رد فعل المعز الاتصال بالأخشيديين للتعاون وتحذير الروم .

(٦٩) المجالس ، ص ٤٤٤ وهـ ١ - وهو هنا بضرب المثل للامبراطور قسطنطين (السابع) بما فعله هو وأبوه من التمسك بحقيهما في استرجاع ملكهما الذي كان اغتصبه رومانوس (رومانوس) ليكابين سنة ٩١٩ م .

(٧٠) أنظر المجالس ، ص ٤٤٥ حيث القراءة مرسى طينة من أرض برقة ، هـ ٣ - حيث اقتراح أن تكون الكلمة تحريف لليلة ، وهي مدينة برقة الاثرية ، اما اقتراحنا طبرقة فهي بناء على قراءة حسن ابراهيم وطه شرف مما أشرنا اليه اعلاه (هـ ٦٨ ص ٢٤١) .

هذا ، بأنه سيرسل أساطيله لمساعدة المسلمين في الجزيرة على كل حال ، سواء استجاب الاخشيدي لدعوته تلك أم لم يستجب (٧١) . وهو الأمر الذي لا نجد له صدى بعد ذلك في النصوص . ولا شك انه لم يكن من مصلحة المعز أن تتفاقم مشكلة كريت بينه وبين الروم بحيث تؤدي الى صراع يمكن أن تكون له آثاره السلبية على مشروع فتح مصر .

هل تحققت الأمنى :

المعز يرسى قواعد الاحتفالات الفاطمية الشعبية الكبرى :

احتفالات الحتان :

والذى ينفت النظر أنه في السنة التالية ، وهي ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م ، التى أعقبت غزو الروم لجزيرة افريطش كانت مجالا لاحتفالات شعبية كبرى ، مما أرسى قواعد المعز ، وذلك بمناسبة عملية الاعتذار أو الحتان التى كانت تجرى لصغار أولاد المسلمين ، فجعلوها وكأنها أول مراسم سن البلوغ ، بمعنى « الرشيد الدينى » ، من حيث أنها عملية طهور وتطهير ، مما يجب القيام به قبل الصلاة ، قريبا من مطلب الوضوء أو أدنى من ذلك الى مطلب الاغتسال من الجنابة ، التى أصبحت من وقتئذ نوعا من التعميد عند غير المسلمين ، بما يتطلبه من احتفال يشيع خبره بين الناس ، وتبقى أصدائه في نفوس الصغار والكبار .

هكذا قرر المعز في مطلع سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م بمناسبة ما قرره من ظهور أبنائه الثلاثة : عبد الله ونزار (العزيز) وعقيل ، أن يجعل من ذلك احتفالا شعبيا عاما ، يشارك فيه أهل المملكة على طول الشمال الافريقي من برقة شرقا الى سجلماسة غربا ، ومن صقلية شمالا الى بوابات السودان فى الصحراء جنوبا ، وذلك لمدة شهر كامل ، وهو شهر ربيع الأول من تلك السنة ، الذى كان يوافق موسم الربيع فعلا حيث امتد من ٩ ابريل الى ٨ من مايو ، فكانه « نوروز » فارس أو « نسيم » مصر .

(٧١) المجالس ، ص ٤٥ - ٤٦ . اما عن رسول أهل كريت الذى وصل الى المعز متأخرا بعض الشيء ، فقد بين للمعز خطورة استيلاء الروم على جزيرة كريت ، بسبب موقعها الاستراتيجي الهام الذى يرجو أن يمكنه من فتح القسطنطينية والمشرق ، الأمر الذى استحق عليه تقدير المعز ، مع الإشارة الى انه لو كان قد جاء فى وقت مبكر لكانت أساطيله وقتلته عندهم . وأنظر بحثنا « موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين فى افريقيا ونقلتهم الى مصر » . مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ١ سنة ١٩٥٨ ، ص ٩٣٣ .

وأخطر المعز الخاصة من رجال البلاط وأهل الحاشية والجند والعبيد ، وكذلك من أهل الحضرة من التجار والصناع وعامة الرعية بالنصورية والقيروان وسائر مدن أفريقية وكورها من حاضر وباد . كما أصدر الأوامر الى المسئولين عن الولاة والعمال في سائر أنحاء الدولة بأن يتقدموا في ظهور أبنائهم يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الأول سنة ١٣٥١ هـ / ٩ أبريل ١٩٦٢م الى انقضاء هذا الشهر . كما صدرت الأوامر أيضا بإرسال الأموال اللازمة للانفاق على عملية الطهور ، وما يصاحبها من الخلع والهدايا على الصغار « المتطهرين » وأولياء أمورهم . والظاهر أن نصيب كل ولاية من مال الطهور قدر بحوالى خمسين حملا من المال ، وهو القدر الذى أرسل الى صقلية فعلا ، دون حساب الخلع والكسي (٧٢) .

وكان قصر البحر (برقادة) هو المركز الرئيسى لعملية الحتان العامة . ففي ساحته ضربت السراقات حول بركة الماء الشبيبة بالبحر ، حيث كان الحفل الكبير يجرى تحت اشراف المعز شخصيا ، الذى بدأ بختان أبنائه ثم سمح لبقية المضمور من الصبيان ، مع كافة أصناف طبقات السلم الاجتماعى ، بالدخول مع من صاحبهم من الآباء والأمهات أو العبيد والخدم . هذا ولقد زاد من تسارع الناس بأبنائهم الى الحتان ما أعطى للعملية من صبغة رسمية ، وما أشيع من أنها ستكون « سبعية » بمعنى دورية كل سبع سنوات ، فكان ذلك مما تقضى به أصول المذهب « مذهب السبعية » ، وأن الخروج على ذلك يعتبر انحرافا عن الرغبة الامامية ، وهى الشائعة التى استحسنها المعز ، طالما كانت فى مصلحة الجميع . ولقد استغرق الاشراف على العملية الكثير من وقت المعز الذى كان يجلس لاستعراض صفار المتطهرين ، من وقت الضحى (الغداة) حيث يمرون بين يديه فيصيبون من الكساء والصلوات جميعا ، دونما استثناء ، وان كانت هداياهم تبعا لتصنيفهم الاجتماعى والطبقي من : الشرفاء والخاصة الى العامة والعبيد السودان . وكان متوسط ما يعطى لكل صبى من أهل الحاضرة ، غير الكسوة ، من ٢٠٠ (مائتى) درهم الى ١٥٠ (مائة وخمسين) درهما ، أما أقل ما أعطى لصبيان أهل البادية فهو ١٠ (عشرة) دراهم (٧٣) .

(٧٢) المجالس والمسايرات ، ص ٥٥٦ .

(٧٣) انظر المجالس والمسايرات ، ص ٥٥٧ - حيث جرت عملية الحتان عن طريق جلوس

الحثانيين فى السراقات على الكراسى وبين أيديهم المقاعد المرتفعة (المنابر) للولس الصبيان =

أما عن أعداد سفار المتطهرين فقد بلغ متوسطها اليونى بالحاضرة ، خلال شهر الاحتفال ما بين ٥ (خمسة) آلاف و ١٠ (عشرة) ألف صبي ، ولا ندرى مدى صحة هذه الأرقام قياسا على ما قيل من أن جملة من تطهر من صبيان صقلية بلغ ١٥ (خمسة عشر) ألفا . وسواء صحت تلك الأرقام أم كان مبالغا فيها (٧٤) ، فقد كانت بالنسبة لأهل ذلك الزمان تعبيرا عن كثرة المتطهرين الصغار ، وقبل ذلك عن كثرة ما أنفق عليهم من الأموال ، الأمر الذى كان يثير شفقة بعض المسئولين من رجال الدولة كالتقاضى النعمان الذى أسر الى سيده بما انتابه من القلق لولا تظمين المعز الذى هدأ من روعه ، عندما عرفه أنه أعد للأمر عدته ، وأنه عزل من المال ما يستغرق انفاقه بقيمة الشهر ، وإن القصد من ذلك هو الخير للناس مع اقامة الفرض ، واحياء السنة المحمدية والملة الابراهيمية . والمهم أنه لم ينتقض الشهر الا وكان جميع الصبية ، فى كل المملكة ، قد تم تطهيرهم عن آخرهم حسبما رسم المعز وقطن (٧٥) .

وعن هذا الطريق بدأ المعز فى المغرب ارساء قواعد الاحتفالات والرسوم الفاطمية بهذا العيد الشعبى الكبير الذى طل أمده شهرا كاملا . فكانت أيامه : « أيام أعياد ومسرات وأفراح وهبات لكل وجبة وجهه من مملكة أمير المؤمنين من بدو وحضر ، وعمهم فضله وتبين عليهم أثره . وارتفق به أغنياؤهم ، وانتعش له فقراؤهم ، ودخلت المسرة على أهل كل بيت منهم ، وكان له أثر جميل لم يسبقه اليه (صغ) أحد قبله ٠٠٠ » ، كما يقول النعمان (٧٦) . ولا شك أن مرامى المعز من ذلك العيد كانت أبعد من المظاهر الاحتفالية التى سماحته ، وذلك بشد الرعية الى امامها الذى يكرمها ،

والمساعدون يسكنونهم فى حجورهم ، ويذرون الذرارات المسكة للدم على ختاناتهم ، ويقفون بالبخور وماء الورد على رؤسهم ويرشونهم على وجوههم لما يعثريهم من الروح . والفجر من أهل السند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلهنهم ، ويصحبون من طهر منهم ، يزفون به الى منزله .

(٧٤) انظر المجالس ، ص ٥٧٧ وهـ ٢ - حيث التعليق على تلك الأرقام بأنها خيالية مبالغ فيها ، وقارن ص ٥٥٨ - حيث النص على أن عدد المتطهرين فى آخر يوم من الشهر بلغ ١٢ (اثني عشر) ألف صبي .

(٧٥) المجالس والمسارير ، ص ٥٥٨ .

(٧٦) المجالس ، ص ٥٥٨ .

ويأخذ بيد الضعفاء منها ، ومساندة دولته وتأييد سياسته (٧٧) .

فكان المعز يؤيد أعماله العسكرية التي هدفت الى تثبيت أقدام الأسرة الفاطمية بالترهيب ، بأعماله السلمية التي قصدت اكتساب قلوب الرعية المغربية بالترغيب - وكل ذلك كما نرى ، كمقدمة لحفاظ على وحدة الدولة عندما يتنهاى لها تحقيق أملها في الهيمنة على المشرق بدأ بفتح مصر .

السياسة الدينية :

وهنا يمكن ادخال ظاهرة الحتان الكبرى هذه ، وما صاحبها من التوسعة على الرعية ، وبخاصة الفقراء وأهل الحاجة منهم ، في اطار سياسة المعز الدينية ، من حيث اعتباره مقنن المذهب الفاطمي وواضع قواعده . وان كان بقلم النعمان ، قاضيه ومستشاره وكبير دعائه مما سبقت الإشارة اليه (أنظر فيما سبق ، ص ٢٢٠ وهـ ٣) ، فهو يجعل مسألة الحتان جهدا في سبيل اقامة فروض الدين والسنة النبوية والملة الابراهيمية ، مما ذكر أعلاه .

أنتهاسك بشعائر المذهب :

اما عن سياسته الدينية فتتمثل في اكمال ما كان بدأه الرواد الأوائل ، من : الداعي أبي عبد الله وأخيه أبي العباس ، والقاضي المروزي ، وما كان أكده المهدي ثم القائم من شعائر مذهب أهل البيت مما يتعلق بالأذان والصلاة مما يقع فيه الاختلاف مع أهل السنة وخاصة المالكية منهم ، الأمر الذي ربما كان قد وقع فيه شيء من التراخي ، وخاصة بعد تجربة أبي يزيد النكاري . ففي سنة ٩٣٤هـ / ٩٦٠م أصدر المعز أوامره الى أئمة المساجد والمؤذنين يأمرهم بالألا يؤذنوا الا ويقولوا : « حى على خير العمل » ، وأن يقرأوا « بسم الله الرحمن الرحيم » في أول كل سورة ، وأن يسلموا تسليمتين ، وأن يكبروا على الجنائز خمسا ، وألا يؤخروا صلاة العصر ، ولا يبكروا بالعشاء الأخيرة (٧٨) .

(٧٧) أنظر المجالس ، ص ٥٥٩ - حيث تظهر مشاعر المعز الانسانية هذه فيما عبر به عندما قال : والله لقد ساءنى من رأيته يمر بى من أهل الفقر والمسكنة ، وان كانوا قليلا في كثير ، لانهم رعبتنا ومن نحب أن يكونوا أغنياء تظهر نعمة الله (تع) عليهم بنا ، اذ قد جرى مثل هذا .

(٧٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٣ . هذا الى جانب تنظيم الاحتفالات الجنائزية بمنع النساء المشيعات من الصباح خلف الميت ، وعدم قراءة العميان القرآن بالمقابر الا عند الدفن فقط ، =

احياء التلاعن مع الأمويين :

وهنا لا بدس من الاشارة مرة أخرى الى أن الصراع السياسى مع الأمويين بالاندلس من اجل السيطرة على المغرب ، والذى نفاقم على عهد المعز بما قام به البحريون الاندسيون من الاعمال العدوانية ضد رجال المعز ، وما ترتب على ذلك من تبادل الأعمال الانتقامية ، تم ما قام به المعز من فرض الهيمنة الفاطمية بانقوة حتى تتواطىء المحيط فيما وراء طنجه ، وبالتحالف مع زعماء البربر ، والتقارب مع أبناء العم الآخرين من الفاطميين الادارسة ، أصحاب فاس أو بنى محمد أصحاب حجر النسر . كل ذلك كان سببا فيما يمكن أن يقال انه احياء لصراعات فتنة التحكيم العلوية الأموية ، وما ترتب عليها من تبادل اللعن من فوق المنابر ، الأمر الذى استمر على عهد الأمويين الى خلافة عمر بن عبد العزيز صاحب الفضل فى منعه . وهكذا كان الصراع من أجل المغرب الأقصى ومنطقة العداوة المغربية سببا فى احياء التلاعن الدينى بين الفاطميين والأمويين ، على عهد الناصر ، منذ أن اتخذ اللقب الخلافى بخاصة ، الأمر الذى أثار حساسية شديدة لدى الفاطميين الذين اعتقدوا أنهم أصحاب الحق وحدهم فى حمل اللقب .

ومن الواضح أن الناصر الأموى وأتباعه من أمراء البربر كانوا يكتفون بتسجيل لعن الفاطميين الشيعة فى الخطابات الرسمية المتبادلة فيما بينهم ، بل وربما بالغ زعماء البربر فى ذلك اكتسابا لرضاء الناصر ، ولكن الفاطميين خرجوا عن هذا النطاق الى لعن الأمويين من فوق المنابر ، وكأنهم يأخذون بثأرهم من الأمويين الذين مارسوا اهانتهم فى خطب الجمعة لأكثر من نصف قرن . فهذا ما يفهم مما فعله الناصر الأموى عندما أرسل مبعوثا من لدنه ، عن طريق وسيط ، الى المعز يطلب الصلح ، ويحتج على

ما يدخل فى جهود المعز كرائد ترتيب الرسوم الفاطمية . والى جانب ذلك تذكر محاولة المعز تصحيح اتجاه قبلة القبروان التى كانت متحرفة نحو الشرق منذ أن بناها عقبة ، كما تقول بعض الروايات ، وأن المعز عندما وجد معارضة شعبية لذلك على أساس ان من مس قبلة عقبة أصابه الله بسوء بدعاء عقبة المستجاب ، قرر المعز الانتقام منهم بنش قبر عقبة بتهودة ، وأرسل لذلك سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م ٥٠٠ (خمسمائة) رجل ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك اذ ثارت بهم العواصف التى ردتهم على أعقابهم - البكرى ، ص ٧٤ - وقارن الاستنصار ، ص ١١٤ .

• يمارسه المعز من لعنهم وهم مسلمون (٧٩) • وإذا كانت تلك الرواية لا تشير إلى اللعن من فوق المنابر ، فإن المعز يشير في مجلس آخر إلى أنه بلغه أن الناصر يلعنهم على منابره « كلعن سلفه الفسقة لأمر المؤمنين على (عم) وينكر علينا لعنه » (٨٠) •

اللقب الثاني من أسباب الخلاف :

هنا ، كما كان اتخاذ عبد الرحمن الناصر لقب الخلافة ، من وجهة النظر الشيعية الظالمية داخلا في ذلك الصراع الديني (السياسي) القائم بين الطرفين ، على أساس أن الإمامة والخلافة وقف على الأئمة الفاطميين ، دون ودون من سواه » ، ومن حيث ما يروونه من أن الله فرض عليهم محاربة من اشتمل ذلك دونهم وإدعاه • وبناء على ذلك يقول المعز لوالاسطة : « ما أنا بالمؤمن في دين الله ، ولا الراكن بالمودة إلى أعداء الله ، ولا بالمخادع في أمر من أمور الله » (المجالس والمسائرات ، ص ١٦٨) •

والمعروف أن تلك المراسلات تمت عن طريق بعض خواص كل من الطرفين ، أي الناصر والمعز ، الأمر الذي يعنى أن المسألة كانت تتعلق

(٧٩) انظر المجالس والمسائرات ، ص ١١٥ - ١١٦ - حيث يسير المعز في رده إلى تأويل بعض الكلمات في عدد من الآيات القرآنية على أنها تعنى الأمويين ، مثل : ألا لعنة الله على الظالمين (هود ، ١٨) والشجرة الملعونة في القرآن (الاسراء ، ٦٠) ، والتي تشمل الأصول والفروع •

(٨٠) انظر المجالس والمسائرات ، ص ١٧٦ - ١١٧ - حيث يستخدم المعز نفس الجدال الذي يستند في لعنه للأمويين إلى تأويل بعض الآيات القرآنية (كما في الهامش السابق) مع الإشارة إلى قوة سنده في لعن الأمويين إلى الآيات القرآنية ، بينما الناصر ، عندما يلعنه أو يشتمه فبالإقتداء بسلفه الذين شتموا (الرسول ؟) ولعنوا وصيه إلى جانب تفسيره اللعن بمعنى الطرد والابتعاد من الجماعة وهو ما فعله النبي بهم - الأمر الذي اقتنع به رسول عبد الرحمن الناصر ، قبل أن ينصرف عائدا إلى بلده • وقارن أيضا ص ٢٨٥ - حيث ينص المعز على علمه بأن الأمويين لعنوه على منابرههم بالأندلس كما يلعن آبائهم عليا ، مع تكرار القول بأن الطرد يعنى اللعن ، وهو الأمر القديم فيهم منذ أيام الرسول ، مع النص على أن افتخار الأمويين بالانتساب إلى عبد الملك بن مروان أمر لا يعتز به ، فهو اللعين بن اللعينين : الحكم ومروان ، وهو الأمر الذي يرد عليه ابن خلدون في المقدمة ، مستندا إلى مالك بن أنس في الموطأ - حيث يشهد بعدالة عبد الملك ومروان - انظر العسر ، ج ٦ فصل ٢٨ عن انقلاب الخلافة إلى ملك ، ص ١٧٢ - حيث يقول فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك ، وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدلته معروفة •

بوساطة خير تهدف الى حقن دماء المسلمين . واذا كان القاضي النعمان لا يحدد تاريخ تلك المراسلات ، فمن الواضح من روايته أنها تمت قبل حملة جوهر الكبرى التي سيرها المعز الى عدوة الأندلس والمغرب الأقصى سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م ، فهذا ما يفهم مما تقوله الرواية من أن رسول الأموي عندما رجع يلج في الصلح من جديد ، صرفه المعز خائبا دون جواب ، « وأمر بتجهيز الجيوش الى أرض المغرب لتتبع كل من مال الى بنى أمية بالقتل ، واجتياحهم عن جديد الأرض . فاذا طهرها الله منهم فيما والاه من البربر جهزهم اليهم - ان شاء الله - في البحر لقطع دابرهم ، واصطلامهم عن آخر بحلول الله وقوته » (٨١) .

في الحرية المذهبية والحق :

وفي مجال ذلك الصراع المذهبي السياسي وما دار حوله من الجدل ، يرفض المعز ما يباهى به الناصر من تركه الحرية المذهبية للناس يختارون ما يحبونه من المذاهب دونما اكراه حتى « نزع الناس اليه وسكنوا بلده لذلك » ، على أساس أن ذلك سمة حكم المتغلبين من الأمراء غير الشرعيين الذين يسعون الى عاجل الدنيا ولا ينظرون في أمور الدين (٨٢) .

اما عن ادعاء الناصر بمنع حجاج أهل الأندلس من المرور بأفريقية ، فهو الأمر الذي ينفية المعز ، بل ويلقى على الناصر (الفاسق) بتبعته ، لثلا يؤدوا بزعمه أخباره اليها . والحقيقة أنهم يذهبون ويرجعون دون أن يمنعيهم أحد . « وكيف نصعد عن بيت الله ونحن أهل أم نمنع من زيارة قبر جدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ونحن ولده (٨٣) » . وهنا لا بأس

(٨١) المجالس والمسايرات ، ص ١٧٠ .

(٨٢) أنظر المجالس والمسايرات ، ص ١٦٠ - ١٩١ - وذلك حسبما تقضى قواعد المذهب الفاطمي ، من : ان الله عز وجل يرسل الرسل و (ما) اقام الأئمة الا لاطهار دينه ، وتقويم عبادته عليه ، والدعاء اليه . اما عن سبب نزوع الناس الى بلده ف « لما أباح لهم من شرب الخمر والمجاهرة بالمعاصي » . اما عن افتخاره بنزوح الناس الى بلده ، فالمعروف انه لا توجد قرية فضلا عن المسابر والمدن ، من المغرب الى المشرق ، الا وفيها طائفة من أهل الأندلس قد نزعوا اليها ووطنوا بها . وان كثيرا منهم ليذكر ان الذي نزع به خوف سخط الله لما رآه من اظهار المعاصي ببلده » ، فضلا عن تنقل الناس بين البلدان واختيارا ولغير علة على قديم الزمان في كل مكان .

(٨٣) المجالس والمسايرات ، ص ١٩٣ .

من الإشارة الى أن إعلان أمان المعز لأهل مصر الذى قرأه جوهر عليهم عندما دخل الفسطاط فى أواخر شعبان سنة ٣٥٩ هـ / أوائل يولييه ٩٧٠ م ، والذى كان بمثابة إعلان مبادئ الحكم (أى الدستور) الفاطمى ، المبني على أصول الاسلام والسنن النبوية ، فى مقابل دستور الحكيم الاخشيدى العباسى المبني على الأغراض الدنيوية والأهواء الفاسدة (٨٤) ، كان من بين بنوده ما ينص على « اقامة الحج الذى تعطل » - بسبب القرامطة أبناء مذهبهم الاسماعيلى ، و « أن أجبركم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) واضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى ، فلا استحقاق لصيرها لبيت المال » و « رم المساجد وتزينها بالفرش والايقاد » ، وبيان أن الاسلام سنة واحدة وشرعية متبعة ، وأن « يجرى الآذان والصلاة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام لياليه ، والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله فى كتابه ، ونصه نبيه (صلى الله عليه وسلم) فى سنته (٨٥) . وهذا يعنى ان الاصلاح الدينى كان فى مقدمة البرنامج السياسى الذى أعده المعز لمصر .

أحوال المغرب ما بين فتح جوهر لمصر ونقله المعز اليها :

والحقيقة أن المعز كان على أهبة الاستعداد لفتح مصر بمجرد وفاة الأستاذ الأسود أبو المسك كافور الاخشيدى (٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م) ، الذى آل اليه حكم مصر بعد وفاة ولدى الاخشيد : أنوجور (ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م) وعلى (أبو الحسن) (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م) . وساءت العلاقة بينه وبين اخوة الاخشيد الذين كانوا وقتئذ لاجئين ببلاد الشام . فالمعز كان على دراية بالفراغ السياسى والدستورى الذى سيحدثه اختفاء كافور عن مسرح الأحداث فى الفسطاط ، والظاهر أنه كان على دراية أيضا برقة حالة كافور الصحية . وهذا ما تعبر عنه الرواية التى كانت تقول ان فتح مصر يتم عندما يزول الحجر الأسود (٨٦) ، كناية عن وفاة كافور ، فى تلك الأوقات

(٨٤) حيث استشرى الفساد ، ليس بين رجال الدولة فقط ، بل بين النساء الاخشيدات أيضا ، حيث كانت بعضهن تشتري الجارية الغالية الثمن من أجل الاستمتاع بها - انظر اتعاط الحنفا ، ص ١٣٤ - حيث اشترت الأميرة الاخشيدية صبية مغربية ، كانت السلطات الفاطمية قد دستها فى أسواق القسطنطين ، ب ٦٠٠ دينار لتتبع بها .
(٨٥) انظر كتاب أمان جوهر فى اتعاط الحنفا للمقرئى ، ص ١٤٨ - ١٥١ ، وحسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .
(٨٦) اتعاط الحنفا ، ص ١٤٦ .

الصعبة بحيث كانت مصر تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية نتيجة لدوره المحل والوباء التي آلت بها بسبب انخفاض فيضان النيل الذي استمر لتسع سنوات متوالية ، من : ٣٥١ - ٣٦٠ هـ / ٩٦٢ - ٩٧١ م (٨٧) .

الأعمال التمهيدية :

وهكذا فلا بأس أن يكون المعز قد بدأ الأعمال التمهيدية لفتح مصر منذ سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م ، حيث صدرت أوامره بحفر الآبار على طول الطريق الى مصر ، وبناء الاستراحات ، من : المنازل والقصور (٨٨) ، وذلك تحت تأثير علم الحدائق الذي كان يعرفه الأئمة ، وضغوط الأتباع من الشيعة والدعة الذين اعتقدوا في ذلك ليس في حصرة الخلافة بالقيروان بل وفي مصر والمشرق (٨٩) . وكان من الطبيعي أن يستغرق هذا العمل عدة سنوات ، ولا بأس أن تكون وفاة كافور سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م ، قد زادت من همة المعز في انجاز تلك الأعمال . ففي تلك السنة كان المعز منهمكا في ترتيب صناديق الأموال التي بلغت الآلاف في قصر المنصورية ، والتي قدرت قيمتها بـ ٢٤ (أربعة وعشرين) مليون دينار (اتعاط الخنفا ، ص ١٣٨) ، ويعهد بها الى صاحب بيت المال ، مما تأتي الإشارة اليه (ص ٢٥١) . كما تضيف رواية ابن خلدون ان المعز خرج بنفسه ، في قلب الشتاء الى المهديّة ، وأخرج من قصور آبائه ٥٠٠ (خمسمائة) حمل من المال عاد بها الى القيروان ليزيد ميرة بيت المال بقصر المنصورية (٩٠) .

جولة مبدئية في بلاد كتامة :

هنا ، وتضيف رواية ابن خنكان أن المعز أصدر أوامره الى جوهر بأن يتجهز للخروج الى مصر . واذا كانت تلك الرواية تقول ان جوهر

(٨٧) أنظر اغانة الأمة للمقريزي ، ص ١٢ - ١٣ - حيث كان مستوى الفيضان ما بين ١٢ ذراعا (كما في سنة ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) ١٥ ذراعا ، كما في سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م - الأمر الذي لم يقع مثله في الملة الإسلامية كما يقول المقريزي .

(٨٨) اتعاط الخنفا ، ص ١٣٨ - وقارن المؤنس لابن أبي دينار ، ص ٦٤ .

(٨٩) أنظر المجالس والمساربات ، ص ٥٠٧ - حيث كان المنصور يثنى للمعز ، ابنه ، يفتح مصر ، ص ١٣٨ - حيث كان المعز نفسه لا يشك في افتتاح المشرق قريبا ، وص ٤٧٥ - حيث يجيء وفد مشرقى يبحث المعز على غزو المشرق .

(٩٠) وفيات الأعيان ، ترجمة المعز العبيدي ، ج ٥ ص ٢٣٦ ، وقارن ابن أبي دينار المؤنس ، ص ٦٤ - حيث اخرج دون ذكر فصل الشتاء ، وقصور أبيه بدلا من آبائه .

بدأ بالخروج الى جبهة المغرب لاصلاح أموره وكان معه جيش عظيم ، الأمر الذى يوحى بقيامه بحملة جديدة على بلاد المغرب ، قد يتهك فيها قواه فى ذلك الوقت غير المناسب ، فان بقيه الرواية تجعل تلك الحملة من الأعمال التمهيدية المقبولة بالنسبة لفتح مصر . فرواية ابن خلكان التى تظهر أصداؤها عند ابن أبى دينار ، تشير الى أن الهدف من الحملة كان حشد الأجناد من قبائل كتامة (٩١) ، فى اقليم القبائل الصغرى ، الى جانب جبابة الأموال التى كانت على « قطائع » البربر ، والتى بلغ مقدارها ٥٠٠ (خمسمائة) ألف دينار (٩٢) .

وعندما عاد جوهر من جولته تارك فى بلاد كتامة بعد أن تم له ما كان يبغيه من حشد الرجال والأموال ، وذلك فى ٢٧ من المحرم سنة ٣٥٨هـ / ٢٢ ديسمبر ٩٦٨م ، صدرت اليه أوامر المعز بالخروج الى مصر ، الأمر الذى تم خلال فترة لم تتجاوز الشهر الا بأيام قليلة . وخلال تلك الفترة كان المعز يشرف بنفسه على تجهيز العسكر الكبير الذى حوى المتطوعة من بربر أفريقية ، وخاصة من قبائل كتامة وزويلة ، الى جانب الجند النظامى . ولم يبخل المعز فى النفقة على العسكر ، والتى تراوحت ما بين ٢٠ (عشرين) ديناراً و ١٠٠ (مائة) دينار لكل فرد منهم (٩٣) .

المسير من الحضرة :

وهكذا كان منبر جوهر من الحضرة فى اتجاه مصر ، يوم ١٤ ربيع الأول سنة ٣٥٨هـ / ٦ فبراير ٩٦٩م ، فى احتفال عظيم ، حضره الخليفة المعز الذى ودعه جوهر مقبلاً يده وحافر فرسه (٩٤) . كما قدم لجوهر

(٩١) هنا فضلنا رواية ابن أبى دينار التى تشير الى حشد كتامة على رواية ابن خلكان (عن المعز ، ج ٥ ص ٢٢٦) التى تشير الى جمع قبائل العرب الذى يتوجه بهم الى مصر ، حيث كان العرب يقطنون وقتئذ فى اقليم برقة ، قبل الهجرة الهلالية ، مما تشير اليه فيما بعد (ص ٤٢٤) .

(٩٢) ابن خلكان (عن المعز) ج ٥ ص ٢٢٦ ، وقارن المؤنس بن أبى دينار ، ص ٦٤ .

(٩٣) أنظر ابن خلكان ، ج ٥ ص ٢٢٦ ، وقارن ابن أبى دينار ، المؤنس ، ص ٦٤ - حيث تاريخ مسيرة الحملة (٤ ربيع الأول) الى جانب تحديد عناصر الجيش من البربر والكتاميين الزويليين والجند .

(٩٤) ابن خلكان (عن الجوهر) ج ١ ص ٣٧٥ - ٣٧٧ ، وحسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٠ .

ما يليق بمكانه من التظيم والتبجيل من كبار رجال الدولة ، وعلى رأسهم
الأمراء أبناء المعز الذين ترجلوا عن خيولهم بأمر الخليفة الوالد (ابن خنكان
جوهري ج ١ ص ٢٧٧) . ويقدم الجيتس التثني المحمل بأكداس المال (١٥) ،
الذي وصفه محمد بن هانيء الأندلسي ، قائلا :

رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع
وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كان الأفق سداً بمتله
فعاد غروب الشمس من حيث تطلع (٩٦)

وعند عودة المعز الى قصره ، أرسل الى جوهري كل ما كان عليه من
ثياب سوى الخاتم (ابن خلكان ، جوهري) رمزا لنيابته العامة عن المعز
مع استمرار كون النكاه الأخيرة للخليفة ، صاحب الحق الشرعي في امضاء
الأمر مهما تكن الأحوال . وعلى طول الطريق كان جوهري يتلقى من ولاة
الأقاليم ما هو مقرر عليهم من المعونة ، ومن واجبات التبجيل والاحترام
نحو القائد الذي كان قد ارتقى الى مرتبة الوزارة ، كما تقول النصوص ،
وذلك في المراكز الكبيرة ، مثل : قابس وطرابلس وبرقة ، على ما نظن .
فالمعروف أنه كان على جوهري في برقة أن يستقبل حشد العرب الذين
يسيرون معه الى مصر مع حشد كتامة (انظر أعلاه ص ٢٥١) كما كان على
والى برقة أيضا وهو وقتئذ أفلح بن ناشب أن يقوم بواجب التحية نحو
جوهري فيترجل له (عن حصانه) ويقبل يده ، الأمر الذي دفعه الى عرض
١٠٠ ألف دينار على الخليفة المعز في سبيل اعفائه منه فلم يلق استجابة له
(انظر فيما بعد ص ٢٧٩ وهـ ١٧٠) .

مسيرة الأسطول :

ولما كانت خطة الفتح تقضى بمسير الأسطول في البحر محاذيا للمحملة
البرية ، فإن هذا التعاون المشترك بين القوات البرية والبحرية كان

(٩٥) انظر ابن خلكان ، ترجمة جوهري ، ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ - حيث النص على بروز
جوهري في أكثر من ١٠٠ (مائة) ألف فارس ، ومعه أكثر من ١٢٠٠ (ألف ومائتي) صندوق
من المال ، وقارن ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٦٤ - حيث النص على أن يسير جوهري كان
في عدد يقصر عنه الوصف ، ومعه ألف حمل من المال .
(٩٦) حسن إبراهيم ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٠ .

- ٢٥٣ -

سما سهل فتح الاسكندرية ، الذى يقول فيه ابن هانىء :

نقول بنو العباس هل فتحت مصر
فقل لبنى العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر
تطالعه البشرى ويصعبه النصر (٩٧)

وبعد فتح الاسكندرية كان على جوهر أن يسير بمحاذاة فرع النيل الغربى ، مرورا بمدينة تروجة المزدهرة وقتئذ ، بينما كان على قطع الأسطول أن تصعد فى النيل من مصب رشيد ، محاذية الجيش البرى ، نحو مدينة مصر : القساط . وكان الوصول الى الجيزة يوم ٧ من شعبان/ ٢٦ يونيه ٩٦٩ م ، من حيث كان عبور النيل فى ١٦ شعبان/ ٥ يوليه ، ووضع حجر الأساس لبناء مدينة القاهرة التى سماها جوهر بالمنصورة ، فى اليوم التالى : ١٧ من شعبان سنة ٣٥٨ هـ / ٦ يولية ٩٦٩ م .

وبقى المعز فى قصره بالمنصورة يتلقى أنباء الفتح المبين أولا بأول ، وكانت أول بشارة تصله فى ١٥ رمضان سنة ٣٥٨ هـ/ ٢ أغسطس ٩٦٩ م ، تلنها بشارة فنوح الشام ، الى أن تقررت قواعده بالديار المصرية . فقرر المسير الى هناك فى شوال سنة ٣٦١ هـ/ يوليه ٩٧٢ م ، بد ٣ (ثلاث) سنوات قضاها هو الآخر ، فى اقرار قواعد الدولة بديار أفريقية والمغرب .

اضطرب قبائل زناتة بقيادة محمد بن الحخير بن محمد بن خزر
(سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م) :

بمسير جوهر والكتامين الى مصر ، وقع عبء اقرار السلام القاسمى فى بلاد المغرب على كتفى المعز ، قبل أن يلقيها بدوره على كاهل معاونيه من آل زيرى الصنهاجيين .

ففى نفس سنة فتح مصر اضطربت قبائل زناتة من جديد فى بلاد الزاب ، وذلك بقيادة أميرها محمد بن الحخير بن محمد بن خزر الذى استماله المستنصر الأموى الى جانبه (٩٨) . وكان على المعز أن يخرج بنفسه الى لقائه

(٩٧) انظر حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٤٧ .

(٩٨) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٦ ، وقارن ابن الاثير ، ج ٨ ص ٥٩٩ - حيث الاسم

ابو خزر الزناتى .

فى باغاية ، ولكن ابن الخير الذى كان يتبع فى حرية أسلوب قبائل البادية المتمثل فى الكر والفر ، بمعنى عدم الالتحام بالخصم اكتفاءً بارهاقه على طريقة « اضرب واهرب » ، كان عليه أن يفر الى الصحراء المجهولة عن طريق سسلوك الدروب الوعرة . وهنا أسلم المعز الى بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى مطاردة الشائر الزناتى ، الى أن اختفت آثاره (٩٩) . والمهم ان محمد بن الخير لم يستسغ رياضة المطاردة الصحراوية العنيفة فقرّر فى السنة التالية ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، العودة الى أنس الطاعة ، فوصل بنفسه مستأمنًا الى المعز الذى رحب به وأحسن اليه ، فأجرى عليه راتبًا يضمن به معاشه (١٠٠) .

ثورة محمد بن الخير الزناتى سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م (١٠١) ، ومقتل زيرى بن مناد :

ولكن المعز لم يلبث أن واجه تحالفا من قبيل جعفر بن على ابن الأندلسى ، صاحب المسيلة وأحد المرشحين لخلافته بأفريقية ، وأخيه يحيى مع الزناتية من بنى خزر ، القائمين بدعوة الحكم المستنصر الأموى بالأندلس ضد أعوانه الصنهاجيين من : زيرى بن مناد صاحب أشير ، ووالى تاهرت وما يفتحه بسيف المعز من بلاد المغرب ، وابنه بلكين (١٠٢) .

فعندما شق جعفر بن على ابن الأندلسى عصا الطاعة سنة ٣٦٠هـ / ٩٧٠م ، وتقرب الى الحكم المستنصر الأموى ، كان عليه أن يترك إقطاعه فى المسيلة وأن يلحق بمحمد بن الخير بن محمد بن خزر الزناتى لكى يسير الجميع عبر الصحراء لمفاجأة زيرى بن مناد ، غير بعيد من ولايته بتاهرت على ما يظن . ورغم دفاع زيرى البطولى بما يليق باسمه فان المعركة انتهت بمقتله ، واحتواء بنى ابن الأندلسى والزناتية على معسكره (١٠٣) .

(٩٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٩٨ .

(١٠٠) ابن الأثير ج ٨ ص ٥٩٩ ، وانظر افتتاح الدعوة ، ص ٣٣٦ - حيث النص على ان ذلك لم يفعل من قبل لأحد غير المعز .

(١٠١) ابن عذارى ، ج ٢ (الأندلس) ص ٢٤٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٦ - حيث الاسم خطأ محمد بن الحسين الزناتى بدلا من الخير .

(١٠٢) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٢ .

(١٠٣) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٣ .

ورغم ما يفهم من روايات ابن عذارى التى جمعها من محمد بن يوسف الوراق وغيره . والتى تظهر غير منسجمة بعض الشيء ، من ان الزعيم الزناتى محمد بن الخير هو الذى قتل زيرى بن مناد ، فمن الواضح ان جعفر بن على ابن الاندلسى اندفع بكل حماس الداخلى الجديد فى الدعوة الأموية ، نكاية فى المعز ، ليأخذ على عاتقه فخر قتل الزعيم الصنهاجى زيرى بن مناد ، تابع المعز المقرب . وهكذا بادر جعفر بمراسلة الحكم فى قرطبة ، مدلا على صدق دخوله فى دعوته بتقديم رأس زيرى ، كأعظم هدية يمكن أن يتوقعها العاهل الأندلسى ، وذلك بمعية أخيه يحيى وأمرأى بنى خزر الزناتية . واستقبلت قرطبة رأس عدوها فى احتفال عظيم شهده كبار رجال دولة المستنصر فى أوائل شهر ذى القعدة من نفس السنة (٣٦٠ هـ / أغسطس ٩٧١ م) . أما عن ذروة الاحتفال فكان فى ٢٨ من ذى القعدة / ٢٤ سبتمبر ، حيث جلس المستنصر فوق السرير لاستقبال جعفر بن على ابن الاندلسى ومن أتى معه من أمرأى زناتة ، الذين كان قد بدأ الترحيب بهم منذ أن نزلوا فى مرسى مالقة ، حيث كان فى استقبالهم محمد بن أبى عامر ، الذى كان يشغل منصب قاضى أشبيلية ، بصفته نائبا عن الحكم (١٠٤) .

ثار بلكين من محمد بن الخير الزناتى :

وحق للمعز أن ينزعج أشد الانزعاج لما نزل بقائده زيرى الصنهاجى ، فى ذلك الوقت الحرج حيث كان يرتب أموزه من أجل المسير الى مصر ، ولكن قلته لم يستمر طويلا ، وذلك ان بلكين بن زيرى نجح فى قطع تلك الأعياد التى أقيمت فى الأندلس ابتهاجا بمقتل والده ، وذلك بالشار من الزعيم الزناتى ، محمد بن الخير ، عندما نجح فى مفاجاته بدوره على حين غرة ، فى ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٦٠ هـ / ١٧ فبراير ٩٧١ م ، وهو فى بعض مجتمعاته ، الأمر الذى دفع ابن الخير المعتز بنفسه ، والذى لم يقبل فسيم الوقوع فى الأسر ، عندما أحيط به ، ولا القتل بيد خصمه ، الى الانتحار بأسلوب أقرب الى ما عرف حديثا بطريقة (الهاز اكبرى) اليابانية وذلك بالاتكاء على سنان سيفه وقتل نفسه ، الأمر العظيم الذى كانت له أصداؤه الرائعة فى كل بلاد المغرب ، والذى استقبله المعز بما يعادله من الشعور بالراحة والغبطة ، حتى انه جلس لتقبل التهانى لثلاثة أيام متوالية.

فكانها مناسبة العيد (١٠٥) ، وكانت فى الحقيقة مناسبة الرحيل .

والحق فيه انه بينما كن المعز يسير نحو المشرق فى أواخر شوال من السنة التالية ، ٣٦١ هـ / يوليه ٩٧٢ م ، كانت الأحلاف قد تغيرت قى المغرب حيث انفض التحالف بين جعفر بن على بن الأندلسى الذى انضم الى صفوف بلكين وبين الزناتية ، وبدأ يحاربهم باسم المعز . كما كان الصراع دائرا فى العدو المغربية ما بين الأمويين وشيعتهم فى سبته وبين شيعة الفاطميين من الأدارسة ، وعلى رأسهم الحسن بن قنون ، تلك الصراعات التى ستصبح تركة المعز لنائبه بلكين بن زيرى . اما عن الاضطرابات التى عرفتھا صقلية وقتئذ فقد انقطعت تماما عندما أعاد المعز الامارة الى بنى الحسن الكلبيين ، فعين أبا القاسم بن الحسن واليا للجزيرة نيابة عن أخيه أحمد (أبو الحسين) ، فقاموا بشئون الجزيرة وبواجب الجهاد خير قيام .

أحوال صقلية من عهد القائم الى انتقال المعز الى القاهرة :

غارة على جنوة :

بدأ عيد القائم سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٥ م ، بحملة قوية خرجت من الميمنية ، بقيادة يعقوب بن اسحق ، الى جنوة التى كانت تعتبر من أرض الأفرنجة ، فاجتاحها قبل أن تعود بالمغانم والسبى - الأمر الذى كانت له أصداؤه المدوية فى كل من الجانبين الاسلامى والمسيحى على السواء (١٠٦) .

(١٠٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٣ ، وأنظر اتعاظ الحنفا ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث وردت الرسل فى شعبان سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م من المغرب برأس محمد بن خزر ، ومع ٣ آلاف رأس ، فقرأ عبد السميع يوم الجمعة كتاب المعز بخبر المذكور - وحيث تحديده تاريخ انتحار محمد بن الخيزر ب ١٧ ربيع الآخر سنة ٣٦٠ هـ / ١٧ فبراير ٩٧١ م .

(١٠٦) المكتبة الصقلية ، مخطوط كامبردج ، تاريخ صقلية حسب سوايات العالم ، ج ١ ص ١٧٠ - حيث النص على أخذ جنوة ، وأنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٨٥ - حيث جنوة من بلد الروم ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٣٣١ - حيث الاشارة بشكل عام الى افتتاح مدائن الروم ، وغزوهم بناحية الأندلس (جنوة) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٩ - حيث النص على أن وجهة الحملة كانت بلد الروم فافتتحت جنوة ، الأمر الذى جعل ارشيبالد لوبس ، القوى البحرية التجارية ، الترجمة ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ ، يقول ان نشاط الأسطول البيزنطى أزعج الفاطميين فى غرب المتوسط حتى أنهم أرسلوا عام ٩٣٥ م (٩) أسطولا كامل الاستعداد ليثبت دعائم =

استمرار ولاية سالم بن راشد :

أما عن صقلية فإن القائم أقر على ولايتها سالم بن راشد . وفي السنة الأولى من إمارة سالم على عهد القائم ، تذكر الحوليات الصقلية حسب تاريخ العالم مقتل والي . طبرمين المسمى زنداش ، ذلك في حملة كان يقوم بها ضد قلعة « قصر سالم » في ١٠ مارس من تلك السنة ٩٣٥م / ٢ ربيع الثاني ٣٢٣هـ . وفي السنة التالية تعرضت الجزيرة يوم الأحد الموافق ١٩ أكتوبر ٩٣٦م / ٣٠ ذي القعدة ٣٢٤هـ ، لنوء عظيم سالت له الأودية من المرتفعات المحيطة بمدينة بلرم فأغرقت الناس ، وهدمت الكثير من الدور في أرباض المدينة وداخلها . وعلى العكس من ذلك تعرضت بلرم في صيف العام التالي ، الى ريح « سموم » عاصفة في يوم ١١ يولييه ٩٣٧م / ٢٤ رمضان ٣٢٥هـ ، ترتب عليها حرق دوالي العنب والثمار فلم يكن في تلك السنة قطاف (١٠٧) .

والظاهر ان سالم بن راشد لم يكن موفقا في السياسة التي واجه بها تلك الصعوبات الطبيعية ، وما ترتب عليها من أزمة اقتصادية ، اذ تبع ذلك اضطرابات خطيرة انتهت بها فترة ولايته للجزيرة التي تجاوزت العشرين سنة ، والتي كانت أشبه بتلك الاضطرابات التي عرفتها البلاد على أيام سلفه : أبى سعيد الضيف . ففي سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م اشتعلت الفتنة بين أهل صقلية وأمرائهم ، وذلك عندما أعلن أهل مدينة جرجنت (حيث البربر) العصيان على سالم ، متهمين إياه بسوء السيرة - ربما لتشدده في جباية الأموال ، مما عرف عنه في بداية ولايته على عهد المهدي (أنظر فيما سبق ، ص ١٥٩) ففي ١٧ من إبريل ٩٣٨م / ١٨ جمادى الثانية ٣٢٦هـ ، ثار الجرجنتيون على الأمير سالم بن راشد ، وطردهوا عامله عليهم « ابن عمران » من قلعة البلوك ، كما نهبوا من كان لديهم من تجار اللومباردين (النردبارين) . وهنا أعد لهم سالم عسكريا ممن كان تحت امرته ، من : الكتامين والصقليين (١٠٨) ، إضافة الى جماعة من رجال

سلطانهم على مياه البحر التيراني ، وليغزو على سردينية وكورسيكا ، وربما جنوة أيضا (٩) رغم ما تخصصه النصوص العربية من غزو جنوة ، وأنه استطاع أن يحرق الكثير من السفن والذي نراه ان المؤلف لا يتقيد بالنصوص بل يعطى لنفسه الحرية في تفسيرها والتعليق عليها حسبما يترأى له ، وان لم يتفق مع مضمون النصوص .

(١٠٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ .

(١٠٨) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٧ - حيث النص.

على أهل صقلية وإفريقية (بدل الكتامين) .

القائد ميمون بن موسى ، وجعل قيادتهم الى المقدم : أبى دقاق الكتامي . وسار هؤلاء العساكر نحو جرجنت حيث ضربوا فازاتهم (أخبيتهم) فى موضع يقال له عصرة . وهنا رأى الجرجنتيون أن تكون لهم المبادرة بالعمل ، فزحفوا الى معسكر قوات بلرم ، ودارت الحرب بين الطرفين ، فى يوم السبت ٢٤ يونيه / ٢٧ شعبان ، وانتهت بهزيمة العسكر الكتامي الذى قُتل كثير من رجاله وعلى رأسهم قائدهم ، المقدم أبى دقاق . ورفع النصر من روح أهل جرجنت الذين تابعوا المنهزمين من العسكر الأميرى الى بلدتهم بلرم ليحاربوها نفسها . وكان من الطبيعى أن يقبل الأمير سالم ذلك التحدى ، فخرج الى لقاء الجرجنتيين وبصحبته القائد ميمون بن موسى . وتم اللقاء فى يوم الأحد ٢ يوليه / رمضان ، فى موضع يعرف بـ « مسيد اليس » كان النصر فيه لأهل المدينة (بلرم) الذين أوقعوا بالجرجنتيين خسائر كبيرة ، وتبعوهم حتى موضع « مطاحن مرنوه » (١٠٩) .

ثورة الصقليين فى بلرم :

ولما كان التمرد والعصيان معديا كالمرض ، بالنسبة للعامة نبل الأقل ، لم يكن من الغريب أن يثور الصقليون داخل بلرم ، وذلك بقيادة رجلين منهم ، هما : ابن السبابة وأبو طار ، على الأمير سالم ، وأن يقتلوا بعض أعيان رجاله ، كما فعلوا بأبى نظار الأسود يوم الأحد ١٧ سبتمبر (ستمبر) ٩٣٨م / ١٦ ذى القعدة ٣٢٦هـ . ولكن الأمير سالم بن راشد لم يلبث أن أوقع بالصقليين بعد ثلاثة أيام ، حيث هزمهم يوم الأربعاء ٢٠ من نفس الشهر / ١ من ذى الحجة ، هزيمة منكرة ، اشتهرت بـ « مقتلة الكلاب » - انتقاصا من شأن المهزومين . ومن الواضح أن سالم بن راشد أدرك أن التمرد الذى استشرى بين العسكر من أهل صقلية أكبر من أن يواجهه بقواته المحدودة فى الجزيرة فأرسل الى الخليفة القائم بالمهدية يعرفه بالموقف الحرج ، ويطلب منه المدد .

وقبل أن يصل المدد الذى أعده القائم تحت قيادة واحد من كبار المخلصين للامام ، هو : خليل بن اسحق (أخو يعقوب بن اسحق) ، كان الصقليون فى بلرم يتحركون مرة أخرى بأعداد كبيرة ضد سالم ، وذلك

(١٠٩) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٧ -

حيث الإشارة الى أن هزيمة أهل جرجنت كانت فى شعبان .

فى يوم السبت ٧ أكتوبر / ٦ ذى الحجة ، ولكن سالم نجح فى هزيمتهم مرة أخرى هزيمة كبيرة ، داخل المدينة حيث حصرهم بالقلعة القديمة (القصر القديم) (١١٠) .

عنه خليل بن اسحق :

ما بين المواقف الشيعية والأعمال الشارية :

وبمجيء خليل بن اسحق بقوات المهدي فى ٢٣ من أكتوبر / ٢٤ من ذى الحجة (١١١) ، ظهر وكان تغيير القيادة فى الجزيرة قد أمن عودة الهدوء والسكينة إليها . فند حرج اليه أهل بارم مطهرين الطاعة ، شاكين ظم سالم وجوره ، كما خرج النساء واصبيان يكون ويشكون ، وبلغت العواطف أوجها عندما أثار الموقف الشجن فى نفوس العساكر فانخرطوا ، هم أيضا فى البكاء . وشجع الموقف العاطفى الحزين أهل بقية البلاد وبضمنهم أهل جرجنت (البربر) على المجيء الى بلرم للقاء القائد الجديد ، خليل بن اسحق . وهنا يكتمل الشكل القصصى للرواية التى يقدمها ابن الأثير ، عندما يصبح الدس والوقعة هما المحرك للعلاقات بين رجل الدولة المشاركين فى ولايه أمر الجزيرة . فمن الواضح ان الخليفة القائم أرسل خليل بن اسحق مددا لسالم ، وليس أميرا بدلا منه ، الأمر الذى سمح لسالم أن يمارس سياسة تعقيد الأمور بالنسبة له حتى يقلل من فرصة مزاحمته له فى إمارة الجزيرة . فهذا ما يفهم من اجتماع سالم بالقاديين للقاء خليل ، وخاصة من الجرجنتيين الذين كانوا لا يضمرون له ودا ، واخبارهم ان خليل لم يحضر من قبل الخليفة . القائم الا من أجل الانتقام منهم بمن قتلوه من عسكره ، الأمر الذى جعلهم يتريثون فى تحديد موقفهم منه (١١٢) .

وبصرف النظر عن صحة قصة التآمر بين كبار رجال الدولة أو اصطناعها ، فمن الواضح ان الأمور سارت فى مجاريها الطبيعية ، فخليل حضر وهو يعرف ماذا يواجهه من تمرد أهل صقلية ، وهو ما سوف

(١١٠) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ .

(١١١) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ .

(١١٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٨ - حيث النص على انهم عندما سمعوا مقالة سالم

فعاودوا للخلاف ولكن ما يأتى بعد ذلك جعلنا نعدلها الى التريث فى تحديد الموقف .

تؤكدده الأحداث التالية وما صاحبها ، من تواتر أعمال الخلاف العنيدة .
وبالتالى الانتقامات الحاقدة . فبمجرد دخول خليل بعساكره الكثيرة الى
بلرم بدأ بتجريد المدينة من دروعها . وجعلها مدينة مفتوحة ، بهدم سورها
وخلع أبوابها ، ونقض الكثير من تحصيناتها ، واشروع فى بناء مدينة
بديلة أو قلعة حصينة ، من نوع ما سوف يعرف فيما بعد ، بـ «القصبة» ،
بمعنى مركز الحكم والادارة ومقر الحامية ، وسماها « الخالصة » (١١٣) .
والحقيقة انه اذا كان نقض تحصينات بلرم يعنى جعلها مدينة مفتوحة
بالنسبة للمدينة الحكومية الجديدة ، فان بناء الخالصة اعتبر بمثابة انذار
موجه الى أهل جرجنت ، الذين أخذهم الخوف ، وتحقق عندهم ما قال لهم
سالم ، « فحصنوا مدينتهم واستعدوا للحرب » .

وأعد خليل من جانبه العدة للمواجهة ، فحشد الرجال من صقليين
وأفريقيين ، وخرج اليهم بقوته الكبيرة يوم الجمعة ٩ مارس سنة ٩٣٩م /
١٣ جمادى الأولى سنة ٣٢٧هـ ، وضرب عليهم الحصار فما كان من الجرجنتيين
الا أن تخلصوا ممن كان لديهم من العمال الفاطميين ، مثل : ابن أبى خنزير ،
وعلى بن أبى الحسين ، صهر سالم بن راشد ، فقتلهم . ورغم تشديد خليل
الحصار عليهم لمدة ثمانية أشهر ، فانه لم يقدر لهم على شئ ، حتى اضطر
عند اقبال الشتاء الى رفع الحصار فى ٢٢ من أكتوبر / ٢٧ من ذى الحجة .
والعودة الى الخالصة (١١٤) .

ثارات متبادلة ، من : تشديد الحصر ، والاتصال بالقسطنطينية ، والهجرة الى بلد الروم :

وانتهز أهل جرجنت فرصة رفع الحصار التى اعتبروها انتصارا لهم
على قوات الخلافة ، وقاموا بدعاية واسعة النطاق ضد خليل ، كما بشوا
سراياهم فى كل اتجاه ، الأمر الذى انتهى مع مقدم السنة التالية ، بخلاف
أهل مازر وجميع القلاع على خليل . وبلغ الأمر بالجرجنتيين الى حد مكاتبة
أمبراطور القسطنطينية وطلب النجدة منه ، وكانت فرصة انتهزها
الباسيليوس (الملك) فأمدهم بالمؤن والرجال عن طريق الأسطول ، كما
انتهزها رجاله من المسئولين فى كلابريا وجنوب ايطاليا للكسب غير المشروع

(١١٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٢ - حيث بانرم بدلا من بالر ، ابن الاثير ، ج ٨

ص ٣٣٨ - حيث النص على أنه أخذ أبواب بلرم ليحصن بها الخالصة .

(١١٤) المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبريدج ، ج ١ ص ١٧٢ ، ابن الاثير ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(انظر ما ياتى ، ص ٢٦٢) • وكن على خليل أن يخطر الخليفة باستفحال
أهل جرجنت ، وتقاوم خطر الثورة بالجزيرة ، بعثت اليه جيشا كبيرا
خرج به خليل الى جانب من معه من الصقليين ، لاسترجاع الحصون الثائرة .
من : قلعه ابي نور ، وقلعه السبراط ، واسكلافينه التى استردها دون
عناء ، بينما قاومت قلعة البلوط فى ملحمة مروعة فى ١٠ يولييه ٩٤٠ م /
١ شوال ٣٢٨ هـ • اما قلعه ابلاطنو فقاومت ولم تستسلم (١١٥) •

• وقاوم الجرجنتيون مقاومة انيائس ، ففى نوفمبر ٩٤٠ م / صفر ٣٢٩ هـ ،
نجحوا فى عمليه ليلية مفاجئة من فك الحصار عن قلعة البلوط ، بعد أن
طردوا رجال خليل واستولوا على خيامهم (١١٦) • وخلال تلك الأحداث
الدامية مات سالم بن راشد فى هذه السنة فى قصره بالخالصة ، بينما ضربت
المجاعة المدينة (بلزم) وكذلك البوادي ، «حتى أكل الوالدون أولادهم» (١١٧) •
وفى شهر مارس ٩٤١ م / جمادى الآخرة ٣٢٩ هـ سقطت قلعة ابلاطنو
(بلاطينة) ، وتبعها تشديد الحصار على جرجنت التى ضربتها المجاعة ،
كما ضربت غيرها من القلاع والبودى التى خلت من أهلها ، الى أن انتهى
الأمر بسقوطها فى ٢٠ نوفمبر ٩٤٢ م / ٢٣ صفر ٣٣١ هـ (١١٨) •

ونتيجة للمجاعة وطول الحصار ، وما ترتب عليها من تفجر العداوة
والحق ، سار كثير من أهل جرجنت الى بلاد الروم ، بل وتنصر كثير منهم •
أما الباقيون الذين طلبوا الأمان فبعد أن استجاب لهم خليل - وطلب منهم
النزول من القلعة غدر بهم وحملهم الى المدينة (بلزم) ، كما بعث منهم
سببا كثيرا الى افريقية • هذا ، وتبين الرواية ان خليل بن اسحق حمل
وزر كل ذلك راضيا فخورا (١١٩) •

(١١٥) المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبردج ، ج ١ ص ١٧٢ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ •

(١١٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ •

(١١٧) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ •

(١١٨) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ - حيث النص

على أنها سقطت فى سنة ٣٢٩ هـ •

(١١٩) أنظر المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٣٣٩ - حيث الإشارة
الى أنه غدر أيضا بأعيان أهل جرجنت الذين سحبهم معه الى افريقية حيث جعلهم فى مركب
وأمر بنقبه فماتوا فى لجة البحر غرقا ، وأنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٥ - حيث الإشارة الى
أن ما فعله خليل بن اسحق بأهل صقلية مما لم يعمل أحد قبله ولا بعده من المسلمين ، الى
حانث افتخاره بظلمه فى مجالسه عندما عاد الى افريقية ، حيث كان يستقل ما قيل من أنه قتل =

والى جانب هجرة الصقليين من الثوار الذين لجأوا الى بلاد الروم ، وما كانت تقوم به بيزنطة من ارسال النجيدات والمؤمن للثوار ، مما دمر اعلاه (ص ٢٦٠) ، تشير النصوص البيزنطية الى ان بعض قواد الروم في كالابريا (قلورية) ، استفاد من الموقف الصعب للصقليين بسبب العجز والجوع ، وباع لهم القمح والأطعمة بأسعار عالية ، وكان قد اشتراها من الكالابريين بأسعار رخيصة ، وان انكشف أمره كان نتيجة طبيعيه للرقابة الامبراطورية الخازمة على حكام الولايات . فلقد اتهم القائد المذنب بالكسب الفاضح وغير المشروع ، ولم يكتف بعزله ، عقوبة لجرمه فقط ، بل وبمصادرة جميع املاكه (١٦٠) . والمهم بعد كل ذلك هو أنه نتيجة لتلك الثورات التي ألت بصقلية ، ضعف العرب الموجودون في كالابريا ، وأصبحوا تحت رحمة اليونان . أما عن الخليفة الفاطمي في أفريقية فكان لا يستطيع المطالبة باعادة الفارين من الجزيرة ، الذين كان اليونانيون قد أسروهم وحملوهم الى القسطنطينية . هذا ، كما ان الضريبة السنوية التي كانت تدفعها المدن الكلابرية قبل وفاة المهدي ، أصبحت بطبيعة الحال غير ذات موضوع (١٦١) .

نهاية مهمة خليل بن اسحق :

والذى يفهم من الرواية الخاصة بنهاية مهمة خليل بن اسحق في صقلية ، ان القائد الفاطمي الذى أغرق الثورة الصقلية في الدم والجوع ، رأى أنه أدى ما هو مطلوب منه عندما استسلمت القلاع العاصية ، وعادت البلاد الاسلامية الى طاعته ، فقرر العودة الى أفريقية . ورغم ذلك فلا بأس من أن تكون عودة خليل الى المهدي قد تمت بناء على تعليمات من الخليفة القائم ، الذى كان ولا شك قد عرف بما تم من الظلم والجور في حق المنكودين من ثوار صقلية ، من جانب تابعه الذى بالغ في اخلاصه في الخدمة الى تجاوز الحدود المتعارف عليها ، خاصة وأن والى الجزيرة سالم بن راشد

من الصقليين ، بين مليون (على الأكثر) أو مائة ألف (على الأقل) فكان يقول : (لا والله الا أكثر » بينما كان البعض يقول له : « يا أبا العباس : لك في قتل نفس واحدة ما يكفيك . هذا ، مع الإشارة الى خدمته المهدي في أعمال الجبايات ومحاسبة الدواوين والعمال ، وان المهدي انتهى به الأمر الى أن كرهه وأبغضه ، وأنه لولا ابنه أبو القاسم لأهلكه .

(١٦٠) جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٢ .

(١٦١) جاي (J. Gay) ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٣ .

- ٢٦٣ -

كان قلة تفرغ ، فكان من المفبول أن يحل تحليل محلته أو رأى ديوان المهدي
أمايته لتستغل هذا المنصب .

ولاية ابن عطف :

وصكدا ، وفي تلك الظروف الشاذة ، كان على خليل بن اسحق أن
يفادر صقلية الى أفريقية في ١٠ سبتمبر (سبتمبر) ٩٤٣ م / ٦ محرم
سنة ٣٣٢هـ (١٢٢) ، بعد أن ترك على بلرم متولين ، أحدهما : ابن الكوفي
والآخر ابن عطف (١٢٣) . والذي يفهم من رواية ابن الأثير ان الامارة كانت
لابن عطف أصلا (١٢٤) ، بمعنى ان ابن الكوفي كان مساعدا له أو نائبا
يمكن أن يقوم مكانه اذا حدث له حدث في تلك الظروف الصعبة ، حيث
« كثر السرقة والأذى ، وصار القوي يأكل الضعيف » (١٢٥) ، الا اذا كان
ابن الكوفي هو عامل الخراج ، كما جرت العادة من فصل الادارة السياسية
عن الادارة المالية التي كان لها عاملها المستقل .

والهم ان الحوليات الصقلية لا تقدم شيئا عن أحوال الجزيرة في الفترة

(١٢٢) وذلك تبعاً لتاريخ صقلية الحولى الذى يتبع تاريخ بدء الحديقة (مخطوط كمبرج)
المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣ ، مع ان الرواية الفاطمية التي ينقلها ابن الأثير تحدد ذلك
بذى الحجة الذى لا يبعد كثيراً عن المحرم سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١ . ولما كانت الرواية
تجمل أعمال خليل إجمالا في ٤ (أربع) سنوات أو ٥ (خمس) ، ما بين ٣٢٥هـ /
٩٣٧م و ٣٢٩هـ / ٩٤٠ - ٩٤١م ، دون أى تحديدات زمنية أخرى ، فانا فضلنا تحديدات
حوليات التاريخ العالمى في المكتبة الصقلية لآمارى ، مخطوط كمبرج ، التي تتصف بالدقة
من حيث تحديد اسم اليوم وتاريخه والسنة العامة بالنسبة لتاريخ العالم والتي تبدأ بسنة
٣٣٥ ، تاريخ دخول المسلمين صقلية ، سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م ، وتنتهى في أكتوبر ٧٤٣ حينما
نزل ما تولى الى الجزيرة (أكتوبر ٩٦٥م / صفر ربيع ٣٦٥هـ) ، على عهد بنى أبى الحسين
الكلبيين ، سنة وفاة المعز . وذلك على طول ١٣٨ سنة ، تحددت فيها تواريخ الأحداث التي
نفرد بها في كثير من الأحيان ، تحديدا مدهشا وان احتاجت بعض أسماء الأعلام أو بعض
الكلمات الاصطلاحية الى نوع من الايضاح أو الشرح . ولا بضرنا في هذا الا أن الس ٢٨ سنة
شديدة بقابله ١٥٣ هجرية ، بفارق ١٤ سنة . والفروض أن الفارق لا يتجاوز خمس سنوات
فقط ، وهو الأمر الذى يتطلب المراجعة ، وأن لم يقلل من قيمة التاريخ الدقيق بحوليات تاريخ
العالم ، الذى كان يستعمله مستعربة صقلية ، كما نرى .

• المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣

(١٢٤) الكامل ، ج ٨ ص ٤٧١ - أحداث سنة ٣٣٦هـ

(١٢٥) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٣

- ٢٦٤ -

ما بين نزول خليل بن اسحق الى المهديّة ، وتعيين حسن بن علي بن أبي الحسين أميراً لصقلية ، سنة ٣٣٦هـ / ٤٧ - ٩٤٨م ، وهي الفترة التي تناهز ٦ (ست) سنوات ، والتي يمكن تفسير خوائها الموضوعي بانسفال الدولة الفاطمية ما بين ٣٣٢هـ / ٩٤٣م و ٣٣٦هـ / ٩٤٧م بثورة أبي يزيد الزناتى ، والتي غلبت أحداثها على كل ما سواها (١٢٦) . ولا شك ان الثورة الزناتية فى أفريقية كانت لها ردود فعل سلبية فى صقلية ، على المستوى الخارجى ، من حيث تحسن موقف القلاع البيزنطية والأراضى الخاضعة للنفوذ الرومى فى الجزيرة بفضل تحررها من الضغوط الاسلامية وبالتالى من دفع ما كان مفروضاً عليها من مال الهدنة (١٢٧) ، وعلى المستوى الداخلى من حيث ضعف الوالى ابن عطف الذى اتضح منذ البداية ، مما سبقت الاشارة اليه ، والذي زاد مع الثورة الزناتية بحيث عجز عن فرض سلطاته على العصبية القوية فى الجزيرة . وفى أواخر سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٧م كان بنو الطبرى ، من أعيان الجماعة بصقلية ، بفضل أتباعهم الكثيرين ، ومن كان يميل اليهم من أهل العاصمة بلرم ، يمكنهم تحدى ابن عطف ، كما فعلوا يوم الاحتفال بعيد الفطر (أول شوال / ٢٥ ابريل) من نفس السنة ، حيث تمكنوا من قتل عدد من رجاله ، واضطروه الى الهرب من مقره الرسمى فى الخالصة الى الحصن ، تاركاً لهم أعلامه وطبوله التى انصرفوا بها الى ديارهم (١٢٨) .

ولاية حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي :

وعندما بلغ الخبر الى الخليفة المنصور ، رأى أن يستبدل بابن عطف . رجلاً على مستوى مسئولية قيادة صقلية بقضاياها الاستراتيجية الخارجية ومشاكلها الداخلية من سياسية وعرقية ومذهبية . ولا شك أن المنصور كان موفقاً فى اختيار حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي ، الذى كان له بالأثر فى حرب الثائر الزناتى أبى يزيد ، والذي كان على دراية بأحوال

(١٢٦) لما كانت بداية ثورة أبى يزيد فى سنة ٣٢ - ٣٣٣هـ / ٤٣ - ٩٤٤م تتفق مع تاريخ نزول خليل بن اسحق من صقلية الى افريقية حسب حولية تاريخ العالم الصقلية ، فإن ذلك التوافق يمكن أن يرجع نزول خليل سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م بدلاً من آخر سنة ٣٢٩هـ ، كما عند ابن الأثير ، اذ يكون انقطاع أخبار صقلية منذ بداية الثورة الزناتية ، وليس قبلها . بسنتين شاغرتين ، دونما تفسير .

(١٢٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧١ .

(١٢٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧١ .

صقلية . فوالده علي بن أبي الحسين هو عامل جرجنت الأسبق ، الذي قتله الجرجنتيون عندما دخلوا في مواجهتهم مع خليل ابن اسحق سنة ٣٢٥هـ / ٩٣٧م ، مما سبقت الإشارة اليه . والحسن هو صاحب الفضل في اصلاح أحوال الجزيرة وضبطها ، بل وتكوين أسرة أميرية رفعت من هيبة صقلية ، ومن شأن الدولة الفاطمية كواحدة من قوى المتوسط البحرية الكبرى ، رغم الصعوبات التي واجهته في بداية إمارته من العصبيات القوية ، وعلى رأسها بنو الطبري .

ردع بنى الطبرى الصقليين في بلرم :

فعندما حضر الحسن إلى الجزيرة ، ونزل بمراكبه في مرسى مدينة مازر ، لم يلتفت إليه أحد . وفي الليل أتته جماعة من المغاربة والكتامين ليعتذروا له عن عدم مجيئهم إليه نهرا خشية على بن الطبري . وأخويه من الصقليين . وكان ابن الطبري قد سار إلى أفريقية مع بعض أنصاره ، مثل : محمد بن عبدون ، ومحمد بن جنا ، للسعى لدى المنصور لكي يعفيهم من ولاية حسن بن علي ، مع وصاية أبنائهم بمنعه من مفارقة مراكبه أو دخول البلد إلى أن تصلهم أوامره . وعندما أتاه بعض أصحاب ابن الطبري ، رأى أن يخادعهم ثم أنه أسرع السير إلى الخالصة وبلرم حيث أتاه رجال الدولة من أصحاب الدواوين ، ومن أهل البلد ممن يرجون الأمن والعافية ، الأمر الذي اضطر بنى الطبري إلى الخروج إليه والتظاهر بالترحيب به ، وهم يضمرون له الغدر ، ويحاولون إثارة أهل البلد على عبيده . وبقي الحسن خائفا متوجسا من خيانتهم إلى أن أتته كتب المنصور تعرفه بالقبض على زعماء المخالفين ، من : علي بن الطبري وأعوانه ، ويطلب منه القبض على من بقي لديه منهم ، الأمر الذي نفذه حسن بن علي بالحيلة والحداع عندما دعا اسماعيل بن الطبري وجماعته إلى بستانه ثم قبض عليهم ، وأنزل بهم عقوبة المفسدين في الأرض فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم ، كما صادر أموالهم ، الأمر الذي حقق له تأييد أهل الباد الذين التفوا حوله (١٢٩) .

(١٢٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ . وقارن المكتبة الصقلية ، خطوط كمبودج ،

ج ١ ص ١٧٣ - حيث تحديد تاريخ ذلك بيوم الميلاد : الاثنين ٢٤ ديسمبر ٩٥٠م / ١٠ رجب ٣٣٩هـ .

النصرع ضد الروم :

وهنا هابه الروم بالجزيرة وأحضروا له مال الهدنة المتأخر عليهم منذ ثلاث سنوات (١٣٠) . وكان ذلك نديرا باستئناف الصراع بين الفاطميين والبيزنطيين من أجل الهيمنة على كلابريا ، واثبات الوجود في جنوب ايطاليا ، وكان الأمر قد انتهى الى صالح البيزنطيين أثناء تلك الحروب الأهلية التي عرفتھا صقلية على أواخر أيام سالم بن راشد ، وحملة خليل بن اسحق .

والظاهر أن البيزنطيين هم الذين بدأوا بالمبادرة بتقوية مركزهم في الجزيرة ، وذلك عندما أرسلوا في البحر جيشا كبيرا الى صقلية بقيادة أحد البطارقة الذي كان عليه أن ينسق العمل مع « السردغوس » : قائد كلابريا ، ونائب الملك في جنوب ايطاليا ، فكان على الحسن أمير صقلية أن يعرف الخليفة المنصور بالخال ، ويطلب منه ارسال المدد (١٣١) . وفي يوم الأربعاء ٢ يولييه ٩٥٢ م/ ٥ صفر ٣٤١ هـ ، وهو التاريخ الذي تحدده الحوايات الصقلية حسب تاريخ العالم ، وصل الأسطول الفاطمي بقيادة الفتى فرج مولى المنصور ، الى بلرم محملا ب ٧ (سبعة) آلاف فافوس و ٣٥٠٠ (ثلاثة آلاف وخمسمائة) راجل ، سوى أفراد البحرية من قوات الخلافة . فقام الأمير حسن بن علي بحشد قواته من الصقليين والأفريقيين . وبعد عشرة أيام ، أي في يوم السبت ٢٠ يولييه/ ١٥ صفر ، كان الحسن يسير بهم في تشكيل برى بحرى نحو مسينا ، من حيث عبر الى مدينة ريوه (Reggio) ، أول مدن قلورية عبر المضيق ، التي وجدت خالية من أهلها فتركت . وساحت السرايا في أرض قلورية (كلابريا) ، ووصلت الى مدينة جراجة (Gerace) وضربت عليهم الحصار الذي انتهى بالصلح على دفع ضريبة مالية أخذها الحسن عندما عرف بقدم قوة رومية للنجدة ، وانصرف بعد أخذ رهائنهم ، ضامنا للوفاء بالعهد ودفع الضريبة (١٣٢) . واتجه حسن بن علي نحو الروم الذين فروا أمامه من غير حرب لكي يعتصموا بمدينة بارى (باره) ، فسار نحو مدينة قسانه

(١٣٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(١٣١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٩٧٣ .

(١٣٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، وانظر أيضا من ٤٩٣ - ٤٩٤ (سنة ٣٤٠ هـ) -

حيث اسم صاحب الأسطول فرج بدلا من ترج ، كما في حوايات صقلية العالمية ، المكتبة

الصقلية (كمبريدج) ، ج ١ ص ١٧٤ .

(Cassano) عبر نهر كراتي (Crati) ، حيث اتخذ مقابلها مركزا للقيادة على أن يدير منه العمليات في المنطقة لمدة شهر انتهى بالصلح نظير دفع المال الذي أخذه الحسن لكي يعود مع دخول الشتاء الى مسيني ، حيث شتى الأسطول ، بينما عاد هو لقضاء الشتاء في بلرم (١٣٣) .

قائد كلابريا يستعين بالبراطور الروم :

وكان من الطبيعي أن يطلب قائد كلابريا المعونة من الباسيليوس . امبراطور القسطنطينية الذي سير الأسطول بقيادة مكروجوهارنيس (Macrojohnarènes) يحمل جيشا بریا كبير العدد يقوده البطريق ملجان (مالكينوس : Malakenos) الذي كان عليه أن يضم اليه قوات قائد كلابريا « السردغوس » باسكاليوس (Paschalios) (١٣٤) . وعندما وصلت الى المنصور أخبار الحملة البيزنطية الى كلابريا أصدر أوامره الى الحسن بن علي بالعودة الى هناك ، وهو ما فعله الحسن عندما تحسنت الأحوال البحرية ، اذ عبر المجاز (المضيق) وسار نحو جراحة حيث التقت قواته في الطريق بالقوات الرومية الكلابرية بقيادة ملجان (Malakenos) ، وذلك يوم عرفة (١٠ من ذي الحجة) ٣٤٠ هـ / ٩ مائة ٩٥٢ م ، وانتهت الملحمة بانتصار رائع للمسلمين ، قتل فيه البطريق ملجان ، وهرب باسكاليوس (السردغوس) بصعوبة ، كما غنموا عددهم وسلاحهم ودوابهم (١٣٥) ، كما فتحوا حصنين في المنطقة ، هما : « رمتسة » و « لطره » وأخذوا منهما سبيا كثيرا ، أرسل الى أفريقية ، كما تقول الرواية الصقلية أن قائد الأسطول الرومي « أو محل » : « مكروجوهارنيس » كان مكبلا بين الأسرى الذين أرسلوا الى أفريقية حيث صلب (١٣٦) .

(١٣٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النصر) في م.ب.ل.ل. (م.ب.ل.ل.) على انه شتى سنة ٤٦٠ (الجديدة ، من تاريخ العالم) التي تقابل ٩٥٣ م . بينما توقيت هذه الأحداث عند ابن الأثير في سنتي ٣٣٩ هـ و ٣٤٠ هـ . وأنظر حاي (J. Gay) ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٣ .

(١٣٤) أنظر حاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٣ .

(١٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ ، وأنظر أيضا ص ٤٩٤ (سنة ٣٤٠ هـ) ، وقارن المكتبة الصقلية حيث التاريخ يقابل سنة ٩٥٤ م / ٣٤٣ هـ ج ١ ص ١٧٤ .

(١٣٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ٢٧٤ .

الحسن يفرض الهدنة على الروم :

ومع بداية سنة ٣٤١ هـ / يونيه ٩٥٢ م كان الحسن يتصدد جراحة مرة أخرى ، ويحصرها ، الأمر الذي دعا الامبراطور البيزنطي الى طلب الهدنة (١٣٧) ، عن طريق مبعوث من لدنه هو جان بلاطوس (Platos) (١٣٨) .
وفعلا تم الاتفاق على عقد هدنة وافق البيزنطيون فيها على السماح للحسن ببناء جامع في مدينة ريوم (Reggio) . فسار الحسن الى ريوم حيث بنى في وسطها مسجدا كبيرا له مئذنة في أحد أركانه . وكان من شروط الاتفاقية أن يحترم الروم المسجد فلا يدخله نصراني ، ولا تمنع عمارته واقامة الصلاة فيه والأذان ، وان يكون ملجأ آمنا لأسارى المسلمين ، سواء كانوا مرتدين أو مقيمين على دينهم . وهو ما وفى به البيزنطيون . وان كان الى حين . ثم عاد الحسن بعساكره الى صقلية حيث أقام الى وفاة المنصور في أواخر السنة (شوال ٣٤١ هـ / فبراير ٩٥٣ م) وخلافة المعز (١٣٩) ، فسار عنها الى أفريقية بعد أن استخلف على صقلية ابنه أبا الحسين أحمد ، واتصل بالمعز (١٤٠) .

صقلية على عهد المعز حتى نقلته الى مصر :

بعد عودة الحسن بن عيسى بن ابي الحسين الكلابي الى أفريقية ، واستخلافه لابنه ابي الحسين أحمد على صقلية بمناسبة وفاة المنصور ، أقر المعز اماره أحمد على صقلية خلفا لوالده ، فكانه وافق من حيث المبدأ ، على أن تكون اماره الجزيرة وراثية في بنى ابي الحسين الكلابيين . والظاهر أن صقلية عرفت فترة من الهدوء والسكينة خلال السنوات الأولى لولاية أحمد بن الحسن ، الأمر الذي استتبعه استقرار الأوضاع في الأقاليم

(١٣٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ - حيث النص على ان قسطنطين ملك الروم أرسل اليه يطلب الهدنة ، وقارن ، المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبريدج ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث يجعل الهدنة في سنة ٦٤٦٢ (٩٥٥ م / ٤٣ - ٣٤٤ هـ) ، ويجعل المفاوض الرومي الذي عقد الهدنة هو الراهب اخروبلس .

(١٣٨) جاي (J. Gay) ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية (بالفرنسية) .
ص ٣١٤ .

(١٣٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٧٤ - حيث تضيف الرواية ان الحسن اشترط على الروم : ان أخرجوا حجرا من المسجد هدمت كنائسهم كلها بصقلية وافريقية ، وان الروم وفوا هذه الشروط ذلة وصغارا .

(١٤٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٤٩٤ .

الواقعة تحت النفوذ البغاطي في كلابريا وجنوب إيطاليا . ولا يس ان يدون ذلت نتيجة طبيعية أيضا لما كان يلاقيه البيزنطيون من المضاعف مع الامارات الايطالية ، كدوقيه نابولي ، الحليفة التقليدية للمسلمين « السارازان » ، ومارية كربو (Capoue) اللومباردية ، وبنفنت التي تحالفت ضد امارتي سالرنو وآمالفي ، وكذلك من أجل قتال البيزنطيين ، الأمر الذي تطلب من القسطنطينية ارسال حملة في سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م بقيادة ماريانوس اجيروس (Marianos Agyros) الى اقليم انكامباني لتأكيد السلطة البيزنطية في ولاياتها الايطالية هناك (١٤١) . هذا ، كما كان المعز في تلك السنوات الأولى من خلافته يعمل على توطيد سلطانه بالقضاء على بقايا الثوار والعصاة ، بخاصة في منطقة جبل أوراس والزاب ، وكذلك في منطقة تاهرت التي كان النفوذ الأموي الأندلسي يتطلع دائما الى الامتداد اليها .

هجمات احمد بن الحسن في إيطاليا :

ولكنه مع بداية سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م كان المعز في موقف يسمح له بالتطلع الى اعادة هيمنة دولته على أراضيها فيما وراء البحر في صقلية وكلابريا ، وهذا ما يؤكد قيام أول حملة على عهد أبي الحسين أحمد ، والى صقلية الأولى للخليفة المعز الى بلاد الروم ، في جنوب إيطاليا . ففي نهاية سنة ٩٥٧ م / ٣٤٥ هـ ، أتى عمار بن علي بن أبي الحسين الكلبى (أخو حسن بن علي) بأسطول أفريقية ليشتى في بلرم ، حتى يبدأ الصائفة في كلابريا مبكرا في ربيع سنة ٩٥٨ م / ٣٤٧ هـ . ولكن ضابطا بيزنطيا ، برتبة قائد سفينة ، من الرتب الصغيرة هي « ابروطوقاربوس : Protarebos » اسمه باسيل ، نزل في ريوه (Reggio) وهدم المسجد ثم هاجم بجرأة ، الشواطئ الصقلية ، واستولى على مدينة ترميني (Termini) (١٤٢) . وفي ذات سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م عبر أبو الحسين أحمد مضيق مسينا الى كلابريا حيث التقى مع عمه عمار ، وسارا بقواتهما

(١٤١) لماى ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٦ - ٢٢٧ .
- حيث الإشارة أيضا الى انه كان على القائد البيزنطى أن يوجه قواته بعد ذلك ضد العرب (السارازان) في صقلية .

(١٤٢) انظر المكتبة الصقلية ، مخطوط كمبريدج ، ج ١ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ - حيث تضيف الرواية انه هاجم ميناء مازر حيث هزم الأمير حسن (أبو الحسين أحمد) ، وقتل جماعة من المسلمين ، وقارن جاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢١٧ .

المشتركة للقاء قائد كلابريا (السردغوس) مريان ، الذى هرب من أمامهما ، وان كان قد نجح فى أخذ مركب من مراكب المسلمين (١٤٣) . وفى السنة انتالية ٣٤٨ هـ / ٩٥٩ م قامت الصائفة بمهاهما المعتادة فى نلابريا ، ولكن الخط لم يكن موافيا فى رحلة العودة فى ٢٥ سبتمبر (ستنبر) ١ / شعبان ٣٤٨ هـ ، حيث ثارت بها الرياح فأعطبت الأسطول ، الأمر الذى دعا الأمير أحمد الى انشاء أسطول آخر فى نفس السنة (١٤٤) . وفى سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م التالية لا تذكر الحوليات الصقلية من الأعمال الحربية سوى أخذ المسلمين لواحد من وجهاء الروم هو « افرينه » فى مقابل واحد من أعيان الافريقين أخذه الروم أسيرا هو « ابن يصلوس » ، الذى وجهوا به الى القسطنطينية . ولا بأس أن تكون تلك المعلومات تمهيدية للفداء الذى حدث فى السنة انتالية (٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) بين الروم والمسلمين فى صقلية حيث استعاد الروم « افرينه » ، ولا بأس أن المسلمون قد استعادوا ، بدورهم « ابن يصلوس » ، وان لم تنص حولية كامبريدج الصقلية على ذلك (١٤٥) .

نشر المذهب الفاطمى فى صقلية :

وفى نفس تلك السنة كان على الأمير أحمد أن يستجيب لما كان يرثو اليه المعز من احياء المذهب الفاطمى ونشره فى بلاد الامبراطورية ، خاصة فى ذلك الوقت الذى كان يكتسب فيه رضاء الناس عن طريق احتفالات الختان فى كل أرجاء الدولة ، وما صاحبها من العطايا والهبات لصغار المطهرين وأولياء أمورهم الكبار ، الأمر الذى كان لصقلية فيه نصيبها المميز من أحمال المال . هكذا كان على أمير صقلية ، بعد عقد الفداء مع الروم الذى يعنى هو الآخر سياسة خارجية مبنية على الأخرى على الجهادنة وحسن الجوار ، أن يذهب الى الحضرة المعزية بصحبة أعنيسان الصقليين ، ليعلنوا دخولهم فى مذهب أمير المؤمنين الذى أحسن

(١٤٣) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ .

(١٤٤) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ وقارن جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢١٨ ، الذى لا يعرف ما ورد فى تلك الحولية الصقلية العربية بل يرجع الى المؤرخ اليونانى سيليتزيس (Skylitzēs) الذى يضع العاصفة خطأ فى السنة السابقة على أساس أنها شتتت سفن عمار وأحمد .

(١٤٥) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ .

وفادتهم (١٤٦) .

وإذا كانت حولية تاريخ صقلية ، حسب تاريخ العالم (مخطوط . كمبريدج) تكاد تكون المصدر الوحيد لأخبار الصراع بين المسلمين الروم . في صقلية وكلايريا وجنوب إيطاليا مع ما كان يتخلل ذلك الصراع من اتفاقات هدنة وعلاقات سلمية ، وذلك خلال السنوات العشر السابقة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م - ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) فإن الحوليات العربية الإسلامية ، وعلى رأسها حوليات ابن الأثير تعود الى المشاركة في التعريف بأحوال مسلمي صقلية والروم بعد تلك الفجوة الطويلة التي اعترتها .

الاستيلاء على قلعة طبرمين :

ففي شهر ديسمبر ٩٦٢ م / ذي القعدة ٣٥١ هـ ، نجح الأمير أحمد بن الحسن في الاستيلاء على قلعة « طبرمين » الجديدة ، بعد ٧٠ (سبعين) سنة من استيلاء الأغابة على مدينة طبرمين العتيقة ، سنة ٢٨٩ هـ / ٩٢ م ، حيث امتنع الامبراطور وقتئذ من لبس التاج في القسطنطينية لمدة سبعة أيام حداذا ، وهو يقول : « لا يلبس التاج معزون » (١٤٧) . وكان الأمير أحمد قد جيش عساكره من الصقليين والأفريقيين ، وضرب الحصار على القلعة المنيع في مايو ٩٦٢ م / ربيع الثاني ٣٥١ هـ ، وقطع الماء عنها حتى اضطر العطش أهلها ، خلال الحصر الذي استمر سبعة أشهر ونصف الشهر ، الى طلب الصلح على أن يكونوا رقيقا للمسلمين ، وتكون أموالهم أيضا ملكا (فيثا) لهم ، نظير الحفاظ على أرواحهم . وهكذا تحولت طبرمين الجديدة التي سكنها المسلمون ، الى المعزية ، تيمنا بلقب الخليفة (١٤٨) .

(١٤٦) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٥ - حيث النص على أن أمير صقلية هو حسن .

بدلا من أبي الحسن أحمد .

(١٤٧) انظر للمؤلف تاريخ المغرب العربي ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(١٤٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٤٣ ، المكتبة الصقلية ج ١ ص ١٧٥ ، وانظر جاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٠ - حيث النص على أن هدنة الى صقلية كان اخضاع المنطقة الجبلية جنوب مسيني وتحويل المدن المسيحية التي تدفع الجزية الى مدة خاضعة ، والعمل على نشر الاسلام في كل البلاد عن طريق زرع مستعمرات اسلامية . كما حدث في طبرمين التي صودرت أملاك المسيحيين فيها ، وحول اسمها الى المعزية .

فتح رمطة : انتصارات لامعة على الروم :

وبعد أخذ طبرمين سير الأمير أحمد ابن عمه حسين بن عمار على رأس قواته في رجب سنة ٣٥١ هـ / أغسطس ٩٦٢ م ، الى مدينة رمطة التي ضرب عليها الحصار . ولكن موقف المحاصرين في رمطة اختلف تماما عن موقف أندادهم الذين استسلموا في طبرمين أمام غائلة العطش ، حيث قدر لرمطة أن تصمد الى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م .

فلقد راسل الرمطيون الباسيليوس (الامبراطور) نففور فوكاس ، فأرسل اليهم من القسطنطينية في البحر ، جيشا عظيما ، يعتبر أعظم ما نزل بالجزيرة من عسكر الروم ، اذ جاوز الأربعين ألف مقاتل (١٤٩) ، وضم اليهم الأرمن وجنود الخدمات المعاوين ، من الروس والبولصيين (Pauliciens) والتراقيين . وكانت القيادة للخصي ، البطريق نقيتاس (Nicetas) ، والى جانبه مانويل ، ابن أخى الامبراطور ، قائدا لفرقة الخيالة (١٥٠) . وهنا سار الأمير أحمد بن الحسن بنفسه الى الخليفة المعز (فى شهر أغسطس / شعبان) (١٥١) ، يطلب منه العساكر ، كما شرع هو فى اصلاح الأسطول ، وبناء المراكب الجديدة فى دار الصناعة . وحشد المعز الرجال ومعظمهم من البربر ، وسيرهم الى الأمير أحمد بقيادة والده الحسن بن علي ، فكان وصولهم الى صقلية فى رمضان ٣٥٢ هـ / سبتمبر ٩٦٣ م . وكان على الحسن أن يشتى برجاله فى بلرم ، ولكنه لم يقدر له الحياة الى أن تبدأ الصائفة ، فمات بعد شهرين فى نوفمبر / ذى القعدة من نفس السنة (١٥٢) ، فلم يكن له حظ المشاركة فى انتصارات رمطة البرية ووقعة المجاز البحرية . أما الروم فكان وصولهم على المراكب فى شهر شوال التالى / أكتوبر ٩٦٣ م ، قرب مسينى ، من حيث بدأوا المسيرة نحو رمطة . وهنا قرر حسن بن عمار أن يقسم رجاله الى قسمين ، أحدهما يبقى على حصار رمطة لمنع قواتها من الخروج والاتصال بالروم حتى لا ينحصر المسلمون بينهم ، على أن يسرع هو بالقسم الآخر للقاء البيزنطيين قبل أن يصلوا الى رمطة .

(١٤٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٦ .

(١٥٠) جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، بالفرنسية ، ص ٢٩٠ .

(١٥١) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٦ .

(١٥٢) المكتبة الصقلية ، ج ١ ص ١٧٦ .

وكانت ملحمة عظيمة بين المسلمين والروم أبلى فيها الطرفان أشد البلاء ، سواء أمام رمطة أم في مواجهة جيش القسطنطينية الذى كادت تكون له الغلبة بفضل الكثرة ، وحسن التسليح . وأخيرا تم يحد ابن عمار له خلاصا الا فى إنتخلص من قواد الجيش اعظام ، وعلى رأسهم فاندتهم مانويل ، صاحب الخيالة الذى كان يقود بنفسه الهجمات المؤثرة فى المسلمين ، فكان هدفا واضحا لابن عمار ورجاله الذين تنبهوا الى عدم تأثير سلاحهم فى ثيابه القوية الثقيلة ، فركزوا الرمى على فرسه حتى قتلوه ، وبذلك تمكنوا من مانويل فقتلوه ، كما قتلوا جماعة من قواده المساعدين . وعندئذ انهزم الروم أقبح هزيمة « الى حد ان الجماعة الرئيسية منهم راحت لدهشتهم ضحية السقوط فى جرف عظيم صار مقبرة جماعية لهم حيث قتلوا فيه بعضهم بعضا . وتبع المسلمون المنهزمين فى كل مكان ، وهم يقتلون ويسبون حتى « غنموا من السلاح والخيول ، وصنوف الأموال ما لا يحصى » (١٥٣) . وكان القائد البطريق نيقيتاس بين الأسرى الذين بعث بهم الى أفريقيا (١٥٤) .

وكان من الطبيعى أن تسقط رمطة اثر ذلك ، بعد أن ضعفت قلوب رجالها مع قلة الأقوات عندهم ، الأمر الذى دعاهم الى اخراج من فى المدينة من الضعفاء ، فلم يبق فيها الا المقاتلة . ومع ذلك فلم تؤخذ المدينة الشديدة المراسى الا ليلا ، عندما فاجأها رجال ابن عمار الذين تقدموا تحت جنح الظلام وصعدوا على أسوارها بالسلاسل ، ليأخذوها عنوة ويستبيحوا لأنفسهم ما كان فيها من رجال وسبى وأموال .

وكما حدث فى طبرمين تركت جماعة من المسلمين ليسكنوا فى رمطة من أجل اعمارها ، حتى لا يعود اليها النصارى والروم ، كما كان يحدث من قبل ، الأمر الذى اعتبره آمارى ، فى مسلمى صقلية وتابعه فى ذلك جاي ، فى ايطاليا والامبراطورية البيزنطية ، محاولة من جانب أحمد بن الحسن بن على بن ابي الحسين الكلبى ، أمير صقلية وقتئذ ، لإزاحة البقية الباقية من المسيحيين من الجزيرة ، وزرع مستعمرات اسلامية مكانها ، فى سبيل نشر الاسلام فى كل أرجاء صقلية ، وهو الأمر المقبول بالنسبة لسياسة الخليفة المعز الدينية التى لم تكن تهدف الى نشر الاسلام بشكل عام فى أنحاء الدولة ، بل وعلى المذهب الفاطمى ، مذهب الدولة الرسمى ،

(١٥٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٧ .

(١٥٤) جاي ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٩١ .

وهو ما حاوله في صقلية الأمير أحمد ، مما نسبته الإشارة إليه ، استنادا إلى حوليات صقلية حسب تاريخ العالم .

وقعة المجاز البحرية ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م :

هذا ، كما حقق المسلمون نصرا بحريا رائعا على المنهزمين من الروم في البحر ، صار بمثابة درة ثانية ترصع اكايل اغار الذي تجمل به الأمير أحمد في رمطة ، والذي رفع من شأن أسرة بنى الحسن بن علي الصقليين بين كل حكام الطوائف الذين عرفتهم دولة الاسلام في حوض البحر المتوسط بل وفي تاريخ الاسلام البحري .

فنفذ تجمع الناجون من جيش مانويل ، وأخذوا معهم في مراكبهم من وجده من روم صقلية وجزيرة ريوة المواجهة لسينى ، كنوع من التحصن في البحر بعيدا عن متناول أيدي المسلمين في البر . كما ينص ابن الأثير (١٥٥) ، انتظارا لما يقرره قوادهم بشأن الرحيل أو معاودة الكرة مع المسلمين .

وهنا وجد الأمير أحمد ألا مجال للانتظار أو التوقع ، فأعد عساكره ونزل بهم في المراكب هو الآخر ، وزحف لقتال الروم في الماء . ودارت معركة بحرية شديدة أظهر خلالها المسلمون الصقليون كفائتهم العالية في الحرب البحرية ، إذ نزلت جماعات الفطاسين منهم لنقب مراكب الروم التي غرق الكثير منها ، كما قتل الكثيرون من رجالها . وعندئذ وجد الروم ألا مناص لهم من الانسحاب سريعا في مراكبهم ، وهم لا يلوون على شيء ، وبذلك تمت عليهم الهزيمة البحرية التي تعرف في الحوليات الصقلية العربية باسم « وقعة المجاز » .

وهكذا كان على المدن الرومية في صقلية أن تطلب الهدنة من جديد ، في سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م ، فعقدت لهم نظير دفع الأموال المقررة (١٥٦) .

(١٥٥) الكامل ، ج ٨ ص ٥٥٨ - حيث النص : « وركبوا مراكبهم يحفظون نفوسهم » ، وقادى جاي ، إيطاليا الجنوبية والامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٠ - حيث الإشارة إلى أن الأسطول الرومى لجأ إلى ريوة ولكن العرب تبعوه وشتتوه .

(١٥٦) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٥٥٨ ، وقارن المكتبة الصقلية (مخطوط كمبريدج) ، ج ١ ص ١٧٦ - حيث ينتهى المخطوط بنزول مانويل (بجيشه) في يوم الاثنين من شهر أكتوبر سنة ٦٤٧٣ التي تماثل ٩٦٥ م/ذى الحجة ٣٥٤ هـ .

لأنما عن سواحل كلابريا وجنوب إيطاليا فقد أضحت منذ ذلك الحين هدفا للغارات جماعات عربية كانت ترغب المدن على دفع الفدية الثقيلة (١٥٧) .

محاولة إعفاء بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية :

ومما يؤسف له انه بانقطاع الحوليات الصقلية المنتظمة حسب تاريخ العالم ، سنة ٩٦٤م / ٣٥٤هـ ، تنقطع أخبار صقلية لمدة خمس سنوات ، فلا تظهر فى حوليات ابن الأثير ، أكثر الحوليات الصقلية انتظاما بعد ، وأكثر توثيقا ، الا فى سنة ٣٥٩هـ / ٣٦٩ - ٢٧٠م ، وذلك بمناسبة الاضطراب الذى ألم بالجزيرة ، عندما فكر الخليفة المعز ، وهو يعد العدة للرحيل الى مصر ، فى إعفاء بنى الحسن بن على الكلبيين من حكم صقلية ، خشية استقلالهم بها اذا ما خلا لهم الجو يعد رحيله ، تماما كما فعل مع جعفر بن على بن الأندلسى ، صاحب التسييلة عندما خاف من طموحه فأخذه ، وقدم عليه زيرى بن متاد الصنهاجى ، والدبلكين الذى آلت اليه نيابة أفريقية بعد رحيله - فاكسب عداوة ابن الأندلسى الذى انضم الى صفوف الأعداء المتحالفين مع عبد الرحمن الناصر ، خليفة الأندلس الأموى (انظر فيما يأتى ص ٢٨٠) .

والمهم انه فى سنة ٣٥٩هـ / ١٩٧٠م ، عزل المعز أبى الحسن أحمد بن الحسن بعد ١٦ (ستة عشر) عاما من حكم الجزيرة ، وأرسل يستدعيه من صقلية الى أفريقية مع كل أعضاء الأسرة الكلبية ، ومواليهم ، وخدمهم ، ومن له صلة بهم (١٥٨) . ولكى يخفف من وقع الحدث على بنى أبى الحسن وأتباعهم الذين خدموا الأسرة الفاطمية فى أفريقية ، وقت الشدائد والمحن والذين رفعوا من شأن المعز نفسه حربيا وديبلوماسيا فى إيطاليا وصقلية ، بالنسبة للمختصوم البيزنطيين ، حتى على عهد تفقود فوكاس ، المحارب الجسور ، الذى طلب الهدنة ودفع الفدية (١٥٩) ، والذى

(١٥٧) جاي (J. Gay) إيطاليا الجنوبية ، ص ٢٩١ .

(١٥٨) أحمد (عزيز) صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣١ .
(١٥٩) بينما كانت قواته تنتزع المدن الإسلامية فى شمال الشام والجزيرة ، وتغلب على المسلمين فى كريت (اريطس) حتى قال فيه ابن الأثير ، الذى يظهر متشائما فى تقييمه لمشاكل المسلمين أكتارخة الكبرى - كما يفعل بمناسبة غزو جنكيز خان للمشرق الاسلامى - وان كان هنا بمناسبة مقتل تفقود بتدبير من أمراته زوجة الملك السابق وأم عياله : وهأبه المسلمون هبة عظيمة ولم يشكروا فى أنه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة ، وديار بكر .
تحلو الجميع من مانع - الكامل ج ٨ ص ٦٠٦ - ٦٠٧ (أحداث سنة ٣٥٩هـ) .

ذهل سفيره عندما رأى المعز فى المنصورة ، فتصوره الهايكاد يرقى قوس السماء (١٦٠) ، لكن ذلك رأى المعز أن يكون بديل الأمير أحمد هو أحد موالى أسرة بنى الحسن الكلبيين ، وهو يعيش مولى الحسن نفسه (١٦١) ، لعل فى ذلك عزاء لهم .

والذى يظهر من رواية ابن الأثير أن الأمير يعيش المولى حاول أن ينظم العمل فى دار الصناعة (صناعة السفن) بيلرم ، حرفة أهل الجزيرة المحاريين البحريين بالامتياز ، فجمع القبائل للعمل هناك ، ولكن الأمر انتهى بالنزاع بين موالى كتامة الذين كانوا خبراء فى صناعة المراكب ، تبعاً للأقدمية على الأقل ، حسبما نظن ، وبين غيرهم من موالى القبائل الأخرى ، فتقاتلوا فيما بينهم . ولما كانت نهاية القتال غير عادلة ، إذ كانت خسائر موالى الكتامين أكثر من قتلى منافسيهم موالى أهل ناحية سرقوسة ، فإن الشر استشرى فى الجزيرة وتمكنت العداوة بين الكتامين - عصبية الدولة الرئيسية - وبين منافسيهم . وترتب على عجز يعيش عن اصلاح ذات البين بين الخصوم ، أن انتشر الفساد ، ووقع الظلم بالعامه من الناس ، وخاصة بأهل المراعى والنصارى من سكان القلاع ، أصحاب العهد والأمان .

أقارب بنى الحسن الكلبيين من جديد فى ولاية صقلية :

وهكذا كان على المعز أن يعيد النظر فى أمر تولية يعيش إمارة صقلية ، فعزله وعين مكانه أبا القاسم بن الحسن بن على بن أبى الحسين ، ولكن بالنيابة عن أخيه أحمد (١٦٢) . وكان ولاية هذا الأخير ، لم تنقطع ، لا باستعمال يعيش مولى الأسرة الكلبيه ولا باستعمال أبى القاسم ، حيث يفهم من وظيفة العامل أنه صاحب الخراج أو الجباية ، الى جانب الأمير صاحب الحرب والإدارة . وأتى هذا التغيير المنطقى بما كان يرجى منه ، إذ فرح أهل صقلية بوصول أبى القاسم بن الحسن اليهم ، وزال الشر من بينهم واتفقوا على طاعته (١٦٣) .

(١٦٠) على عكس ما رآه فيها بعد فى القاهرة ، ملكاً من الملوك - اتعاظ المنفا ، ص

(١٦١) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٠ ، وانظر أحمد (عزيز) صقلية الاسلامة بالانجليزية ، ص ٣١ .

(١٦٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٠ .

(١٦٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦١٠ .

وبعد وفاة الأمير أحمد بعد أشهر قليلة ، أقر المعز أبا القاسم في
الولاية ، وبذلك يكون المعز اعترف بالأمر الواقع الذي يعنى الحكم الوراثة
لصقلية فى أسرة بنى أبى الحسين الكلبيين (١٦٤) .

أحوال الأقاليم الشرقية فى كل من طرابلس وبرقة واجدانية قبل رحيل المعز الى مصر :

باستقرار الأمور فى صقلية داخليا وخارجيا يكون المعز قد اطمأن
على أملاكه فيما وراء البحار فى صقلية وكلايريا ، كما سبق له الاطمئنان
على أراضيه المغربية بمد سلطانة على المغرب الأقصى ، أو بلاد الغرب ،
حسب المصطلح الأندلسي ، باستثناء سبتة على المجاز الى الأندلس ، كما
كانت أحوال الأراضى الشرقية فى طرابلس وبرقة مطمئنة تماما منذ الثورة
الزناتية التى كانت لها آثارها الإيجابية هناك ، حيث ازدهرت كل من
الولايتين اللتين كانتا ملجأ لمن آذتهم الحرب الزناتية فى أفريقية ، والذين
قاموا بنشاطاتهم العمرانية هناك ، كما اعتمدت الدولة على موانئها ،
وخاصة طرابلس التى مثلت عمقا للدولة لا تطاله أيدي الثوار فى أفريقية .

والحقيقة أن الأقاليم الشرقية فى طرابلس وبرقة كانت دائما موضع
اهتمام الأئمة طالما كانت آمينتهم هى فتح مصر . وهكذا اهتم القائم
- قبل الثورة الزناتية من غير شك - بمدينة اجدانية فجملها بجامع حسن
البناء كان له مئذنة مئذنة بديعة الشكل (١٦٥) . وبعد الاضطراب الذى
عرفته منطقة طرابلس سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م عند وفاة المهدي حيث كانت
ثورة ابن طالوت القرشي (انظر فيما سبق ص ١٦٥) لا تذكر الحوليات
التاريخية - شيئا خلال حكم القائم والمنصور بخلاف أن طرابلس كانت
أقرب مأوى للاجئين الفارين من جحيم الثورة الزناتية ، وخاصة من أهل
المهديّة ، كما حدث سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤ - ٩٤٥م (انظر فيما سبق
ص ١٨٢) . وعلى عهد المعز كانت كل من طرابلس وبرقة موضع اهتمام
المسؤولين الأمر الذى ترتب عليه تمتعهما بالرفه والرخاء . وفى سنة ٣٤٥هـ
/ ٩٥٥ - ٩٥٦م ، قام والى طرابلس أبو الفتح زيان الصقلبي بتجديد سور
المدينة (١٦٦) . كما ازدهرت طرابلس نتيجة لتوثق علاقاتها بصقلية ، منذ

(١٦٤) انظر أحمد (عزيز) صقلية الاسلامية (بالانجليزية) ، ص ٣١ .

(١٦٥) الاستبصار ، ص ١٤٤ .

(١٦٦) التيجاني ، الرحلة ، ص ١٧٢ .

الثورة الزناتية حتى أصبحت على عهد المعز منافسة لسوسة والمهدية ، حيث آلت ولايتها الى نصير الخازن ، أمين الأموال والسبلح ، الذي كان يستخلفه المعز بالمهدية (١٦٧) .

طرابلس قاعدة للأسطول الصقلي :

وهنا يمدنا كتاب سيرة الأستاذ جودر بمعلومات مفيدة عما كان يقوم به الطرابلسيون من أصحاب مراكب الشحن الكبيرة من نقل ما كان يرسل من الشعير الى صقلية ، معونة للغزاة (١٦٨) . كما نفهم أيضا ان طرابلس كانت على أواخر أيام المعز قاعدة لأسطول صقلية ، حيث كان يأتي إليها بنو الحسن ولاة الجزيرة في المراكب بأموال صقلية ومغانم الروم . فينفق منها نصير الخادم الوالي على صيانة الأسطول ورواتب عسكره ويرسل بذلك بيانا الى الخليفة ، وبما تبقى لديه من المال . ولا شك أن أموال طرابلس هذه كانت من الكثرة بحيث أن المعز كان يرجو أن تعوضه عن بعض نفقات حملة جوهر الضخمة الى مصر (١٦٩) .

برقة حاضرة مزدهرة :

أما برقة فكانت لها أهميتها الاستراتيجية الكبيرة ، برقا وبحريا ، بالنسبة لفتح مصر بخاصة . ففي سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م عندما ثارت قضية كريت (اكريطش) التي كان يفتحها نفقور فوكاس على المسلمين ، كان المعز يخطط لاتخاذ بعض مراسيها (طبرقة ؟) قاعدة لرسو الأسطولين المصري والفاطمي ، تأهبا لاحتمال اتخاذ اجراءات مضادة لأعمال البيزنطيين في كريت (أنظر ما سبق ص ٢٤١) . ومنذ سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م كان العمل هناك يقوم على قدم وساق في بناء المنازل والقصور ، كما على طول الطريق من أفريقية الى حدود مصر ، تمهيدا لمسير حملة الفتح (أنظر فيما سبق ، ص ٢٥٢) .

(١٦٧) سيرة جودر ، ص ٨٨ .

(١٦٨) سيرة جودر ، ص ٨٧ - ٨٨ وأنظر للمؤلف موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين

في المغرب ونقلتهم الى مصر - مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، المجلد ١٩٥٨ - ص ٢٣٤ .

- حيث شكوى متولى البحر من ابن ريسيم الاطرابلسي من حيث خيانتة في ذلك الشهر .

(١٦٩) سيرة جودر ، ص ١٧١ ، وأنظر للمؤلف موقف ليبيا - مجلة كلية الآداب بالجامعة

الليبية ، مجلد ١ ص ٣٢٤ - ٣٣٥ .

هذا ، كما يفهم أن برقة كانت تعيش وقتئذ فترة من الازدهار والرفاهية . فهذا ما يستشف من كثرة اموال وايجها افلاح ابن ناشب وعريض سخائه . فهو عندما يطلب منه جوذر عشرة جمال يضاعف الهدية الى عشرين جملا . وهو في سبيل الحفاظ على وجاهته - يعرض على المعز أن يعفيه من الترجل لجوهر وتقبيل يده (أو حافر فرسه) عندما يمر به في طريقه الى مصر ، نظير تقديمه ١٠٠ (مائة) ألف دينار (١٧٠) .

وبذلك تكون الأقاليم الشرقية من الدولة الفاطمية في دورها المغربي ، قد تمتعت بالرخاء نتيجة للاستقرار الذي عرفته زمن الثورة الزناتية ، ولاهتمام المعز بعد ذلك بفتح مصر ، وتوجيه سياسته تبعا لذلك وجهة شرقية .

الرحيل الى مصر - ٢١ شوال ٣٦١هـ / ٦ أغسطس ٩٧٢م :

الاعداد للموكب الخلائي :

هكذا كانت الظروف مواتية لكي تدق ساعة الرحيل الى مصر ، في أعقاب جوهر ، بعد ٣ (ثلاث) سنوات كانت لازمة للتثبت من استقرار فتح مصر ، وضمان تهدئة الأوضاع في أفريقية وبلاد المغرب . ففي يوم ٢١ شوال سنة ٣٦١هـ / ٦ أغسطس ٩٧٢م خرج المعز من المنصورية الى قرية سردانية القريبة من القيروان (١٧١) ، والتي اتخذها مقرا مؤقتا للاعداد للموكب الخلائي في تحركه نحو المشرق ، وانجاز ما كان قد تبقى من الأعمال السياسية والادارية الخاصة بأوضاع المغرب وتراثيبه . ففي سردانية لحق به رجال حاشيته وعماله ، وأهل بيته وجميع ما كان في قصره من أمتعة وأموال . وفيما يتعلق بالأموال تقول الرواية انه كان لدى المعز من الدنانير المكدسة بعد ما أنفقه على حملة جوهر مما بلغت جملته ٢٤ مليون دينار (أنظر فيما سبق ، ص ٢٥٠) ، ما سمع بسبكها وجعلها كهيئة الطواحين ، التي حملت كل طاحونتين منها على جمل (١٧٢) .

(١٧٠) سيرة جوذر ، ص ٩٥ ، ابن خلكان ، ترجمة جوهر ، ج ١ ص ٣٧٧ . وانظر للمؤلف ، موقف ليبيا - مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ١ ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . (١٧١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، ابن خلكان ، ترجمة المعز ، اتعاظ الخنفا ، نشر الشبال ، ص ١٤٤ . (١٧٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ ، وللمقارنة مع ما أنفق على حرب أبي يزيد ، انظر ص ٢١ - حيث بلغت أكثر من ١٢ مليون دينار .

ترتيب شئون الحكم في المغرب وصقلية :

أفريقية :

والحقيقة أنه رغم ما تقوله الرواية من أن المعز ، خلال إقامته تلك في سردانية ، اتخذ القرارات الخاصة بترتيب شئون الحكم والإدارة في بلاد المغرب وصقلية ، فالمعروف أنه كان قد حزم أمره بالنسبة لذلك قبل الرحيل بوقت كاف ، ولا بأس أن يكون ذلك قد تم قبل ذلك بسنوات من حيث الأمر الواقع على الأقل ، أن لم يكن من الناحية القانونية - وهو الأمر المنطقي ، خاصة وأن المعز لم ير أفراد من يفوضه للنيابة عنه في أفريقية بالسلطة وحده في كل البلاد ، بل ولا أن تكون له كل السلطات ، فهو يحيطه بعدد من الولاة في أطراف الدولة ، كما يضع إلى جانبه عددا من العمال في حضرة القيروان ، مركز الحكومة . فزيري بن مناد وابنه بلكين يوسف كانا قد تقدما في الخطوة لدى المعز على صاحب المسلية جعفر بن علي ابن الأندلسي ، الأمر الذي أدى إلى غضب هذا الأخير ، بل وإلى انضمامه إلى صف أمراء الزناتية ، حلفاء عبد الرحمن الناصر ، الذين تألبوا على زيري بن مناد وقتلوه ، الأمر الذي افتخر به جعفر ، تقربا إلى الناصر (انظر فيما سبق ، ص ٢٥٤-٢٥٥) . ترتب على ذلك أن عهد المعز بولاية أفريقية إلى بلكين أميرا ، وإلى جانبه القاضي ، وصاحب الخراج وصاحب الخبز (البريد) عمالا تابعين للخلافة (١٧٣) .

ولا بأس أن الأموال هي التي كانت تهم المعز أكثر من غيرها ، وذلك أنه جعل لها ٣ (ثلاثة) عمال إلى جانب يوسف بلكين ، أولهم : زيادة الله

(١٧٣) انظر ابن خلكان ، ترجمة المعز ، اتعاط الحنفا ، ص ١٤٤ - حيث الإشارة إلى أن جعفر بن علي طلب ما يشبه الاستقلال عن الخلافة نظرا « لبعدهما بين مصر والمغرب » ، الأمر الذي أغضب المعز ، بينما تحفظ بلكين عندما عرض عليه المعز الاستخلاف ، وأنه الذي طلب أن يكون عمال الخلافة إلى جانبه وأن يقوم هو بين أيديهم لمواجهة العصاة . ومن الواضح أن الرواية موضوعة فيما بعد ، وأنها تمبر عن الحالة الراهنة وقتذاك ، مما يعبر عن الضمانات التي اتخذها المعز لبقاء أفريقية تحت سلطانه . وعن مشكلة النيابة في أفريقية هذه ، انظر محمد اليملاوي ، حول نيابة محتملة للأمير الفاطمي عبد الله بن المعز في أفريقية في القرن الـ ١٠ هـ / م ، دفاتر (كرايس) تونس ، المجلد ٢٢ ، العدد ١ ، ٢ لسنة ١٩٧٤ ، بالفرنسية ، ص ٩ وما بعدها - حيث فكر المعز - بعد التفكير في جعفر بن علي ، وجوذر ، وبلقين - في أنابة ابنه عبد الله ، والسند لذلك : قصيدة لابن هانيء يقول فيها :
لما شددت بعبء الله عروته
أعززت منه مصون الأمر لم يدل

ابن القديم ، على الجبائية ، وهو رئيسهم كما يستشف من النص ، والآخرون على الحراج ، وهما عبد الجبار الحراساني ، وحسين بن خلف الموصدي (١٧٤) .
وإذا كانت الرواية تنص على أن المعز أمرهم بالانقياد ليوستف بن زيري ،

فهذا لا يمنع من تبعيتهم أو تبعية رئيسهم ، ابن القديم على الأقل ، المباشرة للمعز . فهذا ما يفهم من سياق الرواية التي تنص على أن المعز كان يعرف سلفا أن الأمر سينتهي باستقلال بلكين ، وهي الفكرة الرئيسية التي جعلته لا يفوض بلكين في حكم كل أملاكه في الشمال الأفريقي ، وما وراء البحار في صقلية وجنوب إيطاليا .

طرابلس :

فلقد أخرج المعز طرابلس وما يتبعها ، من : سرت واجدانية ، من إمارة بلكين ، وكون منها إمارة جديدة عهد بها إلى أحد قواد كتامة هو : عبد الله بن يخلف الذي كان أسيرا لديه (١٧٥) ، الأمر الذي كان يعني استرضاء قبائل كتامة ، أنصار الدولة السابقين الذين اعتر بهم المعز وعمل على إعادة الثقة فيهم ، عن طريق غفران ما كانوا قد وقعوا فيه من الزل على أيام المهدي ، وأيام القائم عندما انضم بعضهم إلى الأعداء ، على أساس أنه خطأ في الاجتهاد ، قد لا يعاقب المرء عليه إن لم يثاب (انظر المجالس والمسائرات ، ص ٢٤٥) .

وإذا كانت الرواية لا تضع ولاية برقة ضمن الولاية الكتامية الشرقية ، التي تكاد تعادل البلاد الليبية الحالية ، باستثناء برقة ، فإن ذلك يعني أن المعز أخذ بالتنظيم الإداري القديم ، من حيث كانت برقة من أعمال مصر .

صقلية :

وكذلك فعل المعز بصقلية التي كان قد أقر فيها أسرة بني أبي الحسين الكلبيين ، منذ إعادة أبي القاسم بن الحسن ، نائباً عن أخيه أحمد ، سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، فأعاد تشييته مستمرا في ولايته إلى سنة ٣٧٢هـ /

(١٧٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ - ٦٢١ ، وقارن القريري ، اتعاط الحنفا ، ص ١٤٢ .

(١٧٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ . وانظر الطاهر أحمد الراوي ، تاريخ الفتح العربي

في ليبيا ، ص ١٧٣ .

٩٨٢م - بعد وفاة أحمد قبل قليل من سير المعز الى مصر (١٧٦) .

وبذلك يكون المعز قد أقام نوعاً من التوازن بين نوابه في أملاكه المغربية ، بتقسيمها الى ثلاث ولايات منفصلة ، في إفريقية وطرابلس ، وصقلية . ورغم ذلك فقد كان يلكين هو الممثل الحقيقي للدولة الفاطمية في أملاكها الغربية ، وهذا ما يفسر كيف ضمت ولاية طرابلس الكتامية اليه بعد فترة وجيزة . أما ولاية بنى الحسن الكليين في صقلية فقد واصلت أمجادها في الجزيرة ولكن الى حين .

الرحلة الى مصر :

والمهم أنه بعد أن اطمأن المعز الى ترتيب أمور دولته في المغرب ، واستكمل تجهيزاته الأمر الذى تطلب إقامة شهرين في سردانية ، خرج يوم ٢٠ من ذى الحجة ٣٦١هـ / ٣ أكتوبر ٩٧٢م (١٧٧) متجها نحو مصر في موكبه الفخم ، تتقدمه توابيت آبائه ، كناية عن الرحيل دون التفكير في العودة ، ويحيط به حراسه ورجال حاشيته ، ويصحبه يوسف بلكين حتى قابس ، حيث أدى تحية الوداع بما يليق بسيد الامام من التعظيم ، من تقبيل اليد والرجل على ما نظن ، ان لم يكن تقبيل حافر الفرس كذلك .

أصول الحكم في إفريقية ، وآخر وصايا المعز :

وكان آخر ما أوصى به المعز نائبه الصنهاجى بلكين ، هو : ألا يرفع السيف عن البربر وألا يرفع الجباية عن أهل البادية وأن يفعل مع أهل الحاضرة خيراً ، ولا يول أحداً من اخوته أو بنى عمه (١٧٨) . كما أنزله

(١٧٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٠ - حيث النص تجاوزا على أن الولاية كانت للحسن بن على أول أفراد الأسرة الذى كان قد مات مجاهدا أثناء ولاية ابنه أحمد (سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) (ما سبق ص ٢٧٢) . وأنظر حسن إبراهيم وطه شرف ، المعز لدين الله ، ص ٦٣ ، وأنظر للمؤلف موقف ليبيا ٠٠٠ ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ، المجلد ١ ص ٢٣٨ ، حيث للإشارة الى مزيد من المعلومات فى ميشيل امارى ، تاريخ المسلمين فى صقلية Storia dei Musulmanidi Sicilia ج ٢ ص ٢٣٧ ، ٢٧٥ - عن بداية الحسن بن على ، ص ٢٧٩ - عن أسرته بنى الحسن فى صقلية .

(١٧٧) أنظر اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٤ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ - حيث يقول ان الإقامة فى سردانية استغرقت ٤ (أربعة) أشهر ولكن دون تحديد التواريخ . (١٧٨) النويرى ، ص ٣١١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١١٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، تحقيق مختار العبادى والكتانى ، ج ٣ ص ٦٥ . وأنظر فيما بعد ص ٣٢٥ .

القيروان ، وسماء يوسف وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف الدولة (١٧٩) .

وهذه الوصية ، ان جاز أن تكون موضوعة ، مثل قصة تمنع بلكين عن الولاية أو زهده فيها ، فهي تبين على كل حال المبادئ الأساسية التي ينبغي أن تنبنى عليها سياسة أية حكومة مغربية في ذلك الحين . والمبدأ الأول يعنى ان البربر أهل اضطراب لا يرضون بالخضوع لسلطان الدولة ، فيجب مراقبتهم والضرب على أيدي العصاة منهم . والمبدأ الثاني يعنى أن ولاء سكان البوادي لا يتأكد الا بخضوعهم للنظام العام بالأمر الذى لا يتأتى الا بدفعهم المنتظم لما هو مقرر عليهم لبيت المال . والمبدأ الثالث يعنى أن أهل الحضر هم عصب الدولة الحقيقى ، ويعنى حيويتها ومصدر ثروتها ، فالواجب إذن أن يحسن الأمير اليهم . أما عن المبدأ الرابع الخاص بتحذير بلكين من أقاربه ، فالوضع فيه واضح ، اذ هو يعبر عما حدث فيما بعد من الاختلاف بين أبناء بلكين وبين أبناء عموماتهم الحمادين ، أصحاب القلعة ، الذين استقلوا عن دولة القيروان والمهدية .

وفى طرابلس ساء بعض رجال المعز أن يهاجروا الى المشرق ، فهربوا الى جبال نفوسة ، واعتصموا بالمنطقة الأباضية الخارجة على الدولة أبدا ، وفشلت كل الجهود التى بذلت فى سبيل استرجاعهم (١٨٠) . وتابع الموكب سيره عبر مدن سرت وأجدابية ، والمعز ينزل للإقامة فى بعض المواضع ، ويجد السير فى مواضع أخرى ، الى أن وصل الى برقة فى ١٤ جمادى الأولى ٣٦٢هـ / ٢٠ فبراير ٩٧٣م ، حيث نزل بالقصر خارج المدينة (١٨١) فى موضع يعرف بـ « مياسر » (سيرة جودز ، ص ١٤٧) .

وفاة محمد بن هانىء الأندلسى :

وفى برقة فقد المعز شاعره محمد بن هانىء الأندلسى الذى طالما غالى فى مديح المعز . ولقد قيل انه مات اثر ليلة بيضاء سبها ، قضاه حمرأ عربدة وسكرا ، حتى فقد وعيه فبات عريانا فى برد ذلك الوقت من الشتاء ، فمات . هذا ، ان لم يكن قد قتل على أيدي رفقاء السوء فى تلك الليلة ، الذين

(١٧٩) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .

(١٨٠) ابن الأثير ، ج ٨ ، ص ٦٢١ .

(١٨١) المقرئى ، اتعاظ الخلفاء ، ص ١٨٦ .

عربوا عليه بعد أن سكروا (١٨٢) . هذا ، ولو أن ابن الأثير ينص على أنه اغتيل ، وإن لم يعرف من قتله ، حيث رأى ملقى على جانب البحر في أواخر رجب سنة ٣٦٢ هـ / أواخر إبريل ٩٧٢ م ، وإن فهم من روايته التي يورد فيها أشاره الغالية في مديح المعز ، أن ذلك كان السبب في اغتياله (١٨٣) . بل وأكثر من هذا ما نسب إلى ابن هانيء ، مما نسبته المؤرخون في مديح المهدي الغالي ، مثل :

خل بركة المسبح خل بها آدم ونوح

... الخ (١٨٤)

وفي بركة توفي أيضا عم المعز : يوسف بن القائم ، كما توفي مولاه جودر الصقلي الذي دفن بجامع القصر هناك (سيرة جودر ، ص ١٤٧) .

ومن بركة سار المعز إلى الاسكندرية فوصلها في أواخر شعبان / أوائل يونيه ٩٧٣ م ، حيث استقبل بالحفاوة والترحاب من أهل مصر وأعيانهم ، ثم سار ليدخل القاهرة في ٥ رمضان سنة ٣٦٢ هـ / ١٠ يونيه ٩٧٣ م . وبذلك تختم الدورة المغربية من تاريخ الدولة الفاطمية ، ليبدأ عصر النيابة الفاطمية في المغرب ، وهو العصر الزيري الصنهاجي ، فاتحة عبور الدول المغربية حقيقة أي البربرية لحما ودما .

(١٨٢) أنظر ابن خلكان ، ترجمه محمد بن هانيء ، ج ٤ ص ٤٢٢ .

(١٨٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ - حيث قوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
ما حكم فانت الواحد القهار
وقوله :

أمدبرها في حيث دار نكسا
زاحمت حول ركابه جبريلا

الشرطة الأولى في البيت الثاني في ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢١ ، ناقصة ما بين القوسين ، والتكملة من ديوان ابن هانيء حسبما أوردها التحقيق في أعمال الإعلام لابن الخطيب ، ج ٣ ص ٢٥٦ . وقارن المنهل العذب لأحمد التائب الأنصاري ، طرابلس ، ص ١٠١ - حيث بيتا العصر ، كالآتي :

فكاننا أنت النسي محمد
وكاننا أنصارك الأنصار

ما شئت لا ما شاءت الأقدار
فأحكم فانت الواحد القهار

(١٨٤) أنظر فيما سبق ، ص ١٢٧ ، وهـ ١٤٩ ، وإن نص ابن الأثير على أن المتهمين

لابن هانيء يؤولون مقالاته تلك (ج ٨ ص ٦٢٢) .

الفصل الثالث

العصر الصنهاجى الأول فى بلاد المغرب الزيريون خلفاء الفاطميين فى افريقية

تمهيد :

برحيل المعز الى القاهرة ومصر يبدأ عهد جديد فى بلاد افريقية والمغرب ، يمكن أن يعتبر نهاية لمرحلة من تاريخ الشمال الافريقى فى عصوره الاسلاميه ، هو العصر العربى فى مقابل ما يسمى بالدولة العربية فى المشرق ، وبداية لفترة جديدة من ذلك التاريخ ، وهى : العصر البربرى ، فى مقابل العصر الفارسى فى المشرق . والمقصود بسمة العروبة فى تلك الدورة من تاريخ المغرب فى المرحلة الأولى ، ليس العرق ولا حتى اللغة — رغم ما لها من تأثير عميق فى حياة المجتمع وتاريخه — بل الأثر الشرقى بعامه ، انوافد من مصر حيث مقر الخلافة الفاطمية ، وفى العراق حيث الخلافة العباسية ، بل ومما وراء ذلك فى فارس وايران ، من حيث وفدت تأثيرات عرقية وثقافية جديدة ، بل وفى أبعد من ذلك حيث بدأت فى المغرب طلائع التأثيرات التركية الوافدة أصلا من أواسط آسيا ، من : عرقية وثقافية أيضا . وهى المؤثرات التى ظهرت فى المغرب مع بداية العصر الفاطمى ، والتى تدل عليها تسمية دعابة المذهب الاسماعيلى الفاطمى بـ « المشارقة » والمذهب الشيعى بمذهب « التشريق » . فكان السمة الشرقية بعامه ، من : عربية وفارسية وتركية ، قد حلت محل العربية ، عرقا ولغة وعادات وتقاليد ، الأمر الذى يتفق مع مسار الأحداث التاريخية ، وتطور الأحوال الاجتماعية والحضارية . وفى مقابل ذلك تمثلت سمة العصر البربرى الجديد ، من تاريخ المغرب الإسلامى ، فى قيام دول مغربية لحما ودما ، حيث قامت أسر بربرية حاكمة بدلا من الأسر الشرقية المستقلة عن الخلافة العباسية ، مما عرفته البلاد من قبل ، من : المروانية الأموية فى قرطبة ، والأدرسية العلوية فى فاس ، والرسنمية الفارسية أصلا فى تاهرت والأغلبية العربية التميمية فى القيروان . بصرف النظر عن الأسر البربرية المحلية ، من بنى مدرار فى سجلماسة ، وبنى عصام فى سبتة ،

وبنى صالح فى نكور ، وكذلك الامارات القبلية الصغيرة ، ذات الطابع المحلى ، فى غمارة ، وبرغواطية ، ومغراوة ، وجراوة ولواته وغيرها ، فى مقابل شعوب زناتة وصنهاجة ومصمودة .

وهنا تحسن الاشارة الى أن دورات التاريخ الأندلسى كان لها نفس مسار الدورات المغربية ، من حيث مشاركة البربر للعرب ولاهل البلاد من : مولدين ومستعربة ووافدين من المماليك الصقلية ، فى أمور اسيساسة والحرب والادارة . وكانت مشاركة البربر تزداد مع ازدياد قوة القبائل البربرية وخاصة صنهاجة افريقية الذين كان لهم دورهم الايجابى فى الأندلس ، ابتداء من عصر الدولة العامرية على وجه الخصوص . فكان للبربر دورهم فى سقوط الدولة الأموية ، مثلما كان لصنهاجة الزيريين دورهم فى منطقة غرناطة ، الأمر الذى مهد لدور أكبر لهم فى عصر ملوك الطوائف ، قبل أن تمتد الهيمنة الصنهاجية على كل البلاد مع قيام دولة الملمثين المرابطين .

وإذا كان المعز عندما سار الى مصر ، تقدمته توابيت آباءه بمعنى عدم التفكير نهائيا فى العودة الى تلك البلاد التى امتحنت فيها الأسرة الشريفة حتى أشرفت على الهلاك أو كادت ، فان تلك القطيعة بين المشرق والمغرب ، بما تمثلته من رفض المذهب الشيعى فى أفريقية ، بعد قليل ، لم تكن قاطعة . حقيقة ان اعلان السنة ، كما كان الحال عند اعلان التشيع من قبل ، قد صاحبه اضطهاد الطرف الآخر ، مما عرف عند بعض الباحثين بـ « الأزمة الفاطمية »^(١) ، ولكن الروابط لم تنقطع بين المشرق والمغرب . ان على المستوى الشعبى حيث استمر انتقال الناس من التجار والحجاج والعلماء ، أو على المستوى الرسمى ، حيث كانت السفارات والبعثات الأميرية تروح وتجيء ما بين القاهرة والقيروان بالهدايا وسجلات الولاية والعهد أو خطابات البيعة .

وما يستحق الانتباه أكثر من ذلك أن ما قام به الفاطميون فى مصر ، عندما أطلقوا قبائل الهلالية على بلاد القيروان ، فى تلك العملية الثارية من نوابهم الزيريين ، كانت له تأثيراته الجانبية ، كما يقال ، على المستويات الاقتصادية والديموغرافية العرقية . فبينما يصير الكتاب على ما أثاره عرب

(١) ج ١ مارسية ، بلاد البربر والمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، بالفرنسية . باريس ١٩٤٦ .

الهلالية من التدمير والتخريب فى أفريقية والقيروان ، الأمر الذى أدى الى قلب الاوضاع السياسية والاقتصادية فى البلاد رأسا على عقب ، تتمثل أهم نتائج تغريبه الهجرة الهلالية على المدى البعيد فى عملية تغريب البلاد على المستوى العرقى واللغوى ، بالشكل النهائى الذى آلت اليه حديثا ، والذى يظهر فى تغريب كثير من قبائل البربر الذين رفعت أسبابهم الى الأجذام العربية العريقة ، كما فعلت زناتة بانتسابها الى القيسية ، أو صنهاجة بانتسابها الى الحميرية اليمنية .

هكذا ظهرت الدولة الصنهاجية الزيرية فى بلاد القيروان وأفريقية بمظهر الدولة العربية حقا ، من حيث اتخاذ العربية لغة رسمية للدولة ، وعناية الامراء بها فى بلاطهم ، حيث استقبلوا العلماء والشعراء ، واستمعوا لمدائحهم وأجازوهم ، بل من حيث عناية بعضهم بالشعر والأدب - حسبما سمحت الظروف .

وهنا نحب الإشارة الى نظرية ابن خلدون التى تقول بأن الطابع الدينى فى الدولة الاسلامية يتناسب طرديا مع صبغتها العربية ، ونرى أنه لا بأس أن يكون ابن خلدون قد استنبط نظريته هذه من دراسته لتاريخ دول المغرب البربرية (٢) ، وأولها دولة الزيريين الصنهاجية ، حيث لا تشغل الأمور الدينية فيها حيزا من التاريخ يذكر بالمقارنة مع العصر الفاطمى السابق أو حتى الأغلبى العباسى الأسبق ، باستثناء تلك الفورة على التشيع مما حدث على عهد الأمير الرابع ، وهو المعز بن باديس ، والتى يمكن ارجاعها الى أسباب سياسية ، هدفها الخروج على سلطان القاهرة أصلا . وهنا لنا أن نضيف خاصية أخرى مرتبطة بالعروبة فى تاريخ الدول المغربية البربرية ، وتتلخص فى التناسب الطردى أيضا بين العروبة والتحضّر ، حيث يتسع البون بين دول عصرنا البربرى هذا ، ودول الأسر العربية المشرقية السابقة عليها ، بما فيها عصر أمراء دمشق الأسبق ، رغم ما ينسب للكتاب الى بعضهم من أعمال الظلم والجور ، وخاصة بالنسبة لأهل البلاد من البربر ممن كان يطبق عليهم قانون الأخماس الحربى ، دون رعاية . فمن الأمور المستغربة ما ينسب الى بعض أمراء الزيريين من الغلظة والقسوة التى مارسوها مع كبار رجال دولتهم ، مما بلغ أحيانا الى حد القتل بىدى الأمير

(٢) المقدمة ، ص ١٣٣ ، فصل فى أن الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة المصيبة

— حيث الإشارة الى المتنونة والموحدين .

دون محاكمة ، ولو صورية ، أو إلى حد التمثيل ببعض الثوار حتى أكل أكبادهم مشوية ، وكذلك لحوهم ، الأمر الذي لا تبرره الأغراض السياسية التي استندت ترهيب الثوار أو لفت نظر رجال الخلافة إلى التوقف عن إثارة المتاعب لأمر القيروان (٣) .

وفي مقابل دولة صنهاجة القيروان وأفريقية ، وهي في أوج تمدنها ، حوالي منتصف القرن الخامس الهجري / ١١ م ، كانت دولة الملمسين الصنهاجية ، وهي دولة لتونة ومسوفة المرابطية في صحاروات المغرب الأقصى ، دولة بربرية تصدق فيها مقولة ابن خلدون بالعلاقة الطردية بين العروبة والصيغة الدينية الإسلامية ، وبالتالي بينها وبين درجة التمدن والحضارة . فدولة الملمسين المرابطية كانت في بداية أمرها بدوية ساذجة حتى عهد بطلها يوسف بن تاشفين الذي كان على درجة من البساطة والتشغف تناسب مع قلة معرفته باللغة العربية حتى أنه كان يستخدم الترجمان . هذا ، ولو أن الدولة المرابطية سرعان ما تنعت بحضارة الأندلس ، بل انبثقت أسباب وجودها وسط ذلك الترف

وتبعاً لسنة التطور والارتقاء ، وتحت تأثير الحضارة العربية الأندلسية بدأت وريثة الدولة المرابطية وهي دولة الموحدين ، وهي أكثر رقياً وتحضراً . فعلى المستوى اللغوي كان ابن تومرت منظر الدعوة ومرشد الدولة يجيد العربية والبربرية ، ويكتب تأليفه في العقيدة والمرشدة بها جميعاً ، ويضمن مذهبه أعلى ما وصل إليه من آراء المتكلمين ونظريات الشيعة ، في محاولة توفيقية رائعة بين المذاهب الإسلامية . وعن طريق الأندلس غرباً وبلاد القيروان شرقاً وقعت الدولة الموحدية تحت تأثير قطبي العروبة في الغرب الإسلامي ، إلى جانب تغفلل عرب الهلالية في أقصى المغرب وحتى الأندلس ، وبذلك بلغت الحضارة المغربية الأندلسية أوج ازدهارها . وإذا كانت الدولة الموحدية قد ضاعت في غمار الرغبة العارمة في الجهاد ، وغواية التمتع بمباهج الحياة ، فإن حرب الاسترداد ، وما ترتب عليها من طرد عرب

(٣) أنظر فيما سبق ص ٤١ - ولا تدرى أن كان هذا الأمر قد يتطلب منا مراجعة بعض ما كنا نظنه قصصاً أسطورياً من وضع خصوم البربر ، مما يتناول بعض غرائب العادات عند بعض القبائل من الرخص في العلاقات الجنسية الخاصة بإكرام الأضياف إلى غيره من أعمال الفحش ، مما يوجد في كتب الجغرافيا ، وكتب العجائب ، وما يلخصه ياقوت في معجم البلدان في مادة بربر .

الأندلس ، كان له أثره في تحضير المغرب من أقصاه إلى أدناه ، وصيغه بحضارة الأندلس حتى في أعماق بواديه ، وقنن جباله دون تفرقة ما بين عربها وبربرها .

وهكذا تمت النقلة في تاريخ المغرب في حقبة الإسلامية من عصر السيادة العربية الوافدة إلى عصر السيادة البربرية المحلية ، تماما ، كما حدث في تاريخ الإسلام في المشرق حيث كانت النقلة من العصر العربي إلى العصر الفارسي مبكرة منذ سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، وما صاحب ذلك من ازدياد نفوذ العنصر الفارسي بقيام الأسر الوزارية من آل برمك وآل سهل وغيرهم ، سواء كانوا في خدمة الخلافة أو في خدمة الأمراء المتغلبين أو السلاطين والمهم فيما يتعلق بالمغرب أن بلاد الأندلس هي التي قامت بنور فارس في مجال الحكم والحضارة ، حيث أمدت المغرب بما كان يحتاجه من رجال الحكم والادارة من أصحاب الدواوين والكتاب الوزراء ، إلى جانب المهرة من العمال والتقنيين ، صناع الحضارة . وعن هذا الطريق تمت النقلة الحضارية في عصر الحكم الوطني ، مصاحبة للنهضة السياسية ، وكانت خطوات البداية مع حكم الزييين ودولة صنهاجة ، بعد أن كانت فترة التمهيد الفاطمية ، في حقيقة أمرها ، دولة كتامية .

صنهاجة أفريقية :

المواطن والقبائل (انظر شكل ٥ ص ٢٩٠) :

ومن المهم في حركة النهضة القومية المغربية هذه أنها بدأت في كنف قبائل صنهاجة ، من حيث أنها تعتبر الجذم البرنسي في شجرة أنساب البربر . والبرانس من قبائل البربر هم أهل الأرياف والحضر ، في مقابل قبائل زناتة أشهر ممثلي الجذم البتري من البربر الذي يمثل أهل الصحارى والبادوة (انظر ج ١ ص ٨٦) . وأهل الحضر أقدر على فهم الاقتصاد المدني ، وبالتالي أكثرهم قدرة على إقامة الدول من أهل البادية . وهذا ما يفسر نجاح الدعوة الفاطمية في كتامة ، واستمرار دولتها في صنهاجة من بني زيري . وعلى هذا الأساس يمكن تفسير قيام دولة الملتحين الصحراويين ، من حيث أصولهم الصنهاجية البرنسية الحضرية ، ومثل هذا يقال عن قبائل المصامدة (ومفردها مصمودة) الحضرية في منطقة السوس من المغرب الأقصى ، من حيث إقامتها لأعظم دول المغرب قاطبة ، وهي دولة الموحدين .



بلاد القبايل : كتامة (شرقا)
صنهاجة (من أزم إلى مليانة) (غربا)
(شكل ٥)

البلاد :

وبلاد صنهاجة في القرن الرابع الهجري / ١٠ م تعادل من بلاد المغرب الأوسط ، المنطقة المعروفة في المصطلح الفرنسي ، بـ « القبائل الكبرى » ، مقابل إقليم قبائل كتامة المعروف بـ « القبائل الصغرى » ، والذي يبدأ من منطقة قسنطينة شمالا ، وما يليها جنوبا بشرق الى تخوم بجاية وبونة (عنابة) (٤) . وتحدد بلاد صنهاجة ، حيث بنيت مدينتهم أشهر بمعرفة زيري بن مناد سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٦ م ، في جوار قبائل زواوة التي تعتبر من بطون كتامة (٥) ، وزناتة ، بالمنطقة الداخلية من المغرب الأوسط ، الواقعة غرب بلاد كتامة ، والممتدة جنوب الخط الوهمي الممتد ما بين مدينتي بجاية والجزائر ، والتي تقع في جنوبها مدينة المسيلة ، حيث قبائل عجيسة

(٤) أهم مدن كتامة هي : ايكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزموه وتيجست (تيكست) ومليلة ، وجيجل وسكيدة والقل وقسنطينة ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ . وقارن اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٣٦ - ٣٨ .

(٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٨ ، ١٥١ .

الصنهاجية ، وزناتة باقليم الزاب والحضنة ، والتي تقطن المنطقة جنوب الخط الوهمي الممتد بين المسيلة ووهران ، وتمتد من شلف الى المحيط الأطلسي (٦) . وأهم مدن صنهاجة هي : الجزائر (جزائر بني مزغناي) ومليانة (المشرفة على سهول نهر شلف) ، والمدينة (جنوب غرب الجزائر) ، وهي المدن التي بناها ولكن بناء على أوامر والده زيري (الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٣ - ٦٤) ثم المسيلة وسوق حمزة (البويرة) - وذلك قبل بناء القلعة وبجاية (٧) .

القبائل :

أما عن قبائل صنهاجة فإن النطق الصحيح لاسم جدها الأسطوري هو : تزناج (زناج : زناق) . ورغم ما ينص عليه ابن خلدون من أنها كانت تمثل أكثر أهل الغرب (المغرب) على أيامه حتى قال كثير من الناس أنهم ثلث أمة البربر (٨) ، وأن فروعهم تصل الى ٧٠ (سبعين) بطنا ، فلم يكن لها كبير شأن على أوائل أيام الدولة الفاطمية ، حيث لا ذكر أثناء الثورة الزناتية ، على عهد القائم ، الا لقبيلة صنهاجة وحدها ، بقيادة مناد وابنه زيري ، دون اشارة الى تفرعاتها القبلية ، ولا الى كونها اتحاد قبائل ، كما هو الحال بالنسبة لكتامة (٩) . أما عن ولايتهم لعلي بن أبي طالب ، وولاية مغراوة (أو زناتة) لعثمان بن عفان ، فابن خلدون لا يعرف سببها ولا أصلها (العبر ج ٦ ح ١٥٢) ، وإن كان من الواضح أن قصة اصطناع تلك الولاية يعود الى الأمر التاريخي الواقع ، من مساندة صنهاجة للفاطميين ضد الزناتيين الذين انضموا الى المعسكر الأموي في الأندلس ، وذلك في محاولة لتأصيل تلك التحالفات الطارئة في القرن الرابع الهجري / ١٠ م ، على أسس تاريخية تقليدية ، وهو ما يصرح به ابن خلدون بعد ذلك (١٠) .

أما عن صنهاجة أفريقية فيتمثلون في بني ملكان بن كرت الذين تمتد مواطنهم ما بين المسيلة ومليانة ، مرورا بسوق حمزة والجزائر والمدينة .

(٦) أنظر ج ١ ص ٩٢ - شكل ٣ - عن توزيع قبائل البربر .

(٧) اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٤٠ .

(٨) العبر ، ج ٦ ص ١٥ .

(٩) والحقيقة انه رغم ما يقول ابن خلدون من كثرة بطون صنهاجة فانه لا يستطيع الا أن يعدد بعضا من مشاهير رجالهم في الدولة الإسلامية كأفراد وليس كقبائل أو جماعات ، مثل : الفاق ورمون الذي ثار بأفريقية على أيام السفاح ، وعبد الله بن سكرديد ، وعباد بن صادق .

من قواد حماد بن بلكين ، ج ٦ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(١٠) العبر ، ج ٦ ص ١٥٣ .

وإذا كان ابن خلدون ينص على كثرة بطونهم ، مشيل : أنوغة وبنو مزغنه (الذين نسبت اليهم الجزائر) ثم بطوية وبنو يفرن (العبر ج ٦ ص ١٥٣) الذين يوضعون ضمن الزناتية في مواضع أخرى ، فانه ينتهي الى أن أكثرهم على أيام الأغالية هم بنود مناد ، وكان الأمر يتعلق وقتئذ بعشيرة ما أو قبيلة محدودة ، لا ترقى الى مستوى الشعب — هم بنو مناد الذين تضخمت أعدادهم مع تضخم سلطانهم ، حتى كان قصر الأمير منهم يجوى من النساء الألف امرأة وأكثر من المحارم أى اللاتي لا يجزن له (انظر فيما بعد ، ص ٣٥٧ وهـ ٨٩) أو من القرابة القريبة التي لا تتعدى الدرجة الثالثة كالحال والعلم ، في مقابل ابنة الأخ والأخت وابنة الأخ (١٠ م) .

بنو مناد :

وهكذا يكون بنو مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر (١١) هم أهم ممثلي صنهاجة أفريقية في أواخر القرن الثالث الهجرى وأوائل الرابع ، ولا تبدأ الشهرة لصنهاجة الا على أيام زيري الذي جاء مناصرا للمنصور في حرب أبي يزيد ، في قومه ومن انضم اليه من حشود البربر ، وأبلى في ذلك خير البلاء ، كما كان له فضل بناء أشهر مراكز صنهاجة الحضرية ، وأهم منجزاتها العمرانية من بناء : مدن أشير ، والجزائر (العاصمة الآن) ومليانة بالعدوة الشرقية لوادي شلف ، ومدينة المدية (حيث مستقر أهم بطون صنهاجة) ، وهي المدن التي أصبحت من أعظم مدائن المغرب الأوسط على أيام الزييريين (١٢) . وتكرس شهرة الأسرة الزييرية بتعيين بلكين بن زيري نائبا للمعز في حكم أفريقية سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م .

الأسرة الزييرية :

بلكين بن زيري بن مناد ملكا مؤصلا :

بتعيين بلكين نائبا للمعز في حكم أفريقية أصبح الزعيم الصنهاجي

(١٠ مكرر) انظر النويري ، ص ٣١٧ - حيث النص على رواية ابن حزم التي تقول ان بلكين كان له في موضع ألف امرأة لا يحل له نكاح واحدة منهن ، كلهن من أبناء اخوته وأخواته ، ومن الرجال مثل هذا العدد . هذا ، كما كان لبلكين ، قبل ان يستخلفه المعز ، قصور تشتمل على ٤٠٠ جارية ، فيقال ان البشارات تواترت عليه في يوم واحد بولادة ١٧ ولدا . وانظر فيما بعد ص ٣٥٧ وهـ ٨٩ .

(١١) العبر ، ج ٦ ص ١٥٣ .

(١٢) العبر ، ج ٦ ص ١٥٤ .

الذى أعطاه الخليفة الفاطمي اسما عربيا اسلاميا هو « يوسف » ، وكنية عسكرية هي « أبو الفتوح » ولقبا ملكيا مدنيا هو « ناصر الدولة » (دولة الخلافة) ، أول شخصية بربرية (مغربية أصلية) تصل الى رتبة الملوكة بطريقة شرعية ، عن غير طريق الغلبة والأمر الواقع .

وكون بلكين أسرة ملكيه توارثت الحكم ابنا عن أب ، واستفحل الملك فيها فاتخذت القصور الفخمة وغص بلاطها برجال الدولة وأصناف الحرير والجواري ، وليس الأمراء عمائم التيجان المذهبة ودثروا أمواتهم في أكفان السبعين ثوبا وزيادة ، وقبروهم في توابيت عود البخور الهندي الثمين . وهكذا لم يكن من الغريب أن يصطنع لهم الكتاب ممن عملوا في خدمتهم بل ومن غيرهم ، النسب المناسب الذي يرقى بهم الى الأرومة العربية النقية ، من حمير : ملوك اليمن القدامى ورموز الحضارة .

فبينما ينص بعض النسابة على أن جد بلكين هو مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر (١٣) ، ينقل النويرى عن الأمير الصنهاجى عز الدين بن عبد العزيز بن شداد نسبا لبلكين ترتفع سلسلته الى أكثر من ٤٠ (أربعين) جدا حتى يعرب بن قحطان ، منهم ٢٥ (خمسة وعشرون) يصل بهم الى حمير بن سبأ . والرواية هنا موثقة بالشعر على نسق أيام العرب القديمة (١٤) .

مناد :

أما عن جد مناد بن منقوش فكان زعيما شديدا القوة- كثير المال والبنين . وهو كريم مضياف له مسجد يلجأ اليه طالبوا القرى والحماية من : الوافدين والغرباء وعابري السبيل . : والى واحد من هؤلاء يرجع الفضل فى توقع مناد الملك فى سلالته . وذلك أن الرجل- الغريب الشأن الذى جاء يلتمس العون من مناد بعد أن تعرض لنهب اللصوص ، كان يحسن قراءة الطالع ، ولكن فى كتف الشاة التى تقدم له على مائدة الضيافة : وعن هذا الطريق تنبأ الرجل بملك المغرب جميعه لواحد من أبناء مناد . واستطاع أن يدرك أنه زيرى والد بلكين ، رغم انه كان ما زال جنينا فى بطن أمه ، وذلك بعد أن استعرض أبناء مناد الذين قدموا اليه ، ولم يجد طالع السعد فى

(١٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٣ .

(١٤) النويرى تحقيق أبو ضيف ، ص ٣٠٠ .

جباههم (١٥) .

زيرى :

وهكذا تجعل الرواية المنقبية من زيرى والد بلكين ، الانسان الذى حبه الطبيعة بمقامات الكمال . فالى جانب الجمال ، كان راجح العقل سد طفولته يسبق سنه بعشر سنوات ، فكانه بلغ سن الرشد وهو فى العاشرة من عمره . ففى شبابه المبكر هذا ظهرت عليه مخايل اتجاهات قيادية نابغة ، فيما كان يقوم به مع أقرانه من ألعاب الشباب ورياضاته ، كما اتصف بالكرم ، أول خصال الزعامة ، فكان يستضيف أصحابه انصغار ويقدم لهم الطعام ، مكتفيا بخدمتهم . ومن ألعاب الطفولة البريئة ، ورياضة « العسكر واللصوص » ، تطورت جماعة الفتیان الأحداث الى عصبة مسلحة ، مدربة على مفاجأة الخصوم (١٦) ، وهنا تنتقل الرواية المنقبية القصصية الى أرض الحقيقة والواقع .

رئاسة زيرى وبناء أشير :

فعندما يبلغ زيرى بن مناد طور الشباب يرأس جماعة من بنى عمه ومن شجعان القبيلة ، كانت صناعتها شن الغارات على قبائل زناتة المنافسة . واعدة بالمغانم والسلب . وخلال أعمال الشطارة والفتوة هذه ، تكرست زعامة زيرى بفضل غريته وتطبيقه مبدأ المساواة بينه وبين الآخرين عند تقسيم المغانم . وعن هذا الطريق آلت اليه زعامة صنهاجة ، ووقع على عاتقه النهوض بعبء الصراع مع زناتة ، حيث ظهر تفوقه عليهم بما كان يشنه من الغارات التى يبيتهم فيها ، ليلا فى أرض مغيلة ، كما زادت قوته وعدده وعتاده بما كان يغنمه من خيل جبل تيطرى ، التى زادت من عدد الفرسان بين أصحابه (١٦ م) . وعندما تسامع الناس بأخبار تلك النجاحات التى كان يحققها زيرى ، وفد اليه كل من هفت نفسه الى اتخاذ العسكرية صناعة له ، تحت قيادة زيرى الذى كان على استعداد لأن يضع سيفه وسيوف أصحابه فى

(١٥) النويرى ، ص ٣٠٢ . وانظر ابن غلبون ، التذكار ، ط - طرابلس ، ص ٢٣ - حيث تحولت الى علم الحدائق الذى كان يعرفه المميز لدين الله الذى دعا زيرى الى تقديم بنه العشرة اليه ولكنه لم يجد العلامة فى أى منهم فطلب العاشر ، وهو بلكين الذى كان أصغرهم سنا وأحقهم شيئا فوجد المميز فيه العلامة ، وفوض اليه من حينه واستخلفه .

(١٦) النويرى ، ص ٣٠٣ .

(١٦ مكرر) انظر النويرى ، ص ٣٠٩ - حيث الإشارة الى ان زيرى رزق من الأولاد ما يزيد على المائة كلهم أنجاد كاد ان يكتفى بهم فى حروبه - رحمه الله .

خدمة من يدفع له الأجر ، ويظلم بالحماية . فكانت تلك وسيلته في لفت نظر الخلافة الفاطمية اليه ، على عهد القائم ثاني الأئمة . حوالى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م ، عندما اتخذت قبيلة صنهاجة شكل الجماعة المنظمة تحت قيادته ، وذلك ببناء مدينة أشير (١٧) . وهنا نلاحظ أن ابن خلكان ينص على أن زيرى ، جد المعز بن باديس ، هو أول من ملك من بينهم ، وأنه الذى بنى مدينة أشير ، وحصنها أيام خروج أبى يزيد (١٨) . فكان بناء أشير عنده ، واتخاذها مقرا لزيرى يعتبر بمثابة تأسيس لتيان صنهاجي خاص ، له سمة ما يعرف بالحكم الذاتى ان لم يرق الى مستوى الدولة التامة النمو ، التى تستطيع أن تدافع عن حدودها ، وأن تكون لها علاقاتها الخارجية الخاصة بها .

بناء أشير : ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م :

والحقيقة ان أول اشارة بشأن الصلة بين زيرى وبين القائم الفاطمى تظهر بمناسبة بناء مدينة أشير . فبعد اختيار زيرى للموقع الفسيح ، الذى تندفق فيه عينان عذبتان بالماء الصالح للاستهلاك اليومى والزراعة ، فى قمة الجبل العالى الذى يرتفع الى ١٤٠٠ متر ، من حيث يشرف على سهول التل الغربية ومنطقة القبائل الشرقية ، على مسافة حوالى ١٠٠ (مائة) كم جنوب شرق الجزائر العاصمة « جزائر بنى مزغناى » (١٩) (انظر شكل ٦ ص ٢٩٥) ، وكان عليه أن يبدأ البناء سنة ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م بالاستعانة بالبنائين والنجارين الذين أتى بهم من المدن القريبة من : سوق حمزة (البويرة) والمسيلة وطبنة ، كما استعان بالخليفة القائم بأمر الله أيضا ، الذى بعث اليه بأشهر عرفاء العمارة فى أفريقية ، كما أمده بمواد البناء التى لا تتوفر فى المنطقة ، من الحديد وغيره (٢٠) ، الأمر الذى يعنى أن زيرى فى ذلك الوقت المبكر من سنة ٣٢٤ هـ / ٥ - ٩٣٦ م كان على علاقة وثيقة بالخلافة الفاطمية فى المهديّة . هذا ، كما أنه لا بأس أن يكون القائم هو الذى أوحى الى زيرى

(١٧) انظر النويرى ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١٨) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، ج ٢ ، ص ٣٤٣ . وقارن البكرى ، ص ٦٠ - حيث النص على أن الذى بنى سورها هو بلجج بن زيرى سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .

(١٩) انظر اسماعيل العربى ، دولة بنى حماد ، ص ٤٤ - ٤٥ .

(٢٠) النويرى ، ص ٣٠٤ ، وانظر البكرى ، ص ٦٠ - حيث التأكيد على انها من -

زيرى ، وعلى حصانة موضعها الذى يحميه ١٠ رجال فقط .

٢٩٦

باتخاذ مدينته في ذلك الموقع الاستراتيجي الذي يمكن الدفاع عنه ضد الغارات المحتملة من قبل قبائل زناتة التي كانت تشرح ، مستطيلة في المنطقة وتجول ، منذ أيام الأغالبة ، الأمر الذي دعا القائم الى القول بأن حاضرة العرب خير من مجاورة البربر (٢١) .



موقع أشير
(شكل ٦)

وبعد أن تم البناء كان على زيري أن ينقل وجوه عواصم المنطقة ، في :

(٢١) النويري ، ص ٣٠٤ وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٢٤ - حيث النص على بناء زيري لأشير وسكنها هو وأصحابه ، وإن كان التاريخ خطأ من كتابته في شكل ٦٢٤هـ / بدلا من ٣٢٤هـ / ٩٣٦م ، مع الإشارة الى سرور القائم لأن صنهاجة أضحت بين البلاد وبين زناتة ، مما يعنى الموافقة الضمنية على أن تكون دولة حدود ، وقارن اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ٥٢ وهـ - حيث الإشارة الى شك الكتاب في أن يكون زيري هو باني أشير ، والنسبك برأيه بأن زيري وليس الخليفة هو الذي بناها ، استنادا الى شعر عبد الملك بن عيشون الذي يمجو فيه زيري قائلا :

يا أيها السائل عن حرمنا وعن مدل السكفر أشير
اسمها المعلنون زيرها قلعه الله على زيرى
(وانظر البكري ، ص ٦٠ - حيث النقل عن محمد بن يوسف الوراق) .

طلبة والمسيلة وسوق حمزة الى آشير(٢٢) ، ربما ليضمن ولاءهم عن طريق وضعهم بالرهبان تحت اشرافه ، الأمر الذى ما كان ليتم الا بالتنسيق مع ديوان الخلافة ، وهو ما يمكن أن يكون قرينة ترجح احتمال أن يكون بناء آشير قد تم بعد موافقة الخلافة الفاطمية ، ان لم يكن بتوجيه منها .

ولم تلبث المدينة التى بنيت لأهداف استراتيجية دفاعية ضد غارات زناتة المحتملة فى المنطقة ، من حيث أنها كانت حصينة لا تطل من شرفيها ، وأنه يمكن أن يحميها عشرة رجال بفضل علوها ووعورة الطريق إليها ، أن امتلات بالوافدين عليها من العلماء والفقهاء والتجار الذين تسامعوا بها(٢٣) . وبفضل استقرار الأمن والطمانية ، الأمر الذى تحقق بفضل ردع الزناتية عن مضايقة أهل البادية ، انصرف هؤلاء الى الحرث والزراعة ، فعم الخير والرخاء فى المدينة . ومع مرور الوقت كانت آشير تزداد تحضرا ، فبعد أن كان أهلها يتعاملون فى الأسواق بالمقايضة ، بالبعر والبقر والشاة ، ضرب زيرى المسكة من الذهب والفضة ، كما زاد فى رواتب العسكر ، الأمر الذى أدى الى كثرة الدينار والدراهم ، وبالتالى رواج التبادل التجارى(٢٤) . ولا بأس أن يكون ذلك قد تم بموافقة الفاطميين(٢٥) ، من حيث أن سك النقود يعتبر من سمات السيادة ، فكان زيرى كان فعلا أول ملوك الصنهاجيين ، كما يقول ابن خلكان(٢٦) ، وهو ما يبرر تسمية دولة نواب الفاطميين بالقيروان والمهدية ، عند المؤرخين بالدولة الزيرية ، بدلا من الدولة البلكينية او اليوسفية .

زيرى بن حماد والصراع ضد زناتة :

وهنا لا بأس من قبول الرواية التى تقول ان صيانة منطقة الأرياف المحيطة بأشير ضد اعتداءات قبائل زناتة وعمليات الردع التى كان يقوم بها زيرى أدت الى تمكن العداوة بين صنهاجة وزناتة (النويرى ، ص ٣٠٥) . ولما كان زيرى يشعر بالاطمئنان الى سلامة مقره الجديد فى آشير ، فقد رأى ان يطبق ذلك المبدأ الحربى الذى يرى أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم ، وبناء على ذلك قرر متابعة خصومه الزناتية ، فى عملية ردع ، الى

(٢٢) النويرى ، ص ٣٠٥ .

(٢٣) النويرى ، ص ٣٠٥ .

(٢٤) النويرى ، ص ٣٠٥ .

(٢٥) انظر اسماعيل العربى ، دولة بنى حماد ، ص ٥٥ .

(٢٦) الوفيات ، زيرى ، ج ٢ ص ٣٤٣ .

عثر دارهم المغرب . وهنا تنفرد الرواية المحلية التي ينقلها النويرى عن عز الدين بن شداد سليل الأمير تميم بن المعز بتسجيل انجازات حربية ضد خلفاء الأمويين في الأندلس ، مثل موسى بن أبى العافية أو قبائل برغواطة وغمارة المعروفة بانحرافاتهما المذهبية . ومن المهم الاشارة الى أن تلك الأحداث قد تأخذ طابعا منقبيا لا يؤيده ما هو معروف لنا من أحداث تاريخ الفترة . فالى جانب عدم توثيقها بالتواريخ المناسبة فانها تتضارب أحيانا مع وقائع تلك الأحداث من حيث المضمون أيضا .

وهكذا ينسب الى زيرى انه عهد بأشير الى أخيه ماكسن ، وخرج الى المغرب نحو مدينة جراوة ، حيث موسى بن أبى العافية الذى كان يليها بعهد عبد الرحمن الناصر الأموى . وهنا تأخذ الرواية شكلا منقبيا عندما تنص ببساطة على أن الزعيم المكناسى خرج الى لقاء زيرى بهدية وعدد من الجوارى ، وأنه اعتذر عن دخوله فى طاعة الأمويين مبررا ذلك بالرغبة فى ارهاب الزناتية . كما يقدم فى نفس الوقت فروض الطاعة والتبعية للزعيم الصنهاجى مبررا ذلك بالحكمة التى تقول بخسارة الصفقة التى تنتهى بعداوة الجار القريب نظير صداقة البعيد ، حيث قال : « وسيف قريب منى أمنع من سيف بعيد » ، الأمر الذى أدى الى أن يقربه زيرى منه ويدينه (٢٧) .

التوجه الى جهاد برغواطة :

وتتأكد الصبغة المنقبية عندما يوجه موسى بن أبى العافية الزعيم الصنهاجى بصفته ممثل الخليفة الفاطمى الى جهاد زندقة قبائل غمارة ، فى بلاد الريف حيث ظهر متنبئهم المعروف بب « حاميم : ح م » . وبناء على ذلك تتحول حملة الردع ضد زناتة الى حرب جهادية ضد الخارجين على الاسلام الصحيح ، من الزنادقة ، فيوقع بغمارة ، ويقبض على متنبئهم ، ويحمله الى أشير ، حيث يفتى علماؤها بقتله - الأمر الذى لا يتفق مع ما هو معروف من أن قتل حاميم كان فى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م أثناء حروبه مع مصمودة الساحل أو مع جيوش الناصر الأموى (٢٨) .

(٢٧) النويرى ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢٨) النويرى ، ص ٣٠٦ وهـ ١٥ - عن نهاية حاميم ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٤ . وان وضع ذلك خطأ سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م - حيث ينقل القصة الزيرية لابن شداد كمقدمة لعهد بلكين .

المعونة في حرب أبي يزيد :

أما عن الحدث التالى فيتمثل فى المعونة التى قدمها زيرى بن مناد للخليفة القائم أثناء حصار أبى يزيد الزناتى النكارى للمهديّة ، سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م ، بعد عشر سنوات من بناء أشير ، وفيها معلومات تفضيلية عن تلك المعونة التى تكونت من : ألف حمل حنطة ، مع ١٠٠ فارس من صنهاجة و ٥٠٠ من عبيد زيرى من السودان . هذا ، كما تنص الرواية على أن القائم رد على ذلك بهدية بديعة من الكساء والحيل والسروج المحلاة (٢٩) .

هجوم الزناتية على أشير :

وعندما تاتى الحرب ضد زناتة تكون فى شكل عملية ردع مضادة ، موجهة الى زيرى وقاعدته أشير . فقد نزل الزناتى بقيادة : كيات بن مدينى ، وخرج اليه زيرى ، ولكن الحرب طالت سجالا ، ولم يقدر لها أن تحسم الا على يد ابن زيرى الصغير ، كباب الذى لم يكن قد تمرس بالحرب بعد . فبدون اذن من والده زيرى ، خرج كباب وتمكن من القائد الزناتى كيات فضربه بالسيف ضربة رائعة قذت الدرع والعاتق وأسقطت ذراع كيات الى الأرض وكأنه ثمرة تسقط من شجرة ، فتبعه سقوط الزعيم الزناتى الذى خر صريعا . وهكذا استحق كباب بن زيرى أن يخلد اسمه الذى أعطى لباب المدينة الذى دخل منه وخرج ، فهو « باب كباب » . أما عن الأسرى الذين وقعوا بين يدى كباب فقد أمر زيرى بضرب رقابهم وصلب رؤوس قوادهم (٣٠) . وأخيرا يأتى القضاء على ثائر بجبل أوراس ، اسمه سعيد بن يوسف ، ولكن على يدى بلكين الذى أرسله زيرى اليه ، وذلك على عهد الخليفة المنصور (٣٣٤ - ٣٤١ هـ / ٩٤٥ - ٩٥٢ م) وكان سعيد الذى التقى به بلكين فى غربى باغية ، بفحص غزالة ، قد حشد جموعا من قبائل هوارة وغيرهم ، ولكنهم لم يستطيعوا مواجهة قوات بلكين التى هزمتهم وقتلت سعيدا وجماعة من رؤساء جندهم الذين أرسلت رؤسهم الى المنصور ، الذى كافأه على ذلك بتولية تاهرت وأعمالها وكذلك باغاية .

تقييم عهد زيرى :

وتعتبر رواية ابن شداد الزيرى التى ينقلها النويرى بحذافيرها أو

(٢٩) النويرى ، ص ٣٠٦ .

(٣٠) النويرى ، ص ٣٠٧ .

يكاد ، ان هذه الانجازات الحربية الرائعة هي المقدمة الطبيعية لمقتل زيـرى
اذ انها اثار حسد القبائل ضده ، فجمعت له الجموع ، وكان مقتله سنة
٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م على أيدي منافسيه : جعفر بن علي بن الأندلس وحلفائه
الزناتية ، وعلى رأسهم محمد بن الخير بن خزر ، مما سبق ذكره (ص ٢٥٥) .
أما عن تقييم عهد زيـرى الذي استمر لمدة ٢٦ سنة فتلخصه الرواية الزيرية
في : حسن السيرة في الرعية والتجارة ، وان اعتمد سياسة الشدة على
البربر ، كما كاد اعتماده في حروبه يكون على أبنائه الفرسان الأنجاد كلهم -
حيث رزق من الأولاد ما يزيد على المائة (٣١) .

وهكذا اعتبر زيـرى وكأنه أول ملوك صنهاجة الذين حملوا اسمه ، فهم
الزيريون ، وذلك تأصيلا للملك ابنه بلكين أول نواب القاطمين في أفريقية ،
وتقنيا لاستقلالهم ، وانفرادهم بحكم البلاد .

٣٠١

السياسة الداخلية في حكومة القيروان ، من : بلكين الى المعز بن باري

(٣٦٢ - ٤٠٦ هـ / ٩٧٢ - ١٠١٥ م)

أفريقيا الزيرية نيابة فاطمية :

توزيع الاختصاصات بين الأمير والعمال ، والعلاقة مع الخلفاء بالقاهرة :

كما اقتطع الخليفة المعز من مملكته الافريقية منطقة طرابلس وما يتبعها من سرت واجدانية وكذلك صقلية وما يتبعها في قلورية (كلايريا) وجنوب إيطاليا ، بهدف الحد من نفوذ نائبه بالقيروان ، فانه رأى أيضا ألا يركز السلطات أيضا بين يدي ذلك النائب عن طريق فصل الشئون المالية والادارية في افريقية عن نظر الوالى الأمير ، حيث يتبع عمالها خليفة القاهرة بشكل مباشر . ومع أن السجلات الرسمية لا تشير الى طبيعة ذلك النظام الخاص بتوزيع السلطات ، وكذلك الأمر بالنسبة للادبيات التاريخية التى لا تعالج كموضوع خاص ، فانه يمكن الاسترشاد بالوقائع التاريخية فى محاولة لتحديد طبيعة ذلك النظام بشكل نسبى على كل حال .

الادارة المالية :

فالمعروف ان الخليفة المعز عندما استخلف بلكين واستعد للخروج الى المشرق أمر الكتاب أن يكتبوا الى العمال وولاة الأشغال بطاعته ، بصفته الأمير صاحب الكلمة العليا فى أفريقية والمغرب كله (٣٢) . وذلك من حيث اتباب الأمن والسكينة على الأقل ، وتقرير حالات الحرب والسلام مع الجيران أو الأعداء ، وذلك انه الى جانب بلكين ولى المعز أيضا : أبا نصر زيادة الله بن عبد الله ابن القديم ، من أسرة بنى القديم ، الذين خدموا فى ديوان الخراج الأغلبى ثم الفاطمى على أيام المهدي (انظر فيما سبق ، ص ٦٥ ، ص ٢٢١) نظر الدواوين بسائر الكور ، بمعنى الشئون الادارية بعامة والمالية منها بصفة خاصة . وفى ذلك تقول الرواية ان المعز قال ليوסף (بلكين) عند وداعه : انى تركت زيادة الله بن القديم عوننا لك على جميع الأموال بافريقية ، فكان المقصود

بالدواوين هي الادارة المالية على وجه الخصوص (٣٣) . ولا شك ان المعز استوحى هذا النظام من تراتيب الفتوح الاسلامية الاولى على عهد عمر - أصل النظم الاسلامية - حيث روى الفصل بين أمور الادارة والحرب وبين شئون المال ، فجعلت الاولى للأمير والثانية للعامل ، وذلك قبل فصل السلطنة القضائية عن الوالى (الأمير) والعهد بها الى القاضى الذى اختص بها . وهذا ما حدث فى أفريقية فعلا ، تطبيقا لمبدأ فصل السلطات الذى عرف فى البلاد المفتوحة على عهد عمر . والذى مارسه الخلافة فى العهدين الأموى والعباسي . والذى طبقته الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، فى نظمها المعروفة (٣٤) .

ولما كان من الواضح أن تعليمات المعز هذه كانت عامة غير محددة ، بل ان كثيرا منها كان يتم شفويا ، ربما بقصد الحد من سلطات جميع الأطراف المعنية ، وليس الأمير الصنهاجى وحده ، فانها كانت فضفاضة تسمح للوالى الأمير بتجاوز حدود اختصاصاته السياسية الى شئون الادارة والمال . فهذا ما يفهم من النصوص التى تشير الى انه عندما عاد يوسف بلكين من وداع المعز فى ١١ ربيع سنة ٣٦٢ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٧٢ ، أقام بالمنصورية يعقد الولايات للعمال على البلاد ، كما سار فى البلاد يباشر الأعمال . ويطيب قلوب الناس (٣٥) . فكان بلكين كان يرى ان تراتيب المعز الادارية والمالية تشكل عائقا يمنعه من ممارسته لسلطاته السياسية . هذا ، كما ان تلك

(٣٣) أنظر النويرى ، ص ٣١١ .

(٣٤) أنظر اتماط الخلفاء للمقرئى ، ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩ - حيث تعيين أبى العباس أحمد بن العوام قاضيا للقضاء وأعطاه سجلا باختصاصاته ، وهى القضاء والضلة والخطابة بحضرته والحكم فيما وراء القاهرة المزينة ومصر وأعمالها ، والاسكندرية والمغرب وصقلية مع الاشراف على دور الضرب بهذه الأعمال . هذا ، وان ورد نص آخر فى اتماط الخلفاء (ج ١ ص ٢٤٧) يقرر أن الخليفة العزيز جعل ولاية القضاء الى نائبه بالقيروان منذ أيام بلكين الذى كتب اليه يشاوره فيما يولى القضاء ، فكتب اليه « قد رددت الأمر اليك ، فول من شئت » .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ ، وقارن ابن خلكان (بلكين) ج ١ ص ٢٨٦ - حيث النص على انه عندما استخلف المعز يوسف بلكين يوم ٢٣ ذى الحجة سنة ٣٦١ هـ / ٦ أكتوبر ٩٧٢ م وأمر الناس السمع والطاعة له ، خرجت العمال وجباة الأموال بأسمه ، وقارن النويرى ، ص ٣١١ - حيث النص على انه عندما عاد بلكين من وداع المعز الى المنصورية فى ١١ ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ ، ونزل بقصر السلطان ، وأخرج العمال وجباة الأموال الى سائر البلدان ، فكانه مارس السلطتين ، الادارة المالية ، والادارة السياسية .

التراتب الهلامية (غير الحدية) كانت تسمح للتقنيين من عمال الدواوين الادارية والمالية بممارسة انواع من النشاط السياسى الذى يعتبر من اختصاص الوالى الأمير .

الصراع مع عامل الخلافة ، رئيس الادارة المالية : ابن القديم :

كان من بين من عينهم بلكين من عمال المدن (أو ولايتها) فى ربيع الأول سنة ٣٦٢هـ / ديسمبر ٩٧٢م عامل المنصورية (صبرة) والقيروان : جعفر بن تمرث الذى استقر فى العاصمة بحاميته الكبيرة المكونة من الفرسان (٣٦) ، الى جانب ابن القديم رئيس الادارة المالية التابع للخلافة مباشرة فى القاهرة . والظاهر انه رغم فصل السلطات ، كان هناك تعاون حتى بين العامل قائد الحامية بالقيروان (ابن تمرث) وبين العامل مدير الادارة المالية (ابن القديم) ، وذلك ان جباية الأموال كثيرا ما كانت تتطلب قوة جبرية ، كما كانت صيانة الأموال فى بيت المال تتطلب ، سواء كانت فى القصر أو فى مكانه الخاص ، نوعا من الحراسة المسلحة . وهكذا فعندما توفى والى القيروان وصبرة (المنصورية) جعفر بن تمرث ، كتب ابن القديم بذلك الى بلكين ، يطلب منه أن يرسل اليه بدلا منه ليعاونه على أمور البلد (٣٧) . وهنا وقع اختيار بلكين لشغل المنصب السياسى العسكرى ، على تقنى

متخصص فى الشؤون الادارية والمالية - مثل ابن القديم - هو عبد الله بن محمد الكاتب ، الأغلبى أصلا ، والذى شب فى اقليم نفزاوة ، فنشأ عالما بالعربية والبربرية ، والذى سبقت له الخدمة ، كاتباً (أى وزيراً) لدى كل من بلكين ووالده زيرى ، من قبل . والرواية تنص على ان عبد الله الكاتب قبل المنصب بعد تمنع شديد ، تحت التهديد والوعيد . ولا بأس أن يكون ذلك صحيحا على أساس أن الرجل ما كان يود أن يزاحم زميلا له ، وهو فى منصب ليس فى تخصصه ، الا اذا كانت الرواية تقصد المداواة على تدبير خطط له مسبقا لحلح ابن القديم تابع الخلافة فى القاهرة (٣٨) . وهنا تصر

(٣٦) النويرى ، ص ٣١٢ .

(٣٧) النويرى ، ص ٣١٢ .

(٣٨) النويرى ، ص ٣١٢ - حيث النص على استعفاء عبد الله الكاتب من قبول المنصب

كعامل للقيروان وصبرة مرة بعد أخرى ، وانه لم يقبل الا مرغما تحت تهديد بلكين ورجال الاسرة الزيرية له بالقتل . وأنظر انصاف الحنقا ، ج ١ ص ٢٣٣ - حيث النص على ان ابن القديم الذى يكتب اسمه فى الشكل « ابن الأديم » (ربما حسب النطق الدارج) بدلا من ابن القديم ، هو صاحب خراج المعز بالمغرب .

الرواية على ان ابن القديم استقبل زميله عيد الله الكاتب خارج القيروان ،
وان الرجلين أعربا عن الاحترام المتبادل اذ ترجل كل منهما . ورغم ما تقوله
الرواية من أن لملتتهما صارت واحدة ، فقد كان من الطبيعي أن ينتهي الامر
بالخلاف الذي يوصف في الرواية الزيرية المحلية التي ينقلها النويري « بالفتنة
العظيمة » (ص ٣١٣) . بمعنى الحرب الأهلية الشديدة ، وهو ما يوضحه
ابن الأثير الذي يقول انه كان لكل من الرجلين طائفة من الأعوان انتظموا في
شبه تشكيل عسكري ، ودخلوا في حروب ، عدة دفعات (الكامل ج ٨ ،
ص ٦٢٢) ، وانتهت تلك الحروب بغلبة عيد الله الكاتب تابع الأمير ، في
ربيع الأول سنة ٣٦٤ هـ / نوفمبر ٩٧٤ م ، وبها انتهى ابن القديم ، تابع
الخليفة نهاية تسمية في السجن ، اذ مات معتقلا في حبس بلكين في ١١ جمادى
الأولى سنة ٣٦٦ هـ / ٦ يناير ٩٧٧ م بعد حوالي سنتين من استغلال عيد الله
الكاتب وحده بالأمور ، من : سياسية عسكرية وإدارية مالية فكانه الوزير
نائب الأمير بالتفويض (٣٩) . ورغم ما تقوله رواية المقرئ من غضب الخليفة
المعز عندما بلغه نبأ قبض يوسف بن زيري خليفته على المغرب ، على
« ابن القديم » صاحب خراجه بالمغرب ، وتهديد يوسف بالعودة الى المغرب
لاستئصال آل مناد ، بل صنهاجة ، ورغم ما يقول اسماعيل بن اسباط ،
رسول المغرب ، من ارتعاد بلكين وانتفاخه ، وامتناله لأمر رد ابن القديم الى
النظر في الحراج ، بعد قراءة السجل سرا مع كاتبه وترجمانه ، وقوله :
« نفعل والله » ، بل وكتابته برد « ابن الأديم » الى نظره ، فقد كان كل ذلك
مدارة لا طائل وراءها (٤٠) .

اصداء التخلص من ابن القديم : محاولة إثارة كتمانة انصار الخلافة :

كان من الطبيعي ألا يمر التخلص من ابن القديم ، عامل الخلافة للمشئون

(٣٩) أنظر النويري ، ص ٣١٣ ، وابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ - حيث النص : الى ان
يوسف بلكين كان مائلا مع عيد الله لصحية قديمة بينهما - الأمر الذي يمكن أن يفهم منه ان
عيد الله الكاتب شغل المنصب باسم الخلافة الفاطمية - وان كانت في فترة تالية . وقارن
ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٠ حيث وفاة ابن القديم في سجن عيد الله الكاتب .

(٤٠) انظر الحفا ، ج ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ . ويؤيد تشبث بلكين بعزل عامل الخلافة ،
منافسه ، ما يقوله ابن اسباط بعد ذلك من سرور بلكين بئيا وفاة المعز اذ ضرب فرسه
وحركه فاقامه وأقعدته ، وهو يهز رمحه ويصيح : أبلكين ! أبلكين ! (اسم أمه) أزيرو !
أمناد ، وقوله للسفير سرا ، « بعدت مصر من المغرب » ، وقد صار المغرب والله في أيدينا الى
دمر طويل » .

المالية ، دون أن تكون له أصداء مزعجة بالنسبة ليوسف بلكين . ففي سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٤م التي قبض فيها على ابن القديم رهن الاعتقال ، قامت حركة مناهضة لحصمه عبد الله الكاتب على يد واحد من أنصار ابن القديم . وبالتالي من أنصار الخلافة الفاطمية ، من حيث أن حركته تطورت بعد ذلك إلى ثورة غارمة في بلاد كتامة ، أنصار الفاطميين وأصحاب دولتهم .

بوذة خلف بن خير :

بدأت الحركة في أرض بنى هراش ، حيث اعتصم واحد من أفراد القبيلة هو : خلف بن خير الذي كان مساعدا لابن القديم (٤١) ، بقلعة منيعة هناك ، والتف حوله عدد كبير من سائر قبائل اليربر ، كما خرج إليه كل من خالف مع ابن القديم (٤٢) ، وذلك على التخوم الأفريقية لبلاد الزاب أو لجبل أوراس على ما نظن ، استنادا إلى أن القلعة الثائرة كانت في مجال ولاية عبد الله الكاتب بصفتة وإلى القيروان ، حيث أرسل إلى بلكين يخبره أن أفريقية استوت كلها ولا خوف إلا ممن اجتمعوا مع ابن خير في تلك القلعة . وهنا سار يوسف بلكين إلى المنطقة ولم يستغرق استيلاؤه على القلعة أكثر من ٤ أيام أنهاها بالانتقام من الثوار جزافيا بالأسراف في القتل حتى جمع ٧ (سبعة) آلاف من رؤوسهم ، بعث بها لتشهر في القيروان قبل أن يرسلها إلى مصر (٤٣) ، ليس للتشهير فقط ، بل للانداز أيضا ، كما نظن . هذا ، كما طبقت عقوبة النفي على كثير ممن نجوا من المذبحة ، كما أخذت كل أمتعتهم كغنيمة (٤٤) .

وإزاء هذه الأعمال الانتقامية التي تعبر عن المرارة والحقد بالنسبة للمتعاطفين مع عمال الخلافة ، رأى خلف بن خير الذي نجح في الإفلات من «القلعة» أن يتجه إلى بلاد كتامة (٤٥) على أمل أن يتم الكشف عن حقيقة الصراع كمواجهة صريحة بين الخلافة الفاطمية ونائبها الزيري في أفريقية . ولكنه يمجرد أن وجه بلكين التحذير الشديد ببراءة الذمة ممن يأوى الشائر أو ينصره تحفظ الكتاميون على خلف مع ابنه وخمسة من بنى عمه ، وأتوا بهم

(٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ .

(٤٢) النويري ، ص ٣١٣ .

(٤٣) النويري ، ص ٣١٣ .

(٤٤) أنظر النويري ، ص ٣١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ - حيث الإشارة

(٤٥) النويري ، ص ٣١٣ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ .

إلى هرب خلف فقط من القلعة .

الى بلكين فكافأهم على ذلك ثم انه يعث بخلف وقرابته الى عبد الله الكاتب
الذى شهر بهم وصلبهم أحياء قبل أن يضرب رقابهم ، ويبيعت برؤسهم الى
مصر (٤٦) . علامة انذار مبطن وتحذير على ما نظن .

وهناك تفصيلات تدل على ضخامة تلك الحركة المناهضة للامير الزيرى
الاول باسم الخلافة وتعبر في نفس الوقت عن عجز قيادتها الممثلة في خلف
ابن خير وقدراته . ومن ذلك انه كان يوجد تحت امرة خلف الآلاف من العبيد
المنتظمين في تشكيل حرس محارب ، وقعوا كثرة ناضجة بين يدي بلكين .
ولشدة إعجابه بهم اختار منهم ٤ آلاف « شح بقتلهم » ، وأراد أن يجعلهم
ضمن عبيده . ولكنه تخلص منهم جميعا في ساعة واحدة ، عندما بدرت
الحياة من واحد منهم . ولكي يقضى بلكين على جرائم الثورة في مهلهما ، رأى
أن يندب أهل باغاية التي كانت ثائرة منذ ٣٦٢ هـ / ٧٢٠ - ٩٧٣ م (ابن الأثير
ج ٨ ص ٦٢٢) . انذارا نهائيا ، بصفتها موطن كتامة . بالامتنياز ، فأرسل اليهم
وفدا من عشرة رجال من أهل القيروان يحذرونهم من مغبة الثورة ، ويطلبون
منهم تسليم قلعته والاقوا مثل مصير قلعة خلف ، فنزلوا على حكمهم .
وخرجوا من المدينة التي أخرج بلكين أسوارها وتركها مفتوحة .
كضواحيها (٤٧) .

تحسين العلاقة مع الخلافة :

واستعادة ولاية طرابلس وضمها الى افريقية :

وهكذا قضى يوسف بلكين يعنف وقسوة على بوادر أول حركة عصيان
يشتم قننها مشاركة عمال الخلافة في القيروان أو أنصارها في كتامة ، لكي يعود
الى افريقية حيث أتاه تبا وفاة الخليفة المعز لدين الله (في ١١ ربيع الثاني
٣٦٥ هـ / ١٨ ديسمبر ٩٧٥ م) ، وخلافة ابنه نزار العزيز بالله . الأمر الذي
اعتبره نهاية للتبعية لمصر ، وبداية لاستقلاله بالمغرب (٤٨) .

ومن الواضح ان بلكين كان قد ازداد قوة بما حققه من نجاحات ضد

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٣ ، التويرى ، ص ٣١٣ .

(٤٧) التويرى ، ص ٣١٤ - حيث ضرب العبد ابن عم بلكين ظبا منه أنه بلكين نفسه .

فقتله .

(٤٨) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٤ وهه .

خصومه ، سواء في أفريقية أو في كتامة ، كما ازداد ثقة بالنفس ، وكفاية في معالجة الأمور . فهو يحافظ على علاقات الود مع الخلافة بالقاهرة ، وهو يتجرد أن يأتيه نبأ ولاية العزيز في القاهرة يسارع في جمادى الثاني سنة ٣٦٥هـ / فبراير ٩٧٦م بإرسال هدية - مع تجديد البيعة من غير شك - ويخرج من رقادة ليشيعها (٤٩) . وإذا كانت الخلافة لم تثر مسألة عزل ابن القديم ، عامل المعز على الحراج ، فالظاهر أنها كانت قد قبلت الأمر الواقع ، من ولاية عبد الله بن محمد الكاتب كخلف له في القيروان ، بمعنى عامل أفريقية وكاتب للأمير أو وزير . والقريضة على ذلك هو ما قام به عبد الله بن محمد في نفس السنة ٣٦٥هـ / ٧٥ - ٩٧٦م ، عندما صدرت إليه الأوامر من بلكين ، باقامة الأسطول بالمهدية وحشد رجاله من النوتية والبحريين ، وإن كان الأمر انتهى بفشل تلك التعبئة البحرية التي كرهها الناس عند اضطراب الرجال فهربوا من المراكب بعد أن نهبوها (أنظر فيما بعد ص ٣٢٨) . ودليل آخر هو ما قام به عبد الله الكاتب ، من جمع تبرعات اجبارية من أعيان البلاد وأعلامها من الفقهاء والعلماء ، بلغ مقدارها ٤٠٠ ألف دينار ، أرسلها الى ديوان الخلافة بالقاهرة (٥٠) ، بهدف اكتساب رضا المسئولين هناك عنه ، واضفاء الشرعية على منصبه كعامل لأفريقية ، تابع للخلافة ، وهو ما تدل الأحداث التالية على أنه حصل عليها فعلا . ففي السنة التالية ، ٣٦٧هـ / ٩٧٧م كان يوسف بلكين يستطيع أن يكتب الى الخليفة العزيز يسأله أن يضم الى عمله «أفريقية» ولاية طرابلس الشرقية وما ينضاف إليها من أعمال سرت واجداية ، وهو ما استجاب له ديوان القاهرة (٥١) .

اخوة بلكين يلجأون الى القاهرة :

ورغم ما تضيفه الرواية التي يقدمها ابن الأثير من أن يوسف بلكين استخدم عماله هناك ، وعظم أمره حينئذ ، وأمن من ناحية العزيز ، واستبد بالملك (٥٢) ، فإن تحسن العلاقات مع القاهرة كان يسمح لبعض اخوة بلكين

(٤٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(٥٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٣٣٠ .

(٥١) اللويري ، ص ٣١٤ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٦ - حيث النص على رحيل والي المعز عليها وهو عبد الله بن يخلق الكتامي ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ - حيث تجعل الرواية ذلك ضمن أحداث سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٦م مع ولاية العزيز للخلافة وقرار يوسف بلكين على ولاية أفريقية كأنها منحة من الخلافة دون أن يسألها بلكين .

(٥٢) الكامل ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

مثل : كباب ومغنين ، ابنا زيرى من الهرب سنة ٣٦٩هـ / ٧٩ - ٩٨٠م من قصر بلكين حيث كانا محبوسين ، والالتجاء الى القاهرة مستجيرين بالخليفة ، فيكرمهما العزيز ويستضيفهما الى السنة التالية لكى يصرفهما الى بلكين مع أمره بالعفو عنهما فلا يكون أمامه الا السمع والطاعة(٥٣) .

عبد الله الكاتب يؤلف حرسا من العبيد السود :

هذا ، ولو انه عندما وصلت رسالة من ديوان الخلافة بالقاهرة فى سنة ٣٧١هـ / ٨١ - ٩٨٢م ، وقتما كان يحارب الزناتية فى المغرب ، تطلب من يوسف بلكين أن « يتخير ألف فارس من اخوته الأبطال بصنهاجة ، منهم : حبوس وماكسن وزاوى وحمامة » ، بنو زيرى ويرسلهم الى القاهرة . رد بلكين مستعفيا من ذلك بسبب « تغلب بنى أمية على الغرب ، وان الدعاء لهم على المنابر ، وانه يحاربهم بهم مع التهديد المبطن بـ « ترك الغرب والمسير معهم الى الخليفة »(٥٤) . كما كانت العلاقة بين الخليفة ونائبه فى القيروان تسمح ، بعد لعبد الله الكاتب أن يظهر ، خلال خمس سنوات من تكوين حرسه السودانى الكبير ، أى فى سنة ٣٧٣هـ / ٨٣ - ٩٨٤م ، وهى السنة التى توفى فيها أبو الفتوح يوسف بلكين وكأنه أمير متوج . فلقد أحاط نفسه بأعداد ضخمة من العبيد السودان الذين اشتراهم مباشرة من أسواق النخاسة أو الذين فرضهم على من كان تحت امرته من الموظفين فى عمالة الخراج وغيرهم ، حيث فرض على كل واحد منهم أن يقدموا له ما بين عبد واحد وثلاثين عبدا ، كحد أقصى حتى اجتمع له الألوف منهم(٥٥) .

عبد الله الكاتب مركز قوة يخشى أمره فى القيروان :

وهكذا بينما كان بلكين يقضى وقته فى حرب الثوار فى المغرب الأقصى ، ومجاهدة الزنادقة كان عبد الله الكاتب يمارس ترف الانتقال من القيروان الى المهدية ، مركزه الصيفى حسب عادته كل عام ، مستخلفا مساعديه : جعفر بن حبيب على المنصورية وبرهون على القيروان ، بينما كان المنصور ولى عهد بلكين ، يتلقى فى أشير نبأ وفاة والده ، الذى أودى به مرض

(٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ . وقارن اتعاظ الخنفا ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٨ . وأنظر فيما يأتى ، ص ٣٤٥ .

(٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ .

القولنج (القولون) ، وهو فى طريق العودة من سجلماسة ، بعد أن أكد سلطانة فى المغرب الأقصى ، وذلك فى موضع واركلان (وارجلان) من صحراء المغرب الأوسط ، يوم الأحد ٢٣ ذى الحجة ٣٧٣ هـ / ٢٦ مايو ٩٨٤م (٥٦) .

وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يكون أول رد فعل لذلك عند المنصور بن بلكين هو التفكير فى القبض على عبد الله الكاتب ، أثناء وجوده بالمهدية - تخلصا من عبء موالاته . ووقعت المهمة على عاتق أخيه يطوفت الذى خرج من أشير مسرعا نحو القيروان حيث فاجأ نائبى عبد الله ، وجعفر ابن حبيب وبرهون ، قبل فجر الثلاثاء ١٥ محرم ٣٧٤ هـ / ٩٨٥م ، وكان أول ما فعله يطوفت هو التأكد من سلامة بيت المال الذى كان مقفلا ، وسلامة ما كان فيه من الخزائن المغلقة ، ثم انه أخذ المفاتيح وفرق على أصحابه من المال والسلاح ، وخرج بهم لينتفض على عبد الله وهو فى طريقه من المهدية نحو القيروان ، ونهب متاعه ، واعتقاله بالمنصورية . والظاهر ان المنصور تنبه الى انه لم يكن من حسن السياسة التعجيل بالتخلص من رجل الخلافة ، والى افريقية ، فتراجع عن تنفيذ مخططه ، وأمر بإطلاق سراح الكاتب الوزير ، مع إيقافه عن العمل لبعض الوقت ، قبل أن يعيد اليه كل صلاحياته ، مع الاعتذار له باستنكار ما فعله أخوه به (٥٧) . ولكنه عندما أتى وفد افريقية من مشايخ القيروان والقضاة وكبار جباة الخراج ، وعلى رأسهم عبد الله الكاتب ، ممثل الخلافة ، من أجل أداء واجب العزاء ، رأى المنصور بعد أن أحسن استقبالهم ، وأمر عبد الله الكاتب باعطائهم ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، أن يعبر لهم أو لعبد الله خاصة ، عن حقيقة تقديره لطبيعة حكم الزيريين فى افريقية وتقييمه لطبيعة العلاقة بين القاهرة والمنصورية . ففى خطابه التوديعي لهم قال : « ان أبى وجدى أخذنا الناس بالسيف قهرا ، وأنا لا أخذ الا بالاحسان ، وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، لأنى ورثته عن آبائى وأجدادى ، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير » ، أو كلاما

(٥٦) النويرى ، ص ٣١٤ - حيث النص على أنه ربما عانى أيضا من حبة (أو بشرى) خرجت فى يده ومات منها ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .
حيث النص على انه توفى فى موضع « واركنفو » يوم الأحد ٢١ ذى الحجة وليس ٢٣ ذى الحجة .

(٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

هذا معناه (٥٨) . وإذا كان نص ابن الأثير لا يشير إلى وراثة الزيريين للملكهم عن طريق الحميريين ، ملوك العرب القدماء ، فإنه يعقب على النص قائلا : « يعني أن الخليفة بمصر لا يقدر على عزله بكتاب » ، بقصد التقليل بالتالي من شأن سجل العهد بالولاية الذي كان يأتي من القاهرة (٥٩) .

المنصور يصحب عبد الله الكاتب إلى أشير :

والظاهر أن المنصور قرن القول بالعمل ، وإن فضل سياسة الخطوة خطوة ، كما يقال ، في سبيل تحقيق ما كان يراه من حقه في الاستقلال . فلقد ترك أشير وذهب إلى رقادة التي وصلها يوم الاثنين ١٩ رجب سنة ٣٧٤ هـ / ١٧ ديسمبر ٩٨٤ م ، لكي يقيم هناك لمدة أكثر من ٥ (خمسة) أشهر إلى ٢٧ ذي الحجة / ٢٢ مايو ٩٨٤ م ، وهو يصطحب معه إلى أشير عبد الله الكاتب الذي استخلف ابنه يوسف على القيروان . وعند قدوم المنصور خرج عبد الله الكاتب مع وجوه أهل العاصمة لاستقباله ، فوعدهم خيرا . وخلال إقامته أتاه عمال البلاد بالهدايا مما تصفه الرواية « بما لا يحيط به الوصف » ، الأمر الذي دعا المنصور إلى التفكير بدوره في تقديم هدية جلييلة إلى الخليفة بالقاهرة ، بلغت قيمتها حسبما تبالغ الرواية من غير شك مليون دينار (٦٠) .

ومن الواضح أن استصحاب المنصور لعبد الله الكاتب معه إلى أشير يعني حرمانه من ذلك الاستقلال الذي كانت تهيئه له فرصة وجوده في القيروان كممثل شرعي للخلافة بالقاهرة . مع إمكانية السيطرة على ابنه يوسف نائبه في القيروان ، بعد أن يجد نفسه مجردا من سنده ، جواز والده .

(٥٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٠ ، وقارن النويري ، ص ٣١٧ - حيث بعض الاختلاف الشكل في الرواية ذات الأصل الواحد .

(٥٩) الكامل ، ج ٩ ص ٣٤ .

(٦٠) النويري ، ص ٣١٧ - ٣١٨ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٠ - حيث النص على أن الهدية سارت مع زروال بن نصر إلى مصر ، وأن قيمة ما فيها من الامتعة والدواب والطرف ألف ألف دينار عينا .

يوسف بن عبد الله يساعد الداعي أبا الفهم :

هذا ، ولو أن يوسف بن عبد الله الكاتب كان يستطيع في سنة ٣٧٦هـ / ٨٦ - ٩٨٧م أن يقدم ، بموافقة والده ، خدماته المزدوجة لكل من الخليفة بالقاهرة ، والأمير المنصور بأشهر ، رغم ما في ذلك من التناقض . فهو يساعد الداعي أبا الفهم حسن بن نصر الحراساني الذي وفد من القاهرة ، على الذهاب الى كتامة بهدف إثارة قبائلهم ، في محاولة من الخليفة العزيز بالله لاسترجاع افريقية من المنصور ، حسبما تقول رواية ابن الأثير (٦١) ، عن طريق امداده بالخيول والمال . ونجح أبو الفهم فعلا في إثارة كتامة الذين اجتمعوا اليه لحساب الخلافة ، ومكنوه من جمع العساكر واتخاذ البنود بل وضرب السكة ، أحد شعارات السيادة ، حتى صار خطرا على دولة المنصور (٦٢) ، الامر الذي سيحدثه الأمير الزيري لوزيره الكاتب عامل الخلافة .

حدث هذا بينما كان يوسف في نفس الوقت يلبي مطالب المنصور من حيث البدء (في سنة ٣٧٦هـ) في بناء قصره الكبير الذي كان قد طلب بنيه سنة ٣٧٥هـ / ٨٥ - ٩٨٦م وذلك بالمنصورية وينفق عليه من مال الخراج ١٠٠ ألف دينار (٦٣) . ولم يستغرق البناء طويلا اذ نزل المنصور قصره الجديد هذا ، عندما أتى من أشير الى افريقية في ١٥ محرم سنة ٣٧٧هـ / ١٨ مائة ٩٨٧م التالية - بينما نزل عبد الله الكاتب وكبار القواد حوله ، في بعض المباني ، وربما في الخيام والسراقات أيضا .

عبد الله الكاتب داعيا للدعاة :

واذا كانت النصوص لا تشير الى موقف الخلافة من زحزحة عامل افريقية التابع لها من مقره بالقيروان ، واتخاذها كاتبا للأمير بأشهر ، فانه مما يلفت النظر أن تصل الى المنصورية في ذلك الوقت ، كتب الخلافة تخبر المنصور بترقية عبد الله الكاتب الى مرتبة الداعي ، مع الأمر باتخاذ الاجراءات المناسبة لتنفيذ القرار . ويتضح من النص أن مرتبة الداعي كانت موقعا ساميا في

(٦١) الكامل ، ج ٩ ص ٥٥٢ ، أحداث سنة ٣٧٧ .

(٦٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ .

(٦٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ ، وقارن النويري ، ص ٣١٨ - حيث يتضاعف المبلغ

بكثير من المبالغة الى ٨٠٠ ألف دينار .

سلم الوظائف الخلافية ، وبالتالي في المملكة الزييرية ، بفضل صبغته الدينيه التي يدخل في اختصاصها أخذ البيعة للخليفة من الأمير وأفراد أسرته ، وهو ما حدث في الموضع المعروف بـ « قصر الحجر » من قصر السلطان والذي فرش خصيصا للمناسبة بأمر المنصور ، في يوم الاثنين ٧ من جمادى الآخر / ٥ أكتوبر ٩٨٧م (٦٤) .

وتقول الرواية انه لما تم لعبد الله أخذ تلك البيعة ظهرت عليه بوادر الهدوء والراحة ، اذ مسح على رأسه ، وقال : « الآن قد خلصت من القتل ، وأمنت على شعري وبشري » . وان كان النويرى يعلق على ذلك قائلا : « وما علم ان ذلك سبب هلاكه » (٦٥) . ولا بأس أن يكون في ذلك اشارة أيضا الى مصير الداعي الآخر : « أبى الفهم الخرساني » الذي كان يشير كتامة وقتئذ بتدبير من يوسف بن عبد الله الكاتب ، وبموافقة والده عبد الله في السنة السابقة ٣٧٦هـ / ٨٦ - ٩٨٧م ، مما سبقت اليه الاشارة (ص ٣١١) .

التخلص من اسكاتب داعي الدعاة :

والمهم ان عبد الله الكاتب ، بوصوله الى منصب الداعي ، بلغ م ٨٨ يبلغه قرابة المنصور ورجال دولته . فلقد بلغت به الأنفة والاعتزاز بالنفس الى حد انه لا يدارى أحدا من أبناء زييرى ، عمومة الأمير ، الأمر الذى انار عليه الأحقاد حتى من أقاربه المقربين له ، مثل : ابن خاله حسن الذى قدح فيه ، واتهمه بمكاتبة وزير الخلافة « ابن كلس » وانه السبب فى خروج الداعي أبى الفهم واثارته لكتامة ، فى محاولة للغدر بالمنصور . وبصرف النظر عن صحة الاتهام أو اصطناعه ، فقد كان من الطبيعى أن يخشى الأمير مزاحمة رجل الدولة الكبير ، صاحب الصلة القوية بالقاهرة ، من حيث كان يجمع ما بين عمالة أفريقية ، وهى الوظيفة الخلافية ورئاسة الكتابة وديوان الخاتم بمعنى وزارة الأمير الزييرى ، فطلب منه أن يعتزل عمل أفريقية ، وهو ما رفضه رجل الدولة العتيد ، معلنا لصاحبه : « القتلة ولا العزلة » . فكان عبد الله الكاتب قرر مصيره التعس بنفسه ، حيث مات قتيلا بطعنات الرماح من قبل الأمير المنصور وأخيه عبد الله وهو واقف يغطى وجهه بأكمامه ، ويقول : « على ملة الله ورسوله » ، كما لقي ابنه يوسف نفس

(٦٤) النويرى ، ص ٣١٩ .

(٦٥) النويرى ، ص ٣١٩ .

المصير صائحا مذعورا ، على يد المنصور وعمه ماكسن بن زيرى ، وذلك يوم
الأحد ١١ رجب سنة ٣٧٧هـ / ٨ نوفمبر ٩٨٧م .

وحفظت القضية التى أصبحت غير ذات موضوع ، عندها جىء بقاضى
القيروان والشيوخ وأعلموا ان المسألة لا تتعلق بخيانة فى المال أو مساس
بالشرف ، بل قضية من قضايا السيادة والسياسة ، حيث خشى الأمير على
نفسه فتخلص من غريمه - وهو التبرير المقبول - فدعوا له بطول العمر
وانصرفوا . وبذلك انتهت قصة رجل الدولة الذى ارتفع عاليا لكى يسقط
من حالق ، ودفن هو وابنه يوسف بغير غسل ولا كفن ، مثل الشهداء
أو كبار المجرمين ، لا ندرى (٦٦) .

ردود الفعل لمقتل الداعى الكبير :

الحرس الأميرى ينهب الضواحي :

ومن الأمور المستغربة انه عقب مقتل الوزير الكاتب ، مركز القوة
الكبير وابنه يوسف ، دار العسكر على الناس فى القيروان ينهبونهم
ويسلبونهم ، كما خرجوا الى الضواحي فى وادى القصارين وباب تونس حيث
نهبوا ما كان هناك من أثواب القماش والنسيج ، مثلما عرجوا على الطرقات
يقطعونها ويأخذون أموال المسافرين وأمتعتهم ، الأمر الذى راح ضحيته كثير
ممن حاول الدفاع عن نفسه أو عن أمواله (٦٧) . فكان المسألة كانت من جانب

(٦٦) انظر النويرى ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ - حيث تأخذ المسألة شكل القدريّة أو الحتمية
التاريخية ، عندما ينسب الى عبد الله الكاتب أنه كان يتمثل يوم مقتله ببيت الشعر الذى
يتول :

ومن يأمن الدنيا مثل قابض على الماء خائنه فروج الأصابع
وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ - حيث نفس الرواية وان اختلفت بعض تفصيلاتها
مع تكرار تداولها بين الرواة والكتاب ، فبدلا من بيت الشعر الذى تمثل به عند النويرى
والذى يدعو الى عدم الثقة فى الدنيا كان عبد الله عندما تنكر له المنصور يتمثل ببيت
شعر يشير الى خطورة الحساد الهدامين ، مهما قل عددهم ، بالنسبة للبنايين العاملين مهما
كثروا ، وفيه :

أرى ألف بان لا يقوم لهادم فكيف بيان حوله ألف هادم
كما كان عبد الله الكاتب ينتظر فى ديوانه ويديه جزء من القرآن يقرأ فيه ، وانظر
ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥١ - حيث الإشارة السريعة الى مقتل عبد الله الكاتب دون استطرادات
قصصية مثيرة .

(٦٧) النويرى ، ص ٢٤٣ .

الدولة عملية ارحاب رسمية لأهل القيروان ، حتى يقبلوا بالأمر الواقع . وبعد عبد الله ولى أعمال أفريقية ، من قبل أبى الفتح المنصور ، يوسف بن أبى محمد الذى كان عاملا لمدينة قفصة ، فخرج لتقلد منصبه وهو يرتدى خلع المنصور ، وتتقدمه النيود والطبول ، وذلك فى يوم الخميس ٢٥ شعبان ٣٧٧هـ / ٢١ ديسمبر ٩٨٧م وكان مقره دار القائد جوهر (٦٨) .

توتر العلاقة مع الخلافة وانتفاضة كتامة مع أبى الفهم :

ولا شك أن اقدام المنصور بن بلكين على قتل عبد الله الكاتب كان يعنى تآزم العلاقات بين القاهرة والقيروان ، بسبب ما أثاره الداعى أبو الفهم من الاضطراب فى بلد كتامة ، بصفته داعيا من قبل العزيز بالله ، وهو ما اعتبر المنصور خطرا يهدد كيانه بشكل مباشر ، وهو ما أعلنه قاضى القيروان والمشايخ عندما أقروا تصرفه . واطاهر أن المنصور أراد أن يسوى المسألة عن طريق اجراء ما تتخذه الخلافة الفاطمية بالقاهرة ، فأرسل الى العزيز بالله يعرفه بخطورة الداعى ، ولكن العزيز رد عليه بارسال مبعوثين ينهيانه عن التعرض لأبى الفهم وكتامة ، الأمر الذى أثار الأمير المنصور ، الى حد أنه لم يكتف بأن يغلظ للرجلين ، بل وللعزيز أيضا (ما بعد ص ٣٣٢) .

وبعد أن أقام السفيران لديه طوال شهرى شعبان ورمضان فى سنة ٣٧٧هـ / ديسمبر ويناير منعهما من المسير الى كتامة ، وذلك أنه كان قد قرر أن يعالج مسألة الداعى بنفسه ، وأن يلحق أهل الخلافة درساً يمكن أن يكون حاسماً بالنسبة لتحديد العلاقات بين الطرفين . فلقد حشد المنصور عساكره ، وخرج بهم متاقلا نحو كتامة ، مصطحبا معه سفيري القاهرة اللذين كانا مزودين بتعليمات من الخلافة لزيارة أبى الفهم . فلم يدخل بلد كتامة الا وقد دخلت سنة ٣٧٨هـ / ابريل ٩٨٨م . وعلى طول الطريق من ميلة الى سطيف ، انطلق رجال المنصور يخربون « القصور والمنازل » حتى استسلمت كتامة ، وسلمت أبا الفهم الذى عذب قبل أن يقتل ويمثل به بطريقة همجية قصد بها ألا تشير الفزع فى قلوب الكتامين - الذين نزل بهم النذل والهوان - فقط ، بل وأن تشير التقزز والهلع فى ديوان الخلافة . فلقد عاد المنصور الى أشير ، بعد اجراء عملية تطهير فى كتامة راح ضحيتها عدد

(٦٢) النويرى ، ص ٢٤٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ - حيث يوصف الرجل بالانشغال بالاكل والشرب وحب الورد .

من وجوه الدعاء . ومن هناك أعاد السفيرين الفاطميين الى القاهرة لكي يعلننا
المستولين هناك أنهما أتيا من عند « شياطين يأكلون لحوم البشر » (٦٩) .

رد بين للخلافة مع تبادل للرسائل والهدايا :

وكان رد الخلافة لينا يهدف الى التهدئة والمصالحة ، اذ أرسل العزيز
الى المنصور يطيب قلبه ، وأرسل اليه هدية ، ولم يذكر له أبا الفهم (٧٠) .
أما عن ثورة كتامة في السنة التالية ٣٧٩هـ / ٨٩ - ٩٩٠م حيث ثار أبو الفرج
الذى ادعى أنه من أولاد القائم بن المهدي ، فليس فيها ما يشير الى تدخل
ما من قبل الخلافة (٧١) . وبذلك أصبحت ولاية افريقية عمالة خاضعة للوالى
الذى استقل بها دون الخلافة . وهكذا كان للمنصور أن يعزل يوسف بن
أبى محمد عن العمالة ، وأن يولى مكانه محمد بن أبى العرب الكاتب ، سنة
٣٨٢هـ / ٩٢ - ٩٩٣م . بينما كان العزيز بالله يرسل له سجلا بولاية عهده
الى ابنه أبى مناد باديس وهي المناسبة التى أشاعت السرور فى نفس
المنصور . وكانت مناسبة لكي يتلقى التهاني مع الهدايا من مختلف
البلدان (٧٢) ، من الداخل والخارج . ففي نفس سنة ٣٨٢هـ / ٩٢ - ٩٩٣م
وصلت الى المنصور هدية فيها زرافة من بلاد السودان (الأوسط - كما
نرى - حيث تشاد وما وراءها) (٧٣) . كما وصلت من مصر هدية أخرى مع

(٦٩) أنظر النويرى ، ص ٣٢١ - حيث الرواية التفصيلية التى تظهر فى ابن الأثير ،
ج ٩ ص ٥٢ - ٥٣ تحت عنوان معبر : عن سير المنصور لحرب كتامة ، وقارن ابن عذارى ،
ج ١ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ - حيث الرواية حسنة التلخيص أيضا . وأنظر اتماظ الحنفا ، ج ١
ص ٢٦٣ ، وفيما بعد ، ص ٣٣٣ .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ .

(٧١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - حيث الإشارة الى أن أبا الفرج عمل أكثر مما عمله

أبو الفهم .

(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ . وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ - حيث يضع
ذلك فى سنة ٣٨١هـ / ٩١ - ٩٩٢م ، ويصف المزعول بأنه صاحب الفريضة نائب المنصور
فى البلاد .

(٧٣) أنظر عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ - حيث النص على أن المنصور خرج لاستقبالها
وأنها دخلت بين يديه ، وقارن المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٧٨ - ٧٩ - حيث النص على أن
الهدايا وصلت بمناسبة ختان ولده باديس ، وأن هدية الزرافة أتته من قبل ابن الخطاب
عامله على زويلة (باب السودان الأوسط أى تشاد حاليا) ، الى جانب هدية عامل طرابلس
التي حوت ٢٠٠ حمل من المال سوى الحبل ولطائف المشرق .

جعفر بن حبيب ، سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م ، فيها فيل عظيم (٧٤) ، بمعنى وجود علاقات طيبة أيضا ، وتبادل هدايا بين مصر والسودان النيل من حيب وفد هذا الفيل العظيم . وفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م كان المنصور يولى يوسف بن أبي محمد ، الذى يصفه ابن عذارى هنا بالقائد ، عاملا على مدينة متيجة (٧٥) .

وبذلك ختم المنصور حكمه فى ٣ ربيع الأول سنة ٣٨٦هـ / ٢٧ مارس ٩٨٦م ، والعلاقة حسنة بينه وبين الخلافة ، حيث ولى ابنه باديس ، وهر متمتع منذ سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، بشرعية ولاية العهد الخلافة من قبل العزيز بالله الذى قدر له أن يموت مع المنصور وفى نفس السنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م ويخلفه ابنه الحاكم بأمر الله ، الأمر الذى كان يتطلب تجديد كل من العهد والبيعة .

والحقيقة ان باديس كان قد هيا هدية سيرها الى رقادة مع القائد جعفر بن حبيب فى ١٦ رمضان / ١٣ أكتوبر . ولما كان قد أرسل فى طلب القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم الى مصر - ربما لحاجة الخلافة الى الاستعانة به فى القضاء ، كما سبق وأن طلب المعز أخوة بلكين ، أبناء زيرى ، مع فارق أنه على عكس ما حدث فى المرة السابقة ، فان باديس كان حريصا هذه المرة على تلبية رغبة العزيز . فرغم أن حالة القاضى الصحية لم تكن تسمح له بالسفر فان الأوامر صدرت فى ٣ ذى القعدة للرجال بحمله قسرا ، تحت اشراف عامل افريقية ، محمد بن أبى العرب ، فأخذ بشيابه المنزلية محمولا على بساطه ، وأهل بيته يتبعونه نحو رقادة حيث الهدية المسافرة الى مصر . والعساكر على باب أبى الربيع على أهبة الاستعداد للتدخل اذا ما حاول أهل القيروان الاحتجاج . ولم تلبث سحابة الغم التى غلبت على الناس أن تقشعت عندما أتت الأخبار بوفاة العزيز - فكانت وكأنها كرامة أكرم الله بها القاضى الذى عاد الى داره - بعد تأجيل مسير الهدية (٧٦) .

الشريف الباهرى يأخذ البيعة على باديس وصنهاجة :

والهم ان سجل ولاية أبى مناد باديس مع تلقيبه بـ «نصير الدواة»

(٧٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧

(٧٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧

(٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨

وصل من القاهرة في ٢٣ ربيع الآخر سنة ٣٨٧ هـ / ٦ أبريل ٩٩٧ م ، مع سجل ثان ب وفاة العزيز نزار ، وولاية الحاكم والجواب عن وفاة المنصور ، والعزاء عن العزيز وعن المنصور ، وذلك في معية الشريف الداعي : على بن عبد الله العلوي المعروف بالباهري (٧٧) ، والذي كان يحمل سجلا ثالثا بالبيعة على باديس وأهله من بنى مناد للخليفة الجديد الحاكم . ورغم ما تقوله الرواية من أن وصول الداعي صادف عرضا عسكريا لرجال باديس من فرسان ورجاله ، كان باديس قد أعده في صفوف محتشدة امتدت من باب القصر بالمنصورية حتى باب قلشانة ، الأمر الذي لم يسبق للداعي أن رأى مثله ، فلا بأس أن يكون باديس قد انتهز الفرصة للقيام باستعراض قوة يمكن أن يتحدث به الداعي اثر عودته الى القاهرة .

والمهم أن باديس أحسن وفادة الشريف فأنزله بدار الأمير يوسف بجوار القصر الأميري ، وذلك استعدادا لعقد البيعة ، حيث جلس الأمير وأحضر له بنو مناد ، وسائر زعماء قبائل صنهاجة ثم استدعى الشريف الذي أخذ عليهم البيعة ، ومن الواضح أن هذه كانت بيعة الخاصة التي تبعتهها بيعة العامة ، حيث كان يجلس الشريف الباهري في الدار المخصصة له ، ويستقبل النوافدين الذين كان يأخذ بيعتهم ، من الصنهاجيين وغيرهم . هذا ، كما أحاط باديس الشريف الداعي برعايته ، فوصله بمبلغ كبير من المال ، وتخوت ثياب ، وبراذين بسروج محلاة - كل ذلك هدية خاصة له . أما عن هدية الخليفة الحاكم فقد جهزت لكي تتبعه بعد ذلك الى مصر (٧٨) . وجاءت هدية الخلافة المقابلة من مصر في السنة التالية (٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) ، وكانت تحوى الأعلاق النفسية من الجواهر وغيرها ، وخرج نصير الدولة باديس لاستقبالها والدخول الى المنصورية ، وهي تتقدمه في موكب احتفالي كبير (٧٩) .

(٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ ، وقارن النويرى ، ص ٢٢٤ - حيث اللقب * التيهري « بعلا من الباهري » .

(٧٨) النويرى ، ص ٣٢٤ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ .

احوال الاقاليم الشرقية في طرابلس وبرقة :

الخلافة تحاول استرجاع طرابلس :

ولكنه لم تكد تستنج فرصه للخلافة الفاطمية لاسترجاع ولاية طرابلس ، بعد فترة وجيزة ، الا وانتهرتها . ففي سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م . وبينما كان باديس يعاني من انقسام بنى زيرى ، وخروج كثير من عمومة ابيه عليه ، اذ بالأمور تتعقد بثورة فلفل بن سعيد الزناني الذي تحالف مع بعضهم ، واتصل نائبه بطرابلس تموصلت بن بكار بالخليفة الحاكم فخر القاهرة ، وعرض عليه تسليم مدينة طرابلس والاتجاه اليه . فما كان من الحاكم الا أن أمر واليه على برقة . وهو القائد يانس الصقلي بالمسير الى طرابلس وتسليمها ، وهو ما حدث فعلا في نفس السنة (٨٠) .

وفوجئ باديس بهذا الأمر ، واتصل بمانس يسأله ان كان معه عهد من الحاكم بالولاية ولما لم تقنعه اجابة يانس المراوغة من أنه انما أتى الى طرابلس معينا ونجدة ، وان مثله لا يطلب منه عهد بولاية سير اليه جيشا . التقى به خارج طرابلس . وانتهى اللقاء بمقتل يانس واعتصام أصحابه داخل المدينة التي ضربت عليها قوات باديس الحصار (٨١) . واستجاب الحاكم لطلب المدد من رجاله وسير اليهم جيشا بقيادة يحيى بن على بن الأندلسي ، وبصحبه القائد زيدان الصقلي مشرفا على الشئون الادارية والمالية للحملة (٨٢) . وتأزمت الأحوال عندما وجدت خزانة برقة التي كان عليها أن تمتد الحملة بالمال ، خاوية . فاضطرت الى الاعتصام هي الأخرى . بأسوار طرابلس ، وذلك في ٩ ربيع الأول سنة ٣٩٢ هـ / ٢٧ يناير ١٠٠٢ م .

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، وقارن القريري ، اعطاء الحنفا ، ج ٢ ص ٣٤ . حيث الاشارة الى وصاية برجوان على الحاكم وتديره لأمر دولة الحاكم على مستوى العلاقات الشخصية حيث يتخلص من يانس الصقلي لانه ثقل عليه ، وأمره بالمسير الى طرابلس لأن واليه لباديس وهو تموصلت بن بكار يرغب في المسير الى مصر - مع خطأ في تاريخ تسليم يانس طرابلس في ١٥ جمادى سنة ٣٧٠ هـ / ٢٧ نوفمبر ٩٨٠ م بدلا من ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ وقارن ، اعطاء الحنفا ، ج ٢ ص ٣٧ - حيث النص على ان برجوان عقد ليانس على ولاية طرابلس الغرب وأنه وصل اليها في ١٥٠٠ فارس عندما هزم وقتل .

(٨٢) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٦ .

وقتما كان فلفون بن سعيد مستوليا عليها منذ فترة وجيزة (٨٣) .

والهم أن زمام المبادرة آل الى فلفل الذى أراد انتهاز الفرصة واستغلال القوة الفاطمية فى محاولة جريئة لدخول أفريقية تحت غطاء الشرعية الخلافة ، ولكنه لم يقدر لذلك التحالف النجاح أمام قايس التى وصلوا اليها فى السنة التالية (٣٩٣ هـ / ٢ - ١٠٠٣ م) ، ربما بسبب عدم الانسجام بين زيدان الصقلى وفلفل ، وان كان السبب الواضح هو نقص المال الذى وقع عبء تدبيرة على زيدان الصقلى ، وبالتالي التقصير فى اعطاء الرجال الذين تبدد الكثير منهم ، حتى اضطر يحيى بن على بن الأندلسى الى العودة بالبقية الباقية منهم الى مصر ، والتعرض لمخاطر مسألة الحاكم وسخطه ، وان نجح فى اقناعه بقبول عذره (٦٤) . وبذلك خلصت طرابلس الى فلفل بن سعيد الذى استوطنها حتى وفاته سنة ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م ، واستعادتها فى نفس تلك السنة من أخيه وروا بمعرفة باديس .

أبو ركوة والثورة الزناتية فى برقة :

أما عما واجهه الحاكم من المتاعب فى برقة بسبب ثورة أبى ركوة التى انتشرت فيما بين سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٥ م ، حيث تم الاستيلاء على برقة بمساعدة عرب بنى قره وبربر لواته وزناته ، وسنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٧ م ، حيث كان الدخول الى مصر فى محاولة فاشلة ، استدرج فيها الثائر الذى اتخذ اللقب الخلفى « الناصر لدين الله » ، الى شرك أحكم نصبه له فوقع فيه مستجيبا الى الحديعة ، بينما كان باديس منشغلا بأحوال المغرب ، من : انقسامات بنى زيرى ، وتدخلات العامريين الأندلسيين . فلقد رأس الثورة دعوى أموى أندلسى ، بدأ ، كما هى العادة فى الثورات الاسلامية التى تبحث لها عن تبرير شرعى ، كآمر بالمعروف ، ونجح فى جمع قبائل برقة حوله ، وخاصة الزناتية منها ، وعندما حقق النجاح على القوات التى بعثها الحاكم

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، وقارن اتصاف الطنفا ، ج ٢ ص ٥٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ - حيث النص على مسئولية زيدان الصقلى فيما حل بالحملة من الفشل ، إذ يوصف بسوء العقل وضعف التدبير ، الأمر الذى أدى الى اختلاف العسكر ، واستخفاف فلفل بن سعيد به بل واحتقاره .
(٨٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٧٧ - حيث النص على سوء مجاورة فلفل واستيلائه على خيول المصريين وعددهم الى جانب قلة المال ، وان الحاكم أراد قتل يحيى ثم انه عفا عنه .

الى برقة التي استولى عليها فى رجب سنة ٣٩٥ هـ /ابريل ١٠٠٥ م تداعى اليه البربر من كل صوب وحذب (٨٥) . واذا كانت الرواية تشير الى أنه أغرى البربر بفتح مصر ، فلا بأس أن يكون القحط والغلاء ، وما تبعها من الوباء العظيم الذى ضرب أفريقية سنة ٣٩٥ هـ /٤ - ١٠٠٥ م (٨٦) ، من الأسباب التى شجعت على قيام الحركة فى برقة كمحاولة للهجرة الى مصر قبل أن تكون فتحا .

وهكذا كانت العلاقات تتأرجح بين الخلافة الفاطمية والنيابة الزيرية ما بين الصعود والهبوط تبعا للظروف ومقتضى الأحوال ، خلال العقود الأربعة منذ انتقال المعز الى مصر وحتى خلافة الحاكم ، حيث بلغت حدا من التدهنى سمح باستخدام الانتهازية والغدر فى سبيل تحقيق مكاسب عابرة ، مثل : محاولة استعادة ولاية طرابلس ، بل والتعدى على أفريقية نفسها بحصار قابس بالتعاون مع الزناتية ، وهم المخلفاء المتقلبون دائما .

فلفل بن سعيد الزناتى فى طاعة القاهرة ، وملجأ لأبناء الكاتب :

وفى اطار تغلب المواقف بين الأطراف المختلفة كان تحالف القسوات الفاطمية مع فلفل بن سعيد فى طرابلس بمثابة اعتراف من جانب القاهرة بشرعية وجود الزعيم الزناتى فى طرابلس ، فكأنها استردتها من الزيريين الذين عهد بها اليهم فى أول خلافة العزيز ، وعهد بها الى فلفل سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م ، على عهد الحاكم - الأمر الذى استمر الى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م . فهذا ما يفسر من جهة كيف أنه بعد وفاة عامل أفريقية محمد بن أبى العرب سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م (٨٧) ، خلفه ابنه القاسم بن محمد بن أبى العرب ، الذى أقر العمل على ما كان عليه أيام والده فلم يغير مساعدته ، وذلك سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٦ م (٨٨) ، فكأن عمالة أفريقية قد صارت هى الأخرى وراثية ، كما هو الحال بالنسبة للنيابة فى الولاية الزيرية ، بل وتحت الاشراف المباشر للخلافة فى القاهرة ، حسبما خطط لها منذ بدايتها وان كان صاحب تلك العمالة قد أصبح وزيرا للأمير الزيرى ، أكثر منه موظفا خلافيا . فهذا

(٨٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٩٧ وما بعدها .
 - وأنظر اعطاء الخلفاء للمقرضى ، ج ٢ ص ٦٠ - ٦١ .
 (٨٦) النويرى ، ص ٣٢٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ .
 (٨٧) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٠ .
 (٨٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧١ .

ما يمكن أن يستشف من أحداث سنة ٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨ م ، عندما ساءت العلاقة مع أبناء محمد بن أبي العرب فهربوا من المنصورية يريدون الالتجاء الى فلل بن سعيد بطرابلس حيث كان مقيما بموافقة ضمنية من الخلافة ، مما سبقت الإشارة اليه (ص ٣١٩) ، الأمر الذي أثار ثائرة باديس الذي أصدر أوامره الى عامل قابس بقطع الطريق عليهم ، فأخذ منهم عليا ويوسف فقتلها وبعث برأسيهما الى المنصورية في آخر المحرم/أكتوبر وان كان باديس قد عفا عن القائم ، صاحب العمالة ، عندما عاد اليه معتذرا (٨٩) .

أبناء ينال التركي يوجهون أنظارهم الى باديس :

وفي إطار هذا التقلب في العلاقات بين الأطراف المعنية ، تشير النصوص الى أن بناء القائد ينال التركي ، والى برقة انذى قتل في سبيل استعادة طرابلس ، والذي كان قد كون أسرة لها مكانتها الاجتماعية والسياسية في طرابلس أثناء حكم فلل بن سعيد ، ومنهم : عبد الله وشواش ومن كان في خدمتهم من الرجال ، كانوا مستعدين للانضمام الى جانب باديس سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩ م وهو في طريقه الى قتال الزناتية في طرابلس ، بعد وفاة فلل ، اذ « عرفوه انهم لما علموا بخروجه أغلقوا أبواب طرابلس ومنعوا الزناتيين منها ، فسر بذلك ، ووصلهم وأحسن اليهم » . هذا ، ولو أن المسألة تظهر في شكل تسوية - حسب صفقة شاملة ، كما يقال الآن - اذ أنه بعد دخول باديس طرابلس ، استجاب لطلب وروا أخى فلل (فلل) ومن معه من الزناتية ليس بتلبية الأمان فقط ، بل وبتمتعهم عمالا على إقليم نفزاوة المجاور ، شريطة الارتحال عن أعمال طرابلس (٩٠) .

وروا بن سعيد زعيما للزناتية في نفزاوة :

والحقيقة انه اذا كان التقلب قد بلغ بوروا ومن معه من الزناتية الى حد مخالفة باديس في السنة التالية ٤٠١ هـ/ ١٠١٠ م ، والفراغ من نفزاوة ، فان العلاقات مع الحاكم بأمر الله تعود الى مجاريها سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م ، حيث وصلت هدية جلييلة من الحاكم ، بحرا عن طريق المهديّة ، الى باديس (نصير الدولة) والى ولي عهده ابنه المنصور ، فخرج الاثنان مع أهل القيروان لكي يعودوا بها من موضع قصر الماء ، في احتفال بديع تتقدمهم البنود

(٨٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧١ .

(٩٠) النويرى ، ص ٣٢٩ .

والطبول • والمهم بشأن سفارة الحاكم هذه أنها كانت تحمل سجلا باضافة ولاية برقة وأعمالها الى ولاية باديس (٩١) ، فكان الخلافة أرادت أن يكون لها حدود مشتركة مع نيابتها الزيرية فى أفريقية •

علاقات حسنة بين الحاكم وباديس :

تبادل السجلات والهدايا :

وازدادت الصلة بين الحاكم وباديس حتى كان الخليفة يطلع باديس على ما كان يتخذ من قرارات مصيرية بالنسبة للخلافة الفاطمية ذاتها ، من ذلك توليته العهد لابن عمه أبى القاسم عبد الرحمن بن الياس بن أبى على بن المهدي ، الذى وصل سجل به الى باديس سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، فقرأ فى جامع القيروان ، الأمر الذى تطلب اثبات اسمه فى البنود ونقشه على السكة الى جانب اسم الحاكم ، رغم عدم رضا باديس عن فكرة تحويل ولايه العهد من الابن الى ابن العم (٩٢) • وهكذا كان على باديس أن يبعث فى السنة التالية ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م بهدية جلية الى الحاكم ، كما ضمنها بديلماسية بارعة ، هدية أخرى من قبل أخته السيدة « أم ملال » الى السيدة (الست) أخت الخليفة الحاكم ، وقام بتشجيعها بنفسه من المنصورية بالبنود والطبول • ورغم أن وجهة الهدية الخلافة التى عهد بها الى القائد يعلى بن فرج كانت المهديّة من حيث يكون طريق البحر الى الاسكندرية والقاهرة ، فانها راحت نهبا لعرب برقة ، عندما رست المركب هناك ولكن أو للراحة •

علاقة عرب بنى قرّة فى برقة بالقاهرة :

وتنسب الرواية الى يعلى بن فرج التقصير فى حفظ الهدية والعجز فى الدفاع عنها بما كانت تحويه من الأفراس الأصيلّة ، والسروج المحلاة وأحمال الخز والسمور والأقمشة السوسية المذهبة ، الى غير ذلك من فتيان الصقالبة والوصيفات ، فأسلمها جميعا لخطافها بنى قرّة ، من عرب برقة (٩٣) • ولا

(٩١) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ - ٣٧٤ ، وقارن اتعاط الحنفا للمقرئى ، ج ٢ ص ٩٩ •
(٩٢) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٥ • وقارن اتعاط الحنفا ، ج ٢ ص ١٠٠ •
(٩٣) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٥ - حيث النص على أنها حوت ١٠٠

ندرى ان كان قاطعوا الطريق هؤلاء يعرفون انهم يمدون أيديهم الى أمتعة الخليفة ، اذ ربما تكون المسألة عندئذ نوعا من الثأر أو الانتقام لما نزل بأهل برقة الذين ساندوا أبا ركة ، من العقاب عندما هاجموا مصر منذ أقل من عشر سنوات ، وهو الأمر الذى يرجحه تخلص الحاكم من ولاية برقة وعهده بحكمها الى باديس قبل ذلك بقليل فى سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م .

وكانت لفتة كريمة من الحاكم أن رد ، على الهدية المنهوبة ، فى نفس السنة ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م ، بهدية جلييلة ، وصلت مع سفيرين من لدنه الى المنصورية . وتكونت الهدية الخلافية ، من : خلع سنية ، وسيف مكلل ، الى جانب سجل بولاية العهد للمنصور بن باديس - الذى توفى بعد قليل - مع اعطائه لقب « عزيز الدولة » . واستقبل باديس السفارة والانعامة الخلافية بما يليق بها من التبجيل والترحيب والسرور . وبعد قراءة السجل من أعلى منبرى المنصورية والقيروان تقبل باديس التهاني من وجوه رجال الدولة الذين قدموا له الهدايا والأموال (٩٤) .

سجل ولاية العهد للمنصور بن باديس والنزاع مع العم حماد :

وكان سجل الحاكم بولاية العهد للمنصور بن باديس سببا فى اثارة نزاع بين باديس وبين عمه حماد بن يوسف بلكين والى أشير ، وصاحب القلعة . وذلك أن باديس أراد أن يؤكد ولاية العهد النظرية من قبل الخلافة للمنصور باجراءات عملية ملموسة ، مما يؤكد الولاية للمنصور ، من الأعمال (الولايات) الهامة له لكى يقطعها لأعوانه وأتباعه الذين يعضدون ولايته للعهد ثم ملكه عندما يرث والده . ورأى باديس أن يجعل من ذلك فرصة لاختبار نوايا عمه حماد ، الذى كانت قد اتصلته به أمور عنه أنكرها ، وذلك عن طريق تنازله عن بعض اقطاعاته التى كان يديرها بعض أصحابه ، بحيث

درس ١٨ قصفا للسروج و ١٨ حملا للأقمشة والمنسوجات ، و ٢٠ وصيفة و ١٠ من الصفاة . .
وقارن انعطاف الحنفا ، ج ٢ ص ١١٠ .

(٩٤) النويرى ، ص ٣٢٩ - حيث اسم السفيرين : عبد العزيز بن أبى كدية ، وأبو القاسم بن حسين . اما عن المنصور بن باديس ولى العهد فى هذا السجل فلم تقدر له الحياة اذ توفى بعد فترة وجيزة لكى يحل محله أخوه الأصغر المعز بن باديس . وقارن انعطاف الحنفا ، ج ٢ ، ص ١١١ - حيث السفير الثانى ابن حسن بدلا من حسين ، مع الإشارة الى اشتغال الهدية على خلع وسيوف وتشريف لمنصور بن نصير الدولة بولاية ما يتولاه أبوه فى حياته وبعد وفاته مع لقب عزيز الدولة .

تقدم لولى العهد لكى تعطى لبعض أعوانه . ووقع اختيار باديس على مدن : تيجس وقصر الأفريقى وقسنطينة ، وكانت بيد القائد أبى زعبل ، لكى يتنازل عنها حماد ، فتعطى للقائد هاشم بن جعفر . وفى الوقت الذى أعد فيه باديس كتابا الى عمه حماد يأمره بتنفيذ رغبته تلك ، كان يدعو هاشم ابن جعفر ليخلع عليه ، ويعطيه الطبول والبنود ، ويطلب منه الخروج الى هذا العمل . كما كان يعهد الى عمه ابراهيم الذى كان يشك فى تحيزه الى أخيه حماد ، بعد مشاورات شكلية معه ، هدفها اعطاؤه الحرية فى اختيار الفريق الذى يفضل الانضمام اليه ، بحمل كتاب أخيه حماد ، على أن يعمل على تسهيل المهمة باقناع حماد بالاستجابة الى طلب الأمير ، ابن أخيه (٩٥) .

والمهم أن ابراهيم خرج فى ١٩ شوال سنة ٤٠٥ هـ / ١٤ / ٤ / ١٠١٤ م وبصحبه القائد هاشم بن جعفر الوالى المرشح للعمل المطلوب للمنصور ولى العهد ، ولكنه عندما اقتربا من موضع حماد ، ترك ابراهيم رفيق سفره هاشما وحده ، على أمل اللقاء فيما بعد ، ولكنه لم يلبث أن ظهر مع أخيه حماد ، وقد اجتمعت كلمتهما على العصيان ، وتبدأ بين الطرفين حرب غريبة تختلط فيها القسوة بالخداع ، والغدر بالولاء (٩٦) ، لكى تتوقف أمام القاعة الحمادية حيث توفى باديس فجأة أثناء حصاره لحماد فى ٣٠ من ذى القعدة سنة ٤٠٦ هـ / ١١ / ١٠١٦ م ، مصابا بالذبح (٩٧) .

(٩٥) أنظر النويرى ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ - حيث الإشارة الى تفصيلات يستدل منها على أنه كان يمكن التأكد من نوايا حماد عن طريق اعتقال أخيه ابراهيم ، كما انه كان يمكن التنبؤ بقدر ابراهيم من بعض أقواله وأفعاله ، مثل : طلبه مهلة ٢٠ يوما فقط للقيام بتلك المهمة ، وخروجه بكل أمواله التى بلغت ٤٠٠ ألف دينار وبجميع خزانته وذخائره ورجاله وعبيده - كما تبالغ الرواية على ما نظن .

(٩٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ - حيث النص على أن بساديس سير جيشا الى قلعة حماد فخربوها ، ولكنه لم يأخذ مال أحد . ولكن عندما لجأت جماعة من جند القلعة الى باديس كان انتقام حماد وأخيه ابراهيم رهيبا ، اذ ذبح أبناءهم وهم على صدور أمهاتهم ، قتل بيده منهم ٦٠ طفلا ، ثم قتل الأمهات . كما أنه عندما وصل حماد الى مدينة دكة تجنى على أهلها وقتل منهم ٣٠٠ رجل ، كما قتل فقيه البلد ، وحمل جميع ما فيها من طعام وملح وذخيرة الى القلعة .

(٩٧) ابن خلكان (باديس) ، ج ١ ص ٢٦٥ - حيث النص على ان موته كان انتقاما ربانيا ولفظا بأهل طرابلس التى حلف أنه « لا يرسل عنها حتى يعيدها فدنا للزراعة ، وذلك بفضل دعاء الوالى الصالح ، المؤدب محرز ، الذى دعا قائلا : « يا رب اكفنا باديس » ، فهلك فى ليلته بالذبح - والله أعلم ، وقارن الاعلام لابن الخطيب ، ص ٧٢ - حيث الوفاة فى ٢٠ ذى القعدة / ١ / ١٠١٦ م ، بدلا من ٣٠ ذى القعدة ، وذلك لظننا من الله بسمه حماد المحاصر فى قلعتة ، بسبب عقب قتالة تعلقت بشيابه ، بدلا من الذبح . وهكذا حتى لحام الذى =

وعلى عهد المعز بن باديس رابع الأمراء تبدأ مرحلة جديدة فى العلاقات بين الخلافة فى القاهرة وبين النيابة فى القيروان ، هى مرحلة القطيعة - على المستويين الدينى والسياسى - وإذا كانت الروايات التاريخية تكاد تلقى بعبء تلك الازمة على عاتق أمير القيروان الذى لم يكن قد شب عن الطوق بعد ، فمن المقبول أن يكون للخليفة الحاكم دوره - وهو ما هو معروف عنه - فى اثارة تلك الازمة ، وكذلك من خلفه من الظاهر والمستنصر مما يأتى فى موضعه .

مبادئ الحكم فى العبالة الأفريقية وتطبيقاتها العملية :

اقرار الأمن :

المعروف أن الخليفة المعز لدين الله أوصى نائبه الصنهاجى ، القائد بلكين بن زيرى بن مناد ، بما ينبغى عليه أن يتبعه فى حكم ولايته الأفريقية ، وأنه من بين وصاياه الكثيرة ركز على ثلاثة منها ، هى :

ألا يرفع السيف عن البربر ، وألا يرفع الجباية عن أهل البادية ، وأن يفعل بأهل الحاضرة خيرا ، وهى الوصايا التى تعتبر بمثابة مبادئ للحكم أو برنامجا للعمل السياسى ، ثم انها صارت أربعة عندما أضيف اليها مبدأ خاص بالأسرة الزيرية نفسها ، أسرة بلكين ، ويتلخص فى عدم اشراك أحد من أهل بيته فى الحكم خشية أن يروا أنهم أولى منه بذلك (٩٨) .

والمقصود بالبربر الذين لا يرفع السيف عنهم ، هم قبائل زناتة ، أشهر ممثلى قبائل البتر بمعنى البدو الرحل ، أصحاب مضارب الحيام ، الذين لا يفهمون معنى الاقتصاد المدنى فكأنهم المقصودون أيضا بالمبدأ الثانى الخاص بضرورة اخضاعهم الى دفع الضرائب ، سواء عن الزراعة أو تربية

تتعاطف معه رواية ابن الخطيب هذه ، أن يقول ، وهو يشرف على جوش ابن أخيه باديس ، وهى تخلص له حيشا ، فتصرف بتأبوتة فى خبر ثبات وأحسن تعبئة : مثل هؤلاء تتخذهم الملوك وتبذل فيهم النعم ، وذلك مقارنة برجاله الذين أحسن اليهم فكان جزاؤه منهم الفرار ونكران الجميل - وهو حى يرزق .

(٩٨) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٥ - حيث تقتصر الوصية على ما يتعلق فقط بالضبط على البربر واخضاع أهل البادية للضرائب ، وإبعاد أهل بيته الزيريين عن مهام الحكم . وقارن النويرى ، ص ٣١١ - حيث النص على ٣ أشياء مع ذكر الأربعة جميعا . والنص هنا مضطرب لم ينتج المحقق فى تصويبه وذلك أنه يذكر فى الوصية الأولى « أهل البلاد » بدلا من أهل البادية ، وفى الثالثة « أبى مضر » بدلا من أهل الحضر ، أما الرابعة ففيها اخوتك بدلا من أهل بيتك .

الماشية . فكان الهدف من تلك السياسة هو : توطئتهم والعمل على تحويلهم الى أهل حضر ومدن ، مثلهم في ذلك مثل قبائل البرانس بمعنى الحضر ، وأهم ممثليهم في القرن الرابع الهجرى / ١٠ م الذى نحن بصدده ، وكذلك القرن الذى يليه (٥ هـ / ١١ م) ، هم : صنهاجة أفريقية ، قبيلة الزيريين ، فكان المقصودين بالاحسان اليهم هم : صنهاجة ، عصب الدولة ، ومن يلوذ بها من كتامة ، أنصار الفاطميين الأوائل ، وكذلك من يحوم حولهم من سائر اصناف البربر ، دون تفرقة بين بتر وبرانس أو زناتية وصنهاجية ، طالما دخلوا فى الطاعة وأصبحوا ضمن الرعية المرعية .

أما عن المسألة الخاصة بالأسرة الحاكمة ، فالتقصدها منها أن يولى الأمير عنايته بانسبة لأهل بيته فلا يغفل عن التأكد من حسن سيرتهم ، وصدق نواياهم فى خدمة الأمير ، وبالتالي فى خدمة الدولة ، وعدم اعطاء الفرصة للطموحين منهم باشغال الفتنة ، أو محاولة اقتطاع امارات لهم فى الأقاليم البعيدة عن مركز الدولة - وهو ما عانت منه الدولة الزيرية منذ عهد الأمير الثالث : باديس ، والذى انتهى على عهد الرابع منهم وهو المعز بن باديس بانقسام الدولة الى مملكتين ، احدهما فى القيروان والمهدية ، وهى الدولة الزيرية ، والاخرى فى القلعة وبجاية وهى الدولة الحمادية .

وهكذا يمكن تلخيص البرنامج السياسى الذى رسمه المعز لنائبه ولكن فى المبادئ الأربعة التالية :

١ - انتهاج سياسة قوية ضد خصوم الدولة التقليديين من القبائل الزناتية ، حلفاء أعداء الفاطميين التقليديين أيضا ، وهم : الأمويون فى الأندلس ، بهدف اخضاعهم للدولة ، وتجنيدهم ضمن الرعية ، وهو ما يتحقق بتطبيق المبدأ الثانى .

٢ - اجبار أهل البادية ، وهم الزناتية بشكل عام ، على دفع الضرائب الواجبة عليهم لبيت المال (الخزانة العامة) ، بمعنى الزامهم بالعمل فى الزراعة وتربية الحيوان ، الأمر الذى يحقق الرخاء وبالتالي الأمن فى البلاد ، والذى يؤدى بالتالى الى تحويلهم الى رعية مستقرة ، مثل : أهل الريف والحضر ، عماد الدولة وقاعدة استقرارها ، من حيث هم جامعو المال بمعنى أنهم الأيدي صانعة الحضارة ، وهو ما يؤدى بالضرورة الى تطبيق المبدأ الثالث .

٣ - لما كان أهل الحضر من زراع وصناع وتجار وأصحاب أعمال

وذوى أملاك وخبرات ، هم رعية الدولة الحقيقيين من حيث أنهم أدوات الانتاج ومصدر الأموال التي تسير دواليب أجهزة الحكومة المختلفة ، فمن الواجب رعايتهم والاحسان اليهم حتى تتحقق مقاصد أصول الحكم ، من : اقرار الأمن ، ونشر العدل ، وعلى الجملة توطيد أركان الرخاء للناس ، وتأكيد أسباب السعادة لهم - حسبما تقضى به قواعد السياسة المدنية .

٤ - لما كانت التجربة التي عرفتھا دولة الاسلام منذ العصر الأموى ، وما تفرع عنها من إمارات تابعة أو دويلات متغلبة ، قد أكدت أن أوفق نظم الحكم هو النظام الوراثى الذى ينتقل فيه الحكم من الأب الى الابن ، وهو الأمر الذى يمثل أصل توارث الامامة عند الفاطميين ، كان من الطبيعى أن تكون وصية المعز بأن يتبعه نائبه فى تطبيق نفس النظام فى أسرته اليوسفية ، دون بقية البيت الزيرى - حتى يبقى على الروابط القوية بين الأسرتين ، ويمنع من تفتيت ولايته بعد الاستقلال الذى كان مقدرا لها - وهو الأمر الذى يؤكد ما ارتآه المعز بعد قليل من رحيله الى مصر ، من ارسال ألف من الفرسان الصنهاجيين ، وعلى رأسهم الأمراء أبناء زيرى ، وهو ما رفضه بلكين ، وبرره بحاجته اليهم فى حرب زناتة بالمغرب (انظر فيما سبق ، ص ٣٤٤) .

وهكذا يمكن اعتماد تلك المبادئ المستنبطة من واقع التاريخ الفاطمى فى المغرب ، كعناوين رئيسية لدراسة الدولة الصنهاجية - التى بدأناھا بنظام النيابة الافريقية وعلاقتها بالخلافة فى القاهرة - حسبما يلي :

اقرار الأمن فى أفريقية وأعمالها :

باغاية وتاهرت :

عاد يوسف بلكين ، بعد توديع المعز له ، الى المنصورية فى ١١ ربيع الأول سنة ٣٦٢ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٧٢ م ، واستقر فى القصر الأميرى ، وسط ترحيب أهل القيروان الذين أعلنوا فرحهم بالعهد الجديد ، واستبشروا به خيرا . وبمجرد خروج ولاة الأقاليم وجبة الضرائب الى أعمالهم فى مختلف البلدان ، « استقامت الأمور بحسن تديره » (٩٩) . والواضح من النصوص أن بلكين كان يعرف دوره كرجل دولة سياسى ، الى جانب كونه قائدا

عسكرياً . فهو ينتهي من ترتيب أمور المملكة في بلاد الزاب وجبل أوراس ، ذات الميول الانفصالية قبل أن يتجه نحو بلاد المغرب حيث أعداء الدولة الرناتية ، فلا يستغرق الا فترة وجيزة لا تتجاوز ٣ (ثلاثة) أشهر ، اذ خرج في شهر شعبان/مايه من القيروان للاطمئنان على سير الأمور في أقاليم الدولة المغربية . وهو يعي نصائح المعز التي تقضي باستخدام الشدة في موضعها واللين في موضعه . فعندما يصل الى مدينة باغاية ، يولى فيها عاملاً من قبله ، ويأمره باستخدام اللطف في معاملتهم ، مما دعاهم الى اعلان الولاء والطاعة ، ولو أنهم لم يلبثوا أن ثاروا على العامل الجديد وتحصنوا بمدينتهم ، مما دعا بلكين الى التفكير في العودة اليهم بعد أن اقتحم تاهرت الثائرة ، لولا تهديد الرناتية لمدينة تلمسان (١٠٠) . والظاهر أن تلك الظروف كانت مواتية لكي تظل باغاية على عصيانها الى ما بعد القضاء على ثورة خلف بن خير في كتامة سنة ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤ م (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٥) حيث استسلم أهلها لبلكين ، ونزلوا على حكمه بالطرد من القلعة التي أخبرها (١٠١) .

اضطراب رجال الأسطول :

ومن المهم الاشارة الى أن الاضطرابات لم تكن تثور في الأقاليم البعيدة عن مركز الحكم في القيروان فقط ، مثل بلاد الزاب وجبل أوراس ، بل انها كانت تنفجر تلقائياً نتيجة لبعض الاجراءات التي كانت تتخذها الدولة ، مثل : حشد الرجال للعمل في الأسطول فيما يمكن أن يشبه بالسخرة . ففي شهر ذي الحجة سنة ٣٦٥ هـ/ ٩٧٥ م أصدر بلكين أوامره الى نائبه عامل أفريقية : عبد الله بن محمد بن الكاتب باعداد أسطول - ربما لغزو بحري لا تعرف المصادر بوجهته - مجهز بالرجال والسلاح . وهكذا خرج عبد الله ابن محمد الى المهديّة وأخذ في حشد البحريين من كل البلدان ، كما أمر بجمع المتخلفين منهم ، سواء في القيروان أو في غيرها من المناطق ، ووضعهم في السجون التي امتلأت بهم ، انتظاراً لترحيلهم الى المهديّة ، الأمر الذي أثار القلق في النفوس بين الخاصة والعامة حتى أنهم امتنعوا من الخروج ولزموا بيوتهم . وفي ذلك تقول الرواية ان اعتكاف الناس في ديارهم بلغ الى حد أنه « اذا مات أحد عندهم لا يخرجوا الا النساء » (١٠٢) .

(١٠٠) النويري ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

(١٠١) النويري ، ص ٣١٤ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٢٣ .

(١٠٢) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٢٧ .

وفى أول المحرم من السنة التالية ٣٦٦ هـ / ٣٠ أغسطس ٩٧٦ م ، كان الأسطول قد أعد لاستقبال البحريين من رجاله والاقلاع الى وجهته ، ولكن الرياح لم تكن موافية ، واستمر ركودها لفترة طالت الى أن نفذ الزاد والماء فى البحر . وعندما فقد الرجال صبرهم نزلوا جميعا الى البر من : نوتية وبحرية ، ثم انهم هربوا بما نهبوا من المراكب ، من علة وسلاح ، الى كل الجهات . وتطلب الأمر اجراءات شديدة فى ملاحقتهم ، بل وأنزل عقوبة القتل بمن ظفر به منهم (١٠٣) .

ولا ندرى ان كان لهذا الاضطراب الذى عرفته القيروان والمهدية بسبب تعبئة الأسطول هذه ، صلة بذلك الصراع الذى كان قد قام بين ابن القديم ، عامل أفريقية السابق الذى كان معتقلا فى سجن عبد الله بن محمد الكاتب ، وبين هذا الأخير ، فى ذلك الوقت الذى توفى فيه ابن القديم (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) فى سجنه هذا . فهذا الصراع هو الذى أدى الى ثورة قبائل كتامة ، أنصار الفاطميين ، الذين أثارهم خلف بن خير ، أحد معاوين ابن القديم السابقين ، الأمر الذى تطلب أعمال ردع قاسية من جانب ولكن . بناء على نصائح عامل أفريقية عبد الله الكاتب نفسه (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٥) .

واعتبارا من نهاية اضطراب تلك السنة ، وحتى وفاة ولكن سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م ، كانت أحوال أفريقية وما يتبعها من الأعمال هادئة ، الأمر الذى هيا الظروف المناسبة للعمل على اقرار نفوذه فى المغرب الأقصى ، حيث قضى نحبه فى طريق العودة ، فى وارجلان ، من المغرب الأوسط . يوم الأحد ٢٠ ذى الحجة سنة ٣٧٣ هـ / ٢٦ مايو ٩٨٤ م .

(١٠٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٢٨ .

عهد المنصور (٣٧٣ هـ / ٩٨٤ - ٩٩٦ م)

تمت ولاية المنصور ، دون صعوبة ، وذلك أن بلكين كان قد اوصى القائد أبا زعبل بن مسلم ، أحد خواصه من العبيد (السودان) ، بالعمل على تسهيل الامر على ولي العهد ، المنصور ، للجلوس على العرش ، وهذا ما قام به ابو زعبل عندما أسرع بإبلاغ المنصور ، حيث كان يقيم في اسير . بوفاة والده ، فأسرع بإعلان النبا ، وجلس لتلقى العزاء في وفاة والده . واستهنه بامارته - دونما اعتراض او صعوبة من قبل عمومته ، أبناء زيرى او غيرهم ، ممن كانوا في حاشيته باشير او في ضحبه بلكين في حملته المغربية (١) .

اقرار السلطان الاميرى : محاولة اقضاء الكاتب فى القيروان :

وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية كان اول أعمال المنصور سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م هو اقضاء ، عامل أفريقية ، الكاتب أو الوزير ، عن منصبه بمعرفة أخيه يطوفت بن بلكين ، ولكنه عدل عن ذلك ، سياسة ، لكى يستقبل الرجل الذى تعرض للمضايقة الشديدة ، على رأس المهنيين من أهل أفريقية ، مع الاعتذار عما بدر فى حقه من أخيه ، وان أكد للوفد انه ليس ممن يولى بكتاب ريعزل بكتاب (انظر فيما سبق ، ص ٣٠٩) . فكان ذلك كان اعلانا من قبل الأمير الزيرى بالاستقلال عن خليفة القاهرة الفاطمية . وهكذا لم يكن من الغريب أن يخرج أهل القيروان فى جموعهم الغفيرة وعلى رأسهم عبد الله الكاتب عندما يقدم عليهم المنصور يوم ١٩ من شهر رجب (٣٧٤ هـ / ١٦ ديسمبر ٩٨٤ م) ، ولم يكن من المستغرب بالنسبة للأمير الذى يريد أن يثبت أقدامه فى أفريقية كحاكم مستقل أن يبين لتلك الجماهير أن من أهداف برنامجه السياسى : تحقيق الخير للجميع مع وعدهم بكل جميل (٢) . وخلال اقامته بالقيروان ، فى رقادة ، عمل على تأكيد الاحتفالات الفاطمية التى كان قد بدأها المعز فى المغرب ، من : الخروج

(١) النويرى ، ص ٣٧ ، انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٩ - حيث الاسم : ابو زعبل ابن هشام (بدلا من ابن مسلم) ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٣٤ .
(٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ ، النويرى ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

الى المصلى يوم الفطر ، اول شوال فى موكب مهيب ، حيث ركب على سرج مكمل بالدر والياقوت ، كان قد أعد له خصيصا لتلك المناسبة ، التى خرجت فيها الى المصلى أعداد غفيرة من القيروانيين (٣) .

بعد ذلك لا نجد ذكرا لاقامة المنصور فى قصور صبرة المنصورية بالقىروان ، الا فى سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م حيث وصل يوم الاثنين ١٥ من المحرم / ١٧ ما به وبصحبتة عبد الله الكاتب الذى صار يقيم معه فى أشير ، بينما ابنه يوسف (ابن عبد الله) كان ينوب عنه فى القىروان (٤) ، وهى الاقامة التى تخلص فيها المنصور من وزيره : عبد الله الكاتب بالقتل ، وجعل مكانه يوسف بن أبى محمد والى قفصة ، الذى عهد اليه المنصور بعمالة أفرريقية يوم الخميس ٢٥ شعبان سنة ٣٧٧ هـ / ٢٠ ديسمبر ٩٨٦ م ، فأعطاه شعارات الولاية ، من : الطبول والبندود والخلع الاميرية ، كما أنزله فى دار القلائد جوهر (٥) .

فى كتامة : ثورة أبى الفهم :

أما عن عصيان كتامة فى السنة التالية ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م الذى يظهر كعمل انتقامى من الخلافة بالقاهرة ضد نائبها الزيرى بالقىروان ، مما سبقت الاشارة اليه (ص ٣١٤) ، فقد بدأ عملية تأهيل مذهبي للكتاميين ، أنصار الدعوة الفاطمية . وذلك انه وصل الى القىروان سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م أحد الدعاة الحراسانيين ، وهو أبو الفهم حسن بن نصرويه ، ووفدا من قبل الخليفة العزيز بالله . ولما كان عبد الله الكاتب فى صحبة المنصور بأشير فان الداعى نزل على ابنه ونائبه بالمنصورية ، يوسف ، الذى أحسن استقباله ، وأغدق عليه الاموال الكثيرة من الرواتب الجارية والهدايا .

ولكنه عندما طلب أبو الفهم من يوسف أن يذهب الى بلاد كتامة لدعوتهم ، رأى أن يستشير والده فكتب اليه بالأمر ، فما كان من عبد الله الكاتب الا أن يطلب من ابنه أن يعطى المبعوث الفاطمى ما يشاء ، وأن يتركه

(٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(٤) النويرى ، ص ٣١٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ .

(٥) النويرى ، ص ٣٢٠ - حيث استمرت ولاية يوسف بن أبى محمد الى يوم الأحد

٢٣ ربيع الاول سنة ٣٨٢ هـ / ٣٠ ما به ٩٩٢ م عندما عزله المنصور وولى مكانه أبا عبد الله

محمد بن أبى العرب الكاتب . وانظر فيما سبق ، ص ٣١٥ .

يزهبط حيث يشاء (٦) . فكانما أراد أن يتخفف من عبئيه بأيسر السبل
دونما احراج ما ، بين الخلافة والأمير .

وكان خروج أبى الفهم الى كتامة في موكب رسمي مهيب ، يحيط به
الفرسان على السروج المحلاة ، وتتقدمه صناديق (تخوت) الثياب الثمينة ،
وأكياس بدر الدراهم (٧) . واستقبل الكتاميون داعى الخلافة بما يليق به من
التبجيل ، وقدموا له كل عون مادي ومعنوي الى أن انتهى به الأمر وكأنه
عامل مدشن ، فصار يجمع العساكر ويركب الخيل ، ويعمل البنود (٨) ، بل
ويصك النقود حسب مقالة النويرى (ص ٣٢١) ، وحتى قيل ان غرض
الخلافة كان أن تميل كتامة الى أبى الفهم وترسل اليه جندا يقاتلون
المنصور ، ويأخذون أفريقية لما رأى قوته (٩) .

الانتقام من ميلة :

وهكذا كان على المنصور أن يعرف الخلافة في القاهرة بخطورة الوضع
الذى ترتب على وجود الداعى الخراسانى في كتامة ، بل وأن يحذر من مغبة
ذلك ، الأمر الذى دعا الخلافة الى أن تبعث سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م التالية الى
المنصورية سفيرين ، أحدهما كتامى يكنى بأبى العزم ، والآخر من عبيد
الخلافة واسمه محمد بن ميمون ، يطلبان من المنصور ألا يعرض للداعى أو
لجماعة كتامة ، على أن يلحقا بالكتاميين بعد ذلك . وأوضحت المداولات بين
الطرفين تعارض المواقف ، وانتهت بتبادل الشتائم بينهما (١٠) . وكان على
القوة اذن أن تقرر مصير هذا التنازع فمنع المنصور السفيرين من الخروج الى
كتامة بعد أن أبقاهما لديه خلال شهرى شعبان ورمضان ، ثم صحبهما معه

(٦) النويرى ، ص ٣٢١ .

(٧) النويرى ، ص ٣٢١ .

(٨) النويرى ، ص ٣٢١ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ - حيث النص على انه
الميزن أرسده يدعو كتامة لطاعته ، وأنه كثر تبعه وقاد الجيوش وعظم شأنه .

(٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ .

(١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢ - حيث النص على اعلاظ كل طرف القول للطرف
الأخر بما فيهم الخليفة الميزن نفسه ، وقارن النويرى ، ص ٣٢١ - حيث نفس الرواية
وان كانت أكثر تفصيلا حيث أسماء السفيرين مع تسمية الثانى منهما مرة أخرى
بـ « ابن الوزان » ؟ كما تأتي الإشارة الى أن مبعوثى الميزن بالله حددا المنصور بأن يعضى
الكتاميون به الى الميزن بحبل فى عنقه (ص ٣٢٢) .

فى حملته لتأديب كتامة ، بعد عيد الاضحى ، فى اواخر ذى الحجة (اواخر ابريل ٩٨٨ م) ، وهو يسير متشاقلا حتى دخلت سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، قبل أن يصل الى مدينة ميعة ، حيث أعلن عزمه على قتل أهلها . ولكن الأمير الصنهاجى الذى يظهر عنيقا قاسيا فى كثير من الأحيان ، يغفر هو الآخر باكيا عندما خرج له نساء ميعة وأطفالها باكين متضرعين ، الأمر الذى لم يمنع من قتل والى المدينة ، ونهب العساكر كل ما كان فيها ، مع هدم سورها ، ونقل أهلها بما خف حمله من المتاع والنقود - وان وقع كل ذلك بين يدي ماكسن بن زيرى ، عم المنصور ، عندما اعترضهم فى الطريق (١١) .

تأديب كتامة والمثلة بالثائر :

ومن ميعة دخل المنصور الى بلد كتامة ، وهو يهدم القصور والمنازل والدور ، ويحرقها بالنار ، ويعير رسولى العزيز بضعف كتامة . ويقول لهما : « هؤلاء الذين زعمتم أنهم يمضون بى بحبل فى عنقى الى مولاكنا » (١٢) . وفى منطقة سطيف حيث مركز قيادة الثورة كانت النهاية بالنسبة لأبى الفهم وثورته حيث هرب الى قلعة حصينة هناك فى جبل وعمر ، لدى عشيرة بنى ابراهيم الذين سلموه الى المنصور (١٣) . وكانت نهاية الداعى الخلافى ذروة مأساة همجية مفرجة . فلقد اقتيد أبو الفهم الى حريم الأمير حيث ضرب ضربا مبرحا حتى أشرف على الموت ، ثم ان المنصور أمر به فأخرج أمام المأى وقد بقيت فيه حشاشة من الروح ، فنهجه ، وشق بطنه ، وأخرجت كبده فثويت وأكات ، « كما شرح عبید المنصور من السودان - الذين ربما كانوا أصلا من أكله لحوم البشر - لحمه وأكلوه حتى لم يبق الا عظامه » ، وذلك فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ٣٧٨ هـ / ٢٣ ماية ٩٨٨ م (١٤) .

وبعد أن قام المنصور بعملية تطهير فى كتامة فقتل أعدادا من زعمائهم ،

(١١) النويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٢) النويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ - حيث تقول الرواية ان بنى ابراهيم لم يسلموه ، وقالوا هو ضيفنا ولا نسله ، ولكن أرسل أنت اليه فخذ ونحن لا نمنعه ، فأرسل فأخذه .

(١٤) النويرى ، ص ٣٢٢ ، وقارن ابن عذارى ، حيث نفس الرواية ، ج ١ ص ٢٤٤ .

ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٣ - حيث النص على او الداعى قتل وسلخ « وأكلت صنهاجة وعبید المنصور لحمه » .

منهم والى ميلة ، حتى ذلوا ونزل بهم الهوان ، عهد بولاية بلد كتامة الى القائد أبى زعبل بن مسلم الذى فرق أولاده فى أعمالها ، ورحل عائدا الى أشير ، ومن أشير وجه أبا العزم وابن ميمون ، سقيرى العزيز ، الى مصر ، ليعرف المسئولين بما وقع للداعى الخلافى ، ويذيعا فى أرجاء القاهرة قولهما : « أتينا من عند شياطين يأكلون بنى آدم ، وليسوا من البشر فى شيء » (١٥) .

وبعد كسر شوكة كتامة عاد المنصور الى القيروان ليتتبع من كانت له علاقة بثورة كتامة فى منطقة العاصمة المنصورية ، فهدم دورهم (١٦) .

رد الفعل فى كتامة : ثورة أبى الفرج :

ورغم ما أنزله المنصور بكتامة من الذل والهوان ، فقد كان ما زال فى البلاد من القوة ما يسمح بالانتفاضة فى السنة التساليه ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م حيث قام رجل اسمه أبو الفرج ، ادعى انه من اولاد الامراء بالمهدية وانتسب الى القايم بن المهدي (١٧) ، الأمر الذى قد يفسر وصفه بالدعى ونسبته الى اليهود ، حسب مقالة المشككين فى صحة النسب الفاطمى . والمهم أن استجابة كتامة لدعوة أبى الفرج كانت تلقائيا ، إذ احتشد الكثيرون حوله مما دعا الى اتخاذ الطبول والبندود كعسكر شرعى ، الأمر الذى يؤكد ان اتخاذ السكة ، كما فعل أبو الفهم الخراسانى (١٨) ، والزحف لقتال الوالى أبى زعبل . وبعد أن دارت الحرب سجالا بينهما ما بين ميلة وسطيف ، رأى أبو زعبل أن يكتب بذلك الى المنصور . وعندما سار المنصور لحرب الثوار فى بلدهم ، لم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، إذ هزمهم « وقتل من كتامة مقتلة عظيمة » . وينتهى أمر الثائر بأن سلمه بعض خدمه الى أبى زعبل الذى بعث به الى المنصور ، الذى قتله شر قتلة ، وشحن بلد كتامة بالعمل والعساكر (١٩) ، ثم انه عاد الى أشير (٢٠) .

(١٥) النويرى ، ص ٣٢٢ .

(١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(١٧) النويرى ، ص ٣٢٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٧ .

(١٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ .

(١٩) النويرى ، ص ٣٢٣ .

(٢٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ .

طاعة سعيد بن خزون الزناتى والعهد له بطبنة :

وفى أشير أتى الى المنصور فى نفس السنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، سعيد ابن خزون الزناتى معلنا الدخول فى طاعته ، فأحسن المنصور استقباله وقربه من نفسه حتى توثقت العلاقة بينهما ، فعهد المنصور اليه بولاية طبنة أى بلاد الزاب ، كما وثق الروابط بينهما بالمصاهرة ، فزوج ابنه ببعض بنات سعيد بن خزون (٢١) . ومن الواضح أن سعيد بن خزون أناب عن نفسه بعض أعوانه فى طبنة سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م لكى يرجع الى أهله حيث بقى هناك الى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، ثم انه عاد الى ولايته طبنة سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م ، ومنها قصد المنصور زائرا ولكنه اعتل وتوفى فى أول رجب / ٢ سبتمبر ، من نفس السنة . وعندئذ قدم ابنه قفل بن سعيد على المنصور لكى يخلف والده على ولاية طبنة (٢٢) . وبذلك يكون المنصور قد تخفف من عبء حكم ولاياته الغربية بطريقة مباشرة ، بمعنى توجيه اهتمامه الى قلب المملكة ، ولاية أفريقية وبلاد القيروان . فالمهم هنا هو أن القيروان بدأت تحل محل أشير كمقر رسمى للأمير ، وهى المسألة التى تعنى الغاء الكيان المتمثل فى العمالة الأفريقية ، وبالتالي وحدة المملكة الزيرية بعد أن كانت شبه امارة متحدة ، حسب تخطيط المعز لدين الله .

عامل افريقيا تابعا للأمير :

وهكذا كان المنصور هو الذى يعهد بولاية خراج القيروان سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م الى محمد بن عبد القاهر بن خلف ، وذلك بعد وفاة المرصدي صاحب الخراج هناك (ابن عذارى ج ١ ص ٢٤٥) . وفى السنة التالية ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، كان المنصور يدخل قصره الجديد بالمنصورية وسط ترحيب أهل القيروان لكى يعزل «صاحب أفريقية» نائبه فى البلاد ، يوسف

(٢١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ - ٦٨ - حيث يجمال ابن الأثير لهذا التحالف الصنهاجى الزناتى سببا عابرا ، هو ان المنصور كان يسأل سعيدا عن تقديره لكرمه . والسمية له فرد سعيد بأنه أكثر كرما من الأمير المنصور من حيث أنه يقدم له نفسه فى مقابل المال ، ونفسه أعز بطبيعة الحال . ويضيف ابن الأثير الى ذلك انه عندما لام المنصور بعض أهله ، قال : كان أبى وجدى يستتبعانهم (الزناتية) بالسيف ، وأما أنا فمن رمانى برمح رميته بكبس ، حتى تكون مودتهم طبعاً واختياراً (ج ٩ ص ٦٨) . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث النص على ان المنصور زوج ابنته لوروا بن سعيد . (٢٢) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ (سنة ٣٨١ هـ) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٢ هـ) - حيث دمجتا الروايتين لتكمل احدهما الأخرى . كما يقتضى السياق .

«ابن أبي محمد» ، محب الحياة الناعمة ، وعاشق الورد ، لكي يستعمل بدلا منه على البلاد أبا عبد الله محمد بن أبي العرب (٢٣) . ومنذ سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢ م كانت الأحوال مستقرة في أفريقية وبرد القيروان ، فلا ذكر لأعمال شغب أو اضطراب ، بل احتفالات ومظاهر رخاء ، من ظهور ولي العهد أبي مناد باديس ، ووصول سجل عهده من القاهرة ، وهدايا بلد السودان والهدية التي أعطيت لفنفل (٢٤) ، والاحتفال بوصول ولي العهد من المغرب وأشير ، بعد أول رحلاته هناك ، ووصول هدية من مصر فيها فيل عظيم (٢٥) ، كما تذكر وفاة الأمير عبد الله بن يوسف ولكن ، وقولية القائد يوسف بن أبي محمد ، صاحب أفريقية السابق ، على مدينة متيجة ، ووصول سفارة من مصر بانتصار قوات الخلافة في حلب من بلاد الشام (٢٦) ، الى أن تأتي وفاة المنصور في ٣ ربيع الأول سنة ٣٨٦ هـ / ٢٧ مارس ٩٨٦ م ، خارج صبرة المنصورية ، حيث دفن في قصره ، ثم ولاية ابنه أبي مناد باديس الذي كان صبيا في الثانية عشرة (١٢) من عمره (٢٧) .

باديس ما بين خلافة الحاكم في مصر وولاية عمه حماد في أشير :

يعتبر عهد باديس من المراحل الهامة في تاريخ الدولة الزيرية ، وذلك من وجهين : أولهما يتعلق بالخلافة حيث عاصره الخليفة الحاكم بأمر الله ، الذي ارتقى العرش في نفس السنة ، والحاكم ما هو معروف عنه من الاغراق في التطرف ، الى حدود ما يعرف الآن باللامعقول ، مما كان يسمح بأن تصل العلاقة بينهما الى ذروة التوتر . والوجه الثاني هو استعمال عمه حماد بن ولكن واليا لأشير ، الأمر الذي يعتبر من العلامات البارزة بالنسبة للدولة الزيرية بأفريقية والقيروان ، لما ترتب عليه من انقسامها الى مملكتين ، احدهما في القيروان والمهدية ، والأخرى يستقل بها في القلعة وبجاية أبناء حماد .

والحقيقة أن ملك باديس الصبي الصغير كان يمكن أن يكون موضع

(٢٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ - حيث يرى بين عزل يوسف واتهام أحد عبيد المنصور المعروف بالبروني وابنه بالحيانة في المال .
(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٢ هـ) .
(٢٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٦ (سنة ٣٨٤ هـ) .
(٢٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ (سنة ٤٨٥ هـ) .
(٢٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

سك منذ البداية بسبب ما يثقل من محاولة تقض العهد من جانب بنى زيرى
أعمام أبيه ، لولا الموقف الصلب الذى أظهره حرس باديس من العبيد
السود ، وكذلك عبيد أبيه . وساعد على تأكيد ولاية باديس وصول عمه
يطوفت (أبى بيباش) وإلى تاهزت والمغرب ، لعزاء باديس فى والده المنصور ،
والتهنئة بولايته للعرش ، وذلك فى أواخر شهر شعبان/أغسطس (٢٨) .
وأغلب الظن أن باديس خرج عندئذ الى سردانية لتلقى التعزية فى والده ،
والتهنئة بولايته (٢٩) . وتأكدت شرعية ولاية باديس فى ربيع الثانى
من السنة التالية (٣٨٧ هـ /ابريل ٩٩٧ م) ، عندما أتى سجل الخليفة
الحاكم من القاهرة بولايته وتلقينه بـ « تصير الدولة » (٣٠) . وببيعه
باديس ، وجماعة بنى مناد ، للخليفة الحاكم تكون امارة باديس بن المنصور
قد تكرست تماما (٣١) .

هذا ، ولا ندري ان كان هناك مجال لذكر خروج ذلك الرجل الصنهاجي
المسمى خليفة بن مبارك ، فربما كان الرجل مريضا نفسيا ، اذ اكتفى
بالتشهير به ثم بسجنه تحقيرا لشأنه (٣٢) .

سمات الدولة البربرية أيام باديس :

ما بين الامارة وعمالة الخراج :

أما عن تولية باديس مدينة أشير ، قاعدة صنهاجة ، لعمه حماد فقد
تم فى شهر صفر من سنة ٣٨٧ هـ /فبراير ٩٩٧ م ، حيث خرج حماد الى
عمله بأشير مزودا بالخيول والسلاح والعدد (٣٣) . وإذا كانت رواية ابن عذارى
ترد ذلك بالقول عن حماد انه اتسعت عمالته وكثرت عساكره وعظم
شأنه (٣٤) ، اشارة الى ما سوف يحدث فيما بعد من تحول حماد فى أشير
الى مركز قوة يخشى خطره من قبل باديس ، مثل أن يكون له دولته المستقلة،

(٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

(٣٠) النويرى ، ص ٣٢٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩

١٢٧ .

(٣١) أنظر النويرى ، ص ٣٢٤ ، ابن الأثير ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ .

(٣٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٧ ، النويرى ، ص ٣٢٤ .

(٣٤) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٨ ، النويرى ، ص ٣٢٤ .

كما حدث على عهد المعز بن باديس ، فإن العهد بأشير إلى عمه حماد يعني تنازل الأسره عن مهدها ، وترثه مؤسسها الأول زيري بن مناد ، فكان باديس ورجال دولته قد قبلوا التخلي عن ارض الوطن للعم وبينه ، وكان الحمادين أصبحوا ممثلي دولة صنهاجة الناهضة في المغرب ، بينما تحولت سلالة المنصور ممثلة في باديس ومن جاء بعده ، إلى افارقة قيروانيين ، أقرب إلى جماعة الأغلبه منهم إلى الفاطميين الذين كانوا سم أنفسهم نوايا لهم ، الامر الذي يفسر القطيعة المنتظرة ، وبخاصة على المستوى الديني والمذهبي .

والخلاصة هي أن بقاء باديس في القيروان والمهدية يعني أنه حل مكان عامل اريقيه صاحب الخراج ، الذي كان تابعا للمعز لدين الله من وجهة النظر التنظيمية ، وذلك في مقابل حماد ، صاحب اشير ، الذي حل محل الأمين القائد ، صاحب السلطة العليا في الولاية - الأمر الذي يفسر واقع الحال فيما تواتر من الأعمال التي أدت إلى تكريس انقسام الدولة إلى مملكتين زيرية وحمادية ، بكل منهما عاصمتها ، وكتابها ووزرائها ودواوينها المختلفة ، إلى جانب جيوشها وأساطيلها الخاصة وسياساتها المميزة ، وعلاقاتها الدولية النابعة من خصوصية مصالحها . وهكذا كان حماد في بداية أمره في اشير ، القائد صاحب الحروب الخاوجية ، بخاصة في بلاد المغرب ، فهو « المشير » أو « مارشال » أفريقية ، حسب المصطلح الحديث (٣٥) .

فعندما يصدر باديس أوامره سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م إلى كاتبه محمد بن أبي العرب بالمسير نجدة إلى عمه يطوفت بتاهرت ، يعرج ابن أبي العرب على أشير ، معدن صنهاجة ، لكي يصحب حمادا بعساكره إلى هناك (٣٦) . وفي سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م كان حماد يبعث برسله إلى ابن أخيه الأمير باديس يخبره بأعماله الحربية ضد عمه ماكسن بن زيري ، عم والد باديس ، وضد أبنائه وقتلهم (٣٧) . وبذلك تحول الأمير الصنهاجي متمثلا في باديس - إلى

(٣٥) أنظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٨٥ - حيث وصف حماد بأنه « كان فريد دهره وفحل قومه ، ملكا كبيرا وشجاعا ثباتا ، وداهية حصيفا » .

(٣٦) النويري ، ص ٣٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ .

(٣٧) النويري ، ص ٣٢٨ - حيث النص على قتل ماكسن وأبنائه : محبذو وباديس .

وحبذة .

- ٣٣٩ -

«هلك يملك نظريا ولا يمارس عمليا» حيث يقوم نوابه بمختلف الأعمال .
«خعب» الحرب على وزيره الكاتب ، عامل افريقيه ، وعمه القائد ، عامل أرض
الوطن الاصلية - اشير . وعندما يموت محمد بن ابي العرب سنة ٣٩٦ هـ /
١٠٠٥ م ، يعهد بديس بوظيفته السامية ، الى ابنه القاسم ، وهكذا الأمر
بالنسبة لسائر الوظائف كالقضاء مثلا أو وظيفة المظالم التي كان الأمير
يعتمد على صاحبها في اقرار الأمن الى جانب تحقيق العدالة . والمثل لذلك
صاحب المظالم محمد بن عبد الله (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) الذي
عرف بوطاته الشديدة على أهل الفساد ، من : الضرب والقتل وقطع الأيدي
والأرجل دون رحمة أو شفقة (٣٨) .

انتفاضة كتامية :

ومن الأمور المستغربة حقا ، تلك الثورات الصغيرة التي تظهر في
شكل أعمال فردية غير مبررة من جانب أصحابها مثل تلك الثورة التي قام
بها سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م أمر بالمعروف يشتغل بالتعليم ، فدعا لنفسه ،
سولكنه قبض عليه وحمل الى القيروان حيث شهر به ثم قتل مع واحد من
كبار أصحابه . ومن المهم الإشارة الى ما تقوله الرواية من أنه وجد مع هذا
«الثائر خريطة فيها أن أمره يظهر في كتامة (٣٩) ، فكان دعوة ذلك الأمر
بالمعروف كان المقصود منها التمهيد لثورة كبيرة في بلاد كتامة ، الأمر الذي
قد يثير علامات استفهام عن موقف محتمل للخلافة أو بعض أعوانها من تلك
الثورة .

نهاية باديس وهو يحاصر عمه حماد بالقلعة :

وإذا كان باديس قد تخفف في حروبه ، وخاصة تلك التي كانت ضد
بنى زيري الصنهاجيين ، اعتمادا على عمه حماد ، فانه سيضطّر في النهاية
الى قيادة عسكره ضد عمه حماد ، بعد أن فشل في اقتناعه بالتنازل عن بعض
اقطاعه لولي عهد المملكة ، المنصور بن باديس الذي توفي بعد قليل أثناء
حصار باديس لقلعة حماد . فكان ذلك مما عجل بوفاة باديس فجأة ، هو
«الآخر أثناء الحصار على ما نظن - وذلك ليلة الأربعاء ٣٠ من ذي القعدة سنة
٤٠٦ هـ / ١٠ / مايه ١٠١٦ ، وولى بعده ابنه الصبي الصغير المعز بن باديس

(٣٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(٣٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ .

وان أعلنت ولاية عمه كرامت مؤقتا بمدينة المحمدية (المسيلة (٤٠) ، التى كانت معتبرة من حواضر الزاب الهامة ، حيث كان ذلك الاجراء يقيم فيها نوعا من التوازن مع نفوذ عم أبيه حماد بن بلكين .

الصراع ضد الزناتية :

منذ قيام الدولة الفاطمية فى بلاد أفريقية واصطناعها اكتاميين أنصارا ، كان من الطبيعى أن يصبح الزناتية فى البلاد وفى الأقاليم المجاورة - سواء فى الزاب أو أوراس أو الجريد ، وحتى فى وادى شلف وتلمسان من المغرب الأوسط - خصوما طبيعيين للدولة ، من حيث كونهم من بربر البتر الرحل ، عكس اكتاميين البرانس الحضري ، وهذا ما يفسر ثورة زناتة العظمى تحت قيادة أبى يزيد النكارى ، صاحب الحمار ، وظل الحال على هذا المتوال على عهد الزيريين اصنهاجين الذين كان لهم دورهم فى انقضاء على تلك الثورة الزناتية ، عندما قدموا العون الى القائم ثم المنصور . ومن المهم الإشارة الى أن ذلك الصراع بين الفاطميين والزناتية كان قد تطور منذ البداية الى صراع تاريخي بين الفاطميين فى المهديّة وبين الأمويين فى قرطبة ، من حيث أظلت دولة الأندلس الأموية كل خصوم الفاطميين فى أفريقية والمغرب بحمايتها ، منذ بداية عصر الهيمنة الأندلسية بوصول عبد الرحمن بن محمد الى سدة الامارة فى قرطبة ثم اتخاذه اللقب الخلافي ، الناصر لدين الله ، كمنافس شرعى للفاطميين العلويين من آل البيت الشرفاء .

وبالقضاء على ثورة أبى يزيد النكارى انكسرت شوكة الزناتية فى أفريقية فانزاحت أعداد كبيرة من قبائلهم نحو الغرب الى المغربين الأوسط والأقصى ، وهو الأمر الذى واصله جوهر سنة ٣٤٧ هـ / ٩٥٨ م على عهد المعز ثم سنهاجة بعده على يدى زيري الذى راح سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ضحية تحالف الزناتية ضده (أنظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ ، ٣٠٠) ، فكان عليهم أن يدفعوا ثمن ذلك غالبا على يدى ابنه بلكين الذى طاردهم فى المغرب الأقصى حتى سبتة ، الأمر الذى انزعجت له حكومة قرطبة فاستتفرت جيوشها وأساطيلها ، كما حاولت استرضاءه بوقوفها ضد من قتل والده ، فى الوقت الذى تنبه فيه بلكين الى أن قتال سبتة لا يتحقق الا بمؤازرة الأسباطيل البحرية (ص ٣٤٣) .

(٤٠) الزيرى ، ص ٣٣٤ . وأنظر فيما بعد ، ص ٣٨٠ - حيث كان المعز وقتئذ بالمهدية من حيث انتقل الى المنصورة .

وبفضل نجاح بلكين في حربه لزناطة في المغرب الأقصى على أواخر أيام المعز لدين الله في إفريقية ، اطمأن المعز الى اختياره نائباً عنه في حكم البلاد . بعد أن أوصاه بالا يرفع السيف عن البربر يعنى عن زناطة ، فدان استخدام الوحشة بينه وبين زناطة كان أيضاً من الأسباب التي جعلت المعز لدين الله يأمن تغلب بلكين على البلاد ، كما يقول ابن الأثير (٤١) - فكان المعز وهو يطلب من نائبه ألا يرفع السيف عن البربر كان يقصد ، في نفس الوقت ، أن يكون ذلك دعماً لمبدأ توازن القوى الذي أراد اقامته في المغرب حتى لا ترجح كفة فريق على الآخرين .

والظاهر أن البقية الباقية من الزناطية كانوا قد استكانوا لسلطات الدولة داخل إفريقية ، كما كان المقيمون منهم على الأطراف قد ضعفوا عن مواجهة بلكين في بداية حكمه منذ أواخر سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م ، ولمدة ٥ (خمس) سنوات حتى سنة ٣٦٧ هـ / ١٩٧٧ م باستثناء ارهاصات خفيفة .

الزناطية فيما بين باغاية وتلمسان :

ففي بداية حكم بلكين عندما ثار أهل مدينة باغاية وهزموا عامله وأخرجوه من المدينة ، كما ردوا الحملة التي سيرها اليهم ، كان التاهرتيون ، في المغرب الأوسط ينتهزون الفرصة ليطردوا بدورهم عامل بلكين هناك . وهكذا اضطر يوسف بلكين الى أن يوجه نشاطه من باغاية التي أجل الانتقام منها الى سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م بعد القضاء على ثورة خلف بن خير صاحب ابن القديم ، الى تاهرت التي كاد يوقع بأهلها ويخرب أسوارها ، لولا أن أتاه الخبر بنزول زناطة على تلمسان (٤٢) . ومن الواضح أن مثل هذه الاضطرابات التي قام بها أهل تلك المدن كان للزناطية يد في تحريكها . فرغم هروب الزناطية في منطقة تلمسان أمام بلكين فإن التلمسانيين أغلقوا أبواب مدينتهم دونه ، الأمر الذي تطلب حصار المدينة لبعض الوقت ، قبل أن ينزلوا على حكمه . ورغم العفو عن أهل تلمسان فإن بلكين نقلهم الى مدينة أشير ، في قلب المنطقة الصنهاجية ، حيث بنوا بالقرب منها مدينة أطلقوا عليها اسم تلمسان « الجديدة » (٤٣) .

(٤١) الكامل ، ج ٨ ص ٦٢٤ .

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٢٢ .

الزناتية يثنون الأسرة المدراية في سجلماسة :

ويسود نوع من الهدنة بين الصنهاجيين والزناتية الى سنة ٣٦٧ هـ / ٧٧ - ٩٧٨ م ، وهو تاريخ ابن عذارى الذى أخذ نابه ، حيث يشتمل الصراع بين الطائفتين فى المغرب الأقصى ، بمعنى صراع الصغار تحت مظلة الكبار ، من الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى مصر (٤٤) .

وهنا كانت زناتة هى البائدة بأشغال نيران الفتنة ، اذ جمع خزرون ابن فلغل (فلغل) بن خزر الزناتى (المغراوى) قوة كبسيرة من قومه . وسار الى سجلماسة ليخضعها باسم الخلافة الأموية فى الأندلس ، ومحمد بن أبى عامر (الحاجب المنصور) . وتم اللقاء بين خزرون بن فلغل وبين صاحب سجلماسة : أبى محمد المعتز ، خارج المدينة فى ٢٥ رمضان ٣٦٧ هـ / ٧ مايو ٩٧٨ م ، وانتهى القتال الشديد بمقتل المعتز ، وسقوط سجلماسة بين يدى خزرون بن فلغل الذى أخذ منها الكثير من العدد والأموال . وانحس هنا هو أن خزرون بعث برأس المعتز الى الأندلس (٤٥) ، اعلانا بالسيادة الأموية على مدينة صحراوات المغرب القصوى ، التى تعتبر من مداخل السودان الغربى وأبوابه ، واعترافا بدخول زناتة فى طاعة المؤيد هشام ، الذى اعتلى عرش قرطبة فى السنة السابقة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م) ، تحت اشراف الحاجب محمد بن أبى عامر ، الذى سيتخذ لقب المنصور اعتبارا من سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م (٤٦) . وبذلك ينتهى ملك بنى مدرار بسجلماسة ،

(٤٤) ونحن هنا نرجع سنة ٣٦٧ هـ / ٧٧ - ٩٧٨ م ، حسب تاريخ ابن عذارى . وذلك من بين الروايات ذات الأصل الصنهاجى المحلى ، حيث نجح ابن عذارى فى حركاته القيمة فى ترتيب الأعمال الحربية التى قام بها بلكين فى المغرب الأقصى ضد الزناتية تريبيا زميا متسللا بشكل مقبول ، ينتهى بنهاية بلكين سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م - سما يحسن ابن الأثير تلك الأعمال اجمالا ، اعتبارا من سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م ، وكذلك الأمر بالنسبة للنويرى الذى يجعلها اعتبارا من سنة ٣٦٩ هـ / ٩٨٩ م ، حسبما فعل ابن خلدون (ج ٧ ص ١٩ ، ٢٨) وحتى سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م .

(٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ - حدث سرمد أعمال بلكين الأخيرة ، دفعة واحدة فى بلاد المغرب الأقصى ، اعتبارا من سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م وذلك بعد أن أقر المرز بلكين فى ولاية افريقية . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٢ - حيث وضع ذلك فى سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م ، وأن أجمل الأحداث كلها دفعة واحدة الى سنة ٣٧٣ هـ مثل ابن الأثير .

(٤٦) أنظر ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٥٣ (من خلافة هشام الصغير) وص ٢٧٩ (من تسمى ابن أبى عامر بالمنصور ، والدعاء له على المنابر) .

ويعظم شأن زناته ويشتهد ملكهم بسجلماسة (٤٧) .

حملة بلكين الأخيرة بالمغرب الأقصى : ما بين فاس وسجلماسة وسبتة :

أما عن رد الفعل فكدن في السنة التاييه ٣٦٨ هـ / ٩٨٨ م حيث خرج بلكين في حملة ردع ضد الزناتية في المغرب الأقصى (٤٨) . وبدأ يوسف بلكين بالتوجه بقواه الضخمة نحو فاس التي استولى عليها ، ثم انه أتبع ذلك بطرد زناته من سجلماسه واستعادها ثم الاستيلاء على كل بلاد الهبط ، ما بين قصر كتامة وساحل البحر المحيط . وبذلك يكون بلكين قد نجح في طرد عمال بني أمية الأندلسيين من جميع البلاد (٤٩) . واستمرت مطاردة زناته الى سبتة آخر ملاجئ الأمويين المحصنة في المغرب الأقصى ، والتي قرر الزعيم الصنهاجي محاصرتها ولكنه بعد أن عاين منعة المدينة المحاطة بسيج من الجبال العالية كالأسوار ، والغابات المتشابكة التي لا تسلك ، والمفتوحة على البحر من جهة الأندلس لتلقى امدادات الطعام والسلاح ، رأى استحالة فتحها دون أسطول بحري كبير (٥٠) . ورغم حصانة سبتة الأسطورية هذه ، فإن الرواية المنقبية تجعل من الزعيم الصنهاجي بلكين ، شخصية غير عادية ، فكانت مجرد اطلالته على المدينة في سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م من أعلى الجبال تثير الرعب في قلوب أهل المدينة ، من زناتية لاجئين وغيرهم ، فيغلقون أبوابهم كما كان حصاره للمدينة يثير الشفاق في قلب محمد بن أبي عامر وهو في قصره بقرطبة ، اذ يحاول استرضاء

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ .

(٤٨) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث يجعل خروج بلكين الى سبتة

سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ثم قوله بعد ذلك برحيله الى المغرب سنة ٣٦٨ هـ (في ٢٥ شعبان) ، نحو فاس وسجلماسة ، وهو التاريخ الذي رجحناه على تاريخ النويري : ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م . وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٢ - حيث يجعل خروج الزناتية الى سجلماسة سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م .

(٤٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ ، النويري ، ص ٣١٤ ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٥ - حيث النص على معانيته

الجبال الشامخة والشعاري الغامضة التي تطلب الامر قطعها واحراقها لفتح طريق تسلكه المسافر الى الموضع الذي يمكن منه الاشراف عليها ، وأنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث الوصول الى سبتة وحصارها ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٩ حيث أطل عليهم بلكين من جبل تطاون ، فرأى ما لا قبل له به فارتحل ، وأشغل نفسه بقتال برغراطة الى أن هلك منصرفاً من الغرب سنة ٣٧٢ هـ .

يلكن ، فيرسل اليه رأس عدوه ، قاتل أبيه وهو جعفر بن علي بن الأندلسي ، وكان ابن عامر قد سخط عليه وقتله سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م (٥١) .

وهكذا رجع يوسف بلكن عن سبته التي بقيت وحدها ، دون كل بلاد المغرب بين أيدي الأمويين بالأندلس والمنصور بن أبي عامر ، خارج سلطانه ، ومضى نحو مدينة البصرة ، وهو يسوق أمامه قبائل زناتة الهاربة منه الى الرمال والصحارى (٥٢) . ومن البصرة عرج على اصيلا - غرب طنجة (٥٣) - التي كانت لقبائل نواتة وكتامة وهوارة ، والتي كانت خاضعة للأداسة من بني محمد منذ سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م (٥٤) ، فكان مصيرها نفس مصير البصرة - على ما يظن - ثم انه واصل المسير غربا الى تامسنا ، بلد قبائل برغواطة ، المعروفة بانحرافات المذهبية والزندقية ، وذلك على عهد ملكهم صالح بن عيسى بن أبي الأنصار الذي « جعلوه نبيا ، وشرع لهم شريعة ، فاتبعوه فضل وأضلهم » (٥٥) .

حرب برغواطة ومحاولة القضاء على زندقته :

وكانت الحرب الدينية في بلاد برغواطة شرسة لا توصف وان انتهت بظفر بلكن بعيسى بن أبي الأنصار ، وهزيمة عساكره الذين قتلوا قتلا ذريعا . أما عن السبي الذي أخذ من نسائهم وأبنائهم والذي أرسل الى أفريقية ، فقد استقبله عامل الولاية : عبد الله الكاتب مع أهل القيروان والمنصورية (٥٦) ، يوم السبت ٨ ربيع الأول ٣٧١ هـ / ١٢ سبتمبر

-
- (٥١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣١ - حيث مقتل علي بن جعفر ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م .
 وج ٢ ص ٢٧٩ - حيث النص على أن المنصور دبر قتل جعفر بن علي عندما أسكره وبعث وراءه من قننه ، وأنه بعث بالرأس التي كانت محفوظة في غيران في القصر أو مدفونة في بعض حوائطه ، سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م ، أي في آخر مراحل الحملة البلكنية بالمغرب ، ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٥ .
 (٥٢) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٠ - حيث النص على انها هدمت ونهبت حتى صارت كأن لم تغن بالأمس ، فلم تكن بصرة بالمغرب الى الآن ، ودثر رسمها .
 (٥٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٦ .
 (٥٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٥ .
 (٥٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٥ .
 (٥٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٧ .

٩٨١ م (٥٧) ، وقالوا فيه : « انه لم يدخل اليهم من السبي مثله قط » (٥٨) . ولا بأس أن يكون الهدف من كثرة السبي من الذراري هو تأهيلهم دينيا ومذهبيا ولغويا (عربيا) حتى يمكن فيما بعد استخدامهم كعمال مخاصين للامارة الصنهاجية والخلافة الفاطمية ، أو فيما يمكن أن يفيد في زيادة الروابط بين البرغواطيين ، أهل تامسنا ، وبين أهل أفريقية ، والقيروان من صنهاجيين وغيرهم .

واستمر بلكين في حملته العسكرية القوية ، وهو يؤكد سلطانه في فاس ، العاصمة وسجلماسة وبلاد الهبط والبصرة . وتامسنا طوال ما يناهز الخمس سنوات ، ٣٦٨ / ٩٧٨ - ٦٧٣ هـ / ٩٨٣ م (٥٩) . وخلال تلك الفترة التي ملك فيها أبو الفتوح يوسف بلكين كل بلاد المغرب ، كانت السجلات والرسائل الرسمية ترد عليه من مصر ، فتصله على البريد الى فاس أو غيرها ثم ترجع الى عامل افريقية فتقرأ بعد مدة من تاريخها (٦٠) . وكانت الرسالة التي وجهتها الخلافة الى بلكين تطلب منه ارسال ألف فارس من بينهم أبناء زيري الى القاهرة ، ضمن السجلات التي مرت بالمغرب الأقصى قبل أن تعود الى مستقرها في القيروان سنة ٣٧١ هـ / ٩٨١ م . وحق وقتئذ للأمير الصنهاجي أن يجيب الخلافة من المغرب يتغلب بنى أمية على المغرب ، وأن الدعاء لهم على المنابر ، وأنه يحاربهم بأخوته بنى زيري ، والا ترك الغرب وسار معهم الى الخليفة (٦١) .

نهاية بلكين واسترجاع الزناتية فاس وسجلماسة :

والظاهر ان جهاد برغواطة ، ومحاوله تأهيلهم دينيا حسب تعاليم الاسلام الصحيح استغرقت كثيرا من الوقت . وذلك أن النصوص تشير الى أن وفاة يوسف بلكين كانت في أواخر سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م عند قفوله

(٥٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٨ .

(٥٨) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، النويري ، ص ٣١٦ ، قارن ابن عذارى ، ج ١

ص ٢٣٧ .

(٥٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٧ - حيث النص على أنه ملكها ، وأهل سبته منه

خائفون . وزناتة مشردون ، قارن ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، والنويري ، ص ٣١٦ - حيث

المدة من ٣٦٩ الى ٣٧٣ .

(٦٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٧ .

(٦١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٨ .

من قتال برغواطية حيث عرج على سبجلماسه ، ومنها اتجه مخترقا الصـ
نحو المغرب الأوسط * وفي الطريق وصلته أنباء رجوع الزناتية بقيـ
خزرون بن فلعل الى سبجلماسه ، وطردهم عامله واستيلاهم عليها ، كم
فاس تعرضت هي الأخرى لغزو زيري بن عطية الزناتي (المغراوي)
العودة الى الغرب ، ولكنه مات في موضع وارجلان من مرض القولنج ،
الاحد ٢٣ ذى الحجة ٣٧٣هـ / ٢٨ مائة ٩٨٤م (٦٢) *

وهكذا وقع على عاتق الأمير منصور مهمة استنقاذ كل من مدـ
فاس وسبجلماسة من أيدي الزناتية ، وكان على أخيه يطوفت ، بصفتـ
تاهرت والمغرب ، أن يقوم بالتنفيذ ، عندما يصدر له الأمر بذلك -
ما حدث في سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٣م *

زيري بن عطية يدافع عن فاس أمام يطوفت :

وفعلا خرج يطوفت بالعساكر والعدد الى بلاد المغرب ، واتجه صـ
فاس وسبجلماسة ولكن التجربة الحربية أثبتت ان والى تاهرت والمغـ
الصنهاجي لم يكن ندا لزيري بن عطية (المغراوي) المتغلب على فاس
اذ لم يكد الجيش الصنهاجي يقترب من فاس حتى عاجله زيري الملقـ
بالقرطاس ، بهجوم كاسح انتهى بهزيمة شنيعة ليطوفت ورجاله الـ
تبعهم الزناتيون بالقتل والأسر ، حتى تمت عليهم الهزيمة الساحقة
تاهرت دفعة واحدة * وهكذا عاد يطوفت الى ولايته وقد ترك قائدين
كبار قواده بين يدي خصومه ، أحدهما هو ابن عامل الذي قتل ، والآخر
ابن شعبان الذي شهر به مسمر على الباب الرئيسي بفاس (٦٣) * وبذـ
النصر المؤزر ثبت زيري بن عطية قدمه في ولايته (٦٤) ، وبدأت دولة زـ
في فاس *

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤ ، النويري ، ص ٣١٦ ، ص ٣١٨ - حيث النص
ان زناتة ملكت تلك البلاد بعد موت بلكين ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٩ -
التاريخ ٢٠ ذى الحجة / بدلا من ٢٣ منه ، وص ٢٤١ - حيث النص على ان الزناتية استـ
على كل من سبجلماسة وفاس بعد وفاة بلكين * وانظر فيما سبق ص ٣٠٨ *

(٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ ، وقارن النويري ، ص ٣١٨ ، وابن الأثير ، ج
ص ٤٦ *

(٦٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٥ - ١٨٦ -
يذكر أن الخليفة العزيز بعث من مصر : الحسن بن كنون الادريسي لاسترجاع ملكه بالمغرب

١. القتل في مواجهة زناتة :

وعلى عكس ما يصف ابن عذارى المنصور به ، من : الصرامة والعزم (١٥) ، وعلى عكس ما أظهره المنصور من العنف والقسوة التي لا تعرف الشفقة والرحمة مع كاتبه الوزير عبد الله بن محمد الكاتب (ما سبق ، ص ٣١٢) أو ما أظهره من الهمجية والوحشية مع داعي الخلافة انشأ في كتامة أبي الفهم الخراساني ، الذي أكل العبيد وصنهاجة أيضا لحمه فلم يبقوا الا على عظمه (ما سبق ، ص ٣٣٣) ، فقد اتضح خداع هذه المظاهر الكاذبة ، اذ كان الرجل ضعيفا ، من ذلك النوع من الرجال الذي لا يتحمل مواجهة الصعاب . فهو يتحسس عندما يصله خبر هزيمة أخيه يطوفت ، ويخرج من قصور المنصورية يوم الأربعاء ١٣ من ذي الحجة سنة ٣٧٤هـ / ٨ مائة ٩٨٦م ، برسم التوجه الى الغرب ، ويصحب معه وزيره عبد الله الكاتب الذي استخلف ابنه يوسف على القيروان . ولكن المنصور لا يلبث أن يغير رأيه فيبقى في أشير ، ويوجه منها أخاه الآخر عبد الله على رأس جيش الى تاهرت ، نجدة لأخيه يطوفت (٦٦) . ولكن القتل يكتمل تماما بوصول يطوفت الى أشير ، ويصاب المنصور بما يشبه عقدة الزناتية ، « فلم يتعرض بعدها لشيء من بلد زناتة » (٦٧) .

طبعة ولاية زناتية بالوراثة : أسرة سعيد بن خزون :

وهكذا لا تشير النصوص الى صراعات صنهاجية زناتية ، الأمر الذي يعنى عدم الاعتداء أو حسن الجوار لمدة خمس سنوات ، الى أن يأتي الزعيم

وان المنصور بن أبي عامر بعث لحربه قريبه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر الملقب بمسقلجة سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م ومن معه من الزناتية ، فألجأوا الحسن الى الطاعن . وبعد عودة مسقلجة عقد المنصور على المغرب للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي ، وأثناء سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م وعندما استقل زيري برئاسة مفراوة بعد موت أخيه مقابل بن عطية سنة ٣٧٨هـ / ٩٨٨م بقي الوزير الحسن بن أحمد الى أن قتل سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م فعقد له المنصور فاستفحل ملكه حتى غلب على تلمسان فملكها من يد أبي البهار الصنهاجي ، وبعث بالفتح الى المنصور فجدد له العهد . وزيرى بن عطية (الترطاس) هو باني مدينة وجدة سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م حيث أنزل بها عساكره ، واتخذها حاضرة له بسبب موقعها المتوسط في بلاد المغرب - قبل أن يفسد ما بينه وبين المنصور كما يأتي (ص ٣٦٣) .

(٦٥) البيان ، ج ١ ص ٢٣٩ .

(٦٦) النويرى ، ص ٣١٨ .

(٦٧) النويرى ، ج ١ ص ٣١٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤١ .

الزناتى سعيد بن خزرون ، الذى كان والده قد استولى على سجلماسة ، وفضى على الأسرة المدراية فيها سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م (ما سبق ، ص ٣٤٢) طالبا ادخول فى طاعة المنصور ، الذى أحسن استقباله وقرية من نفسه حتى استعمله على مدينة طبنة - عاصمة الزاب العريقة - بل انه أكد ذلك التقارب بالمصاهرة - فزوج ابنه ببعض بنات سعيد (٦٨) .

وهكذا يكون المنصور قد تخفف من عبء ولاية الزاب وطبنة بالعهد بها الى الزعيم الزناتى ، الذى كان يمكنه أن يستخلف عليها بعض أعوانه لكى يسير الى أهله فى المغرب ، حيث يمكث لديهم الى سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، عندما عاد الى ولايته ثم قام بزيارة للمنصورية حيث أنزله المنصور بقصره ، وأجرى عليه النفقات الواسعة . ولو ان سعيد بن خزرون لم يلبس نأ اعتل ومات فى الحضرة الأفريقية ، فى أول رجب سنة ٣٨٢ هـ / ٢ سبتمبر ٣٩٢ م ، فاحتفل المنصور فى تجهيزه حتى أنه كفنه بـ ٧٠ ثوبا . وبعد فترة وجيزة وصل الى المنصور فلعل بن سعيد فأغلق عليه الهدايا الثمينة ، ثم انه رده الى مدينة طبنة أميرا عليها ، فكان ولاية طبنة كانت مهياة لتكون وراثية فى آل خزرون الزناتية (٦٩) .

أما ما يذكره ابن عذارى فى حولياته سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م من وصول ولى عهد المنصور ، وهو الأمير أبو مناد باديس من أول حركة له من جهة الغرب فلا يذكر عن موضوعها شيئا ، وان كان أبوه قد خرج لاستقباله مع أهل القيروان ، الأمر الذى يعنى تدشين ولى العهد كقائد معتمد (٧٠) ، ولو كانت الحركة عبارة عن أول زيارة لأشير - مهد الوطن الصنهاجى

(٦٨) أنظر ابن الأثير ؛ ج ٩ ص ٦٧ - ٦٨ ، حيث الاشارة الى ان تولية سعيد بن خزرون لطبنة جاءت بطريقة عفوية عندما قام الجدل بين الرجلين حول الجود وايهما أكرم من الآخر ، فقال ابن خزرون المعتز بنفسه أنه أكرم من باديس من حيث أنه يقدم له نفسه بينما الأمير يقدم له المال ، والنفس أعز من المال . كما هناك رواية أخرى تقول انه عندما لام المنصور بعض أهله لما كان يفعل بالزناتى الذى هو بمثابة عدوه ، قال : « كان أبى وجدى يستمعانه بالسيف ، وأما أنا فمن رمانى برمح رميته بكس حتى تكون مودهم طبعاً واختياراً . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث النص على أن المنصور زوج ابنته من ورد بن سعيد .

(٦٩) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٧٠) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .

سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، بصحبة الجدة يعلن (٧١) .

هزيمة فاحشة لقواد صنهاجة الكبار على يدى زيرى بن عطية أول عهد باديس :

وعلى عهد أبى مناد باديس الذى خلف والده المنصور الذى توفي يوم الخميس ٣ ربيع الأول ٣٨٦ هـ / ٢٧ مارس ٩٩٦ م ، يعود الصراع من جديد مع الزناتية على المستويين الخارجى فى تاهرت ، ضد زيرى بن عطية ، والداخلى ضد قفل بن سعيد فى الزاب وفى طرابلس .

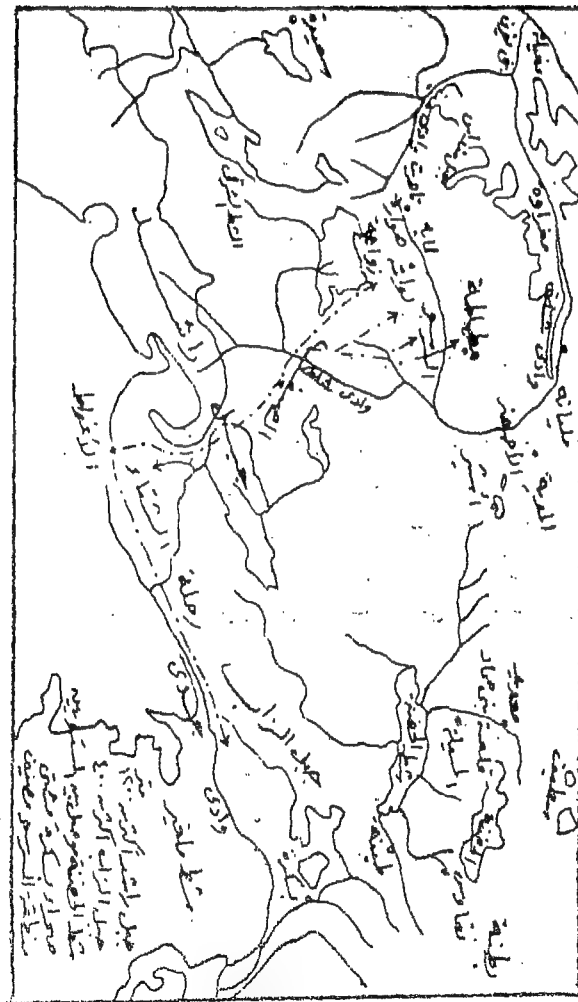
ففى سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م قام صاحب فاس وما ولاها من بلاد الغرب ، وهو زيرى بن عطية الزناتى (المغراوى) بالزحف فجأة على تاهرت ، حيث كان يلبيا للمنصور عمه يطوفت بن ولكن الذى كتب اليه يطلب المدد . وصدرت الأوامر من قبل المنصور الى وزيره الكاتب محمد بن أبى العرب بالخروج بالعساكر نجدة ليطوفت فى تاهرت . وخرج ابن أبى العرب من المنصورة فى ١٥ صفر / ٦ فبراير نحو أشير حيث كان عليه أن يسير فى صحبة واليها حماد بن ولكن وعسكره نحو تاهرت . وهناك اجتمع مجلس الحرب فى أول جمادى الأول / ٢٠ ابريل برئاسة القواد الثلاثة : يطوفت والى تاهرت ، وحماد والى أشير ، وابن أبى العرب عامل افريقية ، على بعد مرحلتين من موقع القرطاس : زيرى بن عطية ، فى موضع يعرف بـ « آمسار » (٧٢) (أنظر شكل ٧ ص ٣٥٠) .

والذى يفهم من النصوص ان القوة الرئيسية فى الجانب الصنهاجى كانت قوة أشير ، قلب الوطن الصنهاجى ، وعلى رأسها حماد بن ولكن ، قائد الدولة أو مشيرها (المارشال) وان أكثر عسكره ، وخاصة الوتلكتانيين منهم ، كانوا يكرهونه لاساءته اليهم على يدى غلامه خلف الحميرى الذى

(٧١) ادريس (هادى - روجيه) ، بلاد المغرب (البربر) الشرقية على عهد الزيريين ، بالفرنسية ، ج ١ ص ٧٣ ، هـ ١٦٧ - حيث الاشارة الى المؤنس لابن أبى دينار وان البيان لابن عذارى يهمل الكلام عن جده باديس . والحقيقة ان ابن عذارى أسقط رحلة الذهاب سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، وبذلك يكون الفضل لابن أبى دينار فى الاحتفاظ لنا بتلك المعلومة الطريفة (المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٧٩) .

(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، النويرى ، ص ٣٢٥

- حيث اسم الموقع آمسار .



أقليم تاهرت مع طينة والخضيرة ونسكة

(شكل ٧)

سماهم الخسيف . وفى هذه الظروف غير المواتية تم اللقاء بين العسكرين وكان من الطبيعى أن يهزم العسكر الصنهاجى أمام الزناتية ، رغم الحرب الشديدة التى دارت بين الطرفين ، ورغم محاولات عامل أفريقية ، محمد بن أبى العرب ، التى لم تنجح فى رد المنهزمين من التلكتانيين ، الأمر الذى أدى الى هزيمة الجيوش الثلاثة هزيمة تامة ، وصلت الى أشير . وكان ذلك يعنى ضياع كل محلات القواد الصنهاجية بما فيها من عدد وأموال وعتاد . كما قتل الكثير منهم أثناء الهزيمة المروعة ، وأسر الكثير أيضا وذلك فى يوم السبت ٤ جمادى الأولى سنة ٣٨٩هـ / ٢٢ ايريل ٩٩٩م .

وظهر زيرى بن عطية بمظهر رجل الدولة الأريب ، فقد اكتفى باحتواء ما كان فى المعسكر الصنهاجى ، وعامل الأسرى معاملة كريمة . وعندما وصل الى تاهرت أحسن الى أهلها ووعدهم الجميل ثم انه تفضل على الأسرى فأطلقهم ، فرجعوا الى أشير (٧٣) .

باديس يقود الصراع ضد الزناتية فى قلب أفريقية وفى المغرب :

وكما حدث فى بداية عهد المنصور عندما انهزمت القوات الصنهاجية أمام رجال خزرون . فى سجلماسة ، وزيرى (المغراوى) فى فاس ، بقى القواد المنهزمون الثلاثة فى أشير ، دون أن يحركوا ساكنا ، كما بقى زيرى ابن عطية على تاهرت . وعندما وصل نبأ الهزيمة الى المنصورية فى ٢٠ جمادى الأولى / ٨مايه ، أخذ المنصور يتجهز لمواصلة النضال . وكان خروجه للقاء زيرى بن عطية يوم السبت ٢ جمادى الثانية / ٢١مايه ، على طريق بلاد الزاب . وعندما اقترب من طنبنة ، عمالة فلل بن سعيد بن خزرون الزناتى ، بعث فى طلبه ، ولكن فلل - الذى كان على صلة بزناتية فاس - توجس خيفة ، وأرسل اليه يعتذر عن الحضور ، بل ويطلب منه أن يكتب له سجلا جديدا بولاية طنبنة . ورغم اجابة المنصور بطلب تجديد العهد بالولاية ، ورحيله بعيدا عن المنطقة ، فالظاهر أن حمى العصبية الزناتية كانت قد نالت من فلل ، فرأى أن ينضم الى جانب أهله وعشيرته بشكل مكشوف ، وأن ينقل الصراع - وإن كان بشكل انتهازى - الى قلب الأملاك الصنهاجية فى بلاد أفريقية . فلهذا ما يفسر كيف أثقل فلل الزناتى ،

(٧٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، النويرى ، ص ٣٢٥ - حيث اسم الصنهاجيين المخالفين « التلكتانيين » الذى رجحنا عليه قراءة ابن عذارى « التلكتانيين » .

ما بين عشية وضحاها ، الى بدوى جلف ، لا يفهم معنى الاقتصاد المدني . فاحذ ينشر الخراب والدمار فى المنطقة من : طينة الى تيمجس وباغاية التيمجس . حاصرها وافسد جهاتها ، بينما كان نصير الدولة ياديس . متماديا فى سيره ، لا يلتفت اليه - عن غير قصد كما نظن - حتى وصل الى مدينة أشير(٧٤) .

وعندما وصل باديس الى المسيلة رحل زيرى بن عطية عن تاهرت . فقرر متابعته ، ولكنه عندما عرف انه متجه نحو مدينته فاس ، اكتفى بذلك ورأى العودة الى تاهرت ، ومنها سار الى أشير وبصحبه عمه يطوفت الذى آلت اليه ولاية أشير مع تاهرت ، فاستخلف ابنه أيوب على تاهرت مع حامية من ٤ (أربعة) آلاف فارس . وفى أشير عرف باديس بما فعله فلفل بن سعيد من الافساد فى بلاد الزاب ، فسير اليه جيشا مع عدد من كبار قواده . منهم : أبو زعل ، وجعفر بن حبيب ، ومحمد بن حسن ، ثم خرج هو فى اثرهم للملاحقة الزناتى المخرب ، وبصحبه عم أبيه أبو البهار بن زيرى . وكان وصوله الى المسيلة فى أواخر أيام رمضان فعيد بها الفطر(٧٥) .

باديس يحقق انتصارا كبيرا على فلفل بن سعيد الزناتى :

وخلال رحلة العودة ، التى بداها باديس ثالث أيام الفطر (٣ شوال / ١٧ سبتمبر) الى مقره بالمنصورية بلغته فى بلزمة الأنباء السيئة عن انتصار فلفل بن سعيد على العسكر الذى كان سيرهم ، وانه قتل أبا زعل وأسر ابنه حميد ومثل به ، ثم قتله ، بل ان الزناتى أخذته العزة بالاثم فتماذى الى القيروان . وهنا عرج باديس على باغاية التى وصلها فى ١٩ شوال / ٣ أكتوبر ، وعرف ما عاناه أهلها من شدة حصر فلفل لهم الذى استمر ٤٥ يوما ، فكان قراره بمتابعة فلفل بعد أن أقام بها بقية الشهر ، اذ كان رحيله عنها فى غرة ذى القعدة / ١٤ أكتوبر الى مرماجنة(٧٦) .

-
- (٧٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، النويرى ، ص ٣٢٦ .
 (٧٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٠ - ٢٥٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ - ١٥٣ ، النويرى ، ص ٣٢٦ - حيث الاشارة الى ان باديس كان مصرا على صحبة اعمام أبيه اولاد زيرى معه ، وكانوا قد طلبوا البقاء مع يطوفت ، ولكنهم انتحلوا له الاعتذار حتى سبح لهم بالبقاء على أن يلحقوا به فيما بعد ، ولكنهم نكثوا وحاولوا القبض على يطوفت الذى نجح فى الهرب منهم ، وعلق بالامير باديس بالمسيلة ثم صحبه الى افريقية .
 (٧٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، النويرى ، ص ١٢٧ .

وعندما صار باديس الى بنى سعيد كان ذلك ايذانا ببدء المعركة .
الفاصلة مع فلفل بن سعيد الذى زحف اليه يوم ٦ ذى القعدة (٣٨٩هـ /
١٩ أكتوبر ٩٩٩م) . ومن الواضح أن باديس لم يتعجل اللقاء اذ تنص
الرواية على أنه : لم يلقه ولم يلتفت اليه ، الأمر الذى دعا الزناتى أيضا
الى التروى وعدم الاندفاع فى المغامرة . هكذا ، لم يتم اللقاء الا يوم الاثنين
١٠ من ذى القعدة / ٢٣ أكتوبر ، فى ساحة تعرف بوادى أغلان . وفى
مقابل قوات باديس التى حوت صنهاجة والعييد (السودان) كان يجتمع
حول فلفل من أصناف البربر ما لا يحصى من زناتة ، « وكل من فى نفسه
حقد على باديس وأهل بيته » . اما عن القتال فيوصف بأنه حرب عظيمة .
لم ينسج بمثلها صبر فيها الفريقان ، وثبتت صنهاجة بين يدي باديس ،
وانتهت بانتصار باديس وصنهاجة وانهزم البربر وزناتة الى جبل « الحناش » .
حيث أتبعتهم صنهاجة والعييد ، ولكنهم عندما وجدوا تمادى فلفل فى
الهزيمة رجعوا عنه ، وعادوا الى محلته ، ونهبوا ما كان فيها . أما عن نتائج
المعركة فقد أسفرت عن خسارة كبيرة فى الجانب الزناتى حيث قتل منهم
٩ (تسعة) آلاف رجل (٧٧) .

وأرسل نصير الدولة باديس بكتاب الفتح الى القيروان ليقرأ من أعلى
منبر جامع عقبة (٧٨) ، وعاد باديس الى قصوره بالمنصورية ، وسط احتفال
القيروانيين الذين كانوا يخافون من غارة يقوم بها فلفل على مدينتهم (٧٩) .

(٧٧) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ - حيث النص على ٧ آلاف قتل من زناتة ،
ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ - حيث ٩ آلاف قتل من زويلة (زناتة) سوى من قتل من
البربر ، النويرى ، ص ٣٢٧ - حيث قتل من زناتة ٩ آلاف رجل سوى البربر .
(٧٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ .

(٧٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، وأنظر نموذج الزمان لابن رشيق ، ص ٢٩٤ -
حيث النص على أن الشاعر على بن هبة الله اللخمي ، المعروف بـ « العميلة » ، صنع فور
سيدنا نصير الدولة (باديس) قصيدة ذكر فيها وقته بزناة (سد ٣٨٩هـ / ٩٩٩م) ،
مع ذكر مواضع القتال والوقائع وانهزام النوم ، اذ خاطب محمد بن أبى العرب ، الوزير
القائد قائلا :

ولما طغى وبنى فلانسل
دعاك اليه نصير الامام
فماضحت منهم ضباغ الفلا
فطاش به رايه الآخر
وما فوق ذا امرى مفخر
وزارتهم الطلس والانس
(الطلس - الذئاب) .

تحالف أبناء زيرى مع فلفل الزناتى الذى لجأ الى طرابلس :

ومع دخول سنة ٣٩٠ هـ / ديسمبر ٩٩٩ - يناير ١٠٠٠ م ، وصلت الأنباء الى باديس بتحالف عمومة أبيه مع الثائر الزناتى ، فخرج فى طلبهم بصحبة أبى البهار منهم ، الذى كان اعتذر عن قصتهم هذه ، الى قصر الافريقى . وهنا افترق الطرفان فاتجه بنو زيرى نحو الغرب باستثناء ماكسن بن زيرى الذى بقى مع فلفل الذى توغل الى الرمال هاربا ، الأمر الذى دعا نصير الدولة باديس الى الرجوع الى حضرته بالمنصورية . وهنا ، تبعاً لتكتيك الفر والكر الذى يعرفه أهل الصحراء ، رجع فلفل الى منطقة طرابلس ، التى كانت قد بدأت تتململ ، مما سبقت الإشارة اليه (ما سبق ، ص ٣١٨) .

ويمكن أن يستشف من سير العمليات الحربية فى افريقية وفى الغرب ، انه كان هناك نوع من التخطيط المشترك بين الزناتية ، وان كان من الممكن أن يكون قد تم تلقائياً على المستوى الفردى دون اعداد مسبق . فبينما كان فلفل بن سعيد يثير الاضطراب فى طرابلس ، فى شرق الدولة ، كان صاحب فاس فى المغرب الأقصى ، وهو زيرى بن عطية الزناتى يتجاسر على التقدم نحو أشير ، قلب الوطن الصنهاجى . وهكذا كان على نصير الدولة باديس أن يخرج من المنصورية فى شهر رجب سنة ٣٩٠ هـ / يونية سنة ١٠٠٠ م الى رقادة استعداداً للتوجه الى القرطاس : زيرى بن عطية ، ولكنه عندما جاء الخبر برحيل زيرى الى الغرب ، كان على باديس أن يرجع بدوره الى المنصورية (٨٠) .

أسرة زناتية بمدينة طرابلس (انظر شكل ٨ ص ٤٤٥) :

فلفل بن سعيد أميراً :

والحقيقة ان الظروف كانت مواتية لكى يستقر فلفل بن سعيد فى مدينة طرابلس ، وأن يكون فيها ما يمكن أن يشبه بأسرة وراثية حاکمة ،

(٨٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ ، النيرى ، ص ٣٢٨ - حيث الإشارة الى أن هرب فلفل الى الرمال أثر مطاردة باديس له كان فى سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، وبالتالى عودة فلفل الى طرابلس حيث قبله أهلها أحر قبول ، فدخلها واستوطنها .

قبضت على زمام الأمور طوال عشر سنوات الى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ،
عندما توفي فلفل وخلفه أخوه ورو بن سعيد .

ففي سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م كان « تموصلت بن بكار » نائب باديس
في مدينة طرابلس الذي أساء السيرة وجمع الأموال الطائلة ، بكاتب
الخليفة الحاكم بأمر الله يطلب منه أن يسلم اليه مدينة طرابلس على أن يقبله
لاجئاً لديه بالقاهرة ، ويتم ذلك على يدي والي برقة الفاطمي : القائد يانس
الصقلي . وعندئذ تتوتر العلاقات بين القاهرة والقروان عندما لا يقبل
باديس مبررات يانس الشفوية لأخذه طرابلس ، ويحاصره في المدينة .
الأمر الذي يتطلب من الخلافة ارسال نجدة الى يانس بقيادة يحيى بن علي
ابن الأندلسي الذي ينتهي به الحال الى التحالف مع فلفل الذي كان انتهنز
الفرصة سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، ودخل طرابلس بمساعدة فتوح بن علي
وجماعة أهل المدينة ، واستوطنها من ذلك الحين (٨١) .

محاولة التمدد في افريقية وولاية نفزاوة :

والظاهر انه كان هناك نوع من التنسيق بين فلفل وبين ماكسن
ابن زيري ، فبينما كان فلفل يسيطر على طرابلس ويستوطنها سنة ٣٩١ هـ /
١٠٠١ م ، كان ماكسن حليفه ، يحاول الاستيلاء على أشير حيث كان حماد
ابن (أخيه) بالكين ، وتنتهي الحرب الشديدة بين الزيريين بمقتل ماكسن
وأولاده في ٣ رمضان / ٢٧ يولييه . ومما يسترعى انتباه المؤرخين من
غرائب الصدف : « وفاة زيري بن عطية الزناتي صاحب فاس والغرب كله ،
بعد تسعة أيام من مقتل ماكسن وأولاده أي في ١٢ رمضان / ٨
أغسطس (٨٢) » .

ومن المهم ما قام به فلفل بن سعيد من الاستيلاء على بعض ولاية
افريقية نفسها ، عندما قام بمؤازرة يحيى بن علي بمحاصرة قابس التي
كان على ولايتها عطية بن جعفر ، وهي المحاولة التي انتهت بالفشل والعودة .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٢ ، ابن عذاري . ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ . انماط
المنفاء ، ص ٣٤ ، ادريس (هـ - ر) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ٩٩ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ - ١٥٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
النويري ، ص ٣٢٨ . وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٧ ، ص ١٧٩ .

الى طرابلس في ٢٤ رجب سنة ٣٩٣هـ / ١٥ سبتمبر سنة ٩٩٣م (٨٣) .
 واستقر فلفل في طرابلس الى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، حيث توفي وخلفه
 عليها أخوه ورو الذي آلت اليه زعامة زناتة . وأثناء تلك الفترة كان
 فلفل قد يأس من معاونة خلافة القاهرة ، فبعث بطاعته الى المهدي محمد
 ابن عبد الجبار بقرطبة ، وأوفد اليه رسالة في الصريح والمدد . وهو الامر
 المستغرب . وهلك فلفل قبل رجوعهم (٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) (٨٤) . ولكنه
 عندما سار باديس الى طرابلس لحرب زناتة هناك ، فارقوا المدينة التي فر
 أهلها ، وملكها باديس . وانتهى الأمر على كل حال بالتسوية عندما راسل
 ورو باديس ودخل في طاعته على أن يستخدمهم كعمال له ، فأعطاهم نفزاوة
 وقسطنطية ، في نظير الرحيل عن أعمال طرابلس . كما دخل أيضا خزرون
 ابن سعيد ، أخو ورو ، في طاعة باديس ، وكان معه ٧٠ (سبعون) فارسا ،
 فأعطاه ولاية بعض المدن ، فخرج اليها بالبندود والطبول (٨٥) . ولو ان هذا
 لم يمنع من تجدد النزاع على طرابلس التي كان ورو يحاصرها سنة ٤٠٣هـ /
 ١٠١٢م بينما كان أخوه خزرون يحاول أن يمنعه من ذلك (٨٦) .

وخلال تلك الفترة وفيما بين سنة ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م و٣٩٧هـ /
 ٦ - ١٠٠٧م كانت قبائل زناتة في اقليم برقة تتحالف مع عرب بنى قره
 ضد حكومة القاهرة الفاطمية ، تحت قيادة الثائر أبي ركوه الذي حاول
 اقتحام مصر نفسها ، ربما بسبب المجاعة التي اجتاحت المغرب سنة ٣٩٥هـ /
 ٤ - ١٠٠٥م على وجه الخصوص (أنظر فيما سبق ، ص ٣١٩) .

هكذا ظل باديس يعاني من فتن زناتة ما بين داخل بلاده من طرابلس
 الى طنبجة وأشير وخارجها من تاهرت الى فاس وسجلماسة ، الى أن ينتهي
 الأمر بوفاة سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ، وهو يعاني من فتنه عمه حماد الذي
 كان محاصرا في قلعته (٨٧) .

(٨٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١١٧ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
 ص ٢٥٦ .

(٨٤) أنظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤١ .

(٨٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٧٣ .

(٨٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٧٧ .

(٨٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وفي شوال من هذا العام / مارس كانت وفاة ورو بن سعيد ،
واختلفت كلمة الزناتيين بالاختلاف بين خليفة بن ورو وابن عمه خزرون .
وبذلك أوقع الله الشتات بينهم حسب مقالة ابن عذارى (٨٨) .

الانقسامات في الأسرة الزيرية :

رغم ان تاريخ الأسرة الزيرية الحقيقي لا يرتفع الى أكثر من جده بلكين
وهو مناد ، بصرف النظر عن سلسلة الأجداد الاسطورية التي ترتفع الى
ما يزيد عن أربعين جدا ، معظمهم لهم أسماء عربية (ما سبق ، ص ٢٩٣) ،
فان الأسرة ما لبثت الا قليلا حتى تضخمت بفضل سياسة تعدد الزوجات ،
واتخاذ الحريم الذي كان يحوى مئات الجوارى (النويرى ، ص ٣١٧) بين
سوداوات من العبيد ، وبيضوات من الصقالبة المماليك ، حتى كان الأمير
منهم يبشر بالعشرة أولاد وأكثر في المرة الواحدة (النويرى ، ص ٣١٧) .
وهكذا تكاثرت الأسرة حتى كان يكون في قصر الأمير أحيانا ما يناهز الألف
امراة من ذوات المحارم اللاتي لا يجزن له شرعا ، من : الأخوات الطبيعيات
أو في الرضاعة والحالات والعمات (٨٩) .

وهكذا ظهر ما يمكن أن يشبه بما نسميه حاليا بالانفجار السكاني ،
وان كان في الأسرة الزيرية الصنهاجية ، منذ وقت بكر ، الأمر الذي أدى
الى ضيق الوطن الأصلي ، في منطقة أشير عن استيعابهم ، فخرجوا يطلبون
« أرض الله الواسعة » ، في المغرب الأقصى بعيدا عن حكومة القيروان
المركزية في افريقية ، وعن حكومة القاهرة الخلافية في مصر ، حيث كانت
الأبواب الشرقية موصدة أمام الخارجين عن السلطة ، في القيروان وفي
القاهرة ، الأمر الذي دعاهم الى خرق كل ما تعارف عليه الجماعة من
الأصول والقواعد أو التقاليد والأعراف ، من : شراء صداقة البعيد على
حساب الأقربين ، أو الارتقاء في أحضان الأعداء التقليديين ، أنفه من مدارة
الأصدقاء التاريخيين ، مما أدى بهم الى التوغل بعيدا في قلب الأندلس من

(٨٨) البياو ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٣ .

(٨٩) النويرى ، ص ٣١٧ ، وقارن الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٨ - حيث الإشارة الى
ان زواى بن زيرى الذى لحق بالأندلس ، ثم عاد الى افريقية بعد وفاة باديس بن المنصور ،
كان له في الدنيا أزيد من ألف امرأة لا تحل له منهن واحدة . كلهن من نسل اخوته ،
وكذلك مثل هذا العدد من الرجال من نسل اخوته ، وهو ما يعتبره ابن حزم - حقا - من
شرائب الدمار .

أجل الجهاد أو طلب الملك ، وهو الأمر الذى تنبأ به المعز لدين الله فى وصيته - المزعومة ، على ما نظن الى بلكين - التى حذره فيها من تولية أحد من أبناء عمومته أو من أهل بيته - وهى الوصية التى تعتبر ببساطة من واقع الأحداث ، وإن كانت بعض أفكار ما تمثله حتميات التاريخ .

وهنا لا بد من الإشارة أيضا الى أن الخلافات التى كانت تقوم بين الأمير وبين أفراد أسرته لم تكن دائما لأسباب سياسية . فذلك كان يثيرها الطموحون عادة ، وهم فئة نادرة ، ولأسباب قد تتعلق بدرجة القربة من المؤسسين الأول للأسرة أو الأمير الممارس للسلطة أو ولى العهد المين أو بالأحقية فى المشاركة فى الحكم عن طريق ولاية بعض الأقاليم أو محاولة الاستقلال ببعض الولايات . ولكنه الى جانب ذلك كثيرا ما كانت تشور الوحشة بين الأمير وأهل بيته لأسباب شخصية ، مما يتمثل فى سوء المعاملة والطمع فى ممتلكات الغير أو أموالهم ، أو حتى فى بعض أفراد أسرهم . ولمثل هذه الأسباب ، مما يتعلق بمحاولة القوى الاستبداد بالضعيف ظهر ذلك النوع من القضاء العالى الذى عرف فى دولة الاسلام باسم « المظالم » ، وهو القضاء الذى كان يرأسه الأمير أو من ينوب عنه من كبار رجال الدولة ، والذى كان يفصل فى المنازعات التى يكون أحد أطرافها بعض أفراد الأسرة الحاكمة أو بعض كبار رجال الدولة أو مراكز القوى فيها .

الانشقاق الأول :

هروب أخوى بلكين الى القاهرة :

وفيما يتعلق بالأسرة الزيرية ظهر أول انشقاق بين الأمير وبعض أفرادها على عهد يوسف بلكين ، وذلك سنة ٣٦٩هـ / ٩٧٩م ، أى بعد سبع سنوات من ملكه . ففى ذلك الوقت كان بلكين ، يحتفظ باثنين من اخوته فى قصره بالمنصورية ، وهما : كباب - الذى أظهر فروسية مبكرة عندما نجح فى رد هجوم الزناتية على أشير ، وهو لم يبلغ الحلم بعد حتى انه كان ممنوعا من الخروج من المدينة ، الأمر الذى استحق عليه أن يطلق اسمه على باب أشير الذى خرج منه وعاد مظفرا ، فصار « باب كباب » (٩٠) - والآخر مغنين ، ابنا زيرى . والرواية لا تعرف بأسباب غضب الأمير على

(٩٠) أنظر فيما سبق ، ص ٢٩٩ - هذا ان لم يكن بدء القصة سجعاً لغويا مبنى على لفظى كباب البربرية وباب العربية .

أخويه ، بل كان من الممكن ألا تعرف قصتهما هذه التي لم تتفجر إلا بسبب هروبهما من القصر ، والتجائهما مباشرة الى جوار الخلافة بالقاهرة . وقصة الهرب هذه طريفة ، وإن كانت دارجه في بلاد الاسلام حيث لم تختلف ثياب الرجال كثيرا عن ثياب النساء . فلقد « لبسا ثياب النساء ، وخرجا في نسوة لن قد دخلن اليهما لزارتهما ، فوجدا الخيل والسلاح ، فركبا ، ومضيا الى مصر » . ولقد احتفى الخليفة العزيز بالأميرين الصنهاجيين ، وأبقاهما في كنفه الى نهاية ذلك العام . وفي السنة التالية ٣٧٠هـ / صرفهما العزيز الى بلكن أخيهما مع الأمر بالعفو عنهما (٩١) .

أولاد زيرى بن مناد والعلاقات مع الأندلس :

أما على عهد المنصور بن بلكن فقد ظهرت الانشقاقات بشكل واضح في الأسرة الحاكمة وذلك على المستوى الداخلى ثم انها اتسعت مع مرور الوقت لكى ترتبط بالسياسة الخارجية ، وليكون لها دورها السلبي في العلاقات مع الأمويين بالأندلس ومن ترتبط بهم من أمراء الغرب من الزناتية أو الحسينيين الأدارسة .

فعلى عهد المنصور ازداد نفوذ عبد الله بن محمد الكاتب - رغم كراهية المنصور له منذ بداية ولايته (سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م) ، حيث تعرض الكاتب لاساءة متعمدة من جانبه ، على يدى أخيه يطوفت بن بلكن (كما سبق ، ص ٣٠٩) . فلقد صارت أمور الدولة كلها بين يديه من : « جمع المال وترتيب الأحوال » ، حتى انه لثقته بنفسه « كان لا يدارى أحدا من أولاد زيرى ، ولا أكابر الدولة » (٩٢) . وكان ذلك يثير بخاصة حقد الأمراء عليه ، الأمر الذى أدى الى وشايتهم به والطعن عليه (٩٣) . ومن ثم انتهى بمقتله سنة ٣٣٧هـ / ٩٨٧م على يدى المنصور وأخيه عبد الله ، كما قتل ابنه يوسف على أيدى المنصور أيضا وعمه ماكسن بن زيرى (٩٤) .

(٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ ، قارن النويرى ، ص ١٩ - حيث النص على انه بلغ ما لم يبلغه قرابة المنصور وأهل دولته .

(٩٣) النويرى ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ .

(٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٢ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٣١٢ .

الجهاد في جليقية :

ومن المهم الإشارة هنا الى أن الأمراء الصغار من أبناء زيرى كانوا مضطربين منذ أواخر عهد أخيهام الأمير بلكين لا يضير ذلك أن كان ماكسن في سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م يقف الى جانب ابن أخيه المنصور ، ويشاركة في القضاء على منافسهم رجل الدولة ووزيرها الكاتب عبد الله بن محمد . وفي الحقيقة ان ماكسن ، على العكس من ذلك ، كان يشارك في بداية عهد المنصور في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م ، أخويه زاوى وجلاله ، أولاد زيرى ، وأخوة بلكين الصغار ، في الخروج على دولة ابن أخيهام المنصور ، بطريق غير مباشر ، عبر الصراع مع ابن أخيهام الآخر : حماد بن بلكين العامل على مدينة أشير ، فكانهم كانوا لا يقرون بالسيادة له وحده ، على مقر الأسرة ، وموطن صنهاجة الأول (٩٥) . والمهم أن الصراع من أجل الوطن الأصلي انتهى بين أبناء زيرى وأبناء أخيهام بلكين بغلبة حماد وطردهم من البلاد فاتجهوا الى الغرب نحو طنجة ، من حيث عبروا الى محمد بن أبى عامر (المنصور) بقرطبة ، الذى أحسن استقبالهم ، « وأجرى عليهم الوظائف » . ومن المهم أيضا أن الأمراء بنى زيرى لم يطلبوا من منصور قرطبة العون ضد ابن أخيهام منصور القيروان ، بل سألوه الجهاد فى الأندلس ، وبإلغ أمر اعتزازهم بأنفسهم أن رفضوا أن يشاركون أحد من أهل الأندلس فى جهادهم هذا أو غيرهم ، باستثناء بنى جلدتهم الصنهاجيين ، ومواليهم ومن يتبعهم من العبيد . وكانت حملتهم فى أرض جليقية عبارة عن غارة من تلك التى تعرفها جماعات البدو ، مما يسمى بحرب الامكانات الخفيفة بمعنى حرب العصابات التى تعتمد المفاجأة ، وقطع الطريق والأشجار ، ونصب الكمائن ، وبيان المهارات الفردية ، والتى يكون هدفها النهائى العودة بالمغانم والسبى ، بعد نشر الفزع والهلع (٩٦) .

(٩٥) أنظر ابن الأثير ، حيث النص على تبرير الحلاف بينهم بأنه قامت حروب مع أخيهام حماد (الصحيح ابن أخيهام) على بلاد بينهم .

(٩٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢ - حيث سألهم (ابن أبى عامر) عن سبب انتقالهم ، فأخبروه ، وقالوا له : إنما اخترناك على غيرك . . . للجهاد فى سبيل الله ، فاستحسن ذلك منهم ، ووعدهم ووصلهم ، فأقاموا أياما . ثم دخلوا عليه وسألوه ما وعدهم به من الغزو ، فقال : أنظروا ما أردتم من الجند نعطكم ، فقالوا : ما يدخل معنا بلاد العدو الا الذين معنا من بنى عمنا وصنهاجة ومواليها فأعطاهم الخيل والسلاح والاموال ، وبعث معهم دليلا .

ورغم ما تقوله الرواية من أن غارة جليقية التي قام بها الصنهاجيون من بنى زيرى حمست الأندلسيين ونشطتهم للغزو معهم مرة أخرى في ليون ، حيث أظهر جلاله بن زيرى (الصنهاجى) مهارة فردية عظيمة في القتال عندما تفادى ضربة القومس (الكونت : Comes) فمال عنها ووجه إليه ضربة أبانت عاتقه ، وهى الغارة التى انتهت بالعودة بسبى عظيم ، تبالغ الرواية من غير شك ، عندما تجعله ٣٠ (ثلاثين) ألفا (٩٧) . فالمعروف أن تلك الغارات غير المدروسة التى كانت تهدف إلى تخريب بلاد العدو واضعاف معنوياته ، كانت تأتى بسبب بساطتها وعفويتها وعدم استمراريتها بنتائج عكسية . فقد كانت تثير العدو وتنبيهه إلى تقوية دفاعاته ثم قيامه بغارات ثأرية ، وأعمال ردع مستمرة كانت تثبط من هم المسلمين ، وتخرب بلادهم الحدودية وتجعلها أرضا « غير صاحب » (no man's land) ، كما يقال فى المصطلح الحربى ، مما أدى مع مرور الوقت إما إلى تبعية أهلها إلى العدو أو جلائهم عنها وضماها . بل وما هو أخطر من ذلك ، فإن استخدام ابن أبى عامر للبربر بكثرة فى جيوشهم أدى إلى تفاقم أزمة الخلافة الأموية على المستويين السياسى والاقتصادى ، وبالتالى إلى انهيارها بانهيار الدولة العاصمية ، وافتقار البلاد لوحدها بتفرقها . بين عرب وبربر ومماليك صقلية .

وهنا يكون أهم انجاز حققه بنو زيرى الصنهاجيون فى الأندلس هو اقتطاع مملكة لهم فى غرناطة بفضل نشاط زاوى بن زيرى الذى يسميه ابن خلدون : « ملت الفتنة بالأندلس » ، اعتبارا من سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، الأمر الذى أدى إلى قيام أسرة بنى حبوس بن ماكسن الصنهاجى فى البيرة وغرناطة ، وهى التى انتهت على يدى يوسف بن تاشفين (٩٨) .

عصيان أبى البهار بن زيرى :

ولا ندرى إن كان اضطراب بنى زيرى اللاجئين إلى الأندلس كان له تأثيره على من بقى منهم فى كنف بنى أخيهم بلكن فى افريقية والمغرب الأوسط . ففي سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م عقب اضطراب بلاد كتامة بسبب

(٩٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣ .

(٩٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ وما بعدها .

المداعي أبى الفهم (٧٧ - ٢٧٨ هـ) ثم تابعه أبى الفرج سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٩ م ، وهى السنة التى صالح فيها سعيد بن خزرون الأمير المنصور ، ونال منه ولاية طبنة ، ثار على المنصور عمه أبو البهار ، وإلى تاهرت والمغرب ، لأسباب لا يوضحها ابن الأثير ، فى روايته الغامضة التى تقول : « لشيء جرى عليه من المنصور لم يحمله لعزة نفسه » (٩٩) . وعندما سار المنصور إليه بعساكره ، ترك أبو البهار تاهرت ومعه أهله وأصحابه واتجه نحو الغرب . وهكذا دخلت عساكر المنصور تاهرت فانتهبوها ، وقتلوا كثيرا من أهلها قبل أن يطلبوا الأمان ، حسبما تقول رواية ابن الأثير وابن عذارى (١٠٠) ، فكأنهم كانوا مساندين للثورة ، بينما تقول رواية ابن خلدون أن أهل تاهرت أمدوا المنصور ، بمعنى أنهم ساعدوه (١٠١) ، وهو الأمر المقبول من حيث أنه لا بأس أن يكون تصرف العسكر العدائى بالنسبة للمدينة مفتوحة أمرا عاديا بالنسبة لهم ، سواء كانت صديقة أم عدوة - بمعنى عدم السيطرة على الجنود فى جيوش ذلك الوقت ، ان لم تكن تلك سياسة معتمدة لترضية العساكر ، فكأنها مكافأة أشبه بما يعرف بالحوافز فى أيامنا هذه .

وتتبع المنصور عمه فيما وراء تاهرت الى مسافة ١٧ (سبع عشرة) مرحلة ، الى أن أزهق عسكره ، فرجع أدراجه نحو أشير ، بعد أن عهد بولاية تاهرت الى أخيه يطوفت (١٠٢) .

التحالف مع زيرى بن عطية :

أما عن أبى البهار فانه قصد الزعيم الزناتى زيرى بن عطية ، القرطاس ، الذى رحب به وأدخله فى خدمته ، فكان رجاله يغيرون على أطراف بلاد المنصور . ومن فاس راسل أبو البهار المنصور بن أبى عامر بقرطبة ، وعرض عليه الدخول فى طاعته على أن يبقى فى كنف زيرى بن عطية . ووافق المنصور بن أبى عامر شريطة أن يبعث أبو البهار ابنه رهينة الى قرطبة ، وهذا ما فعله أبو البهار بولدين من أبنائه غرق أولهما عندما

(٩٩) الكامل ، ج ٩ ص ٦٨ ، وقارن بن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث يكتفى بذلك الخلاف دون إشارة الى سببه .

(١٠٠) الكامل ، ج ٩ ص ٦٨ ، البيان ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(١٠١) العبر ، ج ٦ ص ١٥٧ .

(١٠٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ .

عطب المركب الذى توجه به ، بصحبة ميمون بن الداية ، كاتب أبى البهار ، بينما وصل الثانى سالما ، وأقام فى كنف أبى عامر (١٠٣) . وهكذا تم تحالف أبى البهار بن زيرى الصنهاجى وزيرى بن عطية المغراوى ، بزعامة المنصور بن أبى عامر ، ضد المنصور بن بلكين ، وبدأ العمل سويا سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ضد الأراضى الزيرية المتاخمة لفاس ، حيث أوقعوا برجال المنصور ، واستولوا عليها (١٠٤) . وبقي أبو البهار فى خدمة زيرى بن عطية ، صاحب فاس ، تحت راية المنصور بن أبى عامر الى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م حينما قرر العودة تائبا ، توبة الابن الضال ، الى بلده وأهله وعشيرته . فلقد بدأ أبو البهار اتصالاته من أجل العودة بابن أخيه يطوفت الى تاهرت ، الذى كتب بدوره ، فى نفس الوقت ، سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م الى المنصور بذلك ، فطلب منه أن يبعث به اليه . وكان وصول أبى البهار الى المنصورية ليلة الاثنين ١٥ شعبان / ٦ أكتوبر ٩٩٣ م ، حيث أحسن المنصور استقباله وأغدق عليه الأموال والهدايا ، من : الكسى والفرش والجوارى (١٠٥) .

أما عن زيرى بن عطية ، القرطاس ، الذى كان قد وثق علاقته بالمنصور بن أبى عامر فى نفس سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، حيث قام ابن عطية - بعد أن ترك ابنه المعز فى تلمسان - بزيارة ابن أبى عامر ، واستمرت العلاقة وطيدة بينهما الى أن فسدت سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، مع بداية عهد باديس بن المنصور ، وقامت الحروب بينهما (١٠٦) . وشارك فى تلك الحروب

-
- (١٠٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ط : بيروت . ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .
 (١٠٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، وقارن القرطاس ، ص ١٠٣ - حيث النص على ان ابن أبى عامر عقد لأبى البهار على تلمسان وتنس ووهران وشلف وشرشال ، وجبال ونشرى والمهدية ، وكثير من بلاد الزاب ، وذلك اعتبارا من سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م . وكانت الأمور مستقرة بينهما الى شهرين فقط قبل عودة أبى البهار الى افريقية ، حيث كان المنصور العامرى قد بعث اليه بعهدة وهدية وخلعة و٤٠ ألف دينار .
 (١٠٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٨ ، الذى يجمل ذلك من أحداث سنة ٣٨١ هـ / ٩٧١ م . وقارن القرطاس ، ص ١٠٢ - ١٠٣ - حيث اجمال الأحداث عن أبى البهار .
 (١٠٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وانظر القرطاس ، ص ١٠٢ - ١٠٤ - حيث استقر ملك زيرى بن عطية فى فاس اعتبارا من سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م تحت راية ابن أبى عامر بقرطبة . ثم انه عهد اليه بعد عودة أبى البهار الى افريقية بجمع بلاده ، فجعل زيرى من تلمسان مقرا لابنه المعز . وكان على زيرى بن عطية أن يزور قرطبة ما بين حين وآخر ،

قائد ابن أبي عامر : الفتى واضح ، وابنه عبد الملك المظفر ، وانتهت بهزيمة زيري واستئصال رجاله ، ونجته منحنى بالجراح . وبذلك انبسط ملك المظفر عبد الملك سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م على المغرب الأوسط ما بين تلمسان وتاهرت ، وفي المغرب الأقصى ، ومد سلطانه الى سجلماسة ، وصارت فاس هي قاعدة البلاد حيث استقر بعد اقامة المظفر فيها ، فتاه واضح ثم عبد الله ابن أبي عامر ، أخو المنصور (١٠٧) .

الخلاف بين أولاد زيري وباديس :

عند وفاة المنصور بن بلكين سنة ٣٨٦ هـ / ٩٨٦ م ، لم يكن أولاد

كما حدث سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ، حيث عهد بعدوتي فاس الى عبد الرحمن بن عبد الكريم ابن ثعلبة (بالاندلس) وعلى بن محمد بن قشوس (بالقرويين) . ورغم الترحيب الكبير بزيري في قرطبة ، ووصله بذهب الوزير ، فانه رجع ساخطا الى بلاده لا يريد الا الامارة دون الوزارة ، وان تكون طنجة القاعدة الاندلسية ، ملكا له . وكان عليه أن يسترجع عدوه الاندلس من ابن جلدته اليفرنى ، يدو بن يعلى بعد أن قتله أثر حروب طويلة سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م . وظلت علاقة زيري بن عطية فاترة بابن أبي عامر ، في الوقت الذي كان يؤكد سلطانه فيه بالمغرب ، وخاصة بعد بناء مدينة وجدة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م واتخاذها قاعدة للكه ، الى أن فسد تماما ما بينه وبين المنصور العامري سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، من حيث كاو زيري يعترف فقط بامامة هشام المؤيد ، دون حجابة العامري ، وقيام الحروب بينهما . (١٠٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥٢ ، قارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٢٨ وما بعدها ، صبيح الاعشى للقلقشندى ، ج ٥ ص ١٨٦ - حيث الإشارة الى فساد ما بين المنصور (ابن أبي عامر) وزيري ، وعقد المنصور لمولاه واضح على المغرب وحرب زناتة ، وأتباعه بابنه عبد الملك المظفر ، وانهازم زيري وجرحه وفراره الى فاس التي امتنع عليه أهلها ولحقه بالصحراء ثم عودته الى حرب صنهاجة بالمغرب الأوسط حيث فتح تاهرت وتلمسان ، وأقام الدعوة فيها لهشام المؤيد والمنصور من بعده .

وأنظر القرطاس ، ص ١٠٥ - ١٠٧ - حيث بعث المنصور قائده واضحا الفتى الذي أقام بطنجة يستكمل استعداداته للقتال ، ولكن المعركة انتهت بهزيمة واضح الى طنجة ، فكان على المنصور ابن أبي عامر أن يمدد بابنه عبد الملك الذي حقق النصر في معركة وادي منى من أحواز طنجة ، اثر غدر أحد غلمانة السود ، وطعنه بسكين في رقبته . وهكذا استحق عبد الملك لقب المظفر عندما أنهى محاولة تجمع فلول زيري بالقرب من مدينة مكناسة ، في ١٥ رمضان ٣٨٧ هـ / ٢١ سبتمبر ٩٩٧ م . وكان على زيري أن يفر الى الصحراء بعد أن أغلقت فاس أبوابها في وجهه . وبذلك أصبحت فاس من أملاك قرطبة حيث توأى عليها بعد المظفر ، عيسى بن سعيد صاحب الشرطة ، ثم الفتى واضحا ، سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م بينما كان زدي بن عطية يحوس فسادا في قلب الدار الصنهاجة ، فز تاهرت وتلمسان والمسئلة الى أن خلقه ابنه المنصور سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠١ م .

زيرى قد اطمأنوا بعد الى وضعهم فى الدولة ، اذ حاولوا الخلاف ومنع الولاية من ولى عهد المنصور الشاب الصغير أبى مناد باديس ، بمعنى أنهم لم يكونوا قد قبلوا بعد انفراد الفرع البلكىنى بالملك ، دون سائر أبناء زيرى ، لولا موقف الحرس الأميرى من المماليك السودان (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٠) . ولكنه على عهد باديس يظهر الانشقاق الزيرى بشكل أوضح ، بل ونجح الفرع الحمادى من أولاد بلكىن فى اقتطاع امارة خاصة بهم فى اقليم القلعة الغربى ، منذ عهد باديس بولاية أشير الى عمه حماد سنة ٥٨٧ هـ / ٩٩٧ م ، ويتكرس ذلك الأمر بثورة حماد قبيل وفاة باديس سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م . وولاية المعز بن باديس ، فيستكمل شكله القانونى (انظر فيما سبق ، ص ٣٣٩ وما بعد ، ص ٤٠٩) .

وكانت الشرارة التى أشعلت الفتنة بين الأسرة الزيرية من أولاد زيرى (الأعمام) وأولاد بلكىن (أبناء الأخ) هى الحرب التى اندلعت بين زيرى ابن عطية ، صاحب فاس وتابع المنصور بن أبى عامر ، حاجب قرطبة . ووزيرها الأول ، وبين باديس بن المنصور سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٩ م ، فكانها كانت فرصة مواتية ، تكي تعود الأمور الى أوضاعها المناسبة ، حيث ينضم خصوم الأمير الصنهاجى (باديس) من أبناء الأسرة الى مناصريهم الأمويين الأندلسيين . واذا كانت الهزيمة المريرة التى لحقت بالجيش الصنهاجية على أيدى قوات زيرى الزناتية قد وجدت تبريرها على أساس سحق رجال حماد عليه ، فلا ندرى ان كان لأبناء زيرى - من : زاوى وجلاله وماكسن ، ممن خدم بعضهم فى الأندلس كمجاهدين بموافقة ابن أبى عامر ، أو كمساعدين لزيرى بن عطية ، كما فعل أبو البهار ، تأثيرهم فى مسار تلك الأحداث ، بعد أن ظهرت مواقفهم الثابتة بين الطرفين المتنازعين على سيادة المغرب من أبناء الاخوة ، ممثلى الفاطميين ، وزناتة الغرب أتباع الأمويين .

والمهم أن أبناء زيرى أظهروا ما كانوا يضمرونه لباديس من الحقد بعد ما طرد ابن عطية بعيدا عن تاهرت التى أعطيت ولايتها الى يطوفت ، كما أعطيت له ولاية أشير التى استقر فيها ، بينما استخلف ابنه على تاهرت . فعندما سار باديس لمواجهة فلفل بن سعيد بن خزرون الذى كان يهدد بلاد الزاب وأوراس (انظر فيما سبق ، ص ٣٥١) تشبث أعمام أبيه ، أولاد زيرى - باستثناء أبى البهار منهم - بالبقاء مع يطوفت فى أشير ، كأعوان له . وعندما اعترض باديس على ذلك وتشبث بضرورة مصاحبتهم له ، وعدوه باللعاقق به بعد أن يقضوا أمورا كانت لهم بأشير . وهكذا سار

بإديس نحو المسيلة حيث عيد الفطر • وأثناء صلاة العيد ، وصلت الأحياء إلى أبي البهار بعصيان أخوته أولاد زيرى ، فى أشير وهم : زوى وماكسن ، بوغنين ، اذ ثاروا بيطوفت ، وقبضوا عليه واخذوا ماله ، بل وكادوا يقتلونه لولا أن نجح فى الاحتياى عليهم ، والنجاة بنفسه ، والعودة إلى بإديس •

وخاف أبو البهار ، الذى كان على صلة بأخوته ، أن يتهم بالمشاركة فى تلك المؤامرة فهرب فى التو واللحظة بأهله وبنيه ، ولم يدرك عندما طلب ولحق بأخوته بأشير (١٠٨) • وفى أشير قرر أولاد زيرى التحالف مع فلغل ، ابن سعيد الزناتى ، الثائر على بإديس فى قلب ولاية افريقية ، بدلا من الذهاب إلى الغرب البعيد وفاس • ولكنه عندما سار بإديس فى أوائل سنة ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م ، ومعه أبو البهار الذى اعتذر عما بدر من أخوته ، فقبل بإديس عنده ، لحرب فلغل - بعد الهزيمة التى ألحقها به آخر السنة الماضية - فخرج من المنصورية إلى رقادة ثم قصر الافريقى ، خاف عمومته أولاد زيرى ، فنقضوا حلفهم مع فلغل ، وساروا نحو الغرب ، باستثناء ماكسن بن زيرى وابنه محسن ، الأمر الذى دعا بإديس إلى العودة إلى حاضرتة ، المنصورية (١٠٩) •

مقتل ماكسن بن زيرى وبنيه :

وبينما كان فلغل يزيد اشتعال الفتنة القائمة فى طرابلس ضد بإديس باسم الخلافة الفاطمية ، محاولا الصيد فى الماء العكر ، كما يقال ، كان ماكسن بن زيرى عم والد بإديس يسير سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م إلى أشير فى محاولة لاسترجاع وطن الوالد من بين يدي حماد الذى ربما كان معاونا لأخيه يطوفت هناك ، ان لم يكن قد استعاد ولايتها مرة أخرى ، بعد فقدانها إثر هزيمة سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٩م • والمهم أن تلك الحرب الضروس بين ماكسن وابن أخيه حماد انتهت بكارثة بالنسبة لماكسن الذى قتل هو و٣ (ثلاثة) من أبنائه ، هم : محسن وبإديس وحباسة - وهى الكارثة

(١٠٨) النويرى ، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ - حيث الإشارة إلى التقاء كل من يطوفت وأبى البهار فى طريقهما ما بين أشير والمسيلة • وان أبا البهار حلف ليطوفت انه لم يعاقد أخوته على الخلاف ، ولكنه يهرب خوفا على نفسه • ابن عذارى ج ١ ص ٢٥١ ، ابن الأثير ج ٩ ص ١٥٣ - قارن ابن خلدون ج ٦ ص ١٥٧ ، ١٧٩ •
(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٢ ، النويرى ، ص ٣٢٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٣ •

التي اعتبرها الكتاب نذير شؤم على حليف أبناء زيري ، السابق ، صاحب فاس ، الذي مات بعد ٩ (تسعة) أيام فقط ، في ١٢ من رمضان / ٢٧ أغسطس (٩٩٩) (١١٠) .

لزاوي (بن زيري) في الأندلس من جديد :

أما عن بقية أولاد زيري الذين اتجهوا نحو الغرب ، للدخول في خدمة المنصور بن أبي عامر تحت راية الأمويين ، فالمعروف أن زاوي منهم لحق في سنة ٣٩١ هـ / ٩٩٩ م بجبل شنوق من منطقة مليانة ، من حيث عبر مع أولاده وأولاد أخيه (ماكسن ؟) وحاشيته ، الى الشاطئ الأندلسي . وهناك نزلوا على المنصور بن أبي عامر الذي أحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم ، وجعلهم أعوانا لنفسه ، اذ نظمهم في طبقات البربر الذين اصطنعهم للخدمة في القوات الأندلسية بدلا من العساكر الأموية النظامية ، وقبائل العرب من المتطوعة . وعن هذا الطريق قويت شوكة صنهاجة في الأندلس ، فأصبحوا عصبية الدولة العامرية على أيامه وأيام ولديه : المظفر عبد الملك ، والناصر عبد الرحمن (شنجويhle) ثم كان لزاوي شأنه في فتنة قرطبة التي رفعت المستعين سليمان ممثل البربر الى عرش الخلافة .

وعند استباحة قرطبة كان هم زاوي هو البحث عن رأس والده زيري بن مناد « المنصوب بجدران قرطبة ، فأزاله الى قومه ليدفن في جدثة » (١١١) .

(١١٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٥٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ ، النويري ، ص ٢٢٨ - حيث وصول الخبر في سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠٠ م ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ ، وأنظر فيما سبق ، ص ٣٦٤ .

(١١١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٩ - حيث وصف زاوي بأنه « ملث » تلك الوقائع ومحشى حروبها ، بمعنى عاجتها وخابزها ، قبل قليل من عودته الى افريقية سنة ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م بعد غياب دام ٢٢ سنة . وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٥٧ - حيث النص على استيلاء زاوي على غرناطة ثم عن له أن قدم على المعز بن باديس (ما بعد ، ص ٤٠٦) واستخلف ابنا له على غرناطة ، فاساء السيرة فملكوا ابن عمه حبوس بن هاكسن ، وعظم سلطانه الى أن توفي سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، وملك بعده ابنه باديس بن حبوس الذي تلقب بالمظفر ، والذي مصر غرناطة واخط قصبتها وشيد قصورها وحسن أسوارها سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقد ظهر المابطون بالمغرب . وحافده عبد الله بن بلكن هو الذي خلعه ابن تاشفين سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م .

الصراع بين باديس وعمه حماد :

أما عن أخطر الخلافات بين الزيريين ، فكان ذلك الذى حدث بين باديس بن المنصور وبين عمه حماد بين بكنين ، من حيث هو صراع بين آل بكنين ، ومن حيث ما انتهت اليه من تقسيم الدولة الى مملكتين . والأمر هنا لا يتوقف على الحقوق المشروعة لآل بكنين فى المشاركة فى حكم الدولة « اليوسفية البلكينية » ، بصفة حماد من السلالة الحاكمة ، بقدر ما يتوقف على شخصية حماد نفسه . فمئذ بداية عهد باديس بن المنصور (٣٨٦هـ / ٩٩٦م) حل حماد بن بكنين محل يطوفت أخيه ، صاحب أشير والوطن الصنهاجى ، وأصبح قائد الدولة أو مشيرها « المارشال » الذى يعهد اليه بقيادة الجيوش ضد زناتية الغرب - بصرف النظر عن مكانه من القيادة أو من النصر والهزيمة (أنظر فيما سبق ، ص ٣٤٩) ، والذى يقاتل حلفاء زناتية الداخل من عمومته أولاد زيرى ، بل ويقتل ماكسن منهم ، وكذلك أولاده الثلاثة (ص ٣٦٦) . وهو فى النهاية لا يستجيب لمطالب باديس بالتنازل لولى العهد عن بعض اقطاعه ليرفع من شأن ولاية العهد ، ويكثر من أتباعها الأقوياء ، فكأنه فى حقيقة الأمر يرفض ولاية العهد بطريق التسلسل من الأب الى الابن ، ويفضل عليها حق الأسن وحق الأقوى ، على الأقل فى وراثة وتوريث اقطاعه فى أرض صنهاجة الوطن ، بأشير (١١٢) .

وفى ذلك وقف الى جانبه أخوه ابراهيم ، فكان على حد السيف أن يقرر مصير الدولة ، ولمن تكون اليد العليا فيها . وبدأت حرب قذرة استمات فيها حماد وأخوه ابراهيم ، ولجأ الى أساليب مجوجة من أعمال القتل

(١١٢) أنظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٦٩ وما بعدها - حيث الاشارة الى ان باديس انهض عمه حمادا الى الزناتية المخالفين ، وجعل له تملك كل ما يفتحه ، وأعفاه من الوصول الى أفريقية بعد ، وكمل شروطا كثيرة تشطط فيها حماد لكبره وحرص مديرى دولة باديس على الاستراحة منه . وأنظر ادريس (هـ - ر) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ١٠٦ - ١٠٧ - حيث تتلخص صفات حماد : فى أنه : جريء ، مخادع ، حكيم جيد ، كريم . قاسى . ورغم انه قرأ الفقه صبيا فى القيروان ، فهو طاغية لا يتورع عن القاء عمه «ماكسن» حيا الى الكلاب . وإذا كان ادريس لا يحب التشكيك فيما كان يظهره حماد من التقوى ، أو رميته بالتفاق . قلنا أن نتساءل ، هنا ، عما اذا كان حماد مخلصا فيما دعا اليه بنسابة خروجه على باديس ، من : مخالفة دعوة باديس (الفاطمية) ، وقتل الرافضة ، وإظهار السنة ، والترضى عن الشيخين ، وثب طاعة العبيدين جملة ، ومراجعة دعوة آل العباس . وذلك فى سنة ٤٠٥هـ ، حسبما ينص ابن خلدون (ج ٦ ص ١٧٨) ؟

والنهب والتخريب (ص ٣٦٤ و٩٧) ، وتحمل فيها حماد هزائم قاسية دون أن تنكسر له شوكة . وفي النهاية لم ينقذه من الحصار الأخير الذى أحكم حوله فى القلعة (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) الا وفاة باديس فجأة بانذبة ، وهى السكتة القلبية . فكان من حقه أن يكتسب حق وراثة ولايته أشير منذ بداية عهد حفيد أخيه : المعز بن باديس .

السياسة المالية والأحوال الاقتصادية :

لم يكن من الغريب أن يكون من أهم وصايا المعز لدين الله لنائبه يوسف بلكين التركيز على المسألة المالية وجباية الضرائب ، الأمر الذى يعنى الاهتمام بالأحوال الاقتصادية ، ركيزة الدولة المتحضرة ، وأصل الحضارة ، كما تقضى العلاقة السببية بين المال والحضارة ، من حيث أن الحضارة تبع للغنى والثروة ، ومن حيث أن الدولة هى السوق التى تنفق فيها أسباب الحضارة ، من المطالب فوق الحاجة ، أى الكمالية ، كما تقضى بذلك نظرية ابن خلدون (١١٣) . وكما تقضى به أيضا السياسة المدنية مما يأتى ملخصا فى الدائرة الثمانية التى يسميها ابن خلدون بالدائرة الحكيمة الفلسفية الالهية ، والتى تقرر : أن الملك راع يعضده الجيش ، وأن الجيش أعوان يشدهم المال ، وأن المال رزق تجمععه الرعية ، التى يستعبد بها العدل الذى يحيا به العالم (١١٤) .

وهكذا ، فكما قامت السياسة المالية بدورها فى حياة الدولة الفاطمية فى المغرب ، من حيث تجميع المال من مظانه المختلفة ، وخاصة الضرائب ، الأمر الذى لا يتحقق بدون تشجيع الزراعة والحرف والصناعات والتجارة حتى تغتنى الرعية ، وبالتالي يكثر المال الذى تحتاجه الدولة للنفقة على الدواوين الادارية ، والجيش والأساطيل الحربية التى تحقق الأمن ، وعن طريقها ينتشر بالتالى العدل ، الذى هو أساس الملك وبه يحيا العالم .

بناء على ذلك لم يكن غريبا أن يوصى المعز نائبه بلكين ، بعدم رفع الجباية عن أهل البادية ، والعمل بأهل الحاضرة خيرا ، من حيث تحصيل

(١١٣) المقدمة ، فصل التدرج العمرانى ، (من البداوة الى الحضارة) ، الفصل الثالث ،

١٥٠ ، ص ١٤٤ .

(١١٤) المقدمة ، تحقيق على عبد الواحد ، ج ١ ص ٤١٦ ، وأنظر كتاب سر الأسرار ،

تحقيق عبد الرحمن بدوى ، ط : دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ١٢٦ وشكل ص ١٢٧ .

- ٣٧٠ -

الحماية من أهل البادية بانتظام ، بمعنى دفعهم الى العمل فى زراعة الأراضى وحياتها ، وبالتالى دفع ضريبة الخراج المطلوبة منها ، وتلك العملية تعنى فى ثناياها تحضير أهل البادية ، ورفع مستواهم الحياتى والعمرانى . أما الاحسان لأهل الحاضرة فهو معاملتهم بالحسنى وعدم التجنى عليهم فى أخذ الضرائب ، تشجيعا لهم على مواصلة العمل وزيادة الانتاج ، وبالتالى زيادة الثروة القومية ، دعامة التحضر ، وارتفاع مستوى المعيشة .

الادارة المالية تابعة للخلافة :

وهكذا فصل المعز الادارة المالية للولاية الافريقية عن الامارة ، وجعلها تابعة له مباشرة ، بتعيين ابن القديم عوناً لبلكين على جميع الأموال بأفريقية (١١٥) كما ان بلكين ، بدوره ، عندما تسلم زمام الامور فى ولايته ، بدأ بإخراج العمال وجباة الأموال الى سائر البلدان (١١٦) . فكانه بدأ بخرق أوامر المعز التى تقضى بالفصل بين الولاية بمعنى السلطة السياسية والادارية ، والعمالة بمعنى السلطة المالية ، بقصد تجميعها جميعاً بين يديه ، الأمر الذى يفسر كيف أنه تخلص من ابن القديم ، عن طريق كاتبهم الأسبق عبد الله بن محمد الكاتب ، ولو أن المسألة انتهت بسيطرة هذا الأخير على الشئون المالية ، والظهور بمظهر صاحب الخراج المستقل ، التابع للخلافة وليس لأمير القيروان (١١٧) .

تبرعات اجبارية يجمعها العامل باسم الخلافة :

وهذا ما يفسر كيف كان عبد الله محمد الكاتب يستطيع فى سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م ، أن يفرض على المقتدرين من أعيان الناس بأفريقية والقيروان ، الذين بلغ عددهم ٦٠٠ رجل ، اتاوة معينة بحد أقصى قدره ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، مع استثناء رجال الدين من الفقهاء والصلحاء ورجال العلم والأدب ، من هذا الغرم ، الى جانب رجال الدولة من أولياء السلطان . فكان تلك الاتاوة وقعت على التجار والأغنياء من أصحاب الأراضى الزراعية ، والعقارات أو المتيسرين من أصحاب الحرف والصناعات ، وهى الطبقات العاملة أو المنتجة ، دون غيرهم . والمهم ان عبد الله بن محمد الكاتب جمع من منطقة القيروان وحدها ، أكثر من ٤٠٠ (أربعمائة) ألف دينار .

(١١٥) النويرى ، ص ٣١١ ، ما سبق ، ص ٣١٠ ، وأنظر ما سبق ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ .

(١١٦) النويرى ، ص ٣١٢ ، وما سبق ، ص ٣١١ ، وأنظر ما سبق ، ص ٣٠٢ .

(١١٧) ما سبق ، ص ٣٠٤ .

ومن الواضح أن جباية تلك الأتاوة لم تتم بسهولة ، بل استوجب « إجراءات قمعية ضد بعض المطالبين بالدفع ، الأمر الذي كان له أصداء سيئة في نفوس الناس الذين جأروا بالشكوى حتى وصلت أسماع المسؤولين في ديوان الخلافة بالقاهرة ، الذي أصدر أوامره إلى أبي الفتوح يوسف بلكين « برفع الغرم عن الناس ، فأطلقهم عبد الله الكاتب في أواخر شوال (يوتيه) » .

وفي سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م التالية ، كان عبد الله الكاتب ، عامل إفريقية ، يبعث ، بموافقة بلكين ، بتلك الأموال التي وضعت في صرر ، حسبما جمعت ، إذ وضع على كل صرة اسم صاحبها ، إلى الخليفة العزيز بمصر ، وكان صدورها من القيروان في ٢٥ من جمادى الثاني / ٢٣ أكتوبر . والأمر المستغرب هو أن ديوان الخلافة بالقاهرة رد بعض تلك الضرر إلى أصحابها (١١٨) . ولا يأسى أن كان هؤلاء من المحظوظين ، من بين الذين جأروا بالشكوى من تلك الغرامة أو المظلمة .

والحقيقة أن الخلافة كانت تعمل على تحسين صورتها في أعين الناس ، فكانت تحاول علاج مثل هذه الأعمال عن طريق العطاء أحيانا دون الأخذ . وكانت مناسبة خروج نفود جديدة من دار السكة بالقاهرة مناسبة جيدة يمكن استغلالها بإرسال مجموعات من تلك القطع الجديدة لكي تفرق على الناس . فهذا ما حدث بمناسبة ولاية العزيز للخلافة سنة ٣٦٥ هـ / أواخر ٩٧٥ م حيث ضربت دنانير ذهبية جديدة تحمل اسمه ، وأرسل بعضها إلى المغرب وإفريقية وقررت على الناس (١١٩) .

زيادة الخزائن :

والظاهر أن نشاط عبد الله الكاتب ، ومن كان تحت إدارته من الجباة كان يؤدي إلى نتائج المرجوة من زيادة الأموال في الخزانة العامة . فهذا ما يفهم مما قام به سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م ، وهي السنة الأخيرة من عهد يوسف بلكين ، حيث قام عبد الله الكاتب بعمل خزانة جديدة من الحديد مملأها بالأموال ، إضافة إلى خزانة خشبية ، امتلأت هي الأخرى (١٢٠) .

(١١٨) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(١١٩) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

(١٢٠) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٨ .

ولا بأس أن تكون خزانة الحديد مخصصة لنصرر الأموال الذهبية من الدنانير ، وأن تكون الخشبية للورق من الدراهم الفضية ، والفلوس النحاسية . وأغلب الظن أنه كان من مهام بيت المال تزويد الصيارفة في الأسواق بما كان يلزمهم من قطع النقود الصغيرة من فضية ونحاسية عند الحاجة ، وخاصة في مناسبات الأعياد والمواسم (١٢١) .

ولا شك أن اتخاذ بيوت مال (خزانات) جديدة . كان يثير خيال الطمعين في أموال الدولة ، وكذلك خوف المسئولين وشكهم فيما يمكن أن يكون لتلك الأموال من اغراءات قد تؤدي الى انحراف المسئولين عن جبايتها ، فضلا عن حفظها ، من عمال الجباية أو بيت المال .

محنة أولية لعبد الله الكاتب :

وهكذا كان أول عمل يقوم به المنصور عندما بلغه نبأ ولايته بوصول خبر وفاة يوسف بن كين والده ، هو أن يتأكد من أمانة عبد الله الكاتب - الذي ربما دارت حوله شائعات عن استبداده بالأموال من قبل الحساد والكارهين له - عن طريق التأكد من سلامة بيوت الأموال ، وكذلك خزانات السلاح بكل من المهدية والمنصورية ، وصحة بيانات حفظها ، عن طريق النفثيش المفاجيء والجرد المباشر ، الأمر الذي كلف أخاه يطوفت القيام به ، وإن كان بطريقة فجأة وأسلوب مهين بالنسبة لرجل الدولة ، صاحب عمالة أفريقية ، المسئول أمام ديوان الخلافة مباشرة ، حسبما تم رسمه بمعرفة الخليفة المعز لدين الله - وهو ما اعتذر عنه المنصور عندما تبين له أمانة الكاتب الوزير ، ونظافة يديه (١٢٢) ، وإن كانت المسألة أكبر من أن تكون موضوع محاسبة الأمير الوالي الذي تجب طاعته لصاحب الخراج العامل ، إذ كانت أشبه ببداية لتصفية حسابات بين قرينين ، بمعنى تابعين للخلافة بالقاهرة ، مما سبقت الإشارة إليه ، وإن كانت التفرقة واضحة بين الأمير الوالي والعامل صاحب الخراج .

والمهم أن التفوق كان للأمير الوالي الذي كان يستطيع التصرف في

(١٢١) انظر النويري ، ص ٣٢١ - بمناسبة خروج الداعي أبي الفهم الى كتامة في مركب بين يديه نخوت الشباب ، وبدر الدراهم (أى اكياس الدراهم الفضة) .
(١٢٢) انظر ابن عداري ، ج ١ ص ٢٣٩ - حيث النص على أن يطوفت نظرا الى الخزانة منفلقة والى بيت المال مقللا ، فاخذ المغاتب وفتح بيت المال والسلاح .

الأموال ، وإن كان بطريقة غير مباشرة عبر العامل ، صاحب الخراج . فعنده حضر وفد افريقية الى أشير لتهنئة المنصور ، برئاسة عبد الله الكاتب : كان المنصور يستطيع أن يأمر عبد الله الكاتب ، بصفته صاحب بيت المال بإعطاء الوفد ١٠ (عشرة) آلاف دينار كمكافأة ضيافة وبدل انتقال .

هدايا وقصور للأمير :

أما عندما ذهب المنصور ، بعد ذلك الى قصور رقادة في نفس سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م فقد انهالت عليه هدايا العمال وعاطيائهم ، كما أتحفه عبد الله الكاتب بالهدايا الجليلة التي لا يحيط بها الوصف (١٢٣) . وفي السنة التالية ٣٧٥هـ / ٩٨٥م كان يوسف بن عبد الله الكاتب ينفذ أوامر المنصور بعمل أبواب حديد جديدة للقيروان وبناء قصر كبير له بالمنصورية (١٢٤) ، بلغت النفقة فيه ٨٠٠ (ثمانمائة) ألف دينار ، كما تبالغ رواية النويري ، على ما نظن (١٢٥) ، وحول هذا القصر ، وقصر آخر مجاور له كان قد بناء شميع انصقلي ، صاحب المظلة ، أقيم سور محقق عليهما غرست حوله الأشجار من كل جهة (١٢٦) .

صعوبة موقف العامل بين الخليفة والأمير :

والحقيقة أن موقف عامل الخراج ، صاحب بيت المال ، كان دقيقا من حيث ما هو مفروض عليه من ترضية كل من أمير القيروان وخليفة القاهرة . فعنده وصول الداعي أبي الفهم الحراساني الى القيروان في طريقه الى كتامة يشعر عبدالله بالخرج ، ويجيب على تساؤل ابنه يوسف عما اذا كان يسمح له بالخروج الى بلد كتامة بأن يقدم له التسهيلات اللازمة من المال والمتاع للخروج الى أي جهة يريد . وبناء على ذلك يخرج الداعي في موكب مهيب ، على أفراس بسروج محلاة ، وبين يديه تخوت ثياب وبدر دراهم حسب مبالغة الرواية على ما نظن (١٢٧) . واذا كانت هناك اشارات في النصوص الى أن

(١٢٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٠ ، النويري ، ص ٣١٨ .

(١٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ .

(١٢٥) النويري ، ص ٣١٨ ، وقارن ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ - حيث النص على ان مبلغ الاتفاق على القصر في سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٦م قبل تمامه ١٠٠ (مائة) ألف دينار .

(١٢٦) النويري ، ص ٣١٩ .

(١٢٧) أنظر النويري ، ص ٣٢١ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤١ - حيث النص على

مستولية يوسف بن عبد الله الكاتب الذي أعطاه الخيل والمال فتوجه الى كتامة .

ثورة أبي الفهم في كتابة كانت من الأسباب التي أدت الى قتل عبد الله الكاتب على يدي المنصور ، فان المشهور أكثر من ذلك هو أن ادارته للأموال ، واستبداده بها كانت السبب الرئيسي في التخلص منه ، فهذا ما يفهم أيضا مما نسب إليه من قوله بتلك المناسبة ، « ما قتلت عبد الله على مال ولا على شيء أغتنته ٠٠٠ » (١٢٨) .

والامر المستغرب أن التخلص من الرجل الذي كان يستبد بإدارة أموال الدولة ، والذي كان يخشى الحساد والهدامين حتى سقط وهو يتمثل بهذا البيت :

أرى ألف بان لا يقوم لهادم فكيف بيان حوله ألف هادم ،
كان مناسبة للقيام بعملية تمت في شكل مكافأة للحرس الأميري الذي دار ينهب أموال الناس ويسلبهم ، من مسافرين على الطرق ، وتجار الأقمشة والنسيج خاصة ، وذلك فيما بين وادي القصارين وباب تونس من القيروان (١٢٩) ، فكان البيت المتمثل به قد صار حقيقة من مبادئ الاقتصاد ، وأصول العمران .

يوسف بن أبي محمد عاملا والبونى مساعدا :

أسلوب خاص في الجباية :

اما عن صاحب الإدارة المالية بعد عبد الله الكاتب ، وهو يوسف بن أبي محمد ، فكان من نسيج مختلف تماما عن سلفه . فهو وديع محب للعافية والحياة الناعمة ، مولع بالطعام والشراب اللين ، خصوصا في فصل الربيع عندما تتحسن الأحوال الجوية ، ويطلع الورد الذي أغرم به فكان يجلس وينام فيه حتى سمي بـ « شيخ الورد » . وهو لكل ذلك ينيب عنه تابعيه من العمال في القيام بمهمة جمع الأموال ، بينما هو مستغرق في طعامه وشرابه في ربيع الورد ، حيث تكون جولته من أجل تحصيل الضرائب .

وكان نائب يوسف بن أبي محمد الأول في الجباية هو : أبو الحسن

(١٢٨) النويري ، ص ٣٢٠ ، وأنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٤٢ ، وفيما سبق ص ٣١٣ .
(١٢٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٤ ، وما سبق ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

البونى ، نسبة الى بونة ، وهى عناية الحالية ، كما كان الرقيق (ابراهيم) الكاتب مؤرخ افريقية والقيروان ، الذى يأخذ عنه ابن الأثير ، وينقله النويزى نقلا ، من المساعدين الذين يجوبون البلاد فى دورة جمع أموال الخراج هذه .
والى جانب الخراج الذى كان يدفع للبورنى ومساعديه ، كان ليوسف نصيبه الخاص من الهدايا التى يقبضها أصدقائه المصاحبون له ، وكذلك أفراد عسكره . والى جانب راتب يوسف بصفته صاحب الخراج كانت له نفقته اليومية الجارية التى كانت تنقسم الى نفقته الخاصة والذين يصحبونه ، والتى كانت تكلف البونى من مال الخراج مبلغ ٥ (خمسة) آلاف درهم ، الى جانب نفقات المطبخ والفاكهة التى كانت تكلف ٥ (خمسة) آلاف درهم مثلها ، مما يعنى أن مجمل نفقات يوسف بن أبى محمد أثناء موسم الجباية كانت تبلغ ١٠ (عشرة) آلاف درهم يوميا (١٣٠) .

وكان من الطبيعى أن ينتهج يوسف سياسة مالية تتفق مع منهجه هذه فى الحياة الناعمة ، وإن كانت فى نفس الوقت تطبيقا لوصايا المعز لدين الله لنائبه بلكين فى مجال السياسة المالية والاقتصادية ، مما يقضى بعدم رفع الجباية عن أهل البادية والتوصية بأهل الحاضرة خيرا . وتلخص رواية ابن عذارى تلك السياسة المالية التى طبقها يوسف بأن أهل الحاضرة كانوا معه فى أمن وعافية ، بينما كان أهل البادية فى « عذاب وغرامة » (١٣١) .

الموقف الضرائبى فى بلاد كتامة :

واذا كانت الرواية تقول ان يوسف بن أبى محمد كان يخرج فى كل سنة فيدور على كور افريقية ويجبى الأموال ويأخذ الهدايا من كل البلاد (١٣٢) ، فالمعروف أن بلاد كتامة كانت مستثناة من دفع الضرائب على أساس انها بلاد « الأنصار » . ولكنه بعد ثورة أبى الفرج التى أعقبت ثورة أبى الفهم الحراسانى الداعى الفاطمى شحنها المنصور بالعساكر والعمال جباة الضرائب - بعد أن كان لا يدخلها عامل قط - فجبوا أموالها وضيقوا على أهلها (١٣٣) . هذا ، ولو أننا لا نعرف ان كان دوران يوسف على كور

(١٣٠) النويزى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٣٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٧ . وأنظر فيما سبق ، ص ٣١٤ .

أفريقية خلال السنتين التاليتين ، أى حتى عزله سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م كان يشمل بلد كتامة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وهذا لا يعنى أن عامل خراج أفريقية كان مستبداً بالادارة المالية دون الأمير . ففي سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ، عندما توفي المرصدى ، صاحب خراج القبروان ، رأى المنصور (أبو الفتح) أن يعهد بتلك الوظيفة بعده الى رجلين معا ، هما : محمد بن عبد القاهر بن خلف ، وسلامة ابن عيسى ، اللذين كان عليهما الاجتماع معا في ديوان خراج المنصورية (١٣٤) ، كنوع من الاحتياط في التدقيق والرقابة .

محنة البونى : مساعد الخراج :

والظاهر ان تلك الرقابة أدت فى سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، الى تغيير الادارة المالية ، بل اتخاذ اجراءات قمعية عنيفة ضد المسئولين عنها . فانقد قام المنصور بالقبض على أبى الحسن البونى نائب يوسف بن أبى محمد ، والمسئول عن الجباية ، والنفقة الجارية ببذخ يوميا على رئيسه يوسف ، وكان ذلك بتهمة الخيانة فى الأموال . ولقد تعرض البونى نظير ذلك الى غرامة - تعادل المبلغ المتهم باختلاسها ، على ما نظن - ولما عجز عن السداد ، كانت عقوبته الذبح ، كالشاة . أما عن يوسف بن أبى محمد ، صاحب أفريقية ، ونائب المنصور فى البلاد ، فانه عزل ، واستعمل بدلا منه أبو عبد الله محمد بن الى العرب الكاتب (١٣٥) ، ولو ان المنصور عاد الى استعمال يوسف مرة أخرى فى سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ولكن فى وظيفة ثانوية هى عمالة مدينة متيجة (١٣٦) ، ولو أن ذلك يمكن أن يعنى نوعا من توارث الوظائف العامة مما عرف فى النظم الاسلامية .

ومن المهم الإشارة هنا الى ما تقوله الرواية تبريرا للعقوبة البشعة التى نزلت بالبونى ، من أن المنصور كان يظن أن عنده مالا ، كائى عبد من عبيده يقدمه اليه عندما يطلبه (١٣٧) ، فكان الفقر أو عدم وجود المال عند واحد من خدام الأمير أو أهل دولته تعنى اهانة أو عيبا فى الدولة أو الأمير

-
- (١٣٤) ابن عذارى ، ج ٢ ص ٢٤٥ .
 - (١٣٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .
 - (١٣٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ .
 - (١٣٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

يستحق صاحبه عليه العقوبة العظمى . والحقيقة ان هذا يعنى أيضا أن خزانة الأمير كانت خاوية ، وان حاجته الى المزيد من الأموال التي كان يضيع الكثير منها قبل الوصول الى الخزانة العامة ، اما ضحية الغدر أو فى النفقة الباذخة على العمال ، أو بسبب الاعفاءات الأميرية كذلك الذى حدث سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م ، عندما « ترك المنصور البقايا للرعايا » بمعنى الاعفاء من المتأخرات الضريبية التي كانت أموالا جلييلة عجز أصحابها عن الوفاء بها (١٣٨) . وهو ما يعنى التخفيف من الطبقات الكادحة على كل حال .

نفقات البلاط :

ولما كانت نفقات البلاط هى الأخرى غاية فى البذخ والتبذير ، وخاصة فى المناسبات المختلفة من فرحية وحزنية ، وكذلك النفقات الجارية على الأعوان ، من : الهدايا وأعمال المال ، وتواييت العود (العطر) الخاصة بالدفن ، وعشرات الأثواب الثمينة المخصصة للدفن ، مما كان يرهق الميزانية ، ويدفع الى اتخاذ اجراءات كريمة ضد أصحاب الأموال ، من : المصادرات وأعمال النهب والسلب مما كانت تصدر به ، أوامر الأمير أو مما يسمح به تغاضيه عن عدم انتظام العسكر ، أحيانا أو أعمال الابتزاز فى شكل هدايا ، مما سبقت الإشارة اليه على عهد المنصور خاصة ، وهو الذى وصفت أيامه بانها « كانت أحسن الأيام (١٣٩) » .

أما عن عهد باديس فلا نعرف من أمر الادارة المالية شيئا فى النصوص ، وان استمر المال عصيا للحرب والمؤامرات السياسية . فكما كانت أموال سبلماسة وعددها هدفا لحزرون بن فلفل الزناتى ، عندما دخلها على عهد بلكين سنة ٣٦٥هـ / ٧٥٤م (١٤٠) ، كذلك كانت أموال أشير هدفا لأعمام أبيه (أولاد زيرى) عندما أعلنوا العصيان ، وقبضوا على عمه يطوفت ابن بلكين ، فأخذوا ماله (١٤١) . وكذلك كان للمال دور فى محاولة

(١٣٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(١٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٧ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣١٦ : عن هدية المنصور الى العزيز التي بلغت مليون دينار ، وص ٣٣٢ : عن الهدايا والأموال التي خرج بها أبو الفهم الى كتامة ، ص ٣١٧ وص ٣٧٣ : عن الأموال الجلييلة التي وصلها المنصور للشرىف الداعى .

(١٤٠) ابن الأثير ، ج ٨ ص ١٦٦٥ .

(١٤١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٥ .

كرامت بن المنصور في منافسة ابن أخيه المعز في الولاية سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م
عندما حاول شراء الجنود بالمال ، فأعطاهم ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، وان
لم يقيض لمؤامراته تلك النجاح (١٤٢) .

وهكذا تظهر أهمية السياسة المالية بالنسبة للمرحلة الأولى من
تاريخ الدولة الزيرية بأفريقية ، وان ظهرت أهمية المسائل المالية
والاقتصادية بشكل أكثر وضوحا في المراحل التالية ، حيث يستفحل الملك
الزيري على عهد المعز بن باديس في القيروان ثم في المهدية ، وكذلك الحال
بالنسبة للحمادي بن في القلعة ثم في بجاية .

الفصل الرابع

المعز بن باديس

(٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٢ م)

يعتبر عهد المعز بن باديس علامة مميزة في تاريخ الدولة الزييرية ، بل في تاريخ المغرب الاسلامي ، من حيث انه كان العهد الذي أنهى مرحلة التشيع الفاطمي في بلاد القيروان وافريقية التي استمرت زهاء قرن ونصف قرن ، ساد فيها المذهب الاسماعيلي الفاطمي على حساب كل من المذهب المالكي الذي كان له السيادة على المستوى الشعبي بفضل كبار المالكية من تلاميذ امام دار الهجرة من أندلسيين كحيي بن يحيى ، ومغارية كسحنون وابنه محمد ، والمذهب الحنفي ، مذهب الخلافة العباسية الرسمي ، الذي انتشر بفضل رجال الدولة من أصحاب الوظائف الدينية الكبيرة ، كالقضاء والفتوى وامامة المساجد الكبيرة في المدن ذات المنابر . فمن طريق قطع العلاقة بين القيروان والقاهرة على عهد المعز بن باديس واعلان الخطبة على المنابر باسم الخلافة العباسية ، عادت السنة الى أفريقية ، وانتهت أزمة التشيع ومعاناة مشايخ المالكية على أيدي السلطات الشيعية ، وان بدأت فترة معاناة الشيعة الذين دفعوا بدورهم ثمن تشيعهم غالبا .

هذا ، فضلا عن استفحال الملك الزييري على عهد المعز حيث بلغت حضارة القيروان ذروة عصورها الذهبية بفض الأموال الطائلة التي كانت ترد الى بيت المال من مظانها الكثيرة ، من الزراعة والحرف المهنية والتجارة ، وان كانت موارد صقلية قد انقطعت عن المهديّة بينما استنزفت الهدايا الموجهة الى القاهرة نصيبا لا بأس به من خزانة بيت المال . هذا ، وان لم يغيب عن الذهن أن انقلاب الأوضاع الاقتصادية في أفريقية الزييرية على أيدي العرب الهلالية ، ربما أعطت صورة مبالغ فيها بعض الشيء ، عن تضخم الحضارة القيروانية في العهد الزييري ، واستفحال الملك على عهد المعز بن باديس - فبضدها تتميز الأشياء ، كما يقال .

المعز قاصرا تحت وصاية العمّة ، السيدة : أم ملال :

ولى المعز الامارة وله من العمر حوالى ٨ (ثمانى) سنوات (١) ، وكانت الشخصية القوية فى قصر الامارة بالمهدية وقتئذ ، هى السيدة أم ملال ، أخت باديس التى تقبلت العزاء فى أخيها المتوفى ، وكذلك التهنة بولاية ابن أخيها الصغير (النويرى ، ص ٣٣٥) ، فكان ذلك اعترافا منهم بوصايتها على المعز (٢) ، تماما كما حدث فى القاهرة قبل ذلك بحوالى عشر سنوات حينما توفي الخليفة الفاطمى العزيز ، وعهد بالخلافة الى ابنه الشاب القاصر ، الحاكم بأمر الله فوضع تحت وصاية أخته الأسن منه ، وهى السيدة : ست الكل سلطانة ، التى أشارت اليها أصعب الاتهام عندما اختفى الحاكم ذات ليلة ، وهو يجوب بعض دروب جبل المقطم بالقاهرة (٣) .

وهكذا مارست السيدة أم ملال مهامها كوصية على الأمير الصغير الذى انتقل من المهدية الى المنصورة يوم ١٥ المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ٢٤ يونيه سنة ١٠١٦ م ، الى أن يشب عن الطوق ، خلال سبع سنوات ، كانت طوالها من غير شك ، موضع كل تقدير ورعاية من جانب المعز ورجال دولته . فهى عندما اعتلت سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م لعدة أيام قبل وفاتها ، كان المعز يعودها كل يوم ويسمح لرجال دولته وبعيدته بزيارتها (٤) . وهى عندما ماتت ليلة الخميس آخر رجب (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) ١٨ أكتوبر ، دفنت فى احتفال مهيب ، يليق بمقام الوصية الرفيع . فلقد صلى على جنازتها بالبنود والطبول ، والعماريات ، والسيدات الجليلتان : الوالدة والأخت (أم العلو) بحال من التشريف لهذه الجنازة لم ير لملك ولا لسوقه مثلها (٥) .

(١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ - بويغ وعمره ٨ سنوات و٦ أشهر ، ابن عذارى ، ج ٢ ص ٣٩٥ - ولى عمره ٨ سنوات أو سبعا ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - بويغ وعمره ٨ (ثمانى) سنين .

(٢) أنظر المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٨١ - حيث النص على أن جدته كانت تباشر الأمور وتصرف الأحوال من رأيها .

(٣) أنظر اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ١١٥ . حيث كان فقده فى ٢٨ شوال سنة ٤١١ هـ . وحيث الإشارة الى أن ست الكل كانت امرأة حازمة ، وإنها ربما تخلصت منه عندما رماها ذات مرة بالفجور .

(٤) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٣ .

(٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٣ ، الأمر الذى يؤكد ما هو معروف من مكانة المرأة السامية فى المجتمع البربرى (المغربى) بعامة والمجتمع الصنهاجى منه بخاصة ، وأنظر المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٨٣ - حيث النص على أنها دفنت بالمهدية ، وإن المعز

الأحوال الداخلية :

اضطراب العامة بالقيروان :

ولما كانت السيدة أم ملال هي المسئولة عن تدبير أمور المعز في بداية ولايته ، فلا ندرى ماذا كان موقفها من تلك الانتفاضة الشعبية التي عرفتها منطقة القيروان سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، والتي قامت ضد عامل الحراج - وربما صاحب السوق أو المحتسب وقتئذ - أبي البهار خلوف الذي ستؤول اليه الكتابة أو الوزارة للأمير المعز بن باديس سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م ، بعد قتل وزيره محمد بن الحسن ، في السنة السابقة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م . فلقد اجتمعت عامة القيروان من أهل السوق على أبي البهار لشدة عليهم ، ربما لتشدده في فرض أو جباية ما يجب عليهم من الضرائب ، والجأوه الى الفرار نحو المنصورية حيث تبعوه الى داره هناك ونهبوها . وعندما سار اليه ابن أخيه فيمن كان لديه من الأعوان والعساكر ، نجدة ، نجح العامة في البطش به ، بل وقتله والتمثيل به ، وكذلك قتل كل من كان معه من الرجال . وتمادى العامة في اضطرابهم الى حد زحفهم على المنصورية وهدم دورها - كما تباليغ الرواية (٦) - . ومن الواضح أن ثورة أهل السوق بالقيروان احتجاجاً على التعسف في الجباية ، كانت تعنى ثورة على الدولة بمعنى مباركة المسؤولين لتلك السياسة المالية المتشددة ، وعلى رأسهم

أمر ببيع ٥٠ ناقة و ١٠٠ رأس من البقر و ١٠٠٠ شاة ، انتهبها الناس ، وفرق في ماتمها على النساء ١٠ آلاف دينار . وهنا لا بأس من الإشارة الى الاحتفال الكبير الذي شيعت به زوجة نصير الدولة (باديس) والدة المعز ، سنة ٤١٢ هـ / ٢٠٢١ م ، ومن الواضح أنها السيدة الوالدة أم المعز ، حيث كفت تحت اشراف السيدة أم ملال كما تقضى سلامة الحس - فيما قيمته ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، ووضعت في تابوت من العود الهندي الثمين ، مرصع بالجواهر الثمين ومساميره من ذهب بلغت قيمتها ٢٠٠٠ (ألفى) دينار - أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٠ .

(٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ، وقارن ادريس (ه - ر) ، الزيريون بالفرنسية ، ص ١٤٨ - حيث الربط بين هذه الثورة الشعبية وبين رد فعل السنة ضد الشيعة المشاركة الذين قتلوا تحت اشراف والي القيروان ، الفقيه أبا علي بن خلدون الذي كان يثير العامة من السنة ضد الشيعة ، فكان الهجوم على المنصورية ونهب أسواقها كان موجهاً من السنة ضد المعز بن باديس . وهذا لا بأس به لولا أنه لا يتفق مع ما هو دارج من وقوف المعز مع السنة ضد الشيعة ، مما يأتي حالا ، ولولا الاعتماد على كتب سير المشايخ انسحاب الكرامات والخوارق . وهذا لا يمنع أن تكون الاضطرابات المذهبية قد استغلت لأغراض سياسية واقتصادية .

الوصية ، السيدة أم ملال ، فهذا ما يستشف مما سقوه يقدقه الأمير المعز
على أبي البهار خلوف من الاحسان وزيادة الرتبة الى الوزارة في نفس السنة
التي توفيت فيها عمته ، السيدة أم ملال (ما يبعه ، ص ٤٠٣) .

مناهضة التشيع والعودة الى السنة :

أما أهم ما ينسب الى المعز بن باديس من العودة الى السنة وتتبع الشيعة
والقضاء عليهم ، فاذا صح ما يقال من أنه افتتح ملكه بتلك السياسة منذ
سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ (٧) ، فانه يكون للسيدة أم ملال نصيبها الذي لا ينكر
في تلك السياسة . حقيقة ان بعض الروايات تنسب تلك السياسة أصلا
الى الوزير العالم والفقيه الزاهد أبي الحسن ابن أبي الرجال الذي وقع على
عائقه تأديب المعز طفلا وتحريضه على حب السنة ومذهب مالك بن أنس (٨) .
ولكن ذلك ما كان يمكن أن يتم الا تحت رعاية السيدة / العمة وشرافها .
ومثل ذلك يصح بالنسبة للروايات الدارجة التي تنسب الى المعز بن باديس
أنه كان منذ بداية ملكه سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، « منحرفا عن مذاهب
الرافضة ، منتحلا للسنة ، أعلن بمذهبه أول ولايته ولعن الرافضة ،
والشيعة لا يعلمون ذلك ، وقتل من وجد منهم » (٩) . فليس من المقبول أن
يتخذ طفل صغير قرارات خاصة بشئون دينية خطيرة ، يترتب عليها الموت
أو الحياة لكثير من الناس . والحقيقة أن أكثر الروايات الخاصة بهذه المسألة
تأخذ شكلا قصصيا منقبيا مصطنعا ، إذ تذكر أن المعز خرج في بعض
الأعياد الى المصلى وهو غلام ، فكبابه فرسه ، فقال « أبو بكر وعمر » ، فكادت

(٧) أنظر ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ - حيث النص على ان « أول ما افتتح
به شأنه قتل الرافضة ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد . وأنظر القلقشندي ، ج ٥ ص ١٢٤ -
حيث النص على أنه كان منحرفا عن الرافضة والتشيع ، منتحلا للسنة ، وأعلن بذلك في أول
ولايته .

(٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٥ - حيث ابن أبي الرجال بدلا من أبي الرجال
التي أخذنا بها . أنظر ادريس (هادي - روجيه) ، الزيريون ، بالفرنسية ، ج ١ ص ١٤٦ .
- حيث القراءة « ابن أبي الرجال ، والشاذلي بو يحيى ، الحياة الأدبية على عهد الزيريين ،
بالفرنسية ، ص ١٣٣ - حيث القراءة « ابن أبي الرجال » .

(٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - هذا ، مع الإشارة الى قتل الدعاة أيضا ، وان كان
ذلك بمناسبة ثورة العامة بالشيعة بعد كيوه الفرس المشهورة وقول المعز : « أبو بكر
وعمر » . وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ - حيث النص على أن المعز أول من حمل الناس
بافريقية على مذهب مالك . وان اتبع ذلك بالقول وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة .
وأنظر صبح الأثرى ، ج ٥ ص ١٢٤ .

الشيعة التي في عسكره أن تقتله لولا عبيده ورجاله الذين كانوا يكتمون السنة ، إذ قتلوه واندفعوا يقتلون الشيعة في كل مكان (١٠) . وتتحور تلك الرواية في شكل آخر عندما تقول ان المعز ركب يوما فمر بجماعة من الرافضة الذين يسبون أبا بكر وعمر ، فقال : رضي الله عن أبي بكر وعمر ، فانصرفت العامة من فورها الى درب المعلى من القيروان ، وهو حي الشيعة ، فقتلوا منهم . والرواية هنا تبرر العمل بشهوة العسكر في النهب وطمعهم ، وباغراء عامل القيروان لهم وتحريضه لأسباب شخصية بحتة (١١) ، الأمر الذي يضعف من صحة تلك الرواية . أما ما تقول الرواية المحلية التي يقدمها النويري ، والتي تشير الى أن المعز بن باديس ركب في يوم السبت ١٦ من المحرم سنة ٤٠٧ هـ / ٢٥ يونية ١٠١٦ م ، ومر بجماعة فسأل عنهم ، ف قيل : روضة ، والذين قبلهم سنة ، فقال : « وأى شيء الروضة والسنة » (١٢) . فكانه لم يكن يعرف شيئا أصلا عن الشيعة ولا عن السنة ، وهو الأمر المقبول من حيث أن الأمير المعز الصغير لم يكن قد تم ختانه الا في أواخر سنة ٤٠٧ هـ / مايو ١٠١٧ م (١٣) . ولكنه عندما عرف أن الرافضة يسبون أبا بكر وعمر قال : « رضي الله عن أبي بكر وعمر » ، فانصرفت العامة من فورها الى درب المعلى ، حيي الشيعة الى القيروان ، حيث « وقع القتل فيهم فصادفت شهوة العسكر وأتباعهم ، طمعا في النهب ، وانبسطت أيدي العامة فيهم » (١٤) .

مسئولية الأمير : طفلا قاصرا :

ومن الواضح أن الرواية الأولى ، عند ابن عذارى ، منقبة تنسب الى

(١٠) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٥ - حيث النص على قتل ٢٣ ألف شيعي دفعة واحدة في موضع قريب من القيروان عرف لذلك باسم « بركة الدم » ، كما قيل : وصاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت فقتلوا في سائر إفريقية ، كما تقول الرواية : وحكى في قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعز في منامه ، وتأويل ذلك وغيره الفينا عن ذكره . والمعز منذ ذلك الوقت ما زال يعمل فكره في قطع الدعوة الى سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م .

(١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٩٤ - حيث الإشارة الى أن عامل القيروان كان يحرض على السلب والنهب لانه كان قد عزل بعد أن أصلح أمور البلد ، فأراد إفساده قبل تركه . فكان الشيعة ضحية ذلك إذ قتل منهم خلق كثيرا ، وأحرقوا بالشار ونهبت ديارهم .

(١٢) النويري ، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

(١٣) النويري ، ص ٣٣٨ - حيث النص على أنه ختن يوم الأحد ٢٠ ذي الحجة ٤٠٧ هـ /

٢٠ مايو ١٠١٧ م .

(١٤) النويري ، ص ٣٣٦ .

الغلام الصغير علما بأصول التشيع والسنة المالكية ، وتجعل من مقاتل الشيعة نتيجة طبيعية للترضية عن أبي بكر وعمر من قبل الأمير المحب للسنة والمالكية ، وكأنها خطة مدبرة من قبل . أما الروايتين التاليتين ، عند ابن الأثير والنويري ، فهما من أصل واحد ان لم تكونا رواية محلية واحدة قد أصابها بعض التغيير مع التواتر والنقل ، وهما أكثر قبولا من حيث الواقع والمنطق . فالأمير الصغير لا يعرف أصلا معنى الشيعة أو السنة . وكذلك الأمر بالنسبة لتحديد وقت الموكب بشهر المحرم بدلا من يوم صلاة العيد في أول شوال أو في ١٠ من ذي الحجة . فالمحرم هو موسم مقتل الحسين في عاشوراء الذي يحتفل به الشيعة ذلك الاحتفال الحزين الذي يعذبون فيه أنفسهم بصنوف اللطم ، ندما وتوبة على التقاعس في نجدة السبط ، الأمر الذي كانت له ردود فعل مضادة من جانب أهل السنة ، مما كان يؤدي عادة الى الفتنة ، وذهاب الضحايا في هذا الجانب أو ذاك .

من كل ما تقدم نخلص الى أن قصة نشأة المعز بن باديس على حب السنة والمالكية وكرهية التشيع وتبعه للشيعة منذ ولايته صغيرا ، منذ سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، غير ذات موضوع ، وانه اذا كان ثمة اهتمامات دينية مناهضة للتشيع فانها تكون مرتبطة بأهداف سياسية معينة من جانب المسؤولين عن الدولة ، من الوصية أم ملال ، والوزير أبي الحسن بن أبي الرجال أو محمد بن حسن ، الذي وصل فيما بعد الى الوزارة ، والذي بدأ تسليط الأضواء عليه اعتبارا من سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، حيث كان عاملا على طرابلس ثم انتقل الى ولاية أمور المعز وجيوشه (١٥) .

أول اهتمام بالأمور الدينية :

والمهم في هذه المسألة أن تكون تلك هي المرة الأولى في تاريخ الدولة الزيرية التي تحظى فيها الأمور الدينية باهتمام خاص يجعلها في المرتبة الأولى من شئون الدولة ، بمعنى أنها أخذت طابعا عربيا مميزا ، على أساس نظرية ابن خلدون التي تقر نوعا من العلاقة الطردية بين عروبة الدولة واهتمامها بشئون الدين الاسلامي .

فالحقيقة أن اهتمام أمراء الزيريين بأمور السنة ضد التشيع بدأ موازيا مع التوجه نحو الاستقلال السياسي عن خلافة القاهرة الشيعية . فعلى

عهد المنصور الذى قال لوفد القيروان سنة ٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م كلمته المشهورة :
 « وما أنا فى هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب » ، بمعنى
 الاستقلالية عن خليفة القاهرة (مسبق، ص ٣٠٩-٣١٠) ، رفع اليه ان عبدا من
 عبيده (السودان) قذف بعض الصحابة فأمر بقتله وصلب جثته ، بينما
 قطعت رأسه وطيف بها فى القيروان تشهيرا ، مع المناداة عليها بسبب
 العقوبة (١٦) ، ردعا للمخالفين وتحذيرا خاصا للشيعية . هذا ، ولو ان
 المنصور كان يجلس بعد ذلك ، فى سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م مع أهل بيته ،
 حسب أوامر القاهرة ليعطى العهد على التمسك بالماذهب الفاطمى لعبد الله
 الكاتب لوزير ، بمناسبة تعيينه داعيا للدعاة (ما سبق ، ص ٣١١) وإذا
 كانت النصوص لا تشير الى شئ من ميول سنية لدى باديس بن المنصور
 والد المعز ، فان الإشارة الى سنية الوزير أبى الحسن بن أبى الرجال .
 وميله الى المالكية وتحريضه للأمير الصغير على الأخذ بها والابتعاد عن الرفض
 بمعنى التشيع ، يعنى أن السنة كانت قد بدأت تتسلل الى قلب البلاط
 الزيرى نفسه ، تماما ، كما حدث فى القاهرة حيث بدأت اتجاهات سنية
 لدى بعض الوزراء الذين اهتم بعضهم ببناء المدارس لأهل السنة ، كما حدث
 فى الاسكندرية - فيما بعد - من بناء ابن السلار مدرسة الطروشى ،
 أقدم مدارس المالكية فى مصر .

أما ما حدث على عهد باديس ، والد المعز ، من قبل العم حماد عندما
 خرج عن الطاعة سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ، وقتل الرافضة ، وأظهر السنة ،
 وراجع دعوة آل العباس ، فكان لأهداف سياسية ، ليس (١٧) .

وهكذا من يكن من الغريب أن يتبلور الاتجاه السنى على أوائل عهد
 المعز بن باديس بتشجيع من المسئولين من رجال الدولة ، وهذا ما ترجحه
 الرواية التى تقول : أن والى القيروان المعزول هو الذى كان يحرض أهل
 السوق فى القيروان ضد الشيعة . أما عن الظروف التى أدت الى انفجار
 الموقف ضد الشيعة فالأرجح أن يكون ذلك قد حدث بمناسبة الاحتفال
 بيوم عشوراء الذى كانت له ردود فعل تؤدي الى الصراع بين طائفتى السنة
 والشيعة ، كما كان يحدث فى بغداد بين حى الكرخ حيث الشيعة على الضفة
 الغربية لدجلة وحى الرصافة حيث السنة على الضفة الشرقية للنهر . وكان

(١٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(١٧) أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧١ - وما سبق ، ص ٣٢٣ - ٣٢٤ .

النزاع بين الطائفتين يصل الى حد الحرب بينهما . ولكن الذي يثير الانتباه هنا هو أن الشيعة في القيروان وأفريقية كانوا أقلية مستضعفة ، الأمر الذي يعنى أن التشيع كان قد تقلص بشدة خلال نصف قرن أو أقل منذ نقلة المعز الى القاهرة : ولا بأس أن يكون التشيع قد ضعف في البلاد منذ ثورة الخوارج النكارية بقيادة أبى يزيد الذى تحالف مع علماء القيروان لفترة من الوقت (ما سبق ، ص ١٧٨) ، الى جانب الدعاية السنية القوية من قبل الأمويين بالأندلس وأنصارهم من زعماء البربر في افريقية ، ضد التشيع الذى وسم بأبشع النعوت والأوصاف (ما سبق ، ص ٣٥ - ٣٦) ، وذلك رغم جهود المعز الفاطمى النشطة في نشر المذهب ، وخاصة بين الكتاميين الذين ظلوا هدف الدعاة المبعوثين من القاهرة على أيام النيابة الزيرية (ما سبق ، ص ٣٣١ وما بعدها) والتمسك بتعاليمه (١٨) .

• مهاجمة حى الشيعة فى درب المعلى يوم عاشوراء :

هكذا تكون الثورة بالشيعة المستضعفين فى القيروان وافريقية ، قد وقعت انتهازا لصغر الأمير ، وبمناسبة شهر المحرم والاحتفال بعاشوراء . ولا بأس أن يكون ذلك قد بدأ بمهاجمة درب المعلى ، الحى الشيعى فى القيروان ، حيث قتل الرافضة ونهبت دورهم . وسرعان ما انتشرت أعمال العنف ضدهم على طول المدينة وعرضها ، كما راح كثير من الناس ضحية الشبهة فى مذاهبهم (١٩) ، حيث قتل خلق كثير منهم . واستمرت مذبة الشيعة لمدة طويلة ، ففى يوم الثلاثاء ١٢ جمادى الأولى ٤٠٧ هـ / ١٧ أكتوبر ١٠١٦ م احتفى حوالى ١٥٠٠ نفس منهم بدار محمد بن عبد الرحمن حيث حوصروا وتعرض من كان يخرج منهم لشراء قوته للقتل تحت ادعاء أنه ظهرت لهم كتب حوت « الكفر والتعطيل للشريعة ، وإباحة المحارم » . وعندما ضاق بهم الحال أخرجوا الى قصر السلطان بالمنصورية حيث تحصنوا هناك خلال الفترة من أواخر جمادى الأولى الى جمادى الثانية (٢٠) .

وفى المهديّة هوجم الشيعة أيضا ، وعندما احتسوا بالمسجد الجامع قتلوا هناك دون اعتبار لحُرمة المكان (٢١) .

(١٨) أنظر فيما سبق ، ج ٢١ ، ٢٢ ، ٢٠٦ ، ٢٥٠ عن نشاط المعز ، ص ٣١٤ وما بعدها عن نشاط الدعاة الفاطميين .

(١٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ .

(٢٠) الزيرى ، ص ٣٣٥ ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢١) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣٦ .

موقف ترقب ومهادنة في القاهرة :

ورغم ما لحق بالشيعة من الأذى ، وموقف أمير القيروان السلبي ، على الأقل ، فإن العلاقات مع القاهرة ظلت على ما هي عليه من حيث الشكل .
ففي آخر ذي الحجة سنة ٤٠٧ هـ / ٢٩ ماية ١٠١٧ م ، وصلت خلع الحاكم الى المعز بن باديس ، مع لقب شرف الدولة ، « ولم يذكر ما كان منه الى الشيعة من القتل والاحراق » ، كما يقول ابن الأثير (٢٢) .

هذا ، كما تصل هدية أخرى من الحاكم سنة ٤١١ هـ / ١٠١٩ م .
بصحبة أبي القاسم بن اليزيد ، الى شرف الدولة أبي تميم المعز ، تحوى : سيفاً مكللاً بنفيس الجوهر وخلعة من ثياب الخليفة وكان دخولها الى قصور المنصورية في ٢٤ من صفر / ٢٠ مايه . ولحق بتلك الهدية سجل حاكمي حملة محمد بن عبد العزيز ، ومعه ١٥ علماً منسوجة بالذهب والخلع التي طيف بها في القيروان . ومع خلافة الظاهر قدم من لدنه رسول وصل المنصورية في ٢٦ جمادى / ١٧ أغسطس ، معه تشريف جليل لأبي تميم المعز وهدية من أفراس مسرجة ، وخلعة ومنجوقان قد نسجا بالذهب (٢٣) .

محاولة الهجرة الى صقلية :

والظاهر ان مذابح الشيعة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، أثارت خواطر القوم الذين استشعروا ضعفهم ودقة موقفهم في افريقية ، فقررت جماعة منهم المسير خفية الى صقلية . ففي سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م كانت جماعة منهم ، مكونة من ٢٠٠ (مائتى) فارس بعائلاتهم من النساء والأطفال قد قررت الخروج من البلاد الى صقلية عن طريق المهدي . ولكنهم عندما وصلوا الى قرية كامل راحوا ضحية تأمر أهل الموضع عليهم ، اذ فاجأوهم ليلاً وهم نيام وقتلوه . وبلغت شناعة الأمر الى حد الاعتداء على الشابات الجميلات من النساء ، بل وقتلن بعد فضحهن (٢٤) .

(٢٢) الكامل ، ج ٩ ص ٢٥٨ ، وقارن النويرى ، ص ٣٣٨ - حيث التاريخ ٣٠
ذى الحجة ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ - حيث سجل الحاكم بلقب شرف الدولة أواخر سنة ٤٠٧ هـ .

(٢٣) اتماط الحنفا للمقرىزى ، ج ٢ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢٤) ابن عذارى ، ه : بيروت ، ج ١ ص ٣٨٨ .

التقىة :

وكان من الطبيعي أن تضع مثل هذه المأساة حدا لمعاناة الشيعة في أفريقية الزيرية لفترة طويلة من الوقت ، وذلك أننا لا نجد في الحوليات المغربية ذكرا لتعرضهم لمثل هذه المتاعب لمدة ١٥ (خمسة عشر) عاما ، الأمر الذي يعنى أن البقية الباقية منهم إما أن يكونوا قد دخلوا في السنة تقية أو تسربوا خارج البلاد خفية أو الى بعض الأماكن المعزولة . فمثل ذلك ما حدث سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م ، عندما احتشدت جماعات من الشيعة وساروا الى أعمال نفطة من بلاد الجريد (قسطنطينية) حيث يتركز الشيعة - حسبما ينص البكري (ص ٧٥) - واستولوا على بعض بلادها واستقروا هناك . ولكنه ما كاد الخبر يصل الى مسامع المعز بن باديس حتى وجه اليهم العساكر لتندور حرب غير متوازنة بين الجند المحترف والتعسباء الذين كان عليهم أن يموتوا دفاعا عن الشرف وعن النفس ، حتى آخر رجل منهم (٢٥) .

حسم العلاقات بين الخلافة بالقاهرة والنيابة بالقيروان :

وتسكت الحوليات الافريقية مرة أخرى عن الإشارة الى الصراع ضد الشيعة الى أن تثير موضوع حسم العلاقات الهشة بين الخلافة في القاهرة والنيابة في القيروان والمهدية ، وقطعها بشكل نهائي . والروايات تعرض لهذا الموضوع تحت عدد من العناوين المتباينة ، متدرجة في التوقيت على مدى ٨ (ثمانية) أو ٩ (تسعة) أعوام ، ما بين سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م وسنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ تحت العناوين التالية :

- ١ - الدعوة للقائم (العياشي) سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م .
- ٢ - قطع أسماء الفساطميين من الطراز والرايات سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م - مع مبايعة القائم والدعوة له .
- ٣ - قطع الدعوة الفاطمية سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، وتبديل السكة في السنة التي تليها ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م .
- ٤ - لبس السواد (شعار خلافة بغداد) سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م .
- ٥ - زحف العرب الهلالية الى المغرب (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م - ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م) - ويشمل أيضا الدعوة للقائم مرة أخرى ، وهو يساعد من غير شك ، في تجديد تاريخ القطيعة بين القاهرة والقيروان .

اختلاف الروايات :

هكذا تأتي الدعوة للعباسيين في بغداد في حوليات ابن الأثير سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م ، تحت عنوان : طاعة المعز باقرية للقائم بأمر الله ، حيث الإشارة الى الخطبة للخليفة القائم ، وورود الخلع مع سجل التقليد ببلاد أفريقية وجميع ما يفتحه للقائم من بلاد المغرب • كما أرسلت رموز الامارة من قبل ديوان بغداد ، وتمثل في سيف (مرصع) وفرس (بسرج محلي) وأعلام (مطرزة مذهبة) ، وذلك عن طريق القسطنطينية - احترازا من أن تؤخذ في الطريق البري من مصر الى القيروان • وكان وصول الاعلام يوم جمعة - دون تحديد السنة - في وقت الصلاة ، فدخل بها الى الجامع والخطيب وقتئذ ، في الخطبة الثانية ، أى قبيل انزول من أعلى المنبر ، ومع ذلك لم يفته الإشارة الى الحدث الهام ، فقال عنها (أى الاعلام) : « هذا لواء الحمد يجمعكم ، وهذا معز الدين يسمعكم ، وأستغفر الله لى ولكم » • ومنذ ذلك الوقت قطعت الخطبة للعلويين ، كما يقول ابن الأثير ، وأحرقت اعلامهم (٢٦) •

وتأتى بعد ذلك رواية لابن خلدون تدعم رواية ابن الأثير السابقة ، تنص على أن المعز بن باديس عندما حلق على اليازورى وانحرف عنه « حلف لينقضن طاعتهم ، وليحولن الدعوة الى بنى عباس ، وأنه قطع أسماءهم من الطراز والرايات ، وبايع القائم ودعا له سنة ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، وأنه وصله بعد ذلك أبو الفضل البغدادي ، مبعوث الخليفة العباسي ، وحظى بالتقليد والخلع ، وقرأ كتابه بجامع القيروان (٢٧) • ومن الواضح أن وصول رموز الخلافة عن طريق القسطنطينية استغرق وقتا طويلا فكان في سنة ٤٣٧ هـ /

(٢٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٢١ - ٥٢٢ - حيث ايراد نصوص من كتاب ديوان بغداد وفي أوله : « من عبد الله ووليه أبى جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، الى الملك الأوحد ، زنة الاسلام ، وشرف الامام ، وعمدة الانام ، ناصر دين الله ، قاهر أعداء الله ، ومؤيد سنة رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أبى تميم المعز بن باديس بن المنصور ، ولى أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب ، وما افتتحه بسيف أمير المؤمنين وهو طويل • وقارن النويرى ، ص ٣٤١ - حيث نفس النص وان كان بشيء من الاستفاضة أو الاختلافات الطفيفة مما يرجع أصلا الى التحقيق ، وقارن اتعاظ الحنفا للمقرئى ، ج ٢ ص ١٩٠ ، حيث النص باقتضاب على قطع الخطبة سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م •

(٢٧) العبر ، ج ٦ ص ١٣ - ١٤ •

١٠٤٥ م هذه ، كما يقضى بذلك منطق الأشياء وسلامة الحس (٢٨) .

أما ابن عذارى فيجعل قطع الخطبة لصاحب مصر سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، حيث صاحبها احراق بنوده . وفي ذلك يقدم رواية ابن شرف التي تنص على أن المعز بن باديس أمر وقتل ، بالدعوة على منابر أفريقية للعباس بن عبد المطلب ، ويقطع دعوة الشيعة العبيدين ، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة ، ولبقية العشرة (رضه) (٢٩) .

الاتصال ببغداد ونوع من العصيان المدني بالقيروان :

ومع أن رواية اتعاط الحنفا (ج ٢ ص ٢١٦) تقدم سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م كتاريخ لقطع الدعاء للمستنصر ، فانها تضيف أن عهد بغداد أرسل بصحبة أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي ، وأنه قرىء بجامع القيروان الذي نشرت فيه الرايات السود ، مع النص على هدم دار (الدعوة) الاسماعيلية بالقيروان . أما عن مقدمات القطيعة التمهيدية فيفهم منها أنه كان هناك نوع من المقاومة الشعبية ، مما يسمى بالعصيان المدني من قبل أهل القيروان ، وذلك فيما يتعلق بمقاطعة صلاة الجمعة حيث عمد ملوك صنهاجة أن تكون الخطبة باسم خلفاء الفاطميين ، وأن هذه المقاطعة كانت تزداد حدة مع مرور الوقت الى أن انتهى الأمر بأن قطع أهل القيروان صلاة الجمعة - التي تعطلت دهرًا - الى أن رأى المعز قطع دعوتهم فكان لذلك سرور عظيم بالقيروان (٣٠) .

(٢٨) قارن اتعاط الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٤ - حيث يضع المقرئ ذلك في سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، ورسول الخلافة هنا هو أبو غالب الشيرازي الذي قبض عليه في بلاد الروم وأرسل الى المستنصر فزف في القاهرة مجرسا على جمل قبل أن يحرق العهد واللواء والهدية في حفرة بين القصرين . هذا ، وتؤكد رواية أخرى (ج ٢ ص ٢٢٢) في سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، تحت عنوان محضر القدح في نسب الخلفاء المصريين ، تفسر سبب ذلك بما عمل مع الرسول المرسل الى المعز بن باديس الذي شهر به بالقاهرة على جمل مقلوب والكتاب في عقده ثم أحرقت الخلع والتقليد وأعيد الرسول الى ملك الروم ، بسبب الهدنة المعقودة بين القاهرة والقسطنطينية ، والتي كان قد بقي منها سنتان .

(٢٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٧٧ - حيث النص على أن بعض القروانيين كان اذا بلغ المسجد ظهر الجمعة ، قال سرا : اللهم أشهد . ثم ينصرف يصلي ظهرا أربعاً ، وإن الحاله تنأى « حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد ، فتعطلت الجمعة دهرًا » ، ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٠ .

لعن الفاطميين :

ويضيف ابن شرف الى ذلك أن الأمر لم يقف عند استبدال الخطبة العباسية بالفاطمية ، بل ان الأمر تجاوز خلع العبيدين الفواطم الى التصريح بلعنهم من أعلى المنابر ، وذلك في خطبة عيد الأضحى - ١٠ ذي الحجة - ٤٤٠ هـ / ١٦ مايو ١٠٤٩ م (٣١) ، كما كان يفعل الأمويون أصحاب الأندلس على عهد عبد الرحمن الناصر ، وأتباعهم من أمراء الزناتيين من : مكناسيين ومغراويين أو من الحسينيين الأدارسة ، مما سبقت الإشارة اليه (٣٢) فكان الصنهاجيين قد تبادلوا المواقف مع الزناتية ، وان كان ذلك لحسابهم الخاص ، بعد سقوط الدولة الأموية العامرية ، وقيام نظام ملوك الطوائف الذي هيا الفرصة لكي يسيطر أبناء صنهاجة الصحراء المغربية الكبرى سلطانهم على الأندلس ، فكأننا الآن على عتبات العصر الصنهاجي الكبير في كل المغرب والأندلس .

احراق البنود وتبديل النقود والدعاء لخليفة بغداد :

أما عن ابن خلدون فهو يلخص الأوضاع الجديدة بين القاهرة والقروان بعد أعمال العنف والقتل ضد الشيعة بشكل عام ، والدعاة منهم ، بقوله : « وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة وخاطبه وزيرهم أبو القاسم الجرجاني محذرا ، حتى أظلم الخلو بينه وبينهم الى أن انقطع الدعاء لهم سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م على عهد المستنصر من خلفائهم ، وأحرق بنوده ، ومحا اسمه من الطرز والسكة ، ودعا للقائم ابن القادر (٣٣) » .

(٣١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠١ - حيث النص على قول الخطيب في لعنهم : « اللهم ألن الفسقة الكبار ، المارقين الفجار ، أعداء الدين .. المخالفين لأمرك .. المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك .. اللهم وان سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك ، والناصر لسنة نبيك والرافع لنواء أوليائك يقول : مصدقا لكتابك .. مدافعا لمن غير الدين ، وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين : يا أيها الكافرون لا أعيد ما تعدون » . (٣٢) ما سبق ، ص ٣٥ ويضيف ابن شرف ان الأمر ازداد حدة في الجمعة التالية - ١٧ ذي الحجة اذ أبلغ الخطيب بسببهم على منبر القروان بأشنع من هذا السب - ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠١ .

(٣٣) العبر ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث الإشارة أيضا الى أن خطاب القائم وكتاب عهده للمعز وصل صحبة داعيته أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي ، فرماه المستنصر خليفة للعبيدين بالمغرب بني حلال الذين كانوا مع الغرامطة ، وهم : رياح وزغبة والأنبج ، وذلك بمشاركة من وزيره أبي محمد الحسن بن علي اليازوري .

وتأتى رواية دخول العرب الهلالية الى أفريقيا سنة ٤٤٢ هـ/ ١٠٥٠ م في حويلات ابن الأثير ، لتؤكد في المقدمات والأسباب ان سنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م هي السنة التي خطب فيها المعز بن باديس للقائم بأمر الله العباسي ، وبالتالي التي قطع فيها خطبة المستنصر العلوي (٣٤) .

وهكذا تتسلسل المقاومة الشعبية للمذهب الاسماعيلي الفاطمي ، منذ بداية عهد المعز بن باديس في سنتي ٤٠٧ هـ/ ١٠١٦ م و ٤٠٩ هـ/ ١٠١٨ م بإشراف رجال الدولة المسئولين من : الوصية أم ملال عمة المعز الى الوزير ابن أبي الرجال ، وعامل الخراج أبي اليهار ، والوزير محمد بن الحسن ومن كان تحت امرتهم من : والي القيروان أو قواد العسكر الذين كان يستهويهم النهب والسلب بصرف النظر عن الدوافع أو الأسباب - وتلك مرحلة أولى .

مسئولية المعز شابا راشدا :

أما المرحلة الثانية فهي التي تنسب الى المعز شابا راشدا يقدر مسئولياته ويقيم نتائج أفعاله ، وتبدأ بأحداث الشيعة في نفطة سنة ٤٢٣ هـ/ ١٠٣٢ م ، والمعز في الخامسة والعشرين ، وقد تمرس بأعمال الحكم ، وتنتهي بالقطيعة مع الخلافة بالقاهرة سنة ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣ م ، وهو في عنفوان السابعة والثلاثين من عمره ، مما يذكر بعنفوان صلاح الدين في مثل تلك السن عندما قاد رجاله ليحقق نصره العالمي في حطين - بعد أن قضى من قبل على الخلافة الفاطمية في القاهرة ، مع فارق الظروف والأحوال .

والحقيقة أن تحديد تاريخ القطيعة بين القاهرة والقيروان بسنة ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣ م ، حسبما سبق عرضه يستدعى وقفة قصيرة ، من حيث وجود رواية أخرى تحدد ذلك بسنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨ م ، وان كان ذلك يأتي عرضا في ثنايا الاعداد لهجرة الهلالية الى المغرب . والحقيقة انه يمكن التوفيق بين التاريخين دونما تعارض ، وذلك اذا أخذنا سنة ٤٣٥ هـ/ ١٠٤٣ م على أنها سنة القطيعة ، من حيث اجابة خلافة بغداد لمسعى القيروان للدخول في طاعتها بدلا من طاعة القاهرة ، وهو الأمر الذي كان يتم في السر خفية من وراء ظهر خلافة القاهرة ، بطبيعة الحال . والدليل

(٣٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ - حيث يضيف انه عندما كتب المستنصر الى المعز يهدده ، أغلظ المعز في الجواب ، وكان ما كان من تدبير الوزير اليازوري من الاصلاح بينه القبائل العربية وإملاقها نحو الفريضة .

على ذلك هو تجشم عناء ارسال شعارات الامارة الى المعز بن باديس عن طريق القسطنطينية (ما سبق ، ص ٣٨٩) .

وهكذا تكون فترة الخمس سنوات من ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م الى ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م ، قد انقضت فى محاولات من جانب خلافة القاهرة فى رد الأمير الصنهاجى عن انحرافه نحو القاهرة ، الأمر الذى تأكد فشله تماما سنة ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م فكانت القطيعة النهائية التى انتهت بلعن خلفاء الفاطميين فى عيد الأضحى من سنة ٤٤٠ هـ / ١٦ مايو ١٠٤٩ م . وفى سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م التالية ، بدلت السكة عن أسماء الخلفاء الفاطميين من بنى عبيد ، وذلك فى شهر شعبان/ديسمبر ١٠٤٩ - يناير ١٠٥٠ م .

وهكذا ألغيت الدنانير والدراهم التى كانت تحمل أسماء خلفاء الفاطميين ، وسبكت الدنانير التى كانت فى بيت المال ، وكانت أموالا عظيمة . وخرجت الدنانير الجديدة تحمل على أحد وجهيها الآية التى تقول : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين . وفى الوجه الآخر حملت الشهادة : لا اله الا الله محمد رسول الله .

والمهم أن الغاء الدنانير الفاطمية لم يكن له تأثير على الأسواق فى القيروان أو غيرها من المدن الافريقية ، وذلك أن دار السكة ضربت كميات كبيرة منها ، كفت الطلب فى الأسواق وزادت (٣٥) .

وهذه المرحلة الثالثة انتهت بالقطيعة النهائية التى يرمز اليها باتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين فى جمادى الآخرة سنة ٤٤٣ هـ / أكتوبر ١٠٥١ م (٣٦) . وبذلك انفرجت الأزمة الفاطمية على مستواها الدينى والمذهبى ، حيث تتبلور الشخصية الخاصة لبلاد المغرب تحت مظلة السنية

(٣٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٢ .

(٣٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٤ - حيث النص على أمر المعز باحضار عدد من الصباغين واعطائهم ثيابا بيضا من فندق الكتان لى تصبغ سوادا وبعد ذلك أعطيت للخياطين لتقطع أثوابا فرقها على الفقهاء والقضاة والخطباء والمؤذنين الذين اجتمعوا لديه فى قصره ، لى يكتسوا بذلك السواد . وهكذا كان الخطيب يصعد منبر القيروان فى الشياب السوداء شعار الخلافة العباسية ويدعو للخليفة القائم بأمر الله ، كما دعا بعده للسلطان المعز بولولده أبى الطاهر تميم ولى العهد .

الملكية ، وعلى اكتاف العصبية الصنهاجية . فى كل من أفريقية التونسية وبلاد الغرب المراكشية الفاسية .

من هذا العرض للأحوال الدينية وما قام من النزاع بين المهدية والقاهرة على عهد المعز بن باديس بفضل توجه الدولة الصنهاجية حكومة وشعبا ضد المذهب الاسماعيلى الفاطمى ، والعمل على احياء المذهب المالكي الذى أعلن انتصاره بعد فترة من التنازع أشبه بما يسميه ابن خلدون بالمطولة ، مما يتعلق بالصراع بين نظامى حكم أحدهما قديم متهالك ، والآخر جديد متماسك ، الأمر الذى لا تتضح معالمه الا بالقاء النظر على الجوانب الأخرى من المشكلة ، مما يتمثل فى بقية الأحوال الداخلية فى الدولة الصنهاجية .

اقرار الآمن ومواجهة الفتن الداخلية :

إذا كانت مطاردة الشيعة وما ترتب عليها من ردود فعل أنية او مستقبلية قد تعتبر علامة ناشزة فى عصر المعز بن باديس الذى يعتبره ابن خلدون عصر استفعال الحضارة الزيرية ، بل الافريقية ، فان الحقيقة قد تكون مختلفة بعض الشيء . فلقد عرف عهد المعز الى جانب مشكلة الشيعة عددا من المشاكل المشابهة التى عكرت صفو الأمن والسلام وقتئذ ، كما سببت المتاعب للأمير وأساءت الى نظام الحكم والادارة ، مثل الفتن الطائفية التى شاركت فيها جماعات زناتة وكنامة ، بل وصنهاجة ، مثل تلكاته ، والفتن الاقليمية والمحلية بين بعض المدن وغيرها أو بين أهل المدينة الواحدة ، كما فى الزاب وجربة وتونس .

النزاعات العرقية من زناتية وغيرها :

على عكس ما كان يظن من أن المشكلة الزناتية كانت قد هانت فى بلاد أفريقية منذ القضاء على الثورة النكارية لأبى يزيد ، بل وانها كانت قد انتهت تماما بعد أعمال زيرى وبلكين ضد زناتة التى أخرجت ، ليس من أفريقية وحدها ، بل ومن المغرب الأوسط مما سبقت الإشارة اليه (ص ٣٣٠) ، فالحقيقة أنه كانت قد بقيت للمشكلة الزناتية ذيول نابعة من أسلوب حياة الزناتية ، بصفتهم قبائل رعوية لا تعرف مفهوم الوطن بمعناه الجغرافى السياسى ، من حيث أن المهم لديهم هو الحرية السياسية ، وعدم الخضوع لسلطان الدولة ، وبالتالى التنقل من أرض الى أخرى ، حسبما

تحكم الظروف وتقضى الأحوال . وهكذا نفاجأ بظهور الزناتية وحلفائهم من قبائل البربر (البترية) ما بين الفينة والأخرى ، بل انهم ربما هددوا العاصمة القىروان نفسها ، ولكن الى حين . وذلك ان كل لقنات المعز بالزناتية كانت تنتهى دائما لصالح المعز وعساكره ، بمعنى أن بقاياهم كانوا قد ضعفوا حقا ، فلم يعودوا يشكلون تهديدا خطيرا للدولة الصنهاجية .

وهكذا يجمل ابن خلدون موضوع الصراع بين المعز وزناتة فيقول : « كانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب فى جميعها ، كما هو مذكور » (٣٧) . وباستعراض الحوليات الزناتية الصنهاجية قبيل عهد المعز نجد أن والده باديس حاول استرضاء بنى خزرون وأقطعهم طبة (ما سبق ، ص ٣٤٧-٣٤٨) وأكرمهم حتى صار اكرامه لهم مضرب الأمثال ، ودليلا على ضخامة ملك بنى زيرى بأفريقية والقيروان ، اذ أعطى باديس بن المنصور لفلفول بن سعيد الزناتى ٣٠ حملا من المال و ٨٠ ثخنا من الثياب (٣٨) . ورغم ذلك فقد كانت العلاقة متارجحة دائما ما بين الوثام والخصام بين باديس وسعيد ابن خزرون ، بمعنى أن عدم الثقة كان هو الأصل فى العلاقة بين الطرفين على كل حال . وهكذا قضى باديس سنواته الأخيرة فى صراع مع بنى خزرون الزناتية فيما بين بلاد الزاب فى غرب أفريقية وما بين طرابلس فى شرق البلاد ، حيث أثاروا الاضطراب فى اقليمها ، وغلبوا عليه مع محاولة الاستعانة بتأييد الخلافة الفاطمية فى القاهرة ، (ما سبق ، ص ٣٥٥) .

مهجمة دواب المعز فى قابس :

والمهم أن أول ذكر لأعمال عدائية من جانب الزناتية على عهد المعز تقع فى سنة ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م ، وتظهر فى شكل تحذير شخصى للمعز ، وإن كان بشكل غير مباشر . اذ أغارت زناتة أفريقية على دواب للمعز بن باديس فى منطقة قابس ، بهدف أخذها ، لولا يقظة الوالى هناك الذى خرج لهم وقاتلهم ، ونجح فى هزيمتهم (٣٩) . وهذا يعنى أن الغارة أتت من قبيل زناتة المستقرين فى شرق المملكة ، فى إقليم نفزاوة الذى استقروا فيه عندما أعطاهم باديس اياه بدلا من طرابلس (ما سبق ، ص ٣٥٦) ، وبعد حوالى

(٣٧) العبر ، ج ٦ ص ١٥٩ .

(٣٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث لفلفول بن مسعود بدلا من سعيد .

(٣٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٢ .

٢ (اربع) سنوٲ نسرب فبائل رنانه بى اقليم نزاره وما يناخسه من بلاد قسطنطية ، وهى بلاد الجريده ، اذ تقسول الروايه انهم خرجوا (اى عصوا) هناك سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، فقطعوا الطريق وأفسدوا البلاد ، وكان على المعز بن باديس أن يواجه اضطرابهم هذا بما يناسبه من الأعمال العسكرية المفاجئة ، قبل فرارهم فى بحار الرمال التى اعتادوا عليها ، فسير اليهم جيشا ، جريده ، وأمرهم أن يجدوا السير ويأخذوا العصاة على حين غرة ، قبل أن يصلهم خبر قدومه اليهم . وهذا ما حدث فعلا اذ انتهت المفاجأة بقتل كثير من الزناتية حيث قطعت رؤوس ٥٠٠ (خمسمائة) رجل منهم ، وضعت فى أعناق الخيل وكأنها أعلق نفيسة ، وسيرت الى المعز الذى استقبلها باحتفال كانت له أصداؤه القوية فى منطقة القيروان (٤٠) .

مهاجمة المنصورية :

ورغم محاولات التهذئة ما بين المعز ورنانة ، بل وكذلك بينه وبين كتامة ، حيث انتهت المراسلات بينهم بالصلح والدخول فى الطاعة سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، على أن يكون من حق الزناتية خفارة الطريق وحفظهما فى نظير اعطائهم مواطن آمنة لهم ، واجراء الأموال المستحقة لهم نظير قيامهم بأعمال الحراسة (٤١) . فالظاهر أن تلك المفاجأة وذلك التمثيل الذى نزل بقتل الزناتية فى تلك الوقعة المفاجئة جعلت زعماء زناتة يعدون بدورهم مفاجأة مدهشة للمعز ، وذلك أنهم قرروا فى ثورتهم التالية سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م أن يكون هدفهم هذه المرة هو حضرة المنصورية ، حيث المعز نفسه « طمعا فى الملك » ، كما يقول ابن عذارى (٤٢) ، أى قلب نظام الحكم ، كما يقال الآن ، والاستيلاء على السلطة . وهنا كان على المعز شخصيا أن يواجه الخطر فجمع العساكر وسار بهم نحو التجمعات الزناتية المتربصة به . وتم اللقاء فى موضع يعرف بـ « حمديس الصابون » وانتهى القتال الشديد بهزيمة زناتة الذين قتل منهم العدد الكثير ، وأسر مثلهم ، بينما فر الباقون الى الغرب ، وعاد المعز ظافرا غانما الى المنصورية (٤٣) . والذى يثير الانتباه هو تصعيد الزناتية لمستوى الصراع مع المعز بحيث كان هدفهم فى سنة

(٤٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤٠ .

(٤١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٧٧ .

(٤٢) البيان ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤٣) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٣٧ .

٤٢٧ هـ / ٣٥ - ١٠٣٦ م هو الحضرة المنصورية التي زحفوا عليها مرة أخرى ، كما نجحوا في التفوق على قوات المعز التي خرجت للقائهم ، فهزموها في موضع يعرف « بالجفنة » قرب القيروان (٤٤) ، ولو أن المعز نجح في تقويم الموقف بعد قتال شديد صيرت فيه صنهاجة ، وانهزمت زناتة هزيمة قبيحة ، وقتل منهم عدد كبير ، وأسر عدد كبير (٤٥) . وفي السنة التالية ٤٣٨ هـ / ٣٦ - ١٠٣٧ م خرج اليهم المعز بنفسه مرة أخرى ، ولم يكتف بكمسهم وهزيمتهم (٤٦) بل انه تتبعهم الى مساكنهم في البلاد فخرها ، كما هدم قصورهم أو حصونهم (٤٧) . واستمرت أعمال القمع التي قام بها المعز ضد الثوار في السنة التالية ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، حيث سير عساكره الى بلاد الزاب حيث فتح موضع « قورس » وقتل من ثوار البربر هناك خلقا كثيرا ، كما فتح مواضع من بلاد زناتة ، واستولى على قلعة « كردوم » من حصونهم القوية (٤٨) .

وفي سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م زحف المعز الى زناتة بجهات طرابلس ولكنهم خرجوا اليه وهزموه هزيمة منكرة ، انتهت بمقتل عبد الله ابن حماد وسبب الأميرة أخت المعز « أم العلو » التي أطلقت وردت الى أخيها الأمير بعد حين (٤٩) .

أما عن الحملة التي سيرها المعز في سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م ضد زناتة فكانت بقيادة ولي العهد الأمير نزار الذي حقق النصر على الزناتية ، وعاد متوجا بأكليل الفار (٥٠) . وفي نفس السنة (٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م) كانت قوات المعز توقع بالثوار من قبائل لواتة (البثرية البدوية أيضا مثل زناتة)

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٦ .

(٤٦) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٥٣ .

(٤٨) النويري ، ص ٣٤٠ .

(٤٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ . هذا وتشير الرواية الى انهم هزموا المعز مرة ثانية عندما أراد الثار فزحف اليهم ، وان أتيت له الكرة عليهم فغلبهم وأذعنوا لسلطانهم .

(٥٠) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - حيث النص على انه عند قفوله أنشدهم

ابن شرف قصيدته التي أولها :

بالسعد والاقبال والتسكين

طلعت من الغربى شمس الدين

هزيمة موجعة ، وتقتل عددا منهم ، وتغنم من أموالهم (٥١) . وان كانت رواية لا تحدد الموضع الذى أنزلت به تلك العقوبة بلواعة ، فمن الواضح ان يكون ذلك سى الاقاليم الشرقية ما بين برقة ونفزاوة .

اضطراب قبائل تلكاة الصنهاجية :

والغريب أيضا أن بعض قبائل صنهاجة كانت مضطربة هي الأخرى ، الأمر الذى كان يسبب المتاعب للدولة الزيرية ، من : الهزائم فى الحرب والاضطرابات الداخلية أوقات السلم . والمثل لذلك قبائل تلكاة التى كانت السبب فى هزيمة جيوش المنصور أمام قوات زيرى بن عطية الزناتى المغراوى ، صاحب فاس (ما سبق ، ص ٣٤٩) . ففى سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م ، قامت حرب طائفية بين جماعات من قبائل تلكاة ، طالبت واشتندت بما فيه الكفاية الى حد قتل الكثيرين منهم (٥٢) .

الاضطرابات الاقليمية :

والى جانب النزاعات القبلية عرف عهد المعز بن باديس الاضطرابات الاقليمية ، كما فى الزاب وجربة ، وبين المدن كما بين القيروان وسوسة أو بين أهل المدينة الواحدة ، كما فى كل من القيروان وتونس ، الى جانب ما كان يقوم به بعض عمال الدولة وكبار الموظفين فيها ، وخاصة من العاملين فى الجباية وديوان الخراج أو غيرهم حتى من الآمرين بالمعروف ، من أعمال كانت تثير ردود فعل عنيفة من قبل الأمير ، ومن عساكر الحرس ، أو ما كان يثير خواطر العامة ويؤدى بالتالى الى الفتنة .

ففيما يتعلق بالاضطرابات الاقليمية فى بعض المناطق التى عرفت بميولها الفردية أو الانفصالية ، تطلب الأمر من المعز تسيير العساكر الى بلاد الزاب سنة ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، حيث تم فتح حصن قزرس ، وقتل خلق كثير من البربر ، الأمر الذى ربما كانت له علاقة بثورة زناتة فى ذلك الوقت (٥٣) . وفى سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م دخل بعض قواد

(٥١) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ - وبمناسبة ورود خبر الإيتاع بلواته ، ضربت الطبول ، كما أشهد ابن شرف قصيدته التى يقول فيها :

باليمن والسعد عدو بالظفر موفى السورد غانم الصدر

(٥٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٤٢ .

(٥٣) النويرى ، ص ٣٤٠ .

المعز بن باديس جزيرة جربة ، المعروفة بميولها الانعزالية ومذاهبها الانفصالية ، وقتل رجالها ، وأسر مقدمهم ابن كلده ، وصلبه : عقوبة قطع الطريق والافساد فى الأرض ، فضلا عن سوء اعتقادهم (٥٤) ، حيث كانوا من الاباضية النكارية ، مذهب أبى يزيد صاحب الحمار . والظاهر انه لنفس هذه الأسباب كانت جزيرة جربة فى السنة التالية ٤٣١ هـ / ٣٩ - ١٠٤٠ م ، هدفا مغارة بحرية من قبل جيوش مالقة ، كما تقول رواية ابن عذارى ، التى فتحتها وانتقم من أهلها فقتلت الكثيرين منهم (٥٥) .

أما عن الفتن فى المدن فتشير الحوليات الافريقية الى الفتنة التى قامت فى القيروان سنة ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م بين الأجناد وبين العامة من أهل القيروان ، والتى أدت الى قتال دام بين الطرفين وانتهت نهاية حزينة بالنسبة لأهل العاصمة ، اذ قتل من عامتهم ٢٠٠ (مائتى) رجل (٥٦) . وعن الخلاف الذى وقع بين أهل تونس وأدى الى تنازعهم فيما بينهم سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م ، فقد تطلب تدخلا مباشرا من المعز نفسه الذى نجح فى تسكين الفتنة بفضل الإصلاح بينهم (٥٧) . وفيما يتعلق بالفتنة التى كانت قائمة بين أهل القيروان وأهل مدينة سوسة ، ميناء القيروان فانها انتهت بالصلح بين أهل المدينتين التوأمتين سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م . والظاهر أن سعاية أهل الخير بين الطرفين انتهت باقرار الحق للسوسيين على أهل القيروان ، وذلك أنه كان على القيروانيين أن يقيموا الدعوات الكريمة للسوسيين وكانت تنتهى بغسل الأيدى بماء الورد ، ومسحها بمناديل الشرب الرقيقة زيادة فى التكريم (٥٨) .

ما بين الدعوة للفاطميين والأمر بالمعروف :

والى جانب ذلك هناك ذكر لما يمكن أن يكون محاولة لاثارة الفتنة عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى المسألة الشبيهة بما كان يقوم به دعاة الفاطميين قبل ذلك لحساب خلفاء القاهرة وخاصة فى بلاد كتامة ، مثلما فعل أبوالفهم وأبوالفرج (ما سبق ، ص ٣٣١ ، ٣٣٤) مع الفارق

(٥٤) النويرى ، ص ٣٤١ .

(٥٥) البيان ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٧ .

(٥٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(٥٧) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٦ .

(٥٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٣ .

في الامكانيات وبالتالي في الهدف ، ولو أنه يمكن ان يفهم من تفصيلات
حدث أنه كانت هناك صلة علاقة بين الأمر بالمعروف هنا وبين خلافة
القاهرة . ففي شهر رجب سنة ٤٤٦ هـ / نوفمبر ١٠٥٠ م كان أحد الوعاظ
القيروانيين ، وهو أبو عبد الله بن عبد الصمد ، الذي عرف بأنه فقيه
زاهد ، يطرد من مدينته القيروان ، تحت الحراسة المشددة نحو مدينة قابس
انتظارا للقافلة التجارية الخارجة من القيروان الى مصر لتحمله الى هناك .
هذا ، وصدرت الأوامر الصارمة الى عامل قابس بعزل الرجل ، فمنع الاتصال
به ، كما حرم من مغادرة موضع اعتقاله .

أما عن الأسباب التي أثارت كل هذه الاحتياطات وتلك الضجة حول
أبي عبد الله بن عبد الصمد الواعظ ، فإنه كان يشد الناس الى حلقات
وعظه بسبب حدة لسانه ، الأمر الذي استدعى تحذير المعز بن باديس له .
والظاهر أن الرجل في وعظه لم يكن يتعرض لموضوعات سياسية تثير
الحكومة ، بل كانت موضوعاته تتعلق بأمور خاصة بالزهد والتصوف ، مما
يتعلق بموضوعات الفيض والحلول الالهية أو ما شابه ذلك ، وهي الموضوعات
التي أثارت من كان يجتمع حوله من فقراء القيروان ، أي عبادها وصلحائها ،
الذين استبشعوا مقالاته ، « فرفعوا رقاعهم الى المعز بذلك » ، فاتخذ قراره
بالنفي عن البلد ، بعد أن كان قد أنذره وأعذره .

ولكن الذي حدث هو أن الرجل المتصوف الصالح لم يقدر له الوصول
الى مصر حيث قتل وهو في القسافة ، في الطريق . وهنا لم يسكت
عبد الصمد والد أبي عبد الله الذي كان يمارس وظيفة الوعظ التي أخذها
ابنه عنه ، بجامع الفسطاط (مصر) ، وأشار بأصابع الاتهام الى أمير
القيروان ، وقرر أن ينتقم منه انتقاما يتفق مع بشاعة الجريمة التي ارتكبت
في حق فلذة كبده ، عن طريق استخدام أقصى ما يمكن من وسائل الإعلام
في ذلك الزمان . فقام الرجل في التو واللحظة بالمسير الى مكة ، فكان يطوف
بالكعبة خلال الموسم ، وهو يصيح « يارب المعز ، عليك به يارب » .

وهنا تكون المناسبة لتفسير سبب خراب ملك المعز بن باديس بدعاء
ذلك الرجل بل والتأكيد على أنه « لم يشك أحد في اجابة « دعوته » (٥٩) ،
فكان حكومة المعز التي توصف بضخامة ملكها وترفها وبذخها ، كانت

تضعف من أن تقف أمام دموع مظلوم ، فما بالك بدعاء كل الكارهين للنظام ، من مظلومين وغير مظلومين ، لأسباب حقيقية أو لمآرب شخصية .

١٠ بين الأمير والوزير ورجال الدولة :

من أهم ما يميز حكومة المعز بن باديس هو طول عهده الذي امتد زهاء نصف قرن (٤٨ سنة : ٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٥ م) ، مما يسمح بالمقارنة مع بعض أمراء الاسلام القريبين العهد به ، مثل عبد الرحمن الناصر بالأندلس (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) ، والمستنصر الفاطمي بالقاهرة (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) .

١١ تكوين أسرة أميرية :

حقيقة أن المعز ولي الملك وهو غلام صغير في الثامنة ، الأمر الذي يمثل نوعا من القصور في أسلوب الحكم ، إلا أنه في نفس الوقت كان فرصة للتدريب العملي ، وتطبيق ما كان يمكن أن يتلقاه من نظريات الحكم وفلسفة السياسة المدنية . ولما كان أول ما يجذب الاهتمام في ذلك العصر ، أن يكون الأمير أسرة تتوارث الملك ، فلأن ذلك الأمر كان يمنع الاختلاف بين أفراد العائلة الكبيرة من : الأعمام الصغار والاخوة الطموحين وأبنائهم الكبار . وهنا يمكن تفسير وصول زاوي بن زيري ، عم والد المعز الأكبر من الأندلس سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، والحفاوة التي قوبل بها من قبل المعز (ما سبق ، ص ٣٦٧ وهـ ١١١ ، وص ٤٠٦) ، بأن ذلك يعنى تأييدا لامارة المعز وسندا لا يستهان به .

١٢ زواج المعز بن باديس :

وهكذا كان على الأمير الصغير أن يتأهل للزواج ، بدأ بختانه الذي حدث في أواخر ذي الحجة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م (النويري ، ص ٣٣٨) . أما عن زواجه الذي مر عليه ابن عذارى سريعا ، رغم المبالغة في وصفه بأنه « ما تهيأ قط لأحد من ملوك الاسلام ، اكتفاء بما شرحه الرقيق في كتابه ، فقد كان في سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م . » ويذكر لابن أبي دينار . رغم تأخره ، أنه أشار إلى الوليمة التي صنعها المعز بالمناسبة ، والتي « لم يكن مثلها لأحد في بلاد المغرب » مع تقديم تفاصيل طريفة عن الاستعدادات

— ٤٠٢ —

الخاصة بالعرس الكبير (٦٠) . وهكذا بدأت الأسيرة المعزية البياديسية في الزيادة ، اعتباراً من شهر صفر سنة ٤١٥ هـ / إبريل ١٠٢٤ م ، حيث ولد له ابنه كباب ، بينما كان مولد ابنه الثاني نزار في ١٠ من المحرم ٤١٧ هـ / ١ مارس ١٠٢٦ م (٦١) .

ممارسة السلطات المطلقة : نكبة الوزير :

والظاهر أن المعز عندما أدرك سن الحلم وهو في شبابه المبكر ، في الرابعة عشرة من عمره ، كان قد بدأ يمارس سلطاته المطلقة ، بل ويظهر اتجاهات استبدادية متطرفة . ففي ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ / ١٠ يولييه ١٠٢٢ م قتل وزيره وصاحب جيشه ، أبا عبد الله محمد بن الحسن بعد ٧ (سبع) سنين قضاهما الرجل في الخدمة مستقلاً بأمور الدولة ، أي منذ بداية عهد المعز . أما عن تبرير التخلص من الوزير قتلاً ، فيرجع ، كما نقول الرواية إلى انفاقه كل دخل الدولة في وجوهها المعروفة ، بمعنى الموازنة بين الدخل والحرج تماماً ، دون ادخار أموال قد يستفاد بها عند الحاجة (٦٢) . وهو ما يعني أن الرجل كان مستقلاً بالإدارة المالية كما كان الحال بالنسبة لمشاهير سابقيه ، من : ابن القديم على عهد بابكين ، إلى عبد الله بن محمد الكاتب أيام المنصور ، إلى محمد بن أبي العرب على عهد باديس ، مع عدم الإخلال بطبيعة الحال بحق الأمير في الرقابة على أعماله .

وإذا كانت بقية الرواية تضيف إلى ذلك طمعه في المال لكثرة

(٦٠) المؤنس ، ص ٨٣ — حيث النص على البدء في العرس بنصب القباب خارج المدينة ، ونشر ما هيا من الأثاث والثياب ، وحمل المهر على ١٠ بغال ، على كل بغل ١٠ آلاف دينار ، وحضر من آلاف الملاحى ما لا يوصف . ولقد قوم حذاق التجار ما حمل للعروسة فكان أزيد من مليون (ألف ألف) دينار .

(٦١) النويرى ، ص ٣٤٠ ، وانظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ — حيث النص على وفاة نزار بن المعز بن باديس سنة ٤٣٨ هـ ، وعمره ٣١ سنة وأشهر ١٠ . وفي تلك السنة ولد له الآخر أبا التاسم (العهد) ، وكناهه العزيز بالله ، وهو ابن ٨ أشهر ، وتوفي بعد ذلك وهو ابن سنة ٣ أشهر — انظر ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٣٩٨ ، وأخيراً كانت ولاية العهد سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م لولده أبى الطاهر تميم . — خلفه — ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

(٦٢) النويرى ، ص ٣٣٩ ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٧ — حيث يمكن أن يفهم من النص أن الرجل غدر في المنال ، حيث قيل أن أبا عبد الله محمد بن الحسن أقام سبعين سبتين لم يحمل من الأموال شيئاً (إلى الخس) ، بل يجيبها ويرفعها عليه .

اتباعه ، يجمعني أنه أصبح مركز قوة ، وأنه أخذ مالا من الذخيرة لم يرد
عوضه ، حتى ضاقت الدولة ، واتسعت أحواله ، وكثرت أبنيته التي لا تصلح
إلا للملوك ، كما أن ابن يرأس رجال الدولة بمصر فيناديهم ويهادونهم ،
إلى أن وصل إليه سجل خاص من الخلافة ، فضايق منه المعز (٦٣) ، فان
الاتهام الأخطر الذي توجه له الرواية هو أنه كان معتزا بأخيه الذي كانت
له ولاية طرابلس ، حيث أعداء الدولة الزناتية الذين كان يمكنه الاعتماد
على مساندتهم . فبناء على ذلك تقول الرواية أن الوزير أبا عبد الله محمد
ابن الحسن شعر بقوة وبدأ يزاحم الأمير في سلطانه ، حيث صار يذكر
اسمه إلى جانب اسم المعز في مخاطباته ، الأمر الذي ثقل على المعز وجعله
يفكر في التخلص من الوزير ، حيث دس عليه بعض خواصه للخدمة لديه
وتعريفه بتفاصيل أحواله ، وانتهى بقتله ، في ٧ ربيع الآخر ٤١٣ هـ / ١٠
يوليه ١٠٢٢ م مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على أمواله وممتلكاته ،
وكذلك الأمر بالنسبة لرجال العاملين معه في الإدارة المالية (٦٤) ، فكانها
قصة الرشيد وجعفر البرمكي ، قد وضع لها « سيناريو » جديد يناسبها .

وفي سبيل تبرير غدر الأمير بالوزير تقدم الحولية التاريخية قصة
خيالية مفادها أن الوزير كان على دراية بما ينتظره من مصير مشئوم ، فكان
المسألة تتعلق بشيء مما عرفه الفاطميون من علم الحدثن ، وذلك عندما رأى
أبو عبد الله محمد بن الحسن في منامه عبد الله بن محمد الكاتب وزير
المنصور وباديس ، فحذره من مغبة عمله ونصحه بتقوى الله في الناس
كافة ، منع أبيات من الشعر تعبر عن قصر الحياة وعدم الاغترار بالدنيا ،
الأمر الذي انزعج له الرجل فأنشده من نومه مذعورا ، فلم ينقض على ذلك
غير شهرين حتى كان مصرع الوزير على يد الأمير (٦٥) .

عصيان أخى الوزير ، تحالفا مع زناتة في طرابلس :

والمهم أنه عندما بلغ الخبر إلى أخى الوزير فى طرابلس تحالف مع

(٦٣) التويرى ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٦٤) التويرى ، ص ٣٤٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٧ .

(٦٥) ابن الأثير ج ٩ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ - حيث يعرض عددا من أبيات الشعر يقول الثالث

« وألرابع منها على لسان عبد الله بن محمد الكاتب »

وأعظم أسرة تك بن لاني
فلا تفتخر بالدنيا وأقمر
ملكك ولم اعش طويلا وعرضا
فان اوان امرك قد تقضى

(ابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٨)

زناتة في المنطقة ضد المعز ، بل وأدخلهم مدينة طرابلس نفسها ، فقتلوا من كان فيها من العسكر المعزي والصنهاجي واستولوا على المدينة . وكان انتقام المعز شديدا اذ أنه أمر بالقبض على أولاد الوزير الى جانب عدد من أقربائهم فحبسهم ، ولكنه أمام احتجاج نساء المقتولين في طرابلس الثلاثى استغثن بالمعز بن باديس ، اضطر الى قتلهم بعد أيام من الاعتقال (٦٦) .

اما عن الذى خلف أبا عبد الله بن الحسن فى الوزارة فهو أبو القاسم ابن محمد بن أبي العرب ، وصرف اليه النظر فى سائر افريقية ، فى حفل رسمى قلده فيه سيفه ، وأخرجه فى موكب تتقدمه الطبول والبنود (٦٧) ، ولكنه لم يقدر للقاسم أن يستمتع بمنصبه اكبر طويلا ، وذلك أن المعز فوض فى ٢٥ جمادى من السنة التالية (٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) ١٦ سبتمبر ١٠٢٣ م ، جباية الأموال وولاية العمال والنظر فى العساكر وسائر الأشغال الى أبي البهار بن خروف (ما سبق ، ص ٣٨١) ، الذى استخدم الحزم والحسم حتى تحسنت الأمور ، وضبطت الأطراف والثغور ، واستقام التدبير حتى « رأى الأمير شرف الدولة (المعز) من حزمه وكفايته ما لم يقيم به غيره » (٦٨) .

سياسة حازمة تجعل من الوزير أبي البهار مركز قوة يخشى أمره :

ولا بأس أن تكون سياسة الحزم والحسم التى انتهجها أبو البهار بن خروف ، والتى تشير اليها رواية ابن عذارى قد أصبحت سياسة معتمدة من المعز ، وأنها التى تفسر سلسلة النكبات والمصادرات التى تشير اليها الحوليات المعزية الباديسية فى ابن عذارى ، والتى صارت جزءا من السياسة المالية ، منذ التخلي عن الوزير أبي عبد الله محمد بن الحسن سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٣ م . ففي سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م نكب محمد بن محمود بن السكاك ، الذى كان يتولى «أشغال أم المعز» ، وعن هذا الطريق استولى على دولته (٦٩) ، الأمر الذى يذكر بالطريقة التى استولى بها محمد بن أبي عامر الحاجب المنصور ، على دولة الحكم المستنصر بعد ما دخل فى خدمة زوجته السيدة.

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٢٨ ، وأنظر النويرى ص ٣٤٠ - حيث النص على أنه بعد أن أمر المعز بالقبض على جميع بنى محمد حبسهم لفترة من الوقت قبل أن يتقدم الجميع للقتل .
(٦٧) النويرى ، ص ٣٤٠ .

(٦٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٣ .

(٦٩) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٧ .

أم هشام المؤيد ! أما عن نكبة والى نفطة ، وهو جوشن بن حميد الصنهاجي .
سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م ، فقد كذبت بسبب مطالبتة بأموال كثيرة اتهم
باحتمجانها لنفسه ، وكان عليه أن يتحمل المثير من العذاب والهوان ، في
سبيل اجباره على الاقرار بما اتهم به (٧٠) . هذا ، كما اتهم قاضي قفصة
أحمد بن حجاج هو الآخر ، في مبلغ ١٠ (عشرة) آلاف دينار ، ولكن الرجل
الذي كان (متصاونا) يخشى أن تخدش كرامته ، يادر بدفع المبلغ المطلوب ،
وحفظ نفسه (٧١) . وكذلك كان الحال بالنسبة للقائد عباد بن مروان سنة
٤٤١ هـ / ١٠٣٩ م ، وهو أحد الخاصة ، وكان يحمل لقب سيف الدولة فقد
تأسست نكته على أساس اتهامه بالحيانة في الأموال ، وذلك انه دفع الى
أعدائه مع الأمر باستخراج أمواله ، كما قبض على من دخل في خدمته من
العمال ، من أجل المساعدة على ذلك . وأخيرا ألقى الرجل في سرداب من
نوع السجن المطبق المظلم فبقى حتى مات (٧٢) ، وذلك قبيل الوقت الذي
بدأت تشور فيه مشكلة العرب الهلالية .

الامير وأفراد الأسرة الحاكمة :

هكذا ، كان اضطراب الأجهزة الادارية يمثل مادة اضافية لاثارة
الخواطر والقلق بين رجال الدولة وعمالها ، بل وبين ذوى الأملاك وأصحاب
الأموال من عامة الناس ، من التجار وغيرهم ، ولزيادة أسباب الاضطراب
الأخرى من نزاعات عرقية ومذهبية ، وصراعات محلية وعائلية . ومن بين
الصراعات العائلية كان للعلاقات الحسنة أو السيئة بين الأمير أو الفرع المالك
من العائلة الزيرية الذي يتمثل هنا في بني المنصور بن بلكين ، وبين غيرها
من الفروع الاقدم ، كبنى زيرى أو الأحداث كبنى حماد ، أثرها الخطير على
استقرار الأمن والهدوء .

وقيما يتعلق بعهد المعز بن باديس أمكن التغلب على ما صادفه من
عقبات في سبيل ارتقاء العرش قبل الطامعين فيه من أفراد الأسرة الزيرية ،
دون صعوبات كبيرة ، حيث أمكن التخلص بسهولة من كرامت بن المنصور

(٧٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٧١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٩ .

(٧٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤٠٣ .

كمنافس على الامارة ، على يدى كل من الطرفين المتصارعين وقتئذ . وهما حزب حماد بن بلكين المعارض ، وحزب المعز بن باديس ولى العهد انشردى . وان كان ذلك قد تم عن غير قصد من جانب كل من الطرفين (ما سبق ، ص ٣٧٧-٣٧٨) فلقد اقتضت السياسة ، من حزب المعز الحفاظ على سمه كرامت الى جانبه ، فعقد المعز له اضافة الى ما كان بيده وقتئذ من ولاية أشير ، على اعمال المغرب كلها ، فى سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م (٧٣) وفى نفس السنة (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) تحسن موقف الأسرة بالنسبة للمعز عندما رحل زاوى بن زيرى من الأندلس . شيخا مبعلا ، بعد ٣٢ (اثنين وعشر) سنة قضاه فى الأندلس مجاهدا للعدو ، ومثيرا للهيبة الفتنة هناك . ومشاركا فى اقامة نظام الطوائف بالعمل على استيلاء الصنهاجيين على غرناطة ، فاستقبله المعز فى المنصورية بما يليق بشخصه من اجلال وتكريم ، الأمر الذى اعتبر تمكينا لمركز المعز وتأيدا له (ما سبق ، ص ٤٠١) فى مراجعة حماد بن بلكين ، عم والد المعز الذى بقيت مشكلته تنتظر حلا .

الصراع ضد حماد بن بلكين :

بعد وفاة باديس والد المعز ، وهو يحاصر عمه حماد بن بلكين فى قلعة . وانصراف عسكر باديس الى افريقية نزل حماد على أشير حيث ابن أخيه كرامت بن المنصور ، الذى كن عليه الدفاع عنها ، بناء على نصيحة القاضي ، ونجح بعد هزيمة كرامت فى اخراجه ، بعد أن ارضاه بمبلغ من المال فى المحرم ٤٠٧ هـ / يولييه ١٠١٦ م ، الى المعز بافريقية (٧٤) . وكان على المسئولين بالمنصورية أن يعدوا العدة لمواجهة تهدد حماد ، الأمر الذى استغرق أكثر من العام ، حيث كان خروج المعز من المنصورية الى بقيادة على رأس العساكر فى يوم الخميس ٢٣ من صفر ٤٠٨ هـ / ٢٢ يولييه ١٠١٧ م ، حيث أشرف على الرجال ، وفرق فيهم الأموال ، قبل المسير على رأسهم يوم ٤ ربيع الأول / أوغ أغسطس ، فى الوقت الذى بدأت تأتية

(٧٣) النويرى ، ص ٣٣٩ .

(٧٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٧ ، وما سبق ، ص ٤٠٥ ، وثارن النويرى ، ص ٣٣٧ ، حيث الاشارة الى أن جند كرامت التلكتانيين كانوا سبب الهزيمة إذ غدروا بكرامت ونهبوا بيت المال مع الاشارة الى أن حماد طالب التلكتانيين والصنهاجيين بعد ذلك بما صار اليهم من أموال كرامت - مع الافادة ان قوات حماد بلغت ١٥٠٠ رجل : بينما بلغت قوات كرامت ٧٠٠٠ رجل ، اما النقود التى قدمها حماد الى كرامت فقد بلغت ٣٠٠٠ دينار فقط .

جماعات من عسكر حماد تطلب اندخول في خدمته ، وكذلك من كتامة (٧٥) ، بعد أن تفرقت عنه تلكاتة وبعض صنهاجة من أعوان كرامت في السنة السابقة (٧٦) . ولكنه على عكس ما كان يأمله المعز فنتيجة لذلك ، من ضعف حماد وأخيه إبراهيم وقرب خضوعهما ، أتت الأنباء تبين أنهما يستعملان الخديعة والغدر في الايقاع بالمخالفين من أتباع المعز ورجاله . من ذلك ما فعله إبراهيم من التفرير بأيوب ابن يطوفت عامل باغاية ، عندما كان يحاصر مدينته ، إذ عاتبه وذكره بأنهم اخوة وإن ما حدث من الخلف بينهم إنما كان بقضاء الله وقدره ، وطلب اليه أن يرسل معه من يأخذ العهد على حماد بالطاعة ، حسب رغبة هذا الأخير ، ثم انه غدر برسولى أيوب ، وهما : حمادة أخى أيوب ، وحبوس بن القاسم بن حمادة ، فأساء اليهما ، وأرسلهما الى القاعة في ثياب رثة مثقلين بالحديد - حيث حماد الذى قتل تابعهما : تورين ، غلام أيوب (٧٧) .

المعز ينزل الهزيمة بجماد :

وعندئذ لم يكن أمام المعز الا المسير بالعساكر الى حماد ، حيث أنزل به هزيمة مريرة فى آخر ربيع الأول ٤٠٨ هـ / ٢٦ أغسطس ١٠١٧ م ، قتل فيها حمادة أصحابه ، كما وقع إبراهيم أسيرا ، بينما نجح حماد فى الفرار وقد أصابه جراح وتفرق عنه أصحابه . واثر ذلك أضاف المعز الى أعمال كرامت بن المنصور ولاية المغرب (٧٨) ، بينما عاد المعز الى قصره فى آخر

(٧٥) النويرى ، ص ٣٣٨ .

(٧٦) النويرى ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ - حيث كان قد طالبهم بأموال كرامت التى نهبوها فامتعوا عليه وتفرقوا .

(٧٧) النويرى ، ص ٣٣٨ - حيث النص على أن حمادة وحبوس أنزلا فى فاقة (مظلة) السلام ، وإن الذى جردهما من ثيابهما وألقى عليهما ملابس رثة ، هو : ذكون بن أبى جلا . أما عن تبرير حماد لقتل تورين الغلام فيتلخص فى قوله له : « هذان ابنا عمى ، وأنت فما جاء بك » . أردت أن تتحدث . قال لى حماد ، وقتلت حماد » .

(٧٨) النويرى ، ص ٣٣٩ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٨ - حيث النص على مسيرة المعز بن باديس فى ٢٢ صفر ٤٠٨ هـ ، وهو تاريخ خروجه الى رقادة عند النويرى الذى يقدم لنا تاريخ الوقعة (آخر ربيع) ، كما يشير الى جراح حماد ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - حيث كان حماد قد دخل المسيلة وأشير وحاصر باغاية . أما عن حملة المعز فقد فكت الحصار عن باغاية كما كانت كانت سطيف آخر مطاف المعز ، وكذلك قصر الطين ، قبل التفلول الى حضرته .

جمادى الأولى ٤٠٨ هـ / ٢٢ أكتوبر ١٠١٧ م ، حيث أطلق سراح عمه ابراهيم وأحسن اليه (٧٩) .

الصلح بين حماد والمعز :

وعندما طلب حماد الصلح ، وتيقن المعز من حسن نواياه ، قبل منا ما عرضه ، من سعى أخيه ابراهيم فى الصلح ، وارسال ابنه القائد رهينة الى المنصورية ، ووافق على الصلح . وفعلوا وصل القائد بن حماد الى المنصورية فى ١٥ شعبان ٤٠٨ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٠١٧ م ، فأحسن المعز استقباله وعهد اليه بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقرة ودكمة وبلزمة وسوق حمزة ، وأعطاه شعارات الولاية من البنود والبطول وصرفه الى أبيه حماد بالقلعة ، فى ٤ رمضان / ٢٤ يناير ١٠١٨ م . وبذلك يكون حماد قد دخل فى طاعة المعز شكلا على الأقل ، حيث كان ابنا القائد يتردد الى المعز ما بين الحين والآخر (٨٠) . وتأكد الوفاق بالمصاهرة حيث زوج المعز أخته بعبد الله بن حماد (٨١) .

واثر تمام الاتفاق بين المعز وبين حماد وابنه القائد سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م وانعقاد الصلح ، فان المعز كان يستطيع أن يبعث رسالة الى قبائل البربر وغيرهم ممن كانوا غير ملتزمين بالطاعة ، فيرجعون الى الهدوء والسكينة ، مع ردع المفسدين منهم بالحرب والقتل ، الأمر الذى أدى الى سيادة الأمن والسلام بين سائر القبائل (٨٢) . وهكذا حق لابن خلدون أن يقرر : ان الحرب رفعت أوزارها من يومئذ واقتسموا المظلة ، والتحموا بالأصهار ، وافترق ملك صنهاجة الى دولتين : دولة المنصور بن بلكين بالقيروان ودولة حماد بن بلكين بالقلعة (٨٣) . وبذلك يكون وضع حماد

(٧٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ - حيث خلع عليه وأعطاه الأموال والدواب .
(٨٠) النويرى ، ص ٣٣٩ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٨ - حيث النص فى حاجة الى الضبط اذ يقرر ان المعز وصل القائد بن حماد بعمل : المسيلة وطبنة والزاب وأشعر وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب لكى يكرر مرة أخرى أنه عقد للقائد (بن محمد بدلا من حماد) على : طبنة والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة ، كما انقلب بهدية ضخمة ، وانظر ابن عذارى ط : بيروت ج ١ ص ٣٨٨ - حيث الاشارة فى حويلات ٤٠٨ هـ الى حروب عظيمة بين عسكر شرف الدولة (المعز بن باديس) وعسكر حماد .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٨٣) المعز ، ج ٦ ص ١٥٨ .

- ٤٠٩ -

وبنيه قد استقر ، الى جانب الأمر الواقع من الناحية القانونية أيضا ، بعد اقل من سنتين من وفاة باديس أمام أسوار القلعة . وهكذا عندما يتوفى حماد . بعد حوالي ٩ (تسع) سنوات ، فى ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م فإن المعز يستقبل النبأ بما يستحقه من التأثر والأسى اللائق لما يربط بينهما من صلة القرابة - بصرف النظر عن انها من الدرجة الخامسة - والمصاهرة ، ويكتب بالتعزية الى ابنه القائد ، اذ المهم أنه : عظم على المعز موته ، كما يقول ابن الأثير ، لصالح الأمر بينهما ، ولأن الأمور استقامت للمعز من بعده ، وأذعن أولاد عمه حماد بالطاعة (٨٤) .

عودة النزاع واعتبار سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م

سنة انفصال بين الدولتين البلكيينيتين :

وبطبيعة الحال لم يمنع اقرار السلم بين المنصورية وبين القلعة من قيام النزاع بين الأسرتين القرينتين ، تماما كما يحدث بين الدول المتجاورة ، بل والمتباعدة أيضا . وهكذا نجد فى الحوليات سنة ٤٣٢ هـ / ٤٠ - ١٠٤١ م أن المعز يخرج بجيوشه الى قلعة حماد ويضرب عليها حصارا طويلا لمدة ستمين متتاليتين ، ضيق عليها أثناءها . مع تبرير تلك الأعمال العدائية ضد الحماديين ، برجوعهم الى النفاق ، وهو المصطلح الذى يعنى العصيان أو الخروج عن الطاعة (٨٥) ، وهو ما لا تمدنا المصادر بشيء ما عن موضوعه ، رغم اهتمام ابن الأثير بذلك وتخصيص عنوان مميز له (٨٦) ، الأمر الذى قد يعنى مجرد توجهات شخصية أو مزاجية من جانب الطرفين أو أحدهما .

هذا ، ولو أنه يفهم من نص ابن خلدون ان نهاية صراع سنة ٤٣٢ هـ / ٤٠ - ١٠٤١ م كانت فى غير صالح المعز ان لم تكن وخيمة بالنسبة له ، من حيث أن عودة المعز الى افريقية لم تتبعها محاولة أخرى للدخول فى صراع

(٨٤) الكامل ، ج ٩ ص ٣٥٥ ، وقارن النويرى ، ص ٣٤٠ - حيث النص على ان وفاة حماد كانت فى صفر ٤١٩ هـ / مارس ١٠٢٨ م ، وان المعز كتب الى ولده القائد بالتعزية . وقارن الاعلام لابن الخليل ، ص ٧٥ وهـ ٢ - حيث النص على موت حماد بمرض تازمرت ، الذى لعله تازمالت على بعد ٨٠ كم ، جنوب شرق بجاية .

(٨٥) النويرى ، ص ٣٤١ ، ابن عذارى ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٧ - حيث النص على ان المعز اخذ بمقتضى حماد (المتوفى) وهو يقصد ابنه القائد .

(٨٦) الكامل ، ج ٩ ص ٣٩٢ - ٣٩٣ - حيث النص بوضوح على خلاف أولاد حماد ، وعودتهم الى ما كانوا عليه من العصيان والخلاف عليه .

مع الحمادين ، فكان سنة ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م هي سنة الفصل بين الدولتين
البلكينيتين ، وليس سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، حسبما ينص على ذلك ابن خلدون
نفسه .

الاقتصاد والمال والحضارة على عهد المعز بن باديس :

لما كانت قوة الدولة تتمثل في قوة اقتصادها بمعنى غناها وكثرة
الأموال فيها ، من حيث ان المال هو مادة الحياة بالنسبة للدولة وقيمة
مجتمعيها ، اذ على قدر ما يجمعه الناس من المال يكون مستوى المعاش ،
وعلى حسب زيادة هذا المال ونقصانه تكون زيادة المستوى الحضارى
أو تدنيه ، وبالتالي ضخامة الملك أو تفاهته . وهنا لا بأس من الإشارة الى
تقييم ابن خلدون لعهد المعز بن باديس ، حيث يقول : « واستمر ملك
المعز بأفريقية والقروان وكان أضخم ملك عرفه البربر بأفريقية » وأترقه
وأبدخه . « وفى ذلك يعرض لما ينقله الرقيق » من أحوالهم فى الولائم
والهدايا والجوائز والأعطيات ، ما يشهد بذلك . « مثل : ما ذكر من « أن عطية
صندل عامل باغاية مائة حمل من المال ، وإن بعض توابيت الكبراء منهم
كان العود الهندى بمسامير الذهب » (٨٧) .

ومثل هذا الكرم والعطاء كان يجذب الشعراء الى بلاط المعز بن باديس
الذى زها بشاعرى القروان الشهيرين ، ابن رشيق وابن شرف الى جانب
غيرهما ممن يزخر بنماذج من أشعارهم أنموذج ابن رشيق ، وما وصلنا من
أشعار ابن شرف الذى كان يكتب القصيدة فى غير مسودة كأنه يحفظها ثم
يقوم فينشدها (الأنموذج ، ص ٣٤٠) ولا شك ان بلاط المعز بشعرائه
يهؤلاء هو الذى كان يعطى سمة عزوبة الدولة ، التى بدأت بربرية حتى كان
يلكن يسير بكاتبه وترجمانه (ما سبق ، ص ٣٠٤) ومن شعراء المعز الذين
تغنوا بعزوبة دولة المعز ، ابن الخازن الذى يقول فيه :

وله ذؤابة حير وسنناؤها وسنام يعرب الرفيع العالى
ويحل من قحطان أعلى ذروة يعيا محاولها وليس بآل (٨٨)

(٨٧) العبر ، ج ٦ ، ص ١٥٨ . وأنظر فيما سبق هامش ص ٣٨١ وم ٥ .

(٨٨) أنموذج الزمان لابن رشيق ، تحقيق المطوى ، تونس ١٩٨٦ ، ص ٨١ - وعن

ابن رشيق وابن شرف ، أنظر فيما بعد ص ٤٢٧ والهامش ٤٠ .

من مثل هذا الوصف لبعض المظاهر الحضارية فى الدولة الزيرية وغيرها ، يخرج ابن خلدون بالعلاقة السببية بين ضخامة الحضارة وكثرة المال ، تماما كما هو الحال بين ضخامة الدولة وكثرة المال ، من حيث ان الدولة هي السوق التى تنفق فيه أسباب الحضارة . وربما كانت أهم الأمثلة لذلك فى الدولة الألمية هي الاحتفالات الشعبية التى كان يشارك فيها الجمهور بكل طبقاته . ومن أشهرها حفلات الختان التى أقامها المعز فى كل البلاد من أقصى الصحروات الجنوبية الى صقلية شمالا ، وهى الاحتفالات التى أصبحت تقليدية فى كثير من دول الاسلام والتى ورثتها دولة صنهاجة الزيرية . تركة أبوية . ومن الطريف هنا ان المعز ختن وهو أمير صغير فى ذى الحجة من سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٦م ، « وختن معه من أبناء الضعفاء عدة كثيرة . وأعطوا الكساء والنفقة » (النويرى ، ص ٣٣٨) ، الأمر الذى كان يتطلب الكثير من المال (٨٩) .

الاحتفالات الشعبية والمواكب الأميرية :

واذا كانت الاحتفالات تتطلب الأموال ، وكذلك الحال بالنسبة للحرب التى يعتبر المال عصبها ، كما يمكن أن تعتبر هى الأخرى مورد المال ، فلا بأس من الإشارة هنا الى عودة زاوى بن زيرى من جزيرة الأندلس سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م بعد اقامة طويلة هناك ، حيث « وصل ومعه من الأموال والعدد والجواهر شيء كثير لا يحصى » (٩٠) ، وأن تطلب الأمر من المعز الذى سلم عليه راجلا ان « نوشت له القصور » . والحقيقة ان الهدايا أيا كانت تمثل بنادى هاما من مصادر النفقة والدخل أيضا . وكانت الهدايا الداخلية تأتى فى المناسبات المختلفة ، بينما كانت أهم مظان الهدايا الخارجية هي الخلافة بالقاهرة ، وملوك السودان فيما وراء الصحراء ، وملك الروم الذى كانت العلاقة به تتراوح ما بين السلم والصدقة ، والحرب والعداوة . وأهم الهدايا الواردة من السودان تتمثل فى : الرقيق الأسود ، والحيوانات الوحشية الغريبة الأشكال والألوان (٩١) . أما ما يذكر من هدايا الروم الجيدة فهو الديباج الفاخر (٩٢) . وكانت استقبالات الوافدين على الأمير من

(٨٩) هنا لا بأس من الإشارة الى ما فعله المعز لدين الله الفاطمى بمناسبة هذا التقليد الذى كان له الفضل فى نشره ، ما سبق ، ص ٢٤٢ .

(٩٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٦ - حيث هدية سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م .

(٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٣٩٦ - حيث هدية سنة ٤٢٦هـ / ١٠٣٥م .

السفراء أو كبار رجال الدولة أو الزعماء تتطلب إقامة الموكب وتقديم الهدايا من الأموال والتحف والدواب ، سواء كانوا من الأصدقاء أو ممن يراد اكتسابهم أو حتى شراء ذمتهم . والمثل لذلك ما حدث سنة ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م ، بعد أسر إبراهيم بن بلكين أخى حماد وشريكه فى الثورة على المعز ، من اطلاق إبراهيم ، بل والخلع عليه واعطائه الهدايا من الأموال والدواب (٩٣) . هذا ، ولو ان الدولة كانت عندما يضيق بها الحال تلجأ الى المصادرة فتتكب انوزير المسئول الأول عن الخزنة العامة ، أو كبار مساعديه فى ديوان الجباية والخراج ، كما حدث للوزير محمد بن الحسن الذى قتل بأمر المعز سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، لأنه جبى الأموال مدة ٧ (سبع) سنين ولم يرفع منها شيئاً ، كما ظهرت عليه ثروة طائلة فأخذ يبنى البيوت التى لا تليق الا بالملوك ، الأمر الذى شكك فى أمانته ، وان خيف من سطوته عندما أصبح مركز قوة كما يقال الآن (ما سبق ، ص ٤٠١) . وكما نكب سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م محمد بن محمد بن السكك المتولى لأشغال السيدة أم المعز ، وبذلك استولى على الدولة بمعنى أنه أصبح مركز قوة (ما سبق ، ص ٤٠٤) ، وكذلك الحال بالنسبة للقائد سيف الملك ، عباد بن مروان ، والذى نكب واستخرجت أمواله سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م (ما سبق ، ص ٤٠٥) .

دخل الدولة :

ومما يؤسف له أننا لا نعرف الا النزر اليسير عن دخل الدولة ، الذى يتمثل فى الضرائب المختلفة ، وضرب السكة ، ولا عن نفقاتها باستثناء اشارات عابرة فى بعض الحوليات . والمثل لذلك ما يورده ابن خلدون من أن « أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس ، على عهد المعز ، كان يبلغ ٥٠ (خمسين) ألف قفيز (٩٤) . واذا كانت كتب الجغرافيا يمكن أن تقدم معلومات مفيدة فى هذا الصدد ، مما يتعلق بالشروات الزراعية والمعدنية فى المملكة الزيرية مع اشارات الى ما كان يجبى منها من ضرائب الخراج ، فان المعلومة التى كثيرا ما تنقل بالتواتر ، دونما تحقيق زمنى أو تمحيص قد

(٩٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٨ - ٢٥٩ .

(٩٤) العبر ، ج ٦ ص ١٥٩ - والمقصود بذلك ضريبة (خراج) الزيت الذى كان بشابة المحصول النقدي فى المنطقة التى سميت بالساحل لسوداها بالنسبة للقادم من الصحراء ، فكانها ساحل البحر من كثرة شجر الزيتون .

توقع الباحث في الخطسأ ، عندما يأخذ رواية كاتب معاصر ، تكون في حقيقة الأمر منقولة من عصر سابق . وهكذا يمكن الاستفادة بشيء من الحرص من مسالك البكرى الى جانب نزهة الادريسي وعجائب الاستبصار ، وربما رحلة التجاني وجغرافية ابن سعيد .

الشروات الزراعية :

ففيما يتعلق بالشروات الزراعية توصف أشير بأنه ليس في تلك الأقطار أحسن منها ، حيث تحيط بها الجبال الشامخة ، وتتوفر المياه في العيون (٩٥) . ويوصف جبل ميله بأنه أخصب جبال افريقية على الطريق المؤدى الى قلعة أبي طويل التي عرفت باسم قلعة حماد (٩٦) . ومدينة جيجل حيث جبل كتامة الكثير الخصب كان يحمل منها الفواكه والرب الى بجاية (٩٧) . وبجاية كان يدور بها البحر من ٣ (ثلاث) جهات : شرق وغرب وجنوب ، فكانت مرسى دوليا تأتيه المراكب بالخير والمتاجر من اليمن والهند والصين ، وهي مطلة على فحوص خصيب قد أحاطت به الجبال ، دورة حوالي ١٠ أميال ، ولها نهر كبير على نحو الميادين ، بها المياه الكثيرة التي تدور عليها النواعير ، كما اشتهر بها جبل ميسون بمياهه السائحة وبساتينه وكثرة القرود فيه (٩٨) . وكذلك الحال بالنسبة لقلعة حماد ، الكثيرة المياه والتي كان قصرها الفخم يشرف على نهر كبير (٩٩) .

اما عن مليانة القريبة من أشير فكان لها مياه سائحة وأنهار وبساتين فيها جميع الفواكه ، ويشق نهر شلف فحوصها (١٠٠) . واشتهرت منطقة قلعة دلول ، على بعد يومين من مستغانم ، وعلى البحر قرب مصب نهر شلف ، بجودة أقطانها (١٠١) . والحقيقة ان منطقة وادي شلف من المغرب الأوسط حيث مدينة تاهرت كانت غنية بمدنها التي اشتهرت بأنها أسواق ، مثل :

-
- (٩٥) الاستبصار ، ص ٢٧٠ .
 - (٩٦) البكرى ، ص ٨٢ ، الاستبصار ، ص ٢٦٦ .
 - (٩٧) الاستبصار ، ص ٢٢٨ .
 - (٩٨) الاستبصار ، ص ١٣٠ .
 - (٩٩) الاستبصار ، ص ١٦٨ .
 - (١٠٠) الاستبصار ، ص ١٧١ ، وقارن البكرى ، ص ٦٩ .
 - (١٠١) البكرى ، ص ٦٩ .

سوق حمزة وسوق ماكسن اللتين كانتا لصننهاجة (١٠٢) ، وسوق ابراهيم القريبة من تنس (١٠٣) . ولقد اشتهرت تاهرت بجودة جميع الثمار فيها ، وبأسواقها العامرة (١٠٤) ، بينما اشتهر فحصر زيدور ، من مدينة أرشجول ، بكثرة القمح (١٠٥) ، وكان بنكور أجود أنواع الخشب من العرعر والأرز (١٢٦) .

الثروات المعدنية :

واذ كان من المعروف أن بلاد الاسلام كانت قليلة الثروات المعدنية ، فإن بعض بلاد افريقية والمغرب الأوسط اشتهرت بمعادنها ، والمثل لذلك مرماجة ، ومجاجة التي عرفت بمجاجة المعدن (١٠٧) ، وجزيرة جربة الكثيرة الذهب (١٠٨) ، ومرسى سببية حيث معادن النحاس (١٠٩) .

المكاييل والموازين والنقود :

ومما يدل على غنى بلاد افريقية والمغرب الأوسط وبخاصة المنتجات الزراعية ، ان وحدات قياس الكيل والميزان عندهم كانت تفوق جرما مثيلاتها في البلاد الاخرى . ويظهر ذلك في بلد نكور من ساحل تلمسان ، حيث كيل الصفحة عندهم ٢٥ مدا ، والرطل ٢٢ أوقية ، والقنطار ١٠٠ رطل - ربما أزيد من غيرهم . أما عملتهم الدارجة فكانت الدراهم التي يتبادلها الناس عددا بلا وزن (١١٠) . أما عن السكة ، فلا شك أنها كانت من موارد بيت المال اليامة ، الأمر الذي يتضح من عملية تبديل السكة الفاطمية سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، ورفع أسماء خلفاء القاهرة منها ، حيث سبكت الدنانير الفاطمية وكانت أموالا عظيمة ، كما ضربت دراهم جديدة بدون أسماء العبيديين ، الأمر الذي لم يؤثر على مستوى التعامل في أسواق القيروان ، كما يظهر من

-
- (١٠٢) البكرى ، ص ٦٥
 - (١٠٣) البكرى ، ص ٦٢
 - (١٠٤) البكرى ، ص ٦٨
 - (١٠٥) الاستبصار ، ص ١٣٤
 - (١٠٦) البكرى ، ص ٩٠
 - (١٠٧) البكرى ، ص ١٤٥
 - (١٠٨) البكرى ، ص ٨٥
 - (١٠٩) البكرى ، ص ٨٢
 - (١١٠) البكرى ، ص ٩١

نص ابن عذارى (١١١) .

ومثل هذا يقال عن تاهوت حيث كان المله عندهم ب $\frac{٥}{٧}$ أقفزة قرطبية ، وقنطار الزيت بقنطار وثنتين - الا المجلوب من الفلفل وغيره ، فقد كان قنطار عدل . أما رطل اللحم عندهم فهو ٥ (خمسة) أرطال (١١٢) ، الأمر الذي يعنى الخصب والرخاء ، أو ارتفاع مستوى المعيشة ، كما يقال في المصطلح الدارج الآن .

الكوارث الطبيعية :

والى جانب عوامل الازدهار الاقتصادي والحضارى هذه ، كانت هناك عوامل معوقة من : الكوارث الطبيعية والمجاعات والأوبئة ، مما كانت له آثاره السلبية فى الظروف الاقتصادية والأحوال الاجتماعية . فالمتتبع لحوليات ابن عذارى يلاحظ بعض السنوات العجاف التى مرت بالبلاد على عهد المعز ابن باديس ، كذلك الغلاء الذى أصاب إفريقية سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م ، والذى صاحبه حروب كثيرة ، بمعنى فتن محلية فى مختلف الأقاليم (١١٣) . وفى سنة ٤١١ هـ / ٢٠ - ١٠٢١ م جاءت سخابة شديدة الرعد فأمطرت بردا كقطع الحجارة ، لم ير أهل إفريقية مثله لكبره وكثرته ، ووقعت منه صاعقتان ، دون أضرار مادية أو خسائر بشرية (١١٤) . أما عن سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م فقد تميزت بأنها كانت سنة خصب ورخاء وأمان ، وكذلك سنة ٤٣٠ هـ / ٣٨ - ١٠٣٩ م (١١٥) . بينما كانت سنة ٤٢٥ هـ / ٣ - ١٠٣٤ م ، سنة جديب ومجاعة (١١٦) . أما عن سنة ٤٣٧ هـ / ٤٥ - ١٠٤٦ م ، فقد اشتهت فيها الرياح العاصفة فهدمت كل ما مرت به من شجر (١١٧) .

(١١١) ما سبق ، ص ٣٩١ وما يأتى ص ٤١٦ - وقارن ادريس (هادى روجيه) بلاد البربر الشرقية تحت حكم الزيريين بالفرنسية ، ج ١ ص ١٩٠ - حيث مكان الضرب الجديد بصيرة (المنصورية) جبل القيرون والمهدية .

(١١٢) البكرى ، ص ٦٨ .

(١١٣) البيان ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٨٨ .

(١١٤) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٨٨ .

(١١٥) البيان ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٦ .

(١١٦) البيان ، ط : بيروت ، ص ٣٩٦ .

(١١٧) البيان ، ط : بيروت ج ١ ص ٣٩٨ .

أشهر الأعمال العمرانية :

أما عن أشهر الأعمال العمرانية التي تمت على عهد المعيز ، فيذكر بناء،
مضى العيد بالمنصورية سنة ٤٤١هـ / ٤٩ - ١٠٥٠ (١١٨) . وفي السنة.
التالية حيث لعن الفاطميون على منابر أفريقية ، أحدثت بالمناسبة بعض.
الاصلاحات النقدية من ضرب دينار سمي بالتجاري (١١٩) ، ربما لكي يحل.
في الأسواق محل الدينار الفاطمي الذي ألغي . هذا ولو ان ابن شرف
(القيرواني) يعرفنا بتبديل السكة في شهر شعبان من تلك السنة (٤٤١هـ).
ديسمبر ٤٩ - ١١٥١ ، حيث نقش على وجه الدينار : « ومن يتبخ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » . وفي الوجه
الثاني : « لا اله الا الله محمد رسول الله » . والمهم أن دار السكة تلافت.
حدوث أزمة نقدية عند الغاء العملة الفاطمية وسك الجديدة ، اذ ضربت أعدادا
كثيرة من الدينار الجديد بفضل سك ما كان موجودا في بيت المال من.
الدنانير الفاطمية القديمة . وبذلك انقطعت أسماء خلفاء الفاطميين من.
النقود ، كما قطعت أسماؤهم أيضا من الرايات والبنود (١٢٠) .

الاحتفال بولاية العهد لتميم :

وفي السنة التالية ، ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م ، كانت الاحتفالات بمناسبة.
تولية العهد للأمير تميم بن المعز ، وكانت مناسبة الدعاء للمعز وللأمير
تميم أبي الطاهر وفي عهده فرصة للدعاء بأن يحفظه الله من كفر معد بن.
الظاهر ، صاحب مصر ، وهو المستنصر بالله (١٢١) . ولا شك أن تجديد
السكة ولعن المستنصر خليفة القاهرة من أعلى منبر القيروان كان يزيده.
من الأزمة الفاطمية بأفريقية ، على مستوياتها السياسية والاقتصادية لما بينه.
المجالين من تأثيرات ايجابية وسلبية ، وذلك في الوقت الذي كانت تتعرض.
فيه البلاد للموجات الأولى من الهجرة الالهية .

(١١٨) ابن عذاري ، ج ١ ط : بيروت ، ص ٤٠٢ .

(١١٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٢ .

(١٢٠) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٣ - حيث النص على أن أول سكة.

عبيدية ضربت في أفريقية ، في نفس الوقت الذي رسمت أسماؤهم على الرايات والبنود ،
كان في سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، بمعنى أنها استمرت مدة ١٤٥ عاما عندما قطعت في سنة
٤٤١هـ / ١٠٤٩م . وانظر الاعلام لابن الخطيب ، ص ٧٣ . حيث النص على ازالة أسماء
الفاطمين من السكة سنة ٤٤١هـ / ٩٤٩م ، ونقش الآية « ومن يتبخ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين » . آل عمران سورة ٣ آية ٨٥ .

(١٢١) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٠٤ .

العرب الهلالية في أفريقية والمغرب

الهجرة :

الشائع لدى المؤرخين أن الهجرة الهلالية الى بلاد المغرب ، بكل ما كان لها من تأثيرات عرقية وسياسية واقتصادية أو حضارية على الجبل ، إنما بدأت نتيجة للقطيعة الدينية السياسية بين الخلافة الفاطمية في القاهرة وبين نوابها الزيريين في القيروان ، وذلك ابتداء من سنة ٢٣٥ هـ / ٨٤٦ م . حيث كان الاتصال بخلافة بغداد العباسية لأول مرة - كبديل شرعي لخلافة القاهرة الفاطمية ، الأمر الذي بلغ مداه سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م عندما انطلقت قبائل بنى هلال مع قبائل بنى سليم من صحراء صعيد مصر الشرقية ، عبر النيل نحو المغرب (ما سبق ، ص ٣٩٣) . وهي الرحلة التي تعرف في القصة الشعبية باسم « التفرية » الهلالية .

وأصل مواطن قبائل عرب هلال وسليم هي بلاد الحجاز وبعض تخوم نجد (١) . فهي قبائل بدوية ، رعوية ، تنسب الى عرب الشمال العدنانية التي تعيش عيشة فتيمة مضطربة ، تضطربها في بعض الأحيان الى احترام الغارة على الجيران أو قطع السبيل حتى على قوافل الحجاج ، وعلى مكة أثناء الموسم (٢) . وهو ما شاركت فيه القرامطة أكثر من مرة خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري / ١٠ م ، وأشهرها تلك التي استولى فيها القرامطة على الحجر الأسود سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م (ما سبق ، ص ٢٠٨) . والمهم

(١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث الإشارة الى محلاتهم من بعد الحجاز بنجد - حيث كان الهلالية في جبل غزوان قريبا من الطائف ، بينما كان بنو سليم مما يلي المدينة . الأمر الذي دعا لقصة الشعبية التي تناولت تفرية الهلالية أن تجعل بدايتها من الحجاز بدلا من الصعيد ، بل ومع أمير مكة الشريف الذي أصبح سبوا لهم عندما تزوج شابتهم الجبلية « المجازية » ، الكاملة ، واشتركوا بذلك في قصة حب عظيم من ذلك النوع الذي ينسحق الروح ويميت الجسد ، حسبما جسدها شعراؤهم - انظر فيما سبق ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث نوافهم أثناء رحلة الشتاء والصيف بأطراف العراق والشام واغارهم على الضواحي وافساد السابلة ، والقطع على الرفاق (التجار) مع الإشارة الى اغارة بنو سليم على الحاج أيام الموسم بسكة ، وأيام الزيارة بالمدينة ، والى تحيز بنو سليم مع الكثير من قبائل ربيعة ابن عامر الى القرامطة عند ظهورهم .

أن الفاطميين بعد ما استقروا في مصر ودخلوا في صراع مع القرامطة في بلاد الشام نجحوا في إبعاد القبائل الهلالية إلى صحراء مصر الشرقية على سمت بلاد الصعيد ، حيث فرضوا عليهم نوعاً من الإقامة الجبرية (٣) ، في تلك المنطقة التي عاشت فيها من قبل عرب ربيعة الذين كانوا يعملون في مناجم (معادن) الذهب والزمرد (٤) ، حيث نطن أن أسلافهم العرب أتوا إلى تلك المنطقة عبوراً للبحر الأحمر منذ ما قبل الإسلام (٥) .

التعريف بالهلالية ما بين الحقيقة والخيال :

ولقد اجتهد ابن خلدون في التعريف بزعماء الهلالية وقتئذ ، مقتنيا أثر ابن الأثير ، وصنفهم حسب الشرف ، وتبعاً لأصالة العروق مع المقابلة بين قبائلهم على أيامه في القرن الثامن الهجري / ١٤م . وتلك القبائل تشمل الهلالية وغيرهم من القبائل . وكانت أهم جماعات هلال (بن عامر) في محلاتهم بصعيد مصر ، وقتئذ هي : جشم والأنبج وزغبة ورياح وربيعة وعدى (٦) . أما عن أهم زعمائهم الذين دخلوا بهم أفريقية حسبما تغنى بهم شعراؤهم ، من : حسن بن سرحان ، أشرفهم ، وهو أخو الجازية ، بطلنة قصة التنغرية الهلالية الشعبية التي رفعت من ذكره من حيث أنه زوجها

(٣) ابن عذاري ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - هذا وإن كان ابن خلدون ينسب ذلك إلى عبيد الله المهدي ، بدلاً من المعز لدين الله ، كما يكتبه بالقول بأنه نقل أشياعهم من العرب من بني هلال وبني سليم فأنزلهم بالصعيد ، وفي العدة الشرقية .

(٤) الاستبصار ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٥) أنظر للمؤلف تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ص ١٩٧٥ ، ص ٢٦٠ وما بعدها . والخريطة رقم ١٣ ص ٢٦٩ - عن ابن خلدون . هذا ولا بأس أن يكون الهلالية أو بعضهم على الأقل ، قد دخلوا صحراء الصعيد الشرقية عن هذا الطريق ، حيث لا توضح النصوص الطرية التي دخلوا بها مصر من بلاد الشام على أيدي الفاطميين ، الأمر الذي يفتح الباب واسعاً أمام هذا الاحتمال .

(٦) العبر ، ج ٦ ص ١٤ - حيث « الأثير » بدلاً من الأنبج ، وحيث النص بعد ذلك على أن شعوبهم الهلالية ، كما نقلهم ابن خلدون ، هم : زغبة - ورياح - والأنبج وقرة ، التي يضيفها هنا ، مع الإشارة إلى أنه ربما أضيفت إليها عدى الذين لم يقف على أخبارهم من حيث أنه ليس لهم حي معروف على أيامه ويرى أنهم ربما دثروا . ومثل هذا يقوله بن ربيعة أيضاً إذ يرى أنهم ربما كانوا المعقد على أيامه . وقارن ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ - حيث النص على بطون عامر بن صعصعة ، من : زغبة وعدى والأنبج ورياح وغيرهم .

للشريف هاشم صاحب مكة (٧) ، وأخوه بدر بن سرحان ، ثم فضل بن ناهض ، ثالثهم ، وهم من : دريد الأثيج . ثم يأتي ثلاثة آخر من بني عطية من كرفة ، وهم : ماضي بن مقرب ، وبنونة بن قره ، وسلامة بن رزق . وفي بني ثور يأتي : دياب بن غانم ، وحده ، وكذلك الأمر بالنسبة لمؤنس بن يحيى المرداسي الرياحي ، من بني صفر ، من بطن مرداس (٨) .

والى جانب الهلالية هناك ذكر لأبطال ترجع أصولهم الى عرب اليمن القحطانية ، مثل : زيد بن زيدان الذي ينسب الى الضحاك ، ومليحان بن عباس الذي ينسب الى حمير ، ومثل : زيد الفجاج بن فاضل الذي قيل انه مات بالحجاز فى بداية التغريبة ، قبيل الدخول الى افريقية (٩) .

ويمكن القول أن ثلاثة من بين هؤلاء انسادة المشايخ ، زعماء الهلالية ، لهم ذكر يفوق غيرهم ، بفضل خصالهم التى صارت مغاني لشعراء قبائلهم ، وهم : حسن بن سرحان أولهم ، ومؤنس بن يحيى سابعهم ثم زياد بن عامر ، وآخرهم ، والذي تقول فيه رواية ابن خلدون انه كان رائدهم فى دخول افريقية ويسمونه لهذا السبب «أبا مخبير» (١٠) .

تهجيرهم من الصعيد ما بين الجرجرائى واليازورى :

والمهم ان قبائل الهلالية هذه عاشت فى صحراء الصعيد الشرقية ، تحت رقابة الدولة ، فهذا ما يفهم من النص الذى يقول انه كان « لا يسمح لها بالرحيل ولا باجازة النيل » (١١) . وهنا تثار مشكلة خاصة بشخصية.

(٧) أنظر العبر ، ج ٦ ص ١٨ .

(٨) العبر ، ج ٦ ص ١٦ - حيث موسى فى النص بدلا من مؤنس ، وكذلك النص على أنه من بطن مرداس بن رياح لا مرداس بن سليم ، مع التحذير من الخلط فى هذا .

(٩) هذا كما يرد ذكر لكثير من العروق غير الهلالية ، مثل : فزارة وأشجع من بطون غطفان . وجشم ابن معاوية بن بكر من هوزان ، وسلول بن مرة بن سمصة بن معاوية ، والمقل من بطون اليبسية ، وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وبنو ثور بن معاوية من عباده . بن سمصة ، وعدوان بن عمر بن قيس بن عيلان ، وطروود بطن من فهم بن قيس . ولكن المهم هنا هو ان جميع هؤلاء ، رغم اختلافاتهم العرقية ، كانوا يدرجون فى هلال وفى الأثيج الذين كانت لهم الرياسة ، فكان الهلالية أو الأثيج اتحاد سياسى من جماعات من القبائل المختلفة يحمل اسم أقواها وأهمها على المستوى السياسى والمسكرى - العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

- ١٧ -

(١٠) العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(١١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٥ .

الوزير الذي دبر عبورهم النيل وتوجيههم نحو المغرب . فرغم ما هو دارج من أن الذي فعل ذلك هو الوزير اليازوري (أبو محمد الحسن بن علي) ، الفلسطيني أصلا ، والذي أراد أن يجدد شباب الوزارة الفاطمية ، وبالتالي هيبته ، بالنسبة لنواب الخلافة سواء في الشام أو في المغرب وأفريقية . فأنتهى الأمر الى عكس ما أراد ، إذ حرق عليه جمال بن صالح ، صاحب حلب ، والمعز بن باديس صاحب أفريقية ، وانحرفوا عنه (١٢) . فان هناك روايات أخرى تنسب ذلك الى الوزير أبي القاسم الجرجاني ، استنادا الى ان القطيعة مع الفاطميين ، والدعوة الى العباسيين وقعت سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ، على أيام وزارته ، وهو الأمر الصحيح ، الذي ينص عليه ابن خلدون (١٣) . والحقيقة انه اذا كان ابن خلدون قد نقض ذلك بعد ، على أساس أن الجرجاني كان قد توفي سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م وحل محله في الوزارة اليازوري الذي حلف المعز بن باديس بسببه : « لينقضن طاعتهم ، وليحولن الدعوة الى بني عباس » ، كما « قطع أسمائهم من الطراز والرايات وبايع القائم (العباسي) ودعا له سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م ، عندما وصله أبو الفضل البغدادي ، وحظي بالتقليد الذي قرىء بجامع القيروان ، وبالخلع (١٤) ، بينما كان بدء الهجرة الهلالية سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ، والتي تليها ٤٤١هـ / ١٠٤٩م (أنظر فيما سبق ، ص ٣٨٨) ، فالصحيح ، اعتمادا على دراسة تفصيلات ابن خلدون ، أن الدعوة للعباسيين بدأت سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ، وان الخلع والرايات ، شعارات الامارة الافريقية العباسية وصلت عن طريق بيزنطة سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م ، في الوقت الذي استمرت فيه الإدارة بين الطرفين الى أن تمت القطيعة النهائية ، واتخاذ اللون الأسود شعار العباسيين سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م (١٥) . وبذلك يمكن التوفيق بين الروايتين اللتين تنسبان سبب القطيعة الى كل من الجرجاني واليازوري ، من حيث الدعوة للعباسيين وقطع الخطبة للفاطميين سنة ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م ، أيام وزارة الجرجاني ، قبل وفاته سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، وهنا لا بأس أن يكون التفكير في اطلاق العرب على

(١٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ .

(١٣) أنظر فيما سبق ، ص ٣٨٩ .

(١٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(١٥) ما سبق ، ص ٣٩٣ ، أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣ - حيث النص بعد قتل الشيعة ، والمناذرة بشعار الاسلام ، على اغضاء الظاهر عن المعز من ذلك وابنه المستنصر من بعده ، واعتذار المعز بالعامه ، الأمر الذي قبل منه ، فاستمر على اقامة الدعوة والمهادنة ومكاتبة وزيرها الجرجاني - وهو ما نراه نوعا من الإدارة وليس عودة الطاعة .

صنهاجة من رأيه ، وإن لم يتم التنفيذ إلا فيما بعد - أثر فشل سياسة الإدارة بمعنى المداورة - على يدى اليازورى (١٦) . ويرجع ذلك الافتراض أن قصة ثار اليازورى ، لما لحق به من الاهانة ، تعتبر تبريرا شخصيا غير مقنع بالنسبة لأحداث خطيرة ، قررت مصير كثير من الدول والشعوب فى بلاد المغرب ومصر والشام لأزمان طويلة (١٧) .

اليازورى يشير على المستنصر باصطناع العرب والعهد لهم بولاية أفريقية :

والهم هو أن الوزير اليازورى أشار ، فى سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م على الخليفة المستنصر بالله باصطناع العرب عن طريق تقريب مشايخهم ، والعهد لهم بولاية أفريقية بدلا من أمراء القيروان الزيريين الخارجين عليهم ، وتم الأمر بتقليدهم أمرها - بنطق شفوى على ما يظن . ولم يكن فى الأمر مغامرة إذ كانت العملية محسوبة بطريقة لا تقبل الخطأ . وذلك أنه إذا صحت الفكرة التى تخيلها الوزير ، وظفر الهلالية بالمعز بن باديس وعصبيته صنهاجة ، « كانوا (العرب) أولياء للدعوة وعمالا ، وارتفع عدوانهم » الذى كان يعانى منه أهل الصعيد ، وبالتالى ما كان يسبب للدولة من القلق ، « وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها » (١٨) . وفى السنة التالية ٤٤١هـ / ١٠٤٩م كان

(١٦) وفى ذلك تقول بعض الروايات أن المعز الذى كان يتذوق الشعر والآدب ، أراد أن يوقع بين الجرجاني ، على أساس أنه صاحب الدعوة الى الانتقام منه ، وبين الخليفة المستنصر ، وذلك بالتلميح دون التصريح ، فأرسل اليه بيتا من الشعر يقول :

وفيك صاحبت قوما لا خلاق لهم

لولاك ما كنت أدري أنهم خلخوا

ولكن المكيدة لم تغب عن الجرجاني الذى قال :

ألا تعجبون من صبي بربرى مغربى يحب أن يخذع شيخا عربيا عراقيا (المؤنس ، ص ٨٤ ، وقارن التذكار لابن غلبون ، ص ٢٧) .

(١٧) أنظر النويرى ، ص ٣٤٢ - حيث النص على أن المستنصر كتب الى المعز بن باديس يرغبه ويهدده عندما خطب للثائم العباسى ، وأنه عندما استوزر اليازورى لقبه بـ « سبب الوزراء وقاضى القضاء ، وداعى الدعوة » ، الأمر الذى لم يقبله المعز بن باديس فامتنع من مخاطبته بما كان يخاطب به الوزراء ، قبله ، وقارن اتعاظ المنفا ، ج ٢ ص ١١٢ - حيث صدره السجل الخلافي سنة ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م بوزارة اليازورى مع لقب سيد الوزراء واجابة ملوك الأطراف على مكاتباته الا معز الدولة ابن باديس الذى قصر فى المكاتبه حتى ان الوزير استدعى أبا القاسم ابن الاخوة وكيل ابن باديس بمصر ، وعتب عنده .

(١٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

رسول اليازورى مكن الدولة أبو على الحسن بن على ، أحد أمراء الدولة (اتعاط الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٥) يدور بأمر المستنصر ، على أحياء الهلالية ليتأكد من تنفيذ الخطة ، حسبا رسمت ، فيبدأ باصلاح ذات البين بين زغبة ورياح ، ويجزل العطاء لأمرائهم ويخصص لكل رجل من العامة بعيرا ودينارا ، مع السماح لهم بعبور النيل من ضفته الشرقية الى الغربية ، مع الاذن بالمسير الى المغرب الذى أعطى لهم بدلا من المعز بن باديس ، المتهم بالعصيان والخروج على أمير المؤمنين ، مع ملك كل ما يستطيعون فتحه من البلاد هناك مع الوعد بالمسد(١٩) .

نجاح الرحلة الى برقة ، وتقسيم البلاد بين سليم شرقا ، وهلال غربا :

وحققت الرحلة بالنسبة للهلالية نجاحا كبيرا ، اذ سرعان ما وصلوا الى برقة ، التى استوطنوها اعتبارا من سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، حيث وجدوا بلادا طيبة كثيرة المرعى خالية من الأهل ، بسبب هجرة الزناتية منها أمام ضغط صنهاجة(٢٠) . والمهم أن ذلك النجاح الذى حققه الهلالية فى برقة - بمساعدة اخوانهم من بقايا عرب الفتوح الذين كانوا هناك - حسبهم ، فكتبوا الى اخوانهم شرقى النيل يرغبونهم فى البلاد . وكانت فرصة استغلتها السلطات الفاطمية هناك ، فبعد أن كانوا يدفعون لكل رجل يعبر النيل الى الغرب دينارا ، صاروا يأخذون منهم ضريبة مقدارها

(١٩) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٦ ، أحداث سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، وقارن ابن عذارى ، ط : بيروت ٦١ ص ٤١٧ - حيث النص على انه جاز منهم خلق عظيم . . . لعلمه انهم لا يحتاجون الى وصية ، والنويرى ، ص ٣٤٣ - حيث النص على ان اليازورى دس الى زغبة ورياح ووصلهم بصبلات سنية ، وأصلح بين الفئتين بعد فتن وحروب ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على ان الوزير الفاطمى قال لهم : « قد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين (باديس بن المنصور بن بلكين) الصنهاجى ، العبد الأبق . . . فلا تفتقرون . هذا ، كما تتفق الروايات على ان اليازورى كتب الى المعز بن باديس بالقىروان : « اما بعد فقد أنفذنا اليكم خيولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجلا كهولا ليقضى الله أمرا كان مفعولا » .

(٢٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - حيث النص على ان زناتة كانوا أهل برقة ، وان المعز بن باديس هو الذى أبادهم ، والمنصود بذلك هم الزيريون ملوك القيروان وليس المعز وحده ، منذ بداية أمرهم مع الاشارة الى أن العرب عاشوا فى أطراف البلاد . وقارن النويرى ، ص ٣٤٣ - حيث نفس الرواية ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث النص على أنهم نزلوا برقة وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، المقرئى ، اتعاط الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٥ - حيث ملوكو برقة .

دينارين ، فاستعادوا ما كان أخذ منهم أضعافا ، كما تقول رواية ابن خلدون (٢١) . ومع زيادة أعداد المهاجرين مع مرور الوقت ، كان من الطبيعي أن تزداد أعمال الفساد واستخريب . وفي ذلك تقول الرواية : انهم خربوا المدينة (أى برقة : المرج حاليا) وأجدابية وسرت ، حيث أقامت قبائل لهب من سليم وأحلافها من : رواحة وناصره وعمرة (٢٢) . والظاهر أن فكرة الشر والفساد التي غلبت على الكتاب بالنسبة لأعمال الهلالية في بلاد القيروان ، هي التي أملت فكرة انهم لم يدخلوا البلاد حسب خطة موضوعة بل نتيجة للقرعة التي جعلت من نصيب قبائل سليم : القسم الشرقي من البلاد ، وللهلال القسم الغربي منها (٢٣) . بينما الصحيح أن الهلالية كانوا الطرف الأقوى في حلف القبائل العربية ، ولهذا كن لهم فضل التقدم نحو الغرب يتبعهم الآخرون ممن ساروا في اثرهم من سليم وغيرهم ، وهم الذين كان القسم الشرقي من البلاد من نصيبهم . وهكذا وصفت الرواية قبائل هلال التي اندفعت غربا مكتسحة برقة وطرابلس قبل أفريقية التي وصلتها سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، وهي : دياب وعوف وزغبة ، وكأنها الجراد المنتشر (٢٤) .

مؤنس بن يحيى الرياحى أول الرواد :

وهنا تقول رواية ابن خلدون ان أول من وصل اليهم ، أى الى أفريقية . هو مؤنس بن يحيى أمير رياح الذى تصفه رواية ابن عذارى بأنه كان سيدا فى قومه ، شجاعا عاقلا (٢٥) ، وأن المعز بن باديس حاول أن يكتسبه الى جانبه ، فلم يكتف باستمالته والاحسان اليه ، بل انه حالفه بالمصاهرة ، فزوجه إحدى بناته ، بل وذهبت الطنون بعيدا بالمعز الى حد أنه فكر فى

(٢١) العبر ، ج ٦ ص ١٤ . ص ١٥ (عن بقايا عرب الفتوح) .

(٢٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(٢٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ . وقارن اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٢١٨ - حيث يجعل المقرئى تقسيم البلاد حسب خطة الخليفة المستنصر الذى جعل لمؤنس القيروان وباجة ، ولزغبة طرابلس وقابس ، وللمحسن بن مسرة ولاية قسنطينة .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ .

(٢٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤١٧ - حيث الاسم الذى أخذنا به - مؤنس بن يحيى الرياحى ، وأن قدومه كان بعد أيام مضت من الإقامة بناحية برقة ، وهو الأمر المقبول ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - حيث الاسم موسى (بدلا من مؤنس) بن يحيى (الصنبرى) .

الاستفادة من الهلالية في تقوية مركزه في مواجهة منافسيه من أبناء عمومته ، بنى حماد أصحاب القلعة ، ففاوض مؤنس بن يحيى في استدعاء العرب الذين أتوا ، وكانهم الجراد المنتشر ، كما تقول رواية ابن خلدون ، « وأظهروا الفساد في الأرض ، ونادوا بشعار الخليفة المستنصر الفاطمي » (٢٦) .

عرب برقة الى جانب المعز ضد المستنصر :

والظاهرة آن العلاقة بين عرب برقة الذين كانوا قد استوطنوا البلاد من قبل والهلالية لم تكن قد استقرت بعد . فبينما تعاطف البعض منهم مع القادمين الجدد من بني جلدتهم ورأوا أن يشاركوهم في المغامرة ، رأى آخرون أن مصاحبتهم تقتضي الوقوف الى جانب أمير القيروان ، حليفهم وحاميهم . وهكذا فبينما كان الهلالية يصلون الى تخوم أفريقية سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، كان زعيم عرب برقة وهو : الأمير جبارة بن مختار ، يعلن السمع والطاعة للمعز بن باديس ، وكذلك اخوانه وأهل برقة ، وأنهم أحرقوا المنابر التي كان يدعى عليها للعبيدية ، كما أحرقوا راياتهم وتبرأوا منهم ولعنوهم على منابرهم ، ودعوا للقائم العباسي (٢٧) .

ولما كان شيخهم على أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي ، هو مختار بن القاسم ، فانه يكون والد جبارة بن مختار ، زعيم برقة الموالي للمعز بن باديس (٢٨) . أما أثناء الهجرة الهلالية فكان من شيوخ هلالية برقة : ماضي ابن مقرب (٢٩) الذي ذاع صيته في القصة الشعبية كالزوج الثاني الذي

(٢٦) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤ - ١٥ ، قارن ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٧ - حيث النص على أن مؤنسا عاد في ركب من الرياضية بنى عمه ، « لم يهدوا نمة ولا طالعوا حاضرة .. » كلما انتهوا الى قرية تنادوا هذه القيروان ونهبوها من حينها » .

(٢٧) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٦ .

(٢٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧ - حيث الإشارة الى مشاركة مختار بن القاسم في الوقوف ضد العسكر الفاطمي الذي أرسله الحاكم بقيادة يحيى بن الأندلسي الى طرابلس ، الأمر الذي يفسر كيف انتقم منهم الحاكم سنة ٣٩٤ هـ / ١٠٣٠ م عندما أعطاهم الأمان ثم قتلهم وعندما وصلوا الى الاسكندرية ، مع الإشارة الى افسادهم على عهد باديس بن المنصور حيث اعترضوا هديته إلى مصر .

(٢٩) البر ، ج ٦ ص ١٨ .

أعقب الشريف على « الجازية » (٣٠) .

وابن خلدون يرى أن عرب برقة هؤلاء ، من المواليين لأمير القسروان ، وهم في الحقيقة من طلائع العرب الذين دخلوا الى البلاد منذ أيام الحاكم بأمر الله ، بل وهم الذين شاركوا في ثورة أبي ركونة ، في محاولته غزو مصر ، وأنهم أيضا هلالية ، وان انتسبوا الى عبد مناف بن هلال ، حسبما ذكر شعراؤهم (الشعبيون) (٣١) . هذا ولو انه عندما جد الجدد سيقف الرواد الأوائل من بقايا عرب الفتوح الى جانب الهلالية ، بنى جلدتهم ، ضد خصومهم من المغاربة البربر (٣٢) .

المعز بين اللامبالاة بالعرب وادخالهم في خدمته :

والمهم أن المعز بن باديس استقبل أنباء افساد عرب الهلالية في بلاده بشيء من اللامبالاة ، اذ تقول الرواية انه عندما بلغه عينتهم في برقة سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، « استحقق أمرهم » (٣٣) . وهو عندما لم يستمع الى نصيحة مؤنس بن يحيى الرياحي بعدم الاستعانة ببني عمه رياح من الهلالية لكي يحلوا في خدمته محل اخوانه صنهاجة الذين كان كارها لهم مجبا للاستبدال بهم ، فسر افساد الهلالية بأنه مناوره من جانب مؤنس قام بهما ليدل على صحة قوله ونصحه ، وانه بالتالي استحق سخطه (٣٤) .

وهكذا يتذبذب الصراع الشعبي الكبير ما بين مستواه العام والمستوى الشخصي الذي يريده له القصص الشعبي ، فتشتد نكاية مؤنس ، عندما

(٣٠) العبر ، ج ٦ ص ١٩ - حيث النص على أن من مزاعبهم أن الجازية لما صارت الى أفريقية وفارقت الشريف بن هاشم خلفه عليها منهم : ماضي بن مقرب .
(٣١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧ - حيث يقول أحد شعرائهم :
يا رب جبر الخلق من ناتج البلا
الا الليل انجار ما لا يجبرها
وخص بها قرة مناف وعينها
ديما لا ريباد البوادي تشيرها
وبذلك ذكر نسبهم في مناف حيث يعلق ابن خلدون على ذلك بقوله : وليس في هلال مناف ، هكذا منفردا ، انما هو عبد مناف ، والله تعالى أعلم .

(٣٢) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٣٣) النويري ، ص ٣٤٣ .

(٣٤) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٧ - ٤١٨ - حيث النص على أن الامر عظم على المعز ، فقال : انما فعل مؤنس هذا ليصح قوله ، كما أنه اتخذ اجراءات عنيفة ضد مؤنس في القيروان ، من ثقاف أولاده وعياله ، واختم على داره حتى يعلم ما يكون من أمره .

يباغه خبر ما فعله المعز بأهله ، ويعظم بلاؤه (٣٥) . ورغم محاولة المعز (السلطان) تقويم الموقف عن طريق وساطة بعض الفقهاء الذين أخرجهم الى مؤنس والعرب ، بمكاتبات وشروط ووصايا ، ورغم ما قام به تميم ولى العهد (ولد السلطان) ، من الافراج عن عيالات العرب ، وأخذ اليهود والموائيق عليهم بالرجوع الى الطاعة ، فقد انتهى الأمر بالعداء المكشوف . حيث انقلب العرب على المعز ، وانتشر فسادهم بكل جهة ومكان (٣٦) ، الى أن انتهى الأمر بمحاصرتهم للقيروان .

حصار القيروان بين الأسطورة والتاريخ :

وحول محاصرة القيروان تدور قصة شعبية هلالية طريفة تنسب الى الزعيم مؤنس بن يحيى الرياحى أنه عندما أظهر له أتباعه الرغبة فى الوصول الى القيروان ، قال لهم : ان الأمر لا يتحقق دفعة واحدة ، ودلل لهم على ذلك بطريقة عملية مقنعة ، « فأخذ بساطا فبسطه ، ثم قال لهم : من يدخل البساط من غير أن يمضى عليه ، فقالوا لا تقدر على ذلك ، فقال هكذا القيروان ، خذوا شيئا فشيئا حتى لا يبقى الا القيروان فخذوها حينئذ . فقالوا : انك لشيخ العرب وأميرها وأنت المقدم علينا ولا نقطع أمرا دونك » (٣٧) . ونتيجة للأعمال العدوانية ، ما بين افساد العرب وانتقام المعز بن باديس هلكت الضواحي والقرى (٣٨) ، وكان لابد من عدد من الممارك الحاسمة لتقرير لمن تكون السيادة فى النهاية - وهى النتيجة المقدره . سلفا لصالح الأشداء من المحاربين العرب بطبيعة الحال .

مقدمات الصراع :

تقييم الموقف :

والحقيقة أنه رغم ما توحى به الروايات المتأخرة نسبيا لابن الأثير وابن عذارى والنويرى وابن خلدون - ما بين القرن ال ٧ - ٩ هـ / ١٣ - ١٥ م -

- (٣٥) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٨ - حيث يقول مؤنس : قدمت له النصيحة . فحاق بى الأمر ، وحيث يصبح أشد اضرارا من القول بسبب علمه بمورات القيروان .
- (٣٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٨ .
- (٣٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ ، وقارن النويرى ، ص ٣٤٥ - حيث قصة البساط خاصة بفتح بلاد المغرب جميعا قبل فتح القيروان - فكانها مما يعرف الآن بسياسة الخطوة خطوة .
- (٣٨) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

ومن يأتي بعدهم ، من أن الأمر لم يتطلب من العرب الهلالية المعركة واحدة لهزيمة المعز وانضمام على القوة الزيرية في القيروان ، فان طبيعة حرب الهلالية ، مثلما كانت أيام العرب القديمة ، لم تكن تعرف المعارك الحاسمة أو الفاصلة ، وهو الأمر الذي تقضى به طبيعة الأشياء ، من حيث أصول حرب الكر والفر ، مما يسمى في أيامنا هذه بحرب الامكانيات البسيطة . وإذا كانت أحداث الصراع بين الهلالية والمعز قد وضعت دفعة واحدة تحت عنوان انتصار العرب على المعز أو هزيمة العرب للمعز بن باديس ، كما عند ابن عذاري والثيري ، وضمن أحداث سنة واحدة . هي سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م ، فان رواية ابن الأثير التي تضعها تحت عنوان دخول العرب الى أفريقية سنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م ، تسلسل الأحداث في عدد من المعارك التي وقعت بين المعز والهلالية ، مثل : يوم العيون أو الأضحى أو حيدران ، وان كان ينقصها التحديدات التي تمكن من ترتيبها زمنياً بالاستعانة بالتواريخ المتناثرة هنا وهناك ، سواء عند ابن الأثير أو ابن عذاري الذي يأخذ بنفس الرواية ، وكذلك عند ابن خلدون الذي يقدم في الموضوع معلومات مبهرة .

ما بين القوتين المتصارعتين :

مبالمات ابن رشيق وابن شرف في محنة القيروان :

رغم وصف المعاصرين ، وخاصة من شعراء القيروان ، هزيمة جند المعز بن باديس الصنهاجيين أمام عرب الهلالية الوافدين من صحراء مصر الشرقية بـ « الباهية العظمى ، والمصيبة الكبرى » (٣٩) ، فهناك من القرائن ما يدل على أن الأمر لم يكن كذلك ، وان هناك ثمة مبالغة من جانب المثقفين من أهل البلاد وخاصة الأدباء والشعراء منهم ، وبخاصة ابن رشيق وابن شرف ، في البكاء على أطلال القيروان (٤٠) . حقيقة ان الكتاب يبالغون في

(٣٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٩ .

(٤٠) عن تقييم عملهما الأدبي والتاريخي أنظر الشاذلي بو يحيى ، الحياة الأدبية في أفريقية على عهد الزيريين ، بالفرنسية ، رسالة دكتوراة ، طبع تونس ١٩٧٢ ، ص ١٠٤ وما يتبعها ، عن ابن رشيق القيرواني الأزدي المسيل (٣٩٠ - ٤٥٦ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٦٤ م) الذي شمله ابن أبي الرجال الزير مؤدب المعز واستخدمه في الديوان ، فكانت وسيلته لكي يتسبب سماعه البلاط ، حيث دخل في منافسة مع ابن شرف قرينه ، كان يحلو للمعز أن يشمله . وعندما ترك المعز القيروان الى المهديّة تبعه أبو رشيق الى هناك ، وبعد وفاة المعز =

عرف الحضارة الافريقية على عهد المعز بن باديس . حيث كان موكب الأمير
يشير الضجة والصخب في العاصمة بما يتقدمه من الحيوانات السودانية.
الغريبة ، والسباع المخيفة . ولكن الاعجاب بالموكب المثير كان ينتهى أحيانا
بنتفجر مشاعر الهلع ثم الحزن والاسف ، اذا ما قدر لواحد من تلك السباع
مثلا ، أن يفلت من اسار صاحبه ، لكي ينطلق الناس أمامه مذهولين فزعاً ،
ليقع بعضهم على بعض ، وتموت الأعداد الكثيرة منهم ، كما حدث في موكب
سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م ، أى قريب الوقت الذى كان خطر العرب يتهدد
القيروان (٤١) . وكذلك الأمر بالنسبة لحضارة القيروان الزيرية التى تمثلت
فى كثرة الآتواب التى يكفن فيها الواحد من أفراد الأسرة الحاكمة وغلاء
ثمنها ، أو تابوت العود الهندى الثمين بمسامير الذهب الذى يدفن فيه ، أو
أحمال المال التى كانت تعطى لمن يستحق أو لا يستحق من قبل الأمير أو
كبار رجال الدولة من الولاة (٤٢) ، الأمر الذى يتجاوز الترف الى البطر

(٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) هاجر الى صقلية ، وعاش فى كنف أمرائها الكليبيين . واذا كان يذكر
له نبوغه فى الحمريات الوصفية والقطع الشعرية الصغيرة ، فانه بمناسبة كارثة القيروان
ملحمى ، فى قصيدته الحزينة ، وأن كانت برنة غنائية - على كل حال - وفيما يتعلق بابن رشيق
مؤرخا ، يخرج الباحث بأنه لا يرى ذلك وأن كتاب « ميزان الاعتدال » المنسوب اليه متوسط.
عند ابن خلدون ، وهو فى الحقيقة ليس له ، بل لمؤلف أندلسى يحمل نفس الاسم (ابن رشيق) ،
وذلك اسنادا الى رواية ابن الخطيب . وأنظر نفس المرجع ، ص ١١٦ وما يتبعها عن ابن شرف
(٣٩٠ - ٤٦٠ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٦٧ م = أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد) فهو أحد المسج.
رجال الأدب والشعراء وعلماء أفريقية فى القرن الـ ٥ هـ / ١١ . أخذ ضمن من أخذ عنهم
عن أبى عمران الفاسى ، شيخ القيروان الشهير صاحب الفضل فى اكتشاف فقيه المرابطين الشهير ،
عبد الله بن ياسين . ومن المهم هنا أن كل أعمال المعز بن باديس تظهر فى شعر ابن شرف
بصفته شاعر البلاط مثل ابن رشيق ، الى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٦ م ، حيث رحل ابن شرف
لفترة قصيرة الى المهديّة فى كنف الأمير تميم بن المعز ، قبل أن يسير الى صقلية لدى الأمير
منكود ، ثم الى الأندلس لدى العباديين أمراء اشبيلية - حيث مات . وموضوع خراب القيروان
مثير فى شعر ابن شرف ، وفى تاريخه أيضا ، حيث أكمل تاريخه الرقيق فى حولياته ، هذا ،
كما أكمل ابنه جعفر تلك الحوليات ومن بعده تاريخ ابن عذارى ، ذلك العمل .

وأنظر لانموذج لابن رشيق ، تحقيق المطوى ، تونس ١٩٨٦ ، ص ٣٤٠ - حيث ابن شرفه
وفيه يقول ابن رشيق : « وكان بيننا قبل أن يجذبنا (سيدنا المعز) الى محل حرمة ، ويشركنا
فى سائغ نعمته مكاتبات ومجاوبات » ، ص ٤٣٩ - عن صاحب الكتاب ، حسن بن رشيق ،
حيث أنه من موالى الأزد ، ولد بالمحديّة (المسيلة) سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م ، وقدم الحضرة
سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، وامتحن سيدنا - وأنظر فيما سبق ص ٤١٠ .

(٤١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٠٢ .

(٤٢) العبر ، ج ٦ ص ١٥٨ .

والسيفه ، والكرم الى الاسراف والتفريط ، وهو ما يعنى بلوغ الذروة في مسار الحضارة ، وبدء الانحدار فوق السفح الى الحضيض ، بمعنى افتقار الحشونة على المستوى العسكرى ، وعدم القدرة على مطاولة الخصوم ، خصوصا اذا كانوا من نمط الهلالية الذين « لم يعيدوا نعمة ولا طالعوا حاضرة » . والذين كانوا كلما انتهوا الى قرية تنادوا : هذه القيروان ، ونهبوها من حينها ، مما سبقت الاشارة اليه (ص ٤٢٤ و ٢٦٦) . والحقيقة ان الدولة الزيرية كانت منذ حين ، قد فقدت ثققتها في عسكرها الصنهاجى ، عندما بدأ الأمراء منذ عهد المنصور وباديس ، فى جمع العبيد السودان ليكونوا الحرس الأميرى الخاص ، الذى أصبح وحده موضع الثقة ، وبالتالي نواة القوات النظامية (٤٣) .

المناوشات الأولية ، والحشد للمعركة :

بدأت المناوشات عندما سرح المعز الى الهلالية قوة من رجاله الصنهاجين ، ولكن العرب نجحوا فى الايقاع بهم ، فأخذته العزة بالكبر ، وأشاط به الغضب ، فأمر بالقبض على أخى مؤنس وخرج معسكرا بظاهر القيروان ، وهو يحشد الرجال ويستنفر القبائل الموالية ، من زناتة وغيرها . كما بعث بالصريخ الى ابن عمه : القائد بن حماد ، صاحب القلعة . واستجاب القائد فأرسل الى المعز كتيبة من ألف فارس ، كما لبي نداه الزعيم الزناتى المنتصر بن خزرون المغراوى ، والذى كان فى بادى الأمر مناوئا للمعز ، على رأس ألف فارس من قومه . هذا ، كما انضم الى معسكر المعز أعداد من الأتباع والأولياء والحشم ، ومن فى ايالتهم من بقايا عرب الفتح والزناتية ، وغيرهم من جماعات البربر ، حتى اجتمع له حوالى الثلاثين ألف رجل . أما عن المعسكر الهلالي فقد حوى جماعات من قبائل : رياح وزغبة وعدى ، الذين أقبلوا من جهة قابس مرورا بجبل حيدران ، فى نحو ٣ (ثلاثة) آلاف رجل ، تحت قيادة مؤنس بن يحيى الرياحى (٤٤) .

(٤٣) ما سبق ص ٣٠٨ - حيث كان نواب أفريقية من الكتاب أو الوزراء سابقين الى اقتناء

العبيد .

(٤٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - حيث موسى بدلا من مؤنس ، وابن خزور بدلا من ابن خزرون ، وفاس بدلا من قابس ، وقارن ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ - حيث عدد قوات المعسكر ٣٠ ألف فارس ومنزلها رجاله . والنويرى ، ص ٣٤٦ - حيث المنصور بدلا من المنتصر .

الفتنة :

معركة يوم العيون :

وعندما رحل المعز الى ناسية قرية بنى عدل ، حيث كان اللقاء في منتصف النهار في منطقة أوعار وأودية اختارها المعز (٤٥) ، هال العرب منظر عساكر المعز وعبيده المدججين بالسلاح والمتدثرين بثقل الثياب . ولكن مؤنس بن يحيى نجح في تهديده روعهم ، ورفع معنوياتهم فقرروا الثبات في مواجهة الحشود الزيرية ، كما أن مؤنسا عرفهم بمواطن الضعف عند الخصوم المثقلين بالعتاد واشيب من الكراغندات والمخاف ، اذ طلب منهم الطعن في العيون - تماما ، كما فعل عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، في حرب النوبة بجنوب مصر - الأمر الذي أدى الى اطلاق اسم « يوم العيون » على تلك المعركة . ولكنه ما كادت المعركة تبدأ حتى ظهرت علامات الفشل في المعسكر الصنهاجي ، حيث بدأ عرب الفتح بالتحيز جانبا ، قبل أن ينضموا الى جانب الهلالية ، للعصبية القديمة بينهم . وهنا لم يكن من المستغرب أن يخون الزناتية بدورهم ، بل والصنهاجيون فيفرون من ميدان القتال (٤٦) ، تاركين المعز وسط المخلصين له من عبيده . وفي ذلك تقول الرواية أن صنهاجة كانت تحقد على المعز اعتماده على العبيد دون عصبية الصنهاجية ، وأنهم لهذا السبب اتفقوا على الانسحاب أمام العدو حتى يثبتوا للمعز خطر الاعتماد على العبيد ، وأنهم كانوا على ثقة من تقويم الموقف بعد ذلك (٤٧) .

وعلى عكس ما حسب الصنهاجيون ثبت المعز في موضع القلب مع عبيده السودان حتى قتل الكثير ، بينما لم يتمكن الصنهاجيون من العودة الى ميدان المعركة اذ منعهم العرب من ذلك ، فتمت الهزيمة على المعز الذي انسحب في بعض خاصته نحو القيروان .

وكان النصر مؤزرا بالنسبة للعرب ، كما كانت الهزيمة قاسية بالنسبة لصنهاجة . فلقد انتهب العرب جميع ما كان بالمحلة من المال والمتاع

(٤٥) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤١٩ - والذي يؤخذ على الرواية هنا انها تجمع معلومات حروب المطاولة في معركة واحدة ، وهي : معركة يوم الأضحى التي تاتي كثنائي لقاء بين الطرفين .

(٤٦) العبر ، ج ٦ ص ١٥ .

(٤٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ .

والذخيرة والحيل والفسطاطيط والرايات (٤٨) . واستنادا الى رواية ابن الأثير
اتى أخذنا بها ، وهي التي تظهر عند النويرى ، كما يؤيدها ابن خلدون ،
نرى كيف تحورت الرواية المنسوبة الى ابن شرف ، عند ابن عذارى ، متجهة
نحو المبالغة فى أعداد الجيوش المتحاربة ، وهو الأمر الذى تهفوا اليه
النفوس ، فالثلاثون ألفا أصبحت ثمانين ، والثلاثة آلاف صارت فى الجانب
اليسار ثلاثين ألفا . هذا ، كما تباهى رواية ابن عذارى - المثارة أصلا
بابن شرف - عندما تضع معلومات يوم العيون هذا ، فى موضع يوم الأضحى
أو يوم حيدران ، وهما اللقاءان الثانى والثالث بين الطرفين المتحاربين ، كما
سنرى ، فتجعل من بين ما حازه العرب فى مضارب المعز ، الذهب والفضة
الى جانب أكثر من ١٠ (عشرة) آلاف خباء ، و ١٥ (خمسة عشر) ألف
جمل ، وعدد لا يحصى من البغال ، « فما خلص لأحد من الجند عقالا فما
فوقه » . هذا ، كما تجعل الرواية تلك المعركة فاصلة من حيث كان انتصار
العرب نهائيا ، اذ : « جعل كل من سبق الى قرية يسمى نفسه لهم ،
ويؤمنهم ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم ، علامة ليعلم غيره من
سبقة » (٤٩) .

معركة عيد الأضحى :

وحسب ترتيب ابن الأثير الذى أخذنا به - كما عند النويرى - فان
معركة يوم الأضحى المحددة التاريخ بالأيام ، كانت بمثابة ثار لزيمة يوم
العيون . فلقد أراد المعز بن باديس أن يأخذ العرب على حين غرة ، فدبر

-
- (٤٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - حيث النص على ان بعض الشعراء قال فى تلك المعركة :-
وان ابن باديس لأفضل مالت ولكن لعمري ما لديه رجال
ثلاثون ألفا منهم غلبتهم ثلاثة آلاف ان ذا لمحال
وقارن النويرى ، ص ٣٤٦ - حيث الكلمة الأخيرة من الشطرة الثانية من البيت الثانى :
تلكا بدلا من محال ، وابن عذارى ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٠ - حيث بيتا الشعر المنسوبان
الى : على ابن زرق ، من قصيدة له ، والاول منهما مختلف ، اذ هما كالآتى :
لقد زاد وهنا من أميم خيال وأيدى المطايا بالزميل عجال
ثمانون ألفا منكم هزمتهم ثلاثون ألفا ان ذا لتلكا
وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - حيث يورد ٣ أبيات خاصة بالمعركة ، أولها هو البيت
الأول عند النويرى : « لقد زاد وهنا ٠٠٠ » اما الآخرا فهما الواردان عند ابن الأثير مع
اختلاف بعض الكلمات « فى البيت الثالث ، مثل : « قد هزمتهم » بدلا من غلبتهم فى الشطرة
الأولى ، وذلك ضلال بدلا من وذاك ضلال فى الشطرة الثانية .
(٤٩) البيان ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٠ . وانظر فيما بعد ص ٤٣٥ .

أن تكون المفاجأة لهم يوم النحر ، أى يوم عيد الأضحى ، فى العاشر من ذى الحجة من السنة نفسها ٤٤٣هـ / ٣ ابريل ١٠٥٢م ك ، والقوم مشغولون بصلاة العيد ، والاعداد للنحر ، وموائد الضحية الغنية باللحم والثريد . هكذا جمع المعز فى صباح ذلك اليوم ٢٧ (سبعة وعشرين) ألف فارس ، وسار بهم جريدة أى حملة سريعة تصل الى هدفها قبل أن يصله خبرها . ونجحت الخطة من حيث التوقيت اذ هجم جيش المعز على العرب ، وهم فى صلاة العيد ، ولكن العرب ، وهم الفرسان بحكم النشأة ، أسرعوا الى ركوب خيولهم ، وحملوا على القوات الصنهاجية التى لم تحتل الصدمة فانهزمت . « وقتل منهم عالم كثير » (٥٠) .

وهنا لا بأس من الأخذ برواية ابن عذارى عن معركة يوم الأضحى ، حيث يقول انه بعد عودة المنهزمين الى القيروان بات الناس هناك ليلتين وقد خيم عليهم كابوس من الخوف والرعب من مفاجأة خيل العرب ، التى كانت تسرح حول القيروان فى كل جهة ومكان ، والناس يرونهم عيانا بيانا . وبعد ثلاثة أيام عندما استرد المعز أنفاسه المقطوعة حاول أن يقوم بتظاهرة ترفع من معنويات الناس وترد اليهم بعض شجاعتهم المفقودة ، فقام فى اليوم السابع للعيد ، ١٦ ذى الحجة / ١٩ ابريل ١٠٥٢م بالخروج بجنوده ، كما خرج معه العامة من أهل القيروان ، ولكنه لم يجرؤ على أن يتعدى بهم موضع المصل خارج المدينة . وهنا رأى أن يستخدم خطة ما يعرف فى الحروب باسم « الأرض المحترقة » ، نكاية فى العدو ، فأمر كافة الناس بانتهاب المزروعات المحيطة بالقيروان وصبرة (المنصورية) . ورغم سرور المسلمين ، كما تقول الرواية ، كناية عن أن العرب الهلالية شيعه فاطمية خارجين على الاسلام - بما حسبه رزقا لهم ، فانهم سرعان ما أصيبوا بخيبة الأمل ، اذ كان مصيرها الفساد وأكل البهائم (٥١) .

(٥٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ ، النويرى ، ص ٣٤٦ ، وقارن ابن عذارى ، بيروت : ص ٤١٩ - حيث تظهر معركة عيد الأضحى وكأنها معركة يوم الميّن ، فهو يصفها بالداهية العظمى والمصيبة الكبرى ، حيث كانت الهزيمة على المعز الذى صبر بين عميده الذين فدوه ، بينما انهزم مناد وصنهاجة وغيرهم وبذلك كانت عودة المعز الى قصره بالمنصورية فى ثالث يوم العيد ، اذ كانت المعركة فى اليوم الثانى من العيد ، ولا بأس أن يكون الثانى بالنسبة الى المعركة والثالث بالنسبة لها ، أى بالنسبة للهزيمة . هذا ، كما تبالى رواية ابن عذارى المنسوبة الى ابن شرف فى اعداد العسكر فى من الجانبين ، فهم ٨٠ ألفا فى معسكر المعز ٣٠ ألفا فى جانب الهلالية .

(٥١) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

بناء سور القيروان وصبرة :

وعندما ظهر العرب في اليوم التالي ، ١٧ ذى الحجة / ٩ ابريل ، على يد ١٠ اميل من القيروان كان على المعز أن يخرج لتفقد ضواحي المدينة . واتخذ الاجراءات المناسبة لتحصينها . وفعلا صدرت الاوامر ببناء سور القيروان وصبرة التي تمت في السنة الثالثة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٣ م (٥٢) . وزيادة في حصانة الاسوار امر الناس بالاحتفال في البناء ، فأخذ كثير منهم في بناء دورهم (٥٣) . وكان من الطبيعي بعد أن اطمأن المعز الى حصانة القيروان وصبرة وخاصة أن العرب من الهلالية أو غيرهم كانوا لا يعرفون في حروبهم الا الكر والمفر ، وليست لهم خبرة بحرب الحصون واقتحام الموانع أن يحاول استغلال هذه الميزة التي كانت له وتوجيه ضربة رادعة الى العرب ، ترددهم بعيدا عن بلاد القيروان .

يوم حيدران والمركة الحاسمة :

وهكذا حدث النزال الثالث ، في منطقة جبل حيدران ، على ٣ أيام من القيروان ، والذي يمكن أن يعتبر الوقعة الفاصلة في تاريخ حزب المطاولة هذه . - حسب اصطلاح ابن خلدون - التي وضعت نهاية حزيمة لمدينة القيروان كعاصمة لبلاد افريقية التونسية ، منذ انشائها قبل أربعة قرون ، كما قررت مصير المغرب الى حد كبير .

وحسبما يستشف من الأحداث توضع موقعة جبل حيدران في السنة التالية ليوم الأضحى أي سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، حيث جمع المعز بن باديس أعدادا كبيرة من فرسان صنهاجة وزناتة ، وخرج على رأسهم قاصدا منازل العرب في قرية الهلالية ، جنوب جبل حيدران . وزعم أن العرب لم يزيدوا على ٧ (سبعة) آلاف فارس ، فان قوات القيروان المنهكة جسمانيا ومعنويا ، لم تكن لتستطيع الصمود أمام حملات العرب الساحقة ، فانهزمت صنهاجة ، كما انهزمت زناتة ، رغم ثبات المعز في عبيده ، ذلك الثبات العظيم الذي لم يسمع بمثله ، والذي انتهى على كل حال بهزيمته هو الآخر ، وعودته الى قصوره بالمنصورية . ورغم ما تقوله الرواية من أن هزيمة صنهاجة انتهت

(٥٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ - حيث النص خطأ على سور « زويلة » والقيروان بدلا

من صبرة والقيروان .

(٥٣) ابن عسكاري ، ط ١ : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

بأن « ولى كل رجل منهم الى منزله » ، فان خسارة صنهاجة فى رجالها كانت فادحة هذه المرة ، اذ أنه عندما أحصى من قتل منهم ، كانوا ٣٣٠٠ (ثلاثة آلاف وثلاثمائة) رجل - ولا بأس أن تقصد الرواية من ذلك العدد الكبير جميع من قتل فى موقعة حيدران ، من صنهاجة وزنانه والعبيد الأميرية ، وغيرهم^(٥٤) ، الأمر الذى يعنى ضربة قاضية للصنهاجيين ، وبالتالى لدولة آل بلكين الزيزيين فى القيروان .

حصار القيروان ، والاجراءات التحفظية :

بمجرد وصول نبأ هزيمة جبل حيدران الى القيروان بدأ أهلها فى الفرار منها الى تونس ، فى نفس السنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م^(٥٥) ، كما تم تنفيذ ما كان المعز بن باديس قد اتخذه من اجراءات وقائية لما ينتظره من ضغوط العرب على القيروان والمنصورية ، بعد بناء الأسوار . من ذلك أنه أمر بانتقال اعمامة من أهل صبرة وسوقتها الى القيروان ، وبخلو الحوانيت كلها بصبرة ، كما أمر جميع الصنهاجيين الموجودين بالقيروان وغيرهم من العسكر بالانتقال الى صبرة ، والنزول فى حوانيتها وأسواقها . فكانه فرق ما بين المدينتين . فعلى القيروان ، كما كانت من قبل ، مدينة العامة ، وصبرة المنصورية وهى مدينة صبرة الملكية ، مدينة العسكر دون غيرهم^(٥٦) - ربما ليأمن من غائلة العامة اذا ما اضطربوا عند قدوم العرب الى القيروان ، وهو الأمر المتوقع .

انتفاضة العامة بالقيروان :

وفعلا لم يلبث عرب زغبة ورياح ، المنتصرون فى حيدران ، أن وصلوا الى القيروان وأحاطوا بها^(٥٧) ، فى الوقت الذى كانت قد ساءت فيه العلاقات نوعا ما بين عامة أهل القيروان الذين تركوا أسواقهم وحوانيتهم ، فى صبرة المنصورية ، بين أيدي عسكر صنهاجة ، وعبيد المعز الذين نزلوا بها ، فمدوا أيديهم الى خشب الحوانيت وسقائنها واقتلعوها ، فخربت العمارة العظيمة فى ساعة واحدة^(٥٨) . واذا كان المعز قد أصدر أوامره للعسكر

(٥٤) انظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٨ - ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٦ .

(٥٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٥٦) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

(٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ .

(٥٨) ابن عذارى ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢١ .

«بعدم الخروج على سيور صبره» (٥٩) تلافيا لاحتكاك لا تعرف عقابه مع العرب ،
«فان العامة كانوا مستعدين لمواجهة الأخطار » فعندما وصل العرب الى مصر
القيروان في السنة التالية لوقعة حيدران ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م ، خرج اليهم
أهل ضاحيتي وقادة وصبرة المنصورية ، في حرب غير متكافئة ، انتهت
بقتل خلق كثير من أهل الضاحيتين ، الأمر الذي أدى الى تدخل المعز لرفع
الحرب بين الفريقين (٦٠) *

ورغم انسحاب العرب من الضواحي التي كانوا قد اقتحموها ، فان
المعز سمح لهم بدخول القيروان ، تحسبا لعودتهم مرة أخرى ، لكي يقوموا
بما كانوا في حاجة اليه من بيع وشراء (٦١) . وكان من الطبيعي أن يكون
لدخول العرب الى القيروان واحتكاكهم بعامتها الذين استخفوا بهم ، نتائج
السلبية ، اذ أدى التنازع بين واحد من أهل السوق مع رجل من العرب الى
الحرب بين الفريقين ، وكانت الغلبة في الصراع للعرب بطبيعة الحال (٦٢) .

وبانكسار انتفاضات العامة من أهل القيروان أمام حملات فرسان
العرب بعد هزيمة الجيوش النظامية من الحرس الأميري الأسود ، والمتطوعين
من صنهاجة وزناتة ، انتهى الأمر بانفتاح القيروان أمام الهلالية وسيطرتهم
تماما على تخومها ، حتى صار «كل من سبق منهم الى قرية يسمى نفسه لهم» ،
ويؤمنهم ، ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم ، علامة ليعلم غيره من
سابقه (٦٣) *

(٥٩) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٢ .

(٦٠) النويري ، ص ٣٤٦ .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويري ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٦٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويري ، ص ٣٤٧ ، وقارن ابن عذاري ، ط :
بيروت ج ١ ص ٤٢٣ - حيث الإشارة الى وقعة باب تونس بالقيروان بين العامة الذين خرجوا
بالعصى والسلاح ، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود أمام حملة فرسان العرب عليهم ، اذ تساقطوا
على وجوههم وجنزيهم ، كما سطحوهم من حد أفران الأجبر الى هذا الباب (باب تونس) .
وتعطي رواية ابن شرف صورة صارخة لأعمال العرب في حي باب تونس حيث لم يتركوا على
حي ولا ميت خرفة توارية . وبعد انصراف العرب خرج الناس لرفع انفتل ، فكانت النواتج
والندب بكل جهة وزقاق ، كما كانت جراح المصابين القبيحة تفتت الأكباد وتذيب القلوب
والاجساد ، وكذلك مناظر البنيات اللاتى سودن وجوههم وحلقن رؤوسهن على آبالهن
«واخوانهن » فكان يوما لم ير الناس مثله في سائر الأمصار فيما مضى من الانصار .
(٦٣) ابن عذاري ، ط : بيروت ج ١ ص ٤٢٠ ، وانظر فيما سبق ، ص ٤٣١ .

الاحاطة بالقيروان :

وهكذا انتهى الأمر باحاطة زغبة ورياح بالقيروان ، ونزول مؤنس ابن يحيى المرداسى الرياحى ، قريبا من ساحة البلد بينما فر قرابة المعز ابن باديس من آل زيرى . وبذلك اقتسمت العرب من زغبة ورياح بلاد افريقية منذ سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م ، حيث صارت قابس وما يليها من بلاد قسطلية لهما جميعا ، بينما انفردت زغبة بمنطقة طرابلس ، واخذ مؤنس ابن يحيى منطقة باجة وما يليها (٦٤) . ومع استمرار تقاطر العرب من صعيد مصر كان عليهم أن يعيدوا تقسيم البلاد مرة أخرى ، فكان لبنى سليم الأقاليم من طرابلس فما دونها ، وكان للهلالية من : المعقل وجشم وقره والأنبج والخلط وسفيان ، من : مدينة تونس الى المغرب . وبذلك « تصرف الملك من المعز » ، وتغلب عائد بن أبى الغيث على مدينة تونس وسلبها ، وملك أبو مسعود من شيوخهم ، مدينة سوسة صلحا ، وعمل المعز على خلاص نفسه مصاهرة ببناته الثلاثة اللاتى زوجهن بابنيه : فارس بن أبى الغيث وأخيه عائد ، والفضل بن أبى على المرادى (٦٥) .

النقلة الى المهدية :

ومنذ ذلك الوقت (٤٤٦هـ / ١٠٥٤م) تأكد المعز بن باديس من نهاية مملكته فى القيروان التى طوقها العرب وأحكموا حصارها ، وبدأ يفكر فى النقلة الى المهدية فكان فى الأمر عودة الى الوحشة مع أهل القيروان أيام المهدي أو أثناء الثورة الزناتية على عهد القائم . وهكذا أشار المعز على الرعية بالانتقال الى المهدية لعجزه عن حمايتهم من العرب ، وأقام هو بالقيروان والناس ينتقلون الى المهدية الى سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م (٦٦) .

وفى نفس هذا الوقت كان الهلالية يدمغون سياسة الفرع الحمادى من الزيريين فى القلعة بطابعهم . وفى سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م توفى القائد بن حماد ، وتولى ابنه محسن الذى خشى منافسة عمومته فقتل الكثيرين منهم ، ولكن بلسكين بن محمد ، من بنى عمومته ، نجح فى التخلص منه بمعوقة العرب ، ودخل القلعة فى ربيع الأول سنة ٤٤٧هـ / مايو يونيه ١٠٥٥م .

(٦٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥

(٦٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥ - ١٦

(٦٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩

وأصبح الأمير الحمادى الرابع (٦٧) . وبذلك يكون الهلالية قد تقدموا الى قسنطينة ، وأصبحت لهم اليد العليا فى كل البلاد ، وخاصة فى الأقاليم الداخلية ، حيث شرعوا فى هدم الحصون والقصور ، وقطع الشمار وتخريب الأنهار (٦٨) .

وكخطوة تمهيدية للانتقال الى المهديّة سار ولى العهد ، تميم بن المعز ابن باديس ، الى ولايته بالمهديّة سنة ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م (٦٩) ، وكان أبوه قد ولاه اياها سنة ٤٤٥هـ / ١٠٥٣م (٧٠) . وكانت تلك الولاية بالنسبة للمعز ، قد بدأت بما يتفق مع مقولة « ان المصائب لا تأتى فرادى » ، اذ لم تلبث أن قامت الفتنة بين عبيد تميم الذين انضم اليهم عامة أهل زويلة ومن كان بها من رجال الأسطول ، وبين عبيد المعز الذين كانوا هناك ، وكانت الدائرة على عبيد المعز الذين قتل الكثير منهم . وعندما حاول الباقون منهم الخروج من المهديّة الى القيروان حيث سيدهم المعز ، أغرى تميم بهم العرب فى المنطقة ، فقتلوا منهم جمعا غفيرا ، الأمر الذى يثير نوعا من الشك حول سلامة العلاقة بين المعز وولى عهده ، الوالى على المهديّة (٧١) وهو ما يظهر كصدى للروايات التى تنص بشئ من الإلحاح على تلقى تميم والده المعز بما يليق به من الاحترام والتبجيل ، ومشيه بين يديه من مياش الى القصر ، على طول مسافة نصف فرسخ (٧٢) ، وذلك عندما انتقل المعز الى المهديّة فى شعبان سنة ٤٤٩هـ / أكتوبر ١٠٥٧م ، بعد أن أصلح أحوال أهل القيروان ، بمساعدة أصهاره العرب الذين تبعوه ، حراسة بالعبيد السودان ومعهم ابنه المنصور ، الى منطقة الساحل من حيث ركب البحر الى المهديّة (٧٣) .

(٦٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٠١ ، النويرى ، ص ٣٤٣ - حيث النص على أنه قتل ٢٤ من عمومته ، وأنه استدعى ابن عمه بلكين بن محمد وأمر رجلا من العرب أن يقتلوه ، ولكنهم أخبروا بلكين بالمكيدة اذ كانوا من أوليائه ، بل وقتلوا الأمير محسن .

(٦٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

(٦٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ - ولو ان نص ابن الأثير يقول انه أقام بها منذ ولها ، الأمر الذى يعنى أنه ربما كان فى زيارة لوالده بالقيروان أو انه كان قد استدعى بسبب الوحشة بينهما .

(٧١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦١٧ - حيث النص على ان هذه التوبة كانت سبب قتل تميم

من قتل من عبيدا أبيه لما ملك .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٧ .

(٧٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ وقارن المقرئى ، اعطاء الحنفا ، ص ٢١٧ - حيث =

نهب القيروان وسيادة البدو من بربر وعرب على المنطقة :

وكان لخروج المعز من القيروان ردود فعل سيئة هناك ، ففى الشهر التالى ، رمضان ٤٤٩ هـ / أكتوبر ١٠٥٧ م نهب العرب القيروان (٧٤) . هذا ولم يكتف العرب بافساد القيروان بل انهم تابعوا المعز نحو المهديّة ، فنزلوا حولها وضيقوا عليها بمنع المرافق وافساد السابلة (٧٥) .

وباضطراب افريقية الزيرية ، خرب عمرانها وفسدت سابلتها ، بعد أن آلت السيادة على أطرافها وضواحيها الى قبائل البربر البترية (البدوية من : زناتة وبنى يفرن ومغراوة وبنى مانه وبنى تلومان (٧٦) . فبعد كده صنهاجة دخل الهلالية فى صراع طويل مع الزناتية ، أهل البادية مثلهم وغلبوهم على أطراف البلاد . وهنا نجد أن الصراع مع الزناتية هو الذى يمثل سداة تغريبة بنى هلال الشعبية ولحمتها ، وذلك عندما التحموا بصاحب تلمسان الزناتى ، من أعقاب محمد بن خزر ، ووزيره الشهير « أبى سعدى خليفة اليفرنى » ، بطل الملحمة ، فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة ، كما يقول ابن خلدون (٧٧) .

ومن المهم هنا الاشارة الى أن بنى حماد أصحاب القلعة ، ساروا على نفس السياسة التى انتهجها أبناء عمومتهم أصحاب القيروان من قبل . فحاولوا امتصاص قوى العرب الحربية بادخالهم فى خدمتهم . وهكذا كان بلكين بن محمد ، يخرج سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، ومعه جماعات من الأثنيى وععدى لحرب زناتة ، التى انتهت بكسرهم وقتل أعداد كثيرة منهم (٧٨) .

النص على ان المعز ركب البحر الى المهديّة سنة ٤٤٩ هـ ، وان قال قبل ذلك (ص ٢١٥) انه خرج الى المهديّة متخفيا فى زى امرأة عندما أشرف على التلف ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ - حيث النص على أنهم جاءوا وخربوا المباني ، وعاثوا فى محاسنها ، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها ، واستصفوا ما كان لآل بلكين فى قصورها ، وشعلوا بالعبث والنهب سائر حريمها ، وتفرق أهلها فى الأقطار فعظمت الرزية وانتشر الداء . (٧٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٦) ابن خلدون ج ٦ ص ١٦ - حيث النص على ان ذلك كان داب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وغيرهم من البربر وأساروهم عبيدا وخدموا بباجة بخاصة . (٧٧) العبر ، ج ٦ ص ١٦ .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ ، النويرى ، ص ٣٤٧ .

تباشير عصر الطوائف :

وأدت غلبة العرب على الدولتين الزيريتين في القيروان والمهدية وفي القلعة وبجاية ، الى قيام نوع من عصر ملوك الطوائف كذلك الذي عرفته الأندلس بعد سقوط المرwanيين والعامريين بقرطبة . ففي سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩ م كانت سفاقس تحت حكم أفروم البرغواطي الذي تلقب بمنصور ، ولكنه قتل بمعرفة برغواطي آخر ، هو : حمو بن مليل الذي ملك سفاقس مكانه (٧٩) . وفي سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م ، ثور فتنة في تقيوس من بلاد الجريد بين أهل البلدة وبين العرب الذين دخلوا المدينة متسوقة فقتل رجل منهم آخر من أهل البلد اثر نقاش سياسي في أحوال البلاد اتخذ فيه التقيوسي موقفا مؤيدا لسياسة المعز بن باديس ضد العرب ، فثار هؤلاء الآخرون بأهل البلدة الذين دفعوا ثمنا باهظا لتعصيبهم لأمرهم . اذ قتل العرب منهم ٢٥٠ (مائتين وخمسين) رجلا (٨٠) . وفي هذه السنة (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) انهزمت هواراة أمام العرب في الحرب التي ثارت بين الطرفين وقتل فيها الكثير من الهواريين (٨١) .

وفاة المعز :

وفي نفس تلك السنة الأخيرة (٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) توفي المعز بن باديس مريضا بضعف الكبد ، بعد ملك دام ٤٧ (سبعة وأربعين) عاما ، وبذلك يختم العصر الذهبي للزيريين في القيروان لكي يبدأ عصر جديد ، ليس في افريقية وحدها ، بل في بلاد المغرب جميعا ، هو عصر ملوك الطوائف الذي ينتهي بقيام دولة المرابطين ، فكأنه مقدمة طبيعة لها ، الأمر الذي يتطلب رسم خريطة كعمل تمهيدى لدراسة إعادة توحيد المغرب تحت رايات صنهاجة المرابطين من الملتحقين .

(٧٩) النويري ، ص ٣٤٧ .

(٨٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

(٨١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٩ .

الفصل الخامس

خريطة أفريقية وبلاد المغرب
حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م

ملوك الطوائف فى أفريقية :

تعتبر معركة حيدران ، ونقطة المعز الى المهديّة سنة ٤٤٩هـ/٩٥٧م ، نقطة تحول هامة فى تاريخ أفريقية التونسية ، من حيث تحول دولة القيروان الزيرية الى دولة بحرية توجه أنظارها نحو صقلية وجنوب ايطاليا ، تماما كما كان الحال بالنسبة لدولة بنى العمومة الحمّادين الذين تركوا بدورهم مركز حكمهم فى القلعة ، اثر هزيمة سببية سنة ٤٥٧هـ / ١١م ، الى مدينة بجاية البحرية التى أصبحت دار ملكهم ، أوامر الذى يعنى توجيههم ، هم الآخرين ، وجهة بحرية بعد أن استولى الهلالية على دواخل البلاد البرية ، فكان الممتلكات الفاطمية انتهت فى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١م الى ثلاث دويلات ، هى : الزيرية فى المهديّة ، والحمّادية فى بجاية ، والدولة الكلبية فى صقلية .

والمهم فى هذه الدويلات أنها ممالك مركبة عرقيا من البربر والعرب فى أفريقية ، ومن البربر والصقليين المولدين فى جزيرة صقلية ، الأمر الذى كان له أثره - الى جانب الانقسام المذهبى الى سنة وشيعة - أثره فى تصدع الوحدة الوطنية فى تلك الدويلات ما بين العروق المختلفة ، وقيام نوع من النظام الاقطاعى فى الحكم ، حيث استقلت كثير من المدن أو الأسر الحاكمة ، فيما يسن أن يشبه بنظام الطوائف الذى عرفته ، وقتئذ ، مدن الأندلس وأسرها الحاكمة .

دولة المهديّة الزيرية

وعلاقتها بالدولة الحمّادية فى القلعة والدولة الكلبية فى بلرم :

بعد وفاة المعز بن باديس سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، خلفه فى المهديّة

ابنه تميم الذى كان له من العمر ٢٧ سنة (١) ، والذى تصفه رواية النويرى الصنهاجية أصلا ، بأنه : شهم ، شجاع ، كريم ، حليم (٢) ، وهى الصفات المطلوبة فى الأمير ، الى جانب أنه كان حسن الشعر ، بمعنى أن الأسرة الصنهاجية على عهده كانت قد تعربت تماما ، حتى أصبح الأمير شاعرا ، وبذلك لم يعد من المستغرب أن تنسب الى أعرق الأرومات العربية ، ملوك حمير ، معدن العروبة فى اليمن .

وإذا كان الكتاب قد اتفقوا على أن عهد المعز بن باديس هو العصر الذهبى للدولة الصنهاجية ، من حيث وصولها الى الذروة على المستوى الحضارى ، فى الثروة والأثاث والرياش ، وكثرة الجند النظامى من العبيد السودان من الحرس الأميرى ، وعلى المستوى السياسى من حيث التطلع الى الاستقلال ، وقطع الصلة بخلافة القاهرة الفاطمية ، فإن الكثيرين منهم يجعلون من تميم ابنه قرينا له ، رغم ما هو متعارف عليه من أن مملكة المهديّة ، فى عصرها الثانى هذا ، تعتبر بداية لعصر الاضمحلال بالنسبة للأسرة الزيرية .

والحقيقة أن تميما ظهر منافسا لوالده المعز منذ بداية الأزمة الهلالية . ولا بأس أن يكون تعيينه حاكما للمهديّة ، اعتبارا من سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، نوعا من الاقصاء بعيدا عن المنصورية ، حيث مقام المعز ومركز الحكومة . والقرينة على ذلك ما حدث من صدام بين العبيد المعزبة والعبيد التميمية ، ممن كانت لهم مهام وسلطات الشرطة فى المهديّة ، الأمر

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث مولده فى ١٥ رجب سنة ٤٢٢ هـ / ٩ يولييه ١٠٣٦ م ، وقارن ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٨ - حيث شهر رجب فقط ، وإن والده أبرزه ابن سنتين ، وركب والعساكر وراءه ، وطاف القيروان والمنصورية ، وأنه ولي المهديّة سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، وعمره ٢٣ سنة .

(٢) أنظر النويرى ، ص ٣٦١ ، وفى التفصيلات (ص ٦١ - ٣٦٢) ، حيث النص فى أخباره فى رعيته وشفتته عليهم ، انه اشترى جارية بشم كبير ، ولما عرف ان صاحبها ذهب عقله لذلك ، بعثها اليه فى الكسوة وأوانى الفضة والطيب ، وأنه عندما ردها الرجل اليه انتهره وأمره بالعودة بكل ما حمله الى داره . وفى ذلك تسترسل الرواية فى القول أنه كان لتمييم فى البلاد أصحاب أخبار يطالعونه بأخبار الناس ، ولكنه هنا بدلا من الاشارة الى الرغبة فى حفظ الأمن وسلامة الدولة ، يركز فقط على ان الهدف من الاستخبارات هو تحقيق العدل بين الناس وكف الظلم ، وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث النص على انه سلك طريقة حسن السيرة ، ومحبة أهل العلم .

الذى انتهى باخراج العبيد المعزية الى المنصورية والقروان فى حالة سيئة (ما سبق ، ص ٤٣٧) ، فكان تميما كان قد أصبح أميرا منافسا فى العاصمة الفاطمية العريقة .

الموقف من الهلالية :

والحقيقة انه كان لتميم موقف متميز عن موقف والده المعز من العرب الهلالية ، فبينما ظهر المعز غير مبال بهم محتقرا لشأنهم ، قبل الفشل فى استخدام السياسة إزاءهم ، عن طريق محاولة ادخالهم فى الخدمة كطرف محايد بالنسبة للصنهاجية والزناية ، طرفى الصراع وقتئذ فى أفريقية والمغرب ، مثلهم فى ذلك مثل الحرس الأسود من العبيد السودان ، ثم الهزيمة العسكرية عند المواجهة ، ظهر تميم بمظهر السياسى الداهية ، الذى يمكنه التصرف فى مثل تلك الظروف الصعبة عن طريق المناورة والمداورة ، مستخدما مبدأ « فرق تسد » ، الذى أصبح من مبادئ السياسة المعتمدة منذ أيام الرومان .

فهو عندما عرف أن أقوى التحالفات بين القبائل الهلالية المتصارعة فيما بينها من أجل الهيمنة ، هو حلف عدى ورياح ، عمل على أن يضعفهما جميعا عن طريق التفرقة وبث الخلاف بينهما . وساعد تميما على ذلك تمكنه من العربية ، واحسانه لصناعة الشعر ، الأمر الذى جعله لا يظهر بمظهر الدخيل فيما ينشأ بين الجماعتين من نزاع ، بل بمظهر صاحب المصلحة الأصل الذى يحرص على التقاليد العربية العريقة ، وإن كان طرفا ثالثا . فهو يثير العدا فى نفوس الرياحيين ، وهى القبيلة الأقوى ، لتأخذ بشار قتلها من بنى عدى ، ورفض التسوية السلمية المهينة التى اتفق عليها ، وكانت وسيلته التى لا تقاوم عند العرب ، هى الشعر .

وفعلا نجحت أبيات الشعر فى قيام الحرب بين الطرفين ، وانتهى الأمر بهزيمة بنى عدى ، واخراجهم من أفريقية (٣) ، وإن كان ذلك فى وقت

(٣) النويرى ، ص ٣٦١ - حيث النص على أبيات من الشعر ، منها :
 متى كانت دماؤكم تطل أما منكم بشار مستقل
 أغانم ثم سالم إن نشاءتم فما كانت أوائلكم تذلل
 ونتم عن طلاب الشار حتى كان العز فيكم مضجحل
 فمد اخوة المقتول فقتلوا أميرا من بنى عدى فقامت الحرب بينهم ، حتى أخرجوا بنى عدى من أفريقية ، وبلغ فيهم تميم ما يريد - إذ كان يوقع بالشعر الحروب بين العرب ، فبلغ لسانه ما لم يبلغ بسانه .

- ٤٤٤ -

متأخر نسبيا ، سنة ٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م (٤) .

طوائف أفريقية ما بين العرب والبربر البادية :

ولم يكن هذا يعنى ان تميم بن المعز كان مسيطرا على الأحداث التي أخذت في أفريقية شكل التغيير الجذري نحو التفتت ، تماما ، كما حدث في الأندلس اثر سقوط الخلافة المرورية هناك ، الأمر الذي كانت له أصدائه في المغرب ، تماما ، كما كان لرجيل الفاطميين الى مصر ردود فعله القوية في أفريقية ، الأمر الذي تأكد بقطع العلاقات ، وانطلاق الهجرة العربية نحو حدود مصر الغربية وأفريقية .

طرابلس ، مملكة زناتية :

والحقيقة ان الاتجاهات الانفصالية كانت قد وجدت أرضا صالحة لبذر يذورها في الأقاليم الشرقية ، قبل الهجرة الهلالية ، منذ أن استقر بنو خزرون في طرابلس على عهد باديس بن المنصور ، والد المعز ، وذلك بتحريض من الخلافة بالقاهرة ، التي رأت أن تستعيد سلطانها على الأقاليم المتاخمة لحدودها الغربية ، حيث أثبتت التجارب أنه من الخطورة بـمكان ، ترك تلك المناطق عرضة لأهواء المغامرين من بربر وعرب ، سواء من بنى خزرون المغراوية في طرابلس وما يتبعها من نفاوة حيث كونوا أسرة وراثية ، أو من بنى قرة العرب وغيرهم ممن تحالفوا مع أبي ركة في برقة ، وتهيا لهم تهديد النظام الفاطمي في قلب مصر (ما سبق ، ص ٣٥٤) .

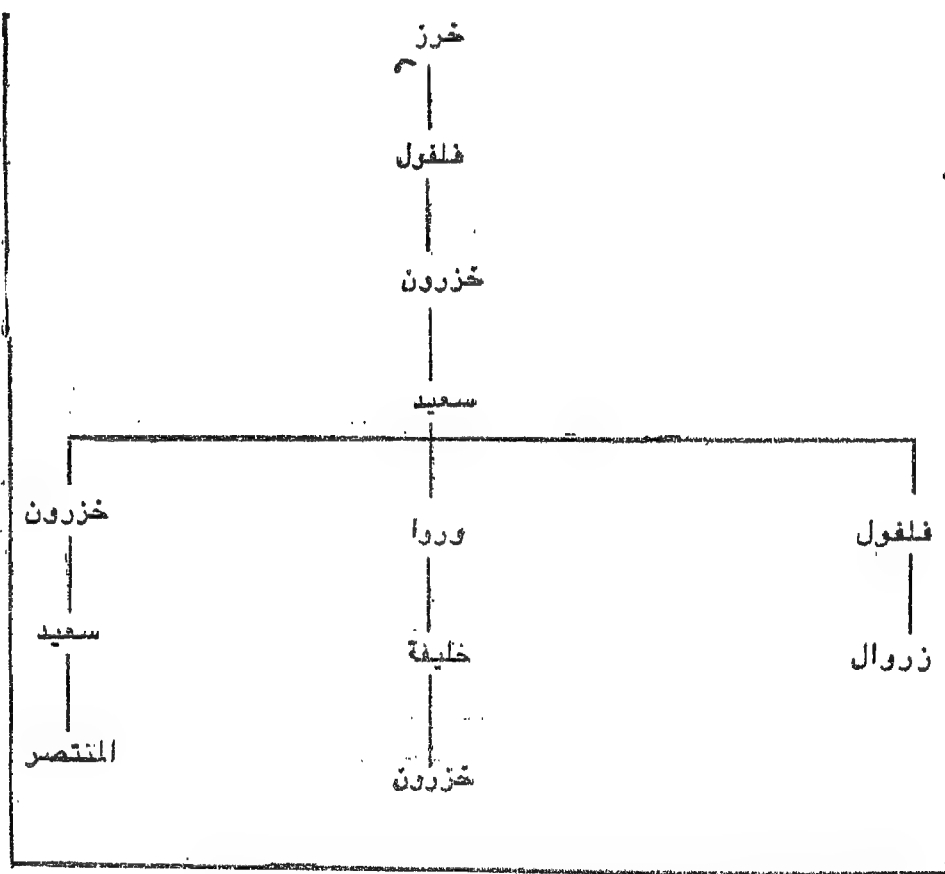
فلقول بن سعيد وأخوه وروا :

فعل أيام باديس نجح فلقول بن سعيد الزناتى في التغلب على طرابلس ، فملكها سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، واستوطنها بمساعدة أهلها ، وبتمساح من الخلافة في القاهرة ، الى وفاته سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م (٥) . وآلت

(٤) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ - حيث النص « وأخرجت عدى من أفريقية أمام رياح » .

(٥) هذا ، ولو انه عندما طلب المساندة واستيطا المعونة القوية من القاهرة ، اتصل بخليفة الأندلس أثناء الفتنة ، وهو المهدي محمد بن عبد الجبار بقرطبة ، ولكنه مات قبل وصول جواب قرطبة . وانظر فيما سبق ، ص . والنائب الانصارى ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، ط . القرجاني ، ص ١٠٨ .

بنو خزرون بطرا بلس



شكل رقم ٢ - شجرة نسب بني خزرون بطرا بلس
عن ابن خلدون ج ٧ ص ٤٤

رئاسة زناتة بعد فلفول الى أخيه وروا بن سعيد ، الذي لم يستطع مواجهة باديس عندما زحف الى طرابلس واستردها ، ونزل في قصر فلفول .
وهنا رأى وروا ان السياسة تقضى باستخدام المدارة . فسأل باديس الأمان ،
وتم الصلح بوساطة محمد بن حسن الذي ستؤول اليه ولاية طرابلس قبل
الوزارة ، وعهد بولاية نفزاوة الى وروا ، كما عهد بقسطنطينيه من بلاد الجريد
الى النعيم بن كنون (٦) .

ولما لم يطل الوفاق الا الى سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م ، التالية ، عندما
أعلن وروا العصيان ولحق بجبال دمر ، الأمر الذي ترتب عليه أن ضم النعيم
نفزاوة الى عمله ، وان انفصل خزرون بن سعيد عن أخيه وروا ، وسار الى
الأمير باديس بالقيروان سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م ، فتقبله وولاه عمل أخيه
وروا ، كما ولى بنى محلية منهم على قفصة ، وبذلك صارت منطقتي الجنوب
جميعا ، في نفزاوة والجريد ، لزناطة . وهنا رجع وروا من جديد ، يريد
العودة الى طرابلس ، فقامت بينه وبين عاملها محمد بن حسن حروب شديدة
انهزم فيها وروا ، وقتل الكثير من قومه ، كما لاقى فيها والى طرابلس الكثير
من العناء ، الأمر الذي دعا باديس الى الطلب من خزرون أخى وروا ومن
قريبهم النعيم وغيره من أمراء الجريد الزناتية ، المشاركة في حرب وروا ،
ولكن ذلك انتهى بانضمام الزناتية ، جماعة بعد أخرى الى وروا من : النعيم
الى خزرون ، وذلك في سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م ، حيث نصبوا الحرب على
طرابلس من جديد ، مما دعا باديس الى اتخاذ اجراءات جازافية قاسية ضد
الزناتية ، اذ قتل من كان لديه من رهنهم ، كما ضاعت معهم طائفة أخرى .
كانت قد وصلت مع مقاتل بن سعيد أخى وروا تطلب الدخول في الطاعة
ضد وروا . ولكنه بعد انتصار باديس على عمه حماد سنة ٤٠٥ هـ /
١٠١٤ م ، بعث وروا يطلب الدخول في الطاعة ، ولكن المنية عاجلته ،
كما عاجلت باديس في السنة التالية (٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م) (٧) .

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤١ - ٤٢ ، حيث قسطنطينية المتطرفة على البحر من أرض
القبائل الصغرى ، بدلا من قسطنطينية القريبة من نفزاوة ، وقارن النائب الأنصارى ، المنهل
العذب فى أخبار طرابلس الغرب ، ص ١٠٩ .

(٧) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ ، وقارن ما سبق (ص ٣٥٧) ، حيث أخذنا بوفاة وروا
سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، حسب رواية ابن عنارى . وقارن المنهل العذب للنائب الأنصارى ،
ص ١١٠ .

تأليفه بن وروا :

ونتيجة لوفاة وروا انقسم الزناتية فباع بعضهم ابنه خليفة ، وباع غيرهم اخاه خزون بن سعيد . والظاهر أنه كان لعامل طرابلس محمد بن حسن دوره في اثاره تلك الفتنة التي انتهت بتفوق خليفة على عمه خزون ، فألت إليه بالزعامة . وهكذا ولى المعز بن باديس أواخر سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م ، والزناتية منتقضين عليه في « قيطونهم » (أى مضاربهم) بقيادة خليفة بن وروا ، بينما كان أخوه حماد بن وروا يغير على أعمال طرابلس وقابس ، ويواصل النهب الى سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م ، حينما انتهر فرصة عصيان عبد الله بن حسن ، عامل طرابلس الذى أمكنه من المدينة ، انتقاما لمقتل أخيه الوزير محمد بن حسن (٨) . وقتل خليفة بن وروا الحسامية الصنهاجية التى كانت داخل طرابلس ، ونزل فى قصر عبد الله بن محمد ، بعد أن أخرجه عنه واستصفى أمواله وحريمه . وبذلك اتصل ملك خليفة وقومه بنى خزون الزناتية بطرابلس . وحصل خليفة بن وروا على شرعية ولايته بقبول الخليفة الظاهر بن الحاكم بالقاهرة ، ثم دخوله فى الطاعة سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ، وضمان أمن الطريق ، وخفارة التجار .

وعندئذ رأى خليفة ان الحكمة تقضى بتحسين علاقته بالمعز بن باديس أيضا ، فأرسل إليه أخاه حماد بهدية قتلها وكافأه عليها (٩) .

لكنه لما كان الأصل فى العلاقات بين الصنهاجيين والزناتية أنها غير مستقرة ، كان من الطبيعى أن يقوم المعز ، سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م ، بالزحف لقتال زناتة بجهات طرابلس ، ولكن اللقاء انتهى بكارثة للمعز ، قتل فيها قريبه عبد الله بن حماد ، ووقعت السيدة أم العلو بنت باديس ، أخت المعز ، سبية بين أيديهم ، ولو أنهم منوا عليها بعد حين فأطلقوها الى أخيها (ما سبق ، ص ٣٩٧) .

(٨) ما سبق ، ص ٤٠٢ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٢ ، وقارن المنهل العذب ،

ص ١١٠ - ١١١ .

(٩) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - حيث ينتهى ما نقله ابن خلدون من الرقيق ، فيتبعه بما أخذ من ابن حمادة وغيره . وقارن المنهل العذب ، ص ١١٢ ، وانظر ابن غلبون ، التذكار فيمن ملك طرابلس ، وما كان بها من الأخبار ، ص ٢٤ - حيث النص على أنه فى أثناء إمارة الفاطمى : « استولى على طرابلس بنو خزون الزناتيون ، ووقعت بينهم وبين الصنهاجيين حروب كثيرة ، « من راعها فلدراج تاريخ الرقيق فان فيه غرائب وعجائب - ولا ندرى ان كان كتاب الرقيق كان موجودا بين يدى ابن غلبون أم أنه يتكلم على لسان غيره .

المنتصر بن خزرون :

ولما كان خزرون بن سعيد ، لما عليه ابن أخيه وروا على امارته قومه ، قد سار الى مصر وعاش في كنف الخلافة حيث نشأ بنوه ، ومنهم المنتصر بن خزرون وأخوه سعيد ، فانه نتيجة لما وقع بمصر من الاضطرابات بين الترك والمغاربة لحق المنتصر وسعيد بنواحي طرابلس ، وانتهى الأمر بولاية سعيد لطرابلس المدينة الى ان هلك بها سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م (١٠) . وعندما قدم خزرون بن خليفة من القيطون (المضارب الزناتيه) ولي ولايتها . مكنه منها رئيس الثورى ، وبائع له ، وبها يومئذ من الفقهاء : أبو الحسن ابن المنتصر ، المشتهر بعلم الفرائض ، فقام بها الى سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م ، حينما قام عليه المنتصر بن خزرون ، أخو سعيد ، وملك طرابلس ، واتصت بها امارته .

والهم أن المنتصر بن خزرون زحف مع عرب بنى عدى الى بلاد بنى حماد - في تاريخ غير محدد - ونزل بالمنسيلى وأشير ، ولكنه لما خرج لهم الناصر بن علناس ، فر المنتصر الى الصحراء . ومع الحاج المنتصر وعرب عدى على البلاد بالغارات والافتساد ، اضطر الناصر الى استخدام الحيلة للتخلص من المنتصر فاتفق معه على الصلح على أن يوليه بلاد الزاب وريغة ، ولكنه أوعز الى رئيس بسكرة وقتئذ ، وهو عمروس بن سندی أن يخلصه منه ، فقتله غيلة في الستينيات ، أى بعد سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م (١١) .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - حيث الاشارة الى ان التجاني ينص على ان سعيد ابن خزرون قتل على أيدي عرب زغبة الهلالية سنة ٤٢٩هـ / ١٠٢٧م ، ويرى ابن خلدون ان هذا الجبر مشكل من حيث أن زغبة من العرب الهلالية انما جازوا الى افريقية من مصر بعد سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م ، فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة ٤٢٩هـ الا ان كان تقدم بعض أحيائهم الى افريقية من قبل ذلك ، مثل بنى قرة الذين قدموا مع يحيى بن على بن حمدون الاندلسى ، الا ان ذلك لم ينقله أحد .

(١١) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٣ - ٤٤ - حيث النص على أنه لا يحضره اسم من ولّى طرابلس بعد المنتصر ، مع الاشارة الى اختلال أحوال صنهاجة حيث كانوا فى تلك الأعمال الى سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م عندما وجه روجر الصقلى أسطولاً لحصار طرابلس ، فى وقت شدة واختلال أحوال ، وقارن المنهل العذب ص ١٢٧ - ١٢٨ - حيث عدل المؤلف سنة ٤٣٠هـ التى انتهى فيها حكم خزرون بن خليفة وولى فيها المنتصر الى سنة ٤٥٠هـ حتى تسبج مع الاخبار التالية الخاصة بزحف المنتصر على بلاد القلعة حيث الناصر بن علناس ، ونهاية المنتصر سنة ٤٦٠هـ / ١١٠٨م . ولا ندرى ان كان يمثل هذه المناسبة استقبال المعز بن باديس .

الطوائف في مدن الساحل :

ومع مجيء العرب على عهد المعز بن باديس ، وما أثاروه من الفوضى السياسية والاقتصادية في البلاد ، كان من الطبيعي أن يستشري داء الانفصال ليشمل المدن الرئيسية في كل أفريقية (١٢) ، وخاصة مدن الساحل ، من : صفاقس وسوسة ، شمال وجنوب العاصمة المهدية ، الى تونس في أقصى الشمال ، وقابس في أقصى الجنوب ، حيث قامت أسر مستقلة توارثت الحكم . ولم تسلم القيروان من مهانة الطائفية تلك ، الى حد أنها كانت عرضة للبيع والشراء عن طريق وساطة العرب الهلالية ، كما كانت أشبه بأرض لا صاحب لها يمكن أن تستبيحها جيوش الحمادين ، مما تأتي الإشارة إليه (ص ٤٥٢ وص ٤٦٠ وهـ ٤٦ ، ص ٤٦٢) . وبذلك يكون تميم قد ورث من المعز والده ، مملكة ممزقة الأوصال بفضل المنتزعين فيها من الثوار ، الذين يصور ابن خلدون خريطتهم ، أيام المعز ، كالآتي :

- صفاقس : ملكها خمو بن مليل البرغواطي ، قائدها ، اعتبارا من سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

- سوسة : صارت آخرها الى ولاية الناصر بن علناس بن حماد ، صاحب القلعة ، وولى عليها عبد الحق بن خراسان فاستبد بها ، واستقرت في ملكه وملك بنييه .

- قابس : تغلب عليها موسى بن يحيى ، وصار عاملها : المعز بن محمد الصنهاجي الى ولايتها ، ومن بعده أخوه ابراهيم .
وهكذا يكون قد « الثالث ملك آل باديس ، وانقسم في الثوار » (١٣) .

والى طرابلس المنتصر بن خزرون ، وأهداه هدية المال الكبيرة التي كانت قد وصلت اليه في أكياسها ، بعد أن فرزها أمامه ، وعدها ، الأمر الذي اعتبر من علامات منتهى الجود . أنظر ما سبق ، ص ، وقارن ابن غلبون ، التذكار ، ص ٢٣ سواء نقل اسم المنتصر في شكل المستنصر .

(١٢) أنظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥ - حيث النص على أن « أصحاب البلاد طمعوا بسبب العرب ، وزالت الهيبة » .

(١٣) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ - حيث النص الأخير « الثالث ملك آل بدرس » ، بدلا من « الثالث ملك آل باديس » ، كما تذكر في أخبارهم بعد مهلك المعز سنة ٥٤ (٤) - والله أعلم .

الصراع مع صاحب صفاقس :

ومن بين هؤلاء القواد الذين طمعوا بسبب العرب وزوال الهيبة ، كان حمو بن مليل البرغواطى ، صاحب صفاقس ، أشدهم طمعا وأكثرهم طموحا . فبمجرد ملك تميم ، استعان حمو بطائفة من العرب ، من الأبيج وعدى ، وسار بهم فى السنة التالية ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م نحو المهديّة ، بتحصن حصارها ، أو بقصد إملاء شروطه على تميم ، ان لم يكن بغرض انتزاع الملك منه . والمهم أن تميما خرج للقاء حمو بعسكر من عبيده السودان ، على ما نظن ، الى جانب طائفة من العرب الذين كانوا فى خدمته ، من : زغبة ورياح ، فكان الهلاية أصبحوا قاسما مشتركا بين جميع المتنافسين .

وتم اللقاء فى موضع « سلقطة » ، فى منتصف الطريق ما بين المهديّة وصفاقس . ورغم ما تقوله رواية ابن الأثير من أن الحرب الشديدة التى دارت بين الطرفين فى تلك السنة (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) انتهت بهزيمة ساحقة لحمو وأصحابه ، إذ « أخذتهم السيوف فقتل أكثر حماته وأصحابه ، بينما نجا هو بنفسه الى مدينته ، وعاد تميم الى المهديّة مظفرا (١٤) ، فان تميما لم يستطع أن يحسم مسألة خلاف حمو ، إذ استمرت الحرب بينهما سجالا ، بين كروفر ، على طريقة حروب البادية ، كما يفهم من التراث الأدبى الخاص بالموضوع ، مما اعتنى المتأخرون بجمعه (١٥) .

(١٤) انظر ابن الأثير ج ١٠ ص ١٥ - بمناسبة ولاية تميم ، ص ٢٩ - حيث تفصيلات حولية سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م ، وقارن نفس الرواية فى النويرى ، ص ٣٤٨ - حيث النص على ان العرب الذين استعان بهم حمو ، من : الأبيج وعدى ، وهو ما تفتقده رواية ابن الأثير ، وحيث الاشارة أيضا الى استيلاء حمو فى طريقه الى المهديّة ، على المنزل المعروف ببير قشتيل ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠ - حيث الاشارة الى غلبة العرب ، وانه كان يغالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض ، وان العرب انقسمت على كل من حمو و تميم .

(١٥) انظر ابن غلبون ، التذكار ، ص ٣٤ وما بعدها - حيث الاشارة الى كاتب حمو بن مليل ، وهو المظفر بن على الذى عرف بأنه « بليغ مشهور بالبلاغة » ، والذى قال فى انتصارهم ممثلا بقول أبى الطيب المتنبي :

وان كان أعجبكم عامكم فعودوا الى مصر فى القابل
فان المسام الخضب الذى قتلتم به نى يد المقاتل

وهنا تختلط السياسة والحرب بالأدب والشعر (ص ٣٥) . فتميم يكتب الى حمو بانثر وقعة كانت له عليه : « كتاب ايناس الطاف » ، فراجع فى الجواب منظر ، ممثلا بقول =

وهكذا تشير حوليات ابن عذارى في السنة التالية ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م إلى جولة من الحرب بين حمو وبين تميم ، لها نفس مواصفات الجولة الأولى دون ذكر مواضع القتال ، الأمر الذي يعنى أنها تكرار لنفس جولة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، حيث « ولت طائفة حمو أدبارها ، فأخذتها السصيف وتولتها الختوف » ، ولكن دون ذكر أنها وضعت خطأ في السنة التالية (١٦) .

سسوسة :

وبعد هذا النصر ، قصد تميم مدينة سوسة ، فى نفس السنة : ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، ونجح فى استعادتها من أهلها المخالفين عليه ، دون اشارة الى قتال ، الأمر الذى يفسر كيف أنه عفا عنهم ، وحقق دماهم (١٧) .

القيروان وتونس :

أما عن القيروان فقد كان يقيم بها ، واليا منذ أيام المعز ، قائد بن ميمون الصنهاجى ، وكان له الى جانبها مدينة تونس ، وذلك لمدة ٣ (ثلاث) سنوات ، أى الى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، الى أن غلبته عليها قبائل هواره ، فخرج عنها الى المهديّة . ولكن تميما نجح فى رده اليها حيث أقام بها الى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م (١٨) .

الحرب بين الناصر بن علناس و تميم بن المعز واتباعهما من العرب

سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م :

سامت العلاقات بين تميم وابن عمه الناصر ، بسبب تدخل هذا الأخير

عبد الله بن محمد العطار :

لا تظن أمرا أغضبته	سبب ثم انقضى ذلك السبب
سالم الصدر من الحقد ونو	أكثر الود ولم يبد الغضب
كرماد النار يبقى حرها	كامنا فيه ولو زال اللهب

(ص ٣٦)

(١٦) البيان ، ط . بيروت : ج ١ ص ٤٢٨ .

(١٧) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٩ ، النويرى ، ص ٣٤٩ ، قارن ابن عذارى ، ط . بيروت ،

ج ١ ص ٤٢٨ - حيث النص على أنهم كانوا نافقوا على آية فمعا عنهم ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث افتتاح سوسة .

(١٨) ابن الأثير ، ج ١ ص ٥٠ ، النويرى ، ص ٣٥٥ .

ففي شئون أفريقية عن طريق المتغلبين على مدنها من القواد ، وخاصة حمو
في صفاقس ، وابن خراسان في تونس تم العرب في القيروان الذين اعتبروا
مدينة عقبه سلمه حينه يمكن أن تباع أو تشتري لمن يدفع اشمن . ولم يكن
من الغريب اذن ، أن تقوم تلك الحرب العجيبة بين أطراف النزاع من الأقارب
الصنهاجيين ، ومن الهلالين المنقسمين على المعسكرين جميعا ، بين أبناء
العم الأعداء .

وترجع الرواية المحلية التي ينقلها ابن الأثير ، ومن بعده النويري ،
أسباب النزاع بين صاحب القلعة : الناصر بن علناس وبين تميم بن المعز
صاحب المهديّة ، الى بدايات النزاع الأولى بين حماد بن بلكين وبين ابن أخيه
باديس ، والذي ورثه أبناء كل من الطرفين (١٩) ، فكان كلا منهما كان يرى
أحقّيته في الملك والتمسك بالوحدة الصنهاجية التي لا يجب أن تنجز .
وهذا ما يفسر عدم خضوع الحماديين في أشير والقلعة لسلطان صاحب
المنصورية والمهديّة ، قبل مجيء الهلالية ، وهو ما يفسر أيضا تدخل الناصر
ابن علناس في شئون المعز وتميم منذ ضياع القيروان ، وهو السبب المباشر
الذي أدى الى الحرب بين الطرفين على عهد باديس ، مع الاستعانة بالعرب .

وفي تفصيلات هذه الجزئية يظهر أن الطرف الباديء بالتجني هو
الناصر بن علناس ، وهو الطرف الأقوى اقتصاديا أي ماديا ، وبالتالي
سياسيا وعسكريا . فنتيجة لانتقال المعز من القيروان الى المهديّة ، وتخريب
العرب للبلاد ، انتقل كثير من أهلها الى بلاد بني حماد المنيعه بجبالها
الوعرة ، فعمرت بلادهم ، وكثرت أموالهم ، الأمر الذي كان يثير الحقد
والأسى لدى بني باديس (٢٠) . والظاهر أن الناصر بن علناس عندما شعر
بقوته النسبية ، أخذ يفكر في إعادة الوحدة الى الدولة الزيرية ، وضم بلاد
أفريقية والقيروان الى الوطن الصنهاجي وأشير (٢١) . وهكذا كانت الأخبار

(١٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ ، النويري ، ص ٣٤٩ .

(٢٠) أنظر النويري ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ - ٤٥ - حيث
النص على دخول حماد في طاعة المعز ، ولكن القائد بن حماد كان يفسر القدر وخلع طاعة
المعز ، ولم يكن يمنع من ذلك الا العجز . فلما رأى ما نال المعز من العرب خلع الطاعة
واستبد بالبلاد ، وتبعه في ذلك ولده محسن ، ومن بعده ابن عمه بلكين ثم الناصر ، وكل
منهم متحصن بالقلعة دار ملكهم .

(٢١) أنظر الاستبصار ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - حيث النص على أن صاحب القلعة كان =

تتري الى تميم « ان الناصر بن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه ٠٠٠ وانه عزم على المسير اليه بالمهديه لخصاره ٠٠٠ وانه اتصل ببعض صنهاجة وزناته وبني هلال ، ليعينوه على ذلك » (٢٢) .

وهنا رأى تميم ان يستخدم أسلوب الكيد والوقية ، وذلك بان يثير حلفاءه واصهاره الرياحيين على الناصر ، فأرسل الى أمراء بني رياح فأحضرهم ، وقال لهم : « ان المهدي في البحر ، يحميها في البر أبراج عليها ٤٠ (أربعون) رجلا ، وان الناصر يحشد اليهم » . فوافقوه شريطة أن يقدم لهم المعونة ، فأعطاهم المال والسلاح والرمح والسيوف والدروع والدق ، فجمعوا قومهم ، وتحالفوا على حرب الناصر . هذا ، كما أنهم أرسلوا الى حلفاء الناصر من العرب الهلالية يقبحون مساعدتهم له ، فأجابوهم الى طلبهم ، ووعدوهم بالانضمام عند أول حملة عليهم ، على أن يعودوا ضد أصحاب الناصر ، وذلك نظير ثلث (١/٣) الغنيمة . وفيما يتعلق بمن كان في معسكر الناصر من الزناتية ، فان تميما راسل زعيمهم الذي ربما كان من ولد المعز بن زيري (الزناتى المغراوى) ، واتفق معه بنحو ذلك ، فوعده أن ينهزموا بدورهم (٢٣) .

معركة سببية :

وهكذا بدأ كل من الطرفين يحشد قواته انتظارا للمعركة الحاسمة ،

أشد شوكه من صاحب القروان وأكثر جيشا . هذا ، وان كان صاحب الاستبصار يرى أن صاحب القلعة خرج نصيرا لابن عمه ، صاحب المهديّة ضد العرب .

(٢٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٥ ، القارن النويرى ، ص ٣٥٠ .

(٢٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٥ ، قارن النويرى ، ص ٣٥٠ - حيث النص على ان تميما

أعطى أمراء الرياحية ، لكل واحد منهم ألف دينار وألف درغ وألف رمح ٠٠٠٠ ، كما أنهم أرسلوا شيخين منهم الى بني هلال يطلبون منهم الفدر بالناصر ، فوافقوا على ذلك لأنه كان قد اتفق مع زناته لأخراجهم من أفريقية ٠٠٠ ، كما أرسل الى زناته بنحو من ذلك . وهنا يوقعنا ابن الأثير (ج ١٠ ص ٤٤ ، ٤٦) ثم ابن خلدون بشكل أوضح (ج ٦ ص ١٩) في أشكال تاريخي من تلك الاشكالات التي ينه عليها صاحب العبر كثيرا ، وذلك أنهما جملا الزعيم الزناتى ، هو : المعز بن زيري الزناتى (فى الكامل) والمعز بن زيري صاحب فاس المغراوى (فى العبر) ، وهو قطعاً ليس المعز بن زيري بن عطية أمير فاس والمغرب ، وصاحب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبى عامر ، الذى توفي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م . أما صاحب فاس سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م فكان مناصر بن حماد الذى انتهى على أيدي المرابطين سنة ٤٦٠هـ /

١٠٦٨م .

فاحتوى معسكر الناصر بن علناس ، الى جانب قواته النظامية من العبيد السودان - كما نرى - جماعات من «المغاربة» (البربر) ، وصنهاجة ، وزناتة ، الى جانب الحلفاء العرب الهلالية ، من : عدى والأثيج (٢٤) ، بينما احتوى معسكر تميم قبائل الهلالية ، من : رياح وزغبة وسليم (٢٥) .

والمعروف عن تاريخ الواقعة أنها تمت في سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، دون تحديد الشهر أو اليوم ، كما جرت العادة ، ولا بأس أن يكون الجهل بالتاريخ الدقيق للموقعة مترتباً على نتيجتها التي كانت لصالح العرب الهلالية الذين لم يكونوا يهتمون بالتدوين ، اكتفاء بتسجيل مفاخر النصر شعراً (٢٦) . أما عن موقع المعركة فكان بالقرب من قرية سببية ، القريبة من الأربس التي نزلتها حشود الناصر (٢٧) ، وهي على بعد مرحلة - أى مسيرة يوم - من القيروان . وسببية على الطريق المؤدى من القيروان الى قلعة أبى طويل ، وهي قلعة حماد ، مما يلي الصحراء ، وهي من المدن التي خربتها العرب عند دخولهم أفريقية (٢٨) .

وفيما يتعلق بالمعركة ذات النتائج الخطيرة بالنسبة لتاريخ الصراع العربى الصنهاجى ، فكانت سريعة وحاسمة ، حسبما أبرمه تميم بن المعز (٢٩) . فبمجرد حملة عرب رياح ومن معهم من زغبة وسليم ، حلفاء تميم ، على حلفاء الناصر ، من عرب الأثيج وعدى « انهزمت الطائفتان » غدرا ، هزيمة

(٢٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ ، وقارن النويرى ، ص ٣٤٩ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٢٩ - حيث النص على « عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدى والأثيج » ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩ - حيث النص على أن الناصر حشد لمظاهرتهم ، وجمع زناتة وكان فيهم المعز بن زيرى صاحب فاس من مغاوة .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٤ - حيث النص خطأ على أنه كان معهم المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبتة ، بينما الصحيح أن يكون الشخص تميم بن المعز بن باديس ، وأن تكون المدينة سببية ، وقارن النويرى ، ص ٤٩ (نفس الرواية) ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ - حيث رياح وزغبة وسليم فقط .

(٢٦) قارن مبارك الميلى ، تاريخ الجزائر ، ج ٢ ص ٥٥٧ - حيث تفسير ما قام به العرب من تخريب مناطق طينة والمسيلة - بمبالغة كتاب العرب لأنهم كتبوا لدولة بربرية بينما العرب ليس لهم دولة ، ولم يهتموا بالدعاية السياسية .

(٢٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٩ .

(٢٨) الاستبصار ، ص ١٦١ وهـ .

(٢٩) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ .

لا رجعة فيها ، وتبعثهم فى الهزيمة عساكر الناصر (٣٠) من العبيد السودان وصنهاجة ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للزناتية . والمهم أن المعركة التى لم تستغرق وقتا ما ، حسبما تصفها النصوص ، انجلت عن خسائر فادحة فى المعسكر الناصرى . اذ لم يسلم الناصر بن علناس الا فى ١٠ (عشرة) أفراس فقط ، بينما قتل أخوه القاسم بن علناس ، الذى ضحى بنفسه فى شبيب مملكة أخيه (٣١) . أما من بقى من قتلى صنهاجة وزناتة فى أرض المعركة فكانوا ٢٤ (أربع وعشرين) ألف رجل . أما عن المغانم التى شملت كل ما كان فى العسكر من رجال وسلاح ودواب وغيرها فقد آلت جميعها الى العرب الذى اقتسموها فيما بينهم ، باستثناء الألوية والطبول وخيم الناصر التى بعثوا بها الى تميم ، فعز عليه أن يأخذها ، فردها وهو يقول : « يقبح بى أن آخذ سلب ابن عمى » ، الأمر الذى رضى به العرب (٣٢) .

نتائج هزيمة سببية :

تطويق القلعة :

انهزم الناصر بن علناس ، ونجا الى قسنطينة وعرب رياح فى اثره بطاردونه الى أن لحق بالقلعة وتحصن بأسوارها . فطوقوا القلعة وخرّبوا أطرافها ونسفوا زروعها ، وعاثوا فيما حوالىها من البلدان فأفسدوها ، كما خربوا منطقتى طبنة والمسيلة ، فتركوا ما فيها من القرى والضيعاع قاعا صفصفا ، أقفر من بلاد الجن ، كما يقول ابن خلدون ، بشيء من المبالغة ، وأوحش من جوف البعير (٣٣) .

(٣٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ .

(٣١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ ، النويرى ، ص ٥١ ، وقارن الاستبصار ، ص ١٢٩ - حيث النص على أن أخاه ، الذى كان أسن منه ، طلب أن يعطيه تاجه والراية ليتيم فى الجيش وأن ينجو بنفسه حتى يبقى للناس ، وحيث المقصود بالتاج هو عمامة الشرب المذهبة التى تعم على قالب خاص فتأتى تاجا . وكانت العمامة الواحدة منها تسارى الـ ٥٠٠ دينار والـ ٦٠٠ دينار وأزيد .

(٣٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ ، النويرى ، ص ٣٥١ - حيث النص على هزيمة الناصر وقتل الكثير من أصحابه ونهب أمواله ومضاربه ، وقتل أخيه القاسم بن علناس ، وابن عذارى ، ج ١ ص ٢٨٩ - حيث انهزم العسكر وصبر العبيد الى أن وصلت رماح العرب اليه ، ومات من العبيد خلق عظيم فدوه بأنفسهم . أما عن المغانم فى معسكر السلطان فشملت الذهب والفضة والأمتعة والأسباب والأثاث والخف والكرار ما لا يعلم عدده الا الله . فالأخبية ١٠ آلاف ، والجمال ١٥ ألفا ، ٠٠٠ ، فما خلص لأحد من الجند عقال فما فوقه .

(٣٣) العبر ، ج ٦ ص ١٩ .

وازاء ضغط الهلالية المستمر على بلاد الناصر بن علناس ، بعد أن ملكوا الضواحي ، وقعدوا للولاة بالمراسد ، وأخذوا منهم الاتاوات ، اضطروا الناس الى هجر سكنى القلعة ، واختط بالساحل مدينة بجاية ، وأعددها لنزله ، وجعلها قاعدة للملكه (٣٤) ، وهي التي عرفت أول الأمر باسم الناصرية ، ثم باسم المنصورية نسبة الى ابنه المنصور (٣٥) .

بناء مدينة بجاية :

هذا ، ولو أن الرواية المحلية تقدم سببا مختلفا لبناء بجاية ، وأن كان بمناسبة الوساطة في الصلح بين تميم بن المعز وبين الناصر بن علناس ، عندما وجد مستشاروهما ان المصلحة تقتضي بذلك حفاظا على الدولتين الصنهاجيتين مما يتهددهما من خطر الهلالية الخارجى ، الأمر الذى لا يحتمل مزيدا من التهديد الداخلى من قبل الزيريين أنفسهم .

ظروف اختيار المكان :

فرغم ما تقوله الروايات من أن انتصار العرب الياحية ومن كان معهم من بنى عدى فى وقعة سببية سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، كان بتدبير تميم ابن المعز فان نفس الرواة يقولون ان انتصار العرب أهم تميما ، وأنه أصابه لذلك حزن شديد . وعندما عرف الناصر بن علناس ذلك أرسل اليه وزيره أبا بكر بن أبى الفتوح ، الذى كان يجب الاتفاق بينهما ، بل ويهوى دولة تميم ، حتى أنه كان يحرض الناصر على الاتفاق فى سبيل اخراج العرب من البلاد . وعندما قبل تميم فكرة الصلح أرسل بدوره وزيره محمد بن البليغ رسولا الى الناصر ، على أساس أنه رجل غريب لا يرجو مصلحة شخصية من تلك الوساطة . ولما كان ابن البليغ قد اتخذ طريق الساحل من المهدية ، ونزل فى موضع بجاية من حيث كان عليه أن يسلك طريق الوادى نحو القبلة حيث القلعة ، فإنه أعجب بالموضع الذى كانت تقطنه جماعة « رعية من البربر » يعرفون بجاية ، ورأى ان ذلك المكان يصلح.

(٣٤) العبر ، ج ٦ ، ص ٢٠ ، وأنظر الاستبصار ، ص ١٢٩ - حيث النص على أنه لما نجا (الناصر) الى القلعة ، نزلت عليه جيوش العرب ، وضيقوا عليه بهلاده ، فكان يصانهم حتى ضاق ذرعا بهم ، وكان لا يقدر على التصرف فى بلاده ، فطلب موصما يبنى فيه مدينة ، ولا يلحقه فيها العرب ، فدل على موضع بجاية ، وكان مرسى ، فبناها .

(٣٥) الاستبصار ، ص ١٢٨ .

أن يكون مرسى ومدينة ، وأشار على الناصر بذلك ، على أن تكون دار ملجئه التي تقربه من المهديّة ، بل وحذره من مخامرة وزيره أبي بكر بن الفتوح الذي كان على اتصال بتميم . وفي مقابل ذلك عرّفه بعورات تميم وأغراه به ، وعرض عليه أن يدخل في خدمته في أقرب فرصة مواتية .



الطريق ما بين القلعة وبجاية

(شكل ٩)

وقبل أن يعود ابن البلبع الى المهديّة كان قد زار موضع بجاية مع الناصر ، وأراه موضع الميناء والبلد والدار السلطانية ، الأمر الذي أسر الناصر حتى أنه أمر من ساعته بالبناء (٣٦) .

(٣٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٤٦ - ٤٧ - حيث الإشارة بعد ذلك الى انكشاف أمر ابن البلبع لدى تميم الذي أوقع به فقتله وغرق جثته ، وقارن النويري ، ص ٣٥١ وما بعدها - حيث النص على أن ابن البلبع استغاث بالشريف الفهري دون جدوى ، وقارن معجم البلدان لياقوت (بجاية) ، ج ٢ ص ٦٢ .

اهمية الموقع :

اما عن أهمية موقع مدينة بجاية فتتمثل في توسطها بين عدد من عواصم المغرب الأوسط ، فبينها وبين جزيرة بني مزغناي (الجزائر العاصمة) مسافة ٤ أيام ، وبينها وبين ميلة ٣ أيام (٣٧) ، وهي على ٤ أيام من قلعه بني حماد (قلعة أبي طويل من قبل) بفضل طريق الوادي القبلي ، المؤدى اليها رغم ما فيه من عقاب وأوعار (الاستبصار ، ص ١٢٩) (انظر شكل رقم ٩ ، ص ٤٥٧) . وهكذا تكون المدينة قد جمعت بين مزايا الميناء البحري الذي تركب منه السفن وتساfer الى جميع الجهات (٣٨) ، كما تميزت برياً بارتباطها بالعواصم المحيطة بها . فالبحر يحيط بها من ثلاث جهات ، في الشرق والغرب والجنوب ، ومع ذلك فلها طريق ضيق الى جهة الغرب ، كان يسمى المضيق ، وذلك على ضفة النهر المعروف بالوادي الكبير ، الذي يقرب منها بنحو الميلين أو أقل ، وهو أسهل الطرق المؤدية اليها (٣٩) . وبفضل حصانة الموقع لم يكن للعرب اليها سبيل ، الأمر الذي شجع أهل أفريقية على الهجرة اليها ، وأدى الى ازدهار العمران وزيادته فيها . وهكذا كان لا يدخل اليها العرب الا من يبعث السلطان في طلبه ، فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر . « فبقى صاحب بجاية في ملك شامخ ، وعز باذخ ، يضاهي في ملكه صاحب مصر - أي الخليفة (٤٠) » .

التخطيط والبناء :

أما عن تخطيط المدينة فالقصور الأميرية تقع في أنف الجبل الداخل في البحر ، فهي في أحسن موضع حيث قصور ملوك صنهاجة ، ولهذا السبب عرف بالبلؤلؤة ، كما يظهر . ويصف صاحب الاستبصار تلك القصور الحمادية بأنه لم ير الراؤون أحسن منها بناء ، ولا أنزه موضعا ، ففيها طاقات مشرفة على البحر ، عليها شبابيك الحديد ، والأبواب المخرمة المحنية ، والمجالس المقربصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها الى أسفلها ، قد نقشتم أحسن نقش ، وأنزلت بالذهب واللازورد . وقد كتبت فيها

(٣٧) معجم البلدان لياقوت (بجاية) ، ج ٢ ص ٦٢ .

(٣٨) معجم البلدان ، ج ٢ ص ٦٢ .

(٣٩) الاستبصار ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٤٠) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

الكتابات المحسنة ، وصورت فيها الصور المحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأتمها منتزها وجمالا (٤١) .

وهما يؤسف له أنه لم يصلنا شيء من قصور بجاية هذه ، كما هو الحال بالنسبة للقصور الزيرية كما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في قلعة بنى حماد حيث كان قصر البحر ببوائكه وصحونه وقاعاته أو قصر المنار الشاهق الارتفاع بقاعته المربعة ، ودرجه الدائري ، وقبائه العالية وتضليعاته العمودية ، ومشكاواته الشاهقة . وبناء على ذلك يرجع الباحثون الى ما بقى من نماذج القصور الصقلية التي أنشئت في العهد النورمندی ، مثل : قصر العزيزة والقبه في بلرم ، في محاولاتهم المرهقة لاستكشاف السمات العامة للعمارة الفاطمية المغربية (٤٢) .

التطور :

أما عن منطقة بجاية فهي غنية بزارعاتها وكثرة فواكهها . فهي مطلة على فحصى قد أحاطت به جبال تسقيه الأنهار والعيون ، وأكثره بساتين . أما عن نهرها الكبير ، فعليه الكثير من جناتهم ، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من الأنهر ، وله منتزه عظيم (٤٣) . وهكذا ذاعت شهرة المدينة ، وأصبحت مرسى عظيما تحط فيه سفن الروم من الشام ومن غيرها ، وسفن المسلمين من الاسكندرية بطرف بلاد مصر ، وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها (٤٤) . وبذلك كثرت أموال بجاية وانتعشت الأحوال الاقتصادية في بلاد القبائل ، ورسخ ملك سلاطين بنى حماد ، واستفحلت الحضارة الصنهاجية في دورتها الحمادية الثانية .

تميم بن المعز بن باديس ،

والصراع مع أمراء المتغلبين في المدن الافريقية :

بعد هزيمة الناصر بن علناس أمام العزب في سببية سنة ٤٥٧ هـ /

(٤١) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٤٢) أنظر للمؤلف ، العمارة والفنون في دولة الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ ،

ص ٢٨٥ .

(٤٣) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

(٤٤) الاستبصار ، ص ١٣٠ .

١٠٦٥م ، اطمأن تميم بعض الشيء من جانب بنى عمه أصحاب القلعة ، وأصبح لديه من الوقت ، ومن الجهد ما يصرفه في إعادة الوحدة الى بلاد أفريقية ، ولو على حساب المتغلبين من حلفاء بجاية حيث استقر الناصر بن علناس .

في القيروان وتونس :

كان المعز بن باديس قد عهد بولاية كل من القيروان وتونس الى : قائد بن ميمون الصنهاجى الذى أقام بالقيروان ، وأتاب عن نفسه فى مدينة تونس : عبد الحق بن خراسان ، على ما يظهر . وعندما غلبته قبيله هوارقة على القيروان رده تميم حيث بقى فى ولايته الى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م . (ما سبق ، ص ٤٥١) ، حيث أظهر الخلاف ، ورأى أن يجرب الاستقلال ، بتحريض نائبه ابن خراسان فى تونس ، من حيث أنه التجأ الى طاعة الناصر بن علناس ، راعى ابن خراسان . وهنا سير تميم عسكرا كثيفا نحو القيروان فتركها قائد الصنهاجى ، وسار الى الناصر بن علناس . وهكذا دخل عسكر المهديّة الى القيروان ، واكتفوا منها بهدم دور القائد ، قبل أن يوجهوا أنظارهم نحو تونس ، اذ الحقيقة ان القيروان كانت واقعة فى دائرة نفوذ العرب الريحانية وحلفائهم من أعوان تميم .

وفى تونس ضربوا الحصار على ابن خراسان الذى نجح فى الدفاع عن مدينته ومواجهة قوات المهديّة لمدة ١٤ شهرا ، انتهت بالاتفاق على أن يغير ابن خراسان تبعيته ، فيدخل فى طاعة تميم بدلا من الناصر بن علناس (٤٥) . وبعد أن أقام قائد بن ميمون الصنهاجى فى كنف الناصر بن علناس بالقلعة لمدة سنتين ، رجع الى أفريقية وسيطا لحمو بن مليل ، صاحب صفاقس . لكى يتنازع له القيروان من : مهنى بن على أمير زغبة . وكان ثمن تلك الوساطة أن عهد اليه حمو من جديد بولاية القيروان ، فعاد قائد اليها ، وبنى سورها وحسنها ، تحت اسم تميم وبصره (٤٦) .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٠ ، النويرى ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦ ، ابن عذارى ، ط . ج ١ ص ٤٢٩ - عن حصار تونس فقط ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ .
(٤٦) أنظر النويرى ، ص ٣٥٦ ، وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٠ - حيث راسل قائد أمراء العرب من بجاية واشترى منهم إمارة القيروان ، فلما أجابه عاد اليها ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦ - حيث تحديد شخصية الزعيم الزغبى الذى باع القيروان ، أما التواريخ فمتهزة .

وهكذا تكون العلاقة قد بقيت فاترة بين الناصر بن علناس وتميم.
ابن المعز بن باديس ، منذ وقعة سببية ، ان لم تكن عدائية بشكل سافر .
فانناصر وهو فى قاعدة ملكه فى القلعة وبجاية كان يهيمن بشكل أو بآخر
على المتغلبين على مدن أفريقية الرئيسية ، من القيروان الى تونس وصفاقس .
فكان الضغائن كانت كامنة مع الأحقاد فى نفوس أبناء العم الأعداء ، من
الحمايين والباديسيين ، تماما كما يتقد الجمر تحت الرماد ، الأمر الذى
ترتب عليه أن الصلح بين تميم والناصر بن علناس الذى تأكد بالمصاهرة
لم يتم حقيقة الا فى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (ما بعد ، ص ٤٦٣) .

غارة ثائرة للناصر بن علناس بأفريقية :

وهكذا كان الناصر بن علناس ، بعد سنتين ، يقوم بحملات عسكرية.
سافرة فى بلاد تميم . فهو فى سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م يقوم بمعاونة حلفائه
من عرب الأثبج بغارة كبرى يخترق فيها بلاد أفريقية ، بدأ بمدينة الأربس .
الاستراتيجية الهامة ، على بعد يوم من القيروان ، ويضيق عليها الحصار حتى
يفتحها ، ويعطى أهلها الأمان ، وان عاقب عاملها ابن مكرز بالقتل (٤٧) ،
وانتهاء بالوصول الى القيروان التى دخلها مع حلفائه العرب (٤٨) ، ولو أنه
لم يجرؤ على البقاء طويلا فى المنطقة ، حيث عاد مسرعا من القيروان الى قلعته .
خوفا من جموع العرب الراحية وأحلافهم الزغبية (٤٩) . وذلك فى الوقت
الذى كانت بلاد المغرب الأقصى وصحراواتها تموج بحركة المرابطين من
الملثمين . ففى السنة التالية ، ٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م ، كان أمير لمتونة يستبد
بالغرب ، ويدخل فى طاعته قبائل المصامدة وبلاد درعة وسجلماسة ، بعد
أن تغلب على زناتة المستوطنين هناك (٥٠) ، فى الوقت الذى كان العمل فى
بناء العاصمة المرابطية الجديدة مراكش ، يقوم على قدم وساق بمعرفة الزعيم
اللمتونى أبى بكر بن عمر (٥١) . فكان حركة الانقاذ قد بدأت تتبلور فى
المغرب الأقصى .

-
- (٤٧) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ .
 - (٤٨) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .
 - (٤٩) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .
 - (٥٠) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .
 - (٥١) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ .

شريط الأحداث الصغيرة في أفريقية والمغرب الأوسط

دنا بين الصنهاجيين والهلالية :

وهكذا يستمر سيناريو الاضطراب في أفريقية والمغرب الأوسط سائرا بنفس الإيقاع البطيء ، ما بين غارات ثأرية وغارات مضادة ، لا ندري ان كان هدفها محاولة إعادة الوحدة للبلاد تحت هذه الرايات أو تلك ، أم هدفها تكريس التفتت والانفصال ، بقصد أو بغير قصد آ

ففي سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م كان أسطول المهديّة ينطلق بأوامر من تميم بن المعز لافساد المراكب الشرقية التي وصلت الى ميناء صفاقس(٥٢) بقصد إضعاف حمو بن مليل الذي نشط في البحث عن موارد جديدة في الشرق ، بعد أن ربط مصيره بصاحب بجاية في الغرب .

خروج زغبة من أفريقية على أيدي رياح :

وبينما كان الصراع فيما بين الصنهاجيين يضعف كلا الطرفين . الحماة والباديبي ، كان العرب الهلالية ، بدورهم ، يتصارعون فيما بينهم في سبيل الهيمنة على البلاد . ففي جانب عرب تميم في أفريقية قام الصراع شرسا بين رياح وزغبة ، وانتهى في سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م بغلبة رياح وطرد زغبة من أفريقية(٥٣) ، الأمر الذي تطلب من الرياحيين مساومة الناصر بن علناس لشراء مدينة القيروان(٥٤) التي كانت وقتئذ في حيازة زغبة . والظاهر ان الفراغ الذي تركته زغبة في أفريقية تطلب نزوح قبائل عربية جديدة من برقة ، نزلت حول القيروان ، سنة ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م ، الأمر الذي يعني ان زغبة انضغطت نحو الغرب عبر بلاد بني حماد حيث كانت على علاقة جيدة بها ، وهو ما كان يسمح من قبل للزعيم الزغبى : مهنى بن على ببيع القيروان لاتباع الناصر بن علناس (ما سبق ، ص ٤٥٢ ، ٤٦٠) .

(٥٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٩٨ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ ، قارن ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ - حيث التاريخ بين ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م - ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م .

(٥٣) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

(٥٤) ابن عذاري ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ .

الصالح بين تميم بن المعز والناصر بن علناس :

. وكان من سوء حظ عرب برقة ان كانت سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م التي اعتقت مجيئهم الى افريقية ، سنة « مجاعة عظيمة ووباء عظيم ، مات فيه من الناس خلق كثير ، ولا بأس أن كانت لسنة الجذب تلك آثارها في اشتعال الفتنة التي كانت هامة بين الأميرين الزيريين ، المتنافسين في بجاية والمهدية ، والتي لا نعرف موضوعها أو أسبابها . ولكن المهم أن الرجلين استمعا الى صوت العقل ، وتأكدا من عقم الصراع فيما بينهما ، وانتهيا الى تحييد سلوك طريق المصالحة التي عقدها بينهما هذه المرة ، سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ، وتأكد ذلك الصالح بالمصاهرة ، فقام تميم بعقد زواج الناصر من ابنته : السيدة بلارة ، وتجهيزها اليه برا من المهدية الى بجاية (٥٥) .

استمرار الصراع مع المتغلبين على المدن الساحلية :

وفى نفس سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م ، عندما استقرت العلاقات بين المهدية وبجاية ، كان تميم يستخدم ابنه واليا على مدينة طرابلس الغرب (٥٦) ، بمعنى العناية بتأمين الحدود الشرقية ، مثلما تأمنت الحدود الغربية . ولما كان الطريق الى طرابلس يمر بقابس ، كان من الطبيعي أن يعمل تميم على اعادتها الى الطاعة ، وهذا ما حاوله سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، حيث كان بها ماضى بن محمد الصنهاجى الذى وليها بعد أخيه ابراهيم (٥٧) ، وان لم يكن يعمل مباشر ، وذلك أنه اكتفى بأن يضيّق بالعساكر على أهلها ، ويعيث بهم فى بسايتها الكثيفة ، التي كانت تعرف لذلك باسم الغابة ، فأفسدها (٥٨) .

وكان من الطبيعي أن يؤدى فشل تميم فى القيام بعملية عسكرية مباشرة ضد قابس الى طمع المتغلبين من عرب وبربر ، ممن استشعروا ضعف

(٥٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٧ - حيث النص على ان تمينا أصحبها من الخلى والجهاز ما لا يحد ، بينما رد المهر الذى دفعه الناصر ، ومبلغه ٣٠ ألف دينار ، فلم يأخذ منها الا دينارا واحدا فقط ، وقارن ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٠ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٥٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٧ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ .

(٥٧) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٥٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٢١ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ .

ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث النص على أنه حاصرها ثم أفرج عنها .

- ٤٦٤ -

الأمير تميم ، وطمعوا في منازل دار ملكه بالمهدية نفسها ، فضلا عن القيروان ، فلعل وعسى أن تنجح التجربة . ففى سنة ٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م ، قام الزعيم العربى ملك بن علوى الصخرى بحشد جموعه ، وسار الى المهدية ليضرب عليها احصار ، وبن ساء ظن الرجل بالامير تميم الذى نجح فى دفعه بعيدا عن اسوار المهدية . وهنا قرر زعيم العرب الهلالية ان يجرب حظه مرة أخرى مع القيروان ، التى كانت اشبه بمدينة مفتوحة ، ونجح فعلا فى دخولها . وهنا استعرض تميم كل فواه ، وجرده ابيه العساكر العظيمة التى ضربت عليه الحصار ، فلما رأى أنه لا طاقة له بمواجهة قوات تميم خرج عنها وتركها ، فاستولى عليها عسكر تميم ، وبذلك تكون القيروان قد عادت الى ملكه مرة أخرى (٥٩) .

والظاهر أن نجاح تميم في تجربة قواته أمام العرب ، رفعت من معنويات قواده ، ومن حماس رجاله ، وذلك أنه فى جولته الحربية التالية التى تذكر له سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٩٦ م ، تمكن من القيام بحملة مزدوجة أو بحملتين عسكريتين دفعة واحدة ، ضد كل من مدينتى قابس وسفاقس ، الأمر الذى أثار انتباه الكتاب فنصوا على الحدث وكأنه معجزة تاريخية تذكر للأمير الزيرى ابن المعز وحفيد باديس (٦٠) .

أساطيل جنوة وبيزا تهاجم المهدية وزويلة

سنة ٤٨٠ - ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ - ١٠٨٩ م :

الأسباب :

ومن الأمور المثيرة للانتباه أيضا ، أنه وسط دوامات الاضطرابات الداخلية والصراعات الطائفية التى كانت تموج بها البلاد ، تفاجأ مدينة المهدية ، فى السنة التالية ، بعد ما دبره لها العرب سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م ، بمفاجأة بحرية أشد هولا من كل ما سبق ، وذلك عندما داهمتها أساطيل كل من جنوة وبيزا سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، وهو الأمر الذى يمكن أن يشير

(٥٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٣٢ ، النويرى ، ص ٣٥٦ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .
(٦٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٩ - حيث النص على أنه حصر المدينتين في وقت واحد ، وفرق عليها البساکر ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ٢ ص ٤٣١ - حيث النص على أنه حاصر المدينتين في زمن واحد « مما لم يسمع بمثله » .

المجلد أيضا ، حول أسباب ذلك الغزو ودواعيه ! حقيقة يمكن القول أنه بانتقال المعز بن باديس من القيروان الى المهديّة غيرت الدولة الزيرية وجهتها نحو البحر فأصبحت دولة بحرية ، بعد أن فقدت الدواخل التي غلب عليها السلاطنة ، وأنها بعملها هذا أثارت مخاوف القوى البحرية في المتوسط ، وثبتت . وهذا ما يقول به ابن الأثير فعلا ، عندما يذكر ابتداء الحادثة بذكر سببها ، فيقول عن تميم انه « أكثر غزو بلادهم (الروم) في البحر فخر بها وشنت أهلها » ، وهي الرواية التي تحسن الظن بالأمر تميم وبدولته التي لم تفقد الدواخل فقط ، بل فقدت السواحل أيضا ، حيث قام المتغلبون شئ كل من تونس وسوسة وصفاقس وقابس . فكان دولة تميم في المهديّة كانت في الحقيقة معرضة للعدو البحري ، بغير عمق استراتيجي كما يقال الآن .

والظاهر ان مقالة ابن الأثير مجرد استنتاج عقلي تقضى به سلامة الحس واصل المنطق ، لولا أن الوقت كان بعيدا عن ذلك الذي قامت فيه الأساطيل الاغلبية بفتح صقلية ، وبحصار الروم أيضا في جنوب إيطاليا ، وكذلك الأمر بالنسبة لأساطيل المهديّة الفاطمية التي كانت تقوم بالغزو بعيدا حتى جنوة دون التوقف في صقلية . فمنذ انتقال الخلافة الفاطمية الى القاهرة أصبح كل ذلك من ذكريات الماضي ، حتى فقد البحارة في سواحل أفريقية حيويتهم لمهنتهم ، وتطلبت تعبئتهم للأسطول أيام ولكن ، وضعهم في السجون ، الأمر الذي انتهى باضطرابهم وفرارهم من مراكزهم بعد أن نهبوا (ما سبق ، ص ٣٢٨) . وهكذا يقف ابن الأثير وحده بفكرة الغزو والجهاد البحري الذي كان يقوم به تميم بن المعز بن باديس ، لا يشاركه فيها أحد ، وان كان ذلك لا يمنع من قيام نشاطات جهادية خاصة في البحر يقوم بها أفراد أو جماعات ممن اتخذوا « القرصنة » والبحر حرفة وطنية ، وهو الأمر المقبول وان لم نملك له دليلا فيما بين أيدينا من الحوليات البحرية .

وهكذا ، وعلى عكس ابن الأثير يتوسع ابن عذارى في أسباب الغزو البحري الخارجي للمهديّة ، فيصنفها بعد « قدر الله تعالى » الى الأسباب الآتية :

- غيبة عسكر السلطان عن المهديّة - في مهمات داخلية أخرى .
- مفاجأة الروم - التي تعنى عدم وجود اعدادات بحرية كالانذار المبكر ، كما يقال الآن ، فضلا عن الدفاعات البحرية الذاتية ، من طبيعية واصطناعية .

- ٤٦٦ -

- خلو كافة الناس من الأسلحة والعدد .
- قصر الأسوار وتهدمها .
- تكذيب تميم يخبرهم . - الأمر الذى يعنى ان الصراع البحرى مع العدو لم يكن ضمن موضوعات تفكيره .
- سوء تدبير عبد الله بن منكود ، متولى امر الدولة فى قصده مخالفة قائد الأسطول فى الخروج اليهم للقائهم فى الماء ، ومنعهم من النزول الى البر - بمعنى عدم قنصاعة المسئولين السياسيين فى الدولة ، وكذلك الفنيين المسئولين عن الأسطول ، فى كفاءة القوات البحرية ، وقتئذ ، فى مواجهة الأساطيل المعتدية .

ومثل هذا كان رأى شهود العيان ممن سجلوا الحدث شعرا وبشكل موجز ، كما فعل أبو الحسن الحيداد ، فى قصيدته التى يقول فى بعض أبياتها :

غزا حمانا العدو فى عهد هم السدبى ذرة أو اللقى
جاءوا على غرة الى نفر قد جهلوا فى الحروب ما عرفوا

هكذا لم يكن الهجوم البحرى الكبير على المهديّة من قبل جذرة وبيزا مجرد رد فعل لأعمال عدوانية من قبل الأساطيل الأفريقية ضد أراضى المدينتين البحريتين أو ضد مصالحهما التجارية أو الاقتصادية ، بل كانت مجرد استعراض للقوة وكسب للنفوذ السياسى والاحتيازات التجارية والاقتصادية. وذلك فى اطار عملية الانطلاق التى عرفتيا أوروبا الغربية اعتبارا من القرن الحادى عشر الميلادى / هـ ، فى مقابل عملية التوقف والانكماش التى عرفتيا دولة الاسلام ، وخاصة فى جنوب ايطاليا وصقلية وأفريقية التونسية بعد رحيل الفاطميين .

الحملة :

والمهم أن القوات البحرية المهاجمة التى حوت ما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قطعة بحرية (٦١) ، شارك فيها البيشانيون (أهل بيزا) والجنويون ، وغيرهم فى

(٦١) ٤٠٠ قطعة عنده ابن الأثير والنويرى ، و ٣٠٠ عنده ابن عذارى وابن خلدون ، وابن الخطيب .

شكل ناجية. (الكامل ، ج ١٠ ص ١٦٥) ، وأهل أمان في جنوب إيطاليا ،
وفوات كبيرة من قبل البابوية (٦٢) ، وتطلب الأمر ٤ (أربع) سنوات
لأعداد ههنا الأسطول حتى يصبح جاهزا للحملة . ولما كانت الروايات
تختلف في تحديد تاريخ الحملة ، ما بين سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م وسنة ٤٨١ هـ /
١٠٨٨ م ، فلا بأس أن يكون التاريخان صحيحين ، من حيث بدء الهجوم
سنة ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م ، واستغراق العمليات الحربية والاحتلال ثم المفاوضات
من أجل الصلح بقية السنة حتى دخول سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م .

التجمع في جزيرة قوصرة :

أما عن خطوات الحملة فقد بدأ تجمع المراكب المهاجمة في جزيرة قوصرة ،
وهي بنتلاريا Fantellara الواقعة شمال تونس ، وكانت ٤٠٠ قطعة
حسب رواية ابن الأثير ، الأكثر تفصيلا ، فأسرع أهل قوصرة بالكتابة إلى
المهدية بالبريد الطائر ، بواسطة الحمام الزاجل (٦٣) . وهنا تشير أصبح
الانتهام إلى تميم بالتقصير في اتخاذ الاجراءات المناسبة لمواجهة خطر
الغزو . فتقول رواية أنه رفض أن يصدق تحذير أهل قوصرة (٦٤) ، واعتبره

(٦٢) ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط ، الترجمة
العربية ، ص ٣٧١ ، وأنظر اسماعيل العربي ، دولة بني حماد ، ص ١٧٦ وما بعدها - حيث
موضوع علاقة الناصر بن علناس بالبابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) ، حيث
تم تبادل الرسائل بينهما ، ووصلتنا منها الرسالة الخاصة ببرد البابا على رسالة الناصر
سنة ١٠٧٧ م / ٤٧٠ هـ ، والتي نشرها دوماس لا ترى ، في معاهدات السلام والتجارة في
العصر الوسيط ، والتي قام بدراستها ش . كورتوا Ch. Courtois وحاول أن يجعل لتلك
العلاقة التي أقامها الناصر مع البابا جريجورى السابع ، الذي يلقب الأمير الحمادى بـ « ملك
موريتانيا وولاية سطيف الأفريقية » ، أهدافا سياسية موجهة ضد قرابته الزيريين الذين كانوا
يؤيدون المسلمين في صقلية ضد الغزاة النورمانيين حتى سنة ١٠٧٨ م ، وهو ما يرفضه
المؤلف على أساس ان رسالة البابا لا تحوى أية اشارة الى موضوعات سياسية . ورغم تقدم
هذه العلاقة الخاصة بين الناصر وجريجورى بحوالى أكثر من عشر سنوات على حملة المهدية
فالمهم ان ما يرفضه المؤلف يمكن أن يكون مقبولا هنا من حيث ان البابوية كانت تتدخل ضد
الزيريين تأييدا للنورمانيين ضد المسلمين في صقلية . وما يمكن أن يكون قرينة لذلك
هو هجوم بيزا قبل ذلك على بلرم عاصمة صقلية الاسلامية سنة ١٠٦٣ م - الأمر الذي أزعج
مدن اقاليم كيبانيا التي كانت على صلات تجارية وثيقة مع العرب وخاصة ساليرو (ارشيبالد
لويس ، الترجمة ، ص ٣٧١) .

(٦٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، الزيرى ، ص ٣٥٦ - حدث النص على أنهم أتوا
كلهم إلى جزيرة قوصرة وأخربوا ونهبوا وأحرقوا .
(٦٤) ابن تشارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ .

بمثابة بلاغ كاذب ، الهدف منه ازعاج السلطات ، كما يقال في المصطلح الحديث . ومما يؤسف له أننا لا نعرف أسباب هذا الموقف السلبي من قبل الأمير تميم ، ولا بأس أن يكون قد تصور أنها مجرد غارة مألوفة على تلة الجزيرة المنعزلة في البحر لا تستحق أن يعرض بسببها أسطول له للخطر والحقيقة ان الرواية تحاول تبرير موقف تميم هذا ، من حيث أنه أراد يسير مقدم الأسطول : عثمان بن سعيد المعروف بالمهر ، ليمنع العدو البحر من النزول الى البر ، لولا نصيحة الوزير : عبد الله بن منكود للأمير بالأيضا ذلك ، نكايه في عدوه قائد البحرية الذي كان يؤله ، من غير شك ، أن يقف موقف المتفرج (٦٥) .

وهكذا وقفت المهديّة موقف المدينة المفتوحة بالنسبة لأساطيل العد البحري الكثيرة ، من حيث ان أسطول المهديّة ليس ندا لها ، ومن حيث غيا القوات البرية النظامية التي كانت في مهمات قتالية ضد ثوار الداخل أما عن موقف قوات الداخل من قبائل البربر والعرب فلا ذكر لها (٦٦) وهكذا نزل العدو الى البر في أعداد هائلة ، اذ بلغ عدد مقاتلته ٣٠ (ثلاثين ألفا) (٦٧) ، وهو رقم مقبول على أساس متوسط ١٠٠ (مائة) رجل لكل سفينة ، علما بأن السفن الكبيرة من نوع الشوانى كانت تحمل أكثر من هذا العدد . وطلع الغزاة الى البر دون مقاومة ، ونهبوا وأحرقوا ما صادفهم على طول الطريق الى أن دخلوا مدينة العامة زويلة التي نهبوها هي الأخرى وقتلوا الناس فيها وأحرقوهم بالنار ، حسبما تبالي الرواية على ما نظن (٦٨) ورغم ما تقوله رواية ابن عذارى ، وهي أصل رواية ابن خلدون وابن الخطيب من أن المغيرين دخلوا كلا من المهديّة وزويلة (٦٩) ، فمن الواضح أن رواة

(٦٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، ابن عذارى ، ط ٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ - حيث النص على سوء تدبير عبد الله بن منكود متولى أمور الدولة (الوزير) في قصده مخالفة قائد الأسطول في الخروج اليهم للقائهم في الماء ومنهم من النزول الى البر .
(٦٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرى ، ص ٣٥٦ .

(٦٧) حسب رواية ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣١ ، وحسب رواية ابن خلدون ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ . وقارن ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ - الذي لا ينصر على عدد المقاتلة في الأساطيل الفرنجية ، وان كان يقدم الرقم ٣٠ ألفا كقيمة المبلغ الذي تم اتفاق الصلح على أن يدفعه لهم تميم ، وهو الأمر الذي يستحق الملاحظة ، كما يأتي .

(٦٨) انظر ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ١٣١ - حيث كسوف الشمس كسوف كلبيا ، كناية عما قاسته المدينة في المحنة الصعبة .

(٦٩) ابن عذارى ، ط بيروت ، ج ١ ص ٤٣٢ ، العبر ، ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ،

ابن الأثير التى تعتبر مع رواية النويرى من أصل محلى واحد ، والتى تقول بدخول العدو مدينة زويلة وحدها (٧٠) ، هى الأرجح من حيث ان المهدية كانت حسنة التحصين ، يسهل الدفاع عنها ، كما هو معروف ، حتى قال المعز بن باديس للعرب الريحانية - وهو يحرضهم على الناصر بن علناس ، ويخوفهم منه - ان ٤٠ رجلا فقط يكفون للدفاع عنها (ماسبى ، ص ٤٥٣) ، وهذا ما يفسر كيف كان تميم مطمئنا فى قصره بالمهدية أثناء غزو عساكر جنوة وبيزا لمدينة زويلة ، تماما ، كما كان الحال منذ حوالى ١٥٠ سنة ، عندما كان القائم مطمئنا الى ان تائر زناتة ، أبا يزيد ، صاحب الحمار ، الذى كان يتخذ من باب المدينة الرئيسى هدفا لرشق رماحه ، لابد وأن ينكص على عقبية - الأمر الذى يطمئن الى الثقة فى علم الحدثن .

الصلح :

هكذا كان تميم متأكدا من انسحاب الأساطيل الايطالية ، ولكن بشئ من المال . وفعلا انتهت مفاوضات الصلح بينه وبين المهاجمين على دفع ١٠٠ (مائة) ألف دينار (٧١) ، على أن يرد المهاجمون جميع ما أخذوه من السبى (٧٢) .

(٧٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ ، النويرى ، ص ٣٥٦ - حيث النص على ملك مدينة زويلة بقرب المهدية .

(٧١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ ، ابن الخطيب ، ص ٧٨ - حيث النص على أنه دفع فيها أواني الذهب والفضة . وقارن النويرى ، ص ٣٥٧ ، الذى يجعلها ٨٠ ألفا ، بينما ينص ابن الأثير على مبلغ ٣٠ ألف دينار ، وهو الرقم المقبول للمبلغ المحتمل دفعه أى المنصور عليه ، على ما نرى ، والذى يمكن أن يكون قد تحول الى ٣٠ ألف مقاتل عند الآخرين ، بدلا من ١٠٠ ألف مقاتل التى يمكن أن تكون قد تحولت الى دنانير . هذا ، ولو أن ابن الأثير ، وهو يعتبر أن مبلغ الـ ٣٠ ألف دينار مبلغا كبيرا ، يعلق على ذلك قائلا : « وكان تميم يبذل المال الكثير فى الغرض الحقير بذل للعرب لما استولوا على حصن قناطة ١٢ ألف دينار ، فقليل هذا سرف فى المال ، فقال هو شرف فى الحال ، الأمر الذى يسمح بأن يكون قد دفع المبلغ الأكبر ، وهو الـ ١٠٠ ألف دينار ، وهو ما جعلنا نأخذ به على كل حال .

(٧٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٦٦ - حيث النص على رد جميع ما حووه من السبى ، النويرى ، ص ٣٥٦ - حيث النص على « شرط أن يؤدوا جميع ما أخذوه من السبى ففعلوا ذلك ورجعوا جميعا » ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ - فاستخلصها من أيديهم ورجعوا ، ابن الخطيب ، الاعلام ، ص ٧٨ - حيث النص على أنهم أقتلوا بذلك (أى الـ ١٠٠ ألف دينار) وبأموال الناس ونسائهم . والظاهر أن ابن الخطيب أراد أن يوازن قوله هذا فاشاد =

قدوم بشائر من ترك المشرق الى أفريقية :

الى جانب ما كانت تعانیه بلاد أفريقية الزيرية من مشاكل البربر والعرب الهلالية ، بدأت البلاد تعرف بدورها العنصر التركي الذي عرفته بغداد وسامرا منذ خلافة المعتصم ، والذي عرفته بعد ذلك معظم بلاد المشرق الاسلامي ، اعتبارا من ما وراء النهر وخراسان ، مروا بفارس والديلم والعراق حتى الشام ومصر حيث عانت الخلافة الفاطمية من مشاكل عساكرها المقسمين ما بين طوائف المغاربة ، وهم الحرس القديم ، والحرس السوداني الأسود من العبيد ، الى جانب الترك الذين أضحوا قطاعا هاما في الجيش ، حيث عرفوا أيضا بالغز ، وبضمنهم الأرمن وأشهرهم بدر الجمالي (٧٧) .

شاهمك في طرابلس :

وتنفجر قصة الترك في أفريقية سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، عندما يغدر رئيسهم شاهمك بولي العهد يحيى بن تميم ويقبض عليه . أما عن تاريخ دخول شاهمك الى المغرب فلا يحدده الكتاب بدقة ، ولا بأس أن يكون قبل فترة وجيزة من سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م .

وتقول الرواية ان شاهمك كان من أولاد بعض أمراء الأتراك بالمشرق ، وأغلب الظن أنه كان في خدمة الخلافة ببغداد أميرا لمائة فارس ، وأنه عندما حدثت الوحشة بينه وبين بعض رؤسائه خرج بجماعة فرسانه المائة الى مصر (٧٨) ، عبر الشام ، كما فعل افتكين التركي سابقا والذي كانت له صولات وجولات مع الجند الفاطمي هناك ، قبل أن يستسلم للخليفة العزيز الذي أحسن اليه وضمه الى بطانته (٧٩) . وفي مصر أحسن الوزير الأفضل ابن بدر الجمالي الى شاهمك وأكرم وفادته ، ولكنه عندما أخرج من مصر هرب وأصحابه نحو المغرب ، حيث وصلوا الى مدينة طرابلس ، في وقت كان أهل

(٧٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط ٤ ، ١٩٨١ ، ص ٣٠١ - حيث يتكون الجيش من عدة عناصر ، من : العامة والأتراك والأكراد والغز والديلم والمسامدة والسودان ، وفي المسير فصائل ، يسير البربر في المقدمة ويليه المغاربة ثم الأتراك والفرس ويطلق عليهم المشرقين ويتبعهم الحجازيون والسودان ويطلق عليهم عبيد الشراء . وعن الصراع بين الترك والسودان ، انظر ص ١٨١ - بعد وفاة الحافظ سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٥ م .

(٧٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، التويري ، ص ٣٥٧ .

(٧٩) انظر ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٥٦ - ٦٦١ (عن الفتكين) ، وقارن حسن ابراهيم حسن ، الدولة الفاطمية ، ص ١٥٧ - ١٦٣ .

البلد يتنازعون مع واليهم ، فكانت فرصة لكي يدخلوه الى البلد لكي يصبح أميرها (٨٠) .

الترك في خدمة تميم والغدر بولي العهد يحيى :

وبطبيعة الحال لم يكن تميم ليرضى بان يترك عاصمه الاقاليم الشرقية لبلاده بسقط ثمرة ناضجه ، وهي اتي كان يشرف بها ولده مقلد بن تميم سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م (ما سبق ، ص ٤٦٣) ، بين يدي مغامر غريب ولو كان من الترك - أفضل جند الاسلام في كل العصور . فكذا أرسل تميم العساكر لكي يضربوا الحصار حول طرابلس ويفتحوها ، ويعودوا بشاهمناك وجماعه الاتراك المغمرين . وأعجب الأمير الصنهاجي الذي لم يعرف من العسكر النظامي الا عبيده السود ، بجماعة العسكر التركي الذين جبلوا على الفروسية والطاعة مع النظام والبراعة في استخدام السهام ، وعبر عن فرحته الكبرى بهم عندما قال : الآن ولد لي ١٠٠ (مائة) ولد انتفع بهم لا يخطيء لهم سهم (٨١) . ولكنه لما كان للعسكر الترك أسلوبهم الخاص في الخدمة ، لم يكن من الغريب أن ينتهي الأمر بينهم وبين تميم بالوحشة ، بحيث أخذ كل جانب حذره من الآخر .

والظاهر أن ولي العهد يحيى بن تميم كان مفتونا بشخصية القائد التركي وفروسيته ، فسمح لنفسه بالخروج معه وبعض أصحابه في نزهة صيد موسم سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ، وكانت فرصة انتهزها شاهملك ، فغدر بيحيى وقبض عليه وسار به في اتجاه صفاقس حيث حمو بن مليل البرغواطى الذي كان مخالفا لتميم ، مستبدا بمدينة ، بينما انسحب عسكر يحيى لكي يبلغوا الأمير الوالد (٨٢) . ورغم أن حمو أحسن استقبال ولى العهد فعظمه وقبل يده ومشى في ركابه ، الا أنه لم يلبث أن خافه على نفسه ، وخاصة بعد أن قام تميم بتنحية يحيى عن ولاية العهد ، وإقامة ابن ثان له ، هو المثنى ، مقامه . عندئذ كاتب صاحب صفاقس الأمير تميم يسأله عقد صفقة بينهما يتم فيها تبادل من كان لديه من الأتراك وأولادهم مقابل ابنه يحيى . ورغم تمنع تميم في أول الأمر الا أنه تم إبرام التبادل ،

(٨٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، النويرى ، ص ٣٥٧ .

(٨١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ ، النويرى ، ص ٣٥٧ .

(٨٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، النويرى ، ص ٣٥٨ ، ابن عذارى ، ط . بيروت .

ورغم أن تميما حجب ابنه يحيى لفترة من الوقت فانه عاد وأرجعه الى ما كان عليه من ولاية العهد ورضى عنه (٨٣) .

حصار صفاقس :

وانشقا مما فعله الأتراك الغزاة من الغدر بيحيى كان على هذا الأخير أن يخرج ، بأمر والده ، على رأس قوة برية بحرية لحصار صفاقس . وتم حصر المدينة برا وبحرا ، وضيقوا على الأتراك بها لمدة طالت الى شهرين . ورغم ما تقوله رواية ابن الأثير من أن قوات المهديّة استولت على المدينة ، فان خروج الترك من صفاقس الى قابس يعنى أنه تم نوع من الصلح بشروط منها خروج الأتراك عنها (٨٤) .

خروج المثنى بن تميم الى قابس وشغبه على والده وأخيه بالمهديّة :

ولم تنته ردود فعل حادثة غدر الأتراك بولى العهد الزيرى ، وذلك أن مثنى بن تميم أظهر ضيقه بخلعه من ولاية العهد ، حسدا لأخيه يحيى ، حتى « نقل عنه ما غير قلب أبيه عليه » . وهنا رأى تميم أن من حسن السياسة اخراجه من المهديّة ، فخرج بحرا بآله وماله ، واتجه الى صفاقس ، حيث منعه عاملها من الدخول ، فاتجه الى قابس حيث كان المتغلب عليها : مكيّن ابن كامل الدهمانى ، الذى سبق له استقبال جماعة الترك الغز (٨٥) .

وفى قابس تراءى للمثنى أنه يمكنه العودة الى المهديّة ، ليس كولى للعهد فقط ، بل كأمر أيضا ، وذلك بمساعدة الدهمانى ، وبتحريض من شاهمملك ومن معه من الغز ، طالما كان المثنى قد تكفل بالنفقة على الحملة مما كان لديه من المال . وسار المغامرون الثلاثة وأصحابهم برا الى صفاقس ، ونزلوا عليها . ولكنهم عندما عرفوا بخبر العسكر الذى كان تميم قد جرده اليهم ، رأوا انتهاز الفرصة والاتجاه الى المهديّة ذاتها ، من طريق آخر . وفعلوا ناصبوا المدينة البحرية القتال ، وهى الصعبة المنال بغير الأسطول ، وكان الذى يقود قتالهم هو ولى العهد يحيى بن تميم الذى ظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير ، فلم يبلغ أولئك منه

(٨٣) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويرى ، ص ٣٥٨ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ،

ج ١ ص ٤٣٣ .

(٨٤) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويرى ، ص ٣٥٨ .

(٨٥) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويرى ، ص ٣٥٨ .

غرضاً . وهكذا عادت جماعة المخامرين من حزب المهديّة خائبين ، وقد تقدّم ما كان مع المشني من المال وغيره من الأشياء الثمينة . الأمر الذي ترتّب عليه أن « عظم أمر يحيى ، وصار هو المشار إليه » (٨٦) .

استرداد قابس : ٤٨٩ هـ / ١٠٩٧ م :

وإذا كان النص السابق لا يعرفنا بما كان من أمر الدهماني والمشني وشاهمك بعد عودتهم من حصار المهديّة ، فالظاهر أنهم لم يتمكنوا من العودة إلى قابس التي كان قد سيطر أهلها على مقاليد الأمور فيها ، وأقاموا نوعاً من حكم الشورى بمعرفة أهل الحل والعقد من الفقهاء ، كذلك الذي عرفته سوسة وكذلك طرابلس من قبل (ما سبق ، ص ٤٥١) . فهذا ما يفهم من الحولية الخاصة بملك تميم لقابس سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ ، التالية .

فقد كان حكم قابس يرجع إلى شخص يعرف بـ : قاضي بن إبراهيم ابن بلمونة ، فلما مات في تلك السنة ، ولي أهلها عليهم : عمر بن المعز بن باديس ، أخا تميم ، الذي لا نعرف ظروف وجوده هناك ، وأغلب الظن أنه كان من فئة الساخطين من أفراد الأسرة الزيرية ، وإن ذلك ما دعا إلى القول بأنه كان « أساء السيرة ، عاصياً على تميم » (٨٧) . وهذا ما دعا إلى أن يسرع تميم بإرسال العساكر إلى قابس لإخراج أخيه عمر بن المعز ، قبل أن يعطيه فرصة اثبات حسن النية ، الأمر الذي أثار عجب البعض . وكان رد تميم عندما سئل : لماذا لم يفعل ذلك مع قاضي بن إبراهيم ؟ قوله : « لأن زواله كان سهلاً ، أما ابن المعز فلا » (٨٨) . فكان وصية المعز لدين الله لبلكين من أن لا يولي أحداً من قرابته ، كانت ما زالت مبدأً صحيحاً في أصول السياسة ونظم الحكم بالنسبة لكل من الأمير وولي العهد المدشن . ويظهر من النصوص

(٨٦) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٣٥٩ .

(٨٧) انظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، وقارو النويري ، ص ٣٥٩ - حيث الاسم

ابن يلويه بدلاً من بلمونة ، وحيث فلم يحسن السياسة ولا نهض بشرط الولاية ، بدلاً من أساء السيرة عاصياً على تميم ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ - حيث النص على : فتح تميم مدينة قابس ، وأخرج منها عمر بن المعز أخاه ، وقد كان ولاء أهلها ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٨٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، وقارن النويري ، ص ٣٥٩ - حيث النص على أنه

قال عندما أخرج إليه العساكر : لما كان فيها عبداً من عبيدنا كان زواله سهلاً علينا ، وأما الآن فأبى المعز بالمهديّة وابن المعز بقابس ، هذا لا يمكن السكوت عليه .

أن خروج عمر بن المعز أخى تميم من قابس كان من الأحداث التى يستحق
الاشادة بها من قبل الشعراء ، من حيث أنها تسر الأمير وتحقق رضاه .
ففى فتح قابس هذا قال ابن خطيب سوسة قصيدة ، منها :
ضحك الزمان وكان يلقي عابسا لما فتحت بحد سيفك قابسا (٨٩)

ولا يقلل من ذلك ما تقوله بعض الروايات من أن مكين بن كامل
الدهماني ، كان فى قابس سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، عندما كانت قوات تميم
تفتح صفاقس ، وتطرد منها حمو بن مليل لكى يلجأ الى الدهماني ، مما
يأتى ذكره .

استفاد الاخير من حكم تميم :

والحقيقة أن الزمان كان قد بدأ يضحك فعلا للأمير تميم ، ونحن الآن
فى مطلع اسنونات العشر الأخيرة من ملكه ، اذ كان قد استعاد من قبل .
عددا من مدن الساحل العاصية ، من : طرابلس الى صفاقس وسوسة وكذلك
تونس ، وإن كان ذلك بشكل عابر ، اذ سرعان ما كان يعود أصحاب تلك
المدن من المتغلبين أو كان أهل المدن أنفسهم يحنون الى العودة اليهم . وإذا
كان الحزن قد خيم على البلاد بسبب المجاعة التى خربتها والغلاء ، سنة
٤٩١ هـ / ١٠٩٨ م القرية ، فإن فتوحا جديدة تمت فيها فى بلاد الساحل .
مثل فتح جزيرة جربة مقابل قابس ، وجزيرة قرقة ، مقابل سوسة ،
ومدينة تونس من جديد (٩٠) . هذا ، كما تخففت البلاد أيضا من ثقل بعض
العرب الهلالية ، حيث كان خروج قبائل عدى من أفريقية أمام قبائل
رياح (٩١) . وإذا كانت الخلافة الفاطمية فى القاهرة قد أصيبت باخفاق
عالمى عندما تعرضت فى السنة التالية (٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م) لكارثة سقوط
بيت المقدس بين أيدي الفرنج من الصليبيين (٩٢) ، تماما كما شاركت نائبها
فى أفريقية فى كارثة سقوط صقلية قبل ذلك بسنوات ، كان تميم ، رغم
ظروفه الصعبة يحاول النهوض مما تعرض له من كبوات .

(٨٩) انظر ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٥٧ ، والنويرى ، ص ٣٥٩ .

(٩٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٧٩ ، النويرى ، ص ٣٦٠ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ،

ج ١ ص ٤٣٤ .

(٩١) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .

(٩٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٨٢ .

فتح صفاقس : ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م :

فزاء ما تعرض له تميم من خطر حمو بن مليل البرغواطى الذى كان قد أكد سلطانه فى صفاقس ، بل وارتفع بنظام حكمه عندما استعان بواحد من كبار وزراء المعز بن باديس السابقين ، الأمر الذى دعا تميما الى محاولة شراء ذلك الرجل ، دون جدوى ، قرر تميم تصفية النظام المخالف له فى صفاقس باستخدام كل من القوة والحيلة . فهو عندما يرسل قواته ، سنة ٤٩٣ هـ / ١١٠٠ م ، لحصار صفاقس يأمر قائده بهدم ما حول المدينة ، وحرق الأشجار وقطعها باستثناء ما يتعلق بالوزير العنيد . وكان الهدف من ذلك هو إثارة الشك فى حسن نوايا الوزير بالنسبة لحمو ، وهو ما حدث فعلا . فلقد اتهم حمو وزيره بالتآمر مع تميم ، وأنزل به العقوبة العظمى ، جزاء الخيانة ، الأمر الذى ترتب عليه انحلال نظام الدولة . وهكذا سقطت صفاقس بين أيدي عسكر تميم ، وخرج حمو منها ، وقصد مكن بن كامل الدهمانى الذى كان قد عاد الى ملك قابس ، فأحسن اليه ، وأنزله فى كنفه الى أن مات عنده (٩٣) .

السنوات الأخيرة من عهد تميم بن المعز :

وتتوالى السنوات الأخيرة من حكم تميم بن المعز ، الطويل ، وهى تترى دون أحداث هامة ، سوى وفاة المنصور الحمادى صاحب بجاية والقلعة سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٥ م ، وامارة ابنه باديس الذى لم يقدر له الحياة طويلا ، فولى بعده أخوه العزيز بالله ، فى نفس السنة (٩٤) ، وفى نفس السنة تعرضت المهديّة لغارة من قبل « الرومانيين » تعيد ذكرى هجوم أسباطيل جنوه وبيزا وحلفائهم ، منذ ثمانى سنوات ، وان كان بإمكانات أقل . وفى هذه المرة قام بالهجوم عدد من الشوانى ، وهى المراكب الكبيرة التى تحمل المعدات الثقيلة من الخيل وغيرها ، وبصحبتها ٢٣ مركبا معاونة . وتلخصت خططهم الحربية فى محاولة سد باب دار الصناعة لمنع الأسطول من الخروج للقائهم ، ولكنهم فشلوا فى ذلك ، وتمكن الأسطول من الخروج لهم وهزيمتهم بعد قتل أعداد كبيرة من رجالهم (٩٥) .

(٩٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٢٩٨ ، النويرى ، ص ٣٦٠ ، ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .
 (٩٤) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ ، النويرى ، ص ٣٦٠ .
 (٩٥) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .

وأتبع تميم هذا النصر الخارجى فى السنة التالية (٤٩٩ هـ / ١١٠٦ م) ، بمحاولة اخضاع جزيرة جربة التى عرفت بنزعتها الاستقلالية ، وأعمالها العدوانية فى البحر ، قسیر إليها حملة برية بحرية بقيادة أبى الحسن الفهرى ، ولكنه ازاء استعدادات الجرييز للقاء ، رأى الفهرى ألا جدوى فى حربهم ، فعاد أدراجه ، مكثفياً من الغنيمه بالايباب (٩٦) .

وقبل وفاته ، فى ختام القرن الخامس الهجرى وبداية السادس ، سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٧ م ، تعرض تميم لهزة عنيفة من جانب عرب رياح الهلالية ، وذلك أن أحد بطونهم ، وهم جماعة الأخضر ، غدروا بمدينة باجة ، وغلبوا عليها ، وملكوها بعد أن قتلوا كثيرا من الخلق فيها (٩٧) ، الأمر الذى يمكن أن يكون سببا فى التعجيل بوفاة الأمير تميم ، كما يمكن أن يفهم من رواية ابن خلدون (٩٨) . وذلك فى الوقت الذى كان يوسف بن تاشفين المرابطى ينهى حكمه فى المغرب والأندلس ، بينما كان محمد بن تومرت ، مهدي دولة الموحدين ومؤسسها ، يبدأ رحلته المشرقية من جبل هرغة فى بلدة السوسى الأقصى ، لطلب العلم ، أول الطريق الى تأليفه المذهب التوحيد الذى يعيد الوحدة لكل بلاد المغرب والأندلس ، الأمر الذى يعتبر من المنعطفات الحاسمة فى تاريخ المنطقة بما فيها جزر المتوسط وبضمنها صقلية وجنوب إيطاليا .

(٩٦) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٤ .

(٩٧) ابن عذارى ، ط٠ بيروت ، ج ١ ص ٤٣٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٦٠ .

(٩٨) العبر ، ج ٦ ص ١٦٠ - حيث يتتبع الغلبة على باجة بقوله : وهلك تميم اثر ذلك

سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م .

صقلية وجنوب إيطاليا في العصر الزيرى

عهد أبى القاسم :

سار المعز لدين الله الى مصر وقد ترك في صقلية أبى القاسم على بن الحسن بن أبى الحسين ، نيابة عن أخيه أحمد ، بعد فشل استبدال أسرة الكلبين وتعيين مولاهم يعيش ، وذلك سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م . وبعد وفاة أحمد بعد أشهر قليلة ، ثبت أبو القاسم في الولاية ، وبذلك تأكد حكم الكلبين وراثيا في الجزيرة ، تحت ولاية الخليفة في القاهرة .

جهاد الروم في مسينا وكلايريا ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م :

ولقد حقق أبو القاسم في الجزيرة ما كان يرجوه أهلها من الهدوء والسكينة ، حتى تمكن معهم من مواجهة الأعداء الروم الذين كانوا يهددون كلايريا ومضيق مسينا الاستراتيجي . وهكذا تسجل حوليات الجهاد في صقلية أن الأمير أبى القاسم سار في سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م ، في عساكر المسلمين ، ومعه جماعة من الصالحين والعلماء ، الى مدينة مسينا التي كان يهددها العدو ، حيث نازل الروم ، وذلك في شهر رمضان / مارس ، فانهمزوا هارين في المراكب (١) . وكانت فرصة للأمير أبى القاسم لكي يعبر المضيق الى كلايريا ، ويتجه برجانه شمالا الى كسينته (Cosenza) ، في وادي كراتي (Crati) ويضرب عليها الحصار أياما الى أن طلب أهلها الأمان ، الذي تم نظير دفع مبلغ من المال . والظاهر أن أصحاب أبى القاسم من المجاهدين الصالحين والعلماء ، المتحمسين للجهاد من غير الجيش النظامي ، كان يمكنهم أن يقوموا بغارات لحسابهم الخاص في المنطقة . فهذا ما يمكن أن يكون تفسيراً لما يقوله ابن الأثير من أن أبى القاسم عندما رحل عن كسينته ، سار الى قلعة جلوا ، ففعل كذلك بهيا وبغيرها (٢) ، وهو ما يجد تفسيراً عند جاي (J. Gay) الذي يشير الى أن أبوليا (Apulia) لم تسلم.

(١) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٦ ، وقارن جاي ، إيطاليا الجنوبية (بالفرنسية) ، ص ٣٢٥ - حيث الإشارة الى أن هجمة البيزنطيين التاجية على مسينا ، ربما تمت بمعاونة مراكب بيزا في أول عهد باسيل الثاني .
(٢) الكامل ، ج ٨ ص ٦٦٧ .

— ٤٧٩ —

هي الاخرى من هجمات العرب ، منذ الهجوم على طارنت سنة ٢٧ - ٩٢٩ ،
كما ان زعيم احدى الجماعات الاسلامية المحاربة (من المرتزقة
(Condotiere)) واسمه اسماعيل ، لقي حتفه قرب بيتاتو (Bitato)
غير بعيد من بارى (٣) .

والحقيقة ان ابا القاسم كان قد أمر أخاه أن يذهب بالأسطول الى ناحية
بربوله (ابوليا ؟) وييث السرايا في جميع قلورية ، ففعل ذلك ، وغنم
غنائم كثيرة ، وقتل وسبى ، قبل أن يرجع الأخوان سويا الى المدينة : الخالصة
(بلرم) (٤) .

وفي السنة التالية ٣٦٦ هـ / ٧٦٠ - ٩٧٧ م ، كان أبو القاسم يأمر
بعمارة رمطة القرية من بلرم على الساحل الشمالى ، وكانت قد خربت
من قبل . ثم انه بدأ فى الاعداد للغزو من جديد ، فجمع الجيوش ، وعبر
المضيق حيث توقف أمام مدينة أغاثة (San'Agata) الصغيرة ،
الواقعة على ساحل المضيق بالقرب من ريو (Reggio) ، فطلب أهلها
الامان ، فأمنهم نظير تسليم القلعة بكل ما فيها من سلاح وعتاد . ثم انه
واصل الطريق الى مدينة طارنت (Otrante) فوجد ان أهلها قد فروا
منها بعد أن أغلقوا أبوابها ، فصعد الرجال السور وفتحوا الأبواب ، ودخلها
أبو القاسم الذى أمر بهدمها ، فخربت وأحرقت . ومن هنا أرسل السرايا
التي بلغت مدينة « أذرن » وغيرها ، بينما سار هو الى مدينة « عردلية »
وشن عليها الحرب حتى عقد أهلها الصلح معه نظير دفع مال الفداء لكى يعود
بعد تمام الحملة الى المدينة : الخالصة (بلرم) (٥) .

(٣) جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . (بالفرنسية) ، ص ٣٢٥ .

(٤) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٧ ، وقارن جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . (بالفرنسية) ،
ص ٣٢٥ - حيث يضيف الى ذلك انه خلال ذلك الوقت كانت هناك جماعات اسلامية أخرى
تموغل حتى وادى البراندانو (Brandano) وتأتى لمهاجمة جرافينا (Gravina)
وهى المكان الحصين فى قلب منطقة مورجى (Murgie) جنوب غرب بارى . وان مدينتى
طارنت وأريه (Oria) كانتا هدفا للهجوم الذى أفرغ أهل المدينة الأخيرة (أوريه)
فمركزها لكى يحرقها العدو .

(٥) ابن الأثير ، ج ٨ ص ٦٦٧ ، وقارن جاي ، ايطاليا الجنوبية . . . (بالفرنسية) ،
ص ٣٢٥ - ٣٢٦ - حيث يضيف أنه ما بين ٩٧٨ و ٩٨١ م / ٤٦٨ - ٤٧١ هـ ، كانت كلابريا
وابولسا (Apulia) هدفا مستمرا للغارات الاسلامية ، وان حكومة بيزنطة على عهد
باسيل الثمانى كانت عاجزة وقتئذ ، بسبب ثورة بورداس سكليريس (Bordas Skleres)
فى آسيا الصغرى ، الأمر الذى كان يدفع المدن الايطالية الى تفضيل الدفاع عن نفسها .

استشهاد أبى القاسم أمام أوتو الثانى وولاية ابنه جابر :

وفى المحرم من سنة ٣٧٢ هـ / يونيه ٩٨١ م ، انتهى حكم أبى القاسم لصقلية. اذ راح شهيدا فى ميدان الجهاد بإيطاليا . ففى شهر ذى القعدة من السنة السابقة ٣٧١ هـ / ابريل - مايو ٩٨٢ م ، تعرضت كلابريا لغارة عنيفة قام بها أحد ملوك الفرنج الذى يدعى يردويل عند ابن الأثير ، وهو فى الحقيقة الامبراطور أوتو الثانى ، الذى ضرب الحصار على قلعة اسلامية هناك وتمكن من أخذها ، بعد أن أنزل الهزيمة بسريتين اسلاميتين (٦) . وهنا خرج أبو القاسم عبر مضيق مسينا بعساكره ليطرد الغازى الفرنجى من تلك القلعة ، ولكنه ما ان اقترب منها ، وعرف بقوة الفرنج وبما فعلوه بالمسلمين هناك ، حتى تمككه الخوف ، فجن عن اللقاء ، واستسمح كبار قواده فى الرحيل دون أن يعترضوا على ذلك . وعندما رأى رجال أسطول العدو الرومى رجوع المسلمين على أعقابهم أخطروا للملك الفرنجى بذلك ، وطلبوا منه انتهاز الغرة فى المسلمين . وهنا جرد أوتو عسكره من أثقالهم ، وسار بهم جريدة فى اثر المسلمين فأدركوهم فى المحرم ٣٧٢ هـ / يونيه ٩٨٢ م . ونجح الفرنج فى اختراق قلب القوة الاسلامية التى اختل نظامها ، واتجهوا حيث الأعلام المحيطة بالأمير أبى القاسم ، وتمكنوا من الوصول إليه حيث ضربه أحدهم « على أم رأسه » ضربة قاضية .

وإذا كان الخوف والجبن قد أدى الى نهاية المقائده الأمير فإن التصميم على العودة والظفر من جانب الذين كانوا قد فقدوا شجاعتهم من هول المفاجأة ، أنهت القتال الى صالح المسلمين. الذين صمدوا فى اللقاء حتى هزموا الفرنج « أقبح هزيمة » ، وقتلوا منهم نحو ٤ (أربعة) آلاف قتيل ، وأسروا عددا كبيرا من كبار قوادهم من البطارقة ، وغنموا كثيرا من أموالهم . ولم يتوقفوا

وحدها - دون البيزنطيين - اذا لزم الأمر ، بل وان تدفع للمغامرين المسلمين ثمن شراء انسحابهم . وان وصول الخطر الاسلامى الى الأراضى اللومباردية هو الذى دفع الامبراطور أوتو الثانى الى التفكير فى حملته على جنوب إيطاليا . وانظر ص ٣٢٨ - حيث الملة الى روما ، كيف يرى جاي انه كان هناك خلط بين الغرب وبين البيزنطيين الذين كانوا يجبون الضرائب .

(٦) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ - حيث القارة خطأ ، على صقلية ، وكذلك القلعة «مالطة» خطأ ، وقارن ارشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة ، الترجمة ، ص ٣٠٧ - حيث الإشارة الى ان تلك القارة كانت لأوتو الذى كان يزعم الاستيلاء على كل الأراضى البيزنطية ، الأمر الذى أدى الى نوع من التناوب بين الروم والمسلمين ضده .

عن متابعتهم الا بعد ان أدركهم الليل(٧) .

ومسكدا كان على اوتو الثاني ان يفر الى خيامه في رسانه (Rossana)، حيث كانت زوجته الامبراطورة تيوفانو في صحبته ، فعاد برجاله الى رومة (المبارديا) من حيث أتى(٨) .

وبعد مقتل ابي القاسم قام ابنه جابر ، الذي كان بصحبته ، مقامه ، ورحل بالمسلمين على عجل ، دون توقف حتى لأخذ المغانم من السلاح. « نيعمر الجزائن » . وبذلك أنهى ابو القاسم ولايته التي استمرت أكثر من ١٢ (اثنى عشرة) سنة . مرضيا عنه من رعيته ، لما عرفوه فيه من العدل بهم ، والشفقة عليهم ، والاحسان اليهم . وفى بذله واحسانه قيل انه كان « عظيم السدقة » . لم يخلف دينارا ولا درهما ولا عقارا ، فانه كان قد رقف جميع أملكه على الفقراء وأبواب البر «(٩) .

معالم بلرم على عهد ابي القاسم :

وخلال ولاية ابي القاسم زار ابن حوقل ، الجغرافى والرحالة العراقى . سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ، جزيرة صقلية ، وقدم عنها معلومات تجمع ما بين الأهمية والطرافة ، من : الفقر فى بلد كان غنيا ، والتظاهر بالتدين مع تغير الضمائر وفساد المذاهب ، وكثرة الأربطة على السواحل مع الطمع فى أموال الناس ، وفساد الأخلاق ، الى التهرب من الخدمة الجهادية بالدخول فى سلك التعليم(١٠) .

فمن وجهة النظر الاقتصادية يصف ابن حوقل بلرم بأنها مدينة العامة ذات الأسواق الكبيرة المتخصصة فى أنواع المتاجر المختلفة (ص ١٤) ، والنص على ان ذلك كان فى الماضى . أما المشاهد ، فقد استحالت جميع

(٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ - ١٤ .

(٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٣ - ١٤ - حيث النص على ان مستشار الملك اليهودى افتداه . عندما توقف فرسه اعباء وقدم له مطينه . وأنظر ارشيبالد لويس ، ص ٣٠٧ - حيث كان هروب اوتو على ظهر مركب بيزنطى انتقله عفوا وحمله من كلابريا الى بلده فى ايطاليا ، حيث توفى بمزونا لفشل مشروعه التوسعى ، وذلك فى ٩٨٣ م / ٧٢ - ٣٧٣ م ، وقارن تاريخ : كامبريدج فى العصر الوسيط ، ج ٣ فصل ٧ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٤ .

(١٠) صورة الأرض ، ط . بيروت ، ١٦٧٩ ، ص ١٢٢ .

أمورها من الحصب الى الجلب ، بسبب بغضهم التجار الغرباء المجهزين ، مع قوام مصالحهم بالجلابين وفقرهم وفاقتهم الى المسافرين ، لآنيا جزيرة ٠٠٠ .
وجميع ما تقع اليه الضرورات ٠٠٠ من سائر الطلبات مجلوب الى بلدهم ، باستثناء ما تنتجه جزيرتهم ، من : القمح والصوف والشعير والحرير ، وشيء من القند والكتان (ص ١٢٤) .

أما عن التدين ، فمع كثرة المساجد والربط العديدة على ساحل البحر ، فهي مشحونة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق ٠٠٠ قد عملوا السجادات ، منتصبين لأخذ الصدقات وقذف المحصنات ٠٠٠ وأكثرهم يقدرون (ص ١٥ - ١١٦) ، مع فساد المذاهب الى حد ان « المشعمدون » يسمحون بالزواج من المسيحيات ، على أن يكون الأولاد مسلمين ، والبنات مسيحيات (ص ١٢٣) .

وفى التعليم والجهاد يغلب على البلد المعلمون والمكاتب ، ومع ذلك فان كثرتهم تضطرد مع قلة منفعتهم لفرارهم من الغزو ، ورغبتهم عن الجهاد ، حيث كان سبق الرسم باعفاء المعلمين قديما من الجهاد ، ففرع الى التعليم البلهاء والجهلة (ص ١٢٠) .

واذا كان ابن جبير يقدم لنا صورة بهية عن بلرم النورمندية التي زارها بعد حوالي قرنين من ابن حوقل ، من حيث جمال المخبر والمنظر ، وبسائط البساتين ، والسكك الفسيحة والشوارع الواسعة ، والديارات المزوقة البنيان ، والكنائس المصاغة فيها بالذهب والفضة الصلبان ، فان الأحياء الاسلامية كانت ما زالت تحتفظ ببعض الملامح القديمة مما سجله ابن حوقل . فأكثر المساجد عامرة تقام فيها الصلاة بأذان مسموع ، والأسواق معمورة بالمسلمين ، وهم التجار فيها . والمساجد كثيرة لا تحصى ، وأكثرها محاضر لمعلمي القرآن (١) .

أما عن نساء بلرم فزى النصرانيات فيها هو زى المسلمات ، فهن ملتحفات ، منتقيات ، قد لبسن ثياب الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائعة ، وانتقبن بالنقب الملونة ، وانتعلن الأخفاف المذهبة ، وبرزن

لكنائسهن حوامل جميع زينة المسلمين ، من : التحلى والتخضب .
والتعطر (١٢) .

وهكذا حافظ المسلمون الصقليون على سماتهم الحضرية المميزة التي جمعت ما بين متطلبات الدين والدنيا ، بعد قرنين من امتلاك النورمانيين للجزيرة . فالنساء المسلمات كن قدوة النورمانيات فى الملبس والزينة ، والتجار المسلمون كانوا مهتمين على أسواقهم ، والمساجد الكثيرة كانت مدارس تعليم القرآن .

جابر بن أبى القاسم أميرا :

وهكذا لم يكن من الغريب أن يصحب أبى القاسم ، فى رحلات جهاده ، جماعات الصالحين والعلماء ، مما سبقت إليه الإشارة ، فى آخر غزواته فى كلابريا . أما عن جابر ابنه فان الخليفة الفاطمى العزيز بالله بالقاهرة أقره فى الإمارة ، حسب اختيار أعيان العسكر ، ولكنه لما لم يكن يتمتع بمثل حسن سمعة والده ، الأمر الذى صار فى غير صالحه بدلا من أن يكون سنداً له ، فانه خلع بسرعة من قبل الصقليين ، وانتهى ضحية مؤامرة بلاط فى القاهرة ، بعد أن استدعاه ديوان الخلافة الى هناك (١٣) .

أمراء عابرون يحبون العافية :

وخلف جابر ابن أخيه : جعفر بن محمد بن أبى القاسم على ، بأمر الخليفة العزيز سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م . ويذكر لجعفر أنه اعتنى بأحوال الأرض من حيث تقويمها والعمل على تحسينها ، وأنه حظى باحترام الخاصة لعلمه ، وحب العامة لكرمه ، ولكنه لم يقدر له البقاء فى الولاية طويلا ، اذ توفى سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٦م ، بعد ثلاث سنوات فقط . وأتى بعد جابر أخوه عبد الله بن محمد بن أبى القاسم على ، الذى توفى سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م ،

(١٢) رحلة ابن جبير ، ط . بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٣٠٧ ، وانظر أيضا ص ٣٠٦ - عن كنيسة الانطاكي حيث هى أعجب مصانع الدنيا المزخرفة جدرانها الداخلة كلها ذهب ، وفيها ألواح الرخام الملون ٠٠٠ قد رصعت كلها بفضوص الذهب وكللت بانسجار القصص الحضر ، ونظم أعلاها بالشمسيات المذهبات من الزجاج التى تخطف الأبصار ، وتحدث فى النفوس فتنة - يستعبد رحلتنا الموحدى - بالله منها .
(١٣) أحمد عزيز ، صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣٦ - ٣٢ .

ولكنه مما يؤسف له أننا لا نعرف ماهية انجازاته ، بعد ولايته التي طالت الى ٤ (أربع) سنوات وأكثر (١٤) .

ثقة الدولة يوسف بن عبد الله :

حكم قواعده ، العدل والجهاد والجود :

وولى بعد عبد الله ابنه يوسف ، وكان والده قد عينه كخلف له ، واقر الخليفة العزيز بالقاهرة تلك الولاية ، وأنعم عليه بلقب «ثقة الدولة» (١٥) . وفى تقييم عهد يوسف بن عبد الله ، ينص ابن عذارى على « كون الناس فى أيامه على أفضل ما يشتهون ، واستقامت الأمور ، وأداخ بلاد الروم ، وظهر من كرمه وجوده ما هو معدوم من كثير من البلدان (١٦) » . وهكذا كان ليوسف نشاطه الجبائى حيث قام ببعض الغارات على الأراضى البيزنطية فى جنوب إيطاليا . وفى سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م نجح فى الاستيلاء على بلدة ماتيرا (Matera) ، بعد مقاومة عنيدة (١٧) ، كما كان لثقافته الخاصة أثرها فى أدب تلك الفترة (١٨) . ومما يؤسف له إصابة يوسف بن عبد الله فى سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م بالفالج (الشلل) ، فالت ولاية صقلية الى ابنه جعفر (١٩) .

(١٤) أنظر زامباور ، معجم الانسان ، والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، تعريب زكى حسن وحسن محمود ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٠٧ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣٢ - حيث النص خطأ على ان وفاة عبد الله كانت فى نفس سنة ولايته ٩٨٦م .

(١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٤٥ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، ص ٣٢ ، زامباور ، معجم الأنساب ، الترجمة ، ص ١٠٧ .

(١٦) البيان ، ج ١ ص ٢٤٥ ، وأنظر المؤنس لابن أبى دينار ، ص ٧٨ (سنة ٣٧٦هـ) .

(١٧) كما نجح القائد العربى أبو سميذ (Busito) فى التحالف مع الأمير اللومباردى سمارسجدوس (Smarsagdus) ، وأغراه بقتل أحد كبار الموظفين البيزنطيين فى مدينة أوريه ، نظير مساعدته على دخول مدينة بارى ، وهو ما لم يوفيه له .

(١٨) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، بالفرنسية ، ص ٣٦٨ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣٢ .

(١٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٤ (أحداث سنة ٤٨٤) ، وقارن اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٩٩ - حيث النص فى أحداث سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٣م ، على أنه فى أواخر رجب - فبراير . فلج أبو الفتح يوسف بن عبد الله أبى الحسين ، أمير صقلية ، فتعطل جانبه الأيسر فقام الأمر ابنه أبو محمد جعفر بن يوسف ، وكان بيده سجل الحاكم بولايته بعد أبيه .

جعفر بن يوسف أميراً ،

وبداية التفكك في الأسرة الكلية :

ازدهر نظام الحكم في صقلية على عهد جعفر بن يوسف بن عبد الله ، من حيث ارتفع شأن الأمير في بلرم والخالصة (قسبة الحكم والادارة) ، فكانه ملك متوج . فلقد أنعم الخليفة الحاكم بأمر الله على جعفر بلقبى « تاج الدولة » و « سيف الملة » (٢٠) ، كما أحاط جعفر نفسه برجال الدولة ، من الوزير والحاجب ، فكانه حاكم مستقل حتى أضفى عليه شعراء بلاطه في مدائحهم لقب الملك .

ولم يمنع الاهتمام بالبلاط ونظم الحكم ، من مواصلة الغزو في جنوب إيطاليا . ففي سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م ، أتى جيش كبير بقيادة القائد صافي لحصار مدينة باري ، بينما هاجمت المراكب العربية المدينة من جهة البحر ، واستمر ذلك الحصار من أوائل ماية حتى ٢٠ سبتمبر ، عندما جاء أسطول البندقية ، الذى أصبح بمثابة شرطى البحر الأدرىاتى ، كما يقول جاي (٢١) . فلقد دخلت سفن البندقية ، التى أحسن الأهالى استقبالها بميناء المدينة ، كما انتشرت بعض قطعها في الضواحي . وخلال ثلاثة أيام دارت رحي حرب شديدة انتهت بانسحاب المسلمين ليلا . ولكن الأساطيل العربية ظلت نشطة في منطقة كلابريا . ففي سنة ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م التقت المراكب العربية بمراكب الروم قرب ريو ، ولم ينقذ المراكب البيزنطية الا تدخل سفن بيزا الى جانبها . وفي سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م كانت القوات الاسلامية تصعد في كلابريا الى وادى كراتى (Crati) وتحتل كسننتة (Cosenza) مرة أخرى (٢٢) .

وخلال تلك الفترة كانت صقلية ملجأ للتغصاء من أهل أفريقية عندما يخيم القحط والغلاء على البلاد ، مثلما حدث في سنة ٣٩٥هـ / ٤ - ١٠٠٥م ، حيث وفد على الجزيرة كثير من أهل الحاضرة والبادية (٢٣) . هذا كما كانت صقلية على أواخر أيام جعفر ، محط أنظار التغصاء من الشيعة في القيروان

(٢٠) انعاظ الحنفا ، ج ٢ ص ٩٩ .

(٢١) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، بالفرنسية ، ص ٣٦٩ .

(٢٢) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، بالفرنسية ، ص ٣٦٩ .

(٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٥٧ .

والمهديّة ، عندما تعرضوا لثورة العامة بهم اعتباراً من سنة ٤٠٩ هـ /
١٠١٨م (٢٤) .

ولكن مظاهر التقديم في البلاط الصقلي ، بل وعلم الأمير جعفر وثقافته التي لم تكن ترتفع الى مستوى ثقافة والده على كل حال ، لم تكن لتعجب ما كان يتصف به من الحمول والبخل والقسوة ، الأمر الذي كان له رد فعله في نفوس أفراد الأسرة حيث بدأ الشقاق يدب بينهم ، معلناً بوادر الاضمحلال .

ثورة علي بن يوسف واستبداد جعفر :

ففي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٥م قام أحد أخوة جعفر بالثورة عليه ، بمساعدة جماعة من البربر والعبيد السودان ، وذلك في أول شعبان / ٢٥ فبراير ، ولكن رجال جعفر نجحوا في القضاء على الثورة فشتتوا البربر والعبيد ، وأخذوا علياً أسيراً في ٧ شعبان / ٣ مارس ، وهنا لم يرحمه أخوه الأمير فقتله ، الأمر الذي زاد في آلام يوسف والدهما ، الذي كان ما زال يعاني من الشلل (٢٥) .

وكان من نتائج ذلك أن فقد جعفر صوابه فانتهج سياسة تعسفية متطرفة ، وذلك أنه نفى كل بربري بالجزيرة الى أفريقية ، كما نفذت أوامره بقتل كل طائفة العبيد من العسكر الأميري ، واستبدل بهم جنوداً من الصقليين البلديين . هذا ، كما انتهج جعفر سياسة عنيفة مع أهل بيته ، فقهر أخوته واستطال عليهم ، الأمر الذي أضعف مركزه ، وأطمع فيه أهل الجزيرة .

سياسة مالية متشددة تفجّر الثورة ضد جعفر :

وهكذا وبينما كان جعفر يعمل على احكام قبضته على دواوين الادارة ، ويعتني بصفة خاصة بترتيب الشئون المالية ، مصدر التمويل الأول للخزانة العامة ، وذلك بتطبيق نظام قاس على عماله في جباية ضريبة العشر التي

(٢٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٦٩ ، وما سبق ، ص .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٣ - ١٩٤ ، عزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ،

بالانجليزية ، ص ٣٢ .

يسطرها على ما تغله الأرض من حب أو غيره ، ومطاردة المتخلفين عن الدفع ، دون رعاية لأعيان البلد من القواد والشيوخ أو أفراد الأسرة الحاكمة ، انفجرت الثورة بين أهل صقلية . وفوجئ جعفر بالجميع ، كبارا وصغارا ، وقد حاصروه في قصره ، في الحى الحكومى من بلرم المعروف بالخالصة ، وضيقوا عليه حتى كادوا يأخذونه ، وذلك فى المحرم من سنة ٤١٠ هـ / مايو ١٠١٩ م . وهنا كان على كبير الأسرة ، يوسف الوالد ، الذى كان مفلوجا الخروج فى محفة الى الثوار ، فيثير أشجانهم بلطف حديثه ورفقه بهم ، حتى « بكوا رحمة له من مرضه ، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكل » ، الأمر الذى وافقهم عليه (٢٦) .

ولما كان يوسف قد خاف على حياة ابنه جعفر من الثوار ، فانه قرر تسييره الى مصر عن طريق البحر ، كما سار هو بعده الى هناك ، وكان معهما من المال الكثير ما قدر بمبلغ ٦٧٠,٠٠٠ (ستمائة وسبعين ألف) دينار (٢٧) .

أحمد الأكل بن يوسف ثقة الدولة ،

واليا لصقلية فى منعطف حاسم :

تعتبر ولاية أحمد الأكل مرحلة فاصلة فى تاريخ صقلية الاسلامية ، من حيث كانت بداية النهاية ، ليس بالنسبة لأسرة بنى أبى الحسين الكلبيين ، بل بالنسبة لبقاء الجزيرة اسلامية أم لا . وفى ذلك الوقت كانت السياسة البيزنطية تعمل على تقوية نفوذها فى روما ، كما كان الباسيليوس (ملك الروم) يقوى علاقته مع الامبراطور أوتو الثالث ، وذلك فى الوقت الذى تصادف فيه نزول النورمانيين لأول مرة فى منطقة أبوليا ، ١٠٠٩ - ١٠١٨ م / ٤٠٠ - ٤٠٩ هـ .

والحقيقة ان أحمد الأكل بدأ ولايته بداية قوية ، رفعت من شأنه بين ولاة صقلية المجاهدين . وفى ذلك تقول رواية ابن الأثير أنه أخذ أمره

(٢٦) ابن الأثير ، ج ١ ص ١٩٤ .
(٢٧) ابن الأثير ، ج ١ ص ١٩٤ - حيث النص على انه كان ليوسف وقتئذ ١٣ ألف حجرة سوى البنال وغيرها ، وأنه مات فى مصر فقيرا ، ليس له الا دابة واحدة - أى لركوبه الشخصى .

بالحزم والاجتهاد ، وجمع المقاتلة ، وبث السرايا فى بلاد الكفر ، فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ، ويخربون البلاد ، وانه أطاعه ايضا جميع قلاع صقلية التى للمسلمين (٢٨) . ومع نزول النورمان فى ابوليا (Apulia) تغيرت موازين القوى ، ووفق القائد بازيل بوجونيز (Basile Bojaannes) الذى عهدت اليه الامبراطورية بتقويم الموقف فى صقلية ، فى قيادة الصراع بنجاح ضد الامبراطورية الجرمانية ، وفى تحصين مدينة ريو ضد العرب ، ثم النزول فى مسينا ، وذلك فى الفترة من ١٠١٨ - ١٠٢٨ م / ٤٠٩ - ٤١٩ هـ (٢٩) .

محاولة للمساعدة من المهدي لا يقدر لها النجاح :

وأمام هذا التهديد البيزنطى فى كلايريا ومسينا ، عرض المعز بن باديس المساعدة على الأمير الأكحل (أحمد بن يوسف) الذى لم يكن أمامه الا القبول . وفلاجهز المعز فى سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٦ م ، أسطولاً كبيراً ، من ٤٠٠ قطعة ، حشد فيها العسكر النظامى والمتطوعة من المجاهدين ، وسبره على عجل فى قلب الشتاء (فى كانون الثانى : يناير / ذى الحجة) ، ولكنه عندما قرب من جزيرة قوصرة (بنتلاريا) فى شمال تونس ، تعرض لريح شديدة ونوء عظيم ، لم يفلح فى مقاومته ، فغرقت أكثر المراكب ولم ينسج منها الا اليسير (٣٠) .

نجاحات مبشرة فى الصراع البحرى ضد الروم :

وعندما بدأ القائد بوجونيز يلاقى المصاعب اعتباراً من بداية الغزوة النورمندية الثانية لأبوليا ، فيما بين ١٠٢٨ - ١٠٤٠ م / ٤١٩ - ٤٣٢ هـ ، وانهزمت الامدادات البحرية البيزنطية تحت قيادة الحصى أورستيز (Orestes) على أيدي القوات العربية قرب مدينة ريو ، كان من نتائج

(٢٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ - هذا ، كما كانت غلاوة الأكحل طمعة بالحلاوة بالقاهرة ، حيث أرسل له الخليفة الظاهر سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م سمجلاً بمعة أبى القاسم ابن رزق البغدادى ، وهدية فيها منقبات من النصر .

(٢٩) جاك ، إيطاليا الجنوبية . . . بالفرنسية ، ص ٤١٤ وما بعدها .

(٣٠) أنظر ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٤٢ (سنة ٤١٦ هـ) - حدث النص على ان السبب فى تجهيزه الأسطول ما عرفه من خروج الروم الى صقلية فى جمع كبير ، ما سكر ما كان للمسلمين بجزيرة قنورية وشرعوا فى بناء المساكن ينظفون وصول مراكبهم مع ابن الملك .

ذلك عوة الغارات العربية على عهد رومان أرجير (Romain Argyre) ١٠٢٨ - ١٠٣٤ م / ٤١٩ - ٤٢٦ هـ ، وذلك بمعرفة الأساطيل الزيرية والكلمية المتعاونة فيما بينها ، فى الاغارة على الأراضى البيزنطية فى أبوليا وشمال كلابريا وحتى الليريا (Ellyria) ، قرب الجزر الأيونية . بل ان الهجمات العربية امتدت شرقا الى جزيرة كورفو (حوالى ١٠٣٢ م / ٤٢٣ هـ) ، بل وحتى ساحل تراقيا .

والى ذلك الوقت كان البيزنطيون مستعدين للمفاوضة من أجل السلم . ولكنه اعتبارا من سنة ١٠٣٣ م / ٤٢٥ هـ) كانت الغارات العربية قد توقفت على كلابريا وأبوليا (٣١) ، الأمر الذى يفسره اضطراب الأمور فى صقلية ، وضعف الأمير الأكحل عن مواصلة نشاطاته الجهادية ضد الروم فى إيطاليا برا أو بحرا ، وذلك عندما ساءت العلاقة بينه وبين أهل صقلية ، الأمر الذى أدى بالتالى الى سوء العلاقة بين المعز بن باديس والأكحل ، وفرض الحلف الذى كان بينهما .

الأكحل وسياسة « فرق تسد » :

وهكذا حاول الأكحل أن يستخدم سياسة « فرق تسد » حتى يضمن لنفسه استمرار السيطرة على الجزيرة ، حيث حاول أن يضم البلدين الصقليين الى جانبه ضد الأفريقيين ، ولكنه لما واجه رفضهم بحجة ان الطائفتين أصهار صاروا شيئا واحدا ، ضم الأفريقيين الذين استجابوا لندائه ووقفوا الى جانبه ، فبدأ سياسة محاباتهم على حساب الصقليين . فكان يأخذ ضريبة خراج الأرض من أهل صقلية ويعفى أراضى الأفريقيين منها ، الأمر الذى أدى الى شكواهم الى المعز بن باديس (٣٢) . فكأنهم كانوا ما يزالون يرون ان أمير المهديّة هو الرئيس الشرعى لأمير صقلية ، قبل خليفة القاهرة البعيد الدار .

وكانت فرصة طيبة انتهزتها بيزنطة - للتفاوض من موقف أقوى . وبشروط أفضل . ففي سنة ١٠٣٤ م / ٤٢٥ هـ ، وصلت الى صقلية سفارة من قبل الامبراطور ميشيل الرابع ، على رأسها الضابط المفاوض جورج

(٣١) جاي ، إيطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٣ ، بالفرنسية ، وما بعدها ، وقارن تعزيز أحمد ، صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ٣٢ - ٣٣ وهـ ٧ عن جاي .
(٣٢) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ .

بروباتا (G. Probata) فاوضت من أجل السلم الذى عقد فى أنسطس ١٠٣٥ م / شوال ٤١٧ هـ . وعاد المفاوض البيزنطى الى القسطنطينية وبصحبه ابن الأكحل الذى حصل لوالده ، من الامبراطور ، على لقب القائد : (ماجيستراتوس (Magistratos) ، فكان الأكحل هو الذى يتدخل للامبراطور ، كما يقول جاي (٣٣) .

تدخل المعز فى شئون صقلية :

والهم ان المعز استقبل فى سنة ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م ، وفد أهل صقلية الذى أتاه شاكيا ، برئاسة من يدعى ب « أبى حفص » (أحمد عزيز ، ص ٣٣) ، وعرض عليه أمر الدخول فى طاعته تحت التهديد بتسليم البلاد الى الروم ، مما يعنى انشقاقا خطيرا بين الأكحل والصقليين . واستجاب المعز لنداء الصقليين فأرسل معهم عسكريا بقيادة ابنه عبد الله ، يقدر بحوالى ٦ (ستة) آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، نجح فى دخول المدينة ، بلرم ، وحصر الأكحل فى المدينة الأميرية : الخالصة . وانتهت الحرب بين الطرفين بمقتل الأكحل ، وسط انقسام الصقليين على أنفسهم ، ازاء قيادتهم الزيرية الجديدة ، ثم قيامهم ضد الغرباء من أهل أفريقية ، فزحفوا اليهم وقتلوا منهم حوالى ٨٠٠ (ثمانمائة) رجل ، واضطروهم الى الرجوع الى مراكزهم ، والعودة الى بلادهم : أفريقية (٣٤) .

وكانت فرصة انتهزها البيزنطيون سنة ٣٧ - ١٠٣٨ م / ٢٩ - ٤٣٠ هـ . لكى يغزو مسينة بقوة كبيرة ، على رأسها القائد جورج منياكس (Georges Maniakes) الذى كان قد ظهرت مواهبه فى حرب الشام فيما بين ١٠٣٠ - ١٠٣٤ م / ٢١ - ٤٢٦ هـ ، والذى لحقت به قوة من النصارى الصقليين . تقدر ب ١٥ ألف رجل . ولكنه اذا كان منياكس قد حقق بصعوبة انتصارات بطيئة فى منطقتى رمطة وأتنا ١٠٤١ م / ٤٣٣ هـ ، فقد كان استدعاء منياكس الى القسطنطينية مناسبة سهلت على العرب فى صقلية استعادة الأقاليم التى

(٣٣) جاي ، ايطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٥ .

(٣٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٥ ، وأنظر جاي ، ايطاليا الجنوبية ، ص ٤٣٦ - حيث النص على ان الأكحل عندما انهزم أمام عبد الله بن المعز لما الى قائد ايطالية قسطنطين أبوس (Constantin Opos) الذى حاول عبور المضيق برفاله القليلين لقتال الجيش الأفريقى سنة ١٠٣٧ م / ٤٢٩ هـ .

الى الجزيرة تحت امرته ، كان من الطبيعي أن يدخل ابن الثمنة فى صراع مع ابن الحواس ، صاحب قصر يانة ، سره الجزيرة ، وهو الطموح أيضا مثله ، وقرينه ، هذا ، ولو ان الرواية ترجع صراعهما الى أسباب عائلية خاصة بالمصاهرة التى كانت بينهما (٣٧) .

الصراع بين ابن الثمنة وابن الحواس ،

والتدخل النورمندى فى الجزيرة :

وانتهز ابن الثمنة فرصة الخصام العائلى ، وسار نحو قصر يانة حيث حصر ابن الحواس ، ولكن الأخير كان أكثر من ند لصهره ، فخرج اليه ونجح فى هزيمته ، بل « وتبعه الى قرب مدينة قطانية ، وعاد بعد أن قتل من أصحابه فأكثر » (٣٨) . وهنا خرج ابن الثمنة عن صوابه ، وسولت له نفسه الانتصار بالكفار من الأفرننج النورمنديين الذين كانوا قد استقروا فى كلابريا ، والذين كانوا يرونون بأبصارهم ، مع البابوية ، نحو صقلية ومن فيها من المسلمين (٣٩) . وسار ابن الثمنة فعلا الى رجار ملك النورمنديين ، وعرض عليه وعلى من معه من كبار قاداته تملكهم الجزيرة ، وعندما سألوه عن مدى ما يمكن أن يواجههم من المقاومة ، عرفهم ان عسكر المسلمين مختلفون ، فضلا عن ان أكثرهم تابع له ، يسمع قوله .

وهكذا كان على النورمنديين المستقرين بكلابريا أن يسيروا مع ابن الثمنة فى شهر رجب سنة ٤٤٤ هـ / أكتوبر - نوفمبر ١٠٥٢ م ، وهم مطمئنون الى بلاد المسلمين ، « فلم يلقوا من يدافعهم ، واستولوا على ما مروا به فى طريقهم » . ولكنهم عندما قصدوا قصر يانة وحاصروها ، خرج اليهم

(٣٧) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ - حيث النص على أنه نتيجة لمشادة كلامية بين ابن الثمنة وزوجته ، أخت ابن الحواس ، أثناء مجلس شراب وسكر ، أمر ابن الثمنة بفصدها ، وتركها لتتوت لولا أن أنقذها ابنها ابراهيم بالأطباء . ورغم قبولها عذر زوجها بسبب السكر ، فانها دبرت زيارة لابن الحواس لى تخبره بما ألم بها ، فحلف ألا يميدها الى زوجها ابن الثمنة .

(٣٨) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ .

(٣٩) انظر أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ، الترجمة ، ص ٣٧٣ - حيث خطر النورمان بجنوب ايطاليا منذ تزعمهم روبرت جيسكارد ، وهو أخو روجر الذى وقع على عاتقه اقامة دولة نورماندية فى كلابريا ، قبل التطلع الى صقلية بتحريض من البابا سنة ١٠٥٩ م / ٤٥٩ هـ .

ابن الحواس ، فلما هزمه النورمنديون عاد الى حصنه ، فرحلوا عنه ، وساروا في الجزيرة ، واستولوا على مواضع كثيرة ، من حيث هجرة جماعات من أهلها الى أفريقية ، وخاصة من العلماء والصالحين - ممن يحرصون على دينهم أولا وقبل كل شيء (٤٠) . وهذا لم يمنع ما كان دارجا من قبل من هجرة البعض ، بشكل مضاد ، من أفريقية الى صقلية . ففي هذا الوقت ، حيث كانت بلاد القيروان تعاني من افساد العرب الهلالية كان الشاعر ابن رشيق ، الذي كان في خدمة المعز الى جانب ابن شرف ، يركب البحر الى صقلية ، لكي يقيم في مدينة مازر ، في كنتف أميرها ابن منكود الذي تدارس معه كتاب العمدة . وكانت وفاته بمازر في أول ذي القعدة سنة ٤٥٦ هـ / ١٥ أكتوبر ١٠١٤ م (٤١) .

فشل التدخل الزيري في صقلية وضياع الجزيرة :

وأمام ما داهم الجزيرة من خطر النورمنديين سار جماعة من الصقليين الى المعز بن باديس ، وعرفوه بالأحوال المضطربة عندهم بسبب الخلاف ما بين البلديين والأفريقيين ، الأمر الذي استغله الفرنج النورمنديون في الاستيلاء على كثير من أرض الجزيرة ، وطلبوا منه التدخل . وأسرع المعز واستجاب للنداء من جديد وأسرع وأعد أسطولا كبيرا شحنه بالرجال والعتاد على عجل ، ودفعه دفعا الى الاقلاع الى صقلية ، الأمر الذي يعتبر مغامرة قد لا تحمد مغبتها بسبب دخول فصل الشتاء . وفعلا ما أن وصلت المراكب الى جزيرة قوصرة (بنتلاريا) ، شمال تونس ، حتى هاج عايبها البحر ، فغرق أكثرها ولم ينج منها الا اليسير - الأمر الذي يخشى معه أن تكون هي نفس حملة ٤١٦ هـ / ١٠٢٦ م (ما سبق ، ص ٤٨٨ وهـ ٣٠) .

والمهم أنه اذا كانت رواية ابن الأثير تعلق على ذلك بقولها : « وكان ذهب هذا الأسطول مما أضعف المعز ، وقوى عليه العرب حتى أخذوا منه البلاد » ، فما هو أحق من ذلك ما قررته الرواية بعدئذ من القول : فملك .

(٤٠) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٦ - ١٩٧ . هذا ، ولو ان المعروف في الجانب الفرنجي ان روجار لم يبدأ غزوته لصقلية الا في سنة ١٠٦١ م / ٤٥٣ هـ - أي بعد حوالي عشر سنوات - عندما عبر خليج ميسينا واستول على مدينة ميسينا نفسها ، ووصله الى قصر يانة . ولو انه رجع بعد ذلك الى ايطاليا ، انظر أرشيبالد لويس ، القرى البحرية ، الترجمة ، ص ٣٧٤ ، وقارن ادريس (هـ ٠ ر ٠) ، الزيريون بالفرنسية ، ص ١٧١ - حيث عرض كثير من الاحتمالات لتفسير ذلك الخلاف التاريخي .

(٤١) انظر النموذج الزمان في شعراء القيروان لابن رشيق ، تحقيق المطوى ، تونس ،

حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة ، لا يمنهم أحد ، واشتغل صاحب أفريقية بما دهمه من العرب ، ومات المعز سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م (٤٢) .

وقد تميم بن المعز بارسال الأسطول والعساكر الى الجزيرة ، بقيادة ولديه : أيوب وعلي . وسار أيوب بالعسكر الى المدينة : بلرم ، بينما نزل على بالأسطول على جرجنت . ثم ان أيوب انتقل الى جرجنت حيث استضافه ابن الحواس في قصره ، وقدم اليه الهدايا الكثيرة . ولكن ابن الحواس لم يلبث أن نهشته الفيرة عندما نجح أيوب في اكتساب محبة أهل جرجنت ، وانتهى الأمر بأن ساءت العلاقة بينهما حتى سار ابن الحواس لقتال أيوب الذي وقف الى جانبه الجرجنتيون . وأسفرت الحرب عن مقتل ابن الحواس بسهم طائش ، وبذلك آلت رئاسة جرجنت الى أيوب باختيار العسكر (٤٣) .

ولم يدم الوفاق طويلا بين الأمرين الزيريين وبين الصقليين ، اذ قامت الفتنة بين أهل المدينة : بلرم ، وعبيد تميم ، وعندما زاد الشر بين الفريقين اجتمع أيوب مع أخيه علي ، وقررا الرجوع في الأسطول الى أفريقية ، وذلك سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م ، وبصحبتهم عدد من أعيان صقلية ومن القواد (٤٤) .

ولا بأس أن يكون من أسباب الخلاف بين المجاهدين الصقليين والعسكر الزيريين ، عدم التوفيق الذي لقيته القوات الزيرية في مواجهتها للفرنسج النورمنديين . ففي سنة ٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م ، لقيت القوات الزيرية هزيمة على أيدي النورمنديين في موقعة ميسيلمرى (Miselmeri) ، على مسافة ٩ أميال من شرق العاصمة بلرم . وبعد العودة الى أفريقية يقف الزيريون مكتوفي الأيدي أمام استطالة النورمنديين على المسلمين الذين لم يبق بين أيديهم سوى مدينتي قصرية وجرجنت . فهم يهاجمون سواحل إيطاليا الجنوبية ، في كلابريا حيث تعرضوا لمدينة نيكوترا لتخفيف العبء عن المجاهدين الصقليين ، كما قاموا بمحاولة ثانية عند جرجنت سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م ، ولكن الملك روجر النورمندی دفعهم بعيدا عن سواحل الجزيرة (٤٥) . ومن الواضح ان مثل هذا التدخل من جانب الزيريين كان من الأسباب التي دفعت الجنوبيين والبيسانيين الى مهاجمة زويلة والمهدية سنة ٤٨٠ هـ /

(٤٢) ابن الأثير ، ج ٢٠ ص ١٩٧ .

(٤٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٧ .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٩٨ .

(٤٥) انظر تقي الدوى ، صقلية ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

١٠٨٨م (٤٦) .

والمهم أن ترك الزيريين صقلية كان يعنى تركها غنيمة سهلة للنورمنديين الذين لم يبق أمامهم ما يحول وأخذهم الجزيرة كلها . وهكذا سم يبق بين أيدي الصقليين غير قصر يانة وجرجنت اللتين حصروهما النورمنديون ، وضيقوا على المسلمين بهما حتى جاعوا ، فكان تسليم أهل جرجنت سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٨م ، بينما صمد أهل قصر يانة طوال ٣ (ثلاث) سنوات صعبة حتى « أذعنوا الى التسليم سنة ٤٨٤هـ / ١٠٩١م .

وبذلك ملك رجار النورمندى جميع الجزيرة وأسكنها اروم واغرنج مع المسلمين ، ولم يترك لأحد من أهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ، بمعنى ابعادهم عن التصرف فى المرافق العامة ، حذرا . ولقد سلك ولده وخليفته رجار الثانى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م ، الذى أشاد به الادريسي ، طريق ملوك المسلمين فى أصول السياسة ونظم الحكم ، كما أكرم المسلمين وقربهم ، واعتنى بالأسطول حتى فتح جزائر البحر وتطاول الى سواحل أفريقية .

وهكذا كان النصف الأول من القرن الخامس الهجرى منعظا فى تاريخ المغرب ، من حيث أضعف خروج العرب الى أفريقية الدولة الزيرية داخليا ، فأعجزها عن السيطرة على كل أراضيها مما كان سببا فى ظهور المتغلبين ، وخاصة فى مدن الساحل ، الأمر الذى قيد حركة الأسطول الزيرى خارجيا فى النصف الثانى من هذا القرن ، مما أعطى الأسطول البيزنطى وأساطيل الجمهوريات الإيطالية الناهضة ، فى جنوه وبيزا حرية الحركة ، ليس فى جنوب إيطاليا وصقلية وحدها ، بل وفى المهدية نفسها ، الأمر الذى ترك الصقليين الممزقين فيما بينهم يواجهون وحدهم ، الخطر النورمندى ، تماما ، كما ضعف ملوك الطوائف فى الأندلس عن مواجهة الممالك المسيحية الشمالية . التى أخذت تشن عليهم حرب الاسترداد دون هوادة ، الأمر الذى كان ينذر بحل عاجل للمشكلة الأندلسية لصالحهم ، لولا عملية الانقاذ التى تمت على أيدي جماعات البسندو فى صحراء المغرب الجنوبية ، من بربر صنهاجة الملتصين ، الذين جددوا فى المغرب والأندلس ما انقطع على أيدي بنى جلدتهم: صنهاجة أفريقية فى بلاد القيروان وصقلية ، مما يتطلب رسم خريطة لبلاد المغرب فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / ١١م ، تمكن من المقابلة مع ما رسمناه لأفريقية وصقلية .

بلاد المغرب فى منتصف القرن الخامس الهجرى/ ١١ م

الحماديون همزة الوصل ما بين إفريقية والمغرب :

رغم ما قام بين الزيريين من بنى باديس فى القيروان والمهدية وبين أبناء عمومته الحمايين فى القلعة وبجاية من التنافس فى استعراض القوة ، بغية الحفاظ على الاستقلال ، ولو عن طريق التدخل فى الشؤون الداخلية للطرف الآخر ، كما فعل الناصر بن علناس فى مساندته للقواد الثوار فى تونس وفى سوسة ، وفى حصار الأريس وقتل عاملها (١) ، وفى دخول القيروان (٢) ، وفيما كان يرد به المعز وتميم من إثارة السرب الهلالية على الناصر ، كما حدث فى سيبية (ما سبق ، ص ٤٥٤) ، وكما ظهر من الطرفين بمناسبة بناء بجاية (ما سبق ، ص ٤٥٦) ، فان ذلك لم يكن يضير للود قضية بين الطرفين . فبمناسبة خلع المعز الطاعة لبنى عبيد ، يقتدى به القائد ابن حماد ويدعو للعباسيين حتى وفاته سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م (٣) . وبمناسبة ولاية تميم يصله كتاب الناصر بن علناس بالتعزية والتهنئة (النويرى ، ص ٣٤٨) ، وعندما ينهزم الناصر أمام الهلالية يعز على تميم ذلك ، ويرفض أخذ سلبه (ما سبق ، ص ٤٥٥) ، بل ويكون ذلك حافزا على المصالحة ، رغم ما كان قد استقر فى النفوس من الحقد والضغينة التى ظلت تقض المضاجع وتثير الشكوك .

والمهم ان صاحب كل من دولتى المهدية والقلعة حمل تبعاته من هموم التركة الزيرية ، من متاعب الهلالية ، والقطيعة مع الخلافة الفاطمية ، الى جانب الهموم المستجدة مع الانفصال . فقد كان على دولة المهدية أن توجه أنظارها الى الأقاليم الشرقية وما قام بها من تمرد الزناتية وعملهم على الاستقلال ،

(١) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٢٩ - حيث حاصر الناصر بن حماد سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٠٨ م مدينة الأريس ، وكان معه الأتبع من العرب ، وبقي عليها حتى افتتحها وأمن أهلها ، وقتل عاملها أبى مكرز .

(٢) ابن عذارى ، ط . بيروت ، ص ٤٣٠ - حيث وصل الناصر مع العرب الى القيروان ودخلها ، وعاد منها الى قلعتة خوفا من جموع العرب .

(٣) الاعلام لابن الخطيب ، ص ٨٦ - ٨٧ .

كفما تكلف عليها أن تواجه أعمال الشعب في أقاليمها الساحلية ، الأمر الذي شغل الأسطول إلى حد كبير عن التأهب للعدو البحري الذي تعاطم بظهور أساطيل المدن الإيطالية ، وخاصة جنوة وبيزة ، وشغل المهديّة عن مناصرة أصحاب صقلية ، عندما كانت تواجه مسئولياتها التاريخية إزاء أصحاب المصلحة المباشرة من الصقليين ، أهل الجزيرة ، وهم يعانون محنة الاحتلال .

أما عما ورثه الحماديون من هموم المملكة الزيرية فيتعلق بشئون المغرب ، وبخاصة ، من أوسطه في تلمسان إلى أقصاه في فاس . وإذا لم تنتهياً للحماديين ظروف التدخل في صقلية وما وراء البحار بشكل مباشر ، فإن الناصر بن علناس كانت به علاقات طيبة بالبابوية على عهد جريجوري السابع ، إذ تبادل معه الرسائل وإن كانت ظاهرياً بشأن أمور دينية سلمية (ما سبق ، ص ٤٦٧) ، الأمر الذي كان يسمح للناصر بالقيام بالوساطة سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م ، من أجل تخليص علي بن مجاهد من الأسر الذي وقع فيه عندما انهزم والده مجاهد ، صاحب دانية ، في سردينيا أمام البيزانين (٣ م) ، الأمر الذي يقع في نطاق البلاد الحمادية نحو المغرب أيضاً والأندلس ، والذي يجعل من الناصر بن علناس أكبر شخصية بين بني حماد .

تاهرت وتلمسان ما بين أفريقية والمغرب :

لما كانت جغرافية بلاد المغرب بمعنى الشمال الأفريقي - دون مصر - تقضى بأن تنتهي بلاد أفريقية ، وهي بلاد القيروان في عز سلطانها على أيام الأغالبة ، وكما ورثها الفاطميون ومن بعدهم الصنهاجيون بنو زيري ، على تخوم مقاطعة قسنطينة وبلاد القبائل الصغرى ، من حيث تبدأ بلاد المغرب الأوسط بمعناها الجغرافي الاصطلاحي لتشمل بلاد أشير التي أصبحت بلاد بني حماد ثم إقليم الشلف وتاهرت ، وهو ما تقرره نصوصنا التاريخية الخاصة بالدولة الزيرية ، حيث كان خروج الأمير من القيروان إلى أشير هو خروج إلى الغرب ، ورجوعه من أشير إلى المنصورية والمهديّة : عودة من الغرب (ما سبق ، ص ٣٣٦ ، ٣٤٨) ولكنه لما كانت حدود الدولة الحمادية المغربية تنتهي عند مدينة الجزائر ، جزائر بني مزغناي ، بينما كانت تاهرت

٣١ مكرر، انظر عصام سالم سيسالم ، التاريخ الاسلامي لجزر البليار ، بيروت ١٩٨٤ ،

الى عهد قريب معتبرة اصطلاحيا من أفريقية^(٤) ، قبل أن تخلفها تلمسان^(٥) ، كان من الطبيعي أن يكون هناك شد وجذب بين الحمادين أصحاب القلعة وبجاية وبين الزناتية أصحاب تاهرت وتلمسان ، وهو الأمر الدارج بالنسبة لمدن الحدود ، مثلما كانت طرابلس مجال شد وجذب بين مصر وأفريقية ، وكما كانت تاهرت ، وبخاصة تلمسان ، موضع نزاع بين دول المغرب الأوسط ودول المغرب الأقصى - وكان المغرب الأقصى وقتئذ بين أيدي الزناتية .

غلبة زيرى بن عطية (القرطاس) على فاس :

والحقيقة أن الصراع بين صنهاجة وبين زناتة ، من أجل السيطرة على تاهرت وفاس وسواحلها في أرشقول وتلمسان ، كان سجلا لفترة طويلة منذ أيام الفاطميين وحتى استقلال بلقين ، وحيث شارك فيه الأمويون في الأندلس ، وانتهى بغلبة الزناتية من بنى خزرون ، حيث استقل زيرى بن عطية المغراوي المعروف بالقرطاس ، واتخذ فاس دار ملك له منذ ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، ودعا لهشام المؤيد خليفة قرطبة ، وخرج على المنصور بن أبى عامر (ما سبق ، ص ٣٦٣) ، كما نجح بنو خزرون في الاستقلال أيضا بطرابلس بمعرفة سعيد بن خزرون ثم أخيه وروا من بعده ، وذلك بمعاونة الخلافة الفاطمية بالقاهرة (ما سبق ، ص ٤٤٤) - فكان الزناتية المغراوية كانوا يخططون لتطويق الدولة الزيرية من غربها الى مشرقها .

بناء وجدة :

والمهم ان زيرى بن عطية استقل بملك المغرب ، وبنى مدينة وجدة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م ، واتخذها عاصمة لمملكته ، كما غلب صنهاجة على تاهرت وتلمسان وما يتبعها ، وأقام فيها الدعوة لهشام المؤيد . وبعد وفاته سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، خلفه ابنه المعز بن زيرى على أملاكه بمبايعة زناتة له في نفس السنة ، وتأكد ذلك بعد أن صالح عبد الملك المظفر بن المنصور بن

(٤) ابن حوقل ، ص ٩٣ - حيث تعتبر تاهرت من كورة أفريقية عند الجميع ، وهو ما يتفق مع واقعا على عهد الفاطميين والزيريين ، بينما كانت في القديم مفردة السمل والاسم والدواوين ، بينما هو عند الاستبصار (ص ١٧٨) من مدن المغرب الأوسط المشهورة وبها قبائل البربر من مطفرة وزناتة ويخالطون من أفريقية بنزقية الهلالية ومن جهة المغرب بلاد مسوفة .

(٥) وتلمسان قاعدة المغرب الأوسط عند كل من البكري (ص ٧٦) والاستبصار (ص ١٧٦) ، كما كانت دار مملكة زناتة ، بينما لا يحدد ابن حوقل كورتها (ص ٨٨) .

— ٤٩٩ —

ابن عامر ، الذي عهد اليه سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، بمدينة فاس ونسائر أعمال المغرب ، مدنه وبواديه ، بعد أن عزل واضحا مولاه عنها ، وصرقه الى الأندلس .

بنو يعلى الزناتية في تلمسان

وملحمة أبي سعدى والهلالية :

وفيما يتعلق بتلمسان فقد آلت الى يعلى بن محمد الذي نزلها ، وصارت ملكا ، خالصة له ولعقبه من بعده ، حيث استوثق ملك بنو يعلى بتلمسان على عهد بنو حماد الذين ضعفوا عن دفاعهم (٦) . وعندما دخل الهلالية بلاد القلعة ، استخلص الحماديون الأثبج منهم وزغبة ، واستظهروا بهم في حرب الزناتية بالمغرب الأوسط . وهكذا قامت بينهم وبين بنو يعلى أمراء تلمسان ، الذين جمعوا من كان اليهم من بنو واسين وبنو مريـن ، وبنو عبد الواد ، وعهدوا بالقيادة ضد الهلالية الى وزيرهم أبي سعدى خليفة اليفرنى . ووقعت الحرب التي أظهر فيها الوزير أبو سعدى بطولات مرموقة ، وذلك على عهد الأمير يحيى (ابن يعلى) ، وفي ميادين حروبهم التي اعتادوا عليها فى أطراف بلاد الزاب والمغرب الأوسط . وهنا يتص ابن خلدون على أن وزير يحيى وقائد حروبه أبا سعدى بن خليفة الزناتى اليفرنى ، كان كثيرا ما يخرج بالعساكر من تلمسان فى نضاله لعرب الأثبج وزغبة ، وأنه خلال بعض تلك الملاحم هلك هذا الوزير أبو سعدى ، وذلك سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، الأمر الذى ترتب عايه غلبة الهلالية على جميع الضواحي بالزاب وأفريقية ، وانسحاب بنو واسين ومن اليهم الى صحراء المغرب الأوسط (٧) .

غارة حمادية على فاس :

وبعد هلاك يحيى وولاية ابنه العباس بن يحيى ، ملك المرابطون أعمال المغرب الأقصى . وسرح يوسف بن تاشفين قائده مزدلى فى عساكر لتونة لحرب من بقى بتلمسان من مغراوة ، ومن لحق بهم من فل بنو زيرى ، فظفر بـيعلى بن العباس بن يحيى الذى خرج اليه قانهمزم وقتل ، بينما عاد مزدلى

(٦) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٤٥ .

(٧) المعبر ، ج ٦ ص ٤٥ . حيث : اسم الوزير أبو سعيد ، ص ٦١ . حيث الاسم

أبو سعدى .

الى المغرب (٨) . وقريب ذلك الوقت ، في سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، تشير رواية ذات طابع قصصى ، لابن الخطيب ، الى أن بلقين بن محمد صاحب القلعة الحمادية ، قام بغارة جريئة على فاس جعلت يوسف بن تاشفين الذى كان يدوخ بلاد المغرب ، وقتئذ ، يكرر راجعا الى الصحراء ، خوفا منه (٩) ، فكان زنادة المغرب الأوسط فى تلمسان ، وكذلك فى المغرب البعيد ، كانوا قد وقعوا - على كل حال - فى منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، بين شقى رحى صنهاجة أفريقية الزيريين ، وبين صنهاجة صحرأوات المغرب الأقصى ، من المثلثين المرابطين .

امارة فاس الزناتية :

بنو موسى بن أبى العافية :

عندما قامت الخلافة الفاطمية فى القيروان سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، كانت الامامة الادريسية فى فاس تعيانى من الضعف والتفتت ، سواء فى فاس أو فى ساحل تلمسان والعدوة فى سبتة وطنجة . وهكذا عجل وصول

(٨) العبر ، ج ٦ ص ٦١ .

(٩) أنظر ابن الخطيب ، الاعلام ، ص ٨٧ - ٨٨ - حيث النص على انه فى صفر سنة ٤٥٤ هـ / فبراير ١٠٦٢ م ، تحرك بلقين بن محمد بن حماد - ثالث بنى حماد ، بعد القائد بن حماد وابنه محسن - من القلعة لحرب زنادة ، وكان بلغه ظهور يوسف بن تاشفين ببلاد المصامدة ، فتحرك حتى نزل بفاس ففتحها وجلس بلاد المغرب ودوخها ، وأنه عندما بلغ يوسف بن تاشفين خبره كسر راجعا الى الصحراء خوفا منه الى أن قبض الله الناصر (ابن علناس) ، أحد بنى عمه ، . . . ففرق بين روحه والجسد - نقلا عن ابن بسام فى الذخيرة ، حيث يصف بلقين هذا بأنه أحد جبابرة الاسلام . . . رجل كان لا يملأ يده الا من لبدة أسد . . . غاية من سلف من جبابرة الأرض . . . هذا ، كما انه كان يستطيع أن يقوم بالغارة على فاس ، وهو يقطع مجلس وراجه ، ليعود من الغزو مستأنفا مجلس نفسه ، فيشرب من نفس الكأس الذى تركه مختوما . . . ولا بأس أن يكون المقصود بذلك غارة سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م ، على فاس الأمر الذى يشكك فى صحة المصدر الأدبى . . . ولا شك ان القرابة بين الحماديين من بنى زيرى وبين اللمتونيين من رجال يوسف بن تاشفين ، من حيث العرق الصنهاجى الواحد ، قرينة على ما نذهب اليه من زيف النص . . . وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث زحف صاحب القلعة بلقين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة ٤٥٤ هـ ، ودخوله على المرابطين فى فاس ، التى تركها الفتوح ، وأسترحن بعض أشرافهم (من المرابطين) على الطاعة ، ورجع الى عمله ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٧٢ ، ج ٧ ص ٣٦ - حيث النص على ان بلقين (بن حماد) زحف الى المغرب سنة ٤٥٤ هـ على عمادتهم فى غزوهم ، وأنه دخل فاس واحتل من أكابرهم وأشرافهم رهبا . .

الفاطميين الى فاس منذ سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م ، بسرعة اضمحلال ملك الادارسة فى تلك الاقاليم ، وساعد على أن يحل محلهم موسى بن أبى العافية زعيم قبيله مكناسة ، وان يخلفه بنوه فى سيادة المغرب وفاس تحت الرايات الأندلسية لعبد الرحمن الناصر ومن بعده هشام المؤيد والمنصور بن أبى عامر . ولكن موسى بن أبى العافية وبنوه لم يستطيعوا مطاولة بنى خزر الزناتية الذين طاولوا صنهاجة فى السيطرة على المغرب ، وقتلوا زيرى بن مناد ، وخاصة عندما ظهر زيرى بن عطية المغراوى ، الذى قربته المنصور العامرى ، وحاول أن يحتويه ، لولا طموح زيرى الذى لا يحد .

هذا ، ولو أن بنى موسى بن أبى العافية ظلت لهم مكانتهم فى المغرب على كل حال . ففى مطلع القرن الخامس الهجرى/١١ م ، كان اسماعيل بن البورى بن موسى بن أبى العافية يناصر حماد بن بلكين فى حربه مع ابن أخيه باديس بن المنصور ، وهلك اسماعيل فى تلك الحرب فى معارك وادى شلف سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م (١٠) . بل وظل حفدة موسى بن أبى العافية حتى قيام المرابطين . ففى سنة ٤٠٥ هـ/١٠١٤ م كانت وفاة ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ، وولاية ابنه عبد الله (أبو عبد الرحمن) الذى توفى سنة ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م ، وخلفه ابنه محمد الذى توفى سنة ٤٤٦ هـ/١٠٥٤ م ، وولى بعده ابنه القاسم . والقاسم بن محمد هو الذى زحف الى المرابطين عندما غلبوا على أعمال المغرب .

فلقد زحف القاسم بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابراهيم ابن موسى بن أبى العافية الى المرابطين بوادى صفرو ، بعد أن استدعى أهل فاس ، وطلب النجدة من زناتة ، بعد مهلك معنصر المغراوى سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م ، ونجح فى هزيمة المرابطين . ولكن القاسم بن محمد لم يستطع الوقوف أمام يوسف بن تاشفين الذى هزمه مع من ناصره من جمع مكناسة وزناتة سنة ٤٦٣ هـ/١٠٧١ م ، واقتحم فاس عنوة ، فكانت نهاية ملك مكناسة من المغرب ، متزامنة مع انقراض ملك مغراوة الزناتية (١١) .

(١٠) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

(١١) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ .

بنو خزر المغراويون وغلبة صاحب سلا :

أبي الكمال تميم اليفرنى على فاس :

والمهم بالنسبة لبنى خزر الزناتية أن المظفر عبد الملك بن المتصور تمكن من تدجين المعز بن زيرى بن عطية عندما خلف والده ، وذلك اعتبارا من سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م (ما سبق ، ص ٥٠٢) ، حيث تكرست دولة زناتة فى فاس . فبعد المعز بن زيرى بن عطية الذى توفى سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م ملك ابن عمه حماسة بن المعز بن عطية المغراوى . وقام عليه الأمير تميم بن زيرى بن يعلى بن محمد اليفرنى صاحب شالة وتادلا وما اليها ، وهو من بنى يلدو بن يعلى ، وزحف اليه فى قبائل يفرن الى فاس . وخرج الأمير حماسة الى لقائه فى قبائل مغراوة ، وانتهى اللقاء فى جمادى الثانية ٤٢٤ هـ / مايو ١٠٣٣ م ، بهزيمة حماسة الذى فر الى وجدة ، من أحواز تلمسان ، تركا فاس لكى يدخلها تميم بن زيرى الذى تكنى بأبى الكمال (١٢) .

وعرف أبو الكمال بالتشدد فى دينه ، وإن كان الغالب عليه الجهل ، حسبما تقول رواية ابن أبى زرع فى القرطاس . فهو يوقع بيهود فاس موقعة عظيمة فيقتل منهم أكثر من ٦ (ستة) آلاف رجل ، ويأخذ أموالهم ، ويسبى نساءهم . هذا ، كما كان أبو الكمال مولعا بجهاد برغواطة ، فكان يغزوهم مرتين فى كل سنة ، فيقتل ويسبى ، وظل على ذلك الى أن توفى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م (١٣) .

والمهم أن اقامة أبى الكمال فى فاس طالت الى أكثر من خمس سنوات حيث تمكن حماسة من الذهاب الى تنس لحشد مغراوة ، وتمكن من طرد تميم من فاس الى مدينة شالة ، حيث بدأ فيها دولته الثانية اعتبارا من ذى الحجة

(١٢). العبر ، ج ٧ ص ٣٥ - حيث النص على ان حماسة ابن عم المعز بن زيرى وليس ابنه ، كما يزعم بعض المؤرخين ، القرطاس ، ص ١٠٩ ، وقارن صبح الاعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ .
(١٣). القرطاس ، ص ١١٠ - حيث الاشارة الى ان الرجل المجاهد بلغ طبقة الاولياء أصحاب الكرامات ، وذلك أنه عندما قتل ابنه سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠م فى حرب لموتونة وجرى به لدفنه فى قبر أبيه ، أبى الكمال تميم ، سمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهد ، فبنشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء . وعندما رآه أحد قرابته فى المنام وسأله عن ذلك التكبير والتسبيح ، قال : ملائكة وكلهم للآل . ويكون أجر ذلك لى ، وقال وبم نلت ذلك ، قال بجهادى فى الكفرة برغواطة ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٥ - حيث النص على اكتساح تميم اليهود واصطلام نعمهم واستباحة حريمهم دون النص على العدد ٦ (ستة) آلاف .

— ٥٠٣ —

سنة ٤٢٩ هـ / نوفمبر ١٠٣٨ م ، والتي انتهت بوفاته سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م .

والظاهر أن غزو اليفرنيين في سلا لمدينة فاس على عهد حماسة شجع القائد بن حماد على القيام في سنة ٤٣٠ هـ / ٣٠ - ١٠٣١ م ، بغارة على فاس انتهت بالصلح نتيجة لشراء القائد زعماء زناتة (١٤) .

وبعد تميم أبي الكمال ولى ابنه حماد الذى توفى سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ، وولى ابنه يوسف الذى توفى سنة ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م ، فولى بعده عمه محمد بن الأمير أبي الكمال تميم الذى هلك في حروب لمتونة حين غلبوهم على المغرب أجمع (١٥) .

دوناس بن حماسة : محضر فاس :

أما حماسة (ابن المعز بن عطية المغراوى) فلم يبق طويلا فى ملك فاس وأعمالها فى المغرب ، اذ توفى سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م (١٦) ، وبعدم آلت امارة فاس الى ابنه دوناس ، المعروف بأبى العطف ، مع جميع ما كان بيد أبيه من المغرب .

وفى عهد دوناس بن حماسة ساد الأمن والدعة ، الأمر الذى أدى الى انتشار الرخاء . وهكذا عظمت فاس على أيامه ، وعمرت وكثرت أرباضها ، وصارت مقصد الناس والتجار من جميع البلاد . وكان لدوناس نشاطه فى عمران فاس ، فهو الذى أدار الأسوار حول الأرباض ، كما بنى المساجد والحمامات والفنادق . وفى ذلك يقول ابن أبى زرع « لم يشغل دوناس من يوم ولى الى أن توفى الا بالبناء والتشييد ، فهو صاحب الفضل فى جعلها « حاضرة المغرب » . وبذلك يكون دوناس من أصحاب الفضل فى تحويل دولة مغراوة الزناتية الى دولة حضارة ومدنية .

(١٤) ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٥ .

(١٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢١ .

(١٦) القرطاس ، ص ١١٠ - حيث الاشارة الى أن أبا الكمال تميم بقى فى فاس ٧ سنوات

ومرة أخرى الى الاختلاف فى ذلك ما بين ٥ سنوات و ٧ سنوات . وقارن المعبر ، ج ٧ ص ٣٥ ، الذى ينقله القلقشنبدى فى صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على وفاة أبى الكمال فى شالة سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م بدلا من سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م ، كما فى المعبر ، ج ٧ ص ٢١ .

المغراويون الأواخر في فاس :

صراع الأخوة بين الفتوح وعجيسة :

وكانت وفاة دوناس بفاس في شهر شوال سنة ٤٥٢ هـ / نوفمبر ١٠٦٠ (١٧) .

وآلت الدولة الى ولدى دوناس ، وهما : الفتوح وعجيسة . والحقيقة أن المسألة لا تتعلق بتقسيم الدولة بين الأخوين ، إذ كان الابن الأكبر ، وهو الفتوح ، صاحب الأمر ، واتخذ عدوة الأندلس مقرا له ، وجعل أخاه الأصغر عجيسة واليا على عدوة القرويين . الأمر الذي يفهم منه أن مدينة الأندلس كانت الأكبر وقتئذ ، بينما يصف ابن أبي زرع عجيسة بأنه الأصغر سنا ، ولكنه شهيم ، بمعنى طموح على ما نظن . فهذا ما يفسر كيف أنه لم يلبث أن قام بشن الحرب على أخيه الفتوح ، وهو الأمر المقبول بالنسبة لأصول السياسة حسبما أقرها المعز لدين الله في وصيته لبلقين ، وهي الحكمة المستفادة من واقع الأحداث الانسانية ، حسبما تقضى به نزعات النفس البشرية .

والمهم أن الأخوين كانا مستعدين للصراع المتوقع بينهما ، وأعدا له عدته . فالفتوح ، الذي ينسب اليه باب الفتوح بسور فاس القبلي ، كان قد بنى قصبة (أى قلعة) منيعة بعدوة الأندلس بالموضع المعروف هناك ، بحجر الكذان الصلب . وفي المقابل بنى عجيسة أيضا قصبة مثلها بعدوة القرويين ، في الموضع المعروف بـ « رأس عقبة الصعتر » ، حيث الباب الذي ينسب اليه هناك ، فهو باب عجيسة المشهور بباب الجيسة .

وفي العداء بين الأخوين ، يقول ابن أبي زرع أنها كثرت حتى كان القتال بينهما يدور ليلا ونهارا (١٨) ، الأمر الذي أدى الى الخوف وغلاء الأسعار وانتشار المجاعة ، الى أن تخلص الفتوح من أخيه عجيسة غدرا ،

(١٧) القرطاس ، ص ١١١ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على وفاة دوناس سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م .

(١٨) القرطاس ، ص ١١١ ، وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ - حيث النص على ان الولاية كانت لفتوح وناظر عليه اخوه الأصغر عجيسة واستولى على عدوة القرويين . وان باب عجيسة هو باب الجيسة حيث حدثت العين - وان الفتوح ظفر بعجيسة وقتله سنة ٤٥٣ هـ / ١٠٦٢ م .

سنة ٥٥٣ هـ / ١٠٦١ م ، وكان كل ذلك مما سهل على لمتونة الاستيلاء على اطراف البلاد ، الى أن ينزل على الفتوح عسكر لمتونة سنة ٥٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ، ويضطر الى التخلي عن فاس لابن عمه معنصر بن حماد بن معنصر ابن المعز بن زيري بن عطية سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م ، الذي فقد في حرب سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م ، فقام مقامه ابنه تميم (ابن معنصر) ، آخر الزناتية المفراويين في فاس (١٩) .

امارة سجلماسة الزناتية :

نجح خزرون بن فلفول الزناتى في القضاء على الأسرة المدراية الحاكمة في سجلماسة سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م ، وحكمها باسم هشام المؤيد ، خليفة قرطبة . ولم تنجح حملة بلكين بن زيري في استعادتها الا بصفة عابرة ، حيث مات دون ذلك سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٣ م (ما سبق ، ص ٣٤٣ وما بعدها) ، فان ذلك كله يعنى تكريس استقرار الزناتية في تخوم الدولة الصنهاجية الغربية ، في نهاية القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، ومطلع القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، تماما ، كما فعلوا في الاطراف الشرقية لدولة القيروان والمهدية باستقرارهم في طرابلس ونفزاوة .

وبعد وفاة خزرون خلفه ابنه وانودين بن خزرون في حكم سجلماسة واعمالها ، الى أن غلب زيري مناد عليها ، فعقد حميد بن يصل الكناسي عليها . ثم ان المظفر عبد الملك بن أبى عامر أعاد وانودين الى ولاية سجلماسة بعد وفاة بلكين بن زيري (٣٧٣ هـ / ٩٨٣) نظير ضريبة سنوية يؤديها اليه ، وذلك قبل أن يستقل بها سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م . وعندما عهد عبد الملك المظفر بولاية المغرب الى المعز بن زيري بن عطية المغراوى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، استثنى عليه ولاية سجلماسة من حيث كانت بيد وانودين بن خزرون (٢٠) . واذا كان المعز بن زيري قد نجح في تحقيق

(١٩) القرطاس ، ص ١١٣ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٦ - حيث النص على انشغال معنصر بن حماد بحروب لمتونة ، وأنه كانت له عليهن الوقعة المشهورة سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م وأنه بعد خروجه من فاس الى شمارة عاد وملكها وقتل العامل المرابطى ومن معه من لمتونة ، ومثل بهم بالحرق والصلب . ثم أنه زحف الى محمد بن يوسف الكتروانتي صاحب مكناسة وقد كان دخل في دعوة المرابطين فهزمه وقتله ويعث برأسه الى سكوت البرغواطى صاحب سبتة ... وقارن صبيح الاعشى ، ج ٥ ص ١٨٧ .

(٢٠) انظر صبيح الاعشى ، ج ٥ ص ١٦٨ ، ابن خلدون ، ج ٧ ص ٣٨ - حيث تحديد سنة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٥ م تاريخا لذلك العهد .

أمله في ضم سجلماسة الى أملاكه في فاس وغيرها ، فان ذلك كان قد حدث سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، في فترة اضطراب الدولة العامرية بالأندلس (٢١) .

ولكن وانودين حشد بنى يفرن ونهض سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م الى المعز بن زيرى بن عطية ، « فهزموه » ، ورجع الى فاس في فل قومه ، وأقام على الاضطراب من أمره الى أن هلك سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م . (٢٢) . وهكذا استفحل ملك وانودين ، من حيث أضاف الى سجلماسة بعض أعمال المغرب ، مثل : صفروى من أحواز فاس ، وقصور ملوية التى ولى عليها من أهل بيته . وبعد وانودين ولى ابنه مسعود ، وظل فى الحكم الى أن خرج عبد الله بن ياسين ، شيخ المرابطين ، فكانت نهاية مسعود بن وانودين بإيدى المرابطين ، سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م ، وملكهم لسجلماسة التى دخلت فى دولتهم من ذلك الحين (٢٣) .

سببة وطنجة : مجاز العدو الأندلسية ، منطقة نفوذ بنى حمود الأدارسة :

كانت منطقة غمارة أو جبال الريف من مناطق نفوذ الأدارسة منذ وقت مبكر ، كما زادت أهميتها بالنسبة لهم منذ انقراض دولتهم فى فاس واستقرارهم هناك ، ومع انهيار خلافة قرطبة منذ أوائل القرن الخامس الهجرى / ١١ م ، حسن الأدارسة من بنى حمود مركزهم ، ليس فى العدو الافريقية فقط ، بل وفى الأندلس أيضا ، حيث دخلوا بقيادة الأخوين : القاسم وعلى بن حمود فى حملة أنصار المستعين ، وعن هذا الطريق آلت ولاية « الجزيرة الخضراء » من العدو الأندلسية الى القاسم ، بينما رد المستعين ، بصفته ولى عهد خلافة قرطبة بتعيين المؤيد هشام ، على ولاية طنجة ، التى كانت لهم من قبل ، كما كانت ولايتها أمنية عزيزة على زيرى

(٢١) القرطاس ، ص ١١٧ ، أحداث سنة ٤٠٣ هـ ، وذلك بمناسبة عرض ملحق للأحداث الخاصة بالدولة الزيرية فى فاس ، دون بيان الأسباب او النتائج ، وهو ما توضحه رواية ابن خلدون (العبر ، ج ٧ ص ٣٤) - حيث الاشارة الى ان المنظر ابن أبى عامر كان عهد للمعز بن زيرى بولاية المغرب ما عدا كورة سجلماسة التى كانت لوانودين بن خزرون ابن فلفول ، ولما افترق أمر الجماعة بالأندلس . . . استحدث المعز بن زيرى بن عطية التغلب على سجلماسة .

(٢٢) العبر ، ج ٧ ص ٣٤ .

(٢٣) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ١٦٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٣٤ - حيث تسجيل

الحدث فى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م .

ابن عطية المخرأوى ، عندما عاد نافرا من حضرة المنصور بن أبى عامر سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م ، فنزل بطنجة ، وهو يقول : وقد « وضع يده على رأسه : الآن عامت أنك لى » (٢٤) .

خلافة على بن حمود بقرطبة :

وعن طريق طنجة نجح على بن حمود فى الجواز الى قرطبة والخلافة سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وتلقب بالناصر لدين الله ، وعندما قتل فى السنة التالية (٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م) حل أخوه القاسم محله ، وتلقب بالمأمون . وإن غلبه يحيى بن أخيه على الذى تلقب بالمعتلى بالله ، على ملك قرطبة بعد ذلك سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م . وإذا كانت دولة بنى حمود قد انقطعت بقرطبة بمقتل يحيى بن على عندما كبا به فرسه ، فإن أخاه ادريس بن على تم له الأمر بمالقة ، وتلقب بالمتأيد بالله ، سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م . وكانت له سبتة وطنجة (٢٥) .

الحموديون بمالقة والمرية ومليلة :

وبعد ادريس انقسم بنو حمود الى فرعين ، أحدهما بقى بالأندلس فى مالقة وأحوازها ، وقام به ابنه محمد (ابن ادريس) الذى خطب له بالخلافة وتلقب بالمستعلى . وبقى محمد بن ادريس فى مالقة الى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، حينما انتقل الى المرية لما تغلب عليه أمير غرناطة الصنهاجى : باديس بن حبوس . وهنا كان على محمد (ابن ادريس) أن يلجأ نداء أهل مليلة الذين استدعوه ، فسار اليهم ، وتولى أمر المدينة بمعاونة بنى ورتندى ، وبسطة سلطانه على نواحيها (٢٦) .

(٢٤) القوطاس ، ص ١٠٤ (عن طنجة وزيرى ، وأنظر فيما سبق ، ص ، وصبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧) عن بن حمود والأدارسة .
(٢٥) عن ملك بنى حماد بالأندلس ، أنظر ابن عذارى ، ج ٣ ص ١١٩ وما بعدها . حيث تفصيلات الولاية لمرة أو أكثر مع تحديد تواريخها ، وهى ١٣١ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٨٨ عن ولاية يحيى بن على التى آلت اليه شريش ومالقة والمرية وسبتة ثم ولاية ادريس بن على وقارن صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧ .

(٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٩٩ ، ط : بيروت ، ج ١ ص ٤٢٩ ، وعن باديس بن حبوس بن ماركمن الصنهاجى أمير غرناطة ، أنظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٣٥٧ - حيث النص على ولايته بعد أبيه حبوس سنة ٤٢٩ هـ / ٣٧ - ١٠٣٨ م ، وتلقب بالمظفر . وأنه صاحب الفضل فى تمسك غرناطة ، فهو الذى اختط قصصتها ، وشيد قصرها وحسن أسوارها ، وأنه مات فى سنة ٤٧٧ هـ / ١٠٨٤ م ، وقد ظهر أمر المرابطين ، وإن حافده =

الحسن بن علي المستنصر بسبته :

أما الفرع الحمودي الآخر ، فقد قام بأمره البربر الذين بايعوا صاحب سبته حسن بن علي الذي تلقب بالمستنصر ، سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م ، ومات مسموما سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م (٢٦ م) . والمهم أن ابن حزم الذي ينقله ابن عذاري ، ينص على أنه كان في سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م ٤ (أربعة) خلفاء ، وهو ما يصفه بالفضيحة التي لم ير مثليا ، أولهم خليفة قرطبة « المدعي هشام » ، وإلى جانبه ٣ (ثلاثة) خلفاء من أدارسة بني حمود ، وهم : محمد بن ادريس بمالقة ، ومحمد بن القاسم بالجزيرة الخضراء ، وادريس ابن يحيى بسبته (٢٧) . والمهم أن خلافة الجزيرة الخضراء الحمودية انتهت على عهد القاسم بن محمد بن القاسم الذي توفي سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، في قلب عصر الطوائف بالأندلس (٢٨) ، قبيل تدخل المرابطين في الأندلس .

تغلب الحاجب سكوت بسبته :

وقريب هذا الوقت كان قد استقل بكل من سبته وطنجة أحد موالى بني حمود ، وهو الحاجب سكوت البرغواطي ، الذي خضعت له قبائل غمارة . وبعد استيلاء المرابطين على فاس ، ونهاية دولة مغراوة بها ، كان

عبد الله بن بلكين هو الذي قبض عليه يوسف بن تاشفين ونحاه عن الامارة عندما نزل بفراطة سنة ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م ، وعن بني « ورتدي » (بدون نون) سكان مليلة ، انظر البكري ، ص ٨٨ - حيث النص على ان بني البوري بن موسى بن أبي العافية جدودها (مليلة) . وان عبد الرحمن الناصر عندما افتتحها سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م بني سورها معقلا لموسى بن أبي العافية - وفي ذلك قال أحمد بن محمد بن موسى الرازي :

ذلت لها تاهرت والامارة ونم يطلق بياها العمالقة

(٢٦ مكرر) انظر صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٧ ، وقارن ابن عذاري ، ج ٣ - حيث النص على أنه في سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م كان ادريس بن علي أخو حسن بن علي ومنافس ابنه يحيى في الامامة يجوز الى مالقة حيث توفي مسموما ، وأنه في سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م خرج ادريس بن علي من سجته وبوبع ، وسمى بالعالي ، وأنه في سنة ٤٣٨ هـ / ١٠٤٦ م خلفه ابن عمه محمد بن ادريس (ص ٢١٦) ، الذي مات مسموما سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، بينما كان بالجزيرة الخضراء : محمد بن القاسم بن حمود (ص ٢١٨) .

(٢٧) ابن عذاري ، ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٢٨) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٢٤٨ ، وقارن ابن عذاري ، ج ٣ ص ٢١٨ - حيث تعتبر الرواية أن خروج القاسم بن محمد بن القاسم من الجزيرة الخضراء على يد ابن عباد هو نهاية ذرية بني القاسم في الأندلس ، بعد اقامة دامت ٥٨ سنة ، وذلك انه يضعها بعد تغلب باديس (بن حبوس) صاحب غرناطة على مالقة ، واخراج المستعلي (محمد بن ادريس) منها سنة ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م .

٥٠٩٦ -

على يوصف بن تاشفين أن يسير الى بلاد غمارة للقاء سكوت والقضاء عليه في بعض المواقع . وجينث بلأ العز بن سكوت النى اشتهر بلقب ضياء الدولة الى سبتة ، وبقي معتصما بها الى أن دخلها عليه المرابطون (٢٠) .

أغمت في سفوح جبال المصامنة (درن) ، وأماؤها المغراويون :

كانت مدينة أغمت في منتصف القرن الخامس الهجرى / ١١ م كبرى مدن جبال درن الاطلسية . والذى يفهم من وصف ابن حوقل في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى / ١٠ م ، أن اقليم أغمت « رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير » ، وان أغمت وقتئذ كانت وثيقة الصلة بعواصم المغرب الكبرى ، ومراكزه العمرانية المعتبرة . فهي مرتبطة على وجه الخصوص بكل من فاس وسجلماسة ، بصحلات تجارية وطرق مواصلات عامرة بالمسافرين من التجار ، كما تتصل أغمت أيضا من ناحية المحيط بمنطقة السوس الأقصى ، التي توصف بأن « ليس بالمغرب كله بلد أجمع ولا ناحية أوفر وأغزر وأكثر خيرا منها » .

« أهمية أغمت على طرق التجارة »:

وظلت المصالح الوثيقة بين أغمت وسجلماسة - باب تجارة السودان - في القرن الخامس الهجرى / ١١ م حيث كان طريق الشمال يأخذ اتجاهه من سجلماسة نحو أغمت ، التي يصفها البكري وقتئذ بأنها مدينتان : أغمت « ايلان وأغمت بوزيكة » (٣٠) ، تنسجة الى بطنيين ومن بطون المصامدة سكانها ، وأغلب الظن أن وادي (نهر) وزيكة أو بعض روافده ، كان يفصل بين المدينتين ، مثلما يفصل وادي فاس بين العدوتين . هذا ، كما كانت أغمت « وثيقة الصلة أيضا بمدينة فاس ، حيث يمر الطريق بينهما بعدد من المراكز

(٢٩) أنظر صبح الأغشى ، ج ٥ ص ١٦٠ ، ٣٤٨ ، وقارن ابن عذارى ، ج ٣ ص ٢٥٠ - حيث تغلب سبوحات البزغواطي (والد سقوت) الذي كان مولى ليحيى بن علي بن حمود نخل زميله في نيابة سبتة ، وهو مولى يحيى أيضا المسمى رزق الله ، وقتله والاستبداد بحكم المدينة واتخاذ لقب المنصور . أما ابنه المعز المزوف بسقوت (سكوت) فقد اتخذ لقب الحاجب ، فكانه رئيس الوزراء فقط .

(٣٠) البكري ، ص ١٥٣ - ١٥٣ - حيث الحكم في أغمت نوع من السورى ، اذ يختار الرجل للحكم سنة واحدة ثم يترك الولاية لكي ينتخب أهل المدينة آخرهم منهم ، عن تراض واتفاق ، « حسبما ذكر محمد بن يوسف الأندلسي » (ت آخر القرن الرابع الهجرى / ١٠ م) .

التجارية المزدهرة ، مثل : بلد زواغة الذي يجتمع فيه تجار فاس والبصرة وسجلماسة ومغيلة ، وأوزقور التي كان يسكنها ربضية الأندلس ، ووزيعة الأهلة بكثرة المياه بها والشمار. تم اغيغى التي بناها الأندلسيون (٣١) ومثل هذا يقال عن الطريق المؤدى من أغمت الى السوس ، والذي يمر حسبما يصفه مؤمن بن يومر الهواري . كما عند البكري . بمدينة نفيس . مدينة مصمودة الأهلة العمران ، وتامرورت من حيث يكون انضمامه الى جبل درن (جبل المصامدة الاطلسي) . ويمر الطريق بمواضع عامرة لبربر مصمودة من الشيعة ، قبل الوصول الى عاصمة السوس : ايجل ، وبقيتها . وعلى بعد ٦ (ست) مراحل ، من حيث يكون النزول من الجبل ، مدينة تامدلت ، التي توصف بأنها سهلية عليها سور طوب (٣٢) .

ورغم أهمية أغمت كبلد غني ، ومركز تجاري هام له اتصالاته بالمراكز التجارية الكبرى في بلاد المغرب ، وخاصة فاس في الشمال ، وسجلماسة في صحراوات الجنوب ، فإن من المستغرب أن أحداثها وأعمال ملوكها لم تسترع الانتباه . وهكذا يشكو ابن خلدون ، رغم موسوعيته .

(٣١) البكري ، ص ١٥٤ - ١٥٥ ، وقارن كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٧ - حيث النص على ان المسافة بين مدينتي أغمت (وريكة وهيالة) هي ٨ (ثمانية) أميال . والذي يفهم من هذا النص الذي يرجع الى أواخر القرن السادس هـ / ١٢م ، بعد أكثر من مائة سنة . من نص البكري ، هو أن مدينة وريكة هي المركز التجاري المزدهر ، اذ يسكنها الأعيان . وينزل بها التجار على القديم ، لأنها كانت دار التجهز للصحراء (بالضلغ في طرق القوافل الكبيرة) . وأقرب المراكز لأغمت هو مرسى جوزهرتانة من بلد رجراجة . آخر مراسى سواحل المغرب على البحر المحيط . أما المسافة بين أغمت ومدينة نفيس فهي مرحلة . . . (٣٢) البكري ، ص ١٦٠ - ١٦٣ ، وقارن الاستبصار ، ص ٢١٨ - ٢١٣ - حيث النص على أن بلاد السوس الأقصى ، على عهد المؤلف في أواخر القرن السادس الهجري / ١٢م ، مدن كثيرة وبلاد واسعة ، عامرة بكثرة الحيرات . وعلى نهر السوس تقع تارودانت . التي توصف بأنها قرية كبيرة جدا ، وهي مركز زراعة قصب السكر ، وإنتاج السكر الفاخر وتصديره الى بلاد المغرب والأندلس وأفريقية . وعلى مصب هذا الوادي رباط مقصود يأوى اليه الصالحون ، له موسم عظيم . أما عاصمة السوس مدينة ايجل فهي وافرة بالحيرات ، كثيرة الثمر ، وهي مركز إنتاج للسكر مثل تارودانت ، بالإضافة الى كونها مركز تعدين يسبك بها النحاس الذي يتجهز به الى بلاد السودان . كما يصنع بها زيت الهرجان ، وهو شجر شبيه بشجرة الكمثرى ، وطعمه طيب شبيه بطعم القمح المقلو . وهذا الزيت يستخدم في الأغراض الطبية الخاصة بعلاج الكلى ودرار البول . أما مدينة تامدلت ، فهي على نهر ٦ (ست) مراحل من ايجل . وأصل نهر تامدلت هو نهر درعة . ومن بلاد السوس مدينة نول لمطة حيث تسكنها قبيلة لمطة ، وهي آخر بلاد السوس .

المذهلة ، من عدم وقوفه على أسمائهم ، وإن كان يعرف أنهم آخر دولة بنى
زيرى بفاس ، وبنى يعلى بسلا وتادلا ، من المغراويين الزناتيين ، المجاورين
للمصامدة في جبال درن والسوس ، ولبرغواطة في تامسنا .

لقوط بن يوسف ، آخر أمراء أغمات المغراويين :

وآخر أمراء أغمات منهم ، هو لقوط بن يوسف بن علي الذي غلبه
المرابطون على أغمات سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م ، فهرب إلى تادلا حيث قتل
هناك فيمن قتلوا من بنى يفرن . والظاهر أن الذي جعل الذكر للقوط هذا
دون سابقيه من أمراء أغمات ، أن أبا بكر بن عمر أمير المرابطين خلفه على
زوجته زينب بنت اسحق التي آلت بعد ذلك إلى يوسف بن تاشفين عندما
نزل له عنها ابن عمه أبو بكر عندما ارتحل إلى الصحراء سنة ٤٥٣ هـ /
١٠٦١ م . فلقد كان لزينب الرياسة في أمر يوسف وسلطانه ، وهي
صاحبة الفضل فيما أشارت به على يوسف من استعراض قوته أمام
أبي بكر ، عندما رجع من الصحراء « حتى تجافي عن منازعته ، وخلص
ليوسف بن تاشفين ملكه » ، فهذا كل ما عرفه ابن خلدون الذي استقصى
أخبار القبائل ، ما كبر منها وما صغر ، بدقة تثير الدهشة ، عن لقوط بن
يوسف وقومه ، ليس الا (٣٣) .

الصحراء الواعدة في المغرب الأقصى على تخوم السودان :

المرابطون وارهصاصات الوحدة :

تلك كانت أحوال المغرب الأقصى حوالي منتصف القرن الخامس هـ /
١١ م ، حيث كان الزناتية المغراوية فيما بين تاهرت وتلمسان وفاس ،
والأدارسة الحسنيون وبرغواطة في سبتة والعدوة وبلاد الريف (غمارة) ،
وبنو يفرن في سلا وتادلا وأغمات ، وأخيرا كان بنو خزرون في سجلماسة
ودرعة . والذي لا حظناه هو أن المرابطين من الصنهاجيين الملتزمين كانوا
يتدخلون حينئذ في أمور كل تلك البلاد بقيادة زعيمهم يوسف بن تاشفين ،
الأمر الذي يعني بداية نجاح الارهصاصات الأولى في توحيد المغرب من
أقصاه ، على شواطئ الأطلنطي إلى أدناه ، والقضاء على دويلات الطوائف
المغربية حتى أفريقية .

(٣٣) أنظر محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون : تاريخهم السياسي ، الناصرة ،

امكانات الصحراء :

أما كيف تأهلت الصحراء ، وهى الفقيرة ، بحكم الضرورة ، فى مواردها البشرية والاقتصادية ، للقيام بعملية التوحيد المضمينة حقا . والمكلفة أيضا ، فهذا ما نحاول أن نجد له تفسيراً ، ولنا فيما قدمه أستاذنا شعيرة فى دراسته للمرابطين ، ما يمكن أن يكون هاديا لنا ، مما سبقت الإشارة إليه . فى عرض المصادر (ص ٤٤) ، من أن أحوال الصحراء الأفريقية فى ذلك القرن الـ ٥ هـ / ١١ م ، لم تكن على حالها من الفقر ، كما هى عليه فى أيامنا هذه . فقد كانت أشبه ما تكون « بشركات الطيران أو السبائك الحديدية » ذات الامكانات الضخمة ، من حيث نقل المسافرين من التجار وإرباب الأعمال بما يحملون من الأمتعة والمتاجر وأسباب الحضارة ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، وخاصة خيرات السودان من الذهب والتبر والجلود والعاج والعبيد من أصناف السودان ، مما كان مطلوبا بالحاج فى أسواق الشمال والشرق ، الأمر الذى يتطلب رسم خريطة سياسية اقتصادية لتلك الصحارى الواعدة ، تساعد على تصور العملية « المعجزة » التى قامت بها قبائل المثلثين ممن كانوا منقطعين فى تلك المنطقة من العالم فى نهاية الصحراء ، على مشارف السودان ، كأنها خارج المكان والزمان . كما كان يتصور الكثير من الناس .

صنهاجة الصحراء ومواطنهم :

فمن حيث الكثافة البشرية يفهم من ابن حوقل أن سكان الصحراء ، سواء من قبائل المثلثين الصنهاجية الحضرية أصلا ، أو الزناتية البدوية ، كانت وفيرة الأعداد . فالبربر فى النصف الثانى من القرن العاشر هـ / ١٠ م ، كما رأهم : لا يلحق عددهم بسبب توغلهم فى البرارى وتبديدهم فى الصحارى . وإن أشهر المتوغلين فى البرارى هم صنهاجة منطقة أودغست . وهو يورد فى ذلك رواية ملك جيمس صنهاجة وقتئذ : « تنبروتان بن أسفيشر ، بأنه كان يرد عليه فى كل سنة ، خلال ملكه الذى طال الى ٢٠ سنة ، من لم يكن رآه أو سمع عنه من قبل » (٣٤) . أما عن القبائل المنقطعة بالصحراء ممن لم يروا حاضرة ، ولا عرفوا غير البادية ، فمنهم : شريطة وسمطة وبنو مسوفة ، وكان لهم ملك تكبره صنهاجة وسائر أهل تلك .

الديار لأنهم يمتلكون تلك الطريق (٣٥) . ومن القبائل التي يعدد منها ١٩ ما بين قبيلة ووطن وفخذ ، يذكر الى جانب بني مسوفة : بني لموتونا (لمتونة) ولمطة . و لمتونة عند البكرى (ص ١٦٤) ، طواعن رحالة في الصحراء ، ومزاحلهم فيها مسيرة شهرين في شهرين ، ما بين بلاد السودان وبلاد الاسلام ، وهم الى بلاد السودان أقرب - على نحو ١٠ مراحل (انظر شكل ١٠ ، ص ٥١٤) . هذا غير صنهاجة المشكوك في صراحة نسبهم بسبب اختلاطهم بالسودان - حيث يقال انهم سودان بيض - فهم يسكنون جنوب الصحراء في بلاد تادمكة (٣٦) . وابن حوقل يختم تعداده المثير لقبائل الصحراء ، بقوله : « ولو قلت أني لم أصل الى علم كثير من قبائلهم لقات حقاً » ، كناية عن الكثرة التي لا يحيط بها الاستقصاء (٣٧) .

وخلف لمتونة ، بجوار البحر المحيط انتشرت قبائل جدالة (٣٨) . أما عن مسوفة فمساكنهم في الدواخل فيما بعد لمتونة ، وكانوا ينتشرون جنوباً على مشارف السودان في ايالاتن ، على أيام ابن بطوطة في القرن الثامن هـ / ١٤ م (٣٩) .

ثروات الصحراء المعدنية :

أما عن ثروات الصحراء فتتمثل في معادنها ، وانتاجها الحيواني الوفير . فما كان من المعادن ، يأتي الملح على رأس القائمة ، حيث كان يوجد في منطقتين ، هما : أوليل ، على ساحل البحر المحيط ، على سمت أودغست (٤٠) ، وفي موضع تانتال ، حيث كانت مناجم في الصحراء ، على بعد يومين من المجابة الكبرى ، الأمر الذي يعتبر من غرائب تلك

(٣٥) صورة الأرض ، ص ٩٨ .

(٣٦) صورة الأرض ، ص ١٠١ - حيث النص على أنهم منسوبون لأمهاتهم من ولد

حام .

(٣٧) ابن حوقل ، ص ١٠٣ .

(٣٨) البكرى ، ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، وقارن الاستبصار ، ص ٢١٣ - حيث النص على

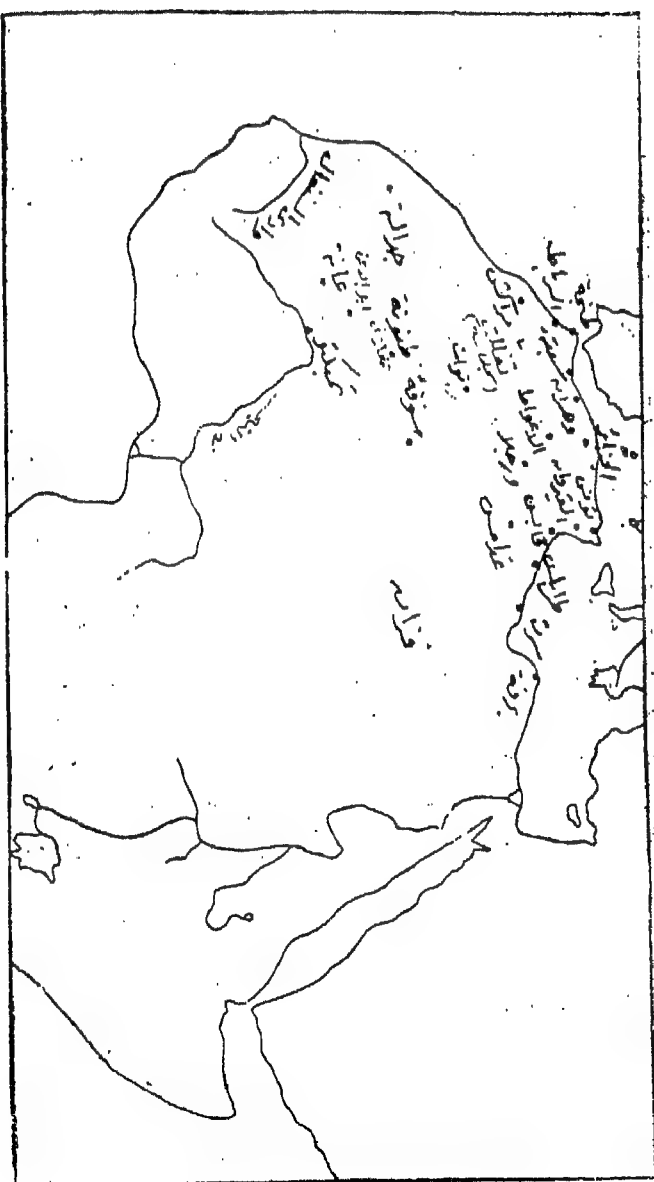
ان لمتونة رحالة لا يستقر بهم موضع .

(٣٩) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٧٣ ، ص ٧٧٤ - حيث الدليل الذي يكتريه أهل القافلة:

رجل مسوفى ، وحيث العمل في مناجم الملح يقوم به عبيد مسوفة .

(٤٠) ابن حوقل ، ص ٦١ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ - حيث يوجد بجبال جدالة في

أوليل .



(شكل ١٠) صخراوات اللبنتين

الصحراء (٤١) ، حيث كان يستخرج على أيام ابن بطوطة في قرية تغازي جنوبا على بعد ٢٢ يوما من ايالاتن ، في شكل صفائح مصفوفة بعضها فوق بعض كأنها قد نحتت نحتا (٤٢) .

والى جانب الملح الذى كان يتجهز به التجار الى بلاد السودان ، يذكر العنبر الذى كان يوجد فى لقايا بقرب البحر (٤٣) ، وفي جزيرة أيونيا بخاصة (٤٤) . هذا ، الى جانب النحاس الذى كان يصنع فى أيجلى عاصمة السوس ، ويتجهز به الى بلاد السودان (٤٥) . أما عن جبل الحديد ، من حيث كان الدخول الى بلاد لتونة فى الطريق الدولى الذى يبدأ من وادى درعة الى وادى ترجا فى أول المفازة الصحراوية الى الطريق القديم المفتوح فى الجبال الحجرية الصلدة ، فلا نعرف ان كان مستغلا لانتاج الحديد أم لا (٤٦) .

الثروة الزراعية :

والى جانب بعض الثروات الزراعية الصحراوية أو على حدود الصحراء ، مثل قصب السكر فى وادى السوس ، وزيت النرجان الذى يسمحن الكلى ويدر البول (الاستبصار ، ص ٢١١ ، ٢١٢) ، والكمأة الكثيرة فى الصحراء (ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣) ، فإن الثروة الزراعية للصحراء تمثلت فى التمر ، وهو إنتاج اقليم النخل عند ابن خلدون ، ويمثل حزاما ممتدا بكل عرض الصحراء ، من تارودانت ، وسجلماسة ، وورجلة ، وبلاد الجريد (انظر ج ١ ص ٧٥) . فقسطيلية عند ابن حوقل هي « مغوثة » أفريقية يتمورها (صورة الأرض ، ص ٩٢) . ولو أن تاهرت كانت قد تغيرت فضرب أهلها الفقر بتواتر الفتن ، ودوام القحط ، وكثرة القتل والموت (صورة الأرض ، ص ٩٣) ، وإيجلى ، عاصمة السوس ، كانت كثيرة الثمر حتى ان ثمن الحمل منه كان أقل من كراء الدابة (الاستبصار ، ص ٢١٢) . ومثل هذا يقال عن سجلماسة التى شبهت فى كثرة ثمرها الطيب بالبصرة ،

(٤١) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٤٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣ .

(٤٣) ابن حوقل ، ص ٩٥ .

(٤٤) البكرى ، ص ١٧٠ ، كما كان يجلب أيضا من أودغست لقرىها من المحيط.

(الاستبصار ، ص ٢١٦) .

(٤٥) الاستبصار ، ص ٢١٢ .

(٤٦) الاستبصار ، ص ٢١٣ .

والتي كان يوجد فيها أنواع ، مثل : الايران ، الذي لا نظير له (ابن بطوطة ، ج ٢ ص ٧٧٣) ، وكذلك الأمر بالنسبة لدرعة القرية ، حيث كان عبيد مسوفة العاملون في منجم الملح بتغازى « يتعيشون على ما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماصة - الى جانب لحوم الجمال » (٤٧) -

الثروات الحيوانية :

أما الثروة الحقيقية للصحراء فتمثلت في الحيوانات الداجنة من الماشية ، من : الغنم والبقر والجمال ، الى جانب الحيوانات الوحشية ، كحيوان اللمط المعداد من البقر ، رغم قرونه المتشعبة كحيوان « الرنة » ، والذي يصنع من جلده القوى الدرق اللمطي الشهير ، وذلك جنوب بلاد السوس حيث مواطن قبائل لمطة ، وقاعدتها « نول لمطة » (٤٨) - ولا ندرى ان كانت لمطة قد انتسبت الى حيوان اللمط حسبما تقضى نظرية الطوظمية . ولقد اشتهرت السلاحف البحرية المفرطة الحجم على طول ساحل المحيط حيث مساكن جدالة ، وكان يعيش على لحمها كثير من أهل المنطقة ، مثل : سكان جزيرة أيونا الشهيرة بعنبرها (٤٩) . وكذلك الأمر بالنسبة لحيوان الفنك المطلوب لفرائه ، فقد كان كثيرا بالصحراء ، وكانت له شهرة الفيزون : (Vison) ي أيامنا هذه ، حيث كانت تحمل جلوده الى جميع البلاد (٥٠) .

والحقيقة أن الثروة الحيوانية في واحات الصحراء وعلى أطرافها السودانية تمثلت في الغنم والبقر التي كانت تمد الناس باللحوم والألبان التي كونت جزءا أساسيا من طعامهم . ففي أودغست كانت البقر والغنم تأرخص شيء حتى كان العشرة أكباش بدينار واحد (الاستبصار ، ص ٢١٥) . أما الايل والجمال فكانت ثروة اقتصادية ذات طابع سياسى من حيث كونها آلة عظمى من آلات الحرب وقتئذ ، ولهذا عرف الجمالة ، حسب تصنيف البدو حديثا ، باسم « الرعاة الكبار » أو « الجمالين الكبار » ، من حيث كان أصحاب المهارى منهم ، فرسانا غزاة (٥١) .

(٤٧) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٧٣ .

(٤٨) ابن حوقل ، ص ٩١ ، البكرى ، ص ١٧٥ ، الاستبصار ، ص ٢١٣ ، وقارن

ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٧٧٥ (عن البقر الوحشى) .

(٤٩) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٥٠) البكرى ، ص ١٧٠ ، الاستبصار ، ص ٢١٤ .

(٥١) أنظر فيما سبق من الكتاب ج ١ ص ٨٩ .

صناع الوحدة :

رعاة الابل : الجمالون الكبار :

ففى ثروة بلاد المغرب من الابل والغنم وماشية البقر ، يقول ابن حوقل :
 « وعندهم من الجمال الكثيره فى براريهم وسكان صحارسهم ، التى لا تدانيها
 فى الكثرة ابل الغرب » (٥٢) . وهكذا يمكن القول ان تقدير ثروة الرجل
 ومقدار عزه ، بما كان يملكه من قطعان الابل والجمال ، حيث النص على أن
 « المال فيهم من الماشية كثير غزير » (صورة الأرض ، ص ٩٧) . وفى
 أهمية قطعان الابل والجمال الاقتصادية السياسية كان لأخت تنبروتان ،
 ملك صنهاجة المعاصر لابن حوقل ، والتى عرفت بيسارها ، ١٥ ألف
 جمل (٥٣) . وهكذا ، كان الملك الصنهاجى يستطيع أن يصد غارة
 استهدفتهم ، عن طريق أمر رعاة أخيه الغنية باتارة الابل من الناحية التى
 قدم منها العدو ، وانزالها نافرة من أعلى الشرف ، وهى مصوبة على الجيش
 الغازى « فأتت على جميع من كان منهم مع ابلهم وسلاحهم ، دوسا لهم ،
 ووطئا عليهم ، حتى استفاض جميع من بأودغست ومن بعد عنها من
 أعدائهم ، أنه لم يعرف لواحد منهم حلية بوجه من الوجوه » (٥٤) . وأغلب
 الظن أن تنبروتان هذا ، هو الذى يعنيه صاحب الاستبصار عندما ينص
 على أن صاحب أودغست فيما بين ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م و ٣٦٠ هـ / ٩٧١ م ، كان
 صنهاجيا يدين له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان ، وان امتداد
 عمله كان مسيرة شهرين فى شهرين ، فى عمارة متصلة ، وانه كان يعتد
 فى أكثر من ١٠٠٠ (مائة ألف) نجيب ، لقللة الخيل فى تلك البلاد (٥٥) .
 وهكذا كانت قوام الآلة الحربية المرابطية هى الجمال ، حيث كان اجتياحهم
 لمدينة سجلماسة على رئيسها مسعود بن وانودين المغراوى بـ ٣٠ ألف
 جمل (٥٦) ، وذلك سنة ٤٤٥ هـ / ١٠٥٣ م (ما سبق ، ص ٥٠٦) .

(٥٢) صورة الأرض ، ص ٩٥ .

(٥٣) ابن حوقل ، ص ٩٨ - حيث كان لها ١٠٠ واع مع كل واحد منهم ١٥٠ جملا .

(٥٤) ابن حوقل ، ص ٩٩ - ٩٨ .

(٥٥) الاستبصار ، ص ٢١٦ ، وقارن ابن حوقل ، ص ٩٧ - حيث القول ان تنبروتان
 كان يلى أمر صنهاجة مدة عشرين سنة . ولا ندرى ان كان ثمة علاقة بين العشرين سنة هنا
 والعشرين ملكا فى الاستبصار .
 (٥٦) البكرى ، ص ١٦٧ .

البساطة والقوة سمة النقاء والرفعة :

ومن المهم أيضا أن جماعات المثلثين من لمتونة ومسوفة في صحراواتهم . أنهم كانوا لا يعرفون البر ولا الشعير ولا الدقيق ، وإن أقواتهم كانت الابيان ، وفي بعض الأوقات اللحم ، الذي كان يطحن قديدا ، ويصب عليه بعض السمن أو اللبن ، ومع ذلك فقد كان فيهم من الجلد والقوة ، ما ليس لغيرهم . وفيهم من البسالة والجرأة والفروسية على الابل ، والحفة في الجري والشدة ، والمعرفة بأوضاع البر وأشكاله ، والهداية فيه ، ما كان يثير دهشة الرحالة في بلادهم والوافدين . فقد كان للرجل منهم من القوة ما يسمح بالركض مع فحل الجمل وهو نافر ، والقبض على كراعه ليضرب به الأرض ، وينحره كما ينحر عنزا أو جديا (٥٧) ، فكان الصحراء الجنوبية كانت قد جمعت ، حينئذ ، بين البساطة والقوة ، سمة النقاء والرفعة .

وبذلك تكتمل خريطة المغرب حوالى منتصف القرن الخامس هـ / ١١ م ، بأحوال صحراوات المغرب الأقصى السياسية والاقتصادية . والخلاصة انه بينما كانت تنحل قوى فرسان صنهاجة الشيعة من بنى زيرى فى أفريقية والمغرب الأوسط ، وكذلك قوة الزناتية المغراويين فى المغرب الأقصى ، ويتفرق ملكهم بين أمراء الطوائف من عرب وبربر ، كان بنو جلدتهم الصنهاجيون السنة من الجمالة المثلثين ، من لمتونة ومسوفة وغيرهم فى صحراوات المغرب الأقصى ، يأخذون على عاتقهم عملية الانقاذ - مما ظهرت بشائره فى سبلماسة وفاس وتلمسان وسبتة وأغمات - وذلك بالقضاء على الفتنة والطائفية ، وإعادة الوحدة الى البلاد تحت رايات دولتهم المرابطية . وهو ما نرجو معالجته فى الجزء الرابع من الكتاب ، بمشيئة الله .

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- ابن عدادى ، البيان المغرب ، نشرة احسان عباس ، بيروت فى ع . ح (نشرة كولاني وبروفنسال) .
- ابن غلبون ، التذكار ، تصحيح الطاهر الزاوى ، طرابلس ، ١٩٦٧ .
- احمد النائب الانصارى ، المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، طرابلس .
- احسان الهى ظهير ، الاسماعيلية : تاريخ وعقائد ، الرياض ١٤٠٦ / ١٩٨٦ .
- آدام مئز ، الحضارة العربية فى القرن الرابع الهجرى ، ط . بيروت .
- احمد (عزيز) ، صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، أذنبه ، ١٩٧٥ .
- Ahmad, Aziz, History of Islamic Sicily.
- احمد مختار العبادى ، فى تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية .
- ادريس (هادى - روجيه) ، بلاد المغرب (البربر) الشرقية على عهد الزيريين ، بالفرنسية ، باريس ، ١٩٦٢ .
- ادريس عماد الدين القرشى (الداعى) ، عيون الاخبار وفنون الآثار ، ج ٥ ، تحقيق : فرحات الدشراوى ، تونس ، ١٩٧٩ .
- ارشيدالدلويس ، القرى البحرية والتجارية فى حوض المتوسط ، الترجمة العربية ، القاهرة .
- ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة لندن المصورة ، بيروت ، ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .
- ابن أبى ايشار ، المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس ، تحقيق محمد شعام ، تونس .
- ابن أبى ذرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ط . الرباط ، ١٩٧٣ .
- ابن بطوطة ، الرحلة ، تحقيق ، على المنتصر الكتانى ، بيروت ، ١٣٩٥ / ١٩٧٥ .
- ابن جبير ، الرحلة ، بيروت ، ١٣٩٩ / ١٩٧٩ .
- ابن حمادة (أبو عبد الله محمد انصهاجى) ، أخبار ملوك بنى عبید ، تحقيق : جلول أحمد البدوى ، الجزائر ، ١٩٨٤ .
- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط . بيروت ١٩٧٩ .
- ابن حيسان ، المكتسب ، ج ٥ ، نشر : ب . شالمينا - ف : كورينطى - م : صبح . المعهد الأسيانى العربى للثقافة ، مدريد .
- ابن الخطيب ، الاعلام ، تحقيق مختار العبادى وابراهيم الكتانى ، الرباط .
- ابن خلدون ، المعبر ، ط . بلاق المصورة فى بيروت ، ٧ أجزاء - والمقدمة ، تحقيق على عبد الواحد .
- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت .
- ابن رشيق ، انظر حسن .

حسن بن رشيق القيرواني ، جمع وتحقيق :
محمد المطوي وبشير البكرش ، تونس .

• ١٩٨٦/١٤٠٦

الدرجين ، كتاب طبقات الشانخ بالمغرب ،
تحقيق وطبع ، ابراهيم ملاي ، البلديّة .

• ١٩٧٤/١٣٩٤ (٢ ج)

سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب
العربي ، ج ١ ، ج ٢ ، الاسكندرية ،
• ١٩٧٩

سعد زغلول عبد الحميد ، فترة حاسمة من
تاريخ المعز ، موقف ليبيا فيما بين قيام
الفاطمين في أفريقيا ونقلتهم الى مصر ،
مجلة كلية الآداب ، الجامعة الليبية ،
المجلد ١ ، ١٩٥٨ .

سعد زغلول عبد الحميد ، ابن خلدون مؤرخا ،
بحث في مجلة عالم الفكر الكويتية ،
مجلة ١٤ ، عدد ٢ ، ١٩٨٣ .

سعد زغلول عبد الحميد ، العمارة والفنون في
دولة الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .

سعد زغلول عبد الحميد ، علوم العرب
النديمة ، مجلة عالم الفكر الكويتية ،
المجلد ٨ ، العدد ١ ، ١٩٧٧ .

سليمان مصطفى زبيس ، المهدية وصبرة
المنصورية ، المجلة الآسيوية (بالفرنسية)
المجلد ٢٤٤ ، ١٩٥٦ .

سهيل زكار ، أخبار القرامطة في الاحساء
والشام واليمن والعراق ، دمشق ،
• ١٩٨٢/١٤٠٢

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب
العربي الكبير .

سيرة الأستاذ جودر ، تحقيق محمد كامل
حسني ، ومحمد عبد الهادي شعيرة ،
القاهرة ، ١٩٥٤ . والترجمة الفرنسية:
لكنانر (Canard)

الكسندر ليزين ، المهدية ، بالفرنسية ،
• ١٩٦٨

اماري ، المكتبة العربية الصنلّة ، ليبزج .
• ١٨٥٧
Amari, Biblioteca Arabo-sicula.

البكري ، أبو عبيد عبد الله . المسالك
والمالك ، نسخة بغداد المصورة عن
نشر دسلان (Deslane) الجزائر
• ١٨٥٧

البغدادى ، الفرق بين الفرق ، القاهرة .
التجاني ، الرحلة ، ط ١ ، تونس ، ١٩٢٧ .
جمال الدين الشيال ، الوثائق الفاسطية ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

جوتييه ، ماضي شمال أفريقية ، القرون
الظلمة ، باريس ١٩٤٢ .
Gautier, Le passé de l'Afrique du
Nord.

جودج مارسيه ، بلاد البربر والمشرق الاسلامي
في العصر الوسيط ، باريس ، ١٩٤٦ .
G. Margais, La Berberie et l'Orient
musulman au moyen-âge, Paris,
1946.

جول جاي ، ايطاليا الجنوبية والامبراطورية
البيزنطية ، باريس ، ١٩٠٤ .
Jules GAY, L'Italie Meridionale
et l'Empire Byzantin, Paris, 1904.

جوليان ، تاريخ شمال أفريقية ، الترجمة
العربية بمعرفة محمد مزالي البشير بن
سلامة ، تونس ١٩٧٨/١٣٩٨ .

حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ،
القاهرة ١٩٨١ .

الحبيب الفتى ، التأويل : أسسه ومعانيه في
المذهب الاسماعيلي (القاضي النعمان) ،
تونس .

حسن ابراهيم حسن ، المعز لدين الله .

- صالح باجيه ، الاباضية بالجريد في العصور
الاسلامية الاولى ، تونس ، ١٣٩٦ /
١٩٧٦ .
- صبح الاعشى ، أنظر القلثندي .
- الطاهر احمد الزاوي ، تاريخ الفتح العربي في
ليبيا ، القاهرة .
- عائلة علي احمد ، قيام الدولة الفاطمية ببلاد
المغرب ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- عبد الحليم عويس ، دولة بنى حماد . القاهرة .
- عبد المنعم ماجد ، السجلات المستنصرية ،
القاهرة .
- عصام سالم سيسالم ، التاريخ الاسلامي لجزر
البلقيار ، جزر الاندلس المنسية ، بيروت .
١٩٨٤ .
- القرطاس ، انظر ابن ابي زرع .
- القلثندي ، صبح الاعشى ، النسخة المصورة
عن الطبعة الاميرية .
- ليثوونو ، ابو يزيد ، صاحب الحمار ، في
القرن العاشر ، بالفرنسية ، كرايس
تونسية ، ج ١ ، ١٩٥٣ .
- R. Le Tourneau, La révolte d'Abu
Yazid aux siècles, dans C.T.I, 1953
- ليثوونو ، حركة الموحدين في المغرب في
القرنين ١٢ ، ١٣ ، ترجمة أمين النقيب ،
ليبيا - تونس ، ١٩٨٢ .
- ماسكراي (اميل) ، كتب أهل الزاب ،
بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٧٩ .
- Masqueray (Emile), Livres des
Beni Mzab.
- ماسيه (هنري) ، الاسلام ، ترجمة بهيج
شعبان ، منشورات عويدات ، بيروت .
- المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق بشير
البكوش ومحمد المطوي ، بيروت ١٩٨١ .
- الماوردي ، الاحكام السلطانية ، بيروت ،
١٩٧٨ / ١٣٩٨ .
- مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم
والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ،
الجزائر ، ١٩٧٦ / ١٣٩٦ .
- محمد عبد الهادي شعيرة ، المرابطون ، تاريخهم
السياسي ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- مجهول ، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ،
تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ،
الاسكندرية ، ١٩٥٨ .
- مجهول ، العيون والحداث ، تحقيق نبيلة
عبد المنعم ، ط ١ . النجف .
- محمد طالبي ، الامارة الاغلبية ، بالفرنسية ،
باريس ١٩٦٦ .
- محمد كامل حسين ، في ادب مصر الفاطمية .
- محمد المروزي ، المهدي وشاعرها تميم ،
تونس ، ١٩٨٠ .
- محمود اسماعيل ، المالكية والشيعة بأفريقية ،
المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٣ ،
١٩٧٦ .
- المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ، ١٤٠٣ /
١٩٨٣ .
- المقريزي ، اتعاط الحنفا ، ج ١ ، تحقيق
جمال الدين الشديال ، ج ٢ تحقيق محمد
حلمي محمد أحمد ، القاهرة ١٣٩٠ -
١٩٧١ .
- المقريزي ، اغانة الامة ، القاهرة .
- المقريزي ، الخطط ، ط ١ . بولاق ، طبعة
مصورة ، بيروت .
- موتيلينسكي ، كتب المذهب الاباضي ،

الفقى ، ابراهيم شبوح ، محمد اليعلاوى ،
تونس ، ١٩٧٨ .

النعمان ، دعائم الاسلام ، تحقيق آصف فيظي ،
القاهرة .

النعمان ، تاويل الدعائم (تربية المؤمنين) ،
نشر محمد حسن الاعطى ، القاهرة ،
١٩٦٩ .

النويرى ، نهاية الارب ، تحقيق مصطفى
أبو ضيف ، الرباط .

ياقوت ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ،
مصر ، ١٩٠٦ .

بالفرنسية ، الجزائر ، ١٨٨٥ .
Motylinski, les Livres de la sect
abadite.

موسى لقبال ، دور كتامة فى تاريخ الخلافة
الفاطمية ، منذ تأسيسها الى منتصف
القرن الـ ٥ هـ / ١١ م ، الجزائر .
١٩٧٩ .

النعمان بن محمد (القاضى) ، كتاب افتتاح
الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوى .
تونس ، ١٩٧٥ .

النعمان بن محمد (القاضى النعمان) ، كتاب
المجالس والمسائرات ، تحقيق الحبيب

اسماء الأشخاص والقبائل والجماعات

الأترال : ٤٤٨ ، ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣

الأثنا عشرية : ١٢٦

الأييج : ٤١٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥١

هـ ١٤ ، ٤٥٤ هـ ٢٤ ، ٤٦١ ، ٤٩٩

ابن الأثير : ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ١٠٠

١٢٦ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦

١٧٤ ، ١٨٨ هـ ٧٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٤

٢٥٩ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥

٢٧٦ ، ٢٨٤ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٠

٣١١ ، ٣٤١ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٤

٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٩ ، ٤١٨

٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٥٠ ، ٤٥٣ ، ٤٦٥

٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠

٤٨٧ ، ٤٩٣

أحمد (أخو أبي يزيد) : ٢٠٥

أحمد بن إبراهيم بن محمد : ٢١٤ هـ ٥٤

أحمد بن بكر الجذامي : ٢٤ ، ١٠٤ ، ١١٥

١٦٦ ، ٢١٢ هـ ٨٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢

٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

أحمد البلوي (النحاس) : ١٢٨ ، ١٣٠

أحمد بهاء الدين : ١٧ هـ ٢٦

أحمد بن حجاج : ٤٠٥

أحمد بن الحسن بن أبي الحسين : ٤٧٨

٤٨٧

أحمد (أبو الحسين) بن الحسن : ٢٥٦

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣

٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١

٢٨٢

(١)

أئمة المساجد : ٢٤٥

أئمة العامة (السنة) : ١٤ ، ٤٠ ، ١٣٢

الأئمة الفاطميون : ٢٤٧ ، ٢٤٩ هـ ٨٢

الاباضية : ١٤ هـ ١٧ (الواسلية) : ٣٠

٣١ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ١٠٨ هـ

١١٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٧

٢٨٣ ، ٣٦٩

بنو إبراهيم (الأدارسة) : ٩٠ (من كثرة)

٣٣٣

إبراهيم بن أحمد (الأغلبي) : ١٣٧ هـ

١٧٢ ، ١٣٩ هـ ١٧٦ ، ١٤١ هـ ١٨٠

١٤٥ ، ١٩٣

إبراهيم (بن بكين) : ٣٢٤ ، ٣٦٨ ، ٤٠٧

٤٠٨ ، ٤١٢

إبراهيم بن أبي سلاس : ١٧٦ هـ ٤٣

إبراهيم شيوخ : ٤٩

إبراهيم طلال : ٣٠

إبراهيم بن غازي : ١٣٠

إبراهيم بن غالب المزاني : ٦١ ، ٨٢ ، ٩١

إبراهيم (أبو اتيسر) بن محمد الشيباني

البفسدادي المعروف بالرياض : ٦١

١٣٨

إبراهيم بن محمد الصنهاجي : ٤٤٩ ، ٤٦٣

إبراهيم بن موسى بن أبي العافية : ٥٠١

إبراهيم بن يونس : (ابن الحساب) : ١٣٩

- احمد بن أبي الحسين بن رباح : ١٤٥ ، ١٤٦ .
- احمد بن أبي خنزير : ٦٩ .
- احمد بن الرحالي : ٢١٧ ، ٢١٦ .
- احمد بن زياد (الفارسي) : ١٣٩ .
- احمد بن زيادة الله بن قزلب : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ .
- ١٥٨ .
- احمد بن سيرين الخنفي : ١٢٨ ، ١٣٠ ، ٢٤٩ هـ ٨٤ .
- ابو احمد الشافعي : ٩٠ هـ ٧٢ .
- احمد بن صالح (القائد) : ٧٧ ، ٧٩ .
- احمد بن القاسم بن ادريس : ٩٠ هـ ٧٣ .
- احمد بن المهدي (عبيد الله) : ٢٦ ، ١٠٨ هـ ١٦٣ ، ١١١ هـ ٥ .
- احمد بن ميمون (المروزي) : ٩١ ، ٢١٧ .
- احمد (محمد) بن نصر (الباغاني) : ٧٣ ، ٧٤ .
- احمد بن نصر بن زياد (المالكي) : ١٣٨ .
- احمد الهواري : ١٨٣ هـ ٦٣ .
- احمد بن يحيى بن طيب (الخنفي) : ١٣٣ .
- احمد بن يحيى (القاضي) : ١٧٧ هـ ٤٨ .
- احمد بن يعلى : ٢١٥ .
- احمد بن (الاكمل) بن يوسف بن عبد الله : ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ .
- احمد الطليطل (الشاعر) : ٨٥ هـ ٦١ .
- الاخشيد (ابو الحسن علي) : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ هـ ٨٤ .
- ابن الاخوة (ابو اناسم) وكيل ابن باويس .
- بستر : ٤٢١ هـ ١٧ .
- الادارسة (بنو ادريس) : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ هـ ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٤ هـ ١٢٣ ، ١١٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٦ ، ٢٨٥ ، ٣٤٤ ، ٣٥٩ ، ٣٩١ هـ ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .
- ادريس (الراعي) : ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٦٠ هـ ٧٨ ، ٨٢ ، ١٢٤ ، ٢٠٤ .
- ادريس بن ابراهيم : ٣٥ ، ١٦٨ .
- ادريس بن سعيد (بنكور) : ٨٤ هـ ٦٠ .
- ادريس بن صالح : ٨٤ هـ ٦٠ .
- ادريس (ابوالعيش) بن عمر : ٢١٢ هـ ٥٣ .
- ادريس بن علي بن حمود : ٥٠٧ .
- ادريس بن يحيى : ٥٠٨ .
- الادريسي : ٤١٣ ، ٤٩٥ .
- آدم : ٢٨٤ .
- ارجير (رومان) : ٤٨٩ .
- الارمن : ٢٧٢ ، ٤٧١ هـ ٧٧ .
- ابن ادوي : ٤٨ .
- الاستبصار : ٤١٣ ، ٥١٧ .
- اسحق بن خليفة : ١٠٥ ، ١٧٦ هـ ٤٢ .
- اسحق بن أبي المنهال : ١١٩ ، ١٤٦ هـ ١٨٨ .
- ٦٥ هـ ١٣ .
- اسحق بن سليمان الاسرائيل : ٢١٩ هـ ٦٤ .
- اسماعيل (من المرتزقة) : ٤٧٩ .

١٠٢ ، ١٠٤ هـ ١٠٢ ، ١١٠ ، ١١٥ ،
١٤١ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢٠٨ ،
٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ،
٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ،
٢٥٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،
٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٥٩ ،
٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩١ ، ٤٩٨ .

ام المعز (بن باديس) : ٤١٢ .

الانصار : ١٨٢ .

أبو الانصار بن عبد الله بن أبي عفير :
٢٠٩ ، ٢٢٦ .

أنوجور ابن الأخشيذ : ٢٤٩ .

أوتو الثاني : ٤٨٠ ، ٤٨١ .

أوتو الثالث : ٤٨٧ .

أورستيز : ٤٨٨ .

أوستاثيوس (القائد البيزنطي) : ١٥٠ ،
١٩٧ ، ١٥٤ .

أوسه (قبيلة) : ٧٠ .

الأولياء : ١٧ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ١٣٢ .

أوليل : ٥١٣ .

أيوب بن تميم بن المعز : ٤٩٤ .

أيوب بن خيران الزويل (قائد أبي يزيد) :
١٧٧ هـ ٤٦ .

أيوب بن أبي يزيد : ٥٣ ، ٨٤ هـ ٦٦ .

أيوب بن يطوفت : ٣٥٢ ، ٤٠٧ .

(ب)

السابوية : ٤٦٧ ، ٤٦٨ هـ ٦٣ ، ٤٩٢ ،
٤٩٧ .

اسماعيل بن اسباط : ٣٠٤ .

اسماعيل بن البوري بن موسى بن أبو العافية :
٥٠١ .

اسماعيل بن الطبري : ٦٥ .

اسماعيل (أبو أيوب) بن عبد الملك :
١٦٧ .

الاسماعيلية (والذهب) : ٣٧ ، ٣٩ ، ٧٠ ،
٨٤ ، ٩٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ .

أشجع : ٤١٩ هـ ٩ .

الأصوليون : ١٦ .

الأغالبية : ٢٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٦١ ،
٦٣ ، ٦٨ هـ ٢٩ ، ٧٤ ، ١٠٠ ، ١١٧ ،
١٢١ هـ ١٣٧ ، ١٣٣ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ،
١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٥ ،
٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٨ ،
٤٩٧ .

أفتكين (التركي) : ٤٧١ .

الأفرنجية : ٢٥٦ .

أفروم البرغواطي : ٤٣٩ .

أفريقيون (افارقة) : ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧١ ،
٣٣٨ .

أفلج بن ناشب : ٢٥٢ ، ٢٧٩ .

أفلج بن هارون الملوس (القاضي) : ٦١ ،
٧٢ .

الأكراد : ٤٧١ هـ ٧٧ .

أماري : ١٥٤ ، ٢٧٣ .

الامام المعصوم : ١٣٥ ، ١٣٦ .

الأمويون : ٣٤ ، ٣٥ هـ ٤٠ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
٥٤ ، ٦٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٦ .

- باديس بن المنصور : ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ ، ٤٧٦ ، ٥٠١ .
- آل باديس : ٤٤٩ .
- أهل البادية : ٢٨٢ .
- باديس (المظفر) بن جوس : ٣٦٧ ، ٥٠٨ ، ١١١ .
- باديس بن امكنس (بن زيري) : ٣٦٦ .
- باديس (أبو مناد) بن المنصور : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦ ، ١٦٣ ، ١٠٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٥ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤٢٩ .
- بازيل بوجونيز : ٤٨٨ .
- باسكالوس (الرغوس) : ٣٦٧ .
- باسيل (الابروطوقاربوس) : ٣٦٩ .
- باسيل الثاني : ٤٧٩ هـ ١ وه .
- الباسيليوس (ملك الروم) : ٤٨٧ .
- البتر : ٢٨٩ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٣٩٥ .
- ابن الجاوي القرشي الفهري (أبو ابراهيم) : ٦٨ هـ ٢٩ .
- بجاية : ٤٤١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ هـ ٣٤ وه ٣٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ هـ ٤٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ .
- البحرية : ٣٢٩ .
- آل البيت : ١٣٤ ، ١٤٠ ، ٢٤٥ .
- بدر الجمالي : ٤٧١ .
- بدر بن سرحان : ٥٠ ، ٤١٩ .
- البديلاء (الأبدال) : ١٤٤ .
- برادية (من يفرن) : ١٩٠ .
- البراس (قبائل) : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٢٨٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ .
- البربر : ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٨٤ هـ ٦٠ ، ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٤ ، ٤٥٤ هـ ٢٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٨٦ ، ٥١٨ .
- بردويل : ٤٨٠ .
- ابن البرذون : ١٣٥ هـ ١٤٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ هـ ١٦٦ ، ١٤٢ .
- بنو برزال : ١٠٦ ، ١٧٣ ، ١٨٧ .
- برغواطة : ٤٦ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٥٠٢ ، ٥١١ .
- برقة : ٤٤٤ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ .
- آل برمك : ٢٨٩ .
- برهون : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .
- بروباتا (جوج) : ٤٩٠ .
- البطارقة : ٤٨٠ .
- أبو بطة : ٨١ ، ١٠٢ .
- ابن بطوطة : ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ .
- بطوية (بلاد وقبيلة) : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٦٩٣ .

بِغَا (المَغْنَى) : ١٤١ -

البغدادی انظر ابو جعفر و ابراهيم (ابو انيس)
وابو الفضل .

ابو بكر: ١٢٦ م ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٣٨٢
م ٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

بسكر (أبو عبد الرحمن) بن حماد بن بدير
(الشعاع) .

(الزفاتی) : ۱۳۷ ، ۱۴۰ ، ۲۱۴ هـ ۵۴ ،
و ۵۶ .

ابو بكر بن عمر (اللمتوني) : ٤٦١ .
٥١١ .

• ابو بکر بن عمر : ٤٢ ، ٤٨ •

أبو بكر بن أبي الفتح : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

أبو بكر بن القمودي (الفيلسوف) :
٦٢

البكرى : ١٣ هـ ١٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ،
 ١٠٤ ، ٢٠٢ ، ٢١١ ، ٣٨٨ ، ٤١٣ ،
 ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٣ .

بِلارۃ (بنت تمیم) : ۴۶۳ .

بلکین (یوسف بن زیری) : ۲۵۴ ، ۲۵۵ ،

282, 281, 280, 270, 207

301, 300, 299, 292, 291

, 3.7, 3.0, 3.2, 3.3, 3.2

327, 326, 325, 308, 307

• ۳۵۱ ، ۳۵۰ ، ۳۳۰ ، ۳۲۹ ، ۳۲۸

309, 30A, 350, 355, 357

37. 379, 370; 371, 37.

699 696 670 636 612

0:00 0:00 0:00 0:00 0:00

[illegible]

بلکین بن محمد : ۴۳۶ ، ۴۳۸ ، ۴۵۳ هـ ۲۰۰

• • •

بنوثة بن قرة : ٤١٩ .

أبو البهار خلوف (كاتب ابن باديس) :
٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٢ ، ٤٠٤ .

أو البهار الصنهاجي : ٣٤٦ هـ ، ٦٤ ، ٣٥٢ ر
٣٥٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ هـ ، ١٠٤ ،
٣٦٥ ، ٣٦٦ .

• داس سمکلیریس : ۴۷۹ هـ د •

البسوى بن موسى بن ابي العافية : ١٦٧ ،
٢١٢ هـ ٤٨ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٣٣ .

• البوصييون : ٢٧٢ •

البونى (أبو الحسن) : ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

• بنو بويه : ۱۳۶ هـ ۱۷۱ هـ .

بيزنطة (الروم) : ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ .

• البيسانيون : ٤٩٤ .

(ۛ)

• قاتمائی : ۵۱۳ •

تاج الدولة ، سيف الله ، انظر جعفر بن يوسف بن عبد الله (بصقيلة) .

ہاں تبادلت انظر عبد الله بن خرز •

التجاني : ٤١٣ ، ٤٤٨ هـ ١٠ •

• تسکین (والی مصر) : ۷۷ •

تلسکاته (وتلسکاتیون) : ۳۹۴ ، ۳۹۸ م

• ξ · γ

• بنو قلویمان : ۴۳۸ •

جائى (ج) : ١٥٤ ، ١٥٩ ، ٢٧٣ ، ٤٧٨ ،
٤٧٩ هـ ١ وهـ ٣ وهـ ٥ وهـ ٤٨٤

هـ ١٨ ، ٤٨٥ هـ ٢١ وهـ ٢٢ .

جيسارة : ٤٢٤ .

جبر بن نماسب الميلي : ٦٧ .

جبلة بن محمود الصرقي : ١٤٢ .

ابن جبير : ٤٨٢ ، ٤٨٣ هـ ١١ وهـ ١٢ .

جسدالة : ٤٣ ، ٤٤ هـ ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ،
٥١٣ ، ٥١٦ .

جراجة : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

جرادة : ٨٤ هـ ٦٠ ، ١١٢ ، ١١٣ هـ ١٢١ ،

١١٤ ، ١١٥ ، ٢١٤ هـ ٥٦ ، ٢٨٦ ،

٢٩٨ .

الجريون : ٤٧٧ .

الجرجاني (ابو القاسم) : ٥٠ ، ٣٩١ ،

٤٢٠ ، ٤٢١ هـ ٢٦ .

الجرجنيون : ٤٩٤ .

جريجورى (البابا) : ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٩٧ .

ابن الجزاد : ١٠٨ هـ ١١١ .

جزولة : ٤٣ .

جستنيان : ١٩٤ .

جشم : ٤١٨ ، ٤١٩ هـ ٩ ، ٤٣٦ .

جعفر البرمكى : ٤٠٣ .

ابو جعفر الخزري : ٦٢ .

جعفر الصادق : ١٤ ، ١٧ هـ ٣٥ .

جعفر بن تمرث : ٣٠٣ .

جعفر بن حبيب : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٦ ،

٣٥٢ .

تموصلت بن بكار : ٣١٨ ، ٣٥٥ .

تميم بن زيري بن يعلى بن محمد اليفرنى :
٥٠٣ ، ٥٠٢ .

تميم بن المعز : ٤١ ، ٤٩ ، ٢٩٨ ، ٤١٦ ،
٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٢ هـ ٢ ، ٤٤٣ ،

٤٤٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ١٤

هـ ١٥ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ هـ ٢٣

هـ ٢٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،

هـ ٣٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،

٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ،

٤٦٩ هـ ٦٧ هـ ٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ،

هـ ٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ هـ ٨٧ ،

٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ هـ ٩٨ ،

٤٩٤ ، ٤٩٦ .

تميم بن معنصر : ٥٠٥ .

تنبروتان بن اسفيسر : ٥١٢ ، ٥١٧ .

تورين (غلام ايوب بن يطوفت) : ٤٠٧ .

توزر : ٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ .

ابن تومرت (محمد) : ٢٨٨ .

تيودورا : ١٩٤ .

(ث)

ثمال بن صالح : ٤٢٠ .

ثوبان بن ابي سلاس : ١٨٤ هـ ٦٦ .

بنو ثود : ٤١٩ هـ ٩ .

(ج)

جابر بن الحسن بن ابي الحسين : ٤٨٠ .

٤٨١ ، ٤٨٣ .

الجازية : ١٠ هـ ٤ ، ٥١ ، ٤١٧ هـ ١

٤١٨ ، ٤٢٤ .

جان بلاطوس : ٢٦٨ .

٢٣٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،
٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٤٠ ،
جيملة (قبيلة) : ٨٣ .

(ح)

حارث بن جمال المزاتي : ٧٨ .

اهل الحاضرة : ٢٨٢ .

الحافض : انظر ابو الحسن .

الحافظ : ٤٧١ هـ ٧٧ .

الحاكم بامر الله : ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٥٥ ، ٣٨٠ ،
٣٨٧ ، ٤٢٤ هـ ٢٨ ، ٤٢٥ .

حامد بن حمدان الهمداني : ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٠٥ .

حاميم (ابو محمد) بن من الله : ٢١٠ ،
٢١١ ، ٢٩٨ .

حباسة بن ماكسن (زيري) : ٣٦٦ ،
حباسة بن يوسف (الملويس) : ٧٤ ، ٧٦ ،
٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١١٨ .

حبوس بن زيري : ٣٠٨ .

حبوس بن القاسم بن حماسة : ٤٠٧ .

بنو حبوس بن ماكسن : ٣٦١ ، ٣٦٧ ،
١١١ هـ .

الحجازيون : ٤٧١ هـ ٧٧ .

الحجام : انظر حسن بن محمد بن القاسم .

ابن الحداد : انظر سعيد .

ابن حزم : ٥٠٨ .

الحسن (السبط) : ١٢٥ .

حسن ابراهيم حسن : ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٧٣ ،
٧٩ هـ .

جعفر بن حميدون (الاندلسي) : ٥٣ ،
٢٦٦ .

ابو جعفر بن خرون : ١١٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

جعفر بن عبيد (ابو حميد) : ١٣٦ ، ١٥٦ ،
١٥٧ .

جعفر بن علي (الحاجب) : ٦١ ، ١٥٧ ،
١٦٤ ، ٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠٥ .

جعفر بن علي بن حميدون (الاندلسي) :
١٦٨ ، ٢٨٧ ، ١٩١ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٠ ،
٣٤٤ .

جعفر بن محمد (انصاري ، المصطفى) :
١٢٦ ، ١٩٦ .

ابو جعفر محمد بن احمد بن هارون البغدادي :
٦٢ ، ٧٥ ، ١٢٣ ، ١٣٤ هـ ١٦٥ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٥ هـ ١٣ .

جعفر بن محمد بن ابي القاسم علي : ٤٨٣ .

جعفر بن منصور الدين (ابن حوشب) :
٢٨ ، ٣١ ، ١٨٢ هـ ٥٩ ، ١٨٨ هـ ١٧ ،
١٩٠ ، ١٩١ .

جعفر بن يوسف بن عبد الله : ٤٨٤ ، ٤٨٥ ،
٤٨٦ ، ٤٨٧ .

جلاله بن زيري : ٣٦٠ ، ٣٦٥ .

جمال الدين الشيباني : ٧ هـ ١ .

الجنويون : ٤٩٤ .

جوذر : ٣٥ ، ٣٦٠ ، ٣٩٠ ، ١٨٨١ هـ ٧٥ ،
١٩٦ هـ ١٩٧ ، ٧ هـ ٢٠٠ ، ١٧ هـ .

٢٠٥ هـ ٢٣٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ .

جوشن بن حميد المندرجي : ٤٠٥ .

جوهر الصقلي : ٢٦١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ،
٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

١٣٣٤ ، ١٣٥٦ ، ١٣٦٦ هـ - ٦٤٤
 حسن بن قاسم اللواتي : ١٦٧ ، ٢١٢
 الحسن بن ماكسين : ١٤٣ هـ - ٦٣
 حسن بن محمد بن القاسم بن ادريس (الحجاء) :
 ٩٠ ، ٩١ هـ ، ١٠٣ ، ١٠٤
 حسن بن مفرج (الفقيه) : ١٣٤ هـ - ١٦٦
 ابو الحسن بن المنتصر : ٤٤٨
 حسن بن منصور (مقدم بني هراش) : ١٨٤ هـ - ٦٦
 حسن بن نصر (الداعي) انظر ابو الفهم
 الحسين (السبط) : ١٢٥ ، ٣٨٤
 حسين بن خلف الموصلي : ٢٨١
 الحسين بن زكرويه (صاحب الشامة) :
 ٥٨ هـ - ٣
 بنو ابي الحسن اليكبيين : ٢٦٨ ، ٢٧٧ هـ - ٢٨١
 حسين بن عمار : ٢٧٣ ، ٢٧٣
 حسين (ابو جعفر) بن مهذب : ٢٢٣
 ابو حفص : ٤٩٠
 ابو حفص القلاسي : ١١٩
 الحفصيون : ٤٩
 ابو حليفة (من جماعة المشايخ) : ٦٨
 حميد بن يسكين : ٢٩١ هـ - ٣٢٣
 ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩
 ٣٤٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥
 ٣٦٦ ، ٣٦٨ هـ ، ١١٢ ، ٣٨٥ ، ٤٠٦
 ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ ، ٤٤٥ ، ٤٥٢ هـ - ٥٠١
 حميد بن تميم بن زيري : ٥٠٣

حسن بن احمد بن عبد الودود التسلمي
 (الوزير) : ٣٤٦ هـ - ٦٤
 ابو الحسن الحداد : ٤١ ، ٤٦٦ هـ
 الحسن ابن احمد بن ابي خنزير : ٦٢
 ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ هـ ، ١٨٩
 ١٤٨ هـ ، ١٩١ ، ١٤٩ هـ ، ١٩٣ ، ١٥٠
 ٢٦٠
 ابو الحسن بن ابي الرحلة : ٣٨٨ ، ٣٨٤ هـ
 ٣٩٢
 حسين بن سرحان : ٥٠ ، ٥١ ، ٤١٨
 ٤١٩
 الحسن الصمصام : ٤٩٨
 ابو الحسن طيب بن اسماعيل (الخاضع) :
 ٦١
 الحسن بن ابي العيش (الادريسي) : ٣٦
 ٣٧ ، ١١٠ هـ ، ١١١ ، ١١٢
 ١١٣ هـ ، ١١٤ ، ١٢٣
 الحسن بن علي (ابو علي مكيه المبوللة) :
 ٤٢٢
 حسن بن علي (بن ابي الحسن الكلبى) :
 ١٧٧ هـ ، ٤٥ هـ ، ٤٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٦
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
 ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨
 ٢٨٢
 الحسن بن علي المستنصر : ٥٠٨
 الحسن بن عيسى (بن ادريس) : ٣٨٤ هـ - ٥٦٦
 ٢٢٦
 الحسن بن فرج بن حوشب انظر جعفر بن
 منصور اليمن
 ابو الحسن القهري : ٤٧٧
 حسن بن القاسم (جنون) : ٣١٣ هـ - ٥٣
 ٢١٤ هـ ، ٥٤ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧

٥٣١ -

الخنفية : ١٣٢ هـ ، ١٦٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ،
١٤٣ .

ابن حوقل : ٩٧ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٠٩ ،
٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٧ .

ابن حيان : ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٣ .

(خ)

الخاصة : ٢٤٣ ، ٣٢٨ .

ابن الخامي (القاضي) : ١٥٠ .

ابن خراسان (عبد الحق) : ٤٤٩ ، ٤٥٢ ،
٤٦٠ .

بنو خزر : ١١٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ، ٥٠١ ،
٥٠٢ .

خزرون بن خليفة : ٤٤٨ ، ٤٥٠ هـ ، ١١ .

خزرون بن سعيد : ٣٥٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

خزرون بن فلل بن خزر : ٣٤٢ ، ٣٤٦ ،
٣٧٧ .

خزرون بن فللول : ٥٠٥ .

بنو خزرون : ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ،
٥١١ ، ٤٩٨ ، ٩ هـ .

الحزري أنظر أبو جعفر .

الأخشيدي : ٢٤ .

ابن الخطيب : ٤٦٨ ، ٥٠٠ .

ابن خطيب سوسة : ٤٧٥ .

ابن خلعدون : ٩ هـ ، ٣ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٤٤ ،
٤٨ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

٨٨ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ،

١٧٥ ، ١٨٨ هـ ، ٧٥ ، ١٩١ ، ٢١٣ ،

٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٣٣ ، ٢٥٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩١ ،

٢٩٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٨٤ ،

أحمداديون (بنو حماد) : ٢٨٣ ، ٣٢٨ ،
٣٦٥ ، ٣٧٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ،

٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤١ ، ٤٤٨ ،

٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ،

٤٦٢ ، ٤٦٨ هـ ، ٦٢٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ،

٤٩٨ ، ٤٩٩ .

حماد بن هاشم : ١١٠٠ .

ابن حمادة : ٣٠٠ ، ١٦٤ ، ١٨٨ هـ ، ٧٥ ،
٤٤٨ هـ ، ٩ .

حماد بن وروا : ٤٤٧٠ .

بنو حمال المزاني : ٧٧ ، ٧٨ ، ١٦٨ .

حمامة بن زيري : ٣٠٨ .

حمامة بن المعز بن عطية الخراوي : ٥٠١٠ ،
٥٠٢ ، ٥٠٣ .

حمامة (بن يطوف) : ٤٠٧٠٠ .

حمد بن يعلى : ٢٣٤ .

حمد يس الصابون (موقع) : ٣٩٦٠ .

ابن حمة (صاحب برقعانة) : ٨٣ .

حمو بن هليل البرغواطي : ٤٣٩ ، ٤٤٩ ،
٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ، ١٤٠ هـ ، ٢٥ ، ٤٥٢ ،

٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ،

بنو حمود : ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

بنو حميد : ٨٤ هـ ، ٦٠ .

حميد بن ادريس بن محمد سلمياني :
٨٤ هـ ، ٦٠ .

حميد بن أبي زعليل : ٣٥٢٠ .

حميد بن يصل : ١٠٣٣ ، ١٠٤ ، ١١٠٠ ،
١١٤ ، ١١٥ ، ١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ،

٢٣٤ ، ٢٣٧ هـ ، ٥٨ ، ٥٠٥ .

حمير (الحميرة) : ٢٨٧٠ ، ٢٩٣٠ ، ٣٢٠٠ ،
٤٤٢٢ ، ٤٤٩٩ .

- البيعة (رؤساء) : ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
- دعبل (الشاعر) : ١٣٧ هـ ١٧٢ .
- أبو دقاق الكتامي : ٢٥٨ .
- أبو الدلفاء (القائد) : ٧٩ .
- دلول (والي نكور) : ٨٦ .
- دوناس بن حمامة بن المزم بن عطية المفاوي : ٥٠٣ ، ٥٠٤ .
- دياب (بن غانم) : ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ .
- ابن الدرية : ١٥٩ .
- الديصانية (أهل الباطن) : ١٣٠ هـ ١٥٦ .
- الدليم : ٤٧١ هـ ٧٧ .
- ابن أبي دينار : ٢٥١ ، ٤٠١ .
- دواس (أبو حميد) بن صولات اللهيصي : ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ .
- (ذ)
- أبو ذر الغفاري : ١٢٧ هـ ١٤٨ .
- ذو الفقار (سيف الرسول وعلى) : ٢٦ ، ٢٩ .
- ١٣٦ هـ ١٧١ ، ١٨٦ هـ ٦٨ .
- (د)
- الذاشنون : ١٤٣ .
- الرافضة : ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥ .
- رياضية الإنجليس : ٥١٠ .
- ربيعة (عرب) : ٤١٨ هـ ٦٠ .
- رجار : ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٥٠ هـ ١١٩ .
- رجار الثاني : ٤٩٥ .
- ابن أبي الرجال انظر أبو الحسن .
- الرسمةيون : ١٧١ ، ٢٨٥ .
- ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٥ ، ٤٦٨ ، ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٥ .
- الخلط : ٤٣٦ .
- خلف الحميري : ٣٤٩ .
- خلف بن خير : ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٤٩ .
- خلف بن معمر بن منصور : ١٣٢٢ .
- ابن خلصان : ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ .
- خليفة بن مبارك : ٣٣٧ .
- خليفة بن وروا : ٣٥٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ .
- خليل بن اسحق : ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٠ ، ٧٤ ، ٨١ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٧٦ هـ ٤٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ هـ ٤٨ ، ٢٠٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ هـ ١١٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
- ابن أبي خنزير انظر الحسن وانظر أحمد .
- خير المنصورى : ٧٩ .
- الخوارج : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٤ .
- الحير محمد بن خزر : ٢١٢ هـ ٤٨ ، ٢١٦ ، ٢١٧ هـ ٦١ ، ٢٢٥ هـ ١٠٧ ، ٣٢٧ .
- (د)
- داود (النبي) : ٢٤ .
- بنو دبوس : ٨٢ .
- بنو درياغل (قبائل) : ٨٤ هـ ٦٠ .
- دريد (بنى الأثيج) : ٤٦٩ .

زاوي بن زيري : ٣٠٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،
٣٦٧ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤١١ .

زبرقة (قبيلة) : ١٠٧ ، ١٠٨ هـ ١١٢ .

ابن أبي ذرع (صاحب القرطاس) : ٨٨ ،
٨٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

زرياب : ١٤١ .

أبو زعل بن مسلم (القائد) : ٣٢٤ ، ٣٣٠ ،
٣٣٤ ، ٣٥٢ .

زغبة : ٤١٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ،
٤٣٦ ، ٤٤٨ هـ ١٠ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ هـ
٢٥ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٩٩ .

أبو زكريا الوردلاني : ٣٠ هـ ٣٧ ، ٣١ .

زمور (أبو صالح) البرغواطى : ٢١٠ ، ٢٣٩ .

الزناتية : ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ،

٦٥ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ ،

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،

١٠٧ ، ١٠٨ هـ ١١٢ ، ١٠٩ ، ١١٣ ،

١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،

١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،

١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،

١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،

١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،

١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،

١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،

١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،

١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،

١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،

٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،

٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ،

٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،

٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

ابن رشد : ١٦ هـ ٢٣ .

الرشيد : ٢٣٧ ، ٤٠٣ .

ابن رشيق : ٤١٠ ، ٤٢٧ هـ ٤٣٠ ، ٤٩٣ .

الرضي (عم عبد الله بن صالح) : ٨٤ هـ ٦٠ .

الرعاة الكبار (الجمالون) : ٥١٦ .

الرفيق (القيرواني - ابراهيم) : ٤٦ ،
١٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٠١ ، ٤١٠ .

أبو ركوة : ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٥٦ ، ٤٢٥ ،
٤٤٤ .

الرندي : ٨٤ هـ ٦٠ .

الروس : ٢٧٢ .

الروم (بينظة) : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٠ ، ١٠٩ ،

١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٥٦ .

١٥٩ ، ١٨٢ ، ١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،

٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،

٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،

٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ،

٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،

٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ،

٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،

٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ،

٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ،

٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ،

٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ،

٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ،

٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،

٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ،

٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ،

٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ،

٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،

٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ،

٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ،

الرياض : انظر ابراهيم (أبو اليسر)

الشيبياني البغدادي

ريحان ابن علي الكتامي : ٩٠ .

(ز)

أبو زكي تميم بن هارث الاجاني : ١٨ .

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٢ .

٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ،
٥١١ ، ٥١٨ .

زيرى بن عطيسة الزناتى : ٣٤٦ هـ ٦٤ ،
٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٩٨ ، ٤٩٨ ،
٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

زيتب بنت اسحق : ٥١١ .

(س)

الساحل : ٩٤ ، ١٧٩ .

سالم بن راشد : ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ .

ابن السبابة : ٢٥٨ .

السبعية : ٢٤٣ .

الست (ست الكل سلطنة أخت الحاكم) :
٣٢٢ ، ٣٨٠ .

سختون : ١٣٣ ، ٣٧٩ .

السرذغوسى (strategos) : ١٥٩ ، ٢٦٦ .

سعادة الله بن هارون : ٨٤ هـ ٦٠ .

أبو سعدة خليفة الزناتى (ابيفرنى) :
١٣ هـ ١٠ (سعدة) ، ٥٠٠ ، ٤٣٨ ،
٤٩٩ .

ابن سعدون : ٣٩ هـ ٤٢ ، ١٧٤ ، ١٧٨ .

ابن سعيد : ٤١٣ .

سعيد بن ادريس : ٨٤ هـ ٦٠ .

سعيد بن الحداد (الفقيه) : ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٢ .

سعيد بن خزون الزناتى : ٣٣٥ ، ٣٤٧ ،
٣٤٨ ، ٣٦٢ ، ٣٩٥ ، ٤٤٨ هـ ١٠ ،
٤٩٨ .

زنداشى (والى طيرمين) : ٢٥٧ .

بنو زنداك (المغراويون) .

زواغة : ٨٤ هـ ٦٠ ، ١١٣ ، ٥١٠ .

زواوة : ٢٩٠ ، ٤٠٨ .

زياد بن خلفون (المتطبب) : ١٣٩ .

زياد بن عامر : ٥٠ ، ٤١٩ .

زيادة الله (الأغلبى الأخير) : ١٨ ، ١١٧ ،
١٢١ ، ١٣٢ ، ١٤٦ .

زيادة الله بن عبد الله بن القسيم : ٢٨٠ ،
٢٨١ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤١ ، ٣٧٠ ، ٤٠٢ .

زيان (ابو الفتح) الصقلبي : ٢٧٧ .

زيد بن زيد : ٤١٩ .

زيدان (الفتى) : ١٦٦ ، ٣١٨ ، ٣١٩ .

زيد العجاج بن فاضل : ٥٠ ، ٤١٩ هـ ٩ .

زيرى (ابن مناد) : ١٨٨ هـ ٧٧ ، ١٨٩ ،
٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ،
٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ،
٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٢ ، ٣٣٠ ،
٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ،
٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ هـ ١١١ ، ٣٩٤ ،
٤٠٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ .

الزيريون : ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ،
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،
٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ،
٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ،
٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ،
٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٨ ، ٣٧٩ ،
٣٨٤ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ،
٤٥٢ ، ٤٥٦ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ هـ
٦٢ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ،
٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ .

٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ،
٣٧٦ ، ٣٨٢ هـ ٦ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،
٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٥١٨ .

سبحار : ٦٠ ، ٧٩ .

آل سهل : ٢٨٩ .

سهيل بن نفيس (صاحب النققات) : ١٧٧ هـ ٤٨ .

السودان : ٤٤ ، ١٣٥ هـ ١٧٠ ، ١٨٧ ،
١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٣٦ ،
٣٤٢ .

سيار بن عبد الوهاب : ص ١١٠ .

ابن سيد بن الحنفى : انظر أحمد .

(ش)

الشفاعة : ١٣٢ هـ ١٦٠ ، ١٣٣ .

الشاكر لله : انظر محمد بن الفتح .

شاهملك : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

ابن شداد (الأمير الصنهاجى) : ٥٠ هـ ٤٩ .

بنو شداد (من يفرن) : ١٩٠ .

شرطة : ٥١٢ .

ابن شرف : ٤٠ هـ ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٣٩٠ .

٣٩١ ، ٤١٠ ، ٤١٦ ، ٤٢٧ هـ ٤٠ .

٤٣١ ، ٤٩٣ .

الشرقاء : ٢٤٣ .

الشرىف الباهرى : انظر على بن عبد الله .

العلوى .

الشرىف العلوى (رئيس الدعاة) : ١٢٦ .

الشرىف الفهرى : ٤٥٨ هـ ٣٦ .

الشرىف هاشم : ٥١ ، ٤١٧ هـ ١ ، ٤١٨ .

٤٢٥ .

ابو سعيد موسى بن احمد (الضيف) :
١١٨ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٢٥٧ .

بنو سعيد (ابن صالح بنكور) : ٨٦ .

سعيد بن صالح الحميرى : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٥ ،
٨٦ .

سعيد بن يوسف : ٢٩٩ .

سفیان : ٤٣٦ .

سكن (الثائر البرنسى نيكور) : ٨٤ هـ ٦٠ .

سكوت البرغواطى (الحاجب) : ٥٠٨ ، ٥٠٩ .

سكيليتزى : ١٥٤ هـ ٢١١ .

ابن السلار : ٣٨٥ .

سلامة بن رزق : ٥٠ ، ٤١٩ .

سلامة بن عيسى : ٣٧٦ .

سلیمان الفارسى : ١٢٧ هـ ١٤٨ .

ابن سلمة : ١٥٩ .

سلول (بن مسرة) : ٤١٩ هـ ٩ .

بنو سليم : ٤١٧ ، ٤٢٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٤ .

٢٥ هـ .

سليمان (سولومون) : ١٩٤ .

سليمان بن خيران الزويل : ١٧٦ هـ ٤٢ .

سليمان بن كافي الجيملى : ٧٧ ، ٨١ .

سليمان المستعين : ٣٦٧ .

سمطة : ٥١٢ .

سنان بن ثابت بن قرة : ١١ هـ ٧ .

السنة : ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣١ .

١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥ .

ابن شعبان (القائد) : ٣٤٦ .

الشماعى : ٣٠ هـ ٣٧ .

شميع الصقلبي : ٣٧٣ .

شواشي بن نبال : ٣٢١ .

شيخ المشايخ : انظر مارون بن يونس .

الشيعة : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٦٥ .

١٧٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٨ ، ٢١٤ ، ٢١٧ .

٢٢٠ ، ٢٣١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٢٨٨ .

٢٧٩ ، ٢٨٢ هـ ٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ .

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ، ٤٣٢ .

٥١٠ ، ٥١٨ .

الشيعة الزيدية : ١٤ هـ ١٧ .

(ص)

صابر الفتى : ١٢٠ ، ١٥٨ .

صاحب الحمار : انظر أبو يزيد .

صافي (القائد الصقل) : ٤٨٥ .

بنو صالح (بتكور) : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٦ .

١١٠ هـ ١١٥ ، ١١٤ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ .

٢٨٥ .

صالح بن سعيد بن صالح الحميري : ٨٤ هـ .

٦٠ ، ٨٧ ، ٨٩ .

صالح بن طريف : ٢٤٠ .

صالح بن عيسى بن أبي الأنصار : ٣٤٤ .

الصديني (القاضي) : ١٤٢ .

بنو صفر : ٤١٩ .

الصفرية : ١٠٨ هـ ١١٢ ، ١٦٩ ، ١٩٢ .

٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ .

الصقالبة (الماليك) : ٢٨٦ ، ٣٦١ .

صلاح الدين (الأيوبي) : ٣٩٢ .

صلاص بن حيوس : ٢١٦ .

الصليبيون : ٤٧٥ .

صنبل (الفتى) : ١٦٧ .

صنهاجة : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٨٤ .

هـ ٦٠ ، ١٠٧ ، ١٨١ ، ١٨٧ ، ٢١٧ .

٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ .

٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣٠٤ .

٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ .

٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ .

٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤ .

٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ .

٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ هـ ٢٠ ، ٤٢٥ .

٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧ .

٤٤٨ هـ ٩ ، ٤٥٠ هـ ١١ ، ٤٥٣ .

٤٥٣ ، ٤٥٤ هـ ٢٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٩٥ .

٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ .

٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .

الصوفية : ٥٤ .

صولات بن جندة : ٧١ .

(ض)

الضيف (موسى) : انظر أبو سعيد .

(ط)

أبو طار : ٢٥٨ .

ابن طالون : ١٦٥ ، ٢٧٧ .

بنو الطبري : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

طبرير (بن ملوك) : ٢٣٩ .

طريف (بن ملوك) : ٢٣٩ .

(ظ)

الظاهر (الفاطمي) : ٤٤٧ ، ٣٨٧ ، ٣٢٥

(ع)

عائذ بن أبي الفيث : ٤٣٦

عائذ بن عائذ أبي الفيث : ٤٣٦

العامة : ١٣٧ ، ٢٤٣ ، ٣٢٨ ، ٣٩٩ ، ٤٧١
هـ ٧٧

عامر (أخو الحسن بن أبي العيش) : ١١٣

ابن عامر الفزاري : ١٤٠

ابن عامر (القائد) : ٣٤٦

أبو العاعة : انظر محمد بن أبي أيوب

عبد بن صادق : ٢٩١ هـ ٩

عبد بن مروان (سيف البوتة وسيف الملك) :
٤٠٥ ، ٤١٢

أبو العباس أحمد المظبوط : ١٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،
١٤٠ ، ١٤٢ ، ٢٤٥

العباس بن عبد المطلب : ٣٩٠

عباس بن منذر : ١٨٣ هـ ٦٣

العباسيون (والدولة) : ٨ هـ ٢ ، ٣٥ ،
٦٢ ، ٧٥ ، ٩٣ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥١ ،
١٧٠ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ، ٢٨٥ ،
٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٣ ،
٤٢٠ ، ٤٩٦

العباس بن يحيى بن يعلى : ٤٩٩

عبد الجبار الخراساني : ٢٨١

عبد اترجهن (أبو التماسم) بن أنيس بن
أبي علي بن الهندي : ٣٢٢

عبد الرحمن الداخل : ٨٠ هـ

عبد الرحمن بن رستم : ٣٣

عبد الرحمن بن أبي عامر (النصارى -
شنجويه) : ٣٦٧

عبد الرحمن فهمي : ٧ هـ ١

عبد الرحمن الناصر (الأموي) : ٢٣ ، ٢٤ ،
٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٣ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ١١٠ ، ١١١ هـ ١١٦ ،
١١٢ هـ ١١٨ ، ١١٤ هـ ١٢١ ، ١١٥ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ،
١٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ هـ ٤٨ ،
٢١٣ هـ ٥٣ ، ٢١٤ هـ ٥٤ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ هـ ٢٩ ، ٢٣٠ هـ
٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٧٥ ،
٢٨٠ ، ٢٩٨ ، ٣٤٠ ، ٣٩١ ، ٤٠١

العبد الصالح : انظر صالح بن سديد صالح

عبد العزيز بن أبي كدية : ٢٢٣ هـ ٩٤

أبو عبد الله (الداعي) الشيعي : ١٨ ، ٥٧ ،
٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٢ ،
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩١ ،
٩٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٥ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
١٧٣ ، ١٧٥ ، ٢٤٥

عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن أبي العافية
(أبو عبد الرحمن) : ٥٠١

عبد الله بن أصم (الشاعر) : ١٨٦ هـ ٦٨

عبد الله بن بسكار : ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢١٦ ،
٢٢٧

عبد الله بن حسن : ٤٤٧

- عبد الله بن يثعلف : ٢٨١ .
- عبد الله بن نبال : ٣٢١ .
- عبد المجيد بن المستنصر : ٤٠ هـ ٤٢ .
- عبد الملك بن مروان : ١٤١ هـ ٢٤٧ هـ ٨٠ .
- عبد الملك المظفر بن أبي عامر : ٣٦٤ هـ ١٠٧ هـ ، ٣٦٧ ، ٤٩٨ .
- عبد مناف بن هلال : ٤٢٥ هـ ٣٠ .
- عبد المنعم ماجد : ٧ هـ ١ .
- بنو عبد الواد : ٤٩ ، ٤٩٩ .
- عبدوس المؤذن : ١٣٤ هـ ١٦٧ .
- عبدون بن حباسة : ٦٢ .
- عبيد الله (المهدي) : ٩ هـ ٣ ، ١٠ هـ ٤ ، ١١ هـ ٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ هـ ٤٢ ، ٤١ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ هـ ٧٥ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ هـ ٨٥ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ هـ ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ هـ ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ هـ ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٩٢ ، ١٩٦ هـ ٥ .
- عبد الله بن بلكين : ٣١٢ ، ٣٣٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ .
- عبد الله بن بلكين (حامد حبوس بن ماكسن صاحب غرناطة) : ١٦٧ هـ ١١١ .
- عبد الله بن حماد : ٣٩٧ ، ٤٠٨ ، ٤٤٧ .
- عبد الله بن خزر : ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ هـ ، ١١٢ ، ٢١٦ .
- عبد الله بن زياد (الكاتب) : ١٧٧ هـ ٤٨ .
- عبد الله بن سعد بن أبي سرح : ٤٣٠ .
- عبد الله بن سكرديد : ٢٩١ هـ ٩ .
- عبد الله بن سلمان : ١٣٩ ، ١٤٠ .
- عبد الله بن صالح : ٨٤ هـ ٦٠ .
- عبد الله بن أبي عامر : ٣٦٤ .
- أبو عبد الله بن عبد الصمد : ٤٠٠ .
- عبد الله بن محمد العطاس : ٤٤٧ ، ٤٥١ هـ ١٥ .
- عبد الله بن محمد بن أبي القاسم : ٤٨٣ .
- عبد الله بن محمد السكاك : ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٣٨٥ .
- عبد الله (بن المعز لدين الله) : ٢٤٢ .
- عبد الله بن المعز بن باديس : ٤٩٠ .
- عبد الله بن منكوت (منكود) : ٤٦٦ ، ٤٦٨ هـ ٦٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ .
- عبد الله بن ياسين : ١٠ هـ ٤ ، ٤٢ ، ٤٣ هـ ، ٤٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٥٦ .
- عبد الله بن يحيى بن ادريس : ١١١ ، ١١٢ هـ ١١٨ .

العرب : ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ، ٢٦٢ ، ٢٨٥ ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٢٢ ، ٣٦١ ،
 ٣٦٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ،
 ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
 ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ هـ ٣ ، ٤٤٩ ،
 ٤٥٠ ، ٤٥١ هـ ١٤ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ هـ
 ٣٠ ، ٤٥٤ هـ ٢١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ
 ٣٢ ، ٤٥٨ هـ ٣٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ هـ
 ٤٦١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ هـ ٤٦٨ ، ٤٦٩ هـ
 ٦٢ ، ٤٦٩ هـ ٧١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ،
 ٥١٨

عروبة بن يوسف اللوسى : ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٦٨ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٢٨٨

عز الدين بن شداد : ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ،
 أبو العزم (الكتانى) : ٣٣٢ ، ٣٣٤

العزیز (نزار) بن المعز : ٢٢٣ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١١ ،
 ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ،
 ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٤٦ هـ ٦٤ ، ٣٥٩ ،
 ٣٧١ ، ٣٨٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤

العز بن سكوت (ضياء الدولة) : ٥٠٩

العزیز بالله بن النصور (بن الناصر بن
 علناس) : ٤٧٦ ، ٤٨٣

بنو عصام : ٢٨٥

ابن عطف : ٢٦٣ ، ٢٦٤

أبو العطف : انظر دوناس بن حماسة بن المعز
 ابن عطية المفراوى

بنو عطية : ٤١٩

عطية بن جعفر : ٣٥٥

عقيف بن كرداس : ٧٧

عقبة (المستجاب) : ٢٤٥ هـ ٧٨

١٦٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ هـ
 ١٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ،
 ٣٠١ ، ٤٣٦

بنو عبيد (العبيديون) : ٤١٤ ، ٤٢٤ ،
 ٤٩٦

العبيد السودان : ٢٤٣ ، ٣٠٨ ، ٣٣٣ ،
 ٣٣٧ ، ٣٥٣ ، ٣٦٥ ، ٣٨٥ ، ٤٢٩ ،
 ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ
 ٣٢ ، ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٨٦

عبيد القصر (المالك) : ٦٥ ، ٦٨ ، ١٠٥ ،
 ١٠٦ ، ٣٠٦

أبو عبيدة (عبد الحميد) بن عمار الاعشى :
 ٣٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٨٤ هـ ٦٢ ، ١٨٨ ،
 ٧٧ هـ

عثمان (ابن عفان) : ١٢٦ هـ ١٤٢ ، ١٤٢ ،
 ٢٩١

عثمان بن سعيد (مسلم التمدنمى) : ٦١ ،
 عثمان بن سعيد : ٤٦٨

عجيسة : ١٠٦ ، ٢٩٠ ، ٥٠٤

العدنانية : ٤١٧

عدوان (بن عمر) : ٤١٩ هـ ٩

بنو عدى : ٤٤٣ ، ٤٤٤ هـ ٣ ، ٤ ، ٤٤٨ ،
 ٤٥٠ ، ٥١ ، ١٤ ، ٤٥٤ هـ ٢٤ ،
 ٤٧٥ ، ٤٥٦

ابن عذارى : ٣٠ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،

٦٤ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١٢٣ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ١٣٨ هـ

١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ،

١٧٤ ، ٧٥ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ،

٢٣٩ ، ٥٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ ،

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ،

٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،

٤٥١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٨ ، ٤٨٤ ، ٥٠٨

علي بن هبة الله التلخمي (العميلة الشاعر) :
٣٥٣ هـ ٧٩ .

علي بن أبي الفوارس : ١٤٦ .

علي بن لقمان : ١٠٢ .

علي بن مجاهد : ٤٩٧ .

علي بن محمد بن أبي العرب : ٣٢١ .

علي بن مصالة : ١١٣ .

علي بن يوسف : ٤٨٦ .

أبو عمار الأعمى : انظر أبو عبيدة .

ابن عمار (ابن أبي الحسين الكلبي) : انظر
الحسين .

عمار بن علي بن أبي الحسين الكلبي : ٢٦٩ .

عمار بن ياسر : ١٢٧ هـ ١٤٩ .

عمر : ١٢٦ هـ ١٤٢ ، ١٧٨ ، ٣٠٢ ، ٣٨٢

هـ ٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

عمر بن عبد العزيز : ٢٤٦ .

عمر بن المغز بن تميم : ٤٧٤ هـ ٨٧ ، ٤٧٥ .

(أبو ميمر) عمران بن أحمد بن عبد الله بن

أبي محرز القاضي : ١٢٢ ، ١٢٣ .

ابن عمران : ٢٥٧ .

عمران بن حكان : ١٤٠ .

عمران بن أبي خاتمة بن أبي سلام : ١٢٣ هـ

١٣٩ .

عمرة (بن أسد) : ٤١٩ هـ .

عمرو (أبو الحكم) بن عبد الله بن أبي عامر

(عسقلانية) : ٣٤٦ هـ ٦٤ .

عمرو بن سندان : ٤٤٨ .

عوف : ٤٢٣ .

عقيل (بن المغز لدين الله) : ٢٤٢ .

العلاء بن مغيث : ٨٠ هـ .

أم العلو (بنت باديس) : ٣٨٠ ، ٣٩٧ ،
٤٤٧ .

علي (ابن أبي طالب) : ٢٦ ، ٢٩ ، ١٢٥ ،
١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ هـ ١٤٨ ، ١٣٤ ،
١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٧٢ ، ١٨٩ هـ ٧٨ ،
٢٩١ .

العلويون (العلوية) : ٨ هـ ٢ ، ٣٥ ،
٣٦ ، ٣٧ ، ٥٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٢٤٦ ،
٢٨٥ .

علي بن أحمد بن أبي خنزير : ١٤٦ .

علي بن أحمد بن فرهب : ١٤٨ .

علي (أبو الحسن) ابن الاخشيذ : ٢٤٩ .

علي بن تميم بن المغز : ٤٩٤ .

علي بن أبي الحسين : ٢٦٠ ، ٢٦٥ .

علي بن حمود : ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

علي بن حمدون (الأندلسي) : ٥٣ ، ١٠٦ ،
١٦٨ هـ ١٨٤ ، ٦٦ .

علي بن الخواصي : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

أبو علي بن خلدون (انقريه) : ٣٨٢ هـ ٦ .

علي بن رزق : ٤١ ، ٤٩ .

علي بن سلمان (الداعي) : ٨١ ، ١٠٤ .

علي بن سليمان بن كافي : ١٠٥ هـ ١٠٣ .

علي بن الطبري : ٢٦٥ .

علي بن عبد الله انعلوي (الداعي) : ٣١٧ .

علي عبد الواحد : ٤٨ .

علي بن عمر البيلوي : ١٤٧ .

٣٤٠ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
 ٤٠ هـ ٤٢ ، ٤١ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٤ ،
 ٥٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ،
 ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ هـ ١٠٢ ،
 ١٠٥ ، ١١٥ ، ١١٦ هـ ١٢٧ ، ١٢٢ ،
 ١٣٣ ، ١٣٦ هـ ١٧١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ،
 ١٤٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦١ ،
 ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
 ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
 ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ،
 ٢٤٧ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٥ ،
 ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٦ ،
 ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ،
 ٣٤٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٨٨ ،
 ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤١٨ ،
 ٤٢٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ هـ ٩ ، ٤٥٩ ،
 ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٧٣ هـ
 ٧٩ ، ٤٧٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ،
 ٥٠٠ ، ٥٠١

فتوح بن الخيز : ٢١٧

الفتوح بن دوناس بن حمامة بن الغز بن عطية
 المقراني : ٥٠٤ ، ٥٠٥

فتوح بن علي : ٣٥٥

أبو الفتح يوسف سيف الدولة: انظر بلكن

فرج بن عفير : ١١١ هـ ١١٦

فرج (الفتي) : ٢٦٦

أبو الفرج (الكتامي الدعي الفاطمي) :
 ٣١٥ ، ٣٣٤ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٩٩

أبن فرقان : ١٧٣

أبو فريدين : ٧٩

فرارة : ٤٢٩ هـ ٩

عضل بن حبوس : ١٠٥ هـ ١٠٣

عيسى بن حاتم : ٢١١

عيسى بن داود المسطاسي : ٢١٠ ، ٢٣٩

عيسى بن القاسم (جنون) : ٢١٣ هـ ٥٣ ،
 ٢١٤ هـ ٥٤

عيسى بن أحمد الفاضل : ٢١٥ هـ ٥٨

عيسى بن مسكين (الناضي) : ١٣٩

أبو العيش بن عيسى : ١٦٨ ، ١٦٩

أبو العيش (أحمد) بن القاسم كتون
 (الفاضل) : ٢١٣ هـ ٥٤ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤

العيون والحدائق (مجهول) : ٣٠

(غ)

الغز : ٤٧١ هـ ٧٧ ، ٤٧٣

غالب (مولى الناصر) : ٢٣٠

أبو غالب الشيزدي (رسول بغداد) : ٣٩٠ هـ
 ٢٨

أبو غانم (الكاتب) : ٨١

الغزاة : ٢٧٨

غمارة : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٢١١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ،
 ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩

(قد)

فارسي بن أبي الفيث : ٤٣٦

الفاضل : انظر أبو العيش بن كتون : ٥٤
 ص ٢١٤

فاطمة (الزهراء) : ١٢٥

الفاطميات : ١٠٠

الفاطميون : ٧٠ ، ٨٠ هـ ٢ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ، ٣٤٠

— ٥٤٢ —

أبو القاسم بن الحسن بن علي (الصلاتي) :
٢٧٦ ، ٢٧٧ .

أبو القاسم بن حسين : ٣٢٣ هـ ٩٤ .

القاسم بن حمود : ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

القاسم بن علي بن علي : ٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ ٣٢ .

أبو القاسم علي بن الحسن بن أبي الحسين :
٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ .

قاسم بن محمد بن طلحة : ٢١٣ .

القاسم بن محمد بن عبد الرحمن : ٥١٠ .

أبو القاسم بن محمد بن أبي العرب : ٣٢٠
٤٣٩ ، ٤٤٠ .

القاسم بن محمد بن القاسم : ٥٠٨ .

أبو القاسم بن القاسم : ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٨ .
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

القاسم بن محمد بن علي : ٢١٣ .

أبو القاسم (القائم ابن المهدي) : ٢٠ ، ٢٢ .

٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ .

٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ .

٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ .

٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ .

٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ .

٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ .

٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ .

١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ .

أبو القاسم بن يزيد : ٣٨٧ .

قاضي بن إبراهيم بن بلونة : ٤٧٤ .

أبو الفضل بن عبد الواحد البغدادي : ٣٨٦
٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

الفضل بن أبي علي المرادي : ٤٣٦ .

فضل بن ناهض : ٤١٩ ، ٤٢٠ .

فضل بن أبي يزيد : ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ هـ ٧٧ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ هـ ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

فلعل بن سعيد الزناني : ٣١٨ ، ٣١٩ .

٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ .

ابن فندي : ٣٢ .

أبو الفهم حسن بن نصر بن الخراساني :

٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ .

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .

٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

فيت : ٧ هـ ١ .

(ق)

القائد بن حماد : ٤٥٣ هـ ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

قائد بن ميمون الصنهاجي : ٤٥١ ، ٤٥٢ .

القائد : انظر أبو القاسم .

القائد (بن حماد) : ٤٠٨ هـ ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ .

٤٣٦ ، ٤٣٧ .

القائم العباس (ابن القادر) : ٣٨٨ ، ٣٨٩ .

٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

القادر (الخليفة العباسي) : ١٣٦ هـ ١٨١ .

القاسم بن ابراهيم : ٣٦ .

أبو القاسم بن الحسن : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

١٠٠ ، ٩٣ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٧٥ ، ٧٣
 ١١٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠١
 ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢١
 ١٨١ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٥٣
 ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٠٦
 ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠
 ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥
 ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
 ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١١
 ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨
 ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤
 ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٣
 ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤
 ٣٩٦ ، ٣٩٩ ، ٤٠٧
 كرامت بن المنصور : ٣٧٨ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧
 أبو كسية : ٢١١
 الكلابي (الخلفي) : ١٣٢
 كلاله (من يفرن) : ١٩٠
 الكليسون : ٤٧٨ ، ٤٨٥ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٩
 ابن كلدة (مقدم جربة) : ٣٩٩
 كهات بن مديني : ٢٩٩
 أبو الكمال : انظر تميم بن زيري بن يعلى بن
 محمد اليفرنى
 بنو كملان : ١٠٦ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣
 ٦١ ، ١٨٨ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٩١
 ٢٣١ ، ٢٠٦
 ابن الكوخى : ٢٦٣
 (ل)
 لاه (لأسقفه صقلية) : ١٥٧
 لقوط بن يوسف بن على (المغراوى) : ٥١١
 لساية : ٧٢٠ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٢

القحطانية : ٤٠٩٠
 قدام (الخادم الصقلاني) : ٢٠٣
 ابن القديم : انظر أبو القاسم : زيادة الله
 القرامطة : ٩ ، ٣ ، ٢٤٠ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٢
 ٥٨ ، ٣ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ٢٠٨
 ٢٤٩ ، ٤١٧ ، ٤١٨
 بنو قرة : ٤٤٤٠ ، ٤٤٨٠ ، ١٠٠
 ابن القرنين : انظر محمد بن اسحق القرشي
 بنو قرة : ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٥٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦
 ٣١ ، ٤٣٦
 ابن قزح : ٤٠ ، ١٣٠
 قسطنطين (السابج) : ٢٤١٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩٠
 قصيرة (قبيلة) : ١٠٨
 القلقشندي : ٨
 أبو قمح : ١١٥
 ابن القمودى : انظر أبو بكر
 القيسية : ٢٨٧
 قيصر (الصقلبي) : ٢٢٣ ، ١٣٠
 (ك)
 كادو بن معارك المساوطتي : ٧٠٠ ، ٧٨١ ، ٧٤٠
 كافور (أبو لاسك) : الاخشيسى : ٢٤٩ ، ٣٥٠
 كباب بن زيري : ٢٩٩ ، ٣٠٨ ، ٣٥٨
 كباب بن ائمز بن باديس : ٤٠٣
 كبون : ١٧٥
 كتامة (الكتاميون) : ١٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٤٠
 ٢٨ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤٤
 ٦٧٠ ، ٦٨٠ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٨٠ ، ٧٢

- توتنة : ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٨ ، ٥١٦ ، ٥١٣ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٣ ، ٤٢ : لطة
لهيصلة (قبيلة) : ٨٢ ، ٢٠٧
اللومباردية : ٤٧٩ م ٥
لواتة : ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٨٦ ، ٣١٩ ، ٣٤٤ ، ٣٩٧
ليتورنو : ٥٢
لين بول : ٧ م ١
ليفى يروفنسال : ٧ م ١
(م)
بشو ماجكسن : ١١١ م ١١٦
ماجيسترانوس : ٤٩٠
مارسيه (جورج) : ٧ م ١ ، ٥٢ ، ٩٣
داريانوس (اجروس) : ٢٦٩
ماس لاترى : ٧ م ١
ماسيه (هنرى) : ١٥ م ٢٢
ماقى بن محمد الصنهاجى : ٤٦٣
ماضى بن مقرب : ٥٠ ، ٥١ ، ٤١٩ ، ٤٣٤ ، ٣٠
ماطيط بن يعلى : ١٩١
ماكس فان يوسم : ٧ م ١
ماكسن بن زيرى : ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٦٦
ماكسن بن مناد (أخو زيرى) : ٤٨٩
ماكنون (ماكنون أبو يوسف) بن ضيارة
الأجاني : ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣
- مالك (ابن أنس) : ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٢٤٧ م
٨٠ ، ٣٨٢
المائكى (صاحب رياض النفوس) : ١٤٢ م
١٤٣ ، ١٤٤
المالكية : ٥٢ ، ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٢ م
١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ م
١٤٥ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ م
٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ م
٣٨٥ ، ٣٩٤
بنو ماند : ٤٣٨
مانويسل : ٢٦٣ م ١٢٢ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ م
٢٧٤
الموردى (القاضى صاحب الأحكام السلطانية) :
١٣٦ م ١٧١
المساوطنتى : انظر كادو
المتقلبون : ٢٤٨
المتكلمون : ٤٨٨
المتنبى : ٤٥١ م ١٥
المثنى بن تميم : ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ م
مجاهد (صاحب دانية) : ٤٩٧ م
المجوس : ٨٤٠ م ٦٠
مجارب بن عبد الله بن ثعلبة : ١٠٤ م
١٠٢
مجارب (أبو يوسف) الأزدي : ١٦٩ م
مجرز (الولي الصالح) : ١٢٤ م ٩٧
محسن بن القائد بن حماد : ٤٥٣ م ٢٠
محسن بن ماكسن : ٣٦٦ م
محسن بن القائد بن حماد : ٤٣٦ م
بنو محليسة : ٤٤٥ م

محمد بن حسن (قائد باديس) : ٣٥٢ م

محمد بن حفص الفهم : ١٣٤ م ١٦٨

محمد بن خزر (بن صيلات) : ٣٥ ، ٣٦ م

٣٨ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٩ ، ٩١ م

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ م

١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١ ، ١١٤ م ١٦٣

٥ م ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ م

١٩٠ م ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ م

٢١٧ م ٦١ ، ٢٢٥ م ١٧ ، ٢٣١ م

٢٣٦ ، ٤٣٨ م

محمد بن اخير بن محمد اليفرنى : ٢٢٧ م

٢٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ م

٢٥٥ ، ٢٥٦ م ١٠٥ ، ٣٠٠ م

محمد بن خيرون : ١٣٥ م ٦٧٠ م

محمد بن رماحس : ١٨٦ م

محمد بن سحنون : ١٣٩ ، ٣٧٩ م

محمد (أبو عبد الله) السدرى : ١٤٤ م

محمد بن السرقوس : ١٤٥ م

محمد بن ابي سعيد الميل (صاحب السوق) : ٦٩ م

محمد بن سلام بن سياد (البرقى) : ١٤١ م

محمد الششونى (الزاهد) : ١٣٤ م

١٦٦ م

محمد بن ابي عامر (المنصور والعاصريون) : ٢٣٩ م

٢٤٢ ، ٢٥٥ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ م

٦٤ م ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ م

٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٩٨ م

٥٠٧ ، ٥٠١ م

محمد بن العباس الهندى : ١٣٤ م ١٦٩ م

محمد (الهذلى) بن عبد الجبار : ٣٥٦ م

٤٤٥ م ٥ م

محمد (الرسول) : ١٢٥ ، ٢٤٨ م

محمد (الأخشىد) : ١٦٦ م

بنو محمد (الأدارسة) : ١١٠ ، ١١١ م

١١٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ م

٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٤ م

محمد بن أحمد الطزى : ٢٠٤ م

محمد بن ادريس بن علي : ٥٠٧ ، ٥٠٨ م

محمد بن ادريس (أبو انعش) بن عمر : ٣٦ ، ٢١٢ م ٥٣ م

محمد بن أحمد (انعماني) : ١٤١ م

٨٠ م ١ م

محمد بن أحمد بن فرهب : ١٤٩ ، ١٥٠ م

محمد بن اسحق القرشى (ابن القليلين) : ٧٣ ، ٧٤ م

محمد بن ابي ايوب (أبو العاصم) : ٧٥ م

محمد بن البديل : ١٢٨ م ١٤٩ م

محمد بن البليغ : ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ م

٣٦ م

محمد تارشنى : ٤٤ م

محمد بن ابي ترحال البانماني : ٦٨ م

٢٩ م

محمد بن تومرت : ٨ م ٢ ، ٩ م ٣ م

١٦ م ٢٣ ، ٤٧٧ م

محمد بن الشونة : ٤٩١ ، ٤٩٢ م

محمد بن جسا : ٢٦٥ م

محمد جواد : ١٥ م ٢٢ م

محمد بن الحسن (وزير المعز بن باديس) : ٢١٤ م

٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢ م

٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ م

- محمد بن عبد الرحمن (الامام الأندلسي) :
٨٤ هـ ، ٦٠ ، ٣٨٦ ، ٥٠١ .
- محمد (أبو الفضل) بن عبد السلام :
١٤١ .
- محمد بن عبد العزيز : ٣٨٧ .
- محمد بن عبد اتقادر بن خلف : ٣٣٥ .
- محمد بن عبد القاهر بن خلف : ٣٧٦ .
- محمد بن عبدون : ٢٦٥ .
- محمد بن عبد الله (صاحب المظالم) :
٣٣٩ .
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم (آخر بني موسى بن أبي العافية) : ٢١٢ .
- محمد بن عبد الله بن عيسى : ٢١٤ هـ ، ٥٤٤ .
- محمد بن عبد الله بن مسسرة القرطبي :
١٣٨ هـ ، ١٧٥ .
- محمد بن عبد الله بن هاشم (القاضي) :
٣١٦ .
- محمد عبد الهادي شعيرة : ٤٤ هـ ، ٤٦ ، ٥١٢ .
- محمد بن أبي العرب (الكاتب) : ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ هـ ، ٢٧٩ ، ٤٠٢ ، ٣٧٦ .
- (محمد بن عمر) الكروزي (القاضي) :
١١٩ هـ ، ١٣٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ هـ ، ١٦٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ٢٤٥ .
- محمد بن عمران النفتي : ١١٩ .
- محمد بن الفتح (ابن واسول) انشاك الله :
١٧٠ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ هـ ، ٦١ .
- محمد بن القاسم : ٥٠٨ .
- محمد كامل حسين : ٢٦ هـ ، ٣٦ .
- محمد بن الأمير أبي الكمال تميم : ٥٠٣ .
- محمد بن محمد بن سحنون : ١٤٥ .
- محمد بن محمود بن السكالك : ٤٠٤ ، ٤١٢ .
- أبو محمد المعتز : ٣٤٢ .
- محمد بن ميمون (من عبيد اختلاف) :
٣٣٢ ، ٣٣٤ .
- محمد (أحمد) بن نصر (الباغاتي) :
٧٣ ، ٧٤ .
- محمد بن هاني الأندلسي : ١٢٨ هـ ، ١٤٩ ، ١٣٦ ، ٢٥٢ ، ٢٨٤ .
- محمد بن واسول : ٢٣٦ ، ٢٣٧ هـ ، ٦٠ ، ٢٣٨ .
- محمد بن يصل (المنكاس) : ٢٣٦ .
- محمد اليعلاوي : ٢٥ هـ ، ٣٥ .
- محمد بن يوسف الكوراق : ٢٥٥ .
- مختار بن القاسم : ٤٢٤ هـ ، ٢٨ .
- مخلد بن كيداد : أنظر أبو يزيد .
- أبو مخير : أنظر زياد بن عامر (٤١٩) .
- بنو مدرار : ٩١ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٨٥ ، ٣٤٢ .
- مدين بن موسى بن أبي العافية : ١١٤ هـ ، ١٢٣ ، ١١٥ ، ١٦٩ هـ ، ٢٧ ، ٢١٢ هـ ، ٤٨ ، ٢١٦ ، ٢٣٣ .
- أبو مدين بن فروخ اللهيبي : ٨٠ ، ١١٨ .
- أبو مدين مئاوة اللهيبي : ٧٤ .
- مدين بن موسى بن أبي العافية : ٥٣ .

- الرابضون : ٧ ، ٧ هـ ١ ، ١٢ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ هـ ٤٦ هـ ٤٧ هـ ٤٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٤ ، ٢٨٨ ، ٢٨٦ ، ٤٣٩ ، ٤٥٤ هـ ٢٣ ، ٤٦١ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .
- مرداس (بطن) : ٨ هـ ٤١٩ .
- مرماذوا (القائد الكتاني) : ١٦٧ .
- بنو مروان (المروانيون) : ٣٥ ، ٣٧ ، ٨٤ هـ ٦٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ هـ ٨٠ ، ٤٤٤ ، ٤٣٩ .
- مريان (السردغوس) : ٢٧٠ .
- بنو مزين : ٣٨ ، ٤٩ ، ٤٩٩ .
- مريضة : ١١٤ .
- مزحل : ٤٩٩ .
- مزاة : ٣٤ ، ١٠٦ .
- المزدكية : ١٣٠ .
- مزرعة (من مكناسة) : ١٩٠ .
- بنو مزغنة : ٢٩٢ ، ٤٥٨ ، ٤٩٧ .
- المستعربة : ٢٨٦ .
- المستعين (خليفة قرطبة) : ٥٠٦ .
- المستقر (الامام) : ٧٠ .
- المستنصر (الحكم) : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٤٠٤ .
- المستنصر (الفاطمي) : ١ هـ ٧ ، ٢٦ ، ١٤٢ ، ٣٢٥ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ هـ ٣٣ ، ٣٩٢ هـ ٣٤ ، ٤٠١ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ هـ ٢٣ ، ٤٢٤ .
- مسرور الخادم : ٢٨ ، ١٩١ هـ ٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٢٧ .
- مسعود (الفتى) : ١٥٦ .
- ابو مسعود (من شيوخ الهلالية) : ٤٣٦ .
- مسعود بن واثودين : ٥٠٦ ، ٥١٧ .
- المسعودي : ١١ ، ١١ هـ ٦ ، ١١ هـ ٧ .
- المسـلمون : ٢٤١ ، ٢٤٢ هـ ٧١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٦١ .
- ابو مسلم الخراساني : ٦٣ .
- مسلم السجلماسي : انظر عثمان بن سعيد .
- مسوفة : ٤٣ ، ٢٨٨ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٨ .
- السيح : ٢٨٤ .
- المشارقة : ١٣٠ ، ٨٥ ، ٢٠٢ .
- مصالبة بن جيوس الكناسي : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ هـ ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٨ .
- المصامدة (مصمودة) : ١٦٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ .
- المصريون : ٨٠ هـ .
- مصطفى غالب : ٢٦ .
- مصعب بن مائنا : ١٠٧ هـ ١٠٨ .
- الضحاك : ٤١٩ .
- مطماطة : ٨٤ هـ ٦٠ ، ١٠٧ ، ١٠٨ هـ ١١٢ .
- الطبع (العباسي) : ٢٠٨ .

• المنذر الصقلي : ٢٢٢

المنذر بن عبد الملك بن أبي عامر : ٢٥٤
• ٢٣ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥

المنذر بن علي (كاتب حمو بن مليل) :
• ٤٥١ م ١٥

• معاوية : ٨٨

معبود بن خزر (أخو محمد) : ١٨٨
• ٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢١٧
• ٢٣١

المعتز بن محمد بن ساروا (المديري) :
• ٩١ ، ١٦٩ ، ٢١٧

• المعتزلة : ١٣٥ ، ١٤٢

• المعتصم : ٤٧١

• المعتصم بن صالح : ٨٤ م ٦٠

• المعز بن باديس : ١٠ م ٤ ، ١٣ م ١٠

• ٤١ ، ٥٠ م ٤٩ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٨٧

• ٢٩٥ ، ٣٠١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٨

• ٣٣٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ م ١١١ ، ٣٧٨

• ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ م ٦

• ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨

• ٣٨٩ م ٢٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣

• ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨

• ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣

• ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩

• ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦

• ٤٢٠ م ١٦ ، ٤٢١ م ١٦ ، ٤٢٢

• ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ م ٣٤ ، ٤٢٦

• ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١

• ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦

• ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٧

• ٤٤٩ ، ٤٥٠ م ١١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢

• ٤٥٣ م ٢٠ ، ٤٦٠ ، ٤٦٦ ، ٤٦٦

• ٤٧٦ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩٣

• ٤٩٤ ، ٤٩٦

• ام المعز (ابن باديس) : ٤٠٤

المعز لدين الله (الفاطمي) : ٣٠ ، ٢١

• ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٩٢

• ٧٥ ، ١٠١ ، ١٢٧ م ١٤٩

• ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٦١ ، ١٦٢

• ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٨٨ م ٧٦ ، ١٩١

• ١٩٦ م ٥ ، ١٩٧ م ٦ ، ١٩٩

• ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨

• ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٨ ، ٢٢٠

• ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

• ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

• ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦

• ٢٣٧ م ٥٨ م ٥٩ م ٦٠ ، ٢٣٨

• ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

• ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ م ٧٩ م ٨٠

• ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

• ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٨

• ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥

• ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

• ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥

• ٢٩٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦

• ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

• ٣٣٥ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٥٨

• ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦

• ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٥٠٤

• المعز بن زيري بن عطية : ٣٦٣ ، ٤٥٣

• ٤٥٤ م ٢٣ م ٢٤ ، ٤٩٨ ، ٥٠٢

• ٥٠٥ ، ٥٠٦

• المعز بن محمد الصنهاجي : ٤٤٩

• المعقل : ٤١٩ م ٩ ، ٤٣٦

• المعلم بن محمد (اللوس) : ١٠٥

• ١٠٣ م

• ابو معلوم فيجلون : ١٠١

• معلى بن محمد اللوس : ١٣١

• معنصر بن حماد بن معنصر ابن المعز بن زيري

- ابن عطية : ٥٠١ ، ٥٠٥ .
- المساربة : ٨٢ ، ١٣٧ ، ٢١٦ ، ٢٦٥ .
- ٤٤٨ ، ٤٧١ هـ ٧٧ .
- مغراوة (المغراويون) : ٢١٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣٩١ ، ٤٣٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .
- ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ .
- ٥١١ .
- معتين بن زيري : ٣٠٨ ، ٣٥٨ .
- مقيلة (بلد) : ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٩٤ .
- مقاتل بن عطية : ٣٤٦ هـ ٦٤ .
- المقتدر العباسي : ١٢٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .
- المقتدر بن الأسود : ١٢٧ هـ ١٤٩ .
- مقتدر بن سعد : ٢١٢ هـ ٤٨ .
- المقرئزي : ١٣٢ ، ٢٢٠ ، ٣٠٤ .
- مقلد بن تميم : ٤٧٢ .
- المكتفي (الخليفة العباسي) : ٨ هـ ٢ ، ٢٤ .
- ابن مكران : ٤٦١ ، ٤٩٧ هـ ١ .
- مكرو جوهانيش : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .
- مكناسة (قبائل) : ٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٧ .
- ٦٧ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٦٠ ، ٢٠٩ .
- ٢١٢ ، ٣٩١ .
- مكين بن كامل الدهماني : ٤٧٣ ، ٤٧٤ .
- ٤٧٥ ، ٤٧٦ .
- أم ملال (أخت باديس) : ٣٢٢ ، ٣٨٠ .
- ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٩٢ .
- الملثعون : ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٤٣١ .
- ٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٨ .
- ملجبان (مانكينوس) : ٢٦٧ .
- بنو ملكان بن كرت : ٢٩٢ .
- ملك بن علوي الصنجري : ٢٦٤ ، ٤٧٠ .
- ملوسة (قبيلة) : ٨٢ .
- ملوك الطوائف : ٣٩١ .
- مليحان بن عباس : ٤١٩ .
- مناد (ابن منقوش) : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٥٧ .
- المنافقون : ٦٤ ، ٦٦ .
- المنصور بن خزون المغراوي : ٤٢٩ ، ٤٤٨ ، ٤٥٠ هـ ١١ .
- أبو المنصور بن المعتز (بن واسول) : ١٦٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ هـ ٦١ .
- المنجمون : ٥٩ .
- المنصور (العباسي) : ٩٣ ، ٩٧ .
- المنصور (أبو تاهر اسماعيل الفاطمي) : ١٣ ، ٢٠ ، ٢٢ هـ ٢٣ ، ٢٣ ، ٢٤ .
- ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٠ .
- ٤٢ هـ ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .
- ٦٨ هـ ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ هـ ٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .
- ١٩٦ ، ١٩٧ هـ ٧ هـ ٩ ، ١٩٨ هـ ١١ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .
- ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
- ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ .
- ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ .
- ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
- ٢٣٤ .
- المنصور بن باديس : ٣٢١ ، ٣٢٣ هـ ٩٤ ، ١٢٤ ، ٣٣٩ .
- المنصور بن بلكين : ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .
- ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .
- ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

مؤنس بن يحيى المردسى الرياحى : ٥٠ . ٥١
 م ٥٠ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ م ٣٤ :
 . ٤٢٦ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦

المؤيد بن عبد البديع بن صالح (صاحب
 شكور) : ١١٤ .

المسالى : ٢٢ .

الموحسون : ٧ م ١ ، ٨ م ٢ ، ١٢ .
 ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٢١٠ ، ٢٨٨ .
 . ٤٧٧ ، ٢٨٩

مورجى : ٤٧٩ م ٤ .

موزالون : ١٥٤ .

موسى بن أبى العافية (المكناسى) : ٣٧ ،
 ٣٨ ، ٥٣ ، ٨٧ ، ٨٨ م ٦٧ ، ٨٩ ،
 ٩٠ م ٧٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ .
 م ١١٥ ، ١١١ م ١١٦ ، ١١٢ ،
 ١١٣ م ١٢١ ، ١١٤ م ١٢٣ ، ١١٥ .
 ١٣٧ م ١٧٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
 ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ .
 ٢٣٣ ، ٢٩٨ ، ٥٠١ .

بنو موسى بن أبى العافية : ٥٠١ .

موسى بن عبد الرحمن الودانى : ٧٦ .

موسى (أبو الأسود) بن عبد الرحمن
 ابن جندل « موسى القطان » : ١٣٩ .

موسى بن نصير : ١٣٩ ، ١٤١ .

موسى بن يحيى : ٥٠ ، ٤٤٩ .

الموصلى (اسحق) : ١٤١ .

بنو مولاب (من مكناسة) : ١٩٠ .

المولدون : ٢٨٦ .

المؤيد هشام : ٣٤٢ .

ميسرة المدغرى : ٢٤٠ .

. ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ .
 ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
 ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ .
 ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٨٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ .
 . ٤٠٥ ، ٤٠٨ ، ٤٢٩ .

منصور بن سنان : ٣٨ .

منصور بن عامر (عامل التبروان) :
 . ١٧٧ م ٤٨

المنصور بن أبى عامر : أنظر محمد بن أبى
 عامر .

أبو منصور عيسى بن أبى الأنصار : ٢٠٩ ،
 . ٢١٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ .

المنصور بن المعز بن باديس : ٤٣٧ .

المنصور بن الناصر بن عذناس : ٤٧٠ ،
 . ٤٧٦

منقلد بن موسى بن أبى العافية : ٢١٢
 . ٤٨ م

من الله بن الحسن بن أبى خنزير : ٨١ .

منهال بن موسى بن أبى العافية : ١٠٣ .

ابن أبى النهال (القاضى) : أنظر اسحق .

منيكس (جورج) : ٤٩٠ .

منيب بن سلمان المكناسى (اداعى) :
 . ١٣١

المخير بن محمد بن خزر : ١١٠ م ١١٤ .

المهاجرون : ١٨٢ .

المهدى : أنظر عبيد الله .

مهنى بن على : ٤٦٠ ، ٤٦٢ .

المؤذنون : ٢٤٥ .

مؤمن بن يومر الهوارى : ٥١٠ .

مؤنس (الخادم) : ٨٠ .

١٦٢ هـ ١ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٩٣ ،
١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٦
هـ ٣٧ ، ٢٢٠٠ هـ ٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٢ ،
٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ .

• نعيم بن كنون : ٤٤٥ .

• نفوسة : ٨١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٢٨٣ .

• نفلور فوكاس : ٢٤٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥
هـ ١٥٩ .

• نقيتاس (البطريق) : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

• النكار (الخوارج) : ١٠٩ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٧٤ .

• نمت (من يفرن) : ١٩٠ .

• أبو النمر أحمد بن صالح : ٧٦ .

• النوتية : ٣٢٩ .

• نوح : ٢٨٤ .

• النورمانديون : ٤٦٨ هـ ٦٢ ، ٤٧١ هـ ٧٥ ،
٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٤ ، ٤٩٥ .

• النوفلي : ٨٧ ، ٩٠ هـ ٧٢ .

• النومان : ٢٢٨ .

• النويري : ٣٠ ، ٤٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ،
٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٢ ، ٣٣٢ ، ٣٧٣ ،
٣٧٥ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٢٦ ، ٤٣١ ،
٤٥٢ ، ٤٦٩ .

(هـ)

• أبو هارون الهواري : ٧٢ .

• هارون بن يونس الأزيابي (شيخ المشايخ) :
٦٥ ، ٦٦ ، ١٣٤ .

• هاشم بن جعفر : ٣٢٤ .

• ميسور (الفتى) : ٥٣ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ،
١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٩٢ .
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ هـ ٦١ .

• ميثسيل الرابع (الأمباطور) : ٤٨٩ .

• ميمون بن الداية : ٣٦٣ .

• ميمون بن موسى : ٢٥٨ .

(ن)

• ابن ناجي : ١٣٣ .

• الناصر (عبد الرحمن) : ٥٠١ .

• الناصر بن علناس : ١٣ هـ ١٠ ، ٤٤٨ ،
٤٤٩ ، ٤٥٠ هـ ١١ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ،
٤٥٣ هـ ٢٠ ، ٤٥٤ هـ ٢٣ هـ ٢٤ ،
٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ ٣٢ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ،
هـ ٣٤ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
٤٦٣ ، ٤٦٤ هـ ٥٥ ، ٤٦٨ هـ ٦٢ ،
٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

• سافع بن الأزوق : ٣٣ .

• النبي : ٥٨ .

• نزار بن جمال المزاتي : ٧٨ .

• نزار : أنظر العزيز (الفاطمي) ابن المعز .

• نزار بن المعز بن باديس : ٣٩٧ ، ٤٠٢ .

• النصاري (المسيحيون) : ١٤٧ ، ١٥٢ .

• ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ .

• نصير (الخازن) : ٢٧٨ .

• أبو نظار الأسود : ٢٥٨ .

• النعمان (بن محمد القاضي) : ١١ هـ ٦ ،
١٣ ، ١٤ ، ١٧ هـ ١٨ ، ١٩ ،
٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ،
٣٩ ، ٥٩ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٨٨ ،
١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣١ ، ١٤٠ .

- واضح (الفتى) : ٣٦٤ هـ ١٠٧ .
- واصل بن عطاء : ١٤١ هـ ١٧ .
- وانودين بن خزرون : ٥٠٥ ، ٥٠٦ .
- الوتلكانيون (التلكانيون) : ٣٤٩ ، ٣٥١ .
- وجاج بن زلوي : ٤٥ .
- بنو وجفال : ٢١٠ .
- بنو ووتندي : ٥٠٨ .
- ورزيفة : ١٦٧ .
- وروا بن خزرون : ٤٩٨ .
- وروا بن سعيد : ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ .
- ٣٥٦ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ هـ ٧ .
- الوليد بن عبد الملك : ٨٤ هـ ٦٠ .
- ابن الوهب بن عمر بن زارة النبوي : ٦٨ هـ ٢٩ .
- الوهيبية : ٣٤ .

(ي)

- اليانزوري (أبو محمد الحسن بن علي) : ١٠ هـ ٤ ، ١٣ هـ ١٠ ، ٥٠ ، ٣٨٩ .
- ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ هـ ١٦ ، ٤٢٢ .
- ١٩ هـ .

- ياقوت (الحموي) : ٩٩ .

- يانس الصقلي : ٣١٨ ، ٣٥٥ .

- يحيى بن ابراهيم : ٤٤ هـ ٤٦ .

- يحيى بن اندريس (الادرسي) : ٨٧ ، ٨٨ هـ ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٠ هـ ١١٨ .

- يحيى بن تميم : ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

- يحيى بن زكروية : ٨ هـ ٣ .

- ابن هذيل : ١٢٥ هـ ١٤٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ هـ ١٤٢ ، ١٦٦ .

- بنو هراش : ٣٠٥ .

- هرقة : ٩ هـ ٣ .

- هشام المؤيد (خليفة قرطبة) : ٤٩٨ ، ٥٠١ ، ٥٠٥ .

- أم هشام المؤيد : ٤٠٥ .

- هشام (المدعي) : ٥٠٨ .

- الهلالية (بنو هلال) : ١٢ ، ١٣ هـ ١٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .

- ٥٢ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٨ .

- ٣٩٢ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ هـ ١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ .

- ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

- ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ .

- ٤٣٣ (غربة) ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

- ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ .

- ٤٤٨ هـ ١٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ .

- ٤٥٣ ، ٤٥٤ هـ ٢٣ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ .

- ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ .

- ٤٩٣ ، ٤٩٦ ، ٤٩٩ .

- الهند : ٤٥٩ .

- هواز : ٦٦ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

- ١٠٨ هـ ١١٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ هـ ٦١ ، ١٨٤ .

- ١٨٨ هـ ٧٦ ، ٢٣١ ، ٢٩٩ .

- ٣٤٤ ، ٤٣٩ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ .

(و)

- ابن واسول : ٢٢ هـ ٣٤ ، ٢٣ ، ٤٨ .

- واسول بن ميمون (الفتاح) : ٩١ .

- ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ .

- بنو واسين : ١٧٥ ، ١٩٠ .

- بنو واسين : ٤٩٩ .

- ٣٧٧ ، ٣٧٢ ، ٣٦٨ .
يعرب بن قحطبان : ٢٩٣ .
يعقوب بن اسحق (التميمي) : ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ١٢٤ ، ١٤٠ .
يعقوب بن كلس : ٢٢٧ ، ٣١٢ .
يعلان (جلة باديس) : ٣٤٩ هـ ٧١ .
يعلى بن العباس بن يحيى : ٤٩٩ .
يعلى بن فرج : ٣٢٢ .
يعلى بن محمد (بن خزر) : ٢٣ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٦١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٤٩٩ .
بنو يعلى : ٤٩٩ ، ٥١١ .
يعيش (مولى الكلبيين بصقلية) : ٢٧٦ ، ٤٧٤ .
بنو يفرن : ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ ، ٢٩٢ ، ٤٣٨ ، ٥٠٣ ، ٥٠٦ ، ٥١١ .
اليمنية : ٢٨٧ .
ينال التركي : ٣٢١ .
اليهود : ٣٣٤ .
يوسف بلكين بن زيدي : أنظر بلكين .
يوسف بن تاشفين : ٤٨ ، ٢٨٨ ، ٣٦١ ، ١٦٧ هـ ١١١ ، ٤٧٧ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٩ ، ٥١١ .
يوسف بن حماد بن تميم بن زيري : ٥٠٣ .
يوسف بن عبد الله الكاتب : ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٩ ، ٣٧٣ .
يوسف بن محمد بن عبد الله بن أبي القاسم : ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ .
- يحيى بن علي (بن الأندلسي) : ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ .
٤٤٨ هـ ١٠ ، ٥٠٧ .
يحيى بن عمر بن تلاجاجين : ٤٥ ، ٤٦ .
يحيى بن المهدي (القرمطي) : ١١٦ .
يحيى بن يعلى بن محمد : ٤٩٩ .
يبدو بن يعلى بن محمد : ٢٣٢ .
بنو يبدو بن يعلى : ٥٠٢ .
أبو يزيد الزناتي (مخلد - صاحب الحمار) : ١٠ هـ ٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٩٠ هـ ٩٢ ، ٧٥ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ هـ ٤٩ ، ١٧٩ هـ ٥٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ هـ ١٨٥ ، ٦٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ هـ ٧٧ ، ٧٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ هـ ١٧ ، ٢٠١ هـ ١٨ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٩ ، ٣٤٠ ، ٣٨٦ ، ٣٩٤ ، ٣٩٩ هـ ٤٦٩ .
يزيد بن أبي يزيد : ١٧٣ .
يصل بن حبوس : ١١٠ ، ١١٣ .
بنو يصلان : ٨٤ هـ ٦٠ .
ابن يصلوس : ٢٧٠ .
يطوفت بن بلكين : ٣٠٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

- | | |
|---|--|
| <ul style="list-style-type: none"> ٣١٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ اليونان : انظر الروم يونس (ابن ابي يزيد) : ١٨٨ هـ ٧٧ | <ul style="list-style-type: none"> يوسف بن القاسم (عم المعز) : ٢٨٤ يوسف بن محارب الأزدي : ٢١٢ يوسف بن محمد بن ابي العرب : ٣٢١ يوسف بن ابي محمد : ٣١٤ ، ٣١٥ |
|---|--|

الأماكن والمواضع

- (١)
- أشهر : ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٤ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠ ،
 ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ،
 ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
 ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ،
 ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ،
 ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ،
 ٤٥٢ ، ٤٩٧ .
- أصيلة : ٩٠ ، ٢١٤ ، ٣٤٤ .
- الأضحي (معركة) : ٤٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ،
 م ٥٠٠ .
- أغاثة : ٤٧٩ .
- أغاثي : ١٢٠ ، ١٥٦ م ٢١٤ .
- أغمات : ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
- أغمات ايلان : ٥٠٩ .
- أغمات وريكة : ٥٠٩ .
- أغيني : ٥١٠ .
- أفريقية : ٦٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨١ ،
 ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ،
 ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ،
 ١٦٣ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ،
 ٢٤٣ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ،
 ٢٦٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
 ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ،
- أبرجه : ١٥٧ .
- أديكيا : ٤٧٨ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ .
- أفنا : ٤٩٠ .
- أجاجن (قبل حجر التسر) : ٢١٤ م ٥٤ .
- أجانة : ٦٧ ، ٨٢ .
- أجدابية : ٧٦ ، ٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٧ .
- أدونت : ١٥٧ ، ٤٧٩ .
- أدنة : ١٨٨ م ١٧ .
- أذرح : ٨٨ .
- أربا (مدينة) : ٨٣ .
- الأربيس : ١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ م ٤٢ ،
 ١٨٤ ، ٢٠٧ ، ٤٦١ ، ٤٩٦ .
- أرتنني : ٤٥ ، ٤٦ .
- أوشسقول : ٣٥ ، ١١١ م ١١٧ ، ١١٤ ،
 ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢١٤ ، ٤٩٨ .
- أسكلافينه : ٢٦١ .
- أسكندرية : ٧٨ ، ٨١ ، ٨٤ م ٦٠ ، ٩٣ .
- ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٢٧ ، ١٦٦ ، ٢٢٩ .
- ٢٤٠ ، ٢٥٣ ، ٢٨٤ ، ٣٢٢ ، ٣٨٥ .
- ٤٥٩ ، ٤٦٠ م ٤٢ .
- آسيا : ٤٧٩ م ٥ .
- أشميلية : ٢٥٥ .

٢٣٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ هـ ٨٢ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ،
٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ،
٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٨٦ ،
٣٩١ ، ٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤١١ ، ٤٣٩ ،
٤٤١ ، ٤٧٧ ، ٣٩٥ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ،
٤٩٩ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥١٠ .

• انوغة : ٢٩٢

• أهل السند (الفجر) : ٢٤٣ هـ ٧٣

• أوترنتوه : ١٥٨ هـ ٢١٨

• أودغست : ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥١٧

• أوربة : ١٥٧ هـ ٢١٦ ، ٤٧٩ هـ ٤

• أوزقور (مدينة) : ١١٣ ، ٥١٠

• أوران (موضع) : ١٠٨ هـ ١١٢

• أيجل (عاصمة السوس) : ٥١٠ ، ٥١٥

• ايران : ٢٨٥

• إيطاليا : ١٢٠ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٥٣

١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩

١٦١ ، ٢٢٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩

٢٧٥ ، ٢٨١ ، ٣٠١ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧

٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ هـ ١ ، ٣ ، ٤

٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ هـ ٨ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥

٤٨٩ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٧

• أيكجان : ١٨ ، ١٩ ، ٦٤ ، ١١٨ هـ ١٢٩

١٢١ ، ١٤٣

• إيالاتن : ٥١٣ ، ٥١٥

• أيونا (جزيرة) : ٤٣ ، ٥١٥ ، ٥١٦

• أبوينة (جزر) : ٤٨٩

(ب)

• باب تونس : (بانقروان) : ٣١٣ ، ٣٧٤

٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٢ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦
٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٦
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩
٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦
٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥
٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧
٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٦
٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤
٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٤
٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١
٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩
٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ هـ ٣ ، ٤
٤٤٨ هـ ١٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ هـ ٢٣
٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢
٤٦٣ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ هـ ٦٢
٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٤٨٩
٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥
٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠
٥١١ ، ٥١٥ ، ٥١٨

• افرينه : ٢٧٠

• اقريطش (كريت) : ٢٤

• آكاس (مرسى تكور) : ١١٤

• اكرى (قلعة) : ١٦٧

• البيرة : ٣٦١

• امالفي : ٢٦٩

• أم الربيع (وادي) : ٢٢٦

• آمسار (موضع) : ٣٤٩

• الأندلس : ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٨
٨٤ هـ ٦٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ هـ ٧٢
١٠٢ ، ١٠٤ هـ ١٠٣ ، ١١٠ ، ١١١
١١٥ ، ١١٩ ، ١٣٨ ، ١٤١ هـ ١٨٠
١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٨٦
١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٦
٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

- باب أبي الربيع (بالقيروان) : ٣١٦ .
باب سالم (بالقيروان) : ١٥٠ .
باب عجيسة (جيسة) : ٥٠٤ .
باب الفتح (بالهدية) : ١٨١ .
باب القصر (بالنصورية) : ٣١٧ .
باب قلشانة (بالقيروان) : ٣١٧ .
باب كباب : ٣٥٨ .
باجة : ١٢٩ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ .
هـ ٦٣ ، ١٨٤ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ .
بارى : ٢٦٦ ، ٤٧٩ هـ ٤ ، ٤٨٥ .
باغاية : ١٠٦ ، ١٧٥ ، ١٨٤ ، ١٩٠ ،
١٩١ ، ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٢٧ ،
٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٥٢ ، ٤٠٧ .
البراندانو : ٤٧٩ هـ ٤ .
بجانة (من الأندلس) : ٨٦ ، ١١١ هـ ١١٧ ،
١٨٦ .
بجاية : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ،
٣٧٨ ، ٤١٣ ، ٤٣٩ .
البحر المحيط : ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٩١ .
برحمانه : ١٩٠ .
برفجانة (حصن) : ٨٣ .
برقة : ٥٠ ، ٥٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١٣٢ ،
١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢٣٠ ،
٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ،
٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٤٨٤ ، ٣١٨ ،
٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٩٨ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ،
٤٢٤ ، ٤٣٥ .
بركة الدم : ٣٨٣ هـ ١٠ .

التراقين :

- ترجا (وادي) : ٥١٥ .
- نرموله : ١٣٠ ، ١٥٩ .
- رميني : ٢٦٩ .
- تسول : ٨٧ ، ١١٥ ، ١٦٦ .
- نطوان : ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ .
- تغازي : ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .
- تقيوسي : ٣١ ، ١٠٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٤٣٩ .
- التل الغربية : ٢٩٥ .
- تلمسان : ٤٦ ، ٥٠ ، ٨٢ ، ١١٤ ، ١٦٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٣٢٨ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٦٣ ، ١٠٤ ، ٣٦٤ ، ٤١٤ ، ٤٣٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
- تلمسان الجديدة : ٣٤١ .
- تنس : ٦٤ ، ٦٥ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٣٦٣ ، ١٠٤ ، ٤١٤ ، ٥٠٢ .
- تونس : ٩٤ ، ١٢٩ ، ١٤١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ٦٣ ، ١٨٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٧٥ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٦ .
- تيجسي (تيجساس) : ١٠٦ ، ١٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٣٤ ، ٣٢٤ ، ٣٥٢ .
- تيفريل : ٤٦ .
- تيوفانو (الامبراطورة) : ٤٨١ .
- (ج)
- جالولاء : ٢١٩ .

• ٤٩٧ ، ٤٩٥

• البيضاء (الهدية) : ٩٢ .

(ت)

- تادلا : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٥٠٢ ، ٥١١ .
- تادمكة : ٥١٣ .
- تارودانت : ٥١٥ .
- تازروت : ١٢١ .
- تازة : ٨٧ ، ١٠٣ .
- تاغشمت : ١٠٨ ، ١١٢ .
- تامدلت : ٥١٠ .
- تامرورت : ٥١٠ .
- تامسنا : ١٦٨ ، ١٧٠ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٣٤٥ ، ٥١١ .
- تاهرت : ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٧١ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٥ ، ١٧ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٩ ، ٢٨٥ ، ٢٩٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٤١٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥١١ ، ٥١٥ .
- تبسه : ١٧٥ .
- تراقيا :

جامع عقبة (القيروان) : ٣٨٩ ، ٣٥٣ ، ٣٩٠ .

جامع القسطنطين : ٤٠٠ .

جامع القرويين : ٢٣٣ .

جايتة : ١٥٤ .

جبال درن : ٥١١ ، ٥١٠ ، ٥٠٩ .

جبال عقار : ١٨٨ هـ ٧٧ .

جبل اوراس : ١٠١ ، ٨٢ ، ٧٩ ، ٣٢ ، ١٦٨

١٨٢ ، ١٨١ ، ١٧٥ ، ١٧٣ ، ١٨٢

١٨٣ هـ ٦١ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٣١

٢٣٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨

٣٤٠ ، ٣٦٥ .

جبل برزال : ١٨٧ .

جبل تيطرى : ٢٩٤ .

جبل الحديد : ٥١٥ .

جبل ابي الحسين : ٨٩ .

جبل الخناش : ٣٥٣ .

جبل شنوق : ١٦٧ .

جبل كتامة : ٤١٣ .

جبل غزوان (قرب الطائف) : ٤١٧ هـ ١ .

جبل مجاسة : ٢١١ .

جبل المقطم : ٣٨٠ .

جبل ميسون : ٤١٣ .

جبل ونشريس : ١٣٠ ، ٣٦٣ .

جراينا : ٤٧٩ هـ ٤ .

جربة : ٣٩٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤١٤ ، ٤٧٥

٤٧٧ .

جرجنت : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

جرجانتو : ١٥٤ ، ١٥٩ .

الجريد (بلاد - وقسطيلية) : ٣٠ ، ٥٩

٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٧٠ ، ١٨٧

١٩٠ ، ٣٤٠ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤٣٩

٤٤٥ ، ٥١٥ .

الجزائر (جزائر بني مزغنة) : ٢٩٠ ، ٢٩١

٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٤٥٨ ، ٤٩٧ .

الجزيرة (جزيرة باشو) : ١٨٤ .

الجزيرة الخضراء : ٥٠٦ ، ٥٠٨ .

الجفنة (موضع قرب القيروان) : ٢٩٧ .

جلالانا : ١٥٠ .

جلوا : ٤٧٨ .

جليقية : ٣٦٠ ، ٣٦١ .

جمة (جزيرة) : ٩٤ .

جنوة : ٤٠ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ٢٥٦ ، ٤٦٤

٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦

٤٩٥ ، ٤٩٧ .

جيبل : ٤١٣ .

الجيزة : ٢٥٣ .

(ح)

الحجاز : ٤١٧ هـ ١ ، ٤١٩ .

الحجر الاسود : ٢٠٨ ، ٢٤٩ (كافور) .

حجر النسر : ١٠٤ ، ١١٠ هـ ١١٤

٢٣ ، ١١٥ ، ٢١٣ هـ ٥٤ ، ٢١٤

٢٤٦ .

الحرم المكي : ١٠٠ هـ ٩٥ .

حصن ماواس : ١٩٠ ، ١٩١ .

(ج)

الرباط (رباط الفتح) : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٢١٠ ، ٢٢٦ .

رباط سوسة : ٩٤ ، ١١٧ .

رباط المنستير : ٩٤ .

رسالة : ٤٨١ .

رشيد (مدينة) : ٢٥٣ .

الرصافة (شرق بغداد) : ٣٨٥ .

رقادة : ١٨ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ،

١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، ٢٨٤ ،

٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٥٤ ،

٣٦٦ ، ٣٧٣ ، ٤٠٦ ، ٤٣٥ .

رمتسه (حصن) : ٢٦٨ .

رمطة : ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٤٩٠ .

الرملة : ١٣١ .

ريفة : ٤٤٨ .

الريف (بلاد) : ٨٢ ، ٩٠ هـ ٧٢ .

ريو : ١٥٥ ، ١٥٩ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ .

الزباب (بلاد) : ٣٣ ، ٥٩ هـ ٦ ، ٧٠ ،

٨٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ،

١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،

١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،

٢٥٣ ، ٢٦٩ ، ٣٠٥ ، ٣٢٨ ، ٣٣٥ ،

٣٤٠ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،

٣٦٥ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

حصن المقصورة : ١١٢ .

الخصنة : ٢٩١ .

حطين : ٣٩٢ .

حلب : ٣٣٦ ، ٤٢٠ .

الحنية (اقليم) : ٧٩ .

حيدرآباد (معركة) : ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ،

٤٤١ ، ٤٣٢ .

(خ)

الخالصة : ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(د)

دار الدعوة (الاسماعيلية) بالتيهوان :

٣٩٠ .

دار القائد جوهر : ٣١٤ ، ٣٣١ .

دجلة : ٣٨٥ .

درب المعلي : ٣٨٣ ، ٣٨٦ .

الدرجيني : ٣٠ ، ٣١ هـ ٣٨ ، ٣٢ .

درعة (وادي) : ٤٦ ، ٢٣٥ ، ٤٦١ ، ٥١١ ،

٥١٥ ، ٥١٦ .

دكمة : ٤٠٨ .

دمر : ٤٤٥ .

دمنش : ١٤٧ .

دير سانت كاترين : ٧ هـ ١ .

دمشق : ٥٨ هـ ٣ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٢٨٧ .

(ذ)

ذات الحمام : ١٠٢ ، ١٠٩ .

- ٤٤٨ . ٤٩٩ .
- زويلة (مدينة) : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٥١ ، ٤٣٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٩٤ .
- (س)
- سالميرنو : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٦٩ ، ٤٦٨ م . ٦٢ .
- سامرا : ٩٣ ، ٤٧١ .
- سبيبة : ١١٠ م ١١٥ ، ١١١ م ١١٦ ، ١١٢ م ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٤٥٤ م ٢٥ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
- سبيبة بنى معروف : ١٠٦ .
- سبيبة : ١٧٥ ، ١٩٤ ، ٤١٤ ، ٤٤١ ، ٤٥٤ م ٢٥ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٦ .
- سبيطة : ١٩٠ .
- سجلماسة : ١٠ م ٤ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١١٧ ، ١١٨ م ١٢٩ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٨٥ ، ٣٠٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٦ ، ٣٦٤ ، ٣٧٧ ، ٤٦١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٥ .
- ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٤١٨ .
- سرت : ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ .
- سردانيس : ٢٢٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٢٧ .
- سرقوسة : ٢٧٦ ، ٤٩١ .
- سطين : ١٠٦ ، ١٩٤ ، ٣١٤ ، ٣٣٣ ، ٣٢٤ ، ٤٦٨ م ٦٢ .
- بنو سعيد (موضع قرب مرمجنة) : ٣٥٣ .
- سفاقس : ٤٣٩ .
- سلا : ٤٦ ، ٢٢٦ ، ٥٠٣ ، ٥١١ .
- سلقطة : ٤٥٠ .
- سلمية : ١٢٣ .
- السفقال : ٤٦ .
- السودان : ٥٠٩ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٥ ، ٥١٧ .
- السوس (الأقصى) : ٩ م ٣ ، ١١٤ ، ٢٣٣ ، ٢٨٩ ، ٤٧٧ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٥ ، ٥١٦ .
- سوسة : ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٥٠ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ م ٦٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٠ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ م ٤٥١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٦ .
- سوق ابراهيم : ٤١٤ .
- سوق حمزة (البيرة) : ١٠٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٣ .
- سوق ماكسن : ٤١٤ .
- سيكة : ١٧١ .

٢٧٥ ، ٢٧٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٠
٢٨١ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٦
٢٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٧٩ ، ٣٠١ ، ٢٨٢
٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٦٢ ، ٤٧١
٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠
٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥
٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠
٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥
٤٩٧

المقليون (المولدون) : ٤١ ، ١٤٥
١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١
٢٧٤

الصين : ٤١٣ ، ٤٥٩

(ط)

طارنت : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢١٨ ، ٤٧٩
٤

طبرقة : ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٧٠ ، ٢٧٨

طبرمين : ١٤٨ ، ١٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧١
٢٧٢ ، ٢٧٣

طينة : ١٠٩ ، ١٨٧ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦
٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦
٣٦٢ ، ٣٩٥ ، ٤٠٨

طرابلس : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢
٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٨ ، ١٤١
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٨١
١٨٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨١
٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧
٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٥٤
٣٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٨٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٧
٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٤
٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٩ - ١٠
٤٥٠ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٢

(ش)

شالة : ٥٠٢

الشام : ٨٨ ، ٩٦ ، ١٤٥ ، ٢٥٣
٢٣٦ ، ٤١٧ ، ٢ ، ٤١٨ ، ٤٢٠
٤٢١ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٩٠

شرف (الشيلية) : ٢٤٠

شرفال : ٣٦٣ ، ١٠٤

شلف : ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٤
٢٣٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٤٠ ، ٣٦٣

ش : ١٠٤ ، ٤١٣ ، ٥٠١

الشيخ (موضع في بلدة مفيلة) : ٢١٥

(ص)

صبرة (المنصورية) : ١٩٤ ، ١٩٩
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٣٠٣
٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥

الصحراء (الموابية) : ٥١١ ، ٥١٢
٥١٨

صدينة : ٦٥ ، ١٠٦

الصعيد : ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢١

صفاقس : ٩٣ ، ١٤٩ ، ٤١٢ ، ٤٤٩

٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤

٤٦٥ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦

صفروى : ٥٠٦

صقلية : ٤٠ ، ٧٤ ، ١٠٩ ، ١٢٠

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١

١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨

١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٨٢ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩

٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣

٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩

الغيران : ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٤٧
غيس (نهر) : ٨٤ هـ ٦٠

(ف)

فاس : ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ هـ ١١٥ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ٢٨٥ ، ١٢٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٨

فارس : ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٤٧١ هـ ٧٧
فحص غزالة (قرب باغاية) : ٢٩٩
فحص زيدور : ٤١٤
الفسطاط : ٢٤٩ ، ٢٥٣
فكان (افكان) : ٢٢٦ ، ٢٣٢
القيوم : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١

(ق)

قابس : ٧٨ ، ١٠٢ ، ٢٥٢ ، ٢٩٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ ، ٣٩٥ ، ٤٠٠ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ هـ ٤٧٥ ، ٤٧٦ هـ ٨٨
القاهرة : ٩٢ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣١

٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٨ ، ٥٠٥

طرابنش : ٤٩١

طنجة : ١١١ هـ ١١٧ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٣٤٤ ، ٣٦٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨

(ع)

العدوة : ٨٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥١١

عدوة الأندلس : ١٠٤ هـ ١٠٢ ، ١٦٩ ، ٢١٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩

عدوة القرويين : ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٩ ، ٢١٢ ، ٥٠٤ ، ٥٠٩

عنق : ٤١٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٨

العراق : ٨٨ ، ١٣٣ ، ٢٨٥ ، ٤١٧ هـ ٢ ، ٤٧١

عردلية : ٤٧٩

عصرة (قرب جرجنت) : ٢٥٨

عقار (قلعة) : ١٠٦ ، ١٨٨ هـ ٧٧

عقبة الصعتر : ٥٠٤

العيون (يوم) : ١٠٨ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠

(غ)

غانة : ٤٢ ، ٤٣

المغرب (٣٠٨) أنظر المغرب

غرنطة : ٢٨٦ ، ٣٦١ ، ٤٠٦ ، ٥٠٧

غمارة : ٥١١

- القصبية : ٢٦٠ .
- قصر الافريسقى : ١٠٦ ، ٣٢٤ ، ٣٥٤ .
- ٣٦٦ .
- قصر البحر (برقادة) : ٢٤٣ .
- القصر البحرى : ٦٧ .
- قصر الحجر : ٣١٢ .
- قصر حمونس : ١٩٠ .
- قصر الذهب : ٢٣٧ .
- قصر سائم : ٢٥٧ .
- قصر سطيف : ١٩٤ .
- قصر الطوب : ١٣٠ ، ١٤٢ .
- القصر القديم (فى بلوم) : ٢٥٩ .
- قصر كتامة : ٣٤٣ .
- قصر الماء : ٣٢١ .
- قصر يانة : ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ .
- قفصة : ١٩٠ ، ٣١٤ ، ٣٣١ ، ٤٠٥ .
- قصور ملوية : ٥٠٦ .
- قطانية : ٤٩١ ، ٤٩٢ .
- قفصة : ٤٤٥ .
- قلسانة : ١١١ هـ ١١٦ .
- القلشاني (الجابى) :
- القلعة (حماد - ابو طويل) : ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ هـ ١١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ هـ ٣٠ ، ٢١ هـ ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ هـ ٤٥٨ ، ٣٤ هـ ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ هـ ٦ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ .
- قلعة الباطنوا (بلاطينة) : ٢٦١ .
- ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ .
- ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧١ .
- ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ .
- ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ .
- ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤١١ ، ٤١٧ .
- ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ هـ ٥ ، ٤٦٥ .
- ٤٧٥ ، ٤٩٨ .
- القاسمية (بالقرون) : ٦٨ .
- القبائل الشرقية (منطقة) : ٢٩٥ ، ٤٥٩ .
- القبائل الصغرى : ٧٠ ، ٢٥١ ، ٢٩٠ .
- القبائل الكبرى : ٢٩٠ .
- قبلة القيروان : ٢٤٥ هـ ٧٨ .
- قرطاجنة : ٩٤ .
- قرطبة : ٨٧ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٤١ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٦ هـ ٥٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٥٥ ، ٢٨٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ هـ ٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .
- قرقنة : ٤٧٥ .
- قسانة : ٢٦٦ .
- القسنطينية : ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٨٩ هـ ٢٨ ، ٣٩٣ ، ٤٩٠ .
- قسنطينية (والجريد) : ٨٢ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٣٥٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ هـ ٦ ، ٥١٥ .
- قسنطينية : ١٧ ، ١٨٤ ، ٢٨٩ ، ٣٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٥٥ ، ٤٩٧ .

٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ،
٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ،
٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٣ ،
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ ،
٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،
٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ،
٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ،
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ،
٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ،
٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ،
٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ،
٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ،
٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ،
٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ،
٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٤ ،
٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،
٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ،
٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ،
٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ،
٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ،
٤٦٥ ، ٤٨٥ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ،
٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٥ ،
القبرواثيون : ٣٣٨

(ك)

كابو : ٢٦٩
كامل (قرية) : ٣٨٧
الكاباني : ٢٦٩
كراتي (نهر) : ٢٦٦ ، ٤٧٨ ، ٤٨٥
الكرخ : ٩٧ ، ٣٨٥
كردوم (قلعة) : ٣٩٧
كرسييف : ٨٧

قلعة البلوط : ٢٦١
قلعة الجلائور : ٢٦١
قلعة جمعة : ١٠٧
قلعة الحسب : ١٥٨
قلعة دلول : ٤١٣
قلعة السبرات : ٢٦١
قلعة شساكر (في جبال كيانه) : ١٨٨
م ٧٧

قلعة ابي طويل : انظر القلعة (بنو حماد) :
قلودية (كلابريا) : ١٠٩ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧ ،
٣٠٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ،
٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٨ ،
٤٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤

قورس (موضع بالزاب) : ٣٩٧ ، ٣٩٨
قوصرة (جزيرة - بنتلاريا) : ٤٦٧ ، ٤٦٨
م ٦٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٣

القبروان : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٠ ،
م ٤٢ ، ٤١ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٥ ،
٧٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٦ ، ١١٨ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٦ ،
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ،
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ،
١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ،
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٠٤

- مالقة : ٨٤ ، ٨٦ ، ٢٥٥ ، ٣٩٩ ، ٥٠٧ .
 • ٥٠٨
- ماوئنت (بنو) : ٧٠ .
- متيجة : ٣١٦ ، ٣٣٦ ، ٣٧٦ .
- المجاجة الكبرى : ٥١٥ .
- مجانة : ١٧٥ ، ٤١٤ .
- مجردة (وادي) : ١٧٧ .
- المحارس : ١١٩ .
- المحمدية أنظر المسيلة : ١٦٨ .
- مدرسة الطرطوشي : ٣٨٥ .
- المسدية : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٦٣ .
- مراكش : ٤٨ ، ٤٦١ .
- المرسی (بيلرم) : ١٥٢ .
- مرسى الخزر : ٢٣٠ .
- مرسى الدار : ٨٤ هـ ٦٠ .
- مرسى الدجاج : ٤٠٨ .
- المرصدي (صاحب الخراج) : ٣٣٥ ، ٣٧٦ .
- مرمجة : ٣٣ ، ١٧٥ ، ٣٥٢ ، ٤١٤ .
- المصرية : ١١١ هـ ١١٧ ، ١٨٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٥٠٧ .
- مستغانم : ٤١٣ .
- مسيد اليس (قرب جرجنيت) : ٢٥٨ .
- المسيلة : ١٠٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ هـ ٧٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٣١ ، ٢٥٤ ، ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٤٠ (المحمدية) ، ٣٥٢ ، ٣٦٦ ، ٤٠٨ ، ٤٥٤ هـ ٢٦ ، ٤٥٥ .

- كرفة : ٤١٩ .
- كرط : ٨٤ هـ ٦٠ .
- كريت (افریطش) : ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .
- ٢٤٢ ، ٢٧٨ .
- كزناية (قبائل) : ٨٤ هـ ٦٠ .
- كسنته : ٤٧٨ ، ٤٨٥ .
- الكعبة : ٢٠٨ ، ٤٠٠ .
- كلابريا : أنظر قلورية .
- كمبانيا : ٤٦٨ هـ ٦٢ .
- كورسيكا : ٢٢٨ .
- كورفو : ٤٨٩ .
- كوكو : ١٧١ .
- كيانة : ١٠٦ ، ١٨٨ هـ ٧٧ ، ١٩٨ .
- (ل)
- لظره (حصن) : ٢٦٨ .
- لكاي (مدينة) : ٩٠ ، ١٦٦ .
- لطة (مرسي) : ١٤٩ .
- لومبارديا : ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢٥٧ .
- اللبريا : ٤٨٩ .
- ليون : ٣٦١ .
- (م)
- ماتيرا : ٤٨٤ .
- مستار : ١٤٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ .
- معالطة : ٤٨١ هـ ٦ .

المغرب : ٧ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ هـ ٣٧ ،

٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٣٩ هـ ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،

٥٢ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ٩١ ،

٩٠ هـ ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٢ ،

١٠٤ هـ ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،

١٤١ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ١٩١ ،

٢٠٣ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،

٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،

٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ،

٨٢ هـ ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ،

٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ،

٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٨ (الغرب) ،

٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٧ ،

٣٣٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ،

(الغرب) ، ٣٤٦ ، (الغرب) ، ٣٤٧ ،

(الغرب) ، ٣٤٩ ، (الغرب) ، ٣٥١ ،

٣٥٤ (الغرب) ، ٣٥٥ (الغرب) ، ٣٥٦ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ (الغرب) ، ٣٦٧ ،

٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٣٧٩ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ،

٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ (الغرب) ، ٣٩٦ ،

٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ،

٤٣٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ،

٤٤٤ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ،

٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،

٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٠ ،

٥١١ ، ٥١٧ ،

المغرب الأوسط : ٦٤ ، ٨٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،

١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠ هـ ١١٤ ، ١١٥ ،

١٣١ ، ١٧٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،

٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ ،

٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٤ ،

٣٩٤ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤٦٢ ، ٤٩٨ ،

٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥١٨ ،

مسينا : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ،

٢٧٤ .

المشرق : ١١٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ١٧٣ ،

٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ،

٢٤٥ ، ٢٤٨ هـ ٨٢ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ،

٢٧٩ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ،

مصر : ٥٧ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،

٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٢ ،

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،

١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٨٢ ، ٢١١ ،

٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ،

٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ،

٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ،

٣٢٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٢ ،

٣٤٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٩ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ،

٣٩٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ،

٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤٨ ،

٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٨ ،

٤٨٧ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

الموصل (بركة) : ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٨٢ ،

موصل (العيد بالنصورية) : ٤١٦ ،

الموصل (بالقروان) : ٤٣٢ ، ٤٣٥ ،

موصل الهدية : ٢٠٨ ،

مصمودة (مدينة) : ٥١٠ ،

مضيق مسينا : ٤٧٨ ، ٤٧٩ هـ ١ ، ٤٨٠ ،

٤٨٨ ، ٤٩٠ .

مطاحن مرنوه : ٢٥٨ ،

المغزية (طبرمين) : ٢٧١ هـ ١٤٨ ،

- (ن)
- نابولي : ١٥٤ ، ١٥٨ ، ٢٦٩ .
- ناسفت (موضع قرب نكور) : ٨٤ م ٦٠ .
- نجيد : ٤١٧ .
- نفزة : ٨٤ م ٦٠ .
- نفزاوة : ٧٩ ، ٨٢ ، ٣٠٣ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ .
- ٣٥٦ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ ، ٤٤٥ م ٦ .
- ٥٠٥ .
- نقطة : ٣٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٤ .
- نفيس (مدينة) : ٥١٠ .
- نكور : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١١٠ م ١١٥ ، ١١٤ .
- ١٦٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٥ ، ٤١٤ .
- نكور (نهر) : ٨٤ م ٦٠ ، ٨٦ .
- النوالات : ١٧٣ .
- النوبة : ٤٣٠ .
- نول لمطة : ٥١٦ .
- نيكو ثيرا : ٤٩٤ .
- النيل : ٢٥٠ ، ٢٥٣ ، ٤١٩ ، ٤٢٢ .
- (ه)
- الهبط (بلاد) : ٣٤٣ ، ٣٤٥ .
- هرقلية : ١٧٦ م ٤٦ .
- هرك : ٨٤ م ٦٠ .
- الهند : ٤١٣ .
- (و)
- وادي اغلان : ٣٥٣ .
- وادي الشيطان : ١٤٧ .
- وادي فاس : ٥٠٩ .
- وادي القصارين (بالفيراوان) : ٣١٣ ، ٣٧٤ .
- وادي المطاحن : ١٠٣ .
- وادي وريكة : ٥٠٩ .
- وارجلان (وبنو) : ٥٨ ، ١٧٣ ، ٣٠٩ ، ٣٢٩ .
- وجنة : ٤٩٨ ، ٥٠٣ .
- وطاء : ١٦٨ .
- وقعة المجاز : ٢٧٢ ، ٢٧٤ .
- ورجلة : ٥١٥ .
- ورزيفة : ٥١٠ .
- وهران : ١١٠ م ١١٤ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٣ م ١٠٤ .
- (ي)
- اليمن : ٤١٣ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩ .

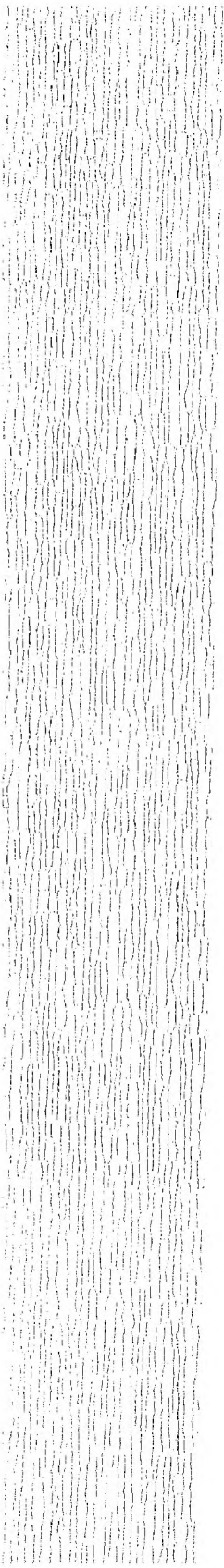
رقم الايداع ١٩٩٠/٤٧٧٤

I.S.B. 1 - 977 - 03 - 0012 - S

مطبعة اطلس

١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية

تليفون : ٧٤٧٧٩٧ - القاهرة



09./37